

# إحياء علوم الدين

## للإمام الفخر الرازي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الرازي  
وفلسفته في الإحياء

بمترجم

الدكتور عبد الوهيّ طهاني

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم  
بجامعة القاهرة

فيها كتب قيمة

مكتبة محمد بن إسماعيل حمزي (الفدري)

From the Library of  
Muhammad S. Hosain

الجزء الثاني

مكتبة وطبعة "كرياطة فوترا" سماراغ

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِّبَن كَانْ لَهُ قَلْبٌ »

(قرآن كريم)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب آداب الأكل)

(وهو الأول من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين)

الحمد لله الذي أحسن تدبير الكائنات ، غلق الأرض والسموات ، وأزل الماء القرات من العصرات ، فأخرج به الحب والنبات ، وقدر الأرزاق والأقوات ، وحفظ بالماكولات قسوى الحيوانات ، وأعان على الطاعات والأعمال الصالحات بكل الطيبات ، والصلاة على محمدى المعجزات الباهرات ، وعلى آله وأصحابه صلاة تتوالى على محرم الأوقات ، وتتضاعف بتعاقب الساعات ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فان مقصد ذوى الألباب لقاء الله تعالى في دار الثواب ، ولا طريق إلى الوصول لقاء الله إلا بالعلم والعمل ، ولا تمكن للواظبة عليهما إلا بسلامة البدن ولا تصفوسلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات ، والتناول منها بقدر الحاجة على تكرار الأوقات ، فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين إن الأكل من الدين ، وعليه نهى العرب العالمين ، بقوله وهو أصدق القائلين - كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - فمن يقدم على الأكل لثنتين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى ، فلا ينبغي أن يترك نفسه مهمل سدى ، يستمر في الأكل استرسال البهائم في للرعى ، فان ماهو ذريعة إلى الدين ووسيلة إليه ، ينبغي أن تظهر أنوار الدين عليه وإنما أنوار الدين آدابه وسنة التي يزم العبد بزمها ، ويلجج للتي بابها ، حتى يترن بيزان الشرع وشهوة الطعام في إقدامها وإحجامها ، فيصير بسببها مدفعة للوزر ، ومجلبة للأجر ، وإن كان فيها أوفى حظ للنفس . قال صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليؤجر حتى في اللقمة يرفضها إلى فيه وإلى في امرأته <sup>(١)</sup> » وإنما ذلك إذا رفضها بالدين ولادين مراعى فيه آدابه ووظائفه ، وهانئ ترشد إلى وظائف الدين في الأكل فراضيا وسنتها وآدابها ومرواياتها وهياتها في أربعة أبواب . وفصل في آخرها . الباب الأول : فبا لابد للاسكل من مراعاتها وإن اقررد بالأسكل . الباب الثاني : فبا يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الأكل . الباب الثالث : فبا يخص تقديم الطعام إلى الإخوان الزاوين . الباب الرابع : فبا يخص الدعوة والضيافة وأشبابها .

(كتاب آداب الأكل)

(١) حديث إن الرجل ليؤجر في اللقمة يرفضها إلى فيه وإلى في امرأته من حديث لسمعين أبي وقاص وإنك مهما ألفت من ثقة فاتها صدقة حتى اللقمة ترفضها إلى في امرأتك .

بتيسة

عوارف المعارف

السهروردي

[ الباب التاسع في

ذكر من انتهى إلى

الصوفية وليس منهم ]

فن أولئك قوم يسبون

نفسهم قلندرية تارة

ومسلمانية أخرى

وقد ذكرنا حال اللامع

وأنه حال شريف

ومقام عزيز وتمسك

بالسنن والآثار وتحقق

بالإخلاص والصدق

وليس مما يزعم

للفتنون بشيء فاما

القلندرية فهو إشارة

إلى أقوام ملوكهم سكر

طبيعة قلوبهم حتى خربوا

العادات وطرحوا

التقييد بآداب

المجاهلات والمخالطات

وصاحوا في ميادين

طبيعة قلوبهم قللت

أعمالهم من الصوم

والصلاة إلا القرائن

الباب الأول : فيما لا بد للمفرد منه وهو ثلاثة أقسام قسم قبل الأكل وقسم مع الأكل وقسم بعد الفراغ منه  
( القسم الأول في الآداب التي تقدم على الأكل وهي سبعة )

الأول : أن يكون الطعام يدكونه حالاً في نفسه طيباً في جهة مكسبه موافقاً للسنة والورع لم يكتب بسبب سكره في الشرع ولا يحكي هوى ومداخته في دين على ما يأتي في معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال والحرام وقدم الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال وقدم النبي عن الأكل على الباطل القتل تخفيفاً لأمر الحرام وتعلية لبركة الحلال فقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - إلى قوله - ولا تقتلوا أنفسكم - الآية فالأصل في الطعام كونه طيباً وهو من القرائض وأصول الدين الثاني : غسل اليد - قال صلى الله عليه وسلم « الوضوء قبل الطعام ينقي الفقر ويبدد بني الهم » وفي رواية « ينقي الفقر قبل الطعام ويبدد » ولأن اليد لا تخلو من لوث في تعامل الأعمال فضلها أقرب إلى النظافة والزمانة ولأن الأكل قصد الاستمالة على الدين عبادة فهو جدير بأن يقدم عليه ما يجري منه عبرة الطهارة من الصلاة . الثالث : أن يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض فهو أقرب إلى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على المائدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى بطعام وضعه على الأرض <sup>(١)</sup> فهذا أقرب إلى التواضع فإن لم يكن فعل السفرة فاتها تذكر السفر وتذكر من السفر سفر الآخر وتحتاجه إلى زاد التقوى وقال أنس بن مالك رحمه الله « ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة » <sup>(٢)</sup> . قيل فلي ماذا كنتم ما تكون قال على السفرة وقيل أربع أعدت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الموائد والنائل والأشنان والشيخ . واعلم أنا وإن قلنا الأكل على السفرة أولى فلنا قول الأكل على المائدة منهى عنه نهى كراهة أو تحريم إذ ثبت فيه نهى وما يقال إنه أبعد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كلما أبعد منهياً بل النهي بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمراً من الشرع مع بقاء علته بل الأبدع قد يجب في بعض الأحوال إذا تيسرت الأسباب وليس في المائدة إلا رفع الطعام عن الأرض لتيسر الأكل وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه والأربع التي جمعت في أنها مبعدة ليست متساوية بل الأشنان حسن لما فيه من النظافة فإن انفصل مستحب للنظافة والأشنان أتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لأنهم كانوا لا يتادع عندهم أولاً ليسر أكلهم وكانوا مشغولين بأمور أهم من الباطنة في النظافة قد كانوا لا يسلون اليد أيضاً وكانت متدليهم أحسن أقدامهم وذلك لا يمنع كون النسل مستحباً وأما الخل فلتقصده منه لطيب الطعام وذلك مباح لما به منه إلى التمتع القرم وأما المائدة فتيسر للأكل وهو أيضاً مباح ما لم يمتد إلى السكر والتعاطل وأما الشبع فهو أشد هذه الأربعة فإنه يدعو إلى تهيج الشهوات وتخريب الأدوات والبدن فلندرك التفرة بين هذه الیدعات . الرابع : أن يحسن الجلسة على السفرة في أول جلوسه ويستديها كذلك

### ( الباب الأول )

(١) حدث الوضوء قبل الطعام ينقي الفقر ويبدد ما بيني اللحم وفي رواية ينقي الفقر قبل الطعام ويبدد القضاء في مسند الشباب من رواه موسى الرضا عن أبيه متصل باللفظ الأول ولطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس الوضوء قبل الطعام ويبدد ما بيني الفقر ولأبي داود و ت من حديث سلمان بركة السلام الوضوء قبله والوضوء بعده وكلها متعفة (٢) حديث كان إذا أتى بطعام وضعه على الأرض أحمد في كتاب الزهد من رواية الحسن مرسلًا ورواه البزار من حديث أبي هريرة نحوه وفيه مجاهد وقته أحمد وضعه الدارقطني (٣) حديث أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان إلا في سكرجة رواه ع .

ولم يالوا بشاؤ شيء  
من قبات الدنيا من  
كل ما كان مسباحا  
برخصة الشرع وربما  
اقتصروا على رماية  
الرخصة ولم يطلبوا  
حقائق الزعة ومع  
ذلك هم متمسكون  
بترك الادخار وترك  
الجمع والاستكثار ولا  
يترحمون بجراسم  
التشفيين والتزهدين  
والتعبدن وقصوا  
بطية قلوبهم مع الله  
تعالى واقتصروا على  
ذلك وليس عندهم  
تطلع إلى طلب مزيد  
طية القلوب والفرق  
بين اللامق والقلندري  
أن اللامق يعمل  
في كتم البادات  
والقلندري يعمل  
في تخريب العادات  
واللامق يتسلح بكل  
أبواب البر والخير  
ويرى الفضل فيه

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجليه اليمنى وجلس على اليسرى <sup>(١)</sup> » وكان يقول « لا تأكل متكاً <sup>(٢)</sup> » إنما أنا عبد تأكل كأياء كل العبد وأجلس كأجلس العبد <sup>(٣)</sup> » والشرب متكاً مكروه للعدة أيضاً ويكره الأكل قائماً ومتكاً إلا ما يقتل به من الحبوب وروى عن علي كرم الله وجهه أنه أكل كسكا على ترس وهو مضطجع ويقال منبسط على بطنه والعرب قد تفضله . الحامس : أن ينوي بأكله أن يقوى به على طاعة الله تعالى ليكون مطيعاً بالأكل ولا يقصد التلذذ والتعم بالأكل قال إبراهيم بن شيخان منذ ثمانين سنة ما كنت شيئاً لشهوتي ويمزم مع ذلك على تخليل الأكل فإنه إذا أكل لأجل قوة العبادة لم تصدق نيته إلا بأكل ما دون الشبع فإن الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وإثارة القناعة على الاتساع قال رسول الله ﷺ « ماملأ أمتي وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم ثقبات يقمن صلبه فإن لم يملأ ثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفس <sup>(٤)</sup> » ومن ضرورة هذه النية أن لا يعبد الله إلى الطعام إلا وهو جامع فيكون الجوع أحد ما لا بد من تقديمه على الأكل ثم ينبغي أن يرضع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب وساقى لفاضة قلة الأكل وكيفية التدريج في التقليل منه في كتاب كسر شهوة الطعام من ربع للملحكات . السادس : أن يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التتم وطلب الزيادة وانتظار الأدم بل من كرامة الحيز أن لا ينتظر به الأدم وقد ورد الأمر بآكرام الحيز <sup>(٥)</sup> فكل ما يذهب الرق ويقوى على العبادة فهو خير كثير لا ينبغي أن يستحقر بل لا ينتظر بالحيز الصلاة إن حضر وقتها إذا كان في الوقت متسع قال رسول الله ﷺ « إذا حضر المشاء المشاء فابدؤوا بالمشاء <sup>(٦)</sup> » وكان ابن عمر رضي الله عنهما ربما مع قراءة الإمام ولا يقوم من عشاءه ومهما كانت النفس لاتوق إلى الطعام ولم يكن في تأخير الطعام ضرر فالأولى بتقديم الصلاة فأما إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة وكان في التأخير ما يرد الطعام أو يشوش أمره فتقدمه أحب عند اتساع الوقت تأتت النفس أول تنق لموم الحيز ولأن القلب لا يخلو عن الالتفات إلى الطعام للوضوع وإن لم يكن الجوع غالباً . السابع : أن يجتهد في تشكير الأيدي على الطعام ولو من أهله وولده قال صلى الله عليه وسلم « اجتمعوا على طعامكم بيارك لكم فيه <sup>(٧)</sup> » وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولكن يغني الأعمال والأحوال ويوقف نفسه موقف العوام فيهيته وملبوسه وحركته وأمره مسترا ليعمل لئلا يغلط له وهو مع ذلك متطلع إلى طلب للزبد بلذل مجبوه في كل ما يقرب به السيد والقلندري لا يتبذره بهتة ولا ينال بما يعرف من حاله وما لا يعرف ولا ينطف إلا على طية القلوب وهو رأس ماله والصوفي يرضع الأشياء مواضعها ويدير الأوقات والأحوال كلها بالعلم يقيم الخلق مقامه ويقيم أمر الخلق مقامهم ويستر ما ينبغي أن يستر ويظهر ما ينبغي أن يظهر ويأتي بالأمر في موضعها بحسور عقل وصحة توحيد وكال معرفة ورعاية صدق وإخلاص تقوم من للفتين مواءمهم ملازمة وليسوا لبسة الصوفية ليسوا بها لله الصوفية وعامهم من

(١) حديث ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجليه اليمنى وجلس على اليسرى د من حديث عبد الله بن بشر في أثناء حديث أنوا تلك القصة فالتقوا عليها فلما تكلموا جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وله و ن من حديث أنس رأيته يأكل وهو متع من الجوع وروى أبو الحسن بن المقرئ في التباين من حديثه كان إذا قصد على الطعام استوفى على ركبتيه اليسرى وأقام اليمنى ثم قال إنما أنا عبد آكل كأياء كل العبد وأفضل كأفضل العبد وإسناده ضعيف (٢) حديث كان يقول لا آكل متكاً من حديث أبي جعيفة (٣) حديث إنما أنا عبد آكل كأياء كل العبد وأجلس كأجلس العبد تقدم قبله من حديث أنس بلفظ وأفضل بدل وأجلس رواه الزائر من حديث ابن عمر دون قوله وأجلس (٤) حديث ماملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه الحديث ت وقال حسن ن . من حديث القداد بن معديكرب (٥) حديث أكرموا الحيز البرار والطيران وابن قانع من حديث عبد الله بن أم حرام بإسناده ضعيف جدا وذكره ابن الجوزي في الوضوعات (٦) حديث إذا حضر المشاء والمشاء فابدؤوا بالمشاء تقدم في الصلاة والعرف وأقيمت الصلاة (٧) حديث اجتمعوا على طعامكم بيارك لكم فيه د . من حديث وحشي بن حرب بإسناده حسن .



لأياكل وحده (١) وقال صلى الله عليه وسلم « خير الطعام ما كثرت عليه الأيدي [١] ».

( القسم الثاني في آداب حالة الأكل )

وهو أن يبدأ بسم الله في أوله وبالحدقة في آخره ولوقال مع كل لقمة بسم الله فهو حسن حتى لا يفسده الشرع عن ذكر الله تعالى ويقول مع اللقمة الأولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويصبر به ليدرك غيره ويأكل باليمين ويبدأ بالملح ويغتم به ويصبر اللقمة ويجود معها ومما يتنمى لعمد اليد إلى الأخرى فإن ذلك هبة في الأكل وأن لا يغم مأكولا ، كان صلى الله عليه وسلم لا ييبس مأكولا كان إذا أحبه أكله وإلا تركه (٢) وأن يأكل مما يليه إلا الفاكهة فإن له أن يجعل يده فيها قال صلى الله عليه وسلم « كل مما يليك (٣) » ثم كان صلى الله عليه وسلم يدور على الفاكهة قليله في ذلك فقال ليس هو نوعا واحدا (٤) وأن لا يأكل من دورة القصة ولا من وسط الطعام بل يأكل من استدارة الريق إلا إذا قل الحبز فيكسر الحبز ولا يقطع بالسكين (٥) ولا يقطع اللحم أيضا فقد نهى عنه وقال انتهوه نهيا (٦) ولا يوضع على الحبز قصعة ولا غيرها إلا ما يؤكل به قال ﷺ « أكرموا الحبز فإن الله تعالى أنزل من بركات السماء [٧] » ولا يمسح يده بالحز وقال صلى الله عليه وسلم « إذا وقت لقمة أحذكم فلأخذها فليط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالتدليل حتى يلقأ أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة (٨) » ولا ينفخ في الطعام الحار (٩) فهو منى عنه بل يصبر إلى أن يسهل أكله ويأكل من التمر وتراسيا أو إحدى عشرة أو إحدى وعشرين أو ما انتفع ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمع في كفه بل يضع التوافن فيه على ظهر كفه ثم يلقها وكذلك ما لهم وتعلم وأن لا تترك ما ستره من الطعام ويطلع على القصعة بل يترك

(١) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل وحده رواء الخرايط في مكارم الأخلاق بسند ضعيف (٢) حديث أنس كان لا ييبس مأكولا إن أحبه أكله وإلا تركه تنفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث كل مما يليك تنفق عليه من حديث عمر بن أبي سلمة (٤) حديث كان يدور على الفاكهة وقال ليس هو نوعا واحدا ت . من حديث عكراش بن دؤب وفيه وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق فقال يا عكراش كل من حيث شئت فإنه غير لون واحد قال ت غريب ورواه جب في الضعاف (٥) حديث النبي عن قطع الحبز بالسكين رواء جب في الضعاف من حديث أبي هريرة وفيه نوع بن أبي مريم وهو كذاب ورواه البيهقي في الشعب من حديث أم سلمة بسند ضعيف (٦) حديث النبي عن قطع اللحم بالسكين د من حديث عائشة وقال انتهوه نهيا قال ت منكر ت . من حديث صفوان بن أمية وانتهوا اللحم نهيا وسنده ضعيف (٧) حديث إذا وقت لقمة أحذكم فلأخذها فليط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالتدليل حتى يلقأ أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة م من حديث أنس وجابر (٨) حديث النبي عن التنفخ في الطعام والشراب أحمد في مسنده من حديث ابن عباس وهو عند أبي داود وت وصحه ابن ماجه إلا أنهم قالوا في الإناء وت وصحه من حديث أبي سعيد نهى عن التنفخ في الشراب .

[١] قوله وقال صلى الله عليه وسلم خير الطعام الخ لم يشكلم عليه العراقي لسقوطه من نسخته كما لم يذكره الصارح فليأمل .

[٢] قوله أكرموا الحبز الخ لم يخرجه العراقي وقد خرجه الشارح عن الحكيم الترمذي وغيره فانظره .

الصوفية جي' بلهم في غرور وغلط يشترون بلبة الصوفية نوتينا تارة ودعوى أخرى ويتنجسون مناهج أهل الإباحة ويزعمون أن ضارهم خلصت إلى الله تعالى ويقولون هذا هو الظفر بالمسراد والارتسام بمراسم الشريعة رتبة العوالم والقاصرين الأنهم للتحصين في مضيق الاقتداء تقليدا وهنا هو صديق الإلحاد والزندقة والاباد فكل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة وجهل هؤلاء المفروزون أن الشريعة حتى البودية والحقيقة هي حقيقة البودية ومن صار من أهل الحقيقة قيد مجتوق البودية وبها مطالبها بأسور وزبانات لا يطالب بها من لم يصل إلى ذلك لأنه خلج عن عنه رقة التكليف وبخامس باطنه الخبيث

مع التفل حتى لا يتنفس على غيره فيأكله وأن لا يكثر الشرب في أثناء الطعام إلا إذا غشي بشفة أو صدق عطشه فقد قيل إن ذلك مستحب في الطب وأنه دباغ المعدة . وأما الشرب : فأما به أن يشرب الكوز يمينه ويقول بسم الله ويشربه مصاً لا عاباً قال صلى الله عليه وسلم « مصوا الماء ولا تغموا عبا فإن الكبد من العيب »<sup>(١)</sup> ولا يشرب قائماً ولا مضطجماً فإنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب قائماً<sup>(٢)</sup> وروى أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائماً<sup>(٣)</sup> ولعله كان لمدركه . ويزاعى أسفل الكوز حتى لا يطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ ولا يتنفس في الكوز بل ينحوه عن فمه بالحمد ويرده بالنسيئة وقد قال صلى الله عليه وسلم بعد الشرب « الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا رحمته ولم يجعله ملحا أجابا بذنوبنا »<sup>(٤)</sup> والكوز وكل ما يداير على القوم بدار بينة « وقد شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا وأبو بكر رضي الله عنه عن شمله وأعرابي عن يمينه وعمر ناحيته فقال عمر رضي الله عنه أعط أبابكر فناول الأعرابي وقال الأيمن فالأيمن » ويشرب في ثلاثة أنفاس يحمد الله في أواخرها ويسمى الله في أوائلها ويقول في آخر النفس الأول الحمد وفي الثاني يزيد رب العالمين وفي الثالث يزيد الرحمن الرحيم فهذا قريب من عشرين أدبا في حالة الأكل والشرب دلت عليها الأخبار والآثار .

### ( القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام )

وهو أن يسلك قبل الشبع ويلقى أصابعه ثم يمسح باليد ثم يشفها ويلتقط فئات الطعام قال صلى الله عليه وسلم « من أكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوف في ولده »<sup>(٥)</sup> وبغضه لا يتلصق كل ما يخرج من بين أسنانه بالحلال إلا ما جمع من أصول أسنانه بلسانه أما المخرج بالحلال فيفيمه وليتضمن بعد الحلال فيه أثر عن أهل البيت عليهم السلام وأن يلحق القصعة ويشرب ماءها ويقال له لعق القصعة وغسلها وشرب ماءها كان له عتق رقبة وأن التقاط الفئات مهوور الحواريين وأن يشكر الله تعالى قبله على ما أطعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى ... كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله - ومهما أكل حللا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم أطعنا طيبا واستمتعنا صالحا وإن أكل شبة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعل قوة لنا على مصيبتك وبقراً بعد الطعام - قل هو الله أحد - وإلا يلاف قريش - ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع أولافان أكل طعام التبر فليدع له وليقل اللهم أكثر خيره وبارك له فيما رزقته وبسر له أن يفعل فيه خيرا وقمعه بما أعطيته واجعلنا وإياه من الشاكرين وإن أظفر عند قوم فليقل أظفر عندكم الصاعون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة وليكثر الاستغفار والحزن على ما أكل من شهية ليطفى بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها فله صلى الله عليه وسلم

والتحريف . أخبرنا

أبو زرعة عن أبيه

الحافظ القدسي قال أنا

أبو محمد الخطيب ثنا

أبو بكر بن محمد بن

عمر قال ثنا أبو بكر بن

أبي داود قال ثنا أحمد

ابن صالح قال ثنا عتبة

قال ثنا يونس بن يزيد

قال قال محمد بن

الزهري أخبرني حميد بن

عبد الرحمن أن عبد الله

ابن عتبة بن مسعود

حدثه قال سمعت عمر بن

الخطاب رضي الله عنه

يقول إن أناسا كانوا

يؤخذون بالوحى على

عهد رسول الله صلى الله

عليه وسلم وإن الوحى

قد انقطع وإنما

نأخذكم الآن بما ظهر

من أعمالكم فمن

أظهر لنا خيرا أثناء

وقربانه وليس إلينا

من سريره شيء ، الله

تعالى بحابه في سريره

ومن أظهر لنا سوى

ذلك لم نأمنه وإن

قال سريره حسنة

وعنه أيضا رضي الله

(١) حديث مصوا الماء ولا تغموا عبا أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بالشرط الأول ولأن داود في اللسان من رواية عطاء بن أبي رباح إذا شربتم فاشربوا مصا (٢) حديث النهى عن الشرب قائماً من حديث أنس وأبي سعيد وأبي هريرة (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائماً من حديث ابن عباس وذلك من زمزم (٤) حديث كان يقول بعد الشرب الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا رحمته ولم يجعله ملحا أجابا بذنوبنا الطبراني في الدعاء مرسل من رواية أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (٥) حديث من أكل ما سقط من المائدة عاش في سعة وعوف في ولده أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر بن عبد الله بن عمرو بن الحارث عن ولده الحق وله من حديث الحجاج بن علاط أعطى سعة من الرزق ووفى في ولده وأكلاما متكررا جدا .

« كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » (١) وليس من يأكل ويصيح كنبأ كل ويلهو ويلقل إذا أكل  
لينا اللهم بارك لنا فيما رزقنا وزدنا منه (٢) فإن كل غيره قال اللهم بارك لنا فيما رزقنا وارزقنا خيرا  
منه فذلك الدعاء مما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم اللين لموم نفسه ويستحب عقب  
الطعام أن يقول الحمد لله الذي أطعنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافى من كل شيء ولا يكتفى  
منه شيء أطعمت من جوع وأنت من خوف فلك الحمد آويت من يثم وهديت من ضلالة وأغنيت  
من عيلة فلك الحمد جدا كثيرا دائما ناصا مباركا فيه كما أنت أهله ومستحقه اللهم أطعمتنا طيبا  
فأسلمتنا صالحا واجهه عونا لنا في طاعتك وتوذكرك أن نستعين به على مصيبتك وأما غسل اليدين  
بالأشنان فكيفيته أن يمسح بالأشنان في كفه اليسرى ويغسل الأصابع الثلاث من اليد اليمنى أولا  
ويضرب أصابعه على الأشنان اليايس فيمسح به ففته ثم ينعم غسل القدم بأصبعه وبذلك ظاهر أسنانه  
وباطنها والحنك واللسان ثم يغسل أصابعه من ذلك بلأيه ثم بذلك بقية الأشنان اليايس أصابعه  
ظهورا وبطا ويستغنى بذلك عن إعادة الأشنان إلى القدم وإعادة غسله .

( الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والشاركة في الأكل وهي سبعة )

الأول : أن لا يتسدى بالطعام ومعه من يستحق التقديم بغير من أوزاده فخل إلا أن يكون هو المتبوع  
والقديم به فينقذ بنين أن لا يطول عليهم الانتظار إذا اشربوا للأكل واجتمعوا له . الثاني : أن  
لا يسكنوا على الطعام فإن ذلك من سيرة الصميم ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات  
الصالحين على الأطعمة وغيرها . الثالث : أن يرفق رفيقه في القصة فلا يقصد أن يأكل كزيادة على  
ما يأكله فإن ذلك حرام إن لم يكن موقفا لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركا بل ينبغي أن يقصد  
الإتيار ولا يأكل تربعين في دفة إلا إذا فعلوا ذلك أو استأذنهم فإن قلل رفيقه نطشه ورفقه في  
الأكل وقاله كل ولا يزيد في قوله كل على ثلاث مرات فإن ذلك إلحاح وإفراط . كان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم إذا خطب في شيء ثلاثا لم يرجع بعد ثلاث (٣) وكان عليه السلام يكرر الكلام ثلاثا (٤)  
فليس من الأدب الريادة عليه فأما الحلف عليه بالأكل فمنعوا قال الحسن بن علي رضي الله عنهما  
الطعام أهون من أن يخلف عليه . الرابع : أن لا يعوج رفيقه إلى أن يقول له كل قال بعض الأدباء  
أحسن الأكليين أن لا ينال من لا يعوج صاحبه إلى أن يتقدمه في الأكل وحمل عن أخيه مؤنة القول  
ولا ينبغي أن يدع شيئا مما يشتهيه لأجل نظر الغير إليه فإن ذلك تصنع بل يعجز على العناد ولا ينقص من  
عادته شيئا في الوحدة ولكن يعود نفسه حسن الأدب في الوحدة حتى لا يحتاج إلى التصنع عند الاجتماع  
نعم لو قال من أكله إشارا لإخوانه ونظرا لهم عند الحاجة إلى ذلك فهو حسن وإن زاد في الأكل  
على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الأكل فلا بأس به بل هو حسن وكان ابن البارك يقدم

(١) حديث كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به هو في شعب الإيمان من حديث كعب بن عجرة بلفظ  
سحت وهو عندنا وحسنه بلفظ لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به (٢) حديث  
القول عند أكل اللين اللهم بارك لنا فيما رزقنا وزدنا منه وحسنه . من حديث ابن عباس إذا أكل  
أحدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمتنا خير منه ومن ساء الله لنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه .

( الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والشاركة في الأكل )

(٣) حديث كان إذا خطب في شيء ثلاثا لم يرجع بعد ثلاث أمحمد من حديث جابر في حديث طويل  
ومن حديث أبي حنيفة أيضا وإسنادهما حسن (٤) حديث كان يكرر الكلمة ثلاثا من حديث أنس  
كان يبعد الكلمة ثلاثا .

عنه قال من عرض  
نفسه لقيم فلا يؤمن  
من أصابه بالظن فإذا  
رأيتنا متواترا بمجود  
الشرع مهملات فصولات  
للقروض لا يستد  
بملاوات ثلاثا والصور  
والصلاة ويدخل في  
للداخل للكرهية  
الهمزة تروء ولاجه  
ولا تهل دعواه أن له  
سريرة صالحة .  
أخبرنا عينا ضياء  
الدين أبو النجيب  
السهرودي بإجازة عن  
محمد بن أحمد عن ابن  
خلف عن السلي قال  
سمعت أبا بكر الرازي يقول  
سمعت أبا محمد الجبري  
يقول سمعت الجليلي  
يقول للرجل ذكر للرفة  
قال الرجل أهل الرفة  
بالله يصلون إلى ترك  
الحركات من باب البر  
والنقوى إلى الله تعالى  
قال الجليلي إن هذا  
قول قوم تكلموا  
باسقاط الأعمال وهذه  
عند عظمية والدي  
يسرق وبزني أحسن

فاخر الربط إلى إخوانه ويقول من أكل أكثر أعطته بكل نواة درهما وكان يعد النوى ويسلق كل من فضل نوى بمدده دراهم وذلك لدفع الحياء وزيادة النشاط في الانبساط . وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما أحب إخواني إلى أكثرهم كلاً وأعظم لقمة وأشدهم حياً من يوحى إلى تعده في الأكل وكل هذا إشارة إلى الجري على العناد وترك التصنع وقال جعفر رحمه الله أضيافين جودة عجة الرجل لأخيه بجودة كلة في منزله . الخامس : أن غسل اليد في الطست لباس به وله أن يتخذه فيه إن أكل وحده وإن أكل مع غيره فلا ينبغي أن يغسل ذلك فإذا قدم الطست إليه غيره كراماته فليقبله . اجتمع أنس بن مالك وثابت البناني رضي الله عنهما على طعام قدم أنس الطست إليه فامتنع ثابت فقال أنس إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردّها فأما بكرم القعر وجل وروى أن هرون الرشيد دعا بأما عاوية الضرب فصب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا أما عاوية تدرى من صب على يدك فقال لا قال صبه أمير المؤمنين فقال يا أمير المؤمنين إنما أكرمت العلم وأجلته فأجلك الله وأكرمت كلاً أجلت العلم وأهله . ولا بأس أن يجتمعوا على غسل اليد في الطست في حالة واحدة فهو أقرب إلى التواضع وأبعد عن طول الانتظار فإن إضغوة فلا ينبغي أن يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطست قال صلى الله عليه وسلم « اجتمعوا وضوءكم جمع أفضل منكم » (١) قيل إن الراديه هذا . وكعب عمر بن عبد العزيز إلى الأصمار لا يرفع الطست من بين يدي قوم إلا معلومة ولا تشبهوا بالجمع وقال ابن مسعود اجتمعوا على غسل اليد في طست واحد ولا تستأوا بسنة الأعاجم والحامد الذي يصب الماء على اليد كره بعضهم أن يكون قائماً وأحب أن يكون جالساً لأنه أقرب إلى التواضع وكره بعضهم جلوسه فروي أنه صب الماء على يده واحد جالساً فقام الصوب عليه فقيل له لفت فقال أحدنا لابد وأن يكون قائماً وهذا أولى لأنه أسير للصب والقل وأقرب إلى تواضع الذي يصب وإذا كان له نية في خدمته من الخدمة ليس فيه تكبر فإن العادة جارية بذلك في الطست إذن سبعة آداب أن لا يزيق فيه وأن يقدمه للتبوع وأن يقبل الإكرام بالتقديم وأن يدار عنه وأن يجتمع فيه جماعة وأن يجمع الماء فيه وأن يكون الحامد قائماً وأن يعج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى أصحابه وليصب صاحب التزل بنفسه الماء على يده ضيقه هكذا فعل مالك بالشام رضي الله عنهما في أول نزوله عليه وقال لا يروحك ما رأيت من خدمة الضيف فرض . السادس : أن لا ينظر إلى أصحابه ولا يراقب أكلهم فيستحيون بل يمشي بصره عنهم ويشغل نفسه ولا يمسك قبل إخوانه إذا كانوا مجتمعين الأكل جده بل يمد اليد ويقيضها ويتناول قليلاً قليلاً إلى أن يستوفوا فإن كان قليل الأكل توقف في الابتداء وقل الأكل حتى إذا توسعوا في الطعام أكل معهم أخيراً قد فعل ذلك كثير من الصحابة رضي الله عنه فإن امتنع لسبب فليمتد إلى إليهم دفلاً للجلعة عنهم . السابع : أن لا يغسل ما يستفدونه غيره فلا ينفض يده في القصة ولا يقدم إليهم رأسه عند وضع القصة فيه وإذا أخرج شيئاً من فيه صرف وجهه عن الطعام وأخذته بيأسه ولا يمس القصة الدسة والخل ولا الخل في السومة قد بكرهه غيره والقصة التي قطعها بيأسه لا يمس يمينها في الرقة والخل ولا يتكلم بما ذكره في السقدرات .

(الباب الثالث في آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين)

تقديم الطعام إلى الإخوان فيه فضل كثير . قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما إذا قدمت مع الإخوان على المائدة فأطبلوا الجلس فأنها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم . وقال الحسن رحمه الله كل نقعة

حالا من الذي يقول هذا وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وبالله . من فيها ولو جئت ألف عام لأشتم من أعمال البر ذرة إلا أن محال يمدونها وإنها لا تكفي في معرفتي وأتوى لحالي ومن جلة أولئك قوم يقولون بالحلول وزعمون أن الله تعالى يجل فيهم ويحل في أجسام يستطفا ويسبق لأفهامهم معنى من قول الصارفي في اللاهوت والناسوت . ومنهم من يستبيح النظر إلى اللحنات إشارة إلى هذا اليوم ويستقبله أن من قال كلمات في بعض غلياته كان مضراً لشيء مما زعموه مثل قول الحلاج أنا الحق وما يحكى عن أبي يزيد من قوله يحيا لحناً أن نعتد في أبي يزيد أنه يقول ذلك لأهل معنى الحكاية من الله تعالى

ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها أئمة إتقاة الرجل على إخوانه في الطعام فإن الله يستجيب أن يسأله عن ذلك هذا مع ماورد من الأخبار في الاطعام قال صلى الله عليه وسلم « لا تزال لللائكة تصلي على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع <sup>(١)</sup> » وروى عن بعض علماء خراسان أنه كان يقدم إلى إخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على أكل جميعه وكان يقول بلشتان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الإخوان إذا رفقوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك <sup>(٢)</sup> » فأنا أحب أن استكثر مما أقدمه إليكم كل فضل ذلك وفي الخبر « لا يحاسب العبد على ما أكله مع إخوانه <sup>(٣)</sup> » وكان بعضهم يكثر الأكل مع الجماعة لذلك يقولون إذا أكل وحده وفي الخبر « ثلاثة لا يحاسب عليها العبد أكلة السجود وما أنظر عليه وما أكل مع الإخوان <sup>(٤)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم : « لأن أجمع إخواني على صاع من طعام أحب إلي من أن أعثر رقية وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول من كرم للرب طيب زاده في سفره وبذله لأصحابه وكان الصحابة رضي الله عنهم يقولون الاجتماع على الطعام من يكرم الأخلاق وكانوا رضي الله عنهم يجتمعون على قراءة القرآن ولا يتفرقون إلا عن ذواق وقيل اجتماع الإخوان على الكفاية مع الأنس والألفة ليس هو من الدنيا وفي الخبر « يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة يا ابن آدم جئت فلم تطعمني فيقول كيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول جاع أخوك للسم فلم تطعمه ولو أطعمته كنت أطعمتي <sup>(٥)</sup> » وقال <sup>(٦)</sup> « إذا جاءك الزائر فأكرمه <sup>(٧)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة غرضا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها لمن أكل من أكلهم وأطعمهم الطعم وصل بالليل والناس نيام <sup>(٨)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من أطعم الطعام <sup>(٩)</sup> » وقال <sup>(١٠)</sup> « من أطعم أخاه حق يشبعه وسقاه حتى يرويه يسهه الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندق مسيرة خمسمائة عام <sup>(١١)</sup> » وأما آدابه : فيضها في الدخول وبضها في تقديم الطعام . أما الدخول فليس من السنة أن يقصد قوما مترضا لوقت طعامهم فيدخل عليهم وقت الأكل فإن ذلك من المفاجأة وقد نهى عنه قال الله تعالى - لا تدخلوا بيوت التي إن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه - يعني منتظرين حينه ونفضه وفي الخبر

(١) حديث لا تزال لللائكة تصلي على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع ، الطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف (٢) حديث إن الإخوان إذا رفقوا أيديهم عن الطعام لا يحاسب من أكل من فضل ذلك الطعام ، لم أقف له على أصل (٣) حديث لا يحاسب العبد بما يأكله مع إخوانه هو في الحديث الذي يسهه الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندق مسيرة خمسمائة عام وما أنظر عليه ما أكل مع الإخوان ، الأزدى في الضعفاء من حديث جابر ثلاثة لا يستلون عن النعم : السائم والمتسحر والرجل يأكل مع ضيفه أوردته في ترجمة سليمان بن داود الجزري وقال فيه منكر الحديث ولأن منصور الديلمي في مسند الفردوس نحوه من حديث أبي هريرة (٥) حديث يقول الله للعبد يوم القيامة يا ابن آدم جئت فلم تطعمني الحديث م من حديث أبي هريرة بلفظ استطعنتك فلم تطعمني (٦) حديث إذا جاءك الزائر فأكرمه ، الخرائطي في كرام الأخلاق من حديث أنس وهو حديث منكر قاله ابن أبي حاتم في العلل عن أبيه (٧) حديث إن في الجنة غرضا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها ، هي من آلان السكلام وأطعم الطعم وصل بالليل والناس نيام ت من حديث علي وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقد تسكلم فيه من قبل حفظه (٨) حديث خيركم من أطعم الطعام أحمد والحاكم من حديث صهيب وقال صحيح الاستناد (٩) حديث من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه يسهه الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندق مسيرة خمسمائة عام الطبراني من حديث عبد الله بن عمر وقال ابن جابر ليس من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الذهبي غريب منكر .

وهكذا ينبغي أن يستند في قول الحلاج ذلك ولو علمنا أنه ذكر ذلك القول مضمرا لشيء من الحلول ردناه كما نردم وقد أننا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشريعة يضاء حية يستقيم بها كل معوج وقد دلنا غفونا على ما يجوز وصف الله تعالى بهوما لا يجوز وأتتالي منزه أن يحل به شيء أو يحل شيء حتى لعل بعض القوتين يكون عنده ذكاء وفطنة غريبة ويكون قد مع كلمات تعلقت بإطلته فيتألف له في فكره كلمات ينسبها إلى الله تعالى وأنها مكالمة الله تعالى إياه مثل أن يقول قال لي وقت له وهذا رجل إما جاهل بنفسه وحديثا جاهل بربه وبكيفية السكامة والمحادثة ، وإما عالم يعلنان ما يقول ، بحمد

«من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما» (١) ولكن حق الداخل إذا لم يترس وانفق أن صادفهم على طعام أن لا يأكل ما لم يؤذن له فإذا قبل له كل نظر فإن علم أنهم يقولونه على محبة لمساعدته فليساعد وإن كانوا يقولونه بغيره منه فلا ينبغي أن يأكل بل ينبغي أن يتطلى ما إذا كان جائعا قصد بعض إخوانه ليطعمه ولم يترس به وقت أكله فلا بأس به . قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الميثم بن النيثان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه وكانوا جميعا (٢) والدخول على مثل هذه الحالة إغاة لذلك السلم على حيازة ثواب الطعام وهي عادة السلف وكان عون بن عبد الله السعدي في ثلاثمائة وستون صديقا يدور عليهم في السنة وآخر ثلاثون يدور عليهم في الشهر وآخر سبعة يدور عليهم في الجمعة فكان إخوانهم معلومهم بدلائل كسبهم وكان قيام ذلك بهم على قصد التبرك بعبادة لهم فإن دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واقفا بسدقته عالما بغيره إذا أكل من طعامه فله أن يأكل بشر إذ المراد من الإذن الرضا لاسباب في الأطعمة وأمراه على السنة قريب رجل يصرح بالإذن وحلف وهو غير راض فأكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب وقد قال تعالى - أوصديقكم - ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة وأكل طعاما وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بليت الصدقة حملها (٣) وذلك لطمه بسرورها بذلك لتلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان اكتفاء ببله بالإذن فإن لم يعلم فلا بد من الاستئذان أولا ثم الدخول وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير إذن وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسربه ويقول هكذا كنا وروى عن الحسن رضي الله عنه أنه كان قائما يأكل من متاع يقال في السوق يأخذ من هذه الجوزة تينة ومن هذه قسبة فقال له هشام ما يدلك يا أباسيد في الورع تأكل متاع الرجل بشر إذ قال فقال يالكع ائني آية الأكل فلا تأكله قوله تعالى - أوصديقكم - فقال فن الصديق يا أباسيد قال من استروح إلى النفس وإطمان إليه القلب ومشى قوم إلى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأزاولوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثوري وجعل يقول ذكرتموني أخلاق السلف هكذا كانوا ، وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه إليهم فذهب إلى منزل بعض إخوانه فلم يصادف في المنزل فدخل فظفر إلى قدر قد طبخه وإلى خبز قد خبز وعبر ذلك غله كله قدمه إلى أصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير شيئا فقبل له قد أخذته فلان فقال قد أحسن نفسا لقيه قال يأخى إن عادوا ضد فنهذه آداب الدخول . وأما آداب التقديم : فترك التكلف أولا وتقديم ماضر فإن لم يحضره شيء ولم

(١) حديث من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما حق من حديث عائشة نحوه وضعفه ولأن داود من حديث ابن عمر من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغبرا إسناده ضعيف (٢) حديث قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الميثم بن النيثان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه ، أما قصة أبي الميثم فرواها ت من حديث أبي هريرة وقال حسن غريب صحيح والقصة عندهم لكن ليس فيها ذكر لأبي الميثم وإنما قال رجل من الأنصار ، وأما حديث تقدم منزل أبي أيوب فرواها الطبراني في المعجم الصغير من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة وأكل طعاما وهي غائبة وكان من الصدقة فقال بليت الصدقة مكانها متفق عليه من حديث عائشة أهدى لبريرة لم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو لها صدقة ولنا هدية ، وأما قوله بليت حملها فقوله في الشاة التي أعطيها نسيئة من الصدقة وهو متفق عليه أيضا من حديث أم عطية .

هواه على الدعوى بذلك ليوم أنه ظفر بجى . وكل هذا ضلال ويكون سبب تجريه على هذا ما سمع من كلام بعض المحققين عاظبات وردت عليهم بعد طول معاملات لهم ظاهرة وباطنة وتكسهم بأموال القوم من صدق التقوى وكال الزهد في الدنيا فلما صفت أسرارهم تشككت في سرارهم عاظبات موافقه الكتاب والسنة فزلت بهم تلك الماظبات عند استغراق السرائر ولا يكون ذلك كلاما يسمعون بل كحديث في النفس يجعلونه برؤية موافق الكتاب والسنة مفهوما عند أهل موافق ليعلم ويكون ذلك مناجاة لسرارهم ومناجاة سرارهم أيام فيثبتون لنفوسهم مقام البوذية ولولا لم الربوبية

بذلك فلا يستقرض لأجل ذلك فيشوش على نفسه وإن حضره ما هو محتاج إليه لقوته ولم تسمع منه بالتقديم فلا ينبغي أن يقدم . دخل بعضهم على زاهد وهو بأكل فقال لولا أني أخذته بدين لأطعمتك منه ، وقال بعض السلف في تفسير التكلف أن تطعم أخاك ما لا تأكل أنت بل تقصد زيادة عليه في الجوده والقيمة وكان الفضيل يقول إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعوا أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه وقال بعضهم ما أبالي بمن أأاني من إخواني فاني لا أنكف له إنما أقرب ما عندي ولو تكلفت له فكرهت مجيئه ومملكته وقال بعضهم كنت أدخل على أخ لي فيتكلف لي قتلته إنك لا تأكل وكل وحده هذا ولا تأكل فإنا إذا اجتمعنا أكلناه فاما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع الحياء قطع التكلف ودام اجتماعا بسببه ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده فيجفف بعباله وتؤدي قلوبهم . وروى أن رجلا دعا عليا رضي الله عنه فقال علي أجيبك على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق شيئا ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بعبالك وكان بعضهم يقدم من كل ما في البيت فلا يترك نوعا إلا ويحضر شيئا منه وقال بعضهم دخلنا على جابر بن عبد الله قدم إلينا خبزا وخلا وقال لولا أننا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم (١) وقال بعضهم إذا قصدت للزيارة قدم ماحضر وإن أسررت فلا تقي ولا تندر وقال سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرنا (٢) وفي حديث بونس النبي صلى الله عليه وسلم أنه زار إخوانه قدم إليهم كسرا وجزء لهم فبلا كان يزرعه ثم قال لهم كلوا لأن الله لمن الله للتكئين لتكلفت لكم وعن أنس بن مالك رضي الله عنه وغيره من الصحابة أنهم كانوا يقدمون ماحضر من الكسر اليابسة وحشف الخمر ويقولون لا ندري أيهما أعظم وزرا الذي يحضر ما يقدم إليه أو الذي يحضر ما عنده أن يقدمه . الأدب الثاني : وهو للزائر أن لا يقترح ولا يتحكم بشيء بينه وبينه بقى على الزور إحضاره فإن خيره أخوه بين طعامين فليختبر أيسرهما عليه كذلك السنة ففي الخبر أنه ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيتين إلا اختار أيسرهما (٣) وروى الأعمش عن أبي وائل أنه قال مضيت مع صاحب لي زور سلمان فقدم إلينا خبز شعير وملح جريشا فقال صاحبي لو كان في هذا الملح شعرك كان أطيب فخرج سلمان فزعه مطهره وأخذ شعرا فمأأ كئنا قال صاحبي الحمد لله الذي قمتما بما رزقنا فقال سلمان لو قمتما بما رزقت لم تكن مطهرك مرهونة هذا إذا توه تمتر ذلك على أخيه أو كراهته له فإن علم أنه يسر باقتراحه ويتسر عليه ذلك فلا يكره له اقتراح فصل الشافعي رضي الله عنه ذلك مع الزعفراني إذا كان نازلا عنده ينفذ وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الأكلان ويبلهها إلى الجارية فأخذ الشافعي الرقعة في بعض الأيام وألقى بها لونا آخر بخطه ، فلما رأى الزعفراني ذلك اللون

(١) حديث دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم إلينا خبزا وخلا وقال لولا أننا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم رواه أحمد دون قوله لولا أننا نهينا وهي من حديث سلمان الفارسي وسيأتي جده وكلامه ضيف وللخاري عن عمر بن الخطاب نهينا عن التكلف حديث (٢) حديث سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرنا الخراشي في مكارم الأخلاق ، ولاحمد لولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أو لولا أننا نهينا أن يتكلف أحدنا لصاحبه لتكلفنا لك ، وللطبراني ناهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلف للضيف ما ليس عندنا (٣) حديث ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيتين إلا اختار أيسرهما متفق عليه من حديث عائشة وزاد ما يمكن إنما ولم يكرهها في بعض طرقه .

فيضيون ما يجدونه إلى قوسهم وإلى مولاهم وهم مع ذلك عالون بأن ذلك ليس كلام الله وإنما هو علم حادث أحدثه الله في بواطنهم فطريق الأصحاء في ذلك الفرار إلى الله تعالى من كل ما عادت قوسهم به حتى إذا برئت ساحتهم من الهوى ألهوا في بواطنهم شيئا ينسبونه إلى الله تعالى نسبة الحادث إلى المحدث لانسبة الكلام إلى التكلم لينصونا عن الزيف والتحريف ومن أولئك قوم يزعمون أنهم يفرقون في بحر التوحيد ولا يثبتون ويستقنون لنفوسهم حركة وضلا يزعمون أنهم مجبورون على الأشياء وأن لا ضل لهم مع فصل الله ويستراولون في العاصي وكل ما يدعو النفس إليه ويركون إلى البطالة ودوام النكته

أنكر وقال ما أمرت بهذا فصرخت عليه الرقة ملقاة خط الشامي ففاوقت جنبه على خطه فرح بذلك وأغلق الجارية سرورا بقتراح الشامي عليه . وقال أبو بكر السكتاني دخلت في السرير فبهاء بنيت وأخذ يجمل نصفه في القدر فقلت له أي شيء تعمل وأنا أشربه كله في مرة واحدة فضعك وقال هذا أفضل لك من حبة ، وقال بعضهم الأكل على ثلاثة أنواع مع القراء بالإيثار ومع الإخوان بالانسياب ومع أبناء الدنيا بالأدب . الأدب الثالث : أن يشتري الزور أخاه الزائر ويتنسى منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة فعمل ما يقترح فذلك حسن وفيه أجر وفصل جليل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صافد من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن قد سر الله تعالى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر « من لاذ أخاه بما يشتري كتب الله له ألف حسنة وفيه عنه ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه المؤمن ثلاث جئات جنة الفردوس ووجهه عند جنة الخلد (٢) » . الأدب الرابع : أن لا يقول له هل أقدم لك طعاما بن يميني أن يقدم إن كان قال الثوري إنذارك أخوك فلا تقل له أنا كل أو أقدم إليك ولكن قدم فان أكل وإلا ارفع وإن كان لا يريد أن يطعمهم طعاما فلا يميني أن يطعمهم عليه أو يصفه لهم قال الثوري إذا أردت أن لا تطعم عيالاً غناك كله فلا تخدعهم به ولا يرونه مملوك قال بعض الصوفية إذا دخل عليكم الفقراء قدموا إليهم طعاما وإذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسألة فإذا دخل القراء فقلوهم على المحراب .

#### (الباب الرابع في آداب الضيافة)

ومظان الآداب فهاهنا الدعوة أولا ثم الإجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الأكل ثم الانصراف ولتقدم على مرحبا إن شاء الله تعالى . فضيلة الضيافة : قال صلى الله عليه وسلم « لا تنكفوا الضيف قبضوه فانه من أبض الضيف قد أبض الله ومن أبض الله أبض الله (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا خير فيمن لا يضيف (٤) » ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبركة كثيرة فلم يضيفه ورم امرأة لها شربات فذهبته فقال صلى الله عليه وسلم : انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق يدها فلن شاء أن ينعمه خلقا حسنا فصل (٥) . وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه نزل به صلى الله عليه وسلم ضيف قال : قل لقلان اليهودي زلدي ضيف فأسلفني شيئا من الدقيق إلى رجب قال اليهودي والله ما أملكه إلا برهن فأخبرته فقال والله إنني لأمين في السماء أمين في الأرض

(١) حديث من صافد من أخيه شهوة غفر الله له ومن سر أخاه المؤمن قد سر الله عز وجل البزار والطبراني من حديث أبي الدرداء من وافق من أخيه شهوة غفر له قال ابن الجوزي حديث موضوع وروى ابن جبان والقبلي في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق من سر مؤمنا فاعلم الله الحديث قال القبلي باطل لأصله (٢) حديث جابر من لاذ أخاه بما يشتري كتب الله ألف ألف حسنة الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من رواية محمد بن نعيم عن ابن الزبير عن جابر وقال أحمد ابن حنبل هذا باطل كذب .

#### (الباب الرابع في آداب الضيافة)

(٣) حديث لا تنكفوا للضيف قبضوه فانه من أبض الضيف قد أبض الله ومن أبض الله أبض الله (٤) أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث سلمان لا تنكف أحد لضيفه ما لا يقدر عليه وفيه محمد بن النرج الأزرق منكلم فيه (٥) حديث لا خير فيمن لا يضيف أحمد من حديث عتبة بن عامر وفيه ابن عتبة (٥) حديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبركة كثيرة فلم يضيفه ورم امرأة لها شربات فذهبته الحديث الخرافة في مكارم الأخلاق من رواية أبي الهيثم مرسلا

والإستمرار بالله

والخروج من السنة

وترك الحسد ودوا الأحكام

والحلل والحرام . وقد

سئل سهل عن

رجل يقول أنا

سكاليب لا أحرك

الإذا حركت قال هذا

لا يقوله إلا أدرجلي

إما صديق أو زنديق

لأن الصديق يقول

هذا القول إشارة إلى

أن قوام الأضياف

بالفهم إحكام الأصول

ورعاية حدود البوذية

والزندق يقول ذلك

إحالة للأضياف على الله

وإسقاطا للأمة عن

نفسه وأخلاصه عن

الدين ورسمة فأما من

كان معتقدا للحلال

والحرام

والأحكام معترفا

بالمصية إذا صدرت

منه معتقدا وجوب

التوبة منها فهو سلم

صحيح وإن كان تحت

الصور بما يركن إليه

من البطالة ويتروح

بهوى النفس إلى



ولأسفلى لأدبته فذهب بدرعى وارهنه عنده <sup>(١)</sup> وكان إبراهيم الخليل صلات الله عليه وسلامه إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو مابين يلتبس من يتدنى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نبته فيه دامت ضيفاته في مشهدة إلى يومنا هذا فلا تنقض ليله إلا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة وقال قوام الوضع أنه لم يخل إلى الآن ليلة من ضيف « وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الإيمان ؟ فقال إطعام الطعام وبذل السلام » <sup>(٢)</sup> وقال <sup>(٣)</sup> « في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام » <sup>(٤)</sup> وسئل عن الحج للبرور فقال « إطعام الطعام وطيب الكلام » <sup>(٥)</sup> وقال أنس رضي الله عنه كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله للامثلة والأخبار الواردة في فضل الضيافة والإطعام لأخصى فلنذكر آدابها . أما الدعوة : فينبغي للداعي أن يسمد بدعوته الأخياء دون المساق قال صلى الله عليه وسلم « أكل طعامك الأبرار » <sup>(٦)</sup> فدعائه لبعض من دعاه وقال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل إلا طعامي » ولا تأكل طعامك إلا نقي <sup>(٧)</sup> ويقصد الفقهاء دون الأغنياء على الخصوص . قال صلى الله عليه وسلم « شر الطعام طعام الوليمة يمدى إليها الأغنياء دون الفقراء » <sup>(٨)</sup> وينبغي أن لا يسهل أقاربه في ضيفاته فإن إهمالهم وإعماش وقطع رسم وكذلك راعى الترتيب في أسدقائه وسماقره فإن في تخصيص البعض إعماشاً لقلوب الرائقين ، وينبغي أن لا يقصد بدعوته البهاة والتفاخر بل استئالة قلوب الأخوان والتسكين بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين ، وينبغي أن لا يدعو من سلم أنه يشق عليه الإجابة وإذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب ، وينبغي أن لا يدعو إلا من يحب إجابته قال فضيلان من دعا أحداً إلى طعام وهو يكره الإجابة فله خبطة فإن أجاب الدعوة فله خبطتان لأنه حمله على الأكل مع كراهة ولو علم ذلك لما كان يأكله وإطعام النقي إغانة على الطاعة وإطعام الفاسق فتور على النقص . قال رجل خياط لابن المبارك أنا أخيط ثياب السلاطين فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة ؟ قال لا إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الحيط والابرة أما أنت فمن الظلمة قسمهم . وأما الإجابة فهي سنة مؤكدة وقد قيل بوجودها في بعض المواضع قال صلى الله عليه وسلم « لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع لقبلت » <sup>(٩)</sup> وللإجابة حصة آداب : الأول أن لا يميز النني بالإجابة عن الفقير فذلك هو التكبر للني عنه ولأجل ذلك امتنع بعضهم عن أصل الإجابة وقال : انتظار الرقة ذل ، وقال آخر إذا وضعت يدى في قصعة غيرة فقد ذلت له رقبتي ومن

- (١) حديث أبي رافع أنه تزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فقال قل لفلان اليهودي تزدى ضيف فأسفلى شيئا من الدقيق إلى رجب الحديث رواه اسحاق بن راهويه في مسنده والحراطي في مكارم الاخلاق وابن مردويه في التفسير بإسناد ضعيف (٢) حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإيمان قال إطعام الطعام وبذل السلام متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بلقظ أي الإسلام خير ؟ قال تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف (٣) حديث قال صلى الله عليه وسلم في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ت وصححه وك من حديث معاذ وقد تقدم بصفة في الباب الرابع من الأذكار وهو حديث اللهم إني أسألك فعل الخيرات (٤) حديث سئل عن الحج للبرور فقال إطعام الطعام وطيب الكلام تقدم في الحج (٥) حديث أكل طعامك الأبرار من حديث أنس بإسناد صحيح (٦) حديث لا تأكل إلا طعامي نقي ولا تأكل طعامك إلا نقي تقدم في الزكاة (٧) حديث شر الطعام طعام الوليمة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة . (٨) حديث لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع لقبلت من حديث أبي هريرة .

الأسفار والترحال في البلاد متوصلات إلى تناول اللذائذ الشهوات غير متمسك بشيخ يؤدبه ويهذه ويمصره يبيب ماهويه والله الرفق . [الباب العاشر في شرح رتبة للضيقة ] ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفس محمد بيده لئن شتمت لأصمن لكم إن أحب عباد الله تعالى إلى الله الذين يحبون الله إلى عباده وعبيون عباد الله إلى الله وعشون على الأرض بالنيصة » وهذا الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو رتبة الشيخة والدعوة إلى الله تعالى لأن الشيخ يجب الله إلى عباده حقيقة ويجب عباد الله إلى الله ، وربة الشيخة من أهل الرب في طريق الصوفية ونيابة النبوة في الدعاء إلى الله فأواجه كون

التكبرين بمن يجيب الأغنياء دون الفقراء وهو خلاف السنة كان صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين <sup>(١)</sup> ومرة الحسن بن علي رضي الله عنهما يقوم من الساكنين الذين يسألون الناس على قارة الطريق وقد نشروا كسرا على الأرض في الرمل وهم يأكلون وهو على بشفته فسلم عليهم فقالوا له هلم إلى العشاء يا ابن بنت رسول الله ﷺ قال نعم إن الله لا يحب المستكبرين فقول وقد معهم على الأرض وأكل ثم سلم عليهم وركب وقال قد أجبتكم فأجيئوني قالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم إليهم فأخبر الطعام وجلس يأكل معهم، وأما قول القائل إن من وضعت يدي في قصته فقد ذلت له رفيق، فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك فإنه ذل إذا كان الداعي لا يفرح بالإجابة ولا يتقصد بهامة وكان يرى ذلك بدا له على الدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحضر لعله أن الداعي له يتقصد منه ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا والآخرة فهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به أنه يستغل الطعام وإنما يضل ذلك مباهة أو تكلفا فليس من السنة إجابته <sup>(٢)</sup> بل الأولى التملل، ولذلك قال بعض الصوفية لا تجيب إلا دعوة من يرى أنك أكلت رزقك وأنه سلم إليك ودية كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك الوديعة منه وقال سري السقطي رحمه الله أنه على لقمة ليس على الله فيها ثبوة ولا هلاوق فيها منه فإذا علم الدعواته لائمة في ذلك فلا ينبغي أن يرد وقال أبو تراب النخعي رحمه الله عليه عرض لي طعام فامتنعت فأتيت بالجوع أربعة عشر يوما فقلت أنه عقوبته وقيل لمعرف الكرخي رضي الله عنه كل من دعاك عمر إليه قال أنا ضيف أزل حيث أزلوني . الثاني : أنه لا ينبغي أن يمتنع عن الإجابة لبعد السافة كما لا يمتنع لفتور الداعي وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة لا ينبغي أن يمتنع لأجل ذلك يقال في الثوراة أوبعض الكتب سرميلاعد مريضا سرميلين شيع جنازة سر ثلاثة أميال أجب دعوة سر أربعة أميال زراخا في الله وإنما قدم إجابة الدعوة والزبارة لأن فيه قضاء حق الحي فهو أولى من البت وقال صلى الله عليه وسلم « لودعيت إلى كراع القميم لأجبت <sup>(٣)</sup> » وهو موضع على أميال من المدينة أظفره رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان <sup>(٤)</sup> لما بلغه قصر عنده في سفره <sup>(٥)</sup> . الثالث : أن لا يمتنع لكونه صاعما بل يحضر فإن كان يسر أخاه إفطاره فليغفر ولجنتب في إفطاره بنية إدخال السرور على قلب أخيه ما يحسب في الصوم وأفضل ذلك في صوم التطوع وإن لم يتحقق سرور

(١) حديث كان يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين ت . من حديث أنس دون ذكر المسكين وضعت وصححه ك (٢) حديث ليس من السنة إجابة من يطعم مباهة أو تكلفا من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن طعام التباينين قال من رواه عن جرير لم يذكر فيه ابن عباس وللقتيبي في الضعفاء نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن طعام التباينين والتباينين التمازنان بفهمهما للمباهة والرياء قاله أبو موسى الدين (٣) حديث لودعيت إلى كراع القميم لأجبت ذكر القميم فيه يعرف والمعروف لودعيت إلى كراع ك ما تقدم قبله بثلاثة أحاديث ورد هذه الزيادة ما رواه ت من حديث أنس لو أهدى إلى كراع قبلت (٤) حديث إفطاره صلى الله عليه وسلم في رمضان لما بلغ كراع القميم رواه من حديث جابر في عام الفتح (٥) حديث قصره صلى الله عليه وسلم في سفره عند كراع القميم لم أقفله على أصل والطبراني في الصغير من حديث ابن عمر كان يقصر الصلاة بالقيظ يريد إذا بلغه وهذا يرد الأول لأن بين الشيق وبين المدينة ثلاثة أميال أو أكثر وكراع القميم بين مكة وعسفان والله أعلم .

الشيخ يجيب الله إلى عباده فلان الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صح اقتداؤه وإتباعه أحبه الله تعالى قال الله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله - ووجه صكونه يجب عباد الله تعالى إليه أنه يسلك بالمريد طريق التزكية وإذا تزكت النفس أجلت امرأة القلب وانصكت فيه أنوار العظمة الإلهية ولا فيه جمال التوحيد وأنجذبت أحداق البصيرة إلى مطالعة أنوار جلال القدم وروية السكال الأزلي فأحب العبد بده لهامالة وذلك ميراث التزكية قال الله تعالى - قد أفلق من زكاه - وفلاصحا بالظفر بمعرفة الله تعالى وأيضا امرأة القلب إذا أجلت لاحت فيها الدنيا بفتحها وحقيقتها

فيه فليصدق بالظاهر وليعطر وإن تحقق أنه متكلف فليتهلل وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن امتنع بمذراة الصوم « تكلف لك أخوك » وتقول إلى صائم (١) « وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما من أفضل الحسنات إكرام الجلساء بالإفطار فالإفطار عبادة وهذه النية وحسن خلق فتواه فوق ثواب الصوم ومهما لم يعطر فضايحه الطيب والجمرة والحديث الطيب وتذليل الكحل والدهن أحد القراءين. الرابع أن يمنع من الإجابة إن كان الطعام طعام شبه أولئوضع أو البساط القروش من غير حلال أو كان يقام في الوضع منكسر من فرش دياج أو ناء فضة أو تصوير حيوان على سقف أو حائط أو مبيع شيء من الزامير واللاهى أو التشاغل بنوع من اللهو والعزف والمزل والمب واستماع النية والجمعة والزور والبهتان والكذب وشبه ذلك فكل ذلك مما يمنع الإجابة واستنجابها ويوجب تحريمها أو كراهيتها وكذلك إذا كان الداعي ظالماً أو مبتدعاً أو فاسقاً أو شريراً أو متكلفاً طلباً للمباهاة والفخر . الخامس أن لا يقصد بالإجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملاً في أبواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالإجابة عاملاً للأخرة وذلك بأن تكون نيته الانتداء بسنة رسول الله ﷺ في قوله « لودعيت إلى كراع لأجبت » وينوي الحذر من مصيبة الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم « من لم يحب الداعي فقد عصى الله ورسوله (٢) » وينوي إكرام أخيه المؤمن ابتغاء لقوله صلى الله عليه وسلم « من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكرم الله (٣) » وينوي إدخال السرور في قلبه امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم « من قال شئاً أكره الله (٤) » وينوي مع ذلك زيارته ليكون من للتحابين في الله إذ شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه التزاور والتبازل (٥) وقد حصل البذل من أحد الجانبين فحصل الزيارة من جانبه أيضاً وينوي صيانة نفسه عن أن يساء به الظن في امتناعه ويطلق اللسان فيه بأن يجعل على تكبر أو سوء خلق أو استحقار أخ مسلم أو ما يجري مجراه فهدى ست نيات تلحق إجابته بالقرابات أحدها فكيف مجموعها وكان بعض السلف يقول أنا أحب أن يكون لي في كل عمل نية حتى في الطعام والتراب وفي مثل هذا قال ﷺ « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرة إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة أو نساء فهجرة إلى ما هاجر إليه (٦) » والنية إنما تؤثر في الباحات والطاعات أما النيات فلا فاته لونوى أن يسر إخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر أو حرام آخر لم تنفع النية ولم يجر أن يقال الأعمال بالنيات بل لو صدق بالزور الذي هو طاعة للمباهاة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة وكذلك الباح للرد بين وجوه الحيرات وغيرها يلتحق بوجوه الحيرات بالنية فتؤثر النية في هذين القسمين لاقى القسم الثالث . وأما الحضور فأدبه أن يدخل الدار ولا يتصد فليأخذ أحسن الأماكن بل يتواضع

(١) حديث وقال لمن امتنع بمذراة الصوم تكلف لك أخوك وتقول إلى صائم حق من حديث أنيس بن سعيد الحنظلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاماً وأثاني هو وأصحابه فقاموا مع الطعام قال رجل من القوم إلى صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاً كإخوتكم وتكلف لكم الحديث ولقد ارقطي نحوه من حديث جابر (٢) حديث من لم يحب الداعي فقد عصى الله ورسوله متفق عليه من حديث أنس بن مالك (٣) حديث من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكرم الله تعالى الأصفياء في الرغبة والترهيب من حديث جابر والقبلي والضعفاء من حديث أنيس بن مالك وإسنادهما ضعيف (٤) حديث من سر مؤمناً قد عصى الله فهدى من الباب قبله (٥) حديث وجبت هجتي للمزاورين في والتبازل في م من حديث أنس بن مالك (٦) حديث وجبت هجتي للمزاورين في والتبازل في م من حديث أنس بن مالك

وماهيئها ولاحث  
الآخرة وتساها  
بكنها وغايتها  
فتكشف للصيرة  
حقيقة الدارين  
وحاصل التلزين فيجب  
العبد الباق وزهد في  
الغنى فظهر فائدة  
التركية وجسدى  
للشيخة والريبة  
فالشيخ من جنود الله  
تعالى يرشده للربدين  
ويهدى به الطالبين .  
أخبرنا أبو زرعة عن  
أبيه الحافظ المقدسى  
قال أنا أبو الفضل  
عبد الواحد بن علي  
همذان قال أنا أبو بكر  
محمد بن علي بن أحمد  
الطوسي قال ثنا  
أبو العباس محمد بن  
يعقوب قال ثنا أبو عتبة  
قال ثنا بقية قال ثنا  
صفوان بن عمرو قال  
حدثني الأزهر بن  
عبد الله قال قد سمعت  
عبد الله بن بشر صاحب  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال كان  
يقال إنما اجتمع

ولا يطول الانتظار عليهم ولا يبعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ولا يضيّق السكّان على الحاضرين بالراحة بل إن أشار إليه صاحب السكّان بوضع لا يحافظه أئنة فانه قد يكون ربّ في نفسه موضع كل واحد لفعلاته فتشوش عليه وإن أشار إليه بعض الضيفان بالارتفاع إكراماً فليتواضع قال صلى الله عليه وسلم « إن من التواضع أنّه الرضا بالدون من المجلس » (١) ولا ينبغي أن يجلس في مقابلة باب الحجرة الذي للنساء وسترهم ولا يكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام فانه دليل على الشبهة ونقص والتجبة والسؤال من يقرب منه إذا جلس وإذا دخل صيف للمبيت فليعرفه صاحب المنزل عند الدخول القبة وبیت الماء وموضع الوضوء كذلك فعل مالك بالشافعي رضى الله عنهما وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال القسطل قبل الطعام رب البيت أولى لأنه يدعو الناس إلى كرمه وحكمه يده قبل الطعام بالفضل وفي آخر الطعام يتأخر بالفضل لينظر أن يدخل من يأكل فيأكل بيمينه وإذا دخل فرأى منكراً غيره إن قدر ولا أنكر بلسانه وانصرف ، والتكر فرش الديباج واستعمال أواني الفضة والذهب والتصوير على الحيطان ومما للالهى والزماير وحضور النساء لتكشفت الوجوه وغير ذلك من المحرمات حتى قال أحمد رحمه الله إذا رأى مكحلة رأسها مفضض ينبغي أن يخرج ولم يأذن في الجلوس إلا في ضبة وقال إذا رأى كفة فينبى أن يخرج فان ذلك تسكف لا فائدة فيه ولا تدفع حرّاً ولا برداً ولا تستر شيئاً وكذلك قال يخرج إذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كأنسرت الكعبة وقال إذا كثرت بيتا فيه صورة أو دخل الحمام ورأى صورة فينبى أن يحكمها فان لم يتسدر خرج وكل ما ذكره صحيح وإنما النظر في السكّة وتزيين الحيطان بالديباج ذلك لا ينبغي إلى التحريم إذ الحرير يحرم على الرجال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذان حرام على ذكورا متى حلّ لثابتهما » (٢) وما على الحائط ليس منسوباً إلى الذكور ولو حرم هذا الحرّ تزيين السكّة بل الأولى بإسائه لموجب قوله تعالى - قل من حرم زينة الله - لاسيما في وقت الزينة إذا لم يتخذ عادة للتفاخر وإن تخيل أن الرجال ينتفعون بالنظر إليه ولا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر إلى الديباج مهما لبسه الجوارى والنساء والحيطان في معنى النساء إذ لسن موصوفات بالذكورة. وأما إحضار الطعام فله آداب خمسة : الأول تمجيد الطعام فذلك من إكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » (٣) ومهما حضر الأكرهون وغاب واحد أو اثنان وتأخروا عن الوقت للوعود فحق الحاضرين في التبعجل أولى من حق أولئك في التأخير إلا أن يكون التأخر قهراً أو ينكسر قلبه بذلك فلا بأس في التأخير وأحد الضيفين في قوله تعالى - هل أتاك حديث ضيف إبراهيم للمكرمين - إهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم دلّ عليه قوله تعالى - فما لبث أن جاء بمعجل حنيد - وقوله - فراغ إلى أمه فبأه بمعجل ميم - والرفغان الذهاب بسرعة وقيل في خفية وقيل جاء بفخذ من لحم وإغامي جلالاً لأنه صلبه وإليست قاله حاتم الأهم العجلمن الشيطان إلا في خمسة فانه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الضيف وتجهيز البيت

عشر وندرجها أولاً أكثر فان لم يكن فيهم من يهاب الله عز وجل فقد خطر الأرض للشافعي وقال الله تعالى - أولئك الذين هدى الله فبهم أقنعه - الشافعي لما اهدتوا أهوال الافتداء بهم وجعلوا أمة الشيعين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكياً عن ربه : إذا كان الطالب على عبدى الاشتغال بي جعلت منه ولدت في ذكرى فإذا جعلت منه ولدت في ذكرى عشقني وعشقتني ورفضت الحجاب فبأين وبينه لا يسير وإداسها الناس أولئك كلامهم كلام الأنبياء أولئك الأبطال حقاً أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذاباً ذكرتهم فيها فصرفت بهم عنهم والسرفى وصول السالك إلى رتبة الشيخة أن السالك

وزوج البكر وقضاء الدين والتوب لمن الذنب (١) ويستحب التسبيل في الوجبة ، قبل الوجبة في أول يوم سنة وفي الثاني محروفاً وفي الثالث رياء . الثاني : ترتيب الأضمة بتقديم الفاكهة لأن كانت كذلك أو فوق في الطباخات أمرح باستحالة فينقى أن تقع في أسفل اللدة وفي القرآن تنبيه على خديم الفاكهة في قوله تعالى - وفاكهة مما يمشرون - ثم قال - ولحم طير مما يشتهون - ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والتمر وقد قال عليه السلام وفضل عائشة على النساء كفضل التريد على سائر الطعام (٢) [ فان جمع إلى صلاة بعده قد جمع الطيبات ودل على حصول الإكرام بالقدم قوله تعالى : في ضيف إبراهيم إذ أحضر السجل الحليذ أي المنوذ وهو الذي أجيد فضجه وهو أحد معنى الإكرام أعني تقديم اللحم وقال تعالى في وصف الطيبات - وأزلفنا عليكم اللين - والسوى - اللين السجل والسوى اللحم مسمى سوى لأنه يتسل به عن جميع الآدام ولا يقوم غيره مقامه ولذلك قال ﷺ « سيد الآدام اللحم » ثم قال بعد ذكر اللين - والسوى - كلاً من طيبات ما رزقاكم - فاللحم والخلاوة من الطيبات قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه أهل الطيبات يورث الرضا عن الله ويتم هذه الطيبات جرب للآء البارد وسب للآء الفار على اليد عند السجل قال الثامون شرب للآء بثلج مجلس الشكر وقال بعض الأدباء إذا دعوت إخوانك فأطعمهم حصرية وبورانية وسقيهم ماء بارداً قد أكلت الضيافة وأتقى بعضهم درهم في ضيافة قال بعض الحكماء لمن كن تحتاج إلى هذا إذا كان خبزك جيداً وماؤك بارداً وخبلك حامضاً فهو كخبزك قال بعضهم الخلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان والتمسك على اللسانه خير من زيادة لوتين ويقال إن اللسانه تحضر للآئدة إذا كأل عليها قبل فذلك أيضاً مستحب ولما فيه من الزين والحضرة وفي الخبر إن للسانه التي أزلت على بني إسرائيل كان عليها من كل البقول إلا السكرات وكان عليها تمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل رغيف زيتون وجب رمان فهذا إذا اجتمع حسن اللواقة . الثالث : أن يخدم من الألوان الطها حتى يستوفي منها من يريد ولا يكثر الأكل بعده وراحة للترفين تقديم القليظ لبسائف حركة الشهوة بمصادقة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة في استكثار الأكل وكان من سنة للتدخين أن يخدموا جملة الألوان دفعة واحدة وصنفون التصاع من الطعام على اللسانه ليأكل كل واحد مما يشتهي وإن لم يكن عنده إلا لون واحد ذكره ليستوفوا ولا ولا ينتظروا أطيب منه . وعكس عن بعض أصحاب الروايات أنه كان يكتب نسخة مما يستحضر من الألوان ويرس على الضيفان وقال بعض الشيوخ قدم إلى بعض الشايخ لونا بالشام فقلت عندنا بالعراق إنما يقدم هذا آخرأ قال وكذا عندنا بالشام ولم يكن له لون غيره فغلبت منه وقال آخر كنا جماعة في ضيافة قدم إلينا ألوان من الروس للشوية طيبها وقديداً فكان لا تأكل تنتظر بعدها لونا أو حملاً فجاءنا بالطلست ولم يقدم غيرها

(١) حديث حاتم الأصم السحلة من الشيطان إلا في خمسة فاتها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الطعام وتجهيز البيت وزوج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنوب من حديث سهل بن سعد الأنثاء من الله والمجلة من الشيطان وسنده ضيف وأما الاستثناء فروى د من حديث سعد بن أبي وقاص الثقة في كل شيء إلا في عمل الآخرة قال الأعمش لأعلم إلا أنه رضى وروى الزين التذبيب ترجمة محمد بن موسى بن ثبيع عن مشيخة من قومه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الأنثاء في كل شيء إلا في ثلاث إذا مسح في خيل الله وإذا نودي بالصلاة وإذا كانت الجنائزة... الحديث وهذا مرسل وث من حديث علي ثلاثة لا تخرها للصلاة إذا أمث الجنائزة وإذا حضرت والأجر إذا وجدت كفؤاً وسنده حسن.

[١] حديث فضل عائشة لم يخرجها العراقي وخرجه الشارح عن الترمذي في المعالي وغيره .

مأمور بسياسة النفس  
ممثل صفاتها لازله  
يسلك بصدق العادة  
حتى تطمئن نفسه  
وبطمانيتها ينزع  
عنها البرودة واليوسة  
التي استصحبها من  
أصل خلقها وبها  
تستحق على الطاعة  
والإشهاد للمودة فافا  
زالت اليوسة عنها  
ولانت بحرارة الروح  
الواصلة إليها وهذا  
الدين هو الذي ذكره  
الله تعالى في قوله - ثم  
تلين جلودهم وقلوبهم  
إلى ذكر الله - تعالى  
تجيب إلى العبادة وتلين  
للقاعة عند ذلك  
وقلب العبد متوسط  
بين الروح والنفس  
ذو وجهين أحده وجهه  
إلى النفس والوجه  
الأخر إلى الروح يستمد  
من الروح بوجهه الذي  
يبلغه ويعد النفس  
بوجهه الذي يلبها حتى  
تطمئن النفس فافا  
الطمانت نفس السالك  
وفرغ من سياستها

فذكر بعضنا إلى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحا إن الله تعالى يقدر أن يخلق رهوسا بلا أبدان قال وبنتا تلك الليلة جياعا نطلب قتيلا إلى السور فلهذا يستحب أن يقدم الجميع أو يجبر بما عنده . الرابع : أن لا يبادر إلى رفع الألوان قبل تمسكهم من الاستيقاظ حتى يرضوا الأبدى عنها ففصل منهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما استحضروه أو يثبت فيه حاجة إلى الأكل فيقتصر عليه بالمبادرة ومن التمكن على المائدة التي يقال إنها خير من لوين فيفضل أن يكون المراد به قطع الاستجمال ويعتدل أن يكون أراد به سعة السكان . حكى عن السورى وكان سويا مزاحا فحضر عند واحد من أبناء الدنيا على مائدة قدم إليهم حمل وكان في صاحب المائدة بخل فلما رأى القوم مزقوا الحمل كل عرق ضاق صدره وقال يا غلام ارفع إلى الصبيان ورفع الحمل إلى داخل الدار قام السورى يمدو خلف الحمل قبل له إلى أين قال أكل مع الصبيان فاستجاب الرجل وأمر برد الحمل ومن هذا الفن أن لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم فانهم يستجوبون بل يبنون أن يكون آخرهم أكل كان بعض الكرام يجبر القوم بجميع الألوان ويتركهم يستوفون فإذا قاربوا الفراغ جئا على ركبته ومسه يده إلى الطعام وأكل وقال بسم الله ساعدوني بارك الله فيكم وعليكم وكان السلف يستحسنون ذلك منه . الخامس : أن يقدم من الطعام قدر الكفاية فان التقليل عن الكفاية قص في الروعة والزيادة عليه تصنع ومراة لا يابا إذا كانت نفسه لا تسلم بأن يأكلوا الكل إلا أن يقدم الكثير وهو طيب النفس لو أخذوا الجميع ونوى أن يترك فضلة طعامهم إذ في الحديث لا يحاسب عليه . أحضر إبراهيم بن آدم رحمه الله طعاما كثيرا على مائدته فقال سفيان يابا اسحق أما تخاف أن يكون هذا سرفا فقال إبراهيم ليس في الطعام سرف فان لم تكن هذه النية فالتكثير تكلف قال ابن مسعود رضى الله عنه نهى أن نجيب دعوة من يئى بطعامه وكره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهة ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لأنهم كانوا لا يقدمون إلا قدر الحاجة ولا يكون تمام الشبع وينبئ أن يزول أولا نصب أهل البيت حتى لا تكون أعينهم طامعة إلى رجوع شيء منه فلمه لا يرجع خضيق صدورهم وتتطلق في الضيفان ألسنتهم ويكون قد أطم الضيفان ما يمتعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهم وما يبق من الأطعمة فليس للضيفان أخذه وهو الذى تسبه السوفية الزلة إلا إذا صرح صاحب الطعام بالذن فيه عن قلب راض أو علم ذلك بقرينة حاله وأنه يفرح به فان كان بظن كراهية فلا ينبئ أن يؤخذ وإذا عزم رضاء فينبئ مراعاة العدل والنصفة مع الرقاء فلا ينبئ أن يأخذ الواحد إلا ما يحضه أو ما يرضى به رفقه عن طوع لاعت حياء . فاما الانصراف : فله ثلاثة آداب . الأول : أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار وهو سنة وذلك من إكرام الضيف وقد أمر بإكرامه قال عليه الصلاة والسلام « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » وقال عليه السلام « إن من سنة الضيف أن يشبع إلى باب الدار » [١] قال أبو قتادة قدم وفد الجاشي عن رسول الله ﷺ فقام يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال كلا إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وأنا أحب أن أكرمهم [٢] فوعدهم الأكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة قبل للأزاعي رضى الله عنه ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وطيب الحديث وقال يزيد بن أبي زيادة ما دخلت على عبد الرحمن ابن أبي ليلى إلا حدثنا حديثا حسنا وأطعنا طعاما حسنا الثاني أن ينصرف الضيف طيب النفس وإن جرى حقه قصير فذلك من حسن الخلق والتواضع قال صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليدرككم لم يخرجكم العراق »

انتهى سلوكه وتمسك من سياسة النفس واهتدت نفسه وفاءت إلى أمر الله ثم القلب حشر إلى السياسة لما فيه من التوجه إلى النفس فتقوم نفوس للريدين والطالبين والصادقين عنده مقام نفسه لوجود الجنسية في عين النفسية من وجه ولوجود التألف بين الشيخ والريد من وجه التألف الإلهي قال الله تعالى سلوا عنكم ما فى الأرض جميعا ما ألقى بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - فيسوس نفوس الريدين كما كان يسوس نفسه من قبل ويكون في الشيخ حيث معنى التخلق بأخلاق الله تعالى : معنى قول الله تعالى : أظلال شوق الأبرار إلى لقائى وإنى إلى لقاءهم لأعد شوقا وبما هيا الله تعالى من حسن التأليف بين

[١] حديث إن من سنة وكذا حديث كرام وفد الدجاشي وحديث إن الرجل ليدرككم لم يخرجكم العراق .

خلقهم درجة العالم القائم ، ودعى بعض السلف برسول فليرصده الرسول فطامع حضر وكانوا قد نغفروا وغفروا وخرجوا فخرج إليه صاحب التزل . وقال قد خرج القوم فقال هل بقي بجة قال قال فكمسرة إن بقيت قال هل بقي قال فالتندر أمسحها قال قد غسلها فانصرف عمنه الله تعالى فقبله وذلك قال فمأحسن الرجل عتانا بية وردنا بية فنهض هومني التواضع وحسن الخاق . وسكى أن أستاذ أبي القاسم الجنيده دعاه صي إلى دعوة أبيه أربع مرات فرداه الأب في المرات الأربع وهو يرجع في كل مرة تطييبا لقلب الصبي بالحضور وقلب الأب بالانصراف فنهض قوس قد ذللت بالتواضع هل تعالى واطمأننت بالوحيد وصارت تشاهد في كل رد وقبول عيرة فبا بينها وبين ربه فلا تستكسر بما يجري من العباد من الإذلال كما لا تستكسر بما يجري منهم من الإكرام بل يرون السل من الواحد القهار ولذلك قال بعضهم أنا لأتجيب الدعوة إلا لأني أتذكركم بما طام الجنة أي طام طام طيب يعمل عاتده ومؤتمته وحضبه . الثالث : أن أخرج الإبرصا صاحب التزل وإذنه وراعي قلبه في قدر الإقامة وإذنه ضيفا فلأزيد له ثلاثة أيام فرعا بيزيم به وتحتاج إلى إخراجهم قال هل على الله وسلم ؟ الضيفاء ثلاثة أيام فما زاد صدقة <sup>(١)</sup> . ثم لم ألح حرب البيت عليه من خلوص قلب لله القيام إذ ذلك ويستحب أن يكون عنده فراش للضيف التزل قال الرسول قل لله عليه وسلم ؟ فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرايب للشیطان <sup>(٢)</sup> .

(فصل يجمع آداباً ومناهى طبية وشرعية متفرقة)

الأول : حكى عن إبراهيم النخعي أنه قال الأكل في السوق دناءة <sup>(١)</sup> وأسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسناده قريب وقد نقل عنه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : كنا نأكل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نغني ونشرب ونحن قيام <sup>(٢)</sup> . ورؤي يمشي الحاج من التسوفة المرويين يأكل في السوق قبيل له في ذلك فقال ويحك أجوع في السوق وآكل في البيت قبيل تدخل للسجد قال أسنحت أن أدخل بينة لي للأكل فيه ووجه الجمع أن الأكل في السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه وهو يختلف بآداب البلد وأحوال الأشخاص فمن لا يليق ذلك بائس أمره أعماله حمل ذلك على قلة المروءة وقرط الشريعة ويقبح ذلك في الشهادة وممن رضى ذلك بجميع أحواله وأعماله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا . الثاني : قال في يوم سبيع عرجة قتلت دابة في بطنه الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن أكل في يوم سبيع عرجة قتلت دابة في بطنه ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زبينة حرام لم ير في جمده شيئا يكرهه والهم يئس اللحم والترديد طعام العرب والبشارجات تعظم البطن وترخي الأليتين ولحم البقر داء ولبنها فشاء وصحها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولبن تستقي النساء حياء أفضل من الرطب ، والسمك يذيب الجسد وقراءة القرآن والسواك ينهجان البلم ومن أراد البقاء ولا بقاء فليساكر بالبقاء

(١) حديث الضافة ثلاثة أيام فإذا رُدَّ دقة متفق عليه من حديث أبي شرع الحزامي (٧) حديث فراس الرجل و فراس المرأة و فراس الضيف و الرابع لقيطان م من حديث جابر (٣) حديث الأكل في السوق نداه الطبراني من حديث أبي أمامة و هو ضعيف و رواه ابن عدي ر كمال من حديثه و حديث أبي هريرة (٤) حديث أبي عمر كنانا قال في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نغني و نستر و نحن قيام و دعة و معة

الصاحب والصحوب  
 يصير الربد جزء  
 الشيخ كما أن الولد  
 جزء الوالد في الولادة  
 الطبيعية وتصور هذه  
 الولادة آفا ولادة  
 معنوية كما ورد عن  
 عيسى صلوات الله عليه  
 لن بلج ملكوت  
 السماء من قبله مرتين  
 قبل الولادة الأولى بصيرله  
 ارتباطا بعالم الملك وهذه  
 الولادة بصيرله ارتباطا  
 بالملكوت قال الله  
 تعالى - وكذلك نرى  
 إبراهيم ملكوت  
 السموات والأرض  
 وليكون من الوقتين-  
 وصرف التين على  
 السكالك يحصل في هذه  
 الولادة وهذه الولادة  
 يستحق ميراث الأنبياء  
 ومن لم يحصل ميراث  
 الأنبياء ما كان وإن  
 كان في كل عالم  
 الفطنة والذكاء لأن  
 الفطنة والذكاء نتيجة  
 العقل والعمل فإذا كان  
 بإسما من نور التصرع  
 لا يدخل للسلوك

وليكرر العشاء ويلبس الخذاء ولن يتداوى الناس بشيء مثل السم<sup>(١)</sup> [ويلقب غشيان النساء ويلبغ الرداء وهو الدين . الثالث : قلل الحجاج لبس الأطباء صفه إلى صفة أخذ بها ولا أعدها قال لانتسح من النساء إلا ثنية ولا تأكل من اللحم إلا قية ولا تأكل الطوبوع حتى ينعم فضجه ولا تشرين دواء إلا من عقة ولا تأكل من الفاكهة إلا نضيجها ولا تأكل طعاماً إلا أجدت مضغه وكل ما أحببت من الطعام ولا تشرين عليه فإذا شربت فلا تأكل عليه شيئاً ولا تجلسي المائتة والبول وإذا أكلت بالهار قم وإذا أكلت بالليل فامشي قبل أن تمام ولو مائة خطوة في معناه قول العرب قد تعدت نعلي يميني تعدد كقَالَ الله تعالى - ثم ذهب إلى أهله يتطعم - أي يتعطط ويقال إن حبس البول يسد الجسد كما يسد التهرما حوله إذا سد مجراه . الرابع : في الخبر « قطع العروق مسقمة وترك المشاء مهمة »<sup>(٢)</sup> والعرب تقول ترك القدم يذهب بشحم الكاذبة يني الألية وقال بعض الحكماء لآبته يابني لا تخرج من منزلك حتى تأخذ حلك أي تمتدئ إذ به يبق اللحم ويحول الطيش وهو أيضاً أقل لشهوته لما يرى في السوق وقال حكيم لسمين أرى عليك قطعة من نسج أضراسك فهمي قال من أكل لباب البروضاثر المز وأدهن بجام يفسخ وألبس الكتان . الخامس : الحية تضر بالصبح كما يضر تركها بالمرض هكذا قيل وقال بعضهم من احتسب فهو على يقين من السكره وعلى شك من العوافي وهذا حسن في حال الصحة « ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبياً يأكل تمرًا وإحدى عينيه رمداء فقال أنا أكل التمر وأنت رمد فقال يا رسول الله إنما أكل بالشق الآخر »<sup>(٣)</sup> يعني جانب السليبة فضحك رسول الله ﷺ . السادس : أنه يستحب أن يعمل طعام إلى أهل البيت ، ولما جاء نبي جعفر بن أبي طالب قال عليه السلام « إن آل جعفر شغلوا ببيتهم عن صنع طعامهم فاحملوا إليهم ماياً يكون »<sup>(٤)</sup> فذلك سنة وإذا قدم ذلك إلى الجميع حل الأكل منه لإماميهما فتواتع والنيات عليه بالكاء والجرع فلا يذنب أن يؤكل معهم . السابع : لا ينبغي أن يحضر طعام ظاماً فإن أكره فيقال الأكل ولا يقصد الطعام الأطيب . رد بعض الزكيين شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكربها فقال رأيته قصد الأطيب وتكبر التهمة وما كنت مكربها عليه وأجبر السلطان هذا الزكي على الأكل فقال إما أن أكل وأخلي التزكية أو أترك ولا أكل فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه . وحكى أن داؤد النورى حضر حبس ولم يأكل أياماً في السجن فسكت له أخت في الله فبعثت إليه طعاماً من مغز لها على يد السجناء فلم تمتنع فلم يأكل فعاتبته المرأة بسد ذلك فقال كان حلالاً ولكن جاني على طبق ظام وأشار به إلى يد السجناء وهذا غاية الورع . الثامن : حكي عن تيسع الوصل رحمه الله أنه دخل على بشر الحافي زائراً فأخرج بشر درهما فدفعه لأحمد الجلاء خادمه وقال اشتر به طعاماً جيداً وأما طيباً ، قال فاشترت خبزاً نظيفاً وقلت : لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لشيرة

(١) حديث قطع العروق مسقمة وترك المشاء مهمة ابن عدى في الكامل من حديث عبد الله بن جراد بالشرط الأول و ت من حديث أنس بالشرط الثاني وكلاهما ضعيف وروى ابن ماجه في الشطر الثاني من حديث جابر (٢) حديث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبياً يأكل تمرًا وإحدى عينيه رمدت فقال له أنا أكل التمر وأنت رمد فقال إنما أمضع بالشق الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث صهيب بإسناد جيد (٣) حديث لما جاء نبي جعفر بن أبي طالب قال صلى الله عليه وسلم إن آل جعفر شغلوا ببيتهم عن طعامهم فاحملوا إليهم ماياً يكون د ت من حديث عبد الله بن جعفر نحوه بسند حسن وابن ماجه نحوه من حديث أسماء بنت عميس .

ولا يزال متردداً في اللك ولهذا وقف على برهان من العلوم الرياضية لأنه تصرف في الملك ولم يرتق إلى اللكوت والملك ظاهر السكون واللكوت باطن السكون والعقل لسان الروح والبصيرة القى منها تنبت أشمة الهداية قلب الروح واللسان ترجمان القلب وكل ما ينطق به الترجمان معلوم عند من يترجم عنه وليس كذلك ما عند من يترجم عنه يبرز إلى الترجمان فهذا المعنى حرم الواقفون مع مجرد العقول العرية عن نور الهداية الذي هو موهبة الله تعالى وعند الأنبياء وأتباعهم الصواب وأسبل دونهم الحجاب لوقوفهم مع الترجمان وحرمانهم غاية التبيان وكما أن في الولادة الطليمة ذرات الأولاد في صلب الأب مودعة تنقل إلى أصلاب الأولاد

[١] قوله وليكرر العشاء إلى قوله السم ليس موجوداً بنسخة الشارح ولعلها الأظهر فليأمل اهـ .



الهم برك لنا فيه وزدنا منه<sup>(١)</sup> سوى الذين فلتقرت اللبن واشترت تمرا جريما قدمت إليه فأكل وأخذ الباقي قال بشر أندرون لم قلت لعتر طعاما طيبا لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر أندرون لم يقل كل لأنه ليس للفلسف أن يقول صاحب الدار كل أندرون لم حملماي لأنه ذاصح التوكل لم يضر الحل . وحكي أبو الوردباري رحمه الله عز وجل أنه اتخذ ضيافة فأوقفها لنفسه فسراج فقال لمرجل قد أسرفت قاله ادخل فكل ما وقفته لغير الله فأطعته فدخل الرجل فلم يقدر على إطفاء واحد منها فاقطع . واشترى أبو الوردباري أحمالا من السكر وأمر الخلاويين حتى يتواجدا من السكر عليه شرف ومحاربه على أحمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها واشبهوها . التاسع قال الشافعي رضي الله عنه : الأكل على أربعة أعاء الأكل باسبع من اللقت وباسبعين من السكر وبثلاث أصابع من السنة<sup>(٢)</sup> وبأربع وحسن من الثرة . وأربعة أشياء تنهى البدن أكل اللحم وشتم الطبيب وكثرة الفسل من غير جماع ولبس الكنان ، وأربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الغم وكثرة شرب اللآه على الريق وكثرة أكل الحوضة ، وأربعة تنهى البصر الجالس تجاه القبلة والسكحل عند النوم والنظر إلى الخضرة وتنظيف اللبس وأربعة توهن البصر النظر إلى القدر والنظر إلى الصلوب والنظر إلى فرج المرأة والقعود في استند بالقبه ، وأربعة تزيد في الجماع أكل الصافير وأكل الأظرفل الأكبر وأكل الفستق وأكل الجرجير . والثوم على أربعة أعاء فتم على القفا وهو نوم الأنياء عليهم السلام يتشكرون في خلق السموات والأرض ونوم على اليقين وهو نوم الغناء والعباد ونوم على الثمال وهو نوم الملوك ليهزم طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشايطين ، وأربعة تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك . وبجالة الصالحين والغناء ، وأربعة هن من العبادة لا يخطو خطوة إلا على وضوء وكثرة السجود وازم الساجد وكثرة قراءة القرآن . وقال أيضا هببت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لا يموت وهببت لمن احتجم ثم يبادر الأكل كيف لا يموت وقال لم أر شيئا أضع في الواء من البنفسج يدهن به ويشرب والله أعلم بالصواب .

### ( كتاب آداب السكاح )

( وهو الكتاب الثانی من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تصادف سهام الأهوام في محائب منه مجرى ولا ترجع العقول عن أوائل بدائعها إلا والله حيرى ولا تزال لطائف نعمه على العالمين تترى فهي تتوالى عليهم اختيارا وقهرا ومن بدائع ألطافه أن خلق من لزال بجفله نبيا وصهرا وسلط على الخلق شهوة اضطهر بها إلى الحرامات جبرا واستيق بها تسلم إقهارا وقهرا ثم عظم أمر الأناساب وجعل لها قدرا ظم بسببها السفاوح والفرح في تقيبه ردعا وزجرا وجعل اتقامه جرعة فاشحة وأمرا إمرأوندا إلى السكاح وحث عليه استنجابا وأمرا فسبحان من كتب اللوت على عباده فأذهب به هدما وكسرا ثم بث بذور التطف في أراضى الأرحام وأنشأ منها خلقا وجعله لسكر اللوت جيرا تنذبا على أن يحار القادر فياضة على العالمين نعماً

- (١) حديث اللهم برك لنا فيه وزدنا منه قاله عند شرب اللبن تقدم في آخر الباب الأول من آداب الأكل  
(٢) حديث الأكل ثلاث أصابع من السنة مسلم من حديث كعب بن مالك كان النبي ﷺ يأكل ثلاث أصابع . وروى ابن الجوزي في الطل من حديث ابن عباس موقوفاً كل ثلاث أصابع فانه من السنة .

( كتاب آداب السكاح )

بمد كل ولد ذرة وهي  
العرأت التي خاطبها  
الله تعالى يوم الشاق  
بألمت ربك قالوا بلى  
حيث مسح ظهر آدم  
وهو ملق يطعن فنان  
بين مكة والطائف  
فئات القدرات من  
مسام جسده كما يسيل  
الرق بمد كل ولد  
من ولد آدم ذرة ثم  
لما خوطبت وأجأت  
ردت إلى ظهر آدم فمن  
الآباء من تنفذ القدرات  
في صلبه ومنهم من لم  
يودع في صلبه شيء  
فينقطع نسله وهكذا  
الشايع فمنهم من تكثر  
أولاده ويأخذون  
منه العلوم والأحوال  
ويودعونها غيرهم كما  
وصلت إليهم من النبي  
صلى الله عليه وسلم  
بواسطة الصحبة ومنهم  
من تقل أولاده ومنهم  
من ينقطع نسله وهذا  
النسل هو الذي رد  
الله على الكفار حيث  
قالوا محمد أتر لانس  
له قال الله تعالى - إن

وضرا وخيرا وشرا وعسرا ويسرا وطيا ونشرا والصلاة والسلام على محمد البصير بالإبصار والبشرى وعلى آله وأصحابه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدا ولا حصرا وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فإن النكاح معين على الدين ومهيئ للشياطين وحسن دون عدو الله حين سبب للتكثير الذي به بقاءها بيد الرسلين لسائر النبين لها أحرار بأن تحرر أسبايه وتحفظ منتهه وأدابه وتقرح مقاصد موآرا وبفضل ضلوه وأبوابه والقدر لهم من أحكامه ينكشف في ثلاثة أبواب . الباب الأول : في الترغيب فيه وعنه . الباب الثاني . في الآداب المرعية في العقد والمقدين . الباب الثالث : في آداب الماشرة بمصالحه إلى الفراق ( الباب الأول في الترغيب في النكاح والترغيب عنه )

اعلم أن العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخل لعبادة الله واعترف آخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخل لعبادة الله مهما لم يتحقق النفس إلى النكاح نوقانا يشوش الحال ويدعو إلى الوقوع وقال آخرون الأفضل تركه في زمانها هذا وقد كان له فضيلة من قبل إذ لم تكن الأكساب محظورة وأخلاق النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه إلا بأن يهدم أولا ماورد من الأخبار والآثار في الترغيب فيه والترغيب عنه ثم نعرض لفوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق كل من سلم من غوائله أو لم يسلم منها .

#### ( الترغيب في النكاح )

أما من الآيات، فقد قال الله تعالى - وأنكحوا الأيامى منكم - وهذا أمر وقال تعالى - فلا تنكحواهن أن ينكحن أزواجهن - وهذا منع من الضل ونهى عنه وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم - ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية - فذكر ذلك في معرض الاستئذان وإظهار الفضل وسمح أوليائه بسؤال ذلك في الدعاء فقال - والذين يقولون ربنا هبناك من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين - الآية ويقال إن الله تعالى لم يذكر في كتابه من الأنبياء، إلا للتأهلين فقالوا إن يحيى صلى الله عليه وسلم قد تزوج ولم يجماع قبل إنما فعل ذلك لنيل الفضل وإقامة السنة وقبل لعن البصر وأما عيسى عليه السلام فإنه سينكح إذا نزل الأرض ويولد له . وأما الأخبار فقول رسول الله ﷺ « النكاح سقى فمن رغب عن سقى قد رغب عن عي » وقال صلى الله عليه وسلم « النكاح سقى فمن أحب فطرني فليسقني بسقى <sup>(١)</sup> » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « تناكحوا تسكروا فاني أبهى بكم الأم يوم القيامة حتى بالسط <sup>(٢)</sup> » وقال أيضا عليه السلام « من رغب عن سقى فليس مني وإن من سقى النكاح فمن أحبني فليسقني بسقى <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك التزويج عاقبة البيلة فليس منا <sup>(٤)</sup> »

#### ( الباب الأول في الترغيب في النكاح )

(١) حديث النكاح سقى فمن أحب فطرني فليسقني بسقى أبو يعلى في مسنده مع تقديم وتأخير من حديث ابن عباس بسند حسن (٢) حديث تناكحوا تسكروا فاني أبهى بكم الأم يوم القيامة حتى بالسط أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث ابن عمر قوله حتى بالسط وإسناده ضعيف وذكره بهذه الزيادة البيهقي في المعرفة عن الشافعي أنه بلغه (٣) حديث من رغب عن سقى فليس مني وإن من سقى النكاح فمن أحبني فليسقني بسقى متفق على أوله من حديث أنس من رغب عن سقى فليس مني وباقيته تقدم قبله بحديث (٤) حديث من ترك التزويج خوف البيلة فليس منا رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف ولقد روي في مسنده والنسوى في معجمه وأبي داود في المراسيل من حديث أبي نجیح من قدر على أن ينكح فلم ينكح فليس منا وأبو نجیح اختلف في صحته

شأنك هو الآخر -  
والأفضل رسول الله  
صلى الله عليه وسلم باق  
إلى أن تقوم الساعة  
وبالنسبة للعبادة يصل  
ميراث العلم إلى أهل  
العلم . أخبرنا شيخنا  
ضياء الدين أبو النجيب  
السهروردي إمامنا قال  
أنا أبو عبد الرحمن  
للحائي قال أنا أبو  
الحسن الداودي قال  
أنا أبو محمد الحموي  
قال أنا أبو عمران  
المرعدي قال أنا  
أبو محمد الدارمي قال أنا  
نصر بن علي قال حدثنا  
عبد الله بن داود عن  
عاصم عن رجاء بن  
حيوة عن داود بن  
جميل عن كبير بن  
قيس قال كنت جالسا  
مع أبي الدرداء في  
مسجد دمشق فأتاه  
رجل فقال يا أبا الدرداء  
إني أتيتك من لدينة  
مدينة الرسول صلى  
الله عليه وسلم لحديث  
يلقني عنك أنك تحبته  
عن رسول الله صلى الله

وهذا من لمة الامتناع للأصل الترك وقال صلى الله عليه وسلم « من كان ذا طولاً فليتزوج <sup>(١)</sup> » وقال « من استطاع منك الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فليصم فإن الصوم له وجاء <sup>(٢)</sup> » وهذا يدل على أن سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العین والفرج والوجاه هو عبارة عن رض المحبتين للتمتع حتى تزول فحولته فهو استعارة للتمتع عن الوقوع في الصوم وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير <sup>(٣)</sup> » وهذا أيضاً دليل الترغيب لحوف الفساد . وقال <sup>(٤)</sup> « من نكح فأنكح فله استحق ولاية <sup>(٥)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من تزوج فقد أجز شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني <sup>(٥)</sup> » وهذا أيضاً إشارة إلى أن فضيلته لأجل التحرز من مخالفة تحسناً من الفساد فكان القصد لهدى المرء في الأغلب فرجه وبطنه وقد كفى بالزواج أحدهما ، وقال صلى الله عليه وسلم « كل عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلاثاً وله صالح يدعوه <sup>(٦)</sup> » الحديث ولا يوصل إلى هذا إلا بالنكاح . وأما الآثار فقال عمر رضى الله عنه : لا يمنع من النكاح إلا عجز أو فبيور ، فينب أن الدين غير مانع منه وحصر للانع في أمرين مذمومين . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : لا يمت نكاح الناسك حتى يتزوج بمحتمل أنه جله من النكاح وتتمه ، ولكن الظاهر أنه أراد به أنه لا يسلم قلبه لقلبة الشهوة إلا بالتزويج ولا يمت النكاح إلا بزواج القلب ولذلك كان يجمع غفانه لما أدرکوا عكرمة وكريا وغيرها ويقول إن أردتم النكاح أنكحكم فإن البعد إذا زنى نزع الإيمان من قلبه ، وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول لولم يبق من عمرى إلا عشرة أيام لأحببت أن تزوج لكيلا ألقى الله عزياً ومات امرأتان لمأذن جبل رضى الله عنه في الطاعون وكان هواً أيضاً مطعوناً فقال زوجوني فأنى أكره أن ألقى الله عزياً وهذا منهما يدل على أنهم أرباباً في النكاح فضلاً لمن حيث التحرز عن غائلة الشهوة وكان عمر رضى الله عنه يكثر النكاح ويقول ما تزوج إلا لأجل الولد « وكان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله <sup>(ﷺ)</sup> فغشمه ويبب عنده لحاجة إن طرقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تزوج ؟ فقال يا رسول الله إنى فقير لاشئى لي وأشقطع عن خدمتك فكت ثم عاد ثانياً فأعاد الجواب ثم تفكر الصحابي وقال والله رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما يصلحني في دنياي وآخرى وما يقربني إلى الله منى ولئن قال لي الثالثة لأفضلن فقال له الثالثة ألا تزوج قال قلت يا رسول الله زوجني قال اذهب إلى بنى فلان قتل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تزوجوا فتناسك قال قلت يا رسول الله لاشئى لي قال لأصحابه اجمعوا

(١) حديث من كان ذا طولاً فليتزوج . من حديث عائشة بسند ضعيف (٢) حديث من استطاع منك الباءة فليتزوج الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٣) حديث إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ت من حديث أبى هريرة وقيل عن ع أنه لم يسمع محفوظاً وقال د إنه خطأ ورواه ت أيضاً من حديث أبى حاتم المزنى وحسنه ورواه د في الراسيل وأعله ابن القطان بإرساله وضعف روايته (٤) حديث من نكح فأنكح فله استحق ولاية لأنه عزوجل أحمد بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس من أعطى فه وأحب فه وأيضاً فه وأنكح فه فقد استكمل إيمانه (٥) حديث من تزوج فقد أجز شطر دينه فليتق الله في الشطر الآخر ، ابن الجوزى في المثل من حديث أنس بسند ضعيف وهو عند الطبراني في الأوسط بنقل قد استكمل نصف الإيمان وفي السنندرك وصحح إسناده بنقل من رزقه الله امرأة سالحة فقد أعاد على شطر دينه الحديث (٦) حديث كل عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلاثة فذكر فيه وله صالح يدعوه م من حديث أبى هريرة بنحوه .

عليه وسلم قال فما جاء بك تجارة قال لا قال ولا جاء بك غيره قال لا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من سلك طريقاً يلتمس به علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة وإن الملائكة أنشعت أجنتها رضا لطاب العلم وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم وإن العلماء هم ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما إنما أوروها العلم فمن أخذه أخذ بحظه أو بحظ وافره فأول ما واعدت الحكمة والعلم عند آدم أبى البشر عليه السلام منة للنفسيان والسيان وما يدعو إليه النفس والشيطان كارد إن الله تعالى أمر جبرائيل

لأخيك وزن نواقص من ذهب فجمعوا له فذهبوا به إلى القوم فأنكحوه فقال له أولم يجمعوا له من الأصحاب شاة للوليمة؟ » وهذا التكرار يدل على فضل في نفس النكاح ومحمل أنه توسع فيه الحاجة إلى النكاح وحسن أن بعض الساد في الأمم السابقة فاق أهل زمانه في العبادة فذكر لبي زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل هو لولا أنه تارك لشيء من السنة فاعظم المأيد بالمع ذلك فسأل النبي عن ذلك فقال أنت تارك للتزويج قال لمست أحرمه ولكني قدير وأنا عيال على الناس قال أنا أزوجه ابنتي فزوجته النبي عليه السلام ابنته ، وقال جر بن الحرث : فضل على أحمد بن حنبل ثلاث يطلب الحلال لنفسه ولغيره وأنا أطلبه لنفسي فقط ولا تساعده في النكاح وضيقه ولا أنه نصب إماما لعامة ، وقال إن أحمد رحمه الله تزوج في اليوم الثاني لوفاته أهوله عبدالله وقال أكره أن أبيت عزبا ، وأما بشر فانه لما قيل له إن الناس يتكلمون فيك لتترك النكاح ويقولون هو تارك للسنة فقال قولوا لهم هو مشغول بالفرض عن السنة وعوب مرة أخرى فقال ما يمنعني من التزويج إلا قوله تعالى - ولهن مثل الذي عليهن - بالبروف - فذكر ذلك لأحمد فقال وأين مثل بشر إنه قد فعل مثل حد السنن ومع ذلك قد روي أنه رأى في المنام قبيل له ما فعل الله بك فقال رخصت منازلي في الجنة وأشرف بي على مقامات الأنبياء ولم أبلغ منازل للتأهلين وفي رواية قال ما كنت أحب أن تلقاني عزبا قال قلنا ما فعل أبو نصر النار فقال رفع فوقي بسبعين درجة قلنا بماذا فقد كنا نراك فوقه قال يصبره على بيانه والعيال ، وقال سفيان بن عيينة : كثرة النساء ليست من الهدى لأن عليا رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية فالتكاح سنة ماضية وخلق من أخلاق الأنبياء ، وقال رجل لإبراهيم بن آدم رحمه الله طوبى لك قد فرغت للعبادة بالزوجة فقال لروعة منك بسبب العيال أفضل من جميع ما أنا فيه قال فما الذي يمنعك من النكاح فقال مالي ساحة في امرأة وما أريد أن أغر امرأة بنفسى ، وقد قيل فضل التأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركمة من متأهل أفضل من سبعين ركمة من عزب . وأما ما جاء في الترهيب عن النكاح : فقد قال **عليه السلام** « خير الناس بعد اللاتين الخفيف الحاذق الذي لأهل له ولا ولد » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده ويمر به بالفقر ويكفونه ما لا يطيق ، فيدخل الداخل التي يذهب فيها دينه قبله » (٢) وفي الخبر « قلل العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقيرين » (٣) وسئل أبو سليمان الداراني عن النكاح فقال الصبر عين خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار ، وقال أيضا الوحيد ينج من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا ينج التأهل ، وقال مرة ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج ثبت على مرتبته الأولى .

(١) حدث كان بعض الصحابة قد انتطح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وببيت عنده حاجة إن طرقتة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تزوج الحديث أحمد من حديث ربيعة الأسدي في حديث طويل وهو صاحب القصة بساند حسن (٢) حديث خير الناس بعد اللاتين الخفيف الحاذق الذي لأهل له ولا ولد أبو يعلى من حديث حذيفة ورواه الخطابي في العزلة من حديثه وحديث أبي أمامة وكلاهما ضعيف (٣) حديث يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده ويمر به بالفقر ويكفونه ما لا يطيق فيدخل الداخل التي يذهب فيها دينه قبله الخطابي في العزلة من حديث ابن مسعود نحوه والبيهقي في الزهد نحوه من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف (٤) حديث قلل العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقيرين القضاعي في مسند الشهاب من حديث علي وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عبدالله بن عمر وابن هلال اللذين كلاهما بالشر الأول بسندين متعينين .

حق أخذ قبضة من أجزاء الأرض والله تعالى ينظر إلى الأجزاء الأرضية التي كونها من الجوهر التي خلقها أولا فصار من مواقع نظر الله إليها خاصة الباع من الله تعالى والجواب حيث خاطب السموات والأرضين بقوله - انقلبوا أو كرهنا فلا ينبغي أن يفتن - فحملت أجزاء الأرض بهذا الخطاب خاصة ثم انتزعت هذه الخاصة منها بأخذ أجزائها لتكوين صورة آدم فركب جسد آدم من أجزاء أرضية محتوية على هذه الخاصة فمن حيث نسبة أجزاء الأرض تركب فيه الهوى حتى مد يده إلى شجرة الفناء وهي شجرة الخطيئة في أكثر الأقاويل تنطرق لقاله الفناء وليأكرام الله إياه بنفع الروح الذي أخبر عنه بقوله - فإذا سويته وخلقته -

وقال أيضا : ثلاثين طلبين فقد ركن إلى الدنيا من طلب ماعاش أو تزوج امرأة أو كتب الحديث . وقال الحسن رحمه الله إذا أراد الله بعبده خيرا لم يشغله بأهل ولا مال . وقال ابن الحوامي تاطر جماعة في هذا الحديث فاستقر رأيهم على أنه ليس معناه أن لا يكون له بل أن يكون له ولا يشغله وهو إشارة إلى قول أبي سفيان الدهراني ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشغوم ، وبإشارة لم ينقل عن أحد الترغيب عن النكاح مطلقا إلا مقرونا بشرط . وأما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه بمصر آفات النكاح وفوائده .

آفات النكاح وفوائده : وفيه فوائد خمسة الولد وكثر الشهوة وتدير التزل وكثرة العشرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن . الفائدة الأولى . الولد : وهو الأصل وله وضع النكاح والمقصود إبقاء النسل وأن لا يغلو العالم عن جنس الأنس وإنما الشهوة خلقت بائنة مستحقة كالوكل بالفعل في إخراج البذر وبالأثر في التحكيم من الحرث ناطقا بهما في الساقية إلى اقتناس الولد بسبب الوقوع كالتملص بالخير في بث الحب الذي يشبهه ليقا في الشبهة وكانت القدرة الأزلية غير قاصرة عن اختراع الأشخاص ابتداء من غير حرمانه والازدواج ولكن الحكمة اقتضت ترتيب السيدات على الأسباب مع الاستثناء عنها لإظهارا للقدرة وإتماما لمصائب الصنعة وتخفيفا لما سبق به الشبهة وحث به الصلابة وجري به القلم وفي الوصول إلى الولد قرينة من أربعة أوجه هي الأصل في الترغيب فيه عند الأمن من غوائل الشهوة حتى لم يحب أحدكم أن يلقى الله عزيا . الأول موافقة محبة الله بالصبر في تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان والثاني طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تكثير من يباهاته . والثالث طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده . والرابع طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذ مات قبله . أما الوجه الأول فهو أدق الوجود وأبعدا عن أفهام الجاهل وهو أحقها وأقواها عند ذوى البصائر النافذة في عجائب صنع الله تعالى ومجاري حكمه ، ويانه أن السيد إذا سلم إلى عبده البذر وآلات الحرث وهما له أرضا مهياة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكله من يتقاضاه عليها فإن تكامل وعمل آلة الحرث وترك البذر ضامنا حتى قد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقا للثقت والغائب من سيده والله تعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والأنثيين وخلق النطفة في الفغار وهما لما في الأشبين عروفا ومجاري وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والأنثى فهذه الأفعال والآلات تشهد بلسان ذائق في الاعراب عن مراد خالقها وتنادي أرباب الألباب بتعريف ما أعدت له ، هذا إن لم يصرح به الخالق تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم المراد حيث قال « تناكحوا وتأسلوا » فكيف وقد صرح بالأمر وبإباح بالر فكل محتتم عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر ممطل لما خلق الله من الآلات المدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الحلقة المكتوبة على هذه الأعضاء بحط الخلق ليس برم حروف وأصوات بقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة في إدراك دقائق الحكمة الأزلية ولذلك عظم التصرع الأمر في القتل للأولاد وفي الولد لأنه منع لتمام الوجود وإليه أشار من قال العزل أحد الوادين فالناكح ساع في إتمام ما أحب الله تعالى تمامه والمرض ممطل ومضيع لما كره الله شباعه ولأجل محبة الله تعالى لبقاء النفوس أمر بالاطعام وحث عليه وعبر عنه بعبارة القرض فقال - من ذا الذي يقرض الله تعالى حسنا - فإن قلت : قولك إن بقاء النسل والنفس محبوب وبه أن فاعها مكروه عند الله وهو فرق بين الموت والحياة بالإضافة إلى إرادة الله تعالى ومعلوم أن التكل بمشيتة الله وأن الله غنى عن المالكين فمن أين يشتمن عنده موتهم عن حياتهم أو بقاءهم عن فناهم . فاعلم أن هذه الصلابة حق

فيه من روح - قال  
العلم والحكمة نور القدوة  
صار ذا نفس منقوسة  
ويبلغ الروح صار ذا  
روح روحاني وشرح  
هذا بطول فصار قلبه  
معدن الحكمة وقاله  
معدن الهوى فانتقل  
منه العلم والهوى وصار  
ميراثه في ولده فصار  
من طريق الولادة أبا  
بواسطة الطباع التي هي  
معدن الهوى ومن  
طريق الولادة النعوية  
أبا بواسطة العلاقة للولادة  
الظاهرة تطرق إليها  
الفناء والولادة النعوية  
محبة من الفناء لأنها  
وجدت من شجرة الخلد  
وهي شجرة العلم لا شجرة  
الخطئة التي سماها إبليس  
شجرة الخلد فالإبليس  
يرى التي يصد فبين  
أن الشيخ هو الأب  
معنى وكثيرا كان  
شيخنا شيخ الإسلام  
أبو النجيب السهروردي  
رحمه الله يقول ولدي  
من سلك طريق  
واهدني به دين فالشيخ

أريد بها بل إن ما ذكرناه لا ينافي إضافة الكائنات كلها إلى إرادة الله خبيرها وشهرها وشمها وضرها  
ولكن المحبة والكراهة يتضادان كلاهما بضادان الإرادة فربما منكروه ورب مراد محبوب فالعاصي  
مكرهه وهي مع الكراهة مرادة والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية أما الكفر  
والشر فلا يقول إنه مرضي ومحبوب بل هو مراد وقد قال الله تعالى - ولا أرضى لعبادي الكفر - فكيف  
يكون القناء بالإضافة إلى محبة الله وكراهته كالبقاء فإنه تعالى يقول « ما ترددت في شيء » كترددى في  
قبض روح عبدي السلم هو يكره الموت وأنا أكره مسأته ولا بدله من الموت (١) « قوله لا بدله  
من الموت إشارة إلى سبق الإرادة والتقدير للذكور في قوله تعالى - نحن قدرنا بينكم الموت - وفي  
قوله تعالى - الذى خلق الموت والحياة - ولا منقضة بين قوله تعالى - نحن قدرنا بينكم الموت -  
وبين قوله « وأنا أكره مسأته » ولكن إضاح الحق في هذا يستدعى تحقيق معنى الإرادة والمحبة  
والكراهة ويبان حقائقها فان السابق إلى الأقسام منها أمور تناسب إرادة الخلق ومحبهم وكراهتهم  
وهيات فبين صفات الله تعالى وصفات الخلق من البعد ما بين ذاته العزيز وذاتهم وكأن ذوات الخلق  
جوهر وعرض وذات الله مقدس عنه ولا تناسب ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض فكذا  
صفاته لا تناسب صفات الخلق وهذه الحقائق داخلة في علم المكاشفة ووراء سر القدر الذى منع  
من إفشائه فلنقتصر عن ذكره ولتقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق بين الإقدام على النكاح  
والإجماع عنه فان أحدهما مضيق نسلا أدام الله وجوده من آدم عليه السلام عقباً بعد عقب إلى أن انتهى  
إليه فالمتنع عن النكاح قد حسم الوجود للستدام من لدن وجود آدم عليه السلام على نفسه  
فبات أثير لاغب له ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذي الطامعون  
زوجوني لألقى الله عزياً . فان قلت لما كان معاذ يتوقع ولداً في ذلك الوقت فواجبه رغبته فيه .  
فأقول الولد يحصل بالوقوع ويحصل الوقوع بياض الشهوة وذلك أمر لا يدخل في الاختيار إنما الطلق  
باختيار البعد إحضار المحرك للشهوة وذلك متوقع في كل حال فمن عقد قد أدى ما عليه وفضل ما إليه  
والباقي خارج عن اختياره . ولذلك يستحب النكاح للمتنين أيضاً فان نهضت الشهوة خيفة لا يطلع  
عليها حق إن للمسوح الذى لا يتوقع له ولد لا ينقطع الاستنجاب أيضاً في حقه على الوجه الذى يستحب  
لأصلح إمرار الوصى على رأسه اقتداء بشيخه وتشبه بالسلف الصالحين وكما يستحب الرمل والاضطباع  
في الحج الآن وقد كان المراد منه أولاً إظهار الجلد للكفار صغار الاقتداء والتشبه بالدين أظهرها المجلد  
سنة في حق من يعدم ويضعف هذا الاستنجاب بالإضافة إلى الاستنجاب في حق القادر على الحرث  
وربما يزداد ضعفاً بما يقابله من كراهة تعطيل المرأة وتضييعها فيما يرجع إلى قضاء الوطر فان ذلك  
لاخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذى ينبى على شدة إنكارهم ترك النكاح مع قور  
الشهوة . الوجه الثانى السعى في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضا بشكر ما به مباحاته إذ  
قد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويدل على مراعاة أمر الولد جملة بالوجوه كلها ما روى  
عن عمر رضى الله عنه أنه كان ينكح كثيراً ويقول إنما أنكح للولد وما روى من الأخبار في  
مدمة المرأة العقيم إذ قال عليه السلام « لحصير في ناحية البيت خير من امرأة لانه (٢) »

(١) حديث أنه تعالى يقول ما ترددت في شيء كترددى في قبض روح عبدي السلم يكره الموت  
وأنا أكره مسأته ولا بدله منه مخ من حديث أبي هريرة أنقرد به خالد بن مخلد القطواني وهو  
متكلم فيه (٢) حديث لحصير في ناحية البيت خير من امرأة لانه أبو عمر التوفاني في كتاب معاشره  
الأهلين موقوفاً على عمر بن الخطاب ولم أجده مرفوعاً .

الذى يكتب بطريقه  
الأحوال قد يكون  
مأخوذاً في ابتدائه في  
طريق المحبين وقد  
يكون مأخوذاً في طريق  
المحبوبين وذلك أن أمر  
الصالحين والسالكين  
ينقسم أربعة أقسام  
سالك مجرد ومجنوب  
مجرد وسالك متدرك  
بالجذبة ومجنوب  
متدرك بالسلك  
فالسالك المجرب لا يؤهل  
للمشقة ولا يلبسها لبقاء  
صفاته شفه عليه  
فيقف عند حظه من  
رحمة الله تعالى في مقام  
للعامة والرياسة ولا  
يرتقى إلى حال يروح بها  
عن وهج للكابدة  
والمجنوب المجرد من  
خير سلوك يدايه الحق  
بآيات اليقين ويرفع  
عن قلبه شيئاً من  
المحباب ولا يؤخذ في  
طريق السالمة وللعامة  
أمر تام سوف تشرحه  
في موضعه إن شاء الله  
تعالى وهذا أيضاً  
لا يؤهل للمشيقة ويوقف

وقال « خير نسائكم الولود الودود <sup>(١)</sup> » وقال « سوداء ولود خير من حسناء لاتلد <sup>(٢)</sup> » وهذا يدل على أن طلب الولد أدخل في اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة لأن الحسنة أصح لتحصين وغنى البصر وقطع الشهوة . الوجه الثالث أن يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له كما ورد في الخبر أن جميع عمل ابن آدم مقطوع إلا ثلاثا فذكر الولد الصالح وفي الخبر « إن الأدعية تعرض على اللوى على أطباق من نور <sup>(٣)</sup> » وقول القائل إن الولد ربما لم يكن صالحا لا يؤثر فيه فانه مؤمن والصالح هو الغالب على أولاد ذوى الدين لاسما إذا عزم على تربيته وحمله على الصالح وبالجملة دعاء المؤمن لأبويه مفيد برا كان أو فاجرا فهو مثاب على دعواته وحسناته فانه من كبه وغير مؤاخذ بسببانه فانه لاتزر وأزرة وزر أخرى ولذلك قال تعالى « ألحقنا بهم ذرياتهم وما انشام من عملهم من شيء . أى ساتصنهم من أعمالهم وجعلنا أولادهم مزيدا في إحسانهم . الوجه الرابع أن يوت الولد قبله فيكون له شفيقا تقدرى عن رسول الله <sup>(٤)</sup> أنه قال « إن الطفل يمر بأبويه إلى الجنة <sup>(٥)</sup> » وفي بعض الأخبار « يأخذ شوبه كما أنا الآن أخذ شوبك <sup>(٦)</sup> » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « إن الولود يقال له ادخل الجنة فيقف في باب الجنة فيظلم محنتطا » أى تمتلأ غيظا وغضا ويقول لا أدخل الجنة إلا بأبواى معى فيقال أدخلوا أبويهم الجنة <sup>(٧)</sup> » وفي خبر آخر « إن الأطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا هؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم من جبابدرارى المسلمين ادخلوا لاحساب عليكم فيقولون فأين آباؤنا وأمهاتنا فيقول الحزنة إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا متلكم إنه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم محاسبون عليها وبطالون قال فيشاعون ويضجون على أبواب الجنة شجوة واحدة فيقول الله سبحانه وهو أعلم بهم ماهذه الضجة فيقولون ربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة إلا مع آباؤنا فيقول الله تعالى تخللوا الجمع فخذوا

(١) حديث خير نسائكم الولود الودود البيهقي من حديث ابن أبي أديبة الصدفي قال البيهقي وروى فيلساند صحيح عن عبيد بن يسار مرسل (٢) حديث سوداء ولود خير من حسناء لاتلد ابن جبان في الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح [١] (٣) حديث إن الأدعية تعرض على اللوى على أطباق من نور ورواه في الأربعين للشهورة من رواية أنى هدية عن أنس في الصدقة عن البت وأبو هدية كذاب (٤) حديث إن الطفل يمر بأبويه إلى الجنة . من حديث على وقال السقط بدل الطفل وله من حديث معاذ إن الطفل ليجر أمه بسرره إلى الجنة إذا هى احتسبت وكلامها ضعيف (٥) حديث إنه يأخذ شوبه كما أنا الآن أخذ شوبك م من حديث أنى هريرة (٦) حديث إن الولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظلم محنتطا أى تمتلأ غيظا وغضا ويقول لا أدخل إلا وأبواى معى الحديث حب في الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح و من حديث أنى هريرة يقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتى يدخل آباؤنا فيقال ادخلوا الجنة أتم وآباؤكم وإسناده جيد .

[١] وجد هاشمى العراق بأحد النسخ المولود عليها مانصه قلت : ولأنى يعلى بسند ضعيف ذروا الحسنة القيم عليكم بالسوداء الولود فأنى مكاتر بكم الأمم رواه عبد الله وله من حديث أنى موسى إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن امرأة قد أعجبتنى لا تلد أفأزوجه ؟ قال لا فأعرض عنها ثم تبقيها نفسه فقال يارسول الله قد أعجبتنى هذه المرأة ونعمرها أعجبتنى ولها وعمرها أفأزوجه ؟ قال لا امرأة سوداء ولود أحب إلى منها أما شعرت أنى مكاتر بكم الأمم سنده ضعيف .

عند حظه من الله مروءة جاحلها غير مأخوذ في طريق أعماله ما عدا القرصة والسالك الذى تدورك بالجذبة هو الذى كانت بدايته بالجاهدة والمكيدة والماملة بالإخلاص والوفاء بالشروط ثم أخرج من وهج للسكيدة إلى روح الحال فوجد الصل بعد العلم وتروح بنسبات الفضل ويرزمن مضيق السكيدة إلى متنع السائلة وأونس بنفحات القرب وقنع له باب من الشاهدة فوجد دواءه وفاض واؤه وصدرت منه كلات الحكمة ومالت إليه القلوب ونوالى عليه فروح القيب وصار ظاهره مسددا وباطنه مشاهدا وعلج للجلوة وصار له فى جلوته خلوة فيقلب ولا يلبث ويقرس ولا يقرس يؤهل مثل هذا المشيخة لأنه أخذ في طريق

بأيدي آبائهم فأدخلوهم الجنة<sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من مات له اثنتان من الولد فقد احتضر بحظار من النار<sup>(٢)</sup> » وقال عليه السلام من مات له ثلاثة لم يفلتوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يارسول الله واثنتان قال واثنتان<sup>(٣)</sup> . وحكى أن بعض السالمين كان يمرض عليه الزوج فيأتي برهة من دهره قال فالتفت من نومه ذات يوم وقال زوجوني زوجوني فزوجوه ففشل عن ذلك فقال لعل الله يترقي ولدا ويقضه فيكون لي مقدمة في الآخرة ثم قال رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأن في جملة الخلاق في الموقف وب من العطش ما كاد أن يقطع عنقى وكذا الخلاق في مدة العطش والكرب فحين كذلك إذ ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون أ كثر الناس فحدثت بدى إلى أحدهم وقتل أسقى قد أجهدني العطش فقال ليس لك فينا ولد إنما نسقى آباءنا قتلنا ومن أتم قالوا نحن من مات من أطفال المسلمين وأحد المائ الذكورة في قوله تعالى - فأنا حرثكم آتى شتم وقدموا لأنفسكم - تقديم الأطفال إلى الآخرة فقد ظهر بهذه الوجوه الأربع أن أكثر فضل النكاح لأجل كونه سببا للولد . القائمة الثانية : التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغش البصر وحفظ الفرج وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « من نسك حسن نصف دينه فليتنق الله في الشطر الآخر » وإليه الإشارة بقوله « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فليأكل بالصوم فإن الصوم له وجاء » وأكثر ما قتناه من الآثار والأخبار إشارة إلى هذا المعنى وهذا المعنى دون الأول لأن الشهوة موكلة بتقاضى تحصيل الولد فالنكاح كاف لشغله دافع لجهل وصار لشر مطوثة وليس من يجب مولاه رغبة في تحصيل رضاه كمن يجب لطلب الخلاص عن غائلة التوكل فالشهوة والولد مقداران وبينهما ارتباط وليس يجوز أن يقال المقصود اللذة والولد لازمها كإلزام مثلاً قضاء الحاجة من الأكل وليس مقصوداً في ذاته بل الولد هو المقصود بالبطرة والحكمة والشهوة باعثة عليه ولعمري في الشهوة حكمة أخرى سوى الارهاق إلى الإيلاء وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لو دامت فهي منهية على اللذات الموعودة في الجنان إذ الترفيب في لذة لم يجد لها ذوقاً لا ينفع فهو رغب العنين في لذة الجماع أو الصبي في لذة اللثك والسلطنة لم ينفع الترفيب وإحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعثاً على عبادة الله فانظر إلى الحكمة ثم إلى الرحمة ثم إلى التبعية الالهية كيف عيبت تحت شهوة واحدة حياتان حياة ظاهرة وحياة باطنة والحياة الظاهرة حياة المرء يقاء نسله فانه نوع من دوام الوجود والحياة الباطنة هي الحياة الأخروية فإن هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام فيستحث على العبادة

(١) حديث إن الأطفال يجمعون في موقف القيامة عند عرض الخلاق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا ببؤلاء إلى الجنة فيفتقون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بداري المسلمين اذهبوا لاحساب عليكم فيقولون أين أبائنا وأمهاتنا الحديث بطوله ثم أجدهم أصلاً يعتمد عليه (٢) حديث من مات له اثنتان من الولد احتضر بحظار من نار الزائر والطبراني من حديث زهير بن أبي علقمة جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إنهما تلى ابنتان سوى هذا فقال لقد احتضرت من دون النار بحظار شديد ولسلم من حديث أبي هريرة في المرأة التي قالت دفنت ثلاثة لقد احتضرت بحظار شديد من النار (٣) حديث من مات له ثلاثة لم يفلتوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يارسول الله واثنتان قال واثنتان ع من حديث أنس دون ذكر الاثنين وهو عند أحمد بهذه الزيادة من حديث معاذ وهو متفق عليه من حديث أبي سعيد بلقظ إنما امرأة نسجو منه .

المحبين ومنع حلالا من أحوال المؤمنين بعدم ادخل من طريق أعمال الأبرار السالمين ويكون له اتباع ينتقل منه إليهم علوم ويظهر طريقه بركة ولكن قد يكون محسوسا في حاله محسوسا حاله فيه لا ينطق من وثاق الحال ولا يبلغ كمال التوال يقف عند حظه وهو حظ وافرى والذين أوتوا العلم درجات ولكن القيام الأكل في للشبهة القسم الرابع وهو المجذوب للتدرك بالسلوك يادته الحق بالكشف وأنوار اليقين ويرفع عن قلبه الحجب ويستبشر بأنوار للشاهدة وينشرح وينفس قلبه ويتجافى عن دار الفرو وببب إلى دار الخلود ويرتوى من بحر الحال ويتخلص من الأغلال والأعلال ويقول ملعننا لا أعيد رباً لم أره ثم



الواصلة إليها فيستفيد البعد بشدة الرغبة فيها تسير الواظبة على ما يوصله إلى نعم الجنان وما من ذرة من ذرات بدن الإنسان باطنًا وظاهرًا ذرات بل ملكوت السموات والأرض إلا وتحتها من لطائف الحكمة ومجانباتها ما تحار العقول فيها ولكن إنما ينكشف للغلوب الطاهرة قدر صفاتها ويحذر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين لسكّن لياؤني عن عجز وعنة وهم غالب الخلق فان الشهوة إذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت إلى اتحام الفواحش وإليه أشار بقوله عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى - إلا تضلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير - وإن كان ملجأ التقوى فبأنه أن يكف الجوارح عن إجابة الشهوة فيض البصر ويحفظ الفرج فأما حفظ القلب عن الوسواس والعسر فلا يدخل تحت اختياره بل لأزال النفس تجاذبه وتحدثه بأمر الواقع ولا يغتر عنه الشيطان للوسوس إليه في أكثر الأوقات وقد يمرض له ذلك في أثناء الصلاة حتى يجري على خاطره من أمور الواقع مالم يصرح به بين يدي أحسن الخلق لاستيعاب منه والله مطلع على قلبه والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق ورأس الأمور للريد في سلوك طريق الآخرة قلبه والواظبة على الصوم لا تخطع مائة الوسوسة في حق أكثر الخلق إلا أن ينضاف إليه منصف في البدن وفساد في الزواج ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يتم نسك النكاح إلا بالنكاح وهذه عنة عامة قل من يتخلص منها قال فتنة في معنى قوله تعالى - ولا تحملنا مالا طاقة لنا به - هو التلعة . وعن عكرمة ومجاهد أنها قالا في معنى قوله تعالى - وخلق الإنسان ضعیفاً - إنه لا يصبر عن النساء وقاله قياض بن نجيع إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلث عقله وبضمهم يقول ذهب ثلث دينه وفي نوادر التنوير عن ابن عباس رضي الله عنهما - ومن شر طاق إذا وقب - قال قيام الذكر وهذه بلية غالبة إذا حاجت لا يقاومها عقل ولادين ومع أيها صالحة لأن تكون باعثة على الحياتين كما سبق فهي أقوى آلة الشيطان على بني آدم وإليه أشار عليه السلام بقوله « مارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى الألباب منكن » (١) وإنما ذلك لحيجان الشهوة وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم إني أعوذ بك من شرمي وبصري وقلبي وشرمي » (٢) وقال « سألك أن تطهر قاني وتحفظ فرجي » (٣) فاستفيد منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف يجوز التساهل فيه لتبره وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا يكاد يخلو من اثنين وثلاث فأكثر عليه بعض الصوفية فقال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة أو وقف بين يديه ومقضى معاملة غطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا يصينامن ذلك كثير فقال لورينيت في عمرى كله مثل حالكم في وقت واحد لما تزوجت لكى ماخطر على قلبي خاطر يشغلي عن حالى إلا نغذته فاستريح وأرجع إلى شغلي ومنذ أربعين سنة ماخطر على قلبي معصية وأنكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوى الدين مالدئ تنكر منهم قال يأكلون كثيرًا قال وأنت أيضا قال وأنت أيضا جعت كما يجوعون لأكلت كما يأكلون قال ينكحون كثيرا قال وأنت أيضا لو حفظت عيبك وفرجك كما يحفظون لكمت كما ينكحون . وكان الجنب يقول يحتاج إلى الجماع كما يحتاج إلى القوت فازوجه على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك أمر رسول الله

(١) حديث مارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى الألباب منكن م من حديث ابن عمر وانضاف عليه من حديث أبي سعيد ولم يسقم لفظه (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر شرمي وبصري وشر مني تقدم في الدعوات (٣) حديث سألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي هي في الدعوات من حديث أم سلمة يستاد فيه لين .

من يبين باطنه على ظاهره ويجرى عليه صورة المجاهدة والعمامة من غير مكابدة وعناء بل بلاذة وهناء وصبر قلبه بصفة قلبه لا متلا قلبه بحب ربه وبلين جلده كما لان قلبه وعلامة لين جلده إجابة قلبه للعمل كاجابة قلبه فزيده الله تعالى إرادة خاصة وبرقه عبة خاصة من عبة المحبوبين المراد ينقطع فواصل ويرض عنه فيراسل يذهب عنه جود النفس ووسطى بحرارة الروح وتنكشف عن قلبه عروق النفس قال الله تعالى - الله زلأحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تشتمر منه جلود الذين يحشون ربه من ثلثين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله - أخبر أن الجلود ثلثين كما أن القلوب ثلثين ولا يكون هذا إلا

صلى الله عليه وسلم كل من وقع نظره على امرأة فتأفف إليها فنه أن يجامع أهله<sup>(١)</sup>، لأن ذلك يدفع الوسواس عن النفس وروى جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فدخل على زينب قضى حاجته وخرج وقال صلى الله عليه وسلم: إن المرأة إذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذي معها<sup>(٢)</sup> وقال عليه السلام لا تدخلوا على النتيات وهى التي غاب زوجها فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومنى ولكن الله أعانني عليه فأسلم<sup>(٣)</sup> وقال سياف بن عيينة فأسلم معناه فأسلم أنا منه هذا معناه فإن الشيطان لا يسلم وكذلك يحكى عن ابن عمر رضى الله عنهما وكان من زهاد الصالحين عايناهم أنه كان يخطر من الصدوم إلى الجامع قبل الأكل وربما جامع قبل أن يسلم التراب فيقتل ويسلم وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله وإخراج غدة الشيطان منه وروى أنه جامع ثلاثاً من جواربه في شهر رمضان قبل العشاء الأخيرة وقال ابن عباس خير هذه الأمة أكثرها نساء<sup>(٤)</sup> ولما كانت الشهوة أغلب على مزاج العرب كان استكثار الصالحين منهم للكنك أشد ولأجل فراغ القلب أصبح نكاح الأمة عند خوف الصمت مع أن فيه إرقاق الولد وهو نوع من إهلاك وهو عجم على كل من قدر على حرة ولكن إرقاق الولد أهون من إهلاك الدين وليس فيه إلا تنبش الحياة على الولد مدته وفي اقتحام الفاحشة تغويث الحياة الأخروية التي تستغرق الأعمار الطويلة بالإضافة إلى يوم من أيامها وروى أنه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقى شاب لم يرح قاله ابن عباس هل لك من حاجة قال نعم أردت أن أسأل مسألة فاستحييت من الناس وأنا الآن أهابك وأجلك قال ابن عباس إن العالم عترة والوالد دغا كنت أضيق به إلى أيك فأضى إلى به قال إني شاب لأزوجه ولربما خشيت الصنت على نفسى فرجما استحييت يسدى فهل في ذلك مصبة فأعرض عنه ابن عباس ثم قال أفه<sup>(٥)</sup> ونف<sup>(٦)</sup> نكاح الأمة خير من وهو خير من الرضا لهذا تنبيه على أن العرب التزم مردد بين ثلاثة شرور أدناها نكاح الأمة لأنه إرقاق الولد وأشد من الاستمناح بالبدن وأخفها وأشد لم يطلق ابن عباس الاباحة في شيء<sup>(٧)</sup> لأنه لوها مستحوران يفرغ إليهما حذرنا من الوقوع في عتدور ذلك من كما يفرغ في أتاول اللين حذرا من هلاك النفس فجميع أهون الشرين بمعنى الاباحة للطفقة وللمعنى الجبر اللين وليس قطع اليد للتأكل من الحشرات وإن كان يؤذن فيه عند إشراف النفس على الهلاك فاذن في النكاح فضل من هذا الوجه ولكن هذا لا يميم الكل بل الأكثر قرب شخص قرت شهوته لكبر سن أو مرض أو غيره فيعتمد هذا الباعث في حقه وبقى سابق من أمر الولد فإن ذلك عام إلا للمسوح وهو نادر ومن الطبع ماقلب عليها الشهوة بحيث لأخصه المرأة الواحدة فيستحب لمصاحبها الزيادة على الواحدة إلى الأربع فإن بسر الله مودة ورحمة وإطمان قلبه بين وإلا فيستحب له الاستبداد فقد نكح صلى الله عليه عنه بعد وفاة فاطمة عليها السلام ببسع ليال ويقال

حال الحبوب للرد  
 وقد ورد في الخبر أن  
 الجليس سأل السيل  
 إلى القلب قبل له  
 برحم عليك ولكن  
 السيل ك في مجرى  
 العروق الشبكية  
 النفس إلى حد القلب  
 فإذا دخلت العروق  
 عرفت فيها من شيق  
 مجارها وامتزج ترك  
 بعماء الرحمة لترشح  
 من جانب القلب في  
 مجرى واحد وصل  
 بذلك سلطائك إلى  
 القلب ومن جعلته  
 نينا أو ليا قلمت تلك  
 العروق من باطن قلبه  
 فيضير القلب سلبا فإذا  
 دخلت العروق لم تصل  
 إلى الشبكية بالقلب  
 فلا يصل إلى القلب  
 سلطائك فالجبوب  
 للرد إذا أهل الشبكية  
 قلبه ما تسمى صدره  
 لأن جلده صار قلبه  
 يطبع الروح وشبه  
 يطبع القلب ولانت  
 النفس بد أن كانت  
 أمارات الوالد متصلة

(١) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امرأة تأقت نفسه إلى أن يجماع أهله أو أحدهم حديث أبي كيثبة الأنصاري حين مرت به امرأة فوقع في قلبه شهوة النساء فدخل فأتى بعض أزواجه وقال فكذلك فافعلوا فإنه من أمثال أطفالكم إتيان الحلال وإنساده جيد (٢) حديث جابر رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته الحديث مسلم والترمذي واللفظ له وقال حسن صحيح (٣) حديث لا تدخلوا على النيات فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم الحديث ث من حديث جابر وقال غريب وسلم من حديث عبدالله بن عمر ولا يدخل ببدوي هذا في منية إلا ومعرج وأوثان (٤) حديث ابن عباس خير هذه الأمة أكرها نساء، يعني التي صلى الله عليه وسلم رواء م .

إن الحسن بن علي كان منكسها حتى نكح زيادة عن مائتي امرأة وكان ربما عقد على أربع في وقت واحد وربما طلق أربعاً في وقت واحد واستبدل بهن وقد قال عليه الصلاة والسلام «الحسن أشبه خلقي وخلقى» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «حسن مني وحسين مني» (٢) قبل أن كثرة نكاحه أحد ما يشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج الغيرة بن شعبة بانيين امرأة وكان في الصحابة من له الثلاث والأربع ومن كان له اثنتان لا يحصى ومهما كان الباعث معلوماً فينبئني أن يكون العلاج بقدر العلة فالمراد تسكين النفس فليظنر إليه في الكثرة والقلة . الفائدة الثالثة : تزوج النفس وإناسها بالمخالصة والنظر واللابة لإراحة القلب وتقوية له على العبادة فإن النفس ملول وهى عن الحق غور لأنه على خلاف طبيعها فلو كلفت الدائمة بالإكراه على مخالفتها جمحت وثابت وإذا روت بالذات في بعض الأوقات قويت ونشطت وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزال الكرب وروح القلب وينبئني أن يكون لنفوس التقيين استراحات بالمباحات ولذلك قال الله تعالى - ليسكن إليها - وقال على رضى الله عنه روحوا القلوب ساعة فأنها إذا كرهت جمحت وفي الخبر «على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يغلو فيها بعظمه ومشر به فان في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات» (٣) ومثله بلفظ آخر ولا يكون العاقل طاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لماش أولته في غير محرم» (٤) وقال عليه الصلاة والسلام «ولكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت قترته إلى سقى قد اهتدى» (٥) والشرع الجلود الكابدة بحمة وقوة وذلك في ابتداء الآراة والفترة الوقوف للاستراحة وكان أبو الدرداء يقول إنى استنجت نفسى بهى من اللهو لأشقى بذلك فيما بعد على الحق وفي بعض الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال «شكوت إلى جبريل عليه السلام ضئعي عن الوقاع فدلى على المريسة» (٦) وهذا إن صعب العمل له إلا الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تحليه بدفع الشهوة فانه استأثرة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم الأكر من هذا الأنى وقال عليه الصلاة والسلام «حب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة» (٧) فهذه أيضاً فائدة لا ينكرها من جوب إتمام بقية في الأفكار والأذكار وصون الأعمال

(١) حديث أنه قال للحسن بن علي أشبه خلقي وخلقى قلت المعروف أنه قال هذا اللفظ لجعفر بن أبي طالب كما هو متفق عليه من حديث البراء ولكن الحسن أيضاً كان يشبه النبي صلى الله عليه وسلم كما هو متفق عليه من حديث أبي جعيفة والترمذى وصححه وابن حبان من حديث أنس لم يكن أحد أشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن (٢) حديث حسن مني وحسين مني على أحمد من حديث القداد بن معد يكرب بسند جيد (٣) حديث على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يغلو فيها بعظمه ومشر بهى من حديث أبي ذر في حديث طويل أن ذلك في مصنف إبراهيم (٤) حديث لا يكون العاقل طاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لماش أولته في غير محرم من حديث أبي ذر الطويل أن ذلك في مصنف إبراهيم (٥) حديث لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت قترته إلى سقى قد اهتدى أحمد والطبراني من حديث عبدالله بن محرو والترمذى نحو من هذا من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح (٦) حديث شكوت إلى جبريل ضئعي عن الوقاع فدلى على المريسة عد من حديث حذيفة وابن عباس والعتيلي من حديث معاذ وجابر بن سمرة وابن حبان في الضعفاء من حديث حذيفة والأزدي في الضعفاء من حديث أبي هريرة بطرق كلها ضعيفة قال ابن عدى موضوع وقال العتيلى باطل (٧) حديث حب إلى من دنياكم الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة لمن حديث أنس بسند جيد وضعفه العتيلى .

ولان الجدل بين النفس ورد إلى صورة الأعمال وبدوجان الحال ولا يزال دروحنه يجذب إلى الحضرة الإلهية فيستنجع الروح القلب ويستبسع النفس والقالب فاسترجت الأعمال القلبية والقالية وانخرق الظاهر إلى الباطن والباطن إلى الظاهر والقدرة إلى الحكمة والحكمة إلى القدرة والدنيا إلى الآخرة والآخرة إلى الدنيا ويسع له أن يقول لو كشف الغطاء

ما ازدت بيننا فنفد ذلك بطلق من وثاق الحال ويكون مسيطراً على الحال لا الحلال مسيطراً عليه وصبر حراً من كل وجه والشيخ الأول القدى أخذ في طريق المحيين حر من رقى النفس ولكن ربما كان باقياً في رقى القلب وهذا

وهي خارجة عن القادتين السابقتين حتى إنها تطرد في حق المسوح ومن لا شهوة إلا أن هذه الفائدة تجعل للنكاح فضيلة بالإضافة إلى هذه النية وقيل من يقصد بالنكاح ذلك: وأما قصد الولد فوهبه دفع الشهوة وأما ما فهو مما يكثر ثم رب شخص يستأنس بالنظر إلى لقاء الجارية والحفزة وأما ما ولا يحتاج إلى ترويع النفس بمحادة النساء وملاعبتين فيختلف هذا باختلاف الأحوال والأشخاص فلينبه له . الفائدة الرابعة : تفرغ القلب عن تدبير المنزل والتشغل بشغل الطبع والكسب والقرش وتنظيف الأواني وتهئية أسياح البيتة فإن الإنسان لو لم يكن له شهوة الواقع لتعذر عليه العيش في منزله وحده إذ لو تكفل بجميع أشغال المنزل لصاعاً كثراً وقته ولم يتفرغ فعمله والعمل فالمرأة الصالحة المنصرفة للزول عون على الدين بهذه الطريق واختلال هذه الأسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فاتها تفرغك للأخرة وإنما تفرضا بتدبير المنزل ويقضاء الشهوة جميعاً وقال محمد بن كعب القرظي في معنى قوله تعالى - ربنا آتانا في الدنيا حسنة - قال المرأة الصالحة وقال عليه الصلاة والسلام « ليتخذ أحدكم قباشاً كراولساناً ذا كرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته »<sup>(١)</sup> فانظر كيف جمع بينهما وبين الذكر والشكر وفي بعض التفسير في قوله تعالى - فليحبه حياة طيبة - قال الزوجة الصالحة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما أعطى العبد بعد الإيمان بالله خيراً من امرأة صالحة وإن شئني غنيا لا يعجزني منومتي غلا لا يندى منه وقوله لا يعجزني أي لا يتأخر عنه بقاءه وقال عليه الصلاة والسلام « فضلت على آدم محبتين كانت زوجته عوناً له على الصيبة وأزواجاً أعواناً له على الطاعة وكان شيطانه كافراً وشيطاناً مسلماً لا يأمر إلا بخير »<sup>(٢)</sup> فمدحوا بها على الطاعة فضيلة فنهت أضيافاً لله الوابدين بقصد ما الصالحون إلا أنها تخص بعض الأشخاص الذين لا كافلهم ولا مدبر ولا تدعو إلى أمرين بل الجع ربما ينمى العيشة ويضطرب به أمور المنزل ويدخل في هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشيرة وما يحصل من القوة بسبب تدخل انصاف فان ذلك مما يحتاج إليه في دفع الشرور وطلب السلامة لذلك قيل من لا ناصر له ومن وجد من دفع عنه الشرور مسل حله وفرغ قلبه لعبادة فان ذلك مشوش القلب والعز بالكثرة دافع للذل . الفائدة الخامسة : مجاهدة النفس ورياضتها بالزوجة والولاية والقيام بخقوق الآهل والصبر على أخلاقهم واحتال الأذى منهن والسمي وإصلاحهن وإرشادهن إلى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهن والقيام بزييته لأولاده فكل هذه أعمال عظيمة الفضل فإنها رعاية وولاية والأهل والولد رعاية عظيم وإما عجز منها من عجزت خيفة من القصور عن القيام بحقوقها والاهتمام بالزوجة والصلاة والسلام « يوم من وال عادل أفضل من عبادة سبعين سنة » ثم قلل ألا كل شيء راع وكل شيء مسئول عن رعيته »<sup>(٣)</sup> وليس من اشتغل بأصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل

الشيخ في طريق  
المحبين حر من رق  
القلب كاهو حر من رق  
النفس وذلك أن النفس  
حجاب ظلمي أرضى  
أعق منه الأول  
والقلب حجاب نوراني  
مسأوى أعق منه  
الأخر ضرار له بالقلب  
ولوقته لا لوقته فبعد  
الله حقاً وأمن به صدقاً  
ويسجد لله سواده  
وخاله ويؤمن به فؤاده  
ويرى به لسانه كما قال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم في بعض  
سجوده ولا يتخلف  
عن الصلوة منه شعرة  
وتصير عبادته مشاكلة  
لعبادة الملائكة - وقد  
يسجد من في السموات  
والأرض طوعاً وكرهاً  
وظلالهم بالندوة  
والآمال فالقالب هي  
الظلال الساجدة لظلال  
الأرواح القريبة في عالم  
الشهادة الأصل كيف  
والظلال لطيف وفي عالم  
التيب الأصل لطيف  
والظلال كفيف فيسجد

(١) حديث ليتخذ أحدكم قباشاً كراولساناً ذا كرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته ت وحسنه وه واللفظ له من حديث وفيه انقطاع (٢) حديث فضلت على آدم صلى الله عليه وسلم غنيتين كانت زوجته عوناً له على الصيبة وأزواجاً أعواناً له على الطاعة وكان شيطانه كافراً وشيطاناً مسلماً لا يأمر إلا بخير رواء الخطيب في التاريخ من حديث ابن عمر وفيه محمد بن وليد بن أبي أن القلاني قال ابن عدي كان يضع الحديث ولسلم من حديث ابن مسعود ما منك من أحد إلا وقد وكل بمقرينه من الجن قالوا وإياك يا رسول الله قل وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ولا يأمرني إلا بخير (٣) حديث يوم من وال عادل أفضل من عبادة سبعين سنة ثم قال ألا كل شيء راع وكل شيء مسئول عن رعيته طيب وهق من عابد ابن عباس وقد تقدم بلفظ ستين سنة دون مائة منه فانه متفق عليه من حديث ابن عمر .

بإصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الأذى كمن ربه نفسه وأراحها فمأساة الأهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله ولذلك قال بشر فضل عليّ أحمد بن حنبل بثلاث إحداهما أنه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقد قال عليه الصلاة والسلام «ما أتق الله الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر في اللقمة يرفقها إلى في امرأته» (١) وقال بعضهم لبعض العلماء من كل عمل أعطاني الله نصيباً حقه كالحج والجهاد وغيرهما فقال له أين أنت من عمل الأبداء قال وما هو قال كسب الحلال والثقة على العيال وقال ابن المبارك وهو مع إخوانه في القزو تعلمون عملاً أفضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك قال أنا أعلم قالوا فهو قال الرجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فظفر إلى صبيانه نياماً متكسفين فسترهم وعظامهم بثوبه فمضه أفضل مما نحن فيه وقال صلى الله عليه وسلم «من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتصب السليين كان معي في الجنة كهاتين» (٢) وفي حديث آخر «إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال» (٣) وفي الحديث «إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم» العيال ليكفرها عنه (٤) وقال بعض السلف من الذنوب بذنوب لا يكفرها إلا بالتم بالعيال وفيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا بالله بطلب العيشة» (٥) وقال عليه السلام «من كان له ثلاث بنات فأثقف عليهن وأحسن إليهن حقّ يشين الله عنه أوجب الله له الجنة ألبنة ألبنة إلا أن يعمل عملاً لا يغفر له» (٦) كان ابن عباس إذا حدث بهذا قال والله هو من غراب الحديث وغرره وروى أن بعض التصديق كان يحسن القيام على زوجته إلى أن ماتت ففرض عليه التزويج فاستنعى وقال الوحدة أروح قلبي وأجمع لهمي ثم قال رأيت في المنام بعد جمعهم وفاتها كأن أبواب السماء فتحت وكان رجالاً ينزلون ويسرون في الهواء يتبع بعضهم بعضاً فكلموا زله واحد فنظر إلى وقال لمن وراءه هذا هو الشئوم فيقول الآخر نعم ويقول الثالث كذلك ويقول الرابع نعم فنفخت أن أسألهم هبة من ذلك إلى أن مرني آخرهم وكان غلاماً قتلت له بإهدام من هذا الشئوم الذي تؤمنون إليه فقال أنت قتلت ولم ذلك قال كنت أرفع عملي في أعمال المجاهدين في سبيل الله فندجهم أمرت أن تضع عملي مع الخالفين فما تدري ما أحدثت فقال لإخوانه زوجوني زوجوني فلم يكن يفارقه زوجتان أو ثلاث وفي أخبار الأنبياء عليهم السلام أن قوماً دخلوا على بونس النبي عليه السلام فأضافهم فكان يدخل ويخرج إلى منزله خذّذ به امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت فجمعوا من ذلك قال لا تعجبوا فاني سألت الله تعالى وقلت ما أنت تعاقب لي به في الآخرة فصلى لي في الدنيا فقال إن عقوبتك بنت فلان تزوج بها

(١) حديث ما أتق الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر في رقة اللقمة إلى في امرأته من حديث ابن مسعود إذا أتق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة ولهما من حديث سعد ابن أبي وقاص ومما أنفقت فهو لك صدقة حتى اللقمة ترفقها إلى في امرأتك (٢) حديث من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتصب السليين كان معي في الجنة كهاتين أبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري بسند ضعيف (٣) حديث إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال من حديث عمران بن حصين بسند ضعيف (٤) حديث إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها أحمد من حديث عائشة إلا أنه قال بالحزن وفيه لث بن أبي سليم يختلف فيه (٥) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا بالله بطلب العيشة الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية والطحاوي في المعاني من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف (٦) حديث من كان له ثلاث بنات فأثقف عليهن وأحسن إليهن حقّ يشين الله عنه أوجب الله له الجنة ألبنة ألبنة إلا أن يعمل عملاً لا يغفر له الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن عباس بسند ضعيف وهو عنده بلفظ آخر ولا يداود واللفظ له والترمذي من حديث أبي سعيد من قال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة ورجاله ثقات وفي سننه اختلاف .

فزوجت بها وأنا صار على ما روي منها وفي الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب وتحسين الخلق فان للفرد بنفسه أو للشارك لمن حسن خلقه لا ترشح منه خبايا النفس الباطنة ولا تتكشف بواطن عيوبه فيحق على سالك طريق الآخرة أن يجرب نفسه للتعرض لأشغال هذه الحركات واعتياد الصبر عليها لتعتدل أخلاقه وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه والصبر على البلاء مع أن الرياضة ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة في نفسها فهذه أيضا من الفوائد ولكنه لا ينبغي بها إلا أحد رجلين إما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الأخلاق لكونه في بداية الطريق فلا يسهل أن يرى هذا طريقا في المجاهدة وترتاض به نفسه وإما رجل من العابدين ليس له سر بالباطن وحركة بالتفكير والقلب وإنما عمله عمل الجوارح صلاة أو حج أو غيره فضله لأهله وأولاده بسبب الحلال لهم والقبول بزيارته أفضل له من العبادات اللازمة لبدنه التي لا يمتدئ خيرها إلى غيره فأما رجل تهذب الأخلاق إما بقاية في أصل الحلقة أو بمجاهدة سابقة إذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب في العلوم والكشفات فلا ينبغي أن يتزوج لهذا القرض فإن الرياضة هو مكفي فيها وأما العادة في العمل بالكسب فالمعظم أفضل من ذلك لأنه أيضا عمل وفائدة أكثر من ذلك وأعم وأكمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال فهذه فوائد النكاح في الدين التي بها يحكم له بالفضيلة . أما آفات النكاح ثلاث . الأولى : وهي أتواها العجز عن طلب الحلال فإن ذلك لا يتيسر لكل أحد لاسيما في هذه الأوقات مع اضطراب العاشقين فيكون النكاح سببا في التوسع للطلب والاطعام من الحرام وفيه هلاك أهله والتعزب في أمن من ذلك وأما الزوج في الأكثر يدخل في مداخل السوء فينبع هوى وزوجه ويبيع آخرته بديناره وفي الخبر « إن العبد لو وقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال فيسأل عن رعاية عائلته والقيام بهم وعن ماله من أين أكتسبه وفيه أثقه حق يستغرق تلك المطالبات كل أعماله فلا يبق له حسنة فتناهي لللا تسلك هذا الذي أكل عياله حسنته في الدنيا وارتين اليوم بأعماله وقال إن أول ما يتعلق بالرجل في القيامة أهله وولده فيوفونه بين يدي الله تعالى ويقولون يا ربناخذنا بحماتنا فأنما علمنا ما نجهل وكان يعطينا الحرام ونحن لانعلم فيقتس لهم منه <sup>(١)</sup> » وقال بعض السلف إذا أراد الله بعبده شرا سلط عليه في الدنيا أنيابا تنهشه يعني العيال وقال عليه الصلاة والسلام « لا يليق الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله <sup>(٢)</sup> » فهذه آفة عامة قل من يتخاص منها إلا من له مال موروث أو مكتسب من حلال يقي به وبأهله وكان له من القناعة ما يمتنع من الزيادة فإن ذاك يتخلص من هذه الآفة أو من هو محترف ومقتدر على كسب حلال من الباحات باحتطاب أو أضياد أو كان في صناعة لا تتعلق بالباطنين وقدرة على أن يعامل به أهل الخير ومن ظاهره السلامة وغالبها من الحلال وقال ابن سائر رحمه الله وقد سئل عن التزويج فقال هو أفضل في زماننا هذا لمن أدركه شبق غالب مثل الحمار يرى الأنان فلا يتنبه على سئل عن الضرب ولا يملك نفسه فإن ملك نفسه فتركه أولى . الآفة الثانية : التصور عن القيام بمهمته والصبر على أخلاقه واحتال الأذى منه وهذه دون الأولى في المصوم فإن القدرة على هذا أسير من القدرة على الأولى وتحسين الخلق مع النساء والقيام بمحظوظين <sup>(٣)</sup> » هون من طلب الحلال وفي هذا يضاعف لأنه راع ومستول عن رعيته وقال عليه الصلاة والسلام « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول <sup>(٤)</sup> »

(١) حديث إن العبد لو وقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال ويسأل عن رعاية عياله والقيام بهن الحديث لم أقف له على أصل (٢) حديث لا يليق الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي سعيد ولم يجده ولده أبو منصور في مسنده (٣) حديث كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول دن يلفظ من يقوت وهو عدم م بلفظ آخر .

هو مع مراد الحق والحق يعرفه مراده فيكون في الأشياء بمراد الله تعالى لا بمراد نفسه فإن علم أن الله تعالى يريد منه الدخول في صورة محمود دخل فيها لمراد الله تعالى لا لكون الصورة محمود بخلاف الحادام القائم بواجب خدمة عباد الله تعالى .

[ الباب الحادي عشر في شرح حال الحادام ومن يشبه به ]

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام وقال يا داود إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما الخادام يدخل في الخدمة راغباً في الثواب وفيها أعد الله تعالى للعباد ويتصدى لإيصال الراحة ويقرض خاطر القليل على الله تعالى عن مهام معاشهم ويحمل ما يغفله الله تعالى بنية صالحة فالشيخ واقف مع مراد الله تعالى والحادام واقف

وروى أن الحارث من عياله بمنزلة العبد الحارث الآبق لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع إليهم ومن يقصر عن القيام يحقن وإن كان حاضرا فهو بمنزلة هارب فقد قال تعالى - فوالأعشى وأهليكم ناره - أمرا أن بهم النار كافي أنفسنا والآن قد يعجز عن القيام بحق نفسه وإذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضافت إلى نفسه نفس أخرى والنفس أمانة بالسوء إن كثرت كثرا الأمر بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم من التزويج وقال - أنا مبتلى بنفسى وكيف أضيف إليها نفسا أخرى كما قيل -  
لن يسع الفأرة جرحها علفت الكسفى في دبرها

وكذلك اعتذر إبراهيم بن آدم رحمه الله وقال لأعر امرأة بنفسى ولا حاجة لي فبين أى من القيام يحقن - ونحسين - وإنا عاجز عنه وكذلك اعتذر بشر وقال بمعنى من النكاح قوله تعالى - ولهن مثل الذى عليهن - وكان يقول لو كنت أعول دجاجة لحفت أن أصير جلالدا على الجسر ورؤى سفيان بن عيينة رحمه الله على باب السلطان فقيل له ما هذا موقوفك فقال وهل رأيت ذاعبال أفلح وكان سفيان يقول :

يا حبذا العزبة والفتاح ومسكن تحرقه الرياح لا صعب فيه ولا صلب

فهذه آفة عامة أيضا وإن كانت دون عموم الأولى لا يسلم منها إلا حكيم عاقل حسن الأخلاق يصير بمادات النساء صبور على لسانهن وقاف عن اتباع شهواتهن حريص على الوفاء يحقن يتفائل عن زلهن ويدارى بمقله أخلاقهن والأغلب على الناس السفه والفظاظة والجسدة والطغيان وسوء الخلق وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لاحتالة فالوحدة أسلم له . الآفة الثالثة : وهي دون الأولى والثانية أن يكون الأهل والولد شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا له إلى طلب الدنيا وحسن تدبير العيشة للأولاد بكثرة جمع المال وإدخالهم في الفخاخر والتكاثير بهم وكل ما يشغل عن الله من أهل ومال وولد مهمل مشغول على صاحبه ولست أعنى بهذا أن يدعو إلى معطوفات ذلك مما يدرج تحت الآفة الأولى والثانية بل أن يدعو إلى التمتع بالمباح بل إلى الإغراق في ملاعبة النساء وموانستن والامعان في التمتع بهن ويشور من النكاح أنواع من الشواغل من هذا الجنس تستغرق القلب فينبغى الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيها للتفكير في الآخرة والاستعداد لها ولذلك قال إبراهيم بن آدم رحمه الله من تعود أخذ النساء لم يحجى منه شيء وقال أبو سليمان رحمه الله من تزوج فقد ركن إلى الدنيا أى يدعو ذلك إلى الركون إلى الدنيا فهذه مجامع الآفات والقوائد فالحكم على شخص واحد بأن الأفضل له النكاح أو العزوبة مطلقا تصور عن الاحتاط بمجامع هذه الأمور بل تتخذ هذه القوائد والآفات معتبرا وحكما وبمرض المرء عليه نفسه فإن اتفقت في حقه الآفات واجتمعت القوائد بأن كان له مال حلال وخلق حسن وجد في الدين تام لا يشغل النكاح عن الله وهو مع ذلك شاب محتاج إلى تسكين الشهوة ومنفرد محتاج إلى تدبير للزلل والحصن بالعشرة فلا عارى في أن النكاح أفضل له مع ما فيه من السعى في تحصيل الولد فإن اتفقت القوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة أفضل له وإن تقابل الأمران وهو الغالب فيقضى أن غلب على الظن رجحان حفظ تلك القائمة في الزيادة من دينه وحفظ تلك الآفات في التقيصان منه فإذا كان على الظن رجحان أحدهما حكم به وأظهر القوائد الولد وتكوين الشهوة وأظهر الآفات الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله فلا يفرض تقابل هذه الأمور فنقول لم يكن في أذية من الشهوة وكانت فائدة نكاحه في السعى لتحصيل الولد وكانت الآفة الحرام إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله فالعزوبة له أولى فلا خير فيها يشغل عن الله ولا خير في كسب الحرام ولا يبق بقصان هذين الأمرين

مع نيتة فالخادم ينعل  
الشيء لله تعالى والشيخ  
يفعل الشيء لله تعالى والشيخ  
في مقام القربين والخادم  
في مقام الأبرار فيختار  
الخادم البذل والإيثار  
والارتفاق من الأغيار  
للأغيار ووظيفة وقته  
تصديقه لخدمة عباد الله  
وقبه يعرف الفضل  
ويرجع على نواوله  
وأعماله وقد يقم من  
لا يعرف الخادم من  
الشيخ الخادم مقام  
الشيخ وربما جهل  
الخادم أيضا حاله نفسه  
فيحسب نفسه شيئا لعله  
العلم واندراس علوم  
القوم في هذا الزمان  
وقناعة كثير من  
الفقراء من الشايع  
بالقمة دون العلم والحال  
فكل من كان أكثر  
إطعاما هو عندهم أحق  
بالشيخة ولا يعلمون  
أنه خادم وليس بشيخ  
والخادم في مقام حسن  
وحظ صالح من الله  
تعالى . وقدر وما يبدل  
على فضل الخادم فبا

أمر الولد فإن النكاح للولد سمي في طلب حياة للولد موهومة وهذا قصار في الدين ناجز لحفظه لحياة نفسه وموتها عن الهلاك أهم من السعي في الولد وذلك ربح والدين رأس مال وفساد الدين بطلان الحياة الأخروية وذهاب رأس المال ولا تقاوم هذه الفائدة إحدى هاتين الآتين وأما إذا انضاف إلى أمر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس إلى النكاح نظر فإن لم يقو لحجام القوى رأسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح له أولى لأنه متردد بين أن يقتحم الزنا أو يأكل الحرام والكسب الحرام أهون الشرين وإن كان يثق بنفسه أنه لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر عن الحرام فترك النكاح أولى لأن النظر حرام والكسب من غير وجه حرام والكسب يقع دائما وفيه عيبانه وعيبان أهله والنظر يقع أحيانا وهو يخصه وينصرم على قرب والنظر زنا العين ولكن إذا لم يصدقه الفرج فهو إلى الفجوة أقرب من أكل الحرام إلا أن يخاف إفضاء النظر إلى مصيبة الفرج فيرجع ذلك إلى خوف الفتنة وإذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو أن يقوى على غض البصر ولكن لا يقوى على دفع الأفكار الشاغلة للقلب أولى بترك النكاح لأن عمل القلب إلى الفجوة أقرب وإنما يراد فراغ القلب للعبادة ولانتم عبادة مع الكسب الحرام وأكله وإطعامه فهكذا ينبغي أن توزن هذه الآفات بالفوائد وبحكم عيبها ومن أحاط بهذا لم يشك على شيء مما قلنا عن السلف من ترغيب في النكاح مرة ودعوة عنه أخرى إذ ذلك بحسب الأحوال صحيح . فان قلت فمن أمن الآفات فما الأفضل له التخلي لعبادة الله أو النكاح ؟ أقول يجمع بينهما لأن النكاح ليس مانعا من التخلي لعبادة الله من حيث إنه عقد ولكن من حيث الحاجة إلى الكسب فان قدر على الكسب الحلال فالنكاح أيضا أفضل لأن الليل وسائر أوقات النهار يمكن التخلي فيه للعبادة والواظبة على العبادة من غير استراحة غير يمكن فإن فرض كونه مستغرقا للأوقات بالكسب حتى لا يبق له وقت سوى أوقات الكتابة والنوم والأكل وقضاء الحاجة فان كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة إلا بالصلاة النافلة أو الحج وما يجري مجراه من الأعمال البدنية فالنكاح له أفضل لأن في كسب الحلال والقيام بالأهل والسعي في تحصيل الولد والصبر على أحراق النساء أنواعا من العبادات لا يقصر فضلها عن نوافل العبادات وإن كان عبادته بالمع والفقير وسير الباطن والكسب يشوش عليه ذلك فترك النكاح أفضل . فان قلت فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله وإن كان الأفضل التخلي لعبادة الله فلم استكثر رسولنا صلى الله عليه وسلم من الأزواج . فأقول أن الأفضل الجمع بينهما في حق من قدر ومن قوت منته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل ورسولنا عليه السلام أخذ بالقوة وجمع بين فضل العبادة والنكاح ولقد كان مع تسع من النسوة <sup>(١)</sup> متخلياً لعبادة الله وكان قضاء الوطر بالنكاح في حقه غير مانع كما لا يكون قضاء الحاجة في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم عن التدبير حتى يشتغلوا في الظاهر بقضاء الحاجة وقولهم مشغولة بهمهم غير غافلة عن مهماتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلو درجته لا يمنعه أمر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته <sup>(٢)</sup> ومضى سلم مثل هذا الصب لغيره فلا يعد أن يفتر السواقي بالأمير البحر الحظم فلا ينبغي أن يقاس عليه غيره . وأما عيسى صلى الله عليه وسلم فإنه أخذ بالحزم لئلا القوة واحتاط لنفسه ولعل حاله كانت حالة يؤثر فيها الاعتقال بالأهل أو يتعذر

(١) حديث جمعه صلى الله عليه وسلم بين تسع نسوة غ من حديث أنس وله من حديثه أيضا وهن إحدى عشرة (٢) حديث كان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته غ من حديث أنس بأتم سلة لا تؤدب في عائشة فانه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها .

أخبرنا الشيخ أبو زرعة ابن الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر القديسي عن أبيه قال أنا أبو الفضل محمد بن عبد الله القرقي قال حدثنا أبو الحسن محمد ابن الحسين بن داود العلوي قال حدثنا أبو حامد الحافظ قال حدثنا الباس بن محمد الدوري وأبو الأزهر قال حدثنا أبو داود قل ثنا سفيان عن الأوزعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بطعام وهو بمكة الظهران فقال لأبي بكر وعمر كلا قالوا إنا صائمان فقال ارحلا لصاحبيكما اصمعا لصاحبيكما ادنوا فكلوا يعني أنكما صائمنا بالصوم على الخدمة فاحتجنا إلى من يخدمكما فكلوا وادعما أنكما فالخادم يحرس على حيازة الفضل



مهما طلب الحلال أولا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة فأثر التخلي للعبادة وهم أعلم بأسرار أحوالهم وأحكام أعصارهم في طيب اللكسب وأخلاق النساء وما على الناكح من غوائل النكاح وماله فيه ، ومهما كانت الأموال متيسرة حتى يكون النكاح في بسنها أفضل وتركه في بسنها أفضل فحقنا أن نزل أفعال الأنبياء على الأفضل في كل حال والله أعلم .

### ( الباب الثاني في مابراهي حالة القعد من أحوال المرأة وشروط القعد )

أما القعد فأركانها وشروطه لينفذ ويعد الحل أربعة : الأول إذن الولي فإن لم يكن فالسلطان . الثاني رضا المرأة إن كانت ثيبا بالغا أو كانت بكرا بالغا ولكن زوجها غير الأب والجدة . الثالث حضور شاهدين ظاهري العدالة فإن كانا مستورين حكمنا بالانقياد للحاجة . الرابع إيجاب وقبول متصل به بلفظ الإنكاح أو التزويج أو معناها الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج أو الولي أو كليهما . وأما آداب تقديم الحطة مع الولي لا في حال عدة المرأة بل بعد انقضائها إن كانت ممتدة ولا في حال سيق غيره بالحطة إذ نهى عن الحطة على الحطة (١) ومن آداب الحطة قبل النكاح ومنع التحميد بالإيجاب والقبول فيقول الزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجك ابنتي فلانة ويقول الزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق ولكن الصداق معلوما خفيفا والتحמיד قبل الحطة أيضا مستحب . ومن آداب : أن يلقى أمر الزوج إلى سمع الزوجة وإن كانت بكرا فذلك أخرى وأولى بالألفة ولذلك يستحب النظر إليها قبل النكاح فإنه أخرى أن يؤدم بينهما . ومن الآداب إحضار جمع من أهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة ، ومنها أن ينوي بالنكاح إقامة السنة وغض البصر وطب الولد وسائر الموائد التي ذكرناها ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فبصر عمله من أعمال الدنيا ولا يمتنع ذلك هذه الثابتات قرب حتى يوافق الهوى قال عمر بن العزيز رحمه الله إذا وافق الحق الهوى فهو الرشد بالترسيان ولا يستحب أن يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعنا بما ويستحب أن يصدق في السجد وفي شعر شوال قالت عائشة رضي الله عنها تزويجي رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال ويبنى في شوال (٢) . وأما النكحة فيبتدر فيها نوعان : أحدهما للحل . والثاني لطيب للعيشة وحصول المقاصد . النوع الأول ما يتبرؤ منه الله وهو أن تكون خالية عن موانع النكاح والوانع تسعة عشر : الأول أن تكون منكحة للغير . الثاني أن تكون ممتدة للغير سواء كانت عدة وفاة أو طلاق أو وطء شبهة أو كانت في استبراء وطء عن ملك عين . الثالث أن تكون مرتدة عن الدين لجريان كلمة على لسانها من كلمات الكفر . الرابع أن تكون مجوسية . الخامس أن تكون وثنية أو زندقية لا تنسب إلى نبي وكتاب ومنهن المنفقات لمذهب الإبادة فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتقة مذهبا فاسدا يحكم بكفر معتقده . السادس أن تكون كاثية قد دانت بدينهم بعد التبديل أو بعد مبث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليست من نسب إلى إسرائيل فإذا عذمت كلنا الحاصلتين لم يحل نكاحها وإن عذمت النسب فقط ففيه خلاف . السابع أن تكون رقيقة والنالك حرا قادرا على طول الحرية أو غير خائف من العت . الثامن أن تكون كلها أو بعضها مملوكا لنا كع ملك عين . التاسع أن تكون قريبة للزوج

### ( الباب الثاني في مابراهي حالة القعد )

(١) حديث الثبي عن الحطة على الحطة متفق عليه من حديث ابن عمر ولا يختب على حطة خبيثة حتى يترك الحاطب قبله وأذن له (٢) حديث عائشة تزويجي رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال ويبنى في شوال م .

فيوصل بالكسب تارة وبلاستقاقات . والدورزة تارة أخرى . واستجلاب الوقت إلى نفسه تارة لعله أنه قيم بذلك صالح لإيصاله إلى الوقوف عليهم ولا يبالى أن يدخل في كل مدخل لا يذمه الشرع لحيازة الفضل بالحكمة ويرى الشيخ نفوذ البصيرة وقوة العلم أن الاتفاق يحتاج إلى علم تام ومعاملة تخليص النية عن شوائب النفس والشهوة الحفية ولو خلصت نية ما رغبت في ذلك لوجود مراده فيه وحاله ترك الراد وإقامة مراد الحق . أخبرنا أبو زرعة بإجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن حلف بإجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن الحسين بن الحنابل يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجدي يقول سمعت

السرى يقول أعرف طريقاً مختصراً تصدنا إلى الجنة فقلت له تأمروني قال لا تسأل من أحد شيئاً ولا تأخذ من أحد شيئاً ولا يكن معك شيء تعطى منه أحداً شيئاً والحادى يرى أن الخدمة والبدل والإتيار فيقدم الخدمة على النوافل ويرى فضلاً وللخدمة فضل على النافلة التي يأتي بها العبد طالبا لها الثواب غير النافلة التي يتوخى بها صحة حاله مع الله تعالى لوجود فقد قبل وعد . وما يدل على فضل الخدمة على النافلة ما أخبرنا أبو زرعة قال أخبرني والى الحافظ القدسي قال أنا أبو بكر محمد بن أحمد السمار بأصفهان قال أنا إبراهيم بن عبد الله ابن خروشد قال حدثنا الحسين بن إسماعيل الحمالي قال

بأن تكون من أصوله أو أصول أول أصوله أو من كل أصل بعده أصل وأنى لأصول الأمهات والجندات وبفصوله الأولاد والأحفاد وبفصول أول أصوله الإخوة وأولادهم وبأول فصل من كل أصل بعده أصل العمام والحالات دون أولادهن . العاشر : أن تكون محرمة بالزناح ويحرم من الزناح ما يحرم من النسب من الأصول والفصول كاسبق ولكن المهرم خمس رضعات وما دون ذلك لا يحرم . الحادى عشر : المهرم بالمصاهرة وهو أن يكون الناكح قد نكح ابنته أو جدتها أو ملك بعت أو شبه عقد [١] من قبل أو وطئ أو بشبهة في عقد أو وطئ أمها أو إحدى جداتها بعت أو شبه عقد فجرد العقد على المرأة يحرم أمهاتها ولا يحرم فروعها إلا بالوطء أو يكون قد نكحها أبوه أو ابنه قبل . الثاني عشر : أن تكون للكوحة خامسة أى يكون تحت الناكح أربع سواها إما في نفس النكاح أو في عدة الرجعة فإن كانت في عدة بينونة لم تجز الخامسة . الثالث عشر : أن يكون تحت الناكح أختها أو عمها أو خالتها فيكون النكاح جامعا بينهما وكل شخصين بينهما قرابة لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى لم يجز بينهما النكاح فلا يجوز أن يجمع بينهما . الرابع عشر : أن يكون هذا الناكح قد طلقها ثلاثا فهي لا تحل له ما لم يطأها زوج غيره في نكاح صحيح . الخامس عشر : أن يكون الناكح قد لاعنها فاتها تحرم عليه أبداً بعد اللعان . السادس عشر : أن تكون محرمة بحج أو عمره أو كان الزوج كذلك فلا ينفك النكاح إلا بعد تمام التحلل . السابع عشر : أن تكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ . الثامن عشر : أن تكون بنتمة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ . التاسع عشر : أن تكون من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن توفي عنها أو دخلها فانهن أمهات المؤمنين وذلك لا يوجد في زماننا ففهمى الوانع المهرمة . أما الحاصل الطبية للعيش التي لابد من مراعاتها في المرأة ليديم العقد وتتوفر مقاصده ثمانية : الدين والخلق والحسن وخفة النهر والولادة والبكارة والنسب وأن لا تكون رابقة . الأولى أن تكون سالجة ذات دين فهذا هو الأصل وبه يبنى أن يقع الاعتناء فاتها إن كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفوجها أرزت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وشوشت باليرة قلبه وتنقص بذلك عيشه فإن سلك سبيل الحلية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة وإن سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدنيه وعرضه ومنسوبا إلى قلة الحلية والأئمة وإذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها أشد إذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ويكون كالتى جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله إن لى امرأة لاترد يد لاس قال طلقها فقال لى أحبها قال أمسكها <sup>(١)</sup> وإنا أمره بإسكانها خوفاً عليه بأنه إذا طلقها أنبها نفسه وفسد هو أيضاً معها فرأى ما فى دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه أولى وإن كانت فاحدة الدين باستهلاك ماله أو بوجبه آخر لم يزل العيش مشوشا معه فإن سكت ولم ينكره كان شريكا في المصيبة فخالفا لقوله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا وإن أنكرت وخاضع للنعم والنعم ولهذا بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في التحريض على ذات الدين فقال « تنكح المرأة لما لها وجمالها وحسبها »

(١) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن لى امرأة لاترد يد لاس قال طلقها الحديث د ن من حديث ابن عباس قال ن ليس بثابت والمرسل أولى بالصواب وقال أحمد حديث منكروا وذكره ابن الجوزى في الموضوعات .

[١] قوله أو ملك بعت أو شبه عقد ليس بنسخة الشارح وهو الصواب لأن الملك ليس من المحرمات اه .

وديتها فضلك بذات الدين تربت يداك<sup>(١)</sup> وفي حديث آخر «من نسك المرأة لخالها وجمالها حرم جمالها وخالها ومن نسكها لبيتها رزقه الله مالها وجمالها<sup>(٢)</sup>» وقال صلى الله عليه وسلم «لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يربدها ولا لخالها فلعل مالها يبطئها وانكح المرأة لبيتها<sup>(٣)</sup>» وإنما بالغ في الحديث على الدين لأن مثل هذه المرأة تكون عوناً على الدين فأما إذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له . الثانية حسن الخلق وذلك أصل مهم في طلب القرعة والاستئمان على الدين فإنها إذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كافرة القلم كان الضرر منها أكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يتحتم به الأولياء قال بعض العرب : لا تنكحوا من النساء مثلاً نائلاً ولا مثناً ولا خائناً ولا تنكحوا أحداً قولا راقوا ولا عداقة . أما الأمانة فهي التي تكرأ الأئين والشكوى وتصيب رأسها كل ساعة فنكاح المرامنة أو نكاح المبارة لا خير فيه ، ولئانة التي تمنى في زوجها أقول ضلت لأجل كذا وكذا ، والحنانة التي تمنى إلى كل شيء بمحدثا فتشبهه وتكلف الزوج شراره ؛ والبراقة تحتمل معنيين أحدهما أن تكون طول النهار في تصفيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق يحصل بالصنع والثاني أن تنضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها وتستقل نصيبا من كل شيء وهذه لغة غانية يقولون رقت المرأة وبرق الصبي الطعام إذا غضب عنه ، والشدة للشفقة الكثيرة الكلام ومنه قوله عليه السلام « إن الله تعالى يفيض الثرائين للتشدين<sup>(٤)</sup> » وحكي أن السائح الأزدي لقي إلياس عليه السلام في سياحته فأمره بالزوج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح أربما المختلة والبارية والماهرة والناشر ، فأما المختلة فهي التي تطلب الخلق كل ساعة من غريب سب ، والبارية الباهية يثيرها للفاخرة بأسباب الدنيا ، والماهرة الفاسقة التي تعرف تحليل وخدن وهي التي قال الله تعالى - ولا تمتدأخذن أخدامن - والناشر التي تعمل على زوجها بالفعال والقتال والنشر العالي من الأرض ، وكان على رضى الله عنه يقول : شر خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فان للمرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها وإذا كانت مزهوة استكتفت أن تنكح كل أحد بكلام لين مرعب وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها وابتغت مواضع التهمة خيفة من زوجها فهذه الحكايات ترد إلى جماع الأخلاق المطلوبة في النكاح . الثالثة حسن الوجه فذلك أيضا مطلوب إذ به يحصل التحسن والطبع لا يكتفى بالدمية غالباً كيف والغالب أن حسن الخلق والخلق لا يفتقران وما نقتلهما من الحث على الدين وأن المرأة لا تنكح لجمالها ليس أجراء عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفساد في الدين فان الجمال وحده في غالب الأمر يرغب في النكاح ويهون أمر الدين ويدل على الالتفات إلى

(١) حديث تنكح المرأة لخالها وجمالها وحسبها وديتها فضلك بذات الدين متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث من نسك المرأة لخالها وجمالها حرم جمالها وخالها الحديث الطبراني الأوسط من حديث أنس من تزوج امرأة لزهوا لم يرده الله إلا ذلاً ومن تزوجها لمالها لم يرده الله إلا فقراً ومن تزوجها لحسبها لم يرده الله إلا دناءة ومن تزوج امرأة لم يردها إلا أن يرضى بصره ويحسن فرجه أو يصل رحمه بآرك الله له فيها وبارك لها فيه ورواه حب في الضعفاء (٣) حديث لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يربدها . من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٤) حديث إن الله يفيض الثرائين للتشدين وحسنه من حديث جابر وإن أبيضك إلى وأبعدكم من يوم القيامة الثرائون والمتشدين والتقيون . ولأبي داود والترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن عمرو إن الله يفيض البغي من الرجال الذي يتخلل بلسانه فخل البقرة بلسانها .

تأ أبو السائب قال  
تأ أبو معاوية قال  
تأ عاصم عن مورو  
عن أنس قال كنا مع  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فبنا الصائم  
ومنا للقطر فزنا منزلاً  
في يوم حار شديد  
الحر فبنا من يتقى  
الشمس يسه  
وأكثرنا ظلاً صاحب  
الكساء يستظل به  
فنام الصائمون وقام  
القطرون فضربوا  
الأبيية وسقوا الركاب  
فقال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم « ذهب  
للقطرون اليوم بالأجر »  
وهذا حديث يدل على  
فضل الخدمة على النافة  
والحادم له مقام عزيز  
يرغب فيه فأما من  
لم يعرف تخليص النية  
من شوائب النفس  
ويتشبه بالحادم  
وتصدى لخدمة  
الفقراء ويدخل في  
مدخل الحدام يحسن  
الإرادة بطلب التآسي  
بالحدام فتصكون

مضى الجالان ألف ولودة تحصل به غالبا وقد ندب التبرع إلى مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب النظر قال « إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فلينظر إليها فانه أخرى أن يؤدم بينهما <sup>(١)</sup> » أي يؤلف بينهما من وقوع الألفة على الألفة وهي الجملة الباطنة والجملة الظاهرة وإنما ذكر ذلك للبالغة في الاتلاف وقال عليه الصلاة والسلام « إن في أعين الأنصار شيئا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن <sup>(٢)</sup> » قيل كان في أعينهن عشم وقيل صغر وكان بعض الورعين لا يتكهنون كراهم إلا بعد النظر احترازا من الضرر وقال الأعمش كل تزويج يقع فيه نظر فآخره ثم وغم ومعلوم أن النظر لا يعرف الحلق والدين واللال وإنما يعرف الجال من الصريح وروى أن رجلا تزوج على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فحصل خضابه فاستمدى عليه أهل المرأة إلى عمر وقالوا حسنة شابا فأوجسه عمر خربا وقال غرت القوم وروى أن بلالا وصيا أي أهل بيت من العرب غلبا إليهم قيل لهما من أين قال بلال أنا بلال وهذا أخى صيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فأعقنا الله وكنا عاتلين فأعطانا الله فان زوجونا فالجده وإن تردونا فحيانا الله قالوا بل زوجان والجده قال صيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسواقنا مع رسول الله ﷺ قال استقد صدقت فأستحكك الصدق ، والفرور يقع في الجال والحلق جميعا فيستحب إزالة الفرور في الجال بالنظر وفي الحلق بالوصف والاحتياط فينبغي أن يقدم ذلك على التكلم ولا يوصف في أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن ولا يميل إليها فيفرط في التثناء ولا يحسدوا فيقصروا فالطباع ماثلة في مبادئ التكلم ووصف للتكلمات إلى الإفراط والتفريط وقتل من يصدق فيه ويقصد به الحداد والأغراء أغلب والأحاطة فيه مهم لمن غشى على نفسه التتوفع إلى غير زوجته . فأما من أراد من الزوجة مجرد السنة أو الولد أو تقدير الثلث فلو رغب عن الجال فهو إلى الزهدة أقرب لأنه في الجلة كال من الدنيا وإن كان قديما على الدين في حق بعض الأشخاص قال أبو سليمان الفارسي الزهد في كل شيء حتى في المرأة يتزوج الرجل المجوز إشارا للزهد في الدنيا وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول يترك أحدكم أن يتزوج بريمة فيؤجر فيها إن أطعمها وكساه تكون خفيفة اللثة ترضى باليسر ويتزوج بنت فلان وفلان ببنات الدنيا فتشبهن عليه الشهوات وتحول كسئ كذا وكذا واختار أحمد بن حنبل عودا على أحبها وكانت أحبها جميلة فسال من أعقلها قيل العوداء قال تزوجوني إياها فهذا دأب من يقصد التمتع ، فأما من لا يأمن على دينه مالم يكن له مستمتع فليطلب الجال فالتلذذ بالباح حسن للدين . وقد قيل إذا كانت المرأة حسنة خيرة الأخلاق سودة الحدة والشعر الكبيرة العين يضاء اللون محبة زوجها قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين فإن الله تعالى وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة <sup>(٣)</sup> قوله - خيرات حسان - أراد بالخيرات حسنات الأخلاق وفي قوله - قاصرات الطرف - وفي قوله - عربا آرابا - العروب هي العاشقة تزوجها المشتية للوقوع به ثم اللذة والحور البياض والحوراء شديدة البياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر والبياض الواسمة العين . وقال عليه الصلاة والسلام « خير نسائكم من إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب

خمنته مشوية منها ما يصيب فيها موضع إيمانه وحسن إرادته في خدمة القوم ومنها ما لا يصيب فيها لما فيه من مزج الهوى فيضع الشيء في غير موضعه وقد يخدم جهواه في بعض تصاريفه ويخدم من لا يستحق الخدمة في بعض أوقاته ويجب الخدمة والتناء من الحلق مع ما يجب من التوابور ما الله تعالى وزجها خدم قلبياء وربما امتنع من الخدمة لوجود هوى يغامره في حق من يلقاه بغيره ولا يراعى واجب الخدمة في طرف الرضا والتضبط لانحراف مزاج قلبه بوجود الهوى والحامد لا يتبع الهوى في الخدمة في الرضا والتضبط ولا يأخذ في الله لومة لائم ويضع الشيء موضعه فلاذن الشخص الذي وصفناه آثما متخامد وليس بخامد ولا يميز بين

(١) حديث إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فلينظر إليها فانه أخرى أن يؤدم بينهما ابن ماجه بسد متيف من حديث أحمد بن مسleme دون قوله فانه أخرى ولترمذى وحسنه والنسائي وابن ماجه من حديث الثوري بن شعبة أنه خطب امرأة قال النبي صلى الله عليه وسلم انظر إليها فانه أخرى أن يؤدم بينهما (٢) حديث إن في أعين الأنصار شيئا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن مسلم من حديث أبي هريرة نحوه .

عنها حفظه في نفسها وماله<sup>(١)</sup> ، وإعنايس بالنظر إليها إذا كانت عمة للزوج . الرأة أن تكون خفيفة الهر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا<sup>(٢)</sup> » وقد نهى عن المبالاة في الهر<sup>(٣)</sup> تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحيده وجرة ووسادة من آدم حشوها ليف<sup>(٤)</sup> ، وأولم على بعض نسائه بمدن من شعير<sup>(٥)</sup> وعلى أخرى بمدن من تمر ومدن من سويق<sup>(٦)</sup> ، وكان عمر رضى الله عنه بنى عن المبالاة في الصداق ويقول متزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بانه بأكثر من أربعمائة درهم<sup>(٧)</sup> ولو كانت للمبالاة بهور النساء مكربة لسبق إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تزوج بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم<sup>(٨)</sup> وزوج سعيد بن السلب ابنته من أبي هريرة رضى الله عنه على درهمين ثم حملها هو إليه فلا فادخلها هو من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة أيام فسلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج عن خلاف العلماء فلا بأس وفي الخبر « من بركة الرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها » أى الولادة ويسر مهرها<sup>(٩)</sup> وقال أيضا « أبركهن أقلهن مهرا<sup>(١٠)</sup> » وكانت المبالاة في الهر من جهة للرأة

(١) حديث غير ناسك القى إذا نظر إليها زوجها سرته وإن أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله للناسى من حديث أبي هريرة نحوه بسند صحيح وقال ولا تغافل في نفسها ولا ملها وعند أحمد في نفسها وماله ولأبي داود نحوه من حديث ابن عباس بسند صحيح (٢) حديث غير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا ابن حبان من حديث ابن عباس خيره من أبيه من صداق وله من حديث عائشة من بين الرأة تسهيل أمرها وقلة صداقها وروى أبو عمر التوقانى في كتاب معاشرته الأهلى إن أعظم النساء بركة أصبحن وجوها وأقلهن مهرا وصححه (٣) حديث الهى عن المبالاة في الهر أصحاب السنن الأربعة موقوفا على عمر وصححه الترمذى (٤) حديث تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحيده وجرة ووسادة من آدم حشوها ليف أبو داود الطيالسى والبخارى والزائر من حديث أنس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة على متاع بيت قيمته عشرة دراهم قال الزائر ورأته في موضع آخر تزوجها على متاع بيت ورعى قيمته أربعون درهما ورواه الطبرانى في الأوسط من حديث أبي سعيد وكلاهما ضعيف ولأحمد من حديث على لما تزوجه فاطمة بث معها بمخيلة ووسادة آدم حشوها ليف ورحلين وسقاء وجريتين ورواه الحاكم وصححه إسناده وابن حبان مختصرا (٥) حديث أولم على بعض نسائه بمدن من شعير البخارى من حديث عائشة (٦) حديث وأولم على أخرى بمدى تمر ومدى سويق الأربعة من حديث أنس أولم على صفية بسويق وتمر وسلم فعمل الرجل بحجى بفضل التمر وفصل السويق وفى الصحيحين التمر والأفط والسمن وليس فى شئ من الأصول تفيد المد واللسوق بمدن (٧) حديث كان عمر بنى عن المبالاة ويقول متزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بانه بأكثر من أربعمائة درهم الأربعة من حديث عمر قال الترمذى حسن صحيح (٨) حديث تزوج بعض أصحاب الهى صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم متفق عليه من حديث أنس أن عبد الرحمن بن عوف تزوج على ذلك وتزوجها بخمسة دراهم رواه البيهقى (٩) حديث من بركة الرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها أى الولادة وتيسر مهرها أحمد والبيهقى من حديث عائشة من بين الرأة أن تيسر خطبتها وأن يتيسر صداقها وأن يتيسر رحمها قال عروة يعنى الولادة وإسناده جيد (١٠) حديث أبركهن أقلهن مهرا أبو عمر التوقانى في معاشرته الأهلى من حديث عائشة إن أعظم النساء بركة أصبحن وجوها وأقلهن مهرا وقد تقدم مهرا ولأحمد والبيهقى أن أعظم النساء بركة أصبحن

الحامد وللخادم لإامن له علم صحة الثبات وتخليصا من شوائب الهوى وللخادم التجيب يبلغ ثواب الحامد في كثير من تصاريحه ولا يبلغ رتبته لتخلفه عن حاله بوجود مزج هواه وأما من أقيم لخدمة الفقراء بتسليم وقت إليه أو توفير رفق عليه وهو يخدم لئال يصبه أو حظ عاجل يدرك فهو في الخدمة لنفسه لالبره فلاواقطع رفق ماخدم وربما استخدم من خدم فهو مع حظ نفسه يخدم من خدمه ويحتاج إليه في المحافل يتكثربه ويقم به جاء نفسه بكرة الأتباع والأشباع فهو خادم هواه وطالب دنياه يحرص نهاره وليله في تحصيل ما يطمح به جاهد ورضى نفسه وأهله وولده فيقتسع في الدنيا ويتزنا بغير زى الخدام والفقراء وتنتشر نفسه

فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل ولا ينبغي أن ينكح طمعا في المال قال الثوري إذا تزوج وقال أي شيء للمرأة فاعلم أنه ليس وإذا أهدى إليهم فلا ينبغي أن يهدى ليضطرم إلى العاقبة بأكثر منه وكذلك إذا أهدوا إليه فنية طلب الزيادة نية فاسدة فأما التهادي فستحب وهو سبب الودة قال عليه السلام «تهادوا تحابوا» (١) «وأما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى - ولا تبنن - تستكثر - أي تطلبي لتطلب أكثر وتحت قوله تعالى - وما آتيتن من ربنا ليربو في أموال الناس - فإن الربا هو الزيادة وهذا طلب زيادة في الجملة وإن لم يكن في الأموال الربوية فكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح يشبه التجارة والتمار ويسد مقاعد النكاح . الخامسة أن تكون المرأة ولودا فإن عرفت بالعقر فليمتنع عن تزوجها قال عليه السلام «عليكم بالولود الودود» (٢) «فإن لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فإرأى صحتها وشبابها فإنها تكون ولودا في الغالب مع هذين الوصفين . السادسة أن تكون بكرًا قال عليه السلام لجابر وقد نكح ثيبا «هلا بكراتلعبها وتلاعبك» (٣) «وفي البكرات ثلاث فوائد إحداها أن تحب الزوج وتأنقه فيؤثر في معنى الولد وقد قال عليه السلام «عليكم بالودود» والطابع عجيبة على الأنس بأول ما لوف. وأما التي اختبرت الرجال ومارست الأحوال فربما لاترضى بعض الأوصاف التي تخالف ماقلته فتقتل الزوج .

الثانية أن ذلك أكل في مودته لها فإن الطبع ينفر عن الغمسة غير الزوج نفرة ما وذلك يقتل على الطبع مهادب ذكر وبعض الطابع في هذا أشد نفورا . الثالثة أنها لا تمنع إلى الزوج الأول وآ كدالحب مايقع مع الحبيب الأول غالبا : السابعة أن تكون نسية أعني أن تكون من أهل بيت الدين والصالح فإنها تسمى بنتها وبنيها فإذا أتتكن مؤدبة لمحسن التأديب والترية وذلك قال عليه السلام «إياكم وخضراء الدين فقيل ما خضراء الدين قال لراثة الحسناء في الثلبت السوء» (٤) «وقال عليه السلام» تخبروا لنطقكم فإن العرق نزاع» (٥) . الثامنة أن لا تكون من القرابة القريبة فإن ذلك يقتل الشهوة قال صلى الله عليه وسلم «لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويلا» أي نحيفا وذلك تأثيره في تضعيف الشهوة فإن الشهوة إنما تنبت بقوة الاحساس بالنظر واللمس وإنما يقوى الاحساس بالأمر القريب الجديد فأما المهور الذي دام النظر إليه مدة فإنه يضعف الحس عن تمام إدراكه والتأثر به ولا تنبت فيه الشهوة فهذه هي الحصال المرغوبة في النساء ويجب على الولي أيضا أن يرأى خصال الزوج ولينظر لشكرته فلا يزوجه ممن ساء خلقه أو خلقه أضعف دينه أو قصر عن القيام بحتها أو كان لا يكاشها صدقا وإسناده جيد (١) حديث تهادوا تحابوا البخاري في كتاب الأدب المفرد والبيهقي من حديث أبي هريرة بسند جيد (٢) حديث عليكم بالودود الولود أبو داود والنسائي من حديث معقل بن يسار تزوجوا الودود الولود وإسناده صحيح (٣) حديث قال جابر وقد نكح ثيبا هلا بكراتلعبها وتلاعبك متفق عليه من حديث جابر (٤) حديث إياكم وخضراء الدين فقيل وما خضراء الدين قال المرأة الحسناء في الثلبت السوء الدارقطني في الأفراد والرامهرمزي في الأمثال من حديث أبي سعيد الخدري قال الدارقطني نفرد به الواقدي وهو ضعيف (٥) حديث تخبروا لنطقكم فإن العرق حساس ابن ماجه من حديث عائشة مختصرا دون قوله فإن العرق دساس وروى أبو موسى النخعي في كتاب تضعيم العمر والأيام من حديث ابن عمر وانظر في أي نصاب تقع ولذك فإن العرق دساس وكلاهما ضعيف .

(٦) حديث لا تنكحوا القرابة فإن الولد يخلق ضاويلا قال ابن الصلاح لم أجده لأصلا مستمدا . قلت إنما يعرف من قول عمر إنه قال لآل السائب قد أضوبنم فأنكحوا في النوابيع رواه إبراهيم الحنظلي في غريب الحديث وقال معناه تزوجوا الغرائب قال ويقال أعربوا ولا تنكحوا .

يطلب المحظوظ ويستولى عليه حب الرياضة وكلما كثرت موارده واستطاع على الفقراء ومحج الفقراء إلى التعلق للفرط له تطلبا لرضاء ونوقا لضيعة ويسبله عليهم بقطع مايتوهم من الوقف فهذا أحسن حاله أن يسمى مستخدما فليس بخادم ولا مستخدوم مع ذلك كله ربما نال برصهم باختياره خدمتهم على خدمة غيرهم وباتائه إليهم وقد أوردنا الخبر للسند الذي لا يشي بههم فليسمع وأفاد الوقوف

ولفين .  
[الباب الثاني عشر  
في شرح خرفة الشايع  
الصوفية]

لبس الحرفة ارتباط بين الشيخ وبين الرشد وتحكم من الرشد للشيخ في نفسه والتحكم سائق في التمرع لصالح دنيوية

في نسبا قال عليه السلام « النكاح رقي فليظفر أحدكم أين يضع كريمة <sup>(١)</sup> » والاحتياط في حقها أم لأنها رقيقة بالنكاح لا غاص لها والزوج قادر على الطلاق بكل حال ومهما زوج ابنته ظالما أو فاسقا أو مبتدعا أو شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فمن أزوجه؟ قال من يتقى الله فإن أحبا أكرمها وإن أبغضا لم يظلمها وقال عليه السلام « من زوج كريمة من فاسق فقد قطع رحمها <sup>(٢)</sup> » .

الباب الثالث : في آداب العاشرة وما جرى في دوام النكاح والنظر فلما على الزواج ولبا على الزوجة . أما : الزوج فعليه سماع الاعتدال والأدب في اثني عشر أمرا في الولية والعاشرة والنعابة والسياسة والغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتأديب في النشوز والوقاع والولادة والمفارقة بالطلاق . الأدب الأول الولية وهي مستحبة قال أنس رضي الله عنه « رأى رسول الله ﷺ على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أثر صفرة فقال ماهذا فقال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أولم ولو بشاة <sup>(٣)</sup> » وأول رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفيه بتمر وسويق <sup>(٤)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « طعام أول يوم قوم وطعام الثاني سنة وطعام الثالث مائة ومن مع مع الله به <sup>(٥)</sup> » ولم يرفعه إلا زياد ابن عبد الله وهو غريب وتستحب تهنته فيقول من دخل على الزوج : بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير <sup>(٦)</sup> وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام أمر بذلك ويستحب إظهار النكاح قال عليه السلام « فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت <sup>(٧)</sup> » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعلنوا هذا النكاح واجملوه في الساجد واضربوا عليه بالدفوف <sup>(٨)</sup> » وعن الربيع بنت معوذ قالت « جاء رسول الله ﷺ فدخل على غداة بني بن جلاس على فرائث وجوريات لنا يضرن بدفهن ويندن من قتل من آبائى إلى أن قالت إحداهن \* ففينا بنى يعلم ما في غد \* فقال لها اسكتي عن هذه وقولي الذي كنت تقولين قبلها <sup>(٩)</sup> » . الأدب الثاني : حسن الخلق معهن

(١) حديث النكاح رقي فليظفر أحدكم أين يضع كريمة رواه أبو عمر التوفاني في معايشرة الأهلين موقوفا على عائشة وأمام ابن أبي بكر . قال البيهقي وروى ذلك مرفوعا والوقوف أصح (٢) حديث من زوج كريمة من فاسق فقد قطع رحمها ابن حبان في الضعفاء من حديث أنس ورواه في الثنات من قول الشعبي بإسناد صحيح .

### ( الباب الثالث في آداب العاشرة )

(٣) حديث أنس رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف أثر الصفرة فقال ماهذا قال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أولم ولو بشاة متفق عليه (٤) حديث أولم على صفيه بسويق وتمر الأربعة من حديث أنس ولمسلم نحوه وقد تقدم (٥) حديث طعام أول يوم قوم وطعام الثاني سنة وطعام الثالث مائة ومن مع مع الله به قال الصنف لم يرفعه إلا زياد بن عبد الله قلت هكذا قال الترمذي بعد أن أخرجه من حديث ابن مسعود وضعفه (٦) حديث أنى هريرة في تهنة الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه وتقدم في الدعوات (٧) حديث فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث محمد بن حاطب (٨) حديث أعلنوا هذا النكاح واجملوه في الساجد واضربوا عليه بالدف الترمذي من حديث عائشة وحسنه وضعفه البيهقي (٩) حديث الربيع بنت معوذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على غداة بني بن جلاس على فرائث وجوريات لنا يضرن بدفوفهن الحديث رواه البخاري وقال يوم بدر وقع في بعض نسخ الإحياء يوم بعث وهو وم .

لماذا ينكر النكاح  
لبس الحرقه على طابع  
صادق في طلبه يتنص  
شبحا بحسن ظن  
وعقيد يحكمه في نفسه  
لصالح دينه يرشده  
ويهديه ويعرفه طريق  
للواجيد ويهيمه  
بآفات النفوس وفساد  
الأعمال ومداخل  
العدو فيسلم نفسه  
إليه ويستلم رأيه  
واستصوابه في جميع  
تصاريه فيلبسه الحرقه  
إظهارا للتصرف فيه  
فيكون لبس الحرقه  
علامة التفويض  
وال تسليم ودخوله في  
حكم الشيخ دخوله  
في حكم الله وحكم رسوله  
وإحياء سنة البايعة  
مع رسول الله صلى الله  
عليه وسلم . أخرينا  
أبوزرع قال أخرينا  
والذي الحافظ المقدسي  
قال أنا أبو الحسين  
أحمد بن محمد الزائر  
قال أنا أحمد بن محمد  
أخي يسمي قال ثنا يحيى  
ابن محمد بن ساعد

واحتال الأذى منهن ربحا عليهن لقصور عقولهن. قال الله تعالى - وعاشروهن بالمعروف - وقال في تعظيم حقهن - وأخذن منك ميثاقا غليظا - وقال - والصاحب الجنب - قيل هي المرأة وآخر ما وصي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلج لسانه وخفي كلامه جعل يقول: الصلاة الصلاة ومملكت أيمانكم لا تكفونهم مالا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان في أيديكم يعني أسراهم أخذتوهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله (١) وقال عليه السلام «من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ومن صبر على سوء خلق زوجها أعطاه الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون (٢) . واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كلف الأذى عنها بل احتال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت أزواجه راجعته الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل (٣) وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام فقال أترأينني بالكساء قالت إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعته وهو خير منك (٤) قال عمر خابت خصمة وخشيت إن راجعته ثم قال لخصمة لا تتري بأينة ابن أبي عتبة فاتها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة وروى أنه دفعت إحداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزرتها أمها فقال عليه السلام دعها فانهن يصنعن أكثر من ذلك (٥) وجري بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلها بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكاه واستشهده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تسكين أو أنسكهم قالت بل تكلم أنت ولا تغل إلا حقا فطمها أبو بكر حتى دعى فوها وقاك باعديتها نفسها أو يقول غير الحق فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا (٦) وقالت له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي ترعهم أنك نبى الله تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتدل ذلك حفا وكرا (٧)

(١) حديث آخر ما وصي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلج لسانه وخفي كلامه جعل يقول الصلاة ومملكت أيمانكم لا تكفونهم مالا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان عنكم الحديث النسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الموت جعل يقول الصلاة ومملكت أيمانكم فما زال يقولها وما تبقيش بها لسانه وأما الوصية بالنساء فالمعروف أن ذلك كان في حجة الوداع رواء مسلم من حديث جابر الطويل وفيه فالتقوا الله في النساء فانكم أخذتوهن بأمانة الله الحديث (٢) حديث من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث كان أزواجه صلى الله عليه وسلم راجعته الحديث وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل متفق عليه من حديث عمر في الحديث الطويل في قوله تعالى - فان نظاها ر عليه - (٤) حديث وراجعت امرأة عمر عمر في الكلام فقال أترأينني بالكساء قالت إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعته وهو خير منك الحديث هو الحديث الذي قبله وليس فيه قوله بالكساء ولا قولها هو خير منك (٥) حديث دفعت إحداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزرتها أمها فقال صلى الله عليه وسلم دعها فانهن يصنعن أكثر من ذلك لم أقف له على أصل (٦) حديث جرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخل بينهما أبا بكر حكاه الحديث الطبراني في الأوسط والخطيب في التاريخ من حديث عائشة بسند ضعيف (٧) حديث قال له عائشة مرة غضبت عنده وأنت الذي ترعهم أنك نبى تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو يعلى في مسنده وأبو الشيخ في كتاب الأمثال من حديث عائشة وفيه ابن إسحاق وقد عننه .

قال ثنا عمرو بن علي  
ابن حفظة قال سمعت  
عبد الوهاب الثقفي  
يقول سمعت يحيى  
ابن سعيد يقول حدثني  
عبادة بن الوليد بن  
عبادة بن الصامت قال  
أخبرني أبي عن أبيه  
قال « يا سارسول الله  
صلى الله عليه وسلم على  
السمع والطاعة في  
الصبر والبسر والنشاط  
والسكينة وأن لا تنازع  
الأمر أهله وأن تقول  
بالحق حيث كنا ولا  
تخاف في القلومة لأنهم

في الحرقه معنى اللباية  
والحرقة عتية الدخول  
في الصعبة والقصود  
الكلية هو الصعبة  
وبالصعبة ربحي للريد  
كل خير . وروى عن  
أبي زيد أنه قال لم  
يكن له أستاذ فإمامه  
الشیطان . وحكى  
الأستاذ أبو القاسم  
القشيري عن شيخه  
أبي علي الدقاق أنه قال  
الشجرة إذا بنت  
بنفسها من غير غارس



وكان يقول لها إني لأعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه ؟ قال إذا رضيت قلت لا وإله محمد وإذا غضبت قلت لا وإله إبراهيم قالت صدقت إنما أجهز أمرك <sup>(١)</sup> ويقال إن أول حب وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها <sup>(٢)</sup> وكان يقول لها كنت لك كأي زرع لأم زرع غير أني لأطلقك <sup>(٣)</sup> وكان يقول لنسائه « لا تؤذوني في عائشة فانه والله ما تزال علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكبن غيرها <sup>(٤)</sup> » وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان <sup>(٥)</sup> . الثالث أن يزيد على احتمال الأذى بالمداغة والريح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن وينزل إلى درجات غولهن في الأعمال والأخلاق حتى روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يسابق عائشة في العدو فسبقته يوما وسبقها في بعض الأيام فقال عليه السلام هذه بتلك <sup>(٦)</sup> وفي الخبر أنه كان صلى الله عليه وسلم من أفكها الناس مع نسائه <sup>(٧)</sup> وقالت عائشة رضي الله عنها « سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله ﷺ أحبين أن ترى لهم ؟ قالت قلت نعم فأرسل إليهم فجاءوا وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوض كفهما في الباب ومديدهم ووجنت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حبك وأقول أسكت مرتين أو ثلاثا ثم قال يا عائشة حبك قلت نعم فأشار إليهم فأنصرفوا <sup>(٨)</sup> » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكل للؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألقهم بأهل <sup>(٩)</sup> » وقال عليه السلام « خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي <sup>(١٠)</sup> »

(١) حديث كان يقول لعائشة إني لأعرف غضبك من رضاك الحديث متفق عليه في حديثنا .  
(٢) حديث أول حب وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم عائشة الشبان من حديث عمرو بن العاص أنه قال أي الناس أحب إليك يا رسول الله قال عائشة الحديث وأما كونه أول حب فرواه ابن الجوزي في اللوزعات من حديث أنس ولعله أراد بالبدنية كما في الحديث الآخر أن ابن الزبير أول مولود ولد في الإسلام يريد بالبدنية وإلا فحجة التي صلى الله عليه وسلم لحديجة أمر معروف يشهد له الأحاديث الصحيحة (٣) حديث كان يقول لعائشة كنت لك كأي زرع لأم زرع غير أني لأطلقك متفق عليه من حديث عائشة دون الاستثناء ورواه هذه الزيادة الزبير بن بكار والمحيط (٤) حديث لا تؤذوني في عائشة فانه والله ما أنزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكبن غيرها البخاري من حديث عائشة (٥) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان مثل لفظ ما رأيت أحداً كان أرحم بالبيات من رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد على ابن عبد العزيز والبغوي والصبيان (٦) حديث سابقته صلى الله عليه وسلم لعائشة فسبقته ثم سبقها وقال ههنا بتلك أبو داود والنسائي من الكبرى وابن ماجه في حديث عائشة بسند صحيح (٧) حديث كان من أفكها الناس مع نسائه الحسن بن سفيان في مسنده من حديث أنس دون قوله مع نسائه ورواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط قال قاضي عبيد بن إسحاق بن نجدة (٨) حديث عائشة سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون يوم عاشوراء فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبين أن ترى لهم من الحديث متفق عليه مع اختلاف دون ذكر يوم عاشوراء وإنما قال يوم عيد ودون قولها أسكت وفي رواية للنسائي في الكبرى . قلت لتأمل مرتين وفيه قال البخاري وسند صحيح (٩) حديث أكل للؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألقهم بأهل الترمذي والنسائي واللفظ له والحاكم وقال رواه ثقات على شرط الشيخين (١٠) حديث خازم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي الترمذي وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله وأنا خيركم لنسائي وله من حديث عائشة وصححه خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم .

فانها تورق ولا تشر وهو كقائل ويجوز أنها تشر كالأشجار التي في الأودية والجبال ولكن لا يكون لفاتها علم فأكفة البساتين والقرى إذا قل من موضع إلى موضع آخر يكون أحسن حالا وأكثر ثمرة لدخول الصرف فيه وقد اعتبر الصرع وجود التسليم في الكلب الملم وأصل ما قبله بخلاف غير الملم . وسمعت كثيراً من الشايخ يقولون من لم يملح لا يفلح ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقوا العلوم والآداب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى عن بعض الصحابة « علنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراة » فالمريد الصادق إذا دخل تحت

وقال عمر رضي الله عنه مع خشوته يذني للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمسوا معانده وجد رجلا . وقال لقمان رحمه الله يذني للعافل أن يكون في أهله كاصبي وإذا كان في القوم وجد رجلا وفي تفسير الخبر المروي « إن الله يفيض الجعظري الجواظ <sup>(١)</sup> » قيل هو الشدبد على أهله التكرير في نفسه وهو أحمد ما قيل في معنى قوله تعالى عتق قيل العتق هو الفظ اللسان الغليظ القلب على أهله . وقال عليه السلام لجابر « هلا بكرا تلعابها وتلاعبك <sup>(٢)</sup> » وصفت أعرابية زوجها وقد مدت قالت والله قد كان ضحوكا إذا ولح سكينتا إذا خرج <sup>(٣)</sup> كلا ما وجد غير مسائل عما فقد . الرابع : أن لا يتوسط في الدعابة وحسن الحاق والواقعة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها وينسقط بالسيكيا هيته عندها بل راعي الاعتدال فيه فلا يدع الهية والانتقاض مهما رأى منكرا ولا يفتح باب الساعدة على التكرات ألينة بل مهما رأى ما يخالف الشرع والروعة تتمر وامتنع قال الحسن وأهله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيأتهوى إلا كبه الله في النار . وقال عمر رضي الله عنه خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن وقد قال عليه السلام « تمس عبد الزوجة <sup>(٤)</sup> » وإعما قال ذلك لأنه إذا أطاعها في هواها فهو عبيدها وقد تمس فإن الله ملكه المرأة فملكها نفسه فقد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال - ولأمرهم فليغيرن خلق الله - إذ حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا وقد سمى الله الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سييدا قال تعالى - وألقيا سيدها لدى الباب - فإذا ألقب السيد مسخرأ فقد بدل نعمة الله كفرا ونفس المرأة على مثال نفسك إن أرسلت عنها قليلا جمحت بك طويلا وإن أرخيت عذارها قرا جذبتك ذراعا وإن كبحتها وشدت يدك عليها في محل الشدة ملكتها . قال الشافعي رضي الله عنه : ثلاثة إن أكرمهم أعانوك وإن أهنتهم أكرموك المرأة والحادم والنبطي أراد به إن هضت الإكرام ولم تزج غلطك بليتك وفظاظتك برفقك وكانت نساء العرب يلعن بناتهن اختار الأرواح وكانت المرأة تقول لا يبتها اختيرى زوجك قبل الإقدام والجراة عليه أنزى زوج رحمه فإن سكنت فقتلى اللحم على ترسه فإن سكنت ففسد على العظام يسبه فإن سكنت فاجعل الالكاف على ظهره وامنيطيه فأما هو حمارك وعلى الجملة فيالعدل قامت السموات والأرض فسلك ما حاور حده انصكس على ضده فيذني أن تسلك سبيل الاقتصاد في الخالفة والواقعة وتتبع الحق في جميع ذلك لتسلم من شرهن فإن كدهن عظيم وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن إلا بنوع لطف بمزوج بسياسة . وقال عليه السلام « مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل القرب الأعصم بين مائة غراب <sup>(٥)</sup> » والأعصم يعني الأبيض البطن وفي رواية لقمان لابنه يابن اتق المرأة السوء فإنها تشبهك

(١) حديث إن الله يفيض الجعظري الجواظ أبو بصكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو في الصحيحين من حديث جابر بن وهب الخزازي بلفظ ألا أخوكم بأهل النار كل عتق جواظ مستكر ولأبي داود لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري (٢) حديث قال لجابر هلا بكرا تلعابها وتلاعبك متفق عليه من حديثه وقد تقدم (٣) حديث تمس عبد الزوجة لمؤتفقه على أصل والمعروف تمس عبد الدينار وعبد الدرهم الحديث رواه البخاري من حديث أبي هريرة (٤) حديث مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل القرب الأعصم من مائة غراب الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف ولأحمد من حديث عمرو بن العاص كنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم بحر الظهوران فإذا بغيران كثيرة فيها غراب أعصم أحمر الزقار قتال لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب في هاء الغرابان وإسناده صحيح وهو في السنن الكبرى للنسائي .

حكم الشيخ وصحبه وتأدب بأدابه يسرى من باطن الشيخ حال إلى باطن المرید كسراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلقح باطن المرید ويكون مقال الشيخ مستودع نقاش الحال وينقل الحال من الشيخ إلى المرید بواسطة الصحة وصالح اللقال ولا يكون هذا إلا لمرید حضر نفسه مع الشيخ وانسج من إرادة نفسه وفي في الشيخ ترك اختيار نفسه قبل التألف الإلهي يصير بين صاحب والصاحب استراج وارتباط بالنسبة الزوجية والطهارة العظيمة ثم لا يزال المرید مع الشيخ كذلك متأدبا بترك الاختيار حتى يرتقى من ترك الاختيار مع الشيخ إلى ترك الاختيار مع الله تعالى ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ ومبدأ

هذا الخبر كله الصحة  
واللازمة للشيوخ  
والحرقة مقدمة ذلك  
ووجه لبس الحرقة من  
السنة ما أخبرنا الشيخ  
أبو زرعة عن أبيه  
الحافظ أبي الفضل  
القدس قال أنا أبو بكر  
أحمد بن علي بن خلف  
الأديب النيسابوري  
قال أنا الحاكم أبو  
عبد الله محمد بن  
عبد الله الحافظ قال  
أنا محمد بن إسحاق قال  
أنا أبو مسلم إبراهيم بن  
عبد الله الصري قال  
ثنا أبو الوليد قال ثنا  
إسحاق بن سعيد قال  
ثنا أبي قال حدثني  
أم خالد بنت خالد قالت  
«أني على السلام  
يثاب فيها خيصة  
سوداء منبرة قال  
من زونا كسوهن؟  
فكت القوم فقال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم اتوني بأمر  
خاله قالت فأتني  
فألبنني يده فقال  
أبلى وأخلق يوهها

قبل الشيب وائق شرار النساء فانهن لا يدعون إلى خير ولكن من خيارهن على حذر . وقال عليه السلام  
«استعدوا من الفواق الثلاث» (١) وعدهن من المرأة سوء فاتها الشيبة قبل الشيب وفي لفظ آخر «إن  
دخلت عليها سنك وإن غبت عنها خاتك» وقد قال عليه السلام في خيرات النساء «إنكن صواحبات  
يوسف» يعني أن صرفكن أبا بكر عن التقدم في الصلاة بل منكن عن الحق إلى الموى وقال  
الله تعالى حين أفتين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم إن توبا إلى الله فقد صفت قلوبكما أي  
مالت وقال ذلك في خبر أزواجه (٢) وقال عليه السلام «لا يبلغ قوم تملكهم امرأة» (٣) وقد زبر  
عمر رضي الله عنه امرأته لما راجته وقال مائت إلا لبة في جانب البيت إن كانت لنا إليك حاجة  
وإلا جلست كما أنت فاذن فبين سر وفيهم ضحك فالبسة والحشونة علاج السر والطاية والرحمة  
علاج الضعف فالطبيب الحاذق هو الذي يقدر العلاج بقدر الداء فينظر الرجل أولا إلى أخلاقها لتجربة  
ثم ليأمنها بما يصلحها كما يقضيه حالها . الخامس : الاعتدال في التيرة وهو أن لا يتغالغ في مبادئ  
الأمور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في إساءة الظن والتفت ونجس البواطن قد نهى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أن تتبع عورات النساء (٤) وفي لفظ آخر أن تبت النساء ولما قدم رسول الله  
صلى الله عليه وسلم من سفره قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا النساء لئلا تغلقه رجلا فسبقا فرأى  
كل واحد في منزله ما يكره (٥) وفي الخبر المشهور «للرأة كالضلع إن قومت كسرت فدعه تستمع به  
على عوج» (٦) وهذا في تهذيب أخلاقها وقال عليه السلام «إن من التيرة غيرة يبغضا الله عز وجل وهي غيرة  
الرجل على أهله من غير رية» (٧) لأن ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه فإن بغض الظن إثم وقال  
عزى الله عنه لا تستكر التيرة على أهك ترقى بالسوء من أجلك وأما التيرة في محلها فلا بد منها وهي  
محودة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يبار للؤمن يبار وغيره الله تعالى أن يأتي  
الرجل المؤمن ما حرم عليه» (٨) وقال عليه السلام «أصبحون من غير سعد أنا وأهله وأغير منه وأغير مني» (٩)

(١) حديث استعدوا من الفواق الثلاث وعدهن من المرأة سوء فاتها الشيبة قبل الشيب وفي لفظ آخر  
أن دخلت عليها لسنك وإن غبت عنها خاتك أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث  
أبي هريرة بسند ضيف واللفظ الآخر رواه الطبراني من حديث فضالة بن عبيد ثلاث من الفواق  
وذكر منها امرأة إن حضرت أذتك وإن غبت عنها خاتك وسنده حسن (٢) حديث إنكن صواحبات  
يوسف متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث نزول قوله تعالى إن توبا إلى الله فقد صفت قلوبكما  
في خبر أزواجه متفق عليه من حديث عمر والرائان عائشة وخصة (٤) حديث لا يبلغ قوم تملكهم  
امرأة البخاري من حديث أبي بكر نحوه (٥) حديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع  
عورات النساء الطبراني في الأوسط من حديث جابر نهى أن تطلب عورات النساء والحديث عند  
مسلم بلفظ نهى أن يطرق الرجل أهله ليلا يخونهم أو يطلب عوراتهم وأتصر البخاري منه على ذكر  
التي عن الطروق لئلا (٦) حديث أنه قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا أهلكم لئلا تغلقه رجلا  
فسما إلى منازلها فرأى كل واحد في بيته ما يكره أحمد من حديث ابن عمر بسند جيد (٧) حديث  
الرأة كالضلع إن أردت تقيمه كسرت الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث غيرة  
يبغضا الله وهي غيرة الرجل على أهله من غير رية أبوداود والنسائي وابن حبان من حديث جابر  
ابن عتيك (٩) حديث الله يبار للؤمن يبار وغيره الله تعالى أن يأتي الرجل المؤمن ما حرم الله عليه  
متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري والؤمن يبار (١٠) حديث أصبحون من غير  
سعد والله لأنا أغبر منه والله أغبر مني الحديث متفق عليه من حديث التيرة بن شعبة .

مرتين وجعل ينظر إلى علم في الحصة أصغر وأحمر ويقول بأم خاله هذا سنه . والسنة هو الحسن بلسان الحبسة ولاخفاء أن لبس الحرقه على الحبسة التي تشبهها الشيوخ في هذا الزمان لم يكن فزمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الحبسة والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الشيوخ وأصله من الحديث فارويته والشاهد لذلك أيضا التحكيم الذي ذكرناه وأي اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم أم وأأكد من الاقتداء به في دواء الخلق إلى الحق وقد ذكر الله تعالى في كلامه القديم تحكيم الأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحكيم للرشد شيخه إحياء سنة ذلك التحكيم قال الله تعالى - فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك

ولأجل غيرة الله تعالى حرم القواش مظهر وما يظن ولأحد أحب إليه العذر من الله ولذلك بحث للتدوين وللشعرين ولأحد أحب إليه اللبس من الله ولأجل ذلك وعد الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بي في الجنة قصرا وبنيانها جارية قلت لمن هذا القصر فقيل لعمر فأردت أن أنظر إليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر وقال أعليك أغار يا رسول الله <sup>(١)</sup> » وكان الحسن يقول أتدعون نسائكم ليزاحمن الملوخ في الأسواق قبح الله من لا يلبس ، وقال عليه الصلاة والسلام « إن من التيرة ما يحبه الله ومنها ما ينفسه الله ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما ينفسه الله فأما التيرة التي يحبها الله فالتيرة في الريه والتيرة التي ينفسه الله الاختيار في غيرية والاختيار الذي يحبه الله اختيار الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدمة والاختيار الذي ينفسه الله الاختيار في الباطن <sup>(٢)</sup> » وقال عليه الصلاة والسلام « إن لا غيور وما من امرئ لا يغار إلا نسكوس القلب <sup>(٣)</sup> » والطريق الذي عن التيرة أن لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج إلى الأسواق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة عليها السلام « أي شيء خير للمرأة ؟ قالت أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها إليه وقال ذرية بعضها من بعض <sup>(٤)</sup> » فاستحسن قولها وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدسون السكوى والتقب في المحيطان لئلا تطلع النسوان إلى الرجال ورأى معاذ امرأة تطلع في السكوة فضر بها ورأى امرأته قد دفعت إلى غلامه فتأخذه قد أكلت منها فضر بها وقال عمر رضي الله عنه أعروا النساء يلمسن المجال وإنيما قال ذلك لأنهن لا يرغبن في الخروج في الحبسة الزمجة فإذ وعدوا نسائكم لا وكن قد أدن رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء في حضور السجد <sup>(٥)</sup> والصباب الآن للنع إلا البجارتين استصوب ذلك في زمان الصحابة حتى قالت عائشة رضي الله عنها : لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدثت النساء بعده لنعمن من الخروج <sup>(٦)</sup> . ولما قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تغتموا إمام الله مساجد الله » فقال بعض ولده بلى والله لفتحتم فضر به وغضب عليه وقال تسمعن أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغتموا فتقول بلى <sup>(٧)</sup> وإنيما استجرا على المخالفة لعله بتغير الزمان وإنيما غضب عليه

(١) حديث رأيت ليلة أسرى بي في الجنة قصرا وبنيانها جارية قلت لمن هذا القصر فقيل لعمر الحديث متفق عليه من حديث جابر دون ذكر ليلة أسرى بي ولم يذكر الجارية وذكر الجارية في حديث آخر متفق عليه من حديث أبي هريرة بينا أنا نائم رأيتني في الجنة الحديث (٢) حديث إن من التيرة ما يحبه الله تعالى ومنها ما ينفسه الله تعالى الحديث أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر بن عتيك وهو الذي تقدم قبله بأربعة أحاديث (٣) حديث إن لا غيور وما من امرئ لا يغار إلا نسكوس القلب تقدم أوله وأما آخره فرواه أبو عمر الترمذاني في كتاب معاشره الأهلين من رواية عبد الله بن محمد مرسلا والظاهر أنه عبد الله بن الحنفية (٤) حديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة أي شيء خير للمرأة فقالت أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل الحديث (٥) حديث علي بسند ضعيف (٦) حديث قالت عائشة لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدثت النساء بعده لنعمن من الخروج متفق عليه قال البخاري لنعمن من للساجد (٧) حديث ابن عمر لا تغتموا إمام الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله الحديث متفق عليه .

[١] بهامش النسخة الصحيحة : قلت وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما خير للنساء فلم ندر ما تقول فصارت إلى فاطمة فأخبرها بذلك فقالت فم لا قلت له خير لهن أن لا يربن الرجال ولا يراهن في الرجال فرجع فأخبره بذلك فقال له من علمك هذا قال فاطمة قال إنها بضعة مني .

لإطلاقة اللفظ بالخالقة ظاهرا من غير إظهار الذم وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذن  
لهن في الأعياد خاصة أن يخرجن (١) ولكن لا يخرجن إلا برضا أزواجهن والخروج الآن يساهل المرأة  
الغفيفة برضا زوجها ولكن القعود أسلم ويني أن لا تخرج إلا بهما فان الخروج للنظارات والأمور  
التي ليست مهمة تنح في البرودة وربما تنفض إلى القصد فإذا خرجت فينبغي أن تفضي بسرهما عن  
الرجال ، ولنا قول إن وجه الرجل في حقها عورة كوجه المرأة في حق بل هو كوجه السي الأرمدة  
في حق الرجل فيخرج النظر عند خوف الفتنة بقط فان لم تكن فتنة فلا يلزم زل الرجل بل في عمر الزمان  
مكشوف الوجه والنساء يخرجن منتقيات ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لأمروا بالتعقب  
أومنن من الخروج إلا لفرورة . السادس : الاعتدال في النفقة فلا يبنى أن يقتصر عليهن في الاتفاق  
ولا يبنى أن يسرف بل يقتصد قال تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - وقال تعالى - ولا تبخلوا بك  
مغفلة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وقد قال رسول الله ﷺ « خيركم خيركم لأهله » وقال  
صل الله عليه وسلم « دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في ربة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار  
أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك » وقيل كان لمي رضى الله عنه أربع نسوة  
فكان يشتري لكل واحدة في كل أربعة أيام لها بدم ، وقال الحسن رضى الله عنه كانوا في الرجال  
بما يصيب وفي الأناث والبنات بما يجادب وقال ابن سيرين يستحب للرجل أن يصل لأهله في كل جمعة فلو زوجة  
وكانا خلوة وتو إن لم تكن من للمهات ولكن تركها بالسكينة فتغير في العادة ويني أن يأمرها بالتصدق  
بقايا الطعام وما يفسد لو ترك فهذا أقل بدوات الخير للمرأة أن تنقل ذلك بحكم الحال من غير صريح  
إذن من الزوج ولا يبنى أن يستأثر عن أهله بما كوله بل يطعمهم منه فان ذلك مما يوجب العار والصور  
ويعد من المأثرة بالعرف فان كان مزمعا على ذلك فليأكله غفيرة بحيث لا يفرق أهله ولا يبنى أن  
يصف عديم طعاما ليس يربط طعامهم إياه وإذا أكل فليقدم الضيالكلم على مائدته فقد قال سفيان  
رضي الله عنه بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة وأهم ما يجب عليه مراعاته  
في الإنفاق أن يطعمهم من الحلال ولا يبدل مداخل سوء لأجلها فان ذلك جناية عليها لأمراة لها  
وقد أوردنا الأخبار الواردة في ذلك عند ذكر آفات النكاح . السابع : أن يعلم الزوج من علم الحيش  
وأحكامها بعزبه الاحتراز الواجب ويعلم زوجته أحكام الصلاة وما يقضي منها في الحيش وما يقضي فانه  
أمر بأن يشي النار بقوله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - فليعلم أن ينفقها اعتقاد أهل السنة ويذل  
عن قلبها كل بدعة إن استصحت إليها ونحوها في الله إن ساهات في أمر الدين ويصلها من أحكام الحيش  
والاستحاشة محتاج إليه وعلم الاستحاشة بطول فأما الذي لا بد من إرشاد النساء إليه في أمر الحيش  
بيان الصلوات التي تضيها فانها مهما انقطع دمها قبيل القرب بقدر ركة ضليها قضاء الظهور والعصر وإذا  
انقطع قبل الصبح بقدر ركة ضليها قضاء الغرب والشاء وهذا أقل ما يراعيه النساء فان كان الرجل  
قائما بتعليمها فليس لها الخروج فان لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك وبمضى الرجل  
بجواب اللق فليس لها الخروج فان لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك وبمضى الرجل  
بتمنها ومما تاملت ماهومن الفرائض عاها فليس لها أن تخرج إلى مجلس ذكر ولا إلى تامل فضل إلا برضا

(١) حديث الإذن لمن في الخروج في الأعياد متفق عليه من حديث أم عطية (٢) حديث خيركم خيركم  
لأهله الترمذي من حديث عائشة وصححه وقد تقدم (٣) حديث دينار أنفقته في سبيل الله ودينار  
أنفقته في ربة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الدينار الذي أنفقته  
على أهلك مسلم من حديث أبي هريرة .

فما شجر بينهم ثم  
لا يجدوا في أنفسهم  
حرجا مما قضيت  
ويصلوا التسليما وسب  
نزول هذه الآية « أن  
الزيرين الموم رضى  
الله عنه اختصم هو  
وآخر إلى رسول الله  
صل الله عليه وسلم في  
شراج من الحرمة  
والشراج مسيل الماء  
كانا يسيقان به النخل  
فقال النبي عليه الصلاة  
والسلام للزير : اسق  
يا زير ثم أرسل الماء إلى  
جارك ، فنضب الرجل  
وقال قضى رسول الله  
لأين عنته « فأزل الله  
تعالى هذه الآية يعلم فيها  
الأدب مع رسول الله  
صل الله عليه وسلم  
وشرط عليهم في الآية  
التسليم وهو الانقياد  
ظاهرا ونفي الحرج وهو  
الانقياد باطنا وهذا  
شرط للرابع الشيخ  
بعد التحكم فليس  
الخرقة يزيل إهم  
الشيخ عن باطنه في  
جميع تصاريفه ويحذر

ومهما أهملت المرأة حكماً من أحكام الحيض والاستحاضة ولم يعلما الرجل خرج الرجل معها وشاركها في الام : الثامن : إذا كان له نسوة فينبى أن يعدل بينهما ولا يميل إلى بعضهن فان خرج إلى سفرو أراد استحباب واحدة أقرع بينهما <sup>(١)</sup> كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان ظلم امرأة بيليتها قضى لها فان القضاء واجب عليه وعند ذلك يحتاج إلى معرفة أحكام القسم وذلك بطول ذكره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى وفي لفظ ولم يعد بينهما جاء يوم القيامة وأحذقته مائل <sup>(٢)</sup> » وإنما عليه العدل في العطاء والبيت وأما في الحب والواقع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تعالى - ولن تستطيعوا أن تعدوا بين النساء ولو حرصن - أى لا تعدوا في شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك التفاوت في الواقع « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بينهما في العطاء والبيت وتفي باليأى ويقول : اللهم هذا جدي فبأملك ولا طاعة لي فبأملك ولا أملك <sup>(٣)</sup> » يعنى الحب وقد كانت عائشة رضى الله عنها أحب نساءه إليه <sup>(٤)</sup> وسائر نساءه يعرفن ذلك « وكان يظاف به محمولا في مرضه في كل يوم وكل ليلة فيبيت عند كل واحدة منهن ويقول أين أنا عدا فطقت ذلك امرأة منهن فقالت إني أيسأل عن يوم عائشة فقلنا بإرسوله الله قلنا لك أنت تكون في بيت عائشة فانه يشق عليك أن تحملى في كل ليلة فقال وقد مرضت في ذلك فقلنى نعم فاحملون لي بيت عائشة <sup>(٥)</sup> » ومهما وهبت واحدة لبيتها لصاحبها ورضى الزوج بذلك ثبت الحق لها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نساءه قصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت لبيتها لعائشة وسألته أن يقرها على الزوجية حتى تغتر في زمرة نساءه فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة لنتين ولسائر أزواجه ليلة <sup>(٦)</sup> ولكه صلى الله عليه وسلم لحسن عدله وقوته كان إذا تناقش نفسه إلى واحدة من النساء في غير نوبتها فجامعها طاف في يومه وأولبته في سائر نساءه فمن ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نساءه في ليلة واحدة <sup>(٧)</sup> وعن أنس أنه عليه السلام

(١) حديث الفرعة بين أزواجه إذا أراد سراً متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث من كان له أصحاب السنين وابن جبان من حديث أنى هريرة قال أبو داود وابن جبان قال مع أحداهما وقال الترمذى فلم يعدل بينهما (٣) حديث كان يعدل بينهما ويقول اللهم هذا جدي فبأملك ولا طاعة لي فبأملك ولا أملك أصحاب السنين وابن جبان من حديث عائشة نخوع (٤) حديث كانت عائشة أحب نساءه إليه متفق عليه من حديث عمرو بن الماس أنه قال أى الناس أحب إليك يا رسول الله قال عائشة وقد تقدم (٥) حديث كان يظاف به محمولا في مرضه كل يوم وليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول أين أنا عدا الحديث ابن سعد في الطبقات من رواية محمد بن على بن الحسين أن النسي <sup>(٦)</sup> كان يحمل في نوب يظاف به على نساءه وهو مريض يقسم بينهما وفي مرسل آخره لماثل قال أين أنا عدا قالوا عند فلانة قال فأين أنا بعد قالوا عند فلانة ففرق أزواجه أنه يريد عائشة واحدة الحديث لابن جبان من حديث عائشة كان يسأل في مرضه الذى مات فيه أين أنا عدا أين أنا عدا ففرق أزواجه أن يغارها رسول الله صلى الله عليه وسلم بإرسوله الله يومى لعائشة الحديث وللطبراني فأراد أن يغارها وهو عند البخارى بلطف لما كبرت سودة وهبت يومها لعائشة وكان يقسم لها يوم سودة والبيتى مرسلنا طلق سودة فقالت أريد أن أحتر في أزواجك الحديث (٧) حديث عائشة طاف على نساءه في ليلة واحدة متفق عليه بلطف كنت أطيب رسول الله

الاعتراض على الشيخ  
فانه لم يقاتل للردين  
وقل أن يكون للردي  
يعترض على الشيخ بباطنه  
يفلح ويذكر للردي  
في كل ما أشكل عليه  
من تصاريف الشيخ  
ضة موسى مع الحضر  
عليه السلام كيف كان  
يسدر من الحضر  
تصاريف ينكرها  
موسى ثم لما كشف  
له عن معناها بان  
لوسى وجه الصواب  
فذلك فهكذا ينبغي  
للمريد أن يعلم أن كل  
تصرف أشكل عليه  
صحته من الشيخ  
عند الشيخ فيه يان  
وبرهان للصححة ويد  
الشيخ في لبس الحرقه  
توب عن يد رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
وسلم للردي له تسليم  
له ورسوله قال الله  
تعالى - إن الذين  
يأبوا نكاحنا يابون  
الله يداه فوق أيديهم  
فمن نكحت فإنا نكحت  
على نفسه - وبأخذ

طاف على تسع نسوة في منوبة نهار<sup>(١)</sup>، التاسع: في النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم أمرهما فإن كان من جانبها جميعا أو من الرجل فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على إصلاحها فلابد من فككهن أحدهما من أهله والآخري من أهلها لينظرا بينهما ويصلحا أمرهما - إن يريد إصلاحا يوفق الله بينهما - وقد ثبت عمر رضي الله عنه حكما إلى زوجين فساد ولم يصلح أمرهما فلهذا - وقال الله تعالى يقول - إن يريد إصلاحا يوفق الله بينهما - فساد الرجل وأحسن التوبة وتلطف بهما فأصلح بينهما وأما إذا كان النشوز من المرأة خاصة فالرجال قوامون على النساء - فله أن يؤذيها ويعملها على الطاعة قهرا وكذا إذا كانت تاركة للهلا فله حملها على الصلاة قهرا ولكن ينبغي أن يتدرج في تأديبها وهو أن يقدم أولا الوعظ والتحذير والتخويف فإن لم ينفع ولاها ظهره في الضجع أو انفرد عنها بالفرش وهجرها وهو في البيت معها من ليلة إلى ثلاث ليال فإن لم ينفع ذلك فيها ضربا غير مبرح بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظما ولا يذمى لها جبا ولا يضرب وجهها فذلك منهي عنه وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حق للمرأة على الرجل؟ قال بطعمها إذا طعم وبكسوها إذا اكتسى ولا يبيع الوجه ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح ولا يهجرها إلا في البيت<sup>(٢)</sup>، وله أن يضرب عليها ويهجرها في أمر من أمور الدين إلى عشر وإلى عشرين وإلى شهر فكل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أرسل إلى زينب بهدية فردتها عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد أفتاك إذ ردت عليك هديتك<sup>(٣)</sup> أي أذلتك واستغفرتك فقال صلى الله عليه وسلم: «أنتن أهون علي أفتان تعتمني ثم غضب عليهن كلهن شهرا إلى أن عاد إليهن - المأثر: في آداب الجماع ويستحب أن يبدأ باسم الله تعالى ويقرأ قل هو الله أحد أولا وبكبر ويهلل ويقول بسم الله الحلي العظيم اللهم اجعلها ذرية طيبة إن كنت قدرت أن تخرج ذلك من سبلي وقال عليه السلام: «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتا» فإن كان بينهما ولم يضره الشيطان<sup>(٤)</sup> وإذا قربت من الازال قل في نفسك ولا تحرك شفتيك - الحمد الذي خلق من الماء بشرا - الآية وكان بعض أصحاب الحديث يكبر حتى يسمع أهل الدار صوته ثم يحرف عن القبلة ولا يستقبل القبلة بالوقاع إكراما للقبلة وليغض نفسه وأهله شوب «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغطي رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة: عليك بالسكينة<sup>(٥)</sup>» وفي الخبر: «إذا جامع أحدكم أهله فلا يتجردان تجرد العيرين<sup>(٦)</sup>» أي الحمارين وليقدم التلطف بالكلام والتقبل صلى الله عليه وسلم فيطوف على نسائه ثم يصبح محرما يتضع طيبا (١) حديث أنس أنه طاف على تسع نسوة في منوبة نهار ابن عدى في السكائل وللبخاري كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة وله تسع نسوة (٢) حديث قبل له ماحق المرأة على الرجل فقال بطعمها إذا طعم وبكسوها إذا اكتسى ولا يقبض الوجه ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح ولا يهجرها إلا في البيت أبوداود والنسائي في الكبرى وابن ماجه من رواية معاوية بن حيدة بسند جيد وقالوا يضرب الوجه ولا يقبض وفي رواية لأبي داود ولا يقبض الوجه ولا تقرب (٣) حديث هجره صلى الله عليه وسلم نساء شهرا لما أرسل بهدية إلى زينب فردتها فقالت له التي في بيتها لقد أفتاك الحديث ذكره ابن الجوزي في الوفاء بغير إسناد وفي الصحيحين من حديث عمر كان أقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن وفي رواية من حديث جابر ثم اعتزلهن شهرا (٤) حديث لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال اللهم جنبنا الشيطان الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٥) حديث كان يغطي رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة عليك بالسكينة الخطيب من حديث أم سلمة بسند ضعيف (٦) حديث إذا جامع أحدكم امرأته فلا يتجردان تجرد العيرين ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد بسند ضعيف .

الشيخ على الريد  
عهد الوفاء بشرائط  
الحرقه ويعرفه حقوق  
الحرقه فالشيخ الريد  
صورة يستشف الريد  
من وراء هذه الصورة  
الطالبات الإلمية  
والراضى النبوة  
ويستقد الريد أن  
الشيخ باب فتحه الله  
تعالى إلى جناب كرمه  
منه يدخل وإليه يرجع  
ويزل بالشيخ وسأخه  
ومهامه الدينية  
والدنيوية ويستقد أن  
الشيخ ينزل بالله  
الصكرم ما ينزل  
الريد به وبرجع في  
ذلك إلى الله الريد كا  
يرجع الريد إليه  
وللشيخ باب مفتوح  
من السكالة والمحادثة  
في النوم واليقظة فلا  
يتصرف الشيخ في  
الريد هو أهله أمانة  
الله عنده ويستغث  
إلى الله بحوائج الريد  
كما يستغث بحوائج  
نفسه ومهام دينه ودنياه  
قال الله تعالى - وما كان

قال صلى الله عليه وسلم «لا يضمن أحدكم على امرأته كما تنفع البهيمة ولكن ينهما رسول قبله ورسول الله قبله»<sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاث من العجز في الرجل أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعلم اسمه ونسبه والثاني أن يكبره أحد فيرد عليه كرامته والثالث أن يقارب الرجل جاريته أو زوجته فيصيبها قبل أن يعدها ويؤانسها ويضاجعها فيقتضي حاجتها قبل أن تقضى حاجتها منه»<sup>(٢)</sup> ويكره له الجماع في ثلاث ليل من الشهر الأول والأخر والصف بقال إن الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي ويقال إن الشياطين يجامعون فيها وروى كراهة ذلك عن علي ومعاوية وأبي هريرة رضي الله عنهم ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة ولكنه تحقيقاً لأحداثنا ولين من قوله صلى الله عليه وسلم «رحم الله من غسل واغتسل»<sup>(٣)</sup> الحديث ثم إذا قضى وطره فليستح على أهله حتى تقضى هي أيضاً نعمتها فإن إزالها ربما يتأخر فيجب شهوتها ثم القعود عنها إيلاء لها والاختلاف في طبع الأنزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقاً إلى الإنزال والتوافق في وقت الإنزال الله عندها ليستل الرجل بنفسه عنها فانهار بما تستحي وينبغي أن يأتيها في كل أربع ليل مرة فهو أعذر إذ عده النساء أربعة مجاز التأخير إلى هذا الحد - ثم ينبغي أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها في التحسين فإن تعسبها واجب عليه وإن كان لا يثبت الطالبة بالوطء فذلك لفساد المطالبة والوفاء بها ولا يأتيها في المحيض ولا بعد انقضاءه وقبل النسل فهو محرم بنس الكتاب وقيل إن ذلك يورث الجنام في الولد وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها في غير اللآئى ذكر حرم غشيان الحائض لأجل الأذى والأذى في غير اللآئى دائم فهو أشد محرماً من إتيان الحائض وقوله تعالى - فاتوا حرملك أني شتم - أي أي وقت شتمت وله أن يستحي بيدها وأن يستمتع بما تحت الأزار بما يشتهي سوى الوقاع وينبغي أن تنزّل المرأة بأزار من حقوها إلى فوق الركبة في حال الحيض فهذا من الأدب وله أن يؤاكل الحائض ويخالطها في الصاعدة وغيرها وليس عليه اجتنبها وإن أراد أن يجامع ثانياً بعد أخرى فليستل فرجه أولاً وإن احتفل فلا يجامع حتى ينزل فرجه أو يبول ويكره له الجماع في أول الليل حتى لا ينام على غير طهارة فإن أراد النوم أو الأكل فليتوضأ أولاً وضوء الصلاة فذلك سنة قال ابن عمر «قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : أيتام أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ»<sup>(٤)</sup> ولكن قد وردت فيه رخصة قالت عائشة رضي الله عنها «كان النبي ﷺ ينام جنباً لم يمسه ماء»<sup>(٥)</sup> ومهما عاد إلى فراشه فليمسح وجهه فراشه أو لينفضه فانه لا يبدى ما حدث عليه بعده ولا ينبغي أن يعلق أو يعلق أو يستعد أو يخرج الدم أو يبين من نفسه جزءاً وهو جنب إذ ترد إليه سائر أجزائه في الآخرة فيعود جنباً ويقال إن كل شرعة تطالبه بجنباتها ومن الآداب أن لا يزول بل لا يرسخ إلا إلى محل الحرث وهو الرحم فإن منسة قدر الله كونها إلا وهي كاتبة»<sup>(٦)</sup> هكذا قال رسول الله ﷺ فان عزل لقد اختلف العلماء في إباحته وكراهته على أربع مذاهب فمن مسح

لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا - فإرسال الرسول يخص بالأنبياء والوحى كذلك والسكلام من وراء حجاب بالإلهام والمحواف والنم وغير ذلك للتبويخ والراشخين للبردين مع التبويخ أو ان ارتضاع أو أن فقام وقد سبق شرح الولادة العذوية فأوان الارتضاع أو أن لزوم الصحة والشيخ يعلم وقت ذلك فلا ينبغي للريد أن يفارق الشيخ إلا بإذنه قال الله تعالى تأدياً للامتناع إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا حكناوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم - وأى

- (١) حديث لا يضمن أحدكم على امرأته كما تنفع البهيمة الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وهو منكر (٢) حديث ثلاث من العجز في الرجل أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعلم اسمه ونسبه الحديث أبو منصور الديلمي من حديث أنس من حديث أبي هريرة الذي قبله (٤) حديث رحم الله من غسل واغتسل تقدم في الباب الخامس من الصلاة (٥) حديث ابن عمر قلت للنبي صلى الله عليه وسلم أيتام أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ متفق عليه من حديث أن عمر سأل لأن عبد الله هو السائل (٥) حديث عائشة كان جنباً لم يمسه ماء أبو داود والترمذي وابن ماجه وقال يزيد بن هارون إنه وهم ونقل السبكي عن الحفاظ الطعن فيه قال وهو صحيح من جهة الرواية (٦) حديث ما من منسة قدر الله كونها إلا وهي كاتبة متفق عليه من حديث أبي سعيد .



مطلقا بكل حال ومن محرم بكل حال ومن قاتل رجل برضاها ولا يحمل دون رضاها وكان هذا القاتل  
محرم الإيذاء دون العزل ومن قاتل يباح في المملوكة دون الحرية والصحيح عندنا أن ذلك مباح وأما  
الكرهية فإنها تطاق لئلا يحرّم وتبى التحريم ولتبى التنزيه ولترك الفضيلة فهو مكروه بالحق الثالث أى فيه  
ترك فضيلة كما يقال يكره للقاعد في السجد أن يبعد فارغا لا يشتغل بذكر أو صلاة ويكره للحاضر في  
مكة مقبها أن لا يبيع كل سنة والراية هذه الكراهية ترك الأولى والفضيلة فقط وهذا ثابتا بيننا من  
الفضيلة في الولد والمرءى من النبي صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليجمع أهله فيكتبه لجماعه أجر  
ولذلك قال في سبيل الله قتل <sup>(١)</sup> » وإنما قال ذلك لأنه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له أجر التسبب  
إليه من أن الله تعالى خلقه وحيمه ومقوي على الجهاد والذى إليه من التسبب فدفقه وهو الواقع وذلك  
عند الإنماء في الرحم وإنما قلنا لا كراهية بمعنى التحريم والتنزيه لأن إثبات التبي إنما يمكن بنس  
أوقاس على منصوب ولا نص وأصل قياس عليه بل ههنا أصل يقاس عليه وهو ترك النكاح أصلا  
أترك الجماع بعد النكاح أو ترك الإنزال بعد الإيلاج فكل ذلك ترك للأفضل وليس بارتكاب شيء ولا  
فرق إذ الولد يتكون بوقوع النطفة في الرحم ولها أربعة أسباب النكاح ثم الوقوع ثم البصر إلى الإنزال  
بعد الجماع ثم الوقوف لينصب النقي في الرحم وبعض هذه الأسباب أقرب من بعض فالاستمتاع عن الرابع  
كالاستمتاع عن الثالث وكذا الثالث كالثاني والثاني كالأول وليس هذا كالإجهاض والوادة لأن ذلك جنابة  
على موجود حاصل وله أيضا مراتب وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة  
وتستمد لقبول الحياة وإفساد ذلك جنابة فإن صارت مضغمة وعلقه كانت الجنابة أحمش وإن نفض فيه  
الروح واستوت الحلقة ازدادت الجنابة تفاحشا ومتنتهى التفاحش في الجنابة بعد الاتصال بحياء وإنما قلنا  
مبدأ سبب الوجود من حيث وقوع النقي في الرحم لا من حيث الخروج من الإحليل لأن الولد لا يخلق من  
من الرجل وحده بل من الزوجين جميعا إمامان مائة مائهما أو من مائه ودم الحيض قال بعض أهل التبرج  
إن للضفة تخلق بتقديره من دم الحيض وإن الدم منها كاللبن من الرائب وإن النطفة من الرجل شرط  
في خور دم الحيض وانفاده كالأنتحة اللبن إذ بها ينقد الرائب وكيفما كان فإم المرأة ركن في الانقضاء  
فيجوز لما آن يجري الإيجاب والقبول في الوجود الحسكى في العتود فمن أوجب ثم رجع قبل القبول  
لا يكون جانيبا على العقد بالنقض والتفسخ ومهما اجتمع الإيجاب والقبول كان الرجوع بعده رضا وتفسخا  
وقطعا وكأ أن النطفة في القدر لا يتخلق منها الولد فكذلك بعد الخروج من الإحليل ما لم يتزوج بماء المرأة  
أودمها فهذا هو القياس الجلي . فان قلت فإن لم يكن العزل مكروها من حيث إنه دفع لوجود الولد فلا  
يعد أن يكره لأجل التبع الباعثة عليه إلا يثبت عليه إلانية فاسدة فيها شيء من شوائب الشرك الخفى .  
فأقول النبات الباعثة عن العزل خمس : الأولى في السراى وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق  
العتاق وقصد استبقاء الملك بترك الاعتناق ودفع أسبابه ليس بمنى عنه . الثانية استبقاء جمال المرأة  
ومعناها لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلق وهذا أيضا ليس منبها عنه . الثالثة الخوف  
من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد والاحتراز من الحاجة إلى التنب في الكسب ودخول مداخل  
السوء . وهذا أيضا غير منبها عنه . فان قلت الحرج معين على الدين ، نعم الكمال والفعل في التوكل  
والثقة بضعان الله حيث قال - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - ولا جرم في مستوط من ذنوة  
الكمل وترك الأفضل ولكن النظر إلى العواقب وحفظ المال وإدخاله مع كونه منافضا للتوكل لا تعود  
إليه منبها عنه . الرابعة الخوف من الأولاد لأننا لما يعتقد في تزويجهم من المرة كما كانت من عادة

(١) حديث إن الرجل ليجمع أهله فيكتب له من جماعه أجر ولد ذكره قاتل في سبيل الله لم أجده له أصلا .

أمر جامع أعظم من  
أمر الدين فلا يأذن  
الشيخ للمريد في  
الفارقة إلا بعد علمه بأن  
أن له أو أن القطام وأنه  
يقدر أن يستقل بنفسه  
واستقلاله بنفسه أن  
يفتح لباب الفهم من  
الله تعالى فإذا بلغ الرتبة  
رتبة إنزال الحوائج  
والهام بالله والفهم من  
الله تعالى بتعريفاته  
وتنبيهاته سبحانه  
وتعالى لبعده السائل  
الحتاج فقد بلغ أوان  
قطامه وفق فارق قبل  
أوان القطام يناله من  
الإعلال في الطريق  
بالرجوع إلى الدنيا  
ومتابعة الهوى ما ينال  
القطوم لغير أوانه في  
الولادة الطبيعية وهذا  
التزام بصحة الشايخ  
للمريد الحقيقي والريد  
الحقيق بليس خرقه  
الإرادة . واعلم أن  
الخرقة خرقتان خرقه  
الإرادة وخرقة التبرك  
والأصل الذى قصده  
الشايخ للمريدن خرقه

العرب في قتلهم الإناث فهذه نية فاسدة لترك بسببها أصل النكاح وأصل الوقاع أمهم لها بترك النكاح والوطء فكذلك في العزل والنكاح في اعتقاد الملة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد وبزوال منزلة امرأة ترك النكاح استنكافاً من أن يملوها رجل فسكت تشبه بالرجال ولا ترجع السكراهة إلى عين ترك النكاح . الخامسة أن تمتنع المرأة لتزهاو بمباينتها في النظافة والتعزيم من الطلق والنكاح والرماع وكان ذلك عادة نساء الحوارج لما انتهن في استعمال البياض حتى كن يقنعن صلات ألبام الحبيص ولا يدخلن الحلال إلا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهي نية فاسدة واستأذنت واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة فلم تأذن لها فيكون القصد هو القصد دون منع الولادة . فان قلت قد قال النبي ﷺ « من ترك النكاح عذابة العيال فليس منا ثلاثاً <sup>(١)</sup> » . قلت فالقول كترك النكاح وقوله ليس منا أي ليس موافقاً لنا على سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الأفضل . فان قلت قد قال صلى الله عليه وسلم في العزل « ذاك الواد الخي وقرأ وإذا اللوة سلت <sup>(٢)</sup> » وهذا في الصحيح قلنا وفي الصحيح أيضاً أخبار صحيحة <sup>(٣)</sup> في الإباحة وقوله الواد الخي كقوله الترك الخي وذلك بوجوب كراهة لأخريها . فان قلت قد قال ابن عباس العزل هو الواد الأصفر فان المنوع وجوده به هو اللوة الصغرى . قلنا هذا قياس منه دفع الوجود على قطعه وهو قياس صحيح ولذلك أنكره عليه رضي الله عنه لما صممه قال ولا تكون مودودة إلا بدسبع أي بعد الأخرى سبعة أطوار وتلا الآية الواردة في أطوار الحلقة وهي قوله تعالى - ولقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين - إلى قوله - ثم أنشأناه خلقاً آخر - أي فخلقناه الروح ، ثم تلا قوله تعالى في الآية وإذا اللوة سلت وإذا نظرت إلى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس رضي الله عنهما في القوس على المعاني ودرج الملوم كيف وفي التلق عليه في الصحيحين عن جابر أنه قال « كنا نزل على عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل » وفي لفظ آخر « كنا نزل فبلغ ذلك نبي الله ﷺ فلم ينهنا <sup>(٤)</sup> » وفيه أيضاً عن جابر أنه قال « إن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال عليه الصلاة والسلام اعزل عنها إن شئت فانه سيأتيها ما قدر لها فلبس الجسل ماعاء الله ثم أتاه فقال إن الجارية قد حملت فقال قد قلت سيأتيها ما قدر لها <sup>(٥)</sup> » كل ذلك في الصحيحين . الحادي عشر : في آداب الولادة وهي خمسة : الأول أن لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالأنثى فانه لا بدري الحيرة له في أهبها فكمن صاحب ابن يمتنى أن لا يكون له أويتمنى أن يكون بنتا بل السلامة منهن أكثر والثواب فيهن أجزل

من الله تعالى بصدق الافتقار وحسن الاستقامة ويكون للشيخ نفوذ بصيرته الإشراف على البواطن فقد يكون للربيد يلبس الحسن ككتاب للتفتيش للتزهدين وفيه في تلك الهيئة من اللبس هوى

الإرادة وخرقة التبرك تشبه بخرقة الإرادة بخرقة الإرادة للمريد الحقيقي وخرقة التبرك للمتشبه ومن تشبه يقوم فهو منهم وسر الخرقه أن الطالب الصادق إذا دخل في صفة الشيخ وسلم نفسه وصار كالوحد الصغير مع الولد يريه الشيخ بلبس التمدد من الله تعالى بصدق الافتقار وحسن الاستقامة ويكون للشيخ نفوذ بصيرته الإشراف على البواطن فقد يكون للربيد يلبس الحسن ككتاب للتفتيش للتزهدين وفيه في تلك الهيئة من اللبس هوى

(١) حديث من ترك النكاح عذابة العيال فليس منا تقدم في أوائل النكاح (٢) حديث قال صلى الله عليه وسلم في العزل ذلك الواد الخي مسلم من حديث جذامة بنت وهب (٣) حديث أحاديث إباحة العزل مسلم من حديث أبي سعيد أنهم سألوه عن العزل فقال لا عليكم أن لا تضلوه ورواه النسائي من حديث أبي صرمة والشيخين من حديث جابر كنا نزل على عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد مسلم فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا والنسائي من حديث أبي هريرة سئل عن العزل قبل اليهود تزعم أنها اللوة الصغرى فقال كذبت يهود . قال البيهقي رواية الإباحة أكثر وأحفظ (٤) حديث جابر التلق عليه في الصحيحين كنا نزل على عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا هو كما ذكر متفق عليه إلا أن قوله فلم ينهنا انفراد بها مسلم (٥) حديث جابر أن رجلاً أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال إن لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال اعزل عنها إن شئت الحديث ذكره المصنف أنه في الصحيحين وليس كذلك وإنما انفراد به مسلم .

كامن في نفسه ليرى بين الزهادة فأشد ما عليه لبس التاعم ولتفتش هوى واختيار في هيئة مخصوصة من اللبس في قصر الكم والقيل وطوله وخشوته ونموته على

قال صلى الله عليه وسلم «من كان له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاها وأسبح عليه علم من النعمة التي أسبح الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة» (١) وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مامن أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما يحبهما إلا أدخلتهما الجنة» (٢) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما يحبهما كتبت أنا وهو في الجنة كهاتين» (٣) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشتري شيئا فحمله إلى بيته غنص به الابنات دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعبه» (٤) وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من حمل طرفة من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليداً بالاناث قبل الذكور فانه من فرح أنثى فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله بدنه على النار» (٥) وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم «من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصرى لهن أو أهن وضربهن أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن قال رجل وثنتان يارسول الله؟ قال وثنتان قال رجل أو واحدة؟ فقال واحدة» (٦) . الأدب الثاني : أن يؤذن في أذن الولد روافع عن أبيه قال ورأيت النبي صلى الله عليه وسلم قد أذن في أذن الحسن حين ولدته فاطمة رضي الله عنها» (٧) وروى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى دفعت عنه أم الصيان» (٨) ويستحب أن يلقنوه أول انطلاق لسانه لا إله إلا الله ليكون ذلك أول حديثه والحنان في اليوم السابع ورد به الخبر» (٩) . الأدب الثالث : أن تسميه اسماً حسناً فذلك من حق الولد وقال صلى الله عليه وسلم «إذا سميت فبدا» (١٠) . وقال عليه الصلاة والسلام

(١) حديث من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وغذاها فأحسن غذاها الحديث الطبراني في الكبير والحرثي في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث ابن عباس مامن أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما يحبهما إلا أدخلتهما الجنة ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد (٣) حديث أنس من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما يحبهما كتبت أنا وهو في الجنة كهاتين الحرثي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف ورواه الترمذي بلفظ من عال جارتين وقال حسن غريب (٤) حديث أنس من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشتري شيئا فحمله إلى بيته غنص به الابنات دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعبه الحرثي بسند ضعيف (٥) حديث أنس من حمل طرفة من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة الحرثي بسند ضعيف جداً وابن عدي في الكامل وقال ابن الجوزي حديث موضوع (٦) حديث أبي هريرة من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصرى لهن أو أهن وضربهن أدخله الله الجنة والحاكم ولم يقل أو أخوات وقال صحيح الإسناد (٧) حديث أبي رافع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في أذن الحسين حين ولدته فاطمة وأحمد واللفظ له وأبو داود والترمذي وصححه إلا أنها قالوا الحسين بكراً ومضاه ابن القطان (٨) حديث من ولد له مولود وأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى رفضت عنه أم الصيان أبو يعلى اللؤلؤ وابن السني في اليوم والليلة والبيهقي في شعب الإيمان من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف (٩) حديث الحنان في اليوم السابع الطبراني في الصغير من حديث جابر بسند ضعيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرق عن الحسن والحسين وخניהما لبسة أيام وإسناده ضعيف واختلف في إسناده فقيل عبد الملك بن إبراهيم بن زهير عن أبيه عن جدّه (١٠) حديث إذا سميت فبدا الطبراني من حديث عبد الملك بن أبي زهير عن أبيه معاذ وصححه إسناده والبيهقي من حديث عائشة .

قدر حبسها وهوها  
فليس الشيخ مثل  
هذا الراكن تلك  
الحية ثوبا بكر  
بذلك على نفسه هواها  
وغرضها وقد يكون  
على المرء ملبوس ناعم  
أو هيئة في اللبوس  
تصرف النفس إلى تلك  
الهيئة بالعادة قلبه  
الشيخ ما يخرج النفس  
من عاداتها وهوها  
تصرف الشيخ في  
الملبوس كصرفة في  
الطوم وكصرفة في  
صوم المرء وإفطاره  
وكصرفة في أمر دينه  
إلى ما يرى له من الصلحة  
من دوام الذكر ودوام  
التفكير في الصلاة ودوام  
التلاوة ودوام الخدمة  
وكصرفة فيه برّه  
إلى الكسب والفتوح  
أو غير ذلك فليست  
إشراف على البواطن  
وتوقع الاستعدادات  
قيام كل مرء بمأمر  
نماشه ومعاده بما  
يصلح له وتنبؤ  
الاستعدادات تنوعت

« أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن <sup>(١)</sup> » وقال « سموا بأبي ولا تسكنوا بكيتي <sup>(٢)</sup> » قال العلماء كان ذلك في عصره صلى الله عليه وسلم إذ كان ينادي يا أبا القاسم والآل فلا بأس نعم لا يجمع بين اسمه وكينيته وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تجمعوا بين اسمي وكيتي <sup>(٣)</sup> » وقيل إن هذا أيضا كان في حياته وتسمى رجل أبي عيسى قال عليه السلام « إن عيسى لأب له <sup>(٤)</sup> » ففكره ذلك والسقطين إلى أن يسمى قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية يلقي أن السقط يصريح يوم القيامة وراء أبيه فيقول لأنت ضيقتي وتركتني لأسمي قال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا يدري أنه غلام وأجارية قال عبد الرحمن بن مني الأسماء ما جمعها كعمزة وعمارة وطلحة وعتبة وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم <sup>(٥)</sup> » ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله بأبدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص ببداة <sup>(٦)</sup> وكان اسم زينب برة قال عليه السلام : تركي نفسها فهاها زينب <sup>(٧)</sup> . وكذلك ورد النبي في تسمية أفصح ويسار ونافع وبركة <sup>(٨)</sup> لأنه قال أمم بركة فيقال : لا . الرابع الفقيفة عن الله كرشانين وعن الأثنى بشاة ولا بأس بالشاة ذكر كان أو أثنى وروى عاشر في رضي الله عنها وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر في القلام أن يسبق بشانين مكاثنتين وفي الجارية بشاة <sup>(٩)</sup> وروى « أنه علق عن الحسن بشاة <sup>(١٠)</sup> » وهذا رخصة في الانتصار على واحدة وقال صلى الله عليه وسلم « مع القلام عقيقته فأهريقوا عنه دماء وأمطوا عنه الأذى <sup>(١١)</sup> » ومن السنة أن تصدق بوزن شعره ذهابا أو ضعة قد قدور فيمخر « أنه عليه السلام أمر فاطمة رضي الله عنها يوم سابع حسين أن تخلق شعره وتصدق بزنة شعره <sup>(١٢)</sup> »

(١) حديث أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن مسلم من حديث ابن عمر (٢) حديث سموا بأبي ولا تسكنوا بكيتي متفق عليه من حديث جابر وفي لفظ تسما (٣) حديث لا تجمعوا بين اسمي وكيتي أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة ولأن داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث جابر من سمى بأبي فلا يتسكن بكيتي ومن تسكن بكيتي فلا يتسمى بأبي . (٤) حديث إن عيسى لأب له أبو عمر التوفاني في كتاب معاشرة الأهلين من حديث ابن عمر بسند ضعيف ولأن داود أن عمر ضرب ابنه له تسكن أبي عيسى وأتسكن لي للغيرة بن شعبة تسكنه بأبي عيسى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنان وإسناده صحيح (٥) حديث إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم أبو داود من حديث أبي الدرداء قال النور يلساند جيد وقال البيهقي إنه مرسل (٦) حديث بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص ببداة جيد رواه البيهقي من حديث عبد الله بن الحرث بن زرع الزيد بسند صحيح (٧) حديث قال صلى الله عليه وسلم قريب وكان اسمها برة تركي نفسها فهاها زينب متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث النبي في تسمية أفصح ويسار ونافع وبركة مسلم من حديث سمرة بن جندب إلا أنه جعل مكان بركة رباعا وله من حديث جابر أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينهي أن يسمى بعل وبركة الحديث (٩) حديث عائشة أمر في القلام بشانين مكاثنتين وفي الجارية بشاة الترمذي وصححه (١٠) حديث علق عن الحسن بشاة الترمذي من حديث علي وقال ليس إسناده متصل ورواه الحاكم إلا أنه قال حسين ورواه أبو داود من حديث ابن عباس إلا أنه قال كبشا (١١) حديث مع القلام عقيقته فأهريقوا عنه دماء وأمطوا عنه الأذى البخاري من حديث سلمان ابن عامر الغبي (١٢) حديث أمر فاطمة يوم سابع حسين أن تخلق شعره وتصدق بزنة شعره ففة الحاكم وصححه من حديث علي وهو عند الترمذي منقطع بلفظ حسن وقال ليس إسناده متصل ورواه أحمد من حديث أبي رافع .

مراتب الدعوة قال الله تعالى - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والوعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - فالحكمة رتبة في الدعوة والوعظة كذلك والمجادلة كذلك فمن يدعى بالحكمة لا يدعى بالوعظة ومن يدعى بالوعظة لا يصلح لدعوته بالحكمة فلهذا الشيخ يعلم من هو على وضع الأبرار ومن هو على وضع القربين ومن يصلح لدوام الذكر ومن يصلح لدوام الصلاة ومن له هوى في التفتن أو في التتم فيخلع للرذيلين عادة ويخرجه من مضيق هوى نفسه ويطعمه باختياره ويلبسه باختياره ثوبا يصلح له وهبة تصلح له ويدأوى بالحسرة المخصوصة والمجنة المخصوصة داء هواء ويتوخى بفلان تغريه

إلى رضامولاه فالمرید  
الصادق القلب باطنه  
بنار الإرادة في بدء أمره  
وحدة إرادته كالسروع  
الحريص على من رقيه  
ويداويه فإذا صادف  
شيخا نبئت من باطن  
الشيخ صدق العاية  
به لاطلاعه عليه  
ونبئت من باطن  
الريد صدق الحبة  
تألف القلوب وتسام  
الأرواح وظهور سر  
الساقية فيها باجتماعها  
له وفي الله والله  
فيكون التقيس الذي  
يلبس الريد خرقه  
يتشر الريد بحسن  
عناية الشيخ في فعل  
عند الريد عمل قبيح  
يوسف عند يعقوب  
عليهما السلام . وقد  
نقل أن إبراهيم  
الخليل عليه السلام  
حين أتى في النار جرد  
من ثيابه وقذف في  
النار عرياناً فاتما جبريل  
عليه السلام بقميص  
من حرير الجنة  
وألبسه إياه وكان ذلك

فالتألفه رضي الله عنها لا يكسر الحقيقة عظم . الخامس أن يحكمه بتمرة أو حلاوة وروى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت « ولدت عبد الله بن الزبير بقاء ثم أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت في حجره ثم دعا بتمرة فضمها ثم نقل في فيه <sup>(١)</sup> » فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك عليه وكان أول مولود ولد في الإسلام فخر حوا به فرحاً شديداً لأنهم قيل لهم إن اليهود قد سحرتمكم فلا يولد لكم . الثاني عشر : في الطلاق ولعلم أنه مباح ولكنه أفضى للباحث إلى الله تعالى وإنما يكون مباحاً إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل ومبهماً لطلاقه فقد آذاهما ولا يباح إيذاء الغير إلا بجماعة من جانبها أو بضرورة من جانبها قال الله تعالى - فإن طعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً - أي لا تطلبوا أحقية للفرق وإن أكرهها أبوه فليطلقها قال ابن عمر رضي الله عنهما « كان نوح امرأة أحبها وكان أبي يكرهها ويأمرني بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق إبراهيم <sup>(٢)</sup> » فهذا يدل على أن حق الوالد مقدم ولكن والد يكرهها لا يفرض فسد مثل عمر ومهما آذنت زوجها وبذت على أهلها في جانيه وكذلك مهما كانت بيعة الخلق أو فاسدة الدين قال ابن مسعود في قوله تعالى - ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة - مهما بذت على أهلها وآذت زوجها فهو فاحشة وهذا أزيد به في المدة ولكنه تنبه على التصود وإن كان الأذى من الزوج فلها أن تغتدي ببدل ماله بكره للرجل أن يأخذ منها أو أكثر مما أعطى فإن ذلك إحجاف بها وتحامل عليها ونجاسة على البضع قال تعالى - فلا جناح عليهما في العقد به - فرد ما أخذته فما لاقى بالقداء فإن سألت الطلاق بغير ما بأس فهي آفة قال صلى الله عليه وسلم « أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير ما بأس لم ترح راحة الجنة <sup>(٣)</sup> » وفي لفظ آخر فالجنة عليها حرام وفي لفظ آخر أنه عليه السلام قال « المتنلمات هن النافقات <sup>(٤)</sup> » ثم إبراع الزوج في الطلاق أربعة أمور . الأول أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه فإن الطلاق في الحيض أو الطهر الذي جامع فيه بدعي حرام وإن كان واقعاً لا فيه من تطويل المدة عليها فإن قل ذلك فليراجعها « طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال صلى الله عليه وسلم لمرء : مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلقها وإن شاء أمسكها فذلك المدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء <sup>(٥)</sup> » وإنما أمره بالصبر بعد الرجعة طهرين لتلايكون مقصود الرجعة الطلاق قط . الثاني : أن يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث لأن الطلقة الواحدة بعد المدة نفيد التصود ويستفيد بها الرجعة إن دم في المدة وتجديد النكاح إن أراد بعد المدة وإذا طلق ثلاثاً بعد ندم فيحتاج إلى أن يتزوجها محلل وإلى الصبر مدة وعقد المحلل مني عنه ويكون هو السامع فيه ثم يكون قلبه معقلاً بزوجته الغير وتطليقه أعنى زوجة المحلل بعد أن تزوجته ثم يورث ذلك تنفيراً من الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع وفي الواحدة كفاية في التصود من غير محذور ولست

- (١) حديث أسماء ولدت عبد الله بن الزبير بقاء ثم أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فضمها ثم نقل في فيه الحديث متفق عليه (٢) حديث ابن عمر كانت نوح امرأة أحبها وكان أبي يكرهها فأمرني بطلاقها الحديث أصحاح السنن قال ت حسن صحيح (٣) حديث أبي عامر امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير ما بأس لم ترح راحة الجنة وفي لفظ فالجنة عليها حرام أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث ثوبان (٤) حديث المتنلمات هن النافقات النسائي من حديث أبي هريرة وقال لم يسمع الحسن من أبي هريرة قال ومع هذا لم أسمعه إلا من حديث أبي هريرة قلت رواه الطبراني من حديث عتبة بن عامر بسند ضعيف (٥) حديث طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمرء مره فليراجعها الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر .

أقول: الجلع حرام لكنه مكروه بهذه المعاني وأعي بالكرهه تركه النظر لنفسه . الثالث أن يتألف في العمل بتطبيقها من غير تعنيف واستخفاف وتطبيب قلبها هدية على سبيل الإمتاع والجبر لما فيها من أذى الفراق قال تعالى - ومتنوعون - وذلك واجب مهما لم يسر لها مهر في أصل النكاح . كان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلقا ومكنا وجه ذات يوم بمن أصحابه لطلاق امرأتين من نساؤه وقال قل لهما اعتدا وأمره أن يدفع إلى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل ففعل رجع إليه قال ماذا فعلتا قال أما إحداها فنكست رأسها وتكست وأما الأخرى فكنت واتجعت ومعضتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فأطرق الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراحمها امرأاً بعد ما فارقتها لأرجعها . ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت لثك عائشة رضي الله عنها حيث قالت لو لم أسر يسرى ذلك لكان أحب إلي من أن يكون لي ستة عشر ذكراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فدخل عليه الحسن في بيته فخطبه عبد الرحمن وأجلسه في مجلسه وقال ألا أرسلت إلي فكتبت أجبتك فقال الحاجة لنا قال وما هي قال جئتكم خاطباً ابتك فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال والله ما على وجه الأرض أحد يثنى عليها أعز علي منك ولكنت تعلم أن ابني بضعة مني يسوؤا ما يسوؤها ويسرى مايسرها وأنت مطلق فأخاف أن تطلقها وإن فعلت خشيت أن يتغير قلبي فيحبك وأكره أن يتغير قلبي عليك فأتت بضعتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن شرطت أن لا تطلقها زوجتك فكنت الحسن وقام وخرج وقال بمن أهل بيته سمعته وهو يثنى ويقول : ما أراد عبد الرحمن إلا أن يجعل ابنته طوقاً في سبي . وكان على رضي الله عنه بغير من كثرة تطلقه فكان يمتد منه على الثبر ويقول خطبته : إن حسنا مطلقاً فلتكسوه حتى قام رجل من همدان فقال والله يا أمير المؤمنين لنكحته ما شاء فإن أحب أمسك وإن شاء تركه فسر ذلك علياً وقال :

لو كنت بواباً على باب جنة قلت لعمدان ادخل بسلام

وهذا تنبيه على أن من طعن في حبيبه من أهل وولده بنوع حياء فلا ينبغي أن يوافق عليه فهذه الموافقة فيجبة بل الأدب الخالصة ما أمكن فإن ذلك أسر قلبه وأوفق لباطن ذاته والقصد من هذا بيان أن الطلاق مباح وقد وعد الله النبي في الفراق والنكاح جميعاً قال - وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا قراء ينفهم الله من فضله - وقال سبحانه وتعالى - وإن نكحنا فمن الله كلام من سمته - . الرابع : أن لا ينفق سرها لافي الطلاق ولا عند النكاح قد ورد في إفتاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم <sup>(١)</sup> . وبروي عن بعض الصالحين أنه أراد إطلاق امرأة فقيل له ما الذي يريك فيها فقال العاقل لا يهتك ستر امرأته فلما طلقها قيل له لم تطلقها قال مالي ولا امرأة غیری فهذا بيان ما على الزوج .

( القسم الثاني من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها )

والقول الشافي فيه أن النكاح نوع رقي فله رقيقة له فله طاعة الزوج مطلقاً في كل ما طلب منها في نفسها ماله مادية فيه وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة : قال صلى الله عليه وسلم « يا أيها المرأة مات وزوجها راض عنها دخل الجنة » <sup>(٢)</sup> « وكان رجل قد فخر إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل

(١) حديث الوعيد في إفتاء سر المرأة مسلم من حديث أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : إن أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينفق سرها (٢) حديث أبي أمامة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة الترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أبي سلمة .

عند إبراهيم عليه السلام فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يثوب فبصل يثوب عليه السلام ذلك القديس في توحيد وجهه في عتق يوسف فكان لا يفرقه لما أتى في البرعرى بانه جاءه جبريل وكان عليه الصعود فأخرج القديس منه وألبسه إليه . أخبرنا الشيخ الماهر أبي البراء أحمد ابن اسمعيل القزويني بإسناده قال أنا أبو سعيد محمد بن أبي العباس قال أنا القاضي محمد بن سعيد قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد قال أخبرني ابن فضال بن الحسين بن محمد قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا الحسن بن علي بن عوف قال ثنا محمد بن علي بن عيسى قال ثنا إسحق بن بشر عن ابن السدي عن أبيه عن مجاهد قال كان يوسف عليه السلام أعلم بالله تعالى

من العلو إلى السفلى وكان أبوها في الأسفل ففرض فأرسلت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في النزول إلى أبيها فقال **عليه السلام** : أطعني زوجك ففأتها فاستأذنته فقال أطعني زوجك فدفن أبوها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها <sup>(١)</sup> . وقال صلى الله عليه وسلم «إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وسقطت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها» <sup>(٢)</sup> . وأضاف طاعة الزوج إلى مباني الإسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال «حاملات والداات مرضعات رحيات بأولادهن لولامياتين أزواجهن دخلن ممسكين الجنة» <sup>(٣)</sup> . وقال صلى الله عليه وسلم «اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء ، قلن لم يارسول الله ؟ قال يكثرن المعنى ويكفرن العشير» <sup>(٤)</sup> . يعني الزوج للعاشرة وفي خبر آخر «اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء قتلن من النساء قال شغلن الأحرار الذهب والزعفران» <sup>(٥)</sup> . يعني الحلى ومصبغات الثياب . وقالت عائشة رضي الله عنها «أنت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إلى فتاة أخطف فأكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال : لو كان من فرقة إلى قدمه صديد فلعنته ما أدت شكره قالت أفلا أزواج قال بل تزوجي فانه خير» <sup>(٦)</sup> . قال ابن عباس «أنت امرأة من ختم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني امرأة أيم وأريد أن أزواج فما حق الزوج ؟ قال : إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها وهي على ظهر بعر لا تمنعه ومن حقه أن لا تعطى شيئاً من بيته إلا بإذنه فان غفلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له ومن حقه أن لا تصوم تطوعاً إلا بإذنه فان غفلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعن الله الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب» <sup>(٧)</sup> . وقال صلى الله عليه وسلم «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت للمرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقها عليها» <sup>(٨)</sup> .

(١) حديث كان رجل خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل من العلو إلى السفلى وكان أبوها في السفلى ففرض الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف إلا أنه قال غفر لأبيها (٢) حديث إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها الحديث ابن حبان من حديث أبي هريرة (٣) حديث ذكر النساء فقال حاملات والداات مرضعات الحديث ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي أمامة دون قوله مرضعات وهي عند الطبراني في الصغير (٤) حديث اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٥) حديث اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء قتلن من النساء قال شغلن الأحرار الذهب والزعفران أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف وقال الحرير بدل الزعفران ولسلم من حديث عزة الأشجبية وبل للنساء من الأحرار من الذهب والزعفران وسنده ضعيف (٦) حديث عائشة أنت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت باني الله إلى فتاة أخطف وإني أكره التزويج فما حق الزوج على المرأة الحديث الحاكم وصححه إسناده من حديث أبي هريرة دون قوله بل تزوجي فانه خير ولم أره من حديث عائشة (٧) حديث ابن عباس أنت امرأة من ختم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني امرأة أيم وأريد أن أزواج فما حق الزوج الحديث البيهقي مقتصر على شطر الحديث ورواه بتمامه من حديث ابن عمر وفيه ضعف (٨) حديث لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والولد لأبيه من عظم حقهما عليها الترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة دون قوله والولد لأبيه فلم أرها وكذلك رواه أبو داود من حديث قيس بن سعد وابن ماجه من حديث عائشة وابن حبان من حديث ابن أبي أوفى .

من أن لا يسلّم أن فيه لا يرد على مقبوضه ولصنّ ذلك كان قيس إبراهيم وذكر ما ذكرناه قال فأمره جبرائيل أن أرسل قيساً فان فيه ربح الجنة لا يبع على مثلي أوسم الأصم وعوف فتكون الحرقه عند المريد الصادق متحمه إليه عرف الجنة لما عنده من الاعتداد بالصحية لله وري لبس الحرقه من عناية الله به وضل من الله فأما حرقه التبرك فيطلبها من مقطوعة التبرك بزي القوم ومثل هذا لا يطالب بشرائط الصفة بل يوصى بلزوم حدود الشرع ومخالطة هذه الطائفة لتعود عليه بركهم ويتأدب بأدابهم فسوف يرقه ذلك إلى الأهلية لحرقه الإرادة فعل هذا حرقه التبرك بذلوة لكل طالب

وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قمير بيتها وإن صلاتها في قمير دارها أفضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في قمير دارها وصلاتها في غنمها أفضل من صلاتها في بيتها <sup>(١)</sup> » والمندع بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال عليه السلام « المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان <sup>(٢)</sup> » وقال أيضا « للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فإذا ماتت ستر القبر المشر عورات <sup>(٣)</sup> » لحقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما الصيانة والستر والآخر ترك اللطالة عما ورام الحاجة والشفيعن كسبه إذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل إذا خرج من منزله يقول له امرأته أو ابنته يا لك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار . وم رجل من السلف السفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترين سفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منصرفه عرفته كالا وما عرفته رزاقولي رب رزاق يذهب الأكل ويبقى الرزاق . وخطبت رابعة بنت اسماعيل أحمد بن أبي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العباداة وقال لها والله مالي هم في النساء لشغلي بحالي فقالت إني لأشغل بحالي منك ومالي شهوة ولكن ورثت ما لا جزيل من زوجي فأردت أن تنفقه على أخوانك وأعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا إلى الله عز وجل فقال حتى أستأذن أسأئذي فرجع إلى أبي سليمان الداراني قال وكان ينهى عن التزويج ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا إلا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فاتها ولية لله هذا كلام الصديقين قال فتزوجها فكان في منزلها كمن من جس فقف من غسل أيدي للتعجيل بالخروج بعد الأكل فضلا عن غسل بالأنثان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تعلمن الطيبات وتطيبن وتقول اذهب بنشاطك وتوفك إلى أزواجك وكانت رابعة هذه تشبه في أهل الشام رابعة المدوية بالبصرة . ومن الواجبات عليها أن لا تفرط في ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يخل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الذي يخاف فسادَه فإن أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر <sup>(٤)</sup> » ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن العاشرة وأداب الشرة مع الزوج كما روى أن أسماء <sup>(١)</sup> حديث أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قمير بيتها فإن صلاتها في قمير دارها أفضل من صلاتها في المسجد الحديث ابن جبان من حديث ابن مسعود بأول الحديث دون آخره وآخره رواه أبو داود ومختصرا من حديثه دون ذكر قمير الدار ورواه البيهقي من حديث عائشة بلفظ ولأن تضي في الدار خير لها من أن تضلي في المسجد وإسناده حسن ولابن جبان من حديث أم حميد بنحوه <sup>(٢)</sup> حديث المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان الترمذي وقال حسن صحيح وابن جبان من حديث ابن مسعود <sup>(٣)</sup> حديث للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة الحديث الحافظ أبو بكر محمد بن عمر الجعفي في تاريخ الطالبيين من حديث علي بن سند ضيف وللطبراني في الصغير من حديث ابن عباس للمرأة ستران قبل وماها قال الزوج والقب <sup>(٤)</sup> حديث لإجل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الحديث أبو داود الطيالسي والبيهقي من حديث ابن عمر في حديث فيه ولا تعطى من بيته شيئا إلا بإذنه فإن فعلت ذلك كان له الأجر وعليه الوزر ولأبي داود من حديث سعد قال امرأة يارسول الله إنا كل على آبائنا وأبنائنا وأزواجنا في محل لنا من أموالهم قال الرطب تأكله وتهديته وقد صحح الدارقطني في العلل أن سعدا هادرا جل من الأنصار ليس ابن أبي وقاص واختاره ابن القطان والمسلم من حديث عائشة إذا أعفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أعفقت وزوجها أجره بما كسب .

وخرقة الإراة ممنوعة  
إلا من المصدق الراغب  
وليس الأزرق من  
استحسان الشيوخ  
في الحرقه فان رأى  
شيخ أن يلبس مريدا  
غير الأزرق فلس  
لأحد أن يترش  
عليه لأن الشايخ  
آراؤهم فبا يفعلون  
بحكم الوقت وكان  
شيخنا يقول كان  
الفقير يلبس قصير  
الأكام ليكون أعون  
على الخدمة ويجوز  
للشيخ أن يلبس اللريد  
خرقا في دفعت على  
قدر ما يتلح من  
الصحة اللريد في ذلك  
على ما سلفناه من  
تداوى هؤلاء في  
البوس واللون  
فيختار الأزرق لأنه  
أرقق للفقير لكونه  
يعمل الوسخ ولا  
يجوز إلى زيادة  
الفصل لهذا المعنى  
غضب وما عدا هذا  
من الوجوه التي  
يذكرها بعض



بنت خالجه الفزاري قالت لا بنتها عند الزوج : إنك خرجت من العتي الذي فيه درجت فصرت إلى فراش  
إم تفرق قرين لم تألفيه فكأنه أرماء يكن لك سماه . وكأنه له هاداك يكن لك عماداً وكأنه أمة يكن  
لك عبداً لا تلحق به فيقال ولا تباعدى عنه فينساك إن دنا منك فأقرق منه وإن نأى فأبدي عنه واخطفى  
أفعمومه وعينه فلا يشمن منك إلا طيباً ولا يمسح إلا حسناً ولا ينظر إلا جليلاً . وقال رجل لزوجته :

خذى الغو مني استدعني مودق ولا تنطق في سورتي حين أغضب  
ولا تقرقني شوك الدف مرة فانك لا تدرين كيف اللبيب  
ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى وبأباك قلبي والقلوب تغلب  
فاني رأيت الحب في القلب والأذى إذا اجتمع لم يلبث الحب يذهب

فأقول الجامع في آداب المرأة من غير تطويل أن تكون قاعدة في قصر بيتها لازمة لئلا لها لا يكثر  
صودها وإطالها قليلة السلام لجيرانها لا تدخل عليهم إلا في حال بوجب الدخول تحفظ بعلها في  
غيبتها وتطلب مسرته في جميع أمورها ولا تحونه في نفسها وماله ولا يخرج من بيتها إلا بإذنه فان  
خرجت بذاته لمحتنية في هيئة رثة تطلب الواضع الحالية دون الشوارع والأسواق محترمة من أن  
يسمع غريب صوتها أو يبرفها بشخصها لا تتصرف إلى صديق بعلها في حاجتها بل تتسكبر على من تظن  
أنه يعرفها أو تعرفه معها صلاح شأنها وتدير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها وإذا استأذن صديق  
لبعلها على الباب وليس البعل حاضر لم تستقم ولم تعاهده في الكلام غيره على نفسها وبعلمها وتكون  
قائمة من زوجها بما رزق الله وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها منتظفة في نفسها مستعدة  
في الأحوال كلها للتمتع بها إن شاء . مشقة على أولادها حافظه للستر عليهم قصيرة اللسان عن سب  
الأولاد ومراعاة الزوج وقد قال صلى الله عليه وسلم « أنا وامرأة سفعاء الحدين كهاتين في الجنة  
امرأة آمنت من زوجها وحسنت نفسها على بناتها حتى تابوا أو ماتوا (١) » وقال صلى الله عليه وسلم  
« حرم الله على كل آدمي الجنة بدخلها قبل غير أني أنظر عن يميني فإذا امرأة تبادرنى إلى باب الجنة  
فأقول لها تبادرنى فيقال لي يا محمد هذه امرأة كانت حسنة جميلة وكان عندها يتامى لها فضررت  
عليهن حتى بلغ أمرهن الذي بلغ ففكر الله لها ذلك (٢) » . ومن آدابها أن لا تتفاخر على الزوج  
بجمالها ولا تزدري زوجها لتبجح فقد روى أن الأصمى قال دخلت البادية فإذا أنا بامرأة من أحسن  
الناس وجها تحت رجل من أقيس الناس وجها فقلت لها يا هذه أترضين لنفسك أن تكوني تحت  
مثلته فقالت يا هذا اسكت فقد أسأت في قولك لله أحسن فها بينه وبين خاتمه فيصلني ثوبه أو ليلي  
أسأت فها بيني وبين خاتمي فجعل عتوق أفلا أرضى بما رضى الله لي فأسكتني . وقال الأصمى رأيت  
في البادية امرأة عليها قميص أحمر وهي محتضبة ويدها سبعة قفلت ما أجد هذا من هذا فقالت :

وقد مني جانب لا أضيقه ولهم مني والبطالة جانب

فعلت أنها امرأة سالحة لها زوج تحزن له . ومن آداب المرأة ملازمة الصلاح والاحتياض في غيبة  
زوجها والرجوع إلى اللب والانتبساط وأسباب اللذة في حضور زوجها ولا ينبغي أن تؤذي زوجها  
بالمال روى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا  
قالت زوجته من المحور العين لا تؤذيها فأنالك الله فأنما هو عندك دخيل يوشك أن ينفارقك (٣) »

(١) حديث أنا وامرأة سفعاء الحدين كهاتين الحديث أبو داود من حديث أبي مالك الأشعري بسند  
ضعيف (٢) حديث حرم الله على كل آدمي الجنة أن يدخل قبل غير أني أنظر عن يميني فإذا امرأة  
تبادرنى إلى باب الجنة الحراطين في مكالم الأخلق من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٣) حديث معاذ

التصوفة في ذلك كلام  
إتقاني من كلام  
التصنيين ليس من  
الدين والحقيقة بشيء  
سمعت الشيخ سعيد  
الدين أبي الفجر المهداني  
رحمه الله قال : كنت  
يصفاد عند أبي بكر  
الشروطي فخرج إلينا  
قبر من زاوية عليه  
ثوب وبسج قاله بعض  
القراء لم لا تقبل  
ثوبك فقال يا أخى  
ما أغضغ قال الشيخ  
أبو الفضل أزاله أنت فذكر  
حلاوة قول الفقير  
ما أغضغ لأنه كان  
صادقا في ذلك فأجد  
قوة قوله وبركة  
بشكركم ذلك  
فاختاروا اللون لهذا  
للعن لأنهم من رعاية  
وقتهم في شغل شاغل  
والأفأى ثوب ألبس  
الشيخ المرید من  
أبيض وغير ذلك  
فالشيوخ ولاية ذلك  
بحسن مقصده ووفور  
عنه وقد رأينا من  
الشيوخ من لا يلبس

وما يجب عليها من حقوق النكاح إدامات عنها زوجها أن لا تحد عليه أكثر من أربعة أشهر وعشرا وتجنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينت بنت أبي سلمة دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه مفرقة خلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مست بعاصمها ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير أني صمت رسول الله ﷺ قول « لا يحمل المرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا (١) » وبانها لزوم مسكن النكاح إلى آخر العدة وليس لها الانتقال إلى أهلها ولا الخروج إلا الضرورة . ومن آدابها أن تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها قدر قوى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها أنها قالت تزوجني الزبير ودته في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضح فكت أعلف فرسها كتيبه مؤتة وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأسقي الماء وأخر زغربه وأعجن وكنت أهدل النوى على رأس من تلقى فرسخ حتى أرسل إلى أبي بكر بجارية فكتني سياسة لفرس فكأنما أغتني (٢) وقبعت رسول الله ﷺ يوما معه أصحابه والنوى على رأسي فقال صلى الله عليه وسلم أشع ليخبر نائته وعملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وكرت الزبير وغيره وكان غير الناس يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد استحييت فحبست الزبير فحكيت ما جرى فقال والله حملك النوى على رأسك أشد على من ركوبك معه . ثم كتاب آداب النكاح بحمد الله ومنه وصلى الله على كل عبد مصطفى .

### ( كتاب آداب الكسب والعاش )

وهو الكتاب الثالث من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

( بسم الله الرحمن الرحيم )

نحمد الله حمد موحدا أنحق في توحيد ما سوى الواحد الحق وتوالتى . ونعجده تعجيد من يصح بأن كل شيء مأسوى الله باطل ولا يتعاشى . وأن كل من في السموات والأرض إن خلقوا ذابا ولوانجموا له ولا فزاشا . ونشكره إذ فرغ السماء له باده سقفا مبنيا ومهد الأرض بساطا لهم وفراشا . وكوثر اللبيل على النهار فجعل اللبيل لباسا وجعل النهار معاشا . لينتسروا في ابتغاء فضله ويتعشوا به عن ضراعة الحاجات انتعاشا . ونصلى على رسوله الذي يصدر للؤمنين عن حوضه رواء وبدور ودهم عليه عطاشا . وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا في نصرة دينه تشمرا وإنكماش . وسلم تسليما كثيرا .

[ أما بعد ] فإن رب الأرباب ومسبب الأسباب . جعل الآخرة دار الثواب والعقاب والدنيا دار التحلل والاضطراب . والتشمر والاكتساب . وليس التشمر في الدنيا مقصورا على العباد دون العاش بل العاش ذرية إلى العباد ومعين عليه فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة إليها . والناس ثلاثة رجل شغل معاشه عن معاده فهو من المالكين ورجل شغل معاده عن معاشه فهو من الفائزين والأقرب إلى الاعتدال هو الثالث الذي شغل معاشه لمعاده فهو من المتقنين . ولن ينال رتبة الاقتصاد من لم يلازم في طلب المعيشة منهج السداد ولن يتنزه من طلب الدنيا وسيلة إلى الآخرة وذرية مالم

لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه الحديث الترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه (١) حديث أم حبيبة لا يحمل المرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا متفق عليه (٢) حديث أسماء تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرس وناضح فكت أعلف فرسه الحديث متفق عليه .

( كتاب آداب الكسب )

الحرقه ويسلك بأقوام من غير ليس الحرقه ويؤخذ منه العلوم والآداب وقد كان طبقة من السلف الصالحين لا يعرفون الحرقه ولا يلبسونها للبردين فن يلبسها فله تمديد صحيح وأمل من السنة وشاهد من الصرع ومن لا يلبسها فله رأيه وله في ذلك مقصد صحيح وكل تصانيف الشايخ محمولة على البساده والصواب ولا تخلو عن نية صالحة فيه والله تعالى ينفعهم وبآثارهم إن شاء الله تعالى .

[ الباب الثالث عشر

في فضيلة سكان الرباط ]

قال الله تعالى في بيوت

أذن الله أن ترفع

ويذكر فيها اسمه يسبح

له فيها الصلوات والأعمال

رجال لا تلهيهم تجارة

ولا بيع عن ذكر الله

وإقام الصلاة وإيتاء

الزكاة يخافون يوما

تقلب فيه القلوب

يتأدب في طلبها بأداب الترمية . وهاعن نورد آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات ومنها وتدرجها في خمسة ابواب . الباب الأول : في فضل الكسب والحث عليه . الباب الثاني : في علم صحيح البيع والشراء والمعاملات . الباب الثالث : في بيان العدل في المعاملة . الباب الرابع : في بيان الإحسان فيها . الباب الخامس : في شفقة التاجر على نفسه ودينه .

### ( الباب الأول في فضل الكسب والحث عليه )

أما من الكتاب قوله تعالى - وجعلنا النهار معاشا - فذكره في معرض الامتنان ، وقال تعالى - وجعلنا لكم فيها معايش ذليلا ماثركون - فجعلها ريبك نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى - ليس عليكم جناح أن تنفقوا فضلا من ربي - وقال تعالى - وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله - وقال تعالى - فانفقوا في الأرض وابتغوا من فضل الله - وأما الأخبار : فقد قال صلى الله عليه وسلم « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الله من طلب العيشة <sup>(١)</sup> » وقال عليه الصلاة والسلام « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من طلب الدنيا حلالا وتنفقا عن اللسعة وسعيا على عباله وتطفقا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر <sup>(٣)</sup> » وكان صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسمى فقالوا وبع هذا لو كان شبابه وجيله في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم : لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسمى على نفسه ليكفرها عن اللسعة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وإن كان يسمى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفرهم فهو في سبيل الله وإن كان يسمى فتاخرا وتكثرا فهو في سبيل الشيطان <sup>(٤)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب العبد يتخذ للهنة يستغنى بها عن الناس ويغنى العبد يتعلم العلم يتخذ مهنة <sup>(٥)</sup> » وفي الخبر « إن الله تعالى يحب المؤمن المخترف <sup>(٦)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور <sup>(٧)</sup> » وفي خبر آخر

### ( الباب الأول في فضل الكسب والحث عليه )

(١) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الله من طلب العيشة تقدم في السكاح (٢) حديث التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء الترمذي والحاكم من حديث أبي سعيد قال الترمذي حسن وقال الحاكم إنه من مرسل الحسن ولا ابن ماجه والحاكم نحوه من حديث ابن عمر (٣) حديث من طلب الدنيا حلالا وتنفقا عن اللسعة وسعيا على عباله الحديث أبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسمى فقالوا وبع هذا لو كان جلد في سبيل الله الحديث الطبراني في معارج الثلاثة من حديث كعب بن عجرة بسند ضعيف (٥) حديث إن الله يحب العبد يتخذ للهنة يستغنى بها عن الناس الحديث لم أجده هكذا ، وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام في فضل الحلال وفيه محمد بن سهل العطار قال الله ارقطني يضع الحديث (٦) حديث إن الله يحب المؤمن المخترف الطبراني وابن عدي وضعفه من حديث ابن عمر (٧) حديث أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور أحمد بن محمد بن رافع بن خديج قيل يارسول الله أي الكسب أطيب قال عمل الرجل بيده وكل عمل مبرور ورواه الزوار والحاكم من رواية سعيد بن عمر عن عمه قال الحاكم صحيح الاستاذ قال وذكر يحيى بن معين أن عمه سعيد البراء بن عازب ورواه البيهقي من رواية سعيد بن عمر مرسلًا وقال هذا هو المخطوط فخطأ قوله من قال عن عمه وحكا عن البخاري ورواه أحمد والحاكم بن رواية

والأبصار - قيل إن هذه البيوت هي للساجد وقيل بيوت المدينة وقيل بيوت التي عليه الصلوة والسلام : وقيل لما نزلت هذه الآية قام أبو بكر رضي الله عنه وقال يارسول الله هذه البيوت منها بيت على وقاطعة قال نعم أفضها . وقال الحسن : بئاع الأرض كلها . جلست مسجدا لرسول الله عليه الصلاة والسلام فعلى هذا الاعتبار بالرجال الدركيين لا بصور البقاع وأي بقعة حوت رجالا بهذا الوصف هي البيوت التي أذن الله أن ترفع : روى أنس ابن مالك رضي الله عنه أنه قال « ما من صياح ولا رواح إلا وبئاع الأرض ينادي بعضها بعضا هل من بك اليوم أحد صلى عليك أو ذكر الله عليك فمن فائتكم ومن فائتكم لا فائتكم قالت نعم قلت أن لها عليها بذلك فضلا وما

من عبد ذكر الله تعالى على بقعة من الأرض أو صلّى الله عليها إلا شهدت له بذلك عند ربه وبكت عليه يوم يموت. ، وقيل في قوله تعالى - فما بصكت عليهم الباء والأرض - تنبيه على فضيلة أهل الله تعالى من أهل طاعته لأن الأرض تبكي عن ربك إلى الدنيا وتابع الهوى فسكان الرباط هم الرجال لأنهم رباطوا نفوسهم على طاعة الله تعالى واشتغلوا إلى الله فأقام الله لهم الدنيا خادمة .

وروى عمران بن الحصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قطع إلى الله كفاء الله فهو له ورزقه من حيث لا يحتسب ومن أتبع إلى الدنيا وكله الله إليها » وأصل الرباط ما يربط فيه الحبل ثم قيل لكل ثمر يدفع أهله عنه

« أحل ما أكل البعد كسب يد الصانع إذا نصح »<sup>(١)</sup> وقال عليه السلام « عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق »<sup>(٢)</sup> وروى أن عيسى عليه السلام رأى رجلاً فقال مانع ؟ قال أتريد قال من يهلك ؟ قال أخى قال أخوك أعيد منك وقال نبي الله صلى الله عليه وسلم « إني لأعظم شيئاً بقر بكم من الجنة ويعدكم من النار إلا أمرتكم به وإني لأعظم شيئاً يعدكم من الجنة ويقر بكم من النار إلا نهيتكم عنه وإن الروح الأمين تقت في روعي إن نسا لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » أمر بالإجمال في الطلب ولم يقل أتركوا الطلب ثم قال في آخره « ولا يجملنكم استبطاء شيء من الرزق على أن تطلبوه بمصيبة تأتي الله تعالى فإن لا ينال ماعنده بمصيبة »<sup>(٣)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « الأسواق مواثد الله تعالى فمن أنماها أصاب منها »<sup>(٤)</sup> وقال عليه السلام « لأن يأخذ أحدكم حبله فيخطب على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه »<sup>(٥)</sup> وقال « من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر »<sup>(٦)</sup> . وأما الآثار : فقد قال لقمان الحكيم لابنه : يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعت في عقله وذهاب مروءته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به . وقال عمر رضي الله عنه : لا يفتقر أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمت أن السماء لا تمطر ذهباً ولافضة وكان زيد بن مسعدة يغرس في أرضه فقال له عمر رضي الله عنه أصبت استغن عن الناس يكن أسون لديك وأكرم لك عليهم كما قال صاحبكم أحيحة : فلن أزال على الزوراء أغمرها إن الكريم على الإخوان ذو النال

وقال ابن مسعود رضي الله عنه إني لأكره أن أرى الرجل قارفاً في أمر دنياه ولا في أمر آخرته . وسئل إبراهيم عن التاجر الصدوق أهو أحب إليك أم التفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق أحب إليّ لأنه في جهاد بآفة الشيطان من طريق السكياك والبرزاق ومن قبل الأخذ والمطاء فيجاهده وخالفه الحسن البصري في هذا وقال عمر رضي الله عنه : مادن موضع يأتي اللوت فيه أحب إلي من موطن أتسوق فيه لأهل أبيع واشترى وقال الهيثم ربما ييلقى عن الرجل يعم في فأذكر استغناني عنه فيكون ذلك علي وقال أيوب كسب فيه شيء أحب إلي من سؤال الناس وجاءت ربيع

جميع بن محبر عن خاله أبي بردة وجميع ضعيف والله أعلم<sup>(١)</sup> حديث أحل ما أكل البعد كسب الصانع إذا نصح أحمد من حديث أبي هريرة خير الكسب كسب العامل إذا نصح وإسناده حسن<sup>(٢)</sup> حديث عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق إبراهيم الحربي في غرب الحديث من حديث نعم بن عبد الرحمن تسعة أعشار الرزق في التجارة ورجاله ثقات ونعم هذا قال فيه ابن منده ذكر في الصحابة ولا يصح وقال أبو حاتم الرازي وابن حبان إنه تابعي فالحديث مرسل<sup>(٣)</sup> حديث إني لأعظم شيئاً يعدكم من الجنة ويقر بكم من النار إلا نهيتكم عنه فإن الروح الأمين تقت في روعي إن نسا لن تموت حتى تستوفى رزقها الحديث ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم من حديث ابن مسعود وذكره شاعداً الحديث أبي حميد وجابر وصحهما على شرط الشيخين وهما مختصران ورواه البيهقي في شعب الإيمان وقال إنه منقطع<sup>(٤)</sup> حديث الأسواق مواثد الله فمن أنماها أصاب منها ورواه علي بن ميمون في حديث أبي هريرة<sup>(٥)</sup> حديث لأن يأخذ أحدكم حبله فيخطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة<sup>(٦)</sup> حديث من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر الترمذي من حديث أبي كبشة الأسعري ولا تفتح عبد باب مسئلة إلا فتح الله عليه باب قدر أو كلة نحوها وقال حسن صحيح .

عاصفة في البحر فقال أهل السفينة لإبراهيم بن آدم رحمہ اللہ وكان معهم فيها أما ترى هذه الشدة فقال ما هذه الشدة إنما الشدة الحاجة إلى الناس . وقال أيوب قال لي أبو قلابة أئتم السوق فإن القنى من العافية يحى القنى عن الناس . وقيل لأحمد مات قول فيمن جالس في بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيئا حتى يأتي رزقي فقال أحمد هذا رجل جهل العلم أسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله جمل رزقي تحت ظل رمحي (١) » وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال « تندو خالصا وتروح بطنان (٢) » فذكر أنها تندو في طلب الرزق ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون في تحييلهم والقدوة بهم وقال أبو قلابة لرجل لأن أراك تطلب مماشك أحب إلى من أن أراك في زاوية المسجد . وروى أن الأوزاعي لقي إبراهيم بن آدم رحمهم الله وعلى عنقه حزمة حطب فقال له يا أبا إسحق إلى متى هذا إخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا يا أبا عمرو فانه يلقي أنمن وقصه موقف مثلة في طلب الحلال وجبت له الجنة وقال أبو سليمان الداراني ليس العبادة عندنا أن تصف قديمك وعيرك بقوتك ولكن ابتداء برغيك فأحرزها ثم تصد . وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ينادى مناد يوم القيامة أين بضاء الله في أرضه فيقوم سؤال للساجد فهذه مذبذبة (الشرع لسؤال والانكسار على كفاية الأغيار ومن ليس له مال موروث فلا ينجي من ذلك إلا الكسب والتجارة . فان قلت قد قال صلى الله عليه وسلم « ما أوحى إلى أن أجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحى إلى أن تسبح محمد ربك وكن من الساجدين وابد ربك حتى يأتيك اليقين (٣) » وقيل لسلمان الفارسي أوصنا فقال من استطاع منكم أن يوت حاجا أو غاربا أو أمرا للمسجد فليعمل ولا يعوت تاجرا ولا خائنا . فالجواب أن وجه الجمع بين هذه الأخبار تضليل الأحوال فنقول لسنا حول التجارة أفضل مطلقا من كل شيء ولكن التجارة إما أن تطلب بها الكفاية أو الثروة أو الزيادة على الكفاية فان طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكمال المال وادخاره لا ليصرف إلى الخيرات والصدقات فهي مذمومة لأنه إقبال على الدنيا التي جها رأس كل خطيئة فان كان مع ذلك ظلما لخائنا فهو ظلم وفسق وهذا مآل زائله سلمان بقوله لا تحت تاجرا ولا خائنا وأراد التاجر طالب الزيادة فأما إذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده وكان يقدر على كفايتهم السؤال فالتجارة تنفعا عن السؤال أفضل وإن كان لا يحتاج إلى السؤال وكان يعطى من غير سؤال فالكسب أفضل لأنه إنما يعطى لأنه سائل بلسان حاله ومناد بين الناس بفقره فالتعفف والتسرى إلى من البطالة بل من الاشتغال بالعبادات الدينية وترك الكسب أفضل لأربعة عابدين العبادات البدنية أو رجل له سيرة بالباطن وعمل بالقلب في علوم الأحوال والكشفات وأعمال مشتمل بترتيعه الظاهر بما ينفع الناس في دينهم كالمفتي والفكر والمحدث وأمثالهم أو رجل مشتمل بمصالح المسلمين وقد تكفل بأمرهم كالسلطان والقاضي والشاهد فهو له إذا كانوا يكفون من الأموال المرددة للمصالح والأوقاف السبلية للفقراء أو العلماء فيقال لهم على ما هم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب ولهذا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسبح محمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح إليه أن كن من التاجرين لأنه كان جامعا لهذه المغانى الأربعة إلى زادات لا يحيط بها الوصف ولهذا أشار الصحابة إلى أن يكرهوا الله عنهم بترك التجارة قالوا في الخلافة إذ كان ذلك يشغله عن الصالح وكان يأخذ كفايته من مال الصالح ورأى ذلك أولى

(١) حديث إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي أحمد من حديث ابن عمر جعل رزقي تحت ظل رمحي وإسناده صحيح (٢) حديث ذكر الطير فقال تندو خالصا وتروح بطنان الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي حسن صحيح (٣) حديث ما أوحى إلى أن أجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحى إلى أن تسبح محمد ربك وكن من الساجدين ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين .

وراءهم رباط فالجاهد للرباط يدفع عن وراءه والقيم في الرباط على طاعة الله يدفع به ويدعاه البلاد عن العباد والبلاد . أخبرنا الشيخ المارمزي الدين أبو الخير أحمد بن اسمعيل القزويني إجازة قال أنا أبو سعيد محمد ابن أبي العباس الحلبي قال أخبرنا القاضي محمد ابن سعيد القزويني قال أنا أبو إسحق أحمد ابن محمد قال أنا الحسين ابن محمد قال أنا أبو بكر ابن خزيمة قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبو حميد الحمصي قال حدثنا يحيى بن سعيد القطار [ ١ ] قال حدثنا خصم بن سليمان عن محمد بن سوية عن وبرة بن عبد الرحمن [ ٢ ] قوله بالهشام القطار هكذا بنسخة وفي أخرى المطار وله القطان بالنسبون وليحرر .

ثم لما ترقى أوصى برده إلى بيت المال ولكنه رآه في الابتداء أولى ، ول هؤلاء الأربعة حالتان أخريان أحدهما أن تكون كفائهم عند ترك الكسب من أيدي الناس وما يصدق بهم عليهم من زكاة أو صدقة من غير حاجة إلى سؤال فترك الكسب والاشتغال بما هم فيه أولى إذ فيه إغاة الناس على الخيرات وقبول منهم ما هو جق عليهم وأفضل لهم . الحالة الثانية الحاجة إلى السؤال وهذا في محل النظر والتشديدات التي روتها في السؤال وذمة تدل ظاهرا على أن التنصت عن السؤال أولى وإطلاق القول فيه من غير ملاحظة الأحوال والأشخاص عسير بل هو موكل إلى اجتهد البعد ونظره لنفسه بأن يقال ما ياتي في السؤال من اللذة وهتك الروء والحاجة إلى التثبيل والإلحاح بما يصح من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره فرب شخص تستكر فائدة الخلق وفائدته في اشتغاله بالعلم أو العمل ويهون عليه بأذن تعرض في السؤال تحصيل الكفاية وربما يكون بالعكس وربما يتقابل للطلب والمحدور فينبغي أن يستقن المرید فيه قلبه وإن افتاء اللغتون فإن الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الأحوال ولقد كان في السلف من له ثلثائة وستون صديقا يزل على كل واحد منهم ليلة وممن من له ثلاثون وكانوا يشتغلون بالمادة لهم بأن التكفين بهم يتقلدون منه من قبولهم لبرائهم فكان قبولهم لبرائهم خيرا مضافا لهم إلى عباداتهم فينبغي أن يدق النظر في هذه الأمور فإن أجر الأخذ كاجر العطى مهما كان الأخذ يستعين به على الدين والعطى يسطيه عن طيب قلب ومن أطلع على هذه المعاني أمكنه أن يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الأفضل له بالإضافة إلى حاله ووقته فهذه فضيلة الكسب ولكن المقد الذي به لا يكتب جامعا لأربعة أمور الصحة والعمل والإحسان والشفقة على الدين ونحن نقدر في كل واحد ما يابى ونبتدى بذكر أسباب الصحة في الباب الثاني .

( الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع والربا والسلام والإجارة والقراض والشركة )  
وبين شروط الشرع في صحة هذه التصرفات التي هي مدار الكسب في الشرع )  
اعل أن تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مسلم مكنت لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم وإنما هو طلب العلم المحتاج إليه والكسب يحتاج إلى علم الكسب ومهما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدت العاملة فيفتيا وما شد عنه من الفروع المشكلة فيقع على سبب إشكالها فتوقف فيها إلى أن يسأل فإنه إذا لم يعلم أسباب الفساد يعلم جمى فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسؤال ولو قال لا أنعم العلم ولكنى أصبر إلى أن تقع لي الواقعة فنبتدأ أتملم وأسئق فينتال له وهم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جل مفسدت العقود فانه يستمر في التصرفات ونظها صحيحة مباحة فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ليمتثل للباح عن المحظور وموضع الإشكال عن موضع الممنوع ولذلك روى عن عمر رضي الله عنه أنه كان يطوف السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا إلا من يفعه وإلا أكل الربا شاء أم أفي ، وعلم العقود كثير ولكن هذه العقود الستة انتفك المكسب عنها وهي البيع والربا والسلام والإجارة والشركة والقراض فلتنسح شروطها .

#### ( المقد الأول البيع )

وقد أحله الله تعالى وله ثلاثة أركان العاقد والمقود عليه واللفظ . الركن الأول : العاقد ينبغي للتاجر أن لا يبادل بالبيع أربعة الصى والمجنون والمبد والأعمى لأن الصى غير مكلف وكذا المجنون ويعهما باطل فلا يصح بيع الصى وإن أذن له فيه الولي عند الشافعى وما أخذ منها مضمون عليه لها وما سلمه في العاملة إليها فضعاف في أيديهما فهو الضعيف . وأما البديل العاقد فلا يصح بيعه وشراؤه إلا بإذن سيده

#### ( الباب الثاني في علم الكسب )

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يلدغ بالمسلم الصالح عن مائة من أهله ومن جيرانه البلاء . » وزوى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لولا عباد الله وكع وصية رضيع وبهائم رزع لسب عليك العذاب سباً ثم يرض رضا » وروى جابر بن عبد الله قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى ليصلح صلاح الرجل ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله مادام بهم » وروى داود بن صالح قال قال لي أبو سفة ابن عبد الرحمن يابن أخى هل تدري في أى شيء نزلت هذه الآية - اسبروا وصابروا ورباطوا اسقتل قال يابن أخى لم يكن في

ففي البقال والخياض والقصاب وغيرهم أن لا يماضوا المبيعا ما تأن لهم السادة في معاملتهم وذلك بأن يسمه صريحا أو يقتصر في إليه أنه مأذون له في التبرأ لبيده وفي البيع له فيقول له في الاستفاضة أو على قول عدل غيره بذلك فإنه يبرأ إذن السيد فقده باطلا وما أخذه منه مضمون عليه لبيده وماله من أن ضاع في يد العبد لا يتعلق برقبته ولا ضمنه سيده بل ليس له إلا اللطالة إذا عتق . وأما الأعمى فإنه يبيع ويشترى ما لا يرى فلا يصح ذلك فليأمره بأن يوكل وكلا يصير لا يشترى له أو يبيع فصح توكيله . وبيع يبيع وكيله فإن عامله التاجر بنفسه فالمعاملة فاسدة وما أخذه منه مضمون عليه بقيته وما سلمه إليه أيضا مضمونه بقيته . وأما الكافر فتجوز معاملته لكن لا يباع منه المصحف ولا العبد المسلم ولا يباع منه السلاح إن كان من أهل الحرب فإن قل في معاملات مردودة وهو عاص بها ربه . وأما الجنبية فمن الأراك والتركانية والعرب والأكراد والسرقات والحونة وأكلة الربا والظلمة وكل من أكرمه الله حرام فلا يبغي أن يبتاع بها في أيديهم شيئا لأجل أنها حرام إلا إذا عرف شيئا بينه أنه حلال وسأى تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام . الركن الثاني في العقود عليه : وهو المال التصود نقله من أحد الماعقين إلى الآخر ثمتا كان أو ثمتا فبغير في ستة شروط . الأول أن لا يكون نجسا في عينه فلا يصح بيع كلب وخنزير ولا بيع زبل وعدرة ولا بيع العاج والأواني المتخذة منه فإن العظم ينجس بالموث ولا يطره القيل بالذبح ولا يطره عظمه بالذكية ولا يجوز بيع الحجر ولا بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات التي لا تؤكل وإن يصلح للاستصباح أو طلاء السفن ولا يأس ببيع الدهن الطاهر في عينه الذي نجس بوقوع نجاسة أو موت ذرة فيه فإنه يجوز الانتفاع به في غير الأكل وهو في عينه ليس بنجس وكذلك لأرى بأسا ببيع زرارته فإنه أصل حيوان ينتفع به وتشبيهه بالبيش وهو أصل حيوان أولى من تشبيهه بالروث ويجوز بيع فأرة السك ويقضى بطلانها إذا انفصلت من الظبية في حالة الحياة . الثاني أن يكون متصفا به فلا يجوز بيع الحشرات ولا الفأرة ولا الحية ولا الثفات إلى انتفاع المتعبد بالحية وكذا لا الثفات إلى انتفاع أصحاب الحق باخراجها من السلة وعرضها على الناس ويجوز بيع الحررة والتحلل وبيع القيد والأسد وما يصلح لعبد أو ينتفع بجملة ويجوز بيع القيد لأجل الحل ويجوز بيع الطوطى وهي البياض والطاوس والطيور للبيعة الصور وإن كانت لا تؤكل فإن التفرج بأصواتها والنظر إليها غرض مقصود مباح وإنما الكلب هو الذي لا يجوز أن يقتنى إعجابا بصورته انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه (١) ولا يجوز بيع العود والصنج والزامير واللامية فإنه لا يفسد لها شرعا وكذا بيع الصور الصنوعة من الطين كالحيوانات التي تباع في الأعياد لعب الصبيان فإن كسرها واجب شرعا وصور الأشجار متسامح بها وأما الباب والأطباق وعليها صور الحيوانات فيصح بيعها وكذا السنور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما شفع الله عناء أغذى منها تمارق (٢) ولا يجوز استعمالها منسوبة ويجوز موشوعة وإذا جاز الانتفاع من وجه مع البيع فذلك الوجه . الثالث أن يكون التصرف فيه عملا كالعائد أو مأذونا من جهة المالك ولا يجوز أن يشتري من غير المالك انتظارا للأذن من المالك بل لو رضى به بذلك وجب استئذان الله ولا ينبغي أن يشتري من الزوجة مال الزوج ولا من الزوجة مال الزوج ولا من الولد مال الولد ولا من الولد مال الولد اعتقادا أنه لو عرف لرضى به فإنه إذا لم يكن الرضا متقدما لم يصح البيع وأمثال ذلك مما يجري في الأسواق فوجب على العبد للتدين أن يحترق منه . الرابع أن يكون العقود عليه مقدورا على تسليمه

(١) حديث النبي عن اقتناء الكلب متفق عليه من حديث ابن عمر عن أبي كلب مائة أو ثمانيا  
نقص من عمله كل يوم قيراطان (٢) حديث أغذى منها تمارق بقوله لما شفع الله عناء من حديثها .

زمن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم غزويرط  
فيه ساجيل ولنكنه  
انتظار الصلاة بعد  
الصلاة فالرباط جهاد  
النفس والتسليم في  
الرباط مرابط مجاهد  
نفسه قال الله تعالى  
سوا جهادوا في الله حق  
جهاده - قال عبد الله  
ابن المبارك هو مجاهدة  
النفس والموى وذلك  
حق المجاهد وهو  
المجاهد الأسكبر على  
ماروى في الخبر أن  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال حين  
رجع من بسن غزوانه  
« رجنا من الجهاد  
الأفسر إلى الجهاد  
الأكبر » . وقيل : إن  
بسن الصالحين كتب  
إلى أمه له يستدعيه  
إلى التزويج فكتب إليه  
يا أخى كل التصور جمعة  
في بيت واحد  
والباب على مردود  
فكتب إليه أخوه  
لو كان الناس كلهم زموا  
مازمتهم اختلت أمور

شرعا وحسب ما لا يقدر على تسليمه حسا لا يصح بيعه كالأقرب والسكك في الماء والجبن في البطن وعشب القمل وكذلك بيع العوف على ظهر الحيوان واللبن في الفروع لا يجوز فانه يتغير تسليمه لاختلاف غير البيع والمجوز عن تسليمه شرعا كالروم والوقوف والتسوية فلا يصح بيعها أيضا وكذا بيع الأم دون الولد إذا كان الولد صغيرا وكذا بيع الولد دون الأم لأن تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع . الخامس : أن يكون البيع معلوم العين والقدر والوصف أما العلم بالعين فيأن يشير إليه بيته فلو قال بتك شاة من هذا القطيع أي شاة أردت أو ثوبا من هذه الثياب التي بين يديك أو زراعا من هذا الكروباي وخذه من أي جانب شئت أو عشرة أذرع من هذه الأرض وخذه من أي طرف شئت فالبيع باطل وكل ذلك مما يتبادر للتعامل في الدين إلا أن يبيع شاة مثلا مثل أن يبيع نصف الشيء أو عشرة فان ذلك جائز . وأما العلم بالقدر فاما يحصل بالكيل أو الوزن أو النظر إليه فلو قال بتك هذا الثوب ببيع بابع به فلان ثوبه وهما لا يدريان ذلك فهو باطل ولو قال بتك زنة هذه الصنعة فهو باطل إذا لم تكن الصنعة معلومة ولو قال بتك هذه الصبرة من الحنطة فهو باطل أو قال بتك هذه الصبرة من الدرهم أو هذه القطعة من الذهب وهو إيهام ببيع البيع وكان تخمينه بالنظر كافيا في معرفة القدر ، وأما العلم بالوصف فيحصل بالروية في الأعيان ولا يصح بيع الغائب إلا إذا ثبتت رؤيته منذ مدة لا يظلب التغير فيها والوصف لا يقوم مقام العين هذا أحد للذهبيين ولا يجوز بيع الثوب في المنسج اعتادا على الروم ولا يصح الحنطة في سبلها ويجوز بيع الأرض في قشرته التي يدخر فيها وكذا بيع الجوز والواو في القشرة السفلى ولا يجوز في القشرتين ويجوز بيع البانلاء الرطبي بشرطه الحاجة ويتسامح ببيع القعق لجريان عادة الأولين به ولكن تحمله إية عوض فان اشتراه لبيعه فاقباض بطلانه لأنه ليس مستترا ستر خلقه ولا يبعد أن يتسامح به بإفراقه إفساده كالرومان وما يستر بخلقهم . السادس : أن يكون البيع مقبوضا إن كان قد استفاد ملكة معاوضة وهذا شرط حاس وقدرته رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع مالم يقبض (١) ويستوى فيه العقار والمنقول وكل ما اشتراه أو باعه قبل القبض ببيع باطل وقبض المنقول بالنقل وقبض العقار بالتخلية وقبض ما يتباعه بشرط الكيل لا يتم إلا بأن يكتاله . وأما بيع اليراث والوصية والوديعة وما لم يكن الملك حاصل فيه معاوضة فهو جائز قبل القبض . الركن الثالث : لفظ العقد فلا بد من جريان إيجاب وقبول متصل به بالقبض دال على المقصود منهم إما صريح أو كناية فلو قال أعطيتك هذا بذلك بدل قوله بتك فقال قبلته جاز مهما قصدها البيع لأنه قد يحمل الإعارة إذا كان في توين أو دأبين والنية تدفع الاحتمال والصريح أقطع للخصومة ولكن الكناية نفيد الملك والحل أيضا فيها بخلافه ولا يفتى أن يقرن بالبيع شرطا على خلاف مقتضى العقد فلو شرط أن يزيد شيئا آخر وأن يحمل المبيع إلى داره أو اشتري الحطب بشرط النقل إلى داره كل ذلك ماسد إلا إذا أفرد استجاره على النقل بأجرة معلومة منفردة عن الثراء للمنقول ومهما لم يجر بينهما إلا المعاطاة بالقبض دون التلذذ باللسان لم ينفذ البيع عند الشافعي أصلا وانتقد عند أبي حنيفة إن كان في المحترات ثم ضبط المحترات عسير فان رد الأمر إلى العادات فقد جاوز الناس المحترات في المعاطاة إذ يتم الدلال إلى البراز يأخذ منه ثوبا دياجا قيمته عشرة دنانير مثلا ويحمله إلى المشتري ويعد إليه بأنه ارتضاة فيقول له خذ عشرة فأخذ من صاحبه الشرة ويحملها ويسلفها إلى البراز فيأخذها ويتصرف فيها ومشتري الثوب يقطعه ولم يجر بينهما إيجاب وقبول أصلا وكذلك يجمع المجهزون على حانوت

(١) حديث النبي عن بيع مالم يقبض متفق عليه من حديث ابن عباس .

للسلدين وغلب الكفار فلا بد من الغزو والجهاد فكتب إليه يأخى لو لم الناس ماأنا عليه وقالوا في زواياهم على سجداتهم الله أكبر انهم سور قسطنطينية . وقال بسم الحكاء ارتضاع الأصوات في يوت المبادات بحسن النيات وحسن الطويات محل ما عقدهته الأعداء الدارات في اجتماع أهل الروابط صبح إلى الوجه للوضوح له الربط وتحقق أهل الربط بحسن الماملة ورعاية الأوقات وتوقي ما يفسد الأعمال واعتقاد ما يصحح الأحوال عادت البركة على البلاد والبلاد . وقال سري السقطي في قوله تعالى - اسبروا وصابروا - ورابطوا - اسبروا عن الدنيا رجاء السلامة بالثبات والاستقامة ورابطوا أهواء النفس



البيع يفرض متاعا قيمته مائة دينار مثلا فيمن يزيد فيقول أحدهم هذا على تبسعين ويقول الآخر هذا على خمسة وتسعين ويقول الآخر هذا بمائة فيقال له زن فيزن ويسلم ويأخذ المتاع من غير إيجاب وقبول وقد استمرت به العادات وهذه من الضلالت التي ليست تقبل العلاج إذ الاحتمالات ثلاثة . إما مع باب المعاوضة مطلقا في الحقيق والتفويض وهو محال إذ فيه نقل للثمن من غير لفظ دال عليه وقد أحل الله البيع والبيع اسم للإيجاب والقبول ولم يجر ولم ينطلق اسم البيع على مجرد فعل بتسلم وتسليم فإذا يحكم بانتقال للثمن من الجانبين لاسمها في الجوارى والعيد والمقارن والدواب الخفية وما يكثر التنازع فيه إذ القسم أن يرجع ويقول قد ندمت وما بهته إذ لم يصدر مني إلا مجرد تسليم وذلك ليس ببيع . الاحتمال الثاني أن نسد الباب بالكلية كما قال الشافعي رحمه الله من بطلان العقد وفي إشكال من وجهين أحدهما أنه يشبه أن يكون ذلك في المحقرات متاعا في زمن الصحابة ولو كانوا يشكفون الإيجاب والقبول مع البقال والحجاز والقصاب لثقل عليهم فلهول ذلك فلتامسوا ولكان يشتر وقت الإعراض بالكلية عن تلك العادة فإن الأخصار في مثل هذا تفاوت . والثاني أن الناس الآن دناهم كوا في فلا يشتري الإنسان شيئا من الأطعمة وغيرها إلا يعلم أن البائع قد ملكه بالمعاوضة فأى فائدة في تناظره بالعقد إذا كان الأمر كذلك . الاحتمال الثالث أن يفصل بين المحقرات وغيرها كما قال أبو حنيفة رحمه الله وعند ذلك يتصور الضبط في المحقرات ويشكل وجه نقل للثمن من غير لفظ بدل عليه وقد ذهب ابن سريج إلى تخريج قول الشافعي رحمه الله على وقته وهو أقرب الاحتمالات إلى الاعتدال فلا بأس لوملنا إليه لميسر الحاجب ولعموم ذلك بين الحلق ولما يفل على الظن بأن ذلك كان متعادا في الأعمار الأول . فأما الجواب عن الإشكالين فهو أن نقول أما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير فإن ذلك غير ممكن بل له طرفان وإشكال إذ لا يخفى أن شراء البقل وقليل من الفواكه والجوز واللحم من المودود من المحقرات التي لا يعتاد فيها إلا المعاوضة وطالب الإيجاب والقبول فيه يعد مستقصيا ويسترد تكليفه لذلك ويستعمل وينسب إلى أنه يقيم الوزن لأمر حقير ولا وجه له فهذا طرف الحفارة والطرف الثاني الدواب والعيد والمقارن والياب الخفية فذلك مما لا يتبعه تكلف الإيجاب والقبول فيها وبينهما أوساط متشابهة يشكفها هي في محل الشبهة فحق ذي الدين أن يعيل إليها في الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة كذلك ينقسم إلى أطراف واضحة وأوساط مشكلة وأما الثاني وهو طلب سبيل لنقل للثمن فهو أن يجعل الفعل باليد أخذها وتسليمها سببا إذ اللفظ لم يكن سببا لعينه بل لدلالته وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة في العادة وانضم إليه ميسر الحاجة وعادة الأولين وأطراد جميع العادات بقبول الهدايا من غير إيجاب وقبول مع التصرف فيها ، وأى فرق بين أن يكون فيه عوض أولا يكون إذ المثل لا بد من هله في الهبة أيضا إلا أن العادة السالفة لم تفرق في الهدايا بين الحقيق والتفويض بل كان طلب الإيجاب والقبول يستتبع فيه كيف كان وفي البيع لم يستتبع في غير المحقرات هذا ما تراه أعدل الاحتمالات وحق الورع التدبر أن لا يذيع الإيجاب والقبول للخروج عن شبه الخلاف فلا ينبغي أن يمنع من ذلك لأجل أن البائع قد تحلكه بغير إيجاب وقبول فإن ذلك لا يعرف تحقيرا فربما اشتراه بقبول وإيجاب فإن كان حاضرا عند شرائه أو أقر البائع به فليمتنع منه وليشتر من غيره فإن كان الذي عتراه وهو إليه محتاجا فليتأنظ بالإيجاب والقبول فإنه يستفيد به قطع المحصورة في المستقبل معه إذا الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ومن الفعل ممكن . فان قلت فإن أمكن هذا فلا يشتريه فكيف فعل إذا حضر في ضيافة أو على مائدة وهو يعلم أن أصحابها يكتفون بالمعاوضة في البيع والشراء

الولامة وانقوا ما يقب  
لكم التدامة لعلكم  
تفلحون غدا على بساط  
الكرامة وقبول أصبروا  
على بلاني وصابروا  
على نسمائي ورابطوا على  
دار أعدائي وثقوا  
عجة من سواني لعلكم  
تفلحون غدا بلاني .  
وهذه شرائط ساكن  
الرباط قطع المماقعة  
الحلق وفتح المماقعة  
الحلق وتركه لا كتاب  
اكفاء بكفاءة سبب  
الأسباب وحسن  
النفس عن الماثلطات  
واجتناب التبعات  
وعائق ليله ونهاره  
العبادة متعوضا بها  
عن كل عادة شغل  
حفظ الأوقات وملازمة  
الأوراد وانتظار  
الصلوات واجتناب  
الفغلات ليكون بذلك  
مرابطا مجاهدا . حدثنا  
شيخنا أبو النجيب  
السهروردي قال أنا ابن  
نهران محمد الكاتب  
قال أنا الحسن بن  
شاذان قال أنا دعلج

أوسع منهم ذلك أوراه أجيب عليه الامتناع من الأكل . فأقول : يجب عليه الامتناع من الشراء إذا كان ذلك الشيء الذي اشتروه مقدارا قريبا ولم يكن من المحقرات . ولما أكل فلا يجب الامتناع منه فإن أنول إن تردنا في جبل الفعل دلالة على قلل ذلك فلا ينبغي أن نلجسه دلالة على الإباحة فإن أمر الإباحة أوسع وأمر قلل ذلك أضيق فكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة تسليم البائع إذن في الأكل يعلم ذلك بقرينة الحال كإذن الحامى في دخول الحمام والإذن في الإطعام لمن يرده للشرى فيزول منزلة ما لو قال أبعثك أن تأكل هذا الطعام أو تطعم من أردت فإنه يجعله ولو صرح وقال كل هذا الطعام ثم اغرم لي غومته لحل الأكل ويلزمه الضمان بدلا لكل هذا قياس الثقة عندى ولكنه بعد المعاطاة أكل ملكه ومتلف له فليته الضمان وذلك في ذمته والتمن الذي سلمه إن كان مثل قيمته قد ظفر للتحقق بمثل جقه فلأن يسلكه معا عجز عن مطالبة من عليه وإن كان قادرا على مطالبة فإنه لا يسلك ما ظفر به من ملكه لأنه ربما لا يرضى بتلك العين أن يصرفها إلى دينه فليته للراجحة وأما هنا فقد عرف رضاه بقرينة الحال عند التسليم فلا يبعد أن يجعل الفعل دلالة على الرضا بأن يستوفي دينه بما يسلم إليه فيأخذه بجته لكن على كل الأحوال جانب البائع أغنى لأن ما أخذه قد يرد البائع ليصرف فيه ولا يمكنه التملك إلا إذا أنصف عين طعامه في يد المشتري ثم جازا بفتر إلى استئصال قصد التملك ثم يكون قد تمكك بمجرد رضا استفادته من الفعل دون القول . وأما جانب المشتري للطعام وهو لا يرد إلا الأكل فهين فإن ذلك يباح بالإباحة للفهومة من قرينة الحال ولكن ربما يلزم من مساوئته أن الضيف يضمن ما أخذه وإنما يسقط الضمان عنه إذا تمكك البائع ما أخذه من المشتري فيسقط فيكون كالقاضي دينه والتحمل عنه فهذا مانراه في قاعدة المعاطاة على نحوها والعلم عند الله وهذه أحوالات وظنون رددناها ولا يمكن بناء الفتوى إلا على هذه الظنون ، وأما الورع فإنه ينبغي أن يستغنى قلبه ويتقى مواضع الشبه .

### (المقد الثاني عقد الربا)

- وقد حرمه الله تعالى وشدد الأمر فيه وجب الاحتراز منه على الصبارة للتعاملين على التقديس وعلى التعاملين على الأطمعة إذ لا ربا إلا في قد أوفى طعام وعلى الصبر أن يحتزم من النسبة والفضل . أما النسبة فإن لا يبيع شيئا من جواهر التقديس بشيء من جواهر التقديس إلا بعدا يد وهو أن يجري التفاضل في المجلس وهذا احتراز من النسبة وتسليم الصبارة الذهب إلى دار الضرب وشراء الدنانير الضرورية حرام من حيث النساء ومن حيث إن الغالب أن يجري فيه تعاوض لإلزام الضرر بمثل وزنه . وأما الفضل فيحترز منه في ثلاثة أمور في بيع السكر بالصحيح فلا يجوز المعاملة فيها إلا مع المائلة وفي بيع الجيد بالردى فلا ينبغي أن يشتري رديا بغيره فإنه في الوزن أو يبيع رديا بجيد فوقة في الوزن أعنى إذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة فإن اختلف الجنس فخرج في الفضل والثالث في المركبات من الذهب والفضة كالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة إن كان مقدار الذهب مجهولا لم يصح المعاملة عليها أصلا إلا إذا كان ذلك نقدا جازيا في البلد فأنارخص في المعاملة عليه إذا لم يقابل بالنقد وكذا الدراهم المشوشة بالنحاس إن لم تكن رائحة في البلد لم يصح المعاملة عليها لأن القصد منها النقرة وهي مجهولة وإن كان نقدا رائحة في البلد رخصنا في المعاملة لأجل الحاجة وحروج النقرة عن أن يقصد استخراجها ولكن لا يقابل بالنقرة أصلا وكذلك كل شيء مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه بالذهب ولا بالفضة بل ينبغي أن يشتري بمتاع آخر إن كان قدر الذهب منه معلوما إلا إذا كان مجموعها بالذهب بموجبها لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار فيجوز بيعها بثمنها

قال أنا البنى عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال حدثنا صفوان عن الحرث عن سعيد بن السبب عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إسباغ الوضوء في الكرامة وإعمال الأقدام إلى الساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة غسل الخطأ بغسله » . وفي رواية « ألا أخبركم بما يحووه به الخطايا وترفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء في الكرامة وكثرة الخطا إلى الساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط » [ الباب الرابع عشر في مشابة أهل الرباط بأهل الصفة ] قال الله تعالى - لسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يعبون

من التفرقة بما أريد من غير التفرقة وكذلك لا يجوز للصير في أن يشتري قلادة فيها خرز ذهب بذهب ولأن بيعة بل بالقبضة يد يد إن لم يكن فيها فضة ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب بمثل منه ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب ويجوز بالفضة وغيرها . وأما للتاملون على الأطلعة فليعلم التفاضل في المجلين اختلف جنس الطعام البيع والشترى أو لم يختلف فإن أخذ الجنس فله المفاضل التفاضل ومراعاة المائلة والمعاد في هذا معاملة القصاب بأن يسلم إليه الثمن ويشتري بها اللحم قدأ أو نسيئة فهو حرام ومعاملة الحجاز بأن يسلم إليه الحنطة ويشتري بها الحبز نسيئة أو قدأ فهو حرام ومعاملة الصار بأن يسلم إليه البرز والسمن والزيتون ليأخذ منه الأدهان فهو حرام وكذا اللبان يعطى اللبان ليأخذ منه الجبن والسمن والزبد وسائر أجزاء اللبان فهو أيضا حرام ولا يباع الطعام بغير جنسه من الطعام إلا قدأ وبجنسه إلا قدأ ومتألا وكل ما يتخذ من الشيء المعلوم فلا يجوز أن يباع به متألا ولا متفاضلا فلا يباع بالحنطة دقيق وخبر وسويق ولا بالنصب والتمر دبس وخل وعصير ولا باللبن بغير وزيد وبغيره ومعد وجبن والمائلة لا تغيد إذا لم يكن الطعام في حال كمال الادخار فلا يباع الرطب بالرطب والناب بالناب متفاضلا ومتألا فهذه جملة مقنة في تعريف البيع والتنبية على ما شتر التاجر بتأرات الفساد حتى يستفيق إذا تشكك والتبس عليه شيء منها وإذا لم يعرف هذا لم يتفطن لمواضع السؤال واتقم الربا والحرام وهو لا يدري .

### ( العقد الثالث السلم )

وليراع التاجر فيه عشرة شروط . الأول : أن يكون رأس المال معلوما على مثله حتى لو تمسك تسليم المسلم فيه أمكن الرجوع إلى قيمة رأس المال فإن أسلم كفا من الدراهم جزأ في كره حطه لم يصح في أحد القولين . الثاني : أن يسلم رأس المال في مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض انفسخ السلم . الثالث : أن يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف أوصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن والقطن والصوف والإبريسم والألبان واللحوم ومتاع المطارين وأشبابها ولا يجوز في المعونات والمركبات وما يختلف أجزاؤه كالقصي المصنوعة والنبل المعمول والخفاف والنعال المختلفة أجزاؤها وصنعتها وجلود الحيوانات ويجوز السلم في الحبز وما يتفرق إليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبخ وقلته يعني عنه وينساح فيه . الرابع : أن يستقصى وصف هذه الأمور القابلة للوصف حتى لا يبقى وصف تفاوت به القيمة تفاوتا لا يتباين بثله الناس إلا ذكره فإن ذلك الوصف هو القائم مقام الرؤية في البيع . الخامس : أن يجعل الأجل معلوما إن كان مؤجلا فلا يؤجل فلا يؤجل إلى المصادق ولا إلى إدراك الثمار بل إلى الأشهر والأيام فإن الإدراك قد تقدم وقد يتأخر . السادس : أن يكون السلم به مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه وجوده غالبا فلا يئبى أن يسلم في السب إلى أجل لا يدركه فيه وكذا سائر القواكه فإن كان الثالب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب آفة قل أن يجهل إن شاء أو ينفسخ ويرجع في رأس المال إن شاء . السابع : أن يذكر مكان التسليم فيها يختلف الفرض به كي لا يثير ذلك نزاعا . الثامن : أن لا يعلقه بيمين فيقول من حطه هذا الزرع أو ثمرة هذا البستان فإن ذلك يطل كونه دينا ثم لو أضاف إلى ثمرة بله أو قرية كبيرة لم يضر ذلك التاسع : أن لا يسلم في شيء بنفس عزيز الوجود مثل دابة موصوفة يمز وجود مثلبا أو جارية حسنة معها ولها أو غير ذلك مما لا يقدر عليه غالبا . العاشر : أن لا يسلم في طعام مهما كان رأس المال طعاما سواء كان من جنسه أو لم يكن ولا يسلم في قد إذا كان رأس المال قدأ وقد ذكرنا هذا في الربا .

أن تطهروا والله يحب  
الطريقين - هذا وصف  
أصحاب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
قيل لهم ماذا كنتم  
تصنعون حتى أتى الله  
عليكم بهذا الشأن قالوا  
كنا نتبع الماء الحار  
وهذا وأشباه هذا من  
الأدب وطيفة صوفية  
الربط يلزمونه  
ويتعاهدونه والرباط  
بينهم ومغفرهم ولكل  
قوم داروا الرباط درهم  
وقد شابهوا أهل الصفة  
في ذلك على ما أخبرنا  
أبو زرعة عن أبيه  
الحافظ القدسي قال  
أنا أحمد بن محمد  
اليزاري قال أنا عيسى  
ابن علي الوزير قال  
حدثنا عبد الله البقوي  
قال حدثنا وهبان بن  
بقية قال حدثنا خالد  
ابن عبد الله عن داود  
ابن أبي هند عن أبي  
الحارث حرب بن أبي  
الأسود عن طلحة  
رضي الله عنه قال  
كان الرجل إذا قدم

## (العقد الرابع الإجارة)

وله ركنان الأجرة والنفقة فأما المأقود القبط فيتر فيه ما ذكرناه في البيع والأجرة كالتنق فينبغي أن يكون معلوما وموصوفا بكل ما شرطناه في البيع إن كان عيناً فإن كان ديناً فينبغي أن يكون معلوماً للصفة والقدر وليحترز فيه عن أمور جرت العادة بها وذلك مثل كراه الدار بمأنتها فذلك باطل إذ قدر العارة مجهول ولو قدر دراهم وشرط على السكترى أن يصرفها إلى العارة لم يجز لأن عملة في الصرف إلى العارة مجهول . ومنها استئجار النخل على أن يأخذ الجلبد بعد البيع واستئجار حال الحيف بجلد الحيفة واستئجار الطحان بالنخالة أو ييمن الدقيق فهو باطل وكذلك كل ما يتوقف حصوله واتصاله على عمل الأجير فلا يجوز أن يحمل أجرة . ومنها أن يقدر في إجارة المور والحوائث مبلغ الأجرة فوقال لكل شهر دينار ولم يقدر أشهر الإجارة كانت للدة مجهولة ولم تقدر الإجارة . الركن الثاني : للنفقة المقصودة بالإجارة وهي العمل وحده إن كان عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستئجار عليه وجملة فروع الباب تدرج تحت هذه الرابطة ولكننا لا نطول بصرحها فقد طولنا القول فيها في الفتاوى وإنما نشير إلى ما تم به البولي فليعلم في العمل للمستأجر عليه خمسة أمور : الأول أن يكون متقوماً بأن يكون فيه كلفة وتعب فلو استأجر طاماً ليزين به الدكان أو أشجاراً ليحطب عليها الثياب أو دراهم ليزين بها الدكان لم يجز فإن هذه المنافع تجري مجرى حبة سمسم وحبة بر من الأعيان وذلك لا يجوز يمه وهي بالنظر في مرآة الغير والشرب من بئر والاستئجار بجداره والاقباس من ناره ولهذا لو استأجر بيتاً على أن يشكك بكلمة يروجها سلعته لم يجز وما يأخذه البائعون عوضاً عن حشمتهم وجاههم وقبول قولهم في ترويج السلع فهو حرام إذ ليس يصدر منهم إلا كلفة لا تعب فيها ولا قيمة لها وإنما يعمل بذلك إذا تموا بكثرة التردد أو بكثرة الكلام في تأليف أسمر العامة ثم لا يستحقون إلا أجرة المثل فأما ما رواه عليه الباعة فهو ظلم وليس مأخوفاً بالحق . الثاني : أن لا تضمن الإجارة استيفاء عن مقصودة فلا يجوز إجارة الكرم لأرضاقه ولا إجارة الواشي لبثها ولا إجارة البساتين لثمارها ويجوز استئجار للرضعة ويكون اللبث نابهاً لأن أفرادها غير ممكن وكذا يتسامح بجبر الوراق وخطيط الحياط لأنهما لا يقصدان على حالهما . الثالث : أن يكون العمل مقدوراً على تسليمه حراً وشرعاً فالبيع استئجار الضيف على عمل لا يقدر عليه ولا استئجار الأخرى على التعليم ونحوه وما يحرم فله فالشراء يمنع من تسليمه كالاستئجار على قلع سن سلية أو قطع عضو ولا يرضخ الشرع في قطعه أو استئجار المائش على كنس المسجد أو العلم على تعليم السحر أو الفحش أو استئجار زوجة الغير على الإرضاع دون إذن زوجها أو استئجار المصور على تصوير الحيوانات أو استئجار الصانع على صفة الأواني من الذهب والفضة فكل ذلك باطل . الرابع : أن لا يكون العمل واجباً على الأجير أو لا يكون بحيث لا يجري النيابة فيه عن المستأجر فلا يجوز أخذ الأجرة على الجهاد ولا على سائر العبادات التي لا نيابة فيها إذ لا يقع ذلك عن المستأجر ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموت وحمل الجنازة وفي أخذ الأجرة على إمامة صلاة التراويح وعلى الأذان وعلى التصدي للتدريس وإقراء القرآن خلاف أما الاستئجار على تعليم مشقة بيتية أو تعليم سورة بيتية لشخص معين فصحيح . الخامس : أن يكون العمل والنفقة معلوماً فالحياط يبرف عمله بالثوب والعلم يبرف عمله بتعيين السورة ومقدارها وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة وكل ما يبرف خصوصاً في العادة فلا يجوز إجماله وتفصيل ذلك يطول وإنما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الأحكام ويقتضى به لمواضع الاشكال فيسأل طان الاستقصاء شأن الحق لأنشأن العوام .

للدنية وكان له بها عريف ينزل على عريشه فإن لم يكن له بها عريف نزلت الصفة وكنت فيمن نزل الصفة فالقوم في الرباط مرابطون متفقون على قصد واحد وعزم واحد وأحوال المتناسبة ووضع الربط لهذا المعنى أن يكون سكانها بوصف ما قال الله تعالى - وزعمنا في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين - وللقابلة باستواء السرر والعلاية ومن أضمر لأخيه فلا يلبس بمقابلته وإن كان وجهه إليه فأهل الصفة هكذا كانوا لأن مثار القل والمقدد وجود الدنيا وحب الدنيا وأمس كل خطيئة فأهل الصفة رفضوا الدنيا وكانوا لا يرجعون إلى ذرع ولا إلى ضرع فزالت الأحماد والقل عن بواطنهم وهكذا أهل الربط متقابلون

## ( العقد الخامس القراض )

وليراع فيه ثلاثة أركان . الركن الأول : رأس المال وشرطه أن يكون قدما معلوما مسلما إلى العامل فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض فإن التجارة تضيق فيه ولا يجوز على صرة من الدرهم لأن قدر الربح لا يتبين فيه ولو شرط مالك اليد لنفسه لم يجز لأن فيه تضيق طريق التجارة : الركن الثاني : الربح ولكن معلوما بالجزئية بأن يشرط له الثلث أو النصف أو ما شاء فلو قال على أن لك من الربح مائة والباقي لي لم يجز إذ ربما لا يكون الربح أكثر من مائة فلا يجوز تقديره بقدر معين بل بقدر شائع . الثالث : العمل الذي على العامل . وشرطه أن يكون تجارة غير مضيق عليه بتعيين وتأقيت فلو شرط أن يشتري بمالك ماشية ليلطف نفسها فيتخاضن النسل أو حنطة فيخبرها ويتخاضن الربح لم يصح لأن القراض مأذون فيه في التجارة وهو البيع والشراء وما يقع من ضرورها فقط وهذه حرف أعي الحيز ورعاية اللواشي ولوضيق عليه وشرط أن لا يشتري إلا من فلان أولا يتجر إلا في الحيز الأحمر أو شرط ما يشيق باب التجارة فسد العقد ثم مهما إنقعد فالعامل وكل فيصرف بالقبطة تصرف الوكلاء ومهما أراد المالك الفسخ فله ذلك فإذا فسخ في حالة والمالك كله فيها قدم لم يخف وجه القسمة وإن كان عروضا ولاربح فيه ردعليه ولم يكن للمالك تسكينه أن يرد إلى النقد لأن العقد قد انفسخ وهو لم يلزم شيئا وإن قال العامل أيمه وأنى للمالك فالتبوع رأى المالك إلا إذا وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح على رأس المال ومهما كان ربح فعل العامل يبع مقدار رأس المال بحسن رأس المال لا بقدر آخر حتى يتميز الفاضل ربحا فيشتركان فيه وليس عليهم بيع الفاضل على رأس المال ومهما كان رأس السنة فليهم تعرف قيمة المال لأجل الزكاة فإذا كان قد ظهر من الربح شيء فالأقرب أن زكاة نصيب العامل على العامل وأنه يملك الربح بالظهور وليس للعامل أن يسافر بعالم القراض دون إذن المالك فإن فعل صحت تصرفاته ولكنه إذا فعل مشن الأعيان والأثمان جميعا لأن عدوانه بالنقل يندى إلى غير النقول وإن سافر بالأذن جاز وثقة الثقل وحفظ المال على ماله القراض كأن نفقة الوزن والسكيل والجل الذي لا يعتاد التاجر مثله على رأس المال فأما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير للعائد فليس له أن يبذل عليه أجرة وعلى العامل نفقته وسكناه في البلد وليس عليه أجرة الحانوت ومهما تجرد في السفر لمال القراض فنقته في السفر على مال القراض فادرج فضله أن يرد بقايا آلات السفر من المطيرة والسفرة وغيرها .

## ( العقد السادس الشركة )

وهي أربعة أنواع : ثلاثة منها باطلة . الأول : شركة القايضة وهو أن يقولوا تفاوضنا لنشترك في كل مالنا وعلينا مولاها فممتازان فهي باطلة . الثاني : شركة الأبدان وهو أن يشارطا ليشتركا في أجرة العمل فهي باطلة . الثالث : شركة الوجوه وهو أن يكون لأحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التفضيل ومن جهة غيره العمل فهذا أيضا باطل ، وإنما الصحيح العقد الرابع يسمى شركة العنان . وهو أن يختلط مالاها بحيث يتعذر التمييز بينهما إلا بقسمة وأذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف ثم حكمهما توزيع الربح والخسارة على قدر المالين ولا يجوز أن يبردك بالشرط ثم بالزل يتبع التصرف عن الزمول والقسمة بفصل المالك عن المالك والصحيح أنه يجوز عقد الشركة العروض المشتراة ولا يشترط النقد بخلاف القراض فهذا القدر من علم الثقة يجب عمله على كل مكتسب وإلا أحجم الحرام من حيث لا يدري . وأما معاملة القصاب والحجاز والبقال فلا يستغنى عنها المكتسب وغير المكتسب والحلل فيها من ثلاثة وجوه من إجمال شروط البيع وإجمال

شروط السلم أو الاتصاف على العاطاة إذا العادات جارية بكتبه الخطوط على هؤلاء حاجات كل يوم ثم المحاسبة في كل مدة ثم التوقيف بحسب ما يقع عليه التراضي وذلك بمنزلة القضاء بإباحته للحاجة ومحمل تسليمهم على إباحة تناول مع انتظار الموض في كل كلة ولكن يجب الضمان بأكله وتلزم قيمته يوم الإتيان فتجتمع في الدمة تلك القيم فإذا وقع التراضي على مقدار ما بينني أن يلتصق منهم الإبراء للطلاق حق لا يبق عليه عهدة إن تطرق إليه تفاوت في التوقيف فهذا ما يجب التفتاة به فإن تكليف وزن الثمن لكل حاجة من الحوائج في كل يوم وكل ساعة تكليف بشطط وكذا تكليف الإعجاب والقبول وتقدير عن كل قدر يسير منه فيه عسر وإذا كثر كل نوع سهل توقره والله للوفق .

( الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم في العامة )

اعلم أن العامة قد تجري على وجه يحكم اللق بسحبها وانقادها ولكنها تشتغل على ظلم تعرض به العامل لسلط الله تعالى إذ ليس كل شيء يقتضى فساد المقد وهذا الظلم يسمى به ما استقر به الخبر وهو منقسم إلى ما به ضرره وإلى ما يحسن للعامل .

( القسم الأول فيما به ضرره . وهو أنواع )

النوع الأول : الاحتكار فبائع الطعام يذخر الطعام ينتظر به غلاء الأسعار وهو ظلم عام وصاحبه مذموم في الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم تصدق به لم تكن صدقة كفارة لاحتكاره » (١) وروى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من احتكر الطعام أربعين يوماً فقد برى من الله وبرى الله » (٢) وقيل فكذا قتل الناس جميعاً . وعن علي رضي الله عنه من احتكر الطعام أربعين يوماً فساقبه وعذابه أيضاً أنه أحرق طعام احتكره ثلثين يوماً وروى في فضل ترك الاحتكار عنه  $\text{عليه السلام}$  « من جلب طعاماً فباعه بدمر يومه فكانه تصدق به وفي لفظ آخر فكذا ما اعتق رقية » (٣) وقيل في قوله تعالى « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذره من عذاب أليم » إن الاحتكار من الظلم ودخل تحت في الوعيد وعن بعض السلف أنه كان بواسط فيهز سفينة حطلة إلى البصرة وكتب إلى وكيله بيع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره إلى غد فوافق سعة في السرقة قال له التجار لو أخرته جمعة رحمت فيه أضاعه فأخره جمعة فربح فيه أماله وكتب إلى صاحبه بذلك فكتب إليه صاحب الطعام يأخذ إنا كنا قمتا بربح يسير مع سلامة ديننا وإنك قد خالفت وما نحن أن نربح أضاعناه بذهاب شيء ممن الدين فقد جنب علينا جنة فإذا أتاك كتابي هذا فخذ المال كله تصدق به على فقراء البصرة وليتي أجمع من إثم الاحتكار كذا فلا طي ولا لى . واعلم أن الله يهلك الدال كل خصم في الوقت والجنس أما الجنس فيطرد الذي في أجناس الأقوات أماما ليس بقوت ولا مواعين على القوت كالأدوية والمقابر

( الباب الثالث في بيان العدل )

(١) حديث من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم تصدق به لم تكن صدقة كفارة لاحتكاره أبو منصور البجلي في مسند الفردوس من حديث علي والحطاب في التاريخ من حديث أنس بسندين شقيين (٢) حديث ابن عمر من احتكر الطعام أربعين يوماً فقد برى من الله وبرى الله منه أحمد والحاكم بسند جيد وقال ابن عدي ليس بمحفوظ من حديث ابن عمر (٣) حديث من جلب طعاماً فباعه بدمر يومه فكانه تصدق به وفي لفظ آخر فكذا ما اعتق رقية ابن عمر في التفسير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ما من جالب جلب طعاماً إلى بلد من بلدان المسلمين فيبيع بدمر يومه إلا كانت منزلته عنده منزلته الشهيد وللحاكم من حديث البيهقي بن النيرة إن الجالب إلى سوقاً كالحاجة في سبيل الله وهو مرسل

هو أو الاجتماع في يوم الجماعة على السجادة فسجدة لكل واحد وأبوتهوم كل واحد مهمه ولعل الواحد منهم لا يخطئ همه سجادة ولهم في اتخاذ السجادة وجه من السنة . وروى أبو سلمة ابن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت « كنت أجهل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حبصاً من اليف يصل عليه من الليل » وروى ميمونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسلط له الخمر في المسجد حتى يصل عليها » والرباط يحوى على شبان وضيوخ وأصحاب خدمة وأرباب خلوة قال شاذل بالزوايا ألق نظراً إلى ما تبعوا إليه النفس من النوم والراحة والاستبداد بالحركات والسكنات فلنفس

والزعران وأمثاله فلا يمدى اليه وإن كان مطموماً وأما ما يبين على القوت كاللحم والقواكه وما يمدد سداً ينفى عن القوت في بعض الأحوال وإن كان لا يمكن للدائمة عليه فهذا في عمل النظر فمن العلماء من طرد التحريم في السمن والصل والشحج والحلبن والزيت وما يجري مجراه وأما الوقت فيحتمل أيضاً طرد التحريم في جميع الأوقات وعليه تدل الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف بالبصرة سنة في السمر ويحتمل أن يخص بوقت قلة الأطعمة وحاجة الناس إليه حتى يكون في تأخير يمه ضررها فأما إذا اتسعت الأطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها إلا بقيمة قليلة فانظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطاً قليلاً في هذا إضرار وإذ كان الزمان زمان قحط كان في ادخار الصل والسمن والشحج وأمثالها إضرار فينبغي أن يقضى بتحريمه ويؤلف في نفي التحريم وإثباته على الضرر فإنه مفهوم قطعاً من تخصيص الطعام وإذا لم يكن ضرراً فلا يخلو احتكار الأقوات عن كراهية فإنه ينتظر مبادئ الضرر وهو ارتفاع الأسعار وانتظار مبادئ الضرر بحسب كونه وانتظار عين الضرر أيضاً دون الإضرار فيقدر درجات الإضرار متفاوت درجات السكرية والتحريم وبالجملة التجارة في الأقوات مما لا يستحب لأنه طلب ربح والأقوات أصول خالقت قواماً والربح من الزايب فينبغي أن يطلب الربح فيما خلق من جملة الزايب التي لا ضرورة للخلق إليها ولذلك أوصى بعض التابعين رجلاً وقال لا تسلم ولك في يمينين ولا في سنتين يبيع الطعام ويسع الأكفان فإنه يمتلئ التلاء وموت الناس والصنجان أن يكون جزاءاً فإنها صنعة تفسد القلب أوصوا ما فانه يزخر الدنيا بالذهب والفضة . النوع الثاني ترويح الزيف من الدرهم في أثناء النقد فوهل فظلم إذ يستغربه للعامل إن لم يعرف وإن عرف فسيروجه على غيره . فكذلك الثالث والرابع ولا يزال يتردد في الأيدي ويم الضرر ويتسع الفساد ويكون وزراً للكل وبالله راجعاً إليه فانه هو الذي فتح هذا الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزانهم شيئاً»<sup>(١)</sup> وقال بعضهم إنفاق درهم زيف أشد من سرقة مائة درهم لأن السرقة مصيبة واحدة وقد تمت وانقطعت وإنفاق الزيف بدعة أظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته إلى مائة سنة أو مائتي سنة إلى أن يغنى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد من أموال الناس يستعمله وطوي لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة أو أكثر يعذب بها في قبره ويسئل عنها إلى آخر اعتراضها قال تعالى - ونكتب ما قدموا وآثارهم - أي نكتب أيضاً ما أخرجه من آثار أعمالهم كما نكتب ما قدموه وفي مثله قوله تعالى - نبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر - وإنما أخر آثار أعماله من سنة سيئة عمل بها غيره . ولعلم أن في الزيف خمسة أمور : الأول أنه إذا رد عليه شيء منه فينبغي أن يطرحه في بحر بحيث لا تختد إليه اليد وإليه أن يروجه في بيع آخر وإن أقسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز . الثاني أنه يجب على التاجر تعامل النقد لا يستغنى لنفسه ولكن كلاً يسلم إلى مسلم زيفاً وهو لا يدري فيكون آثماً بتقصيره في تعامل ذلك العلم فاسلك عمل علم به يتم نصح المسلمين فيجب تحصيله ولكل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد انظروا لدينهم لادنياهم . الثالث أنه إن سلم وعرف العامل أنه زيف لم يخرج عن الإثم لأنه ليس يأخذه إلا لوجهه على غيره ولا غيره ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في أخذه أصلاً فأعسا يتخلص من إثم الضرر الذي يخشى معامله

(١) حديث من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزانهم شيء . مسلم من حديث جرير بن عبد الله .

شوق إلى التضرع  
والاسترسال في وجوه  
الرفق والشاب يضيق  
عليه مجال النفس  
بالعود في بيت الجماعة  
والانكشاف لنظر  
الأغيار لتكسر الصيون  
عليه فينتيد ويتأدب  
ولا يكون هذا إلا إذا  
كان جمع الرابطة بيت  
الجماعة مهيمن عنظ  
الأوقات ومنبط الأغاس  
وحراسة الحواس كما  
كان يحب رسول الله  
صل الله عليه وسلم  
- لكل امرئ منهم  
يومئذ شأن يشيه - كان  
عندهم من هم الآخرة  
ما يشغلهم عن اشتغال  
البعض بالبيع وهكذا  
ينبغي لأهل الصدق  
والصوفية أن يكون  
اجتماعهم غير مضرب  
بوقسم فإذا تخلص  
أوقات الشباب . اللهو  
واللطف الأولي أن يلزم  
الشاب الطالب الوحدة  
والعزلة ويؤثر الشيخ  
الشاب براؤسه  
وموضع خلوة ليحبس

قط . الرابع : أن يأخذ الزيف ليعمل بقوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء » فهو داخل في بركة هذا الدعاء إن عزم على طرحه في برء وإن كان عاجزا على أن يروج به معاملة فهذا شرّ روجه الشيطان عليه في معرض الخبر فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء . الخامس أن الزيف نهي به مالا ترة فيه أصلا بل هو مجرم أو مالا ذهب فيه أعنى في الدنانير أما ما فيه ترة فإن كان مخلوطا بالنحاس وهو تعدد البله فقد اختلج الصفاء في للماملة عليه وجل رأينا الرخصة فيه إذا كان ذلك تعدد البله سواء علم بمقدار الترة أو لم يعلم وإن لم يكن هو تعدد البله لم يجر إلا إذا علم قدر الترة فإن كان في ماله قطعة ترتها ناقصة عن تعدد البله فليس عليه أن يغير به معاملة وأن لا يمايل به إلا من لا يستحل الترويع في جملة النقد بطريق التلبس فأما من يستحل ذلك فتسليمه إليه تسليط له على الفساد فهو كبيع العنب ممن يعلم أنه يتخذه خرا وذلك محظور وإعانة على الشر ومشاركة فيه وسلك طريق الحق بمثل هذا في التجارة أشد من اللواطبة على نوافل العبادات والتخل لها ولذلك قال بعضهم التاجر الصدوق أفضل عند الله من التبع وقد كان السلف يخطئون في مثل ذلك حتى روى عن بعض القزاة في سبيل الله أنه قال حملت على فرسي لأختك علجا فقصر بي فرسي فرجعت ثم دنا مني العليج فحملت ثانية فقصر فرسي فرجعت ثم حملت الثالثة فقصر مني فرسي وكنت لا أعتقد ذلك منه فرجعت حزينا وجلست منكسر الرأس منكسر القلب لما فاتني من العليج وما ظهر لي من خلق الفرس فوضعت رأسي على عسود القسقاط وفرسي قائم فرأيت في النوم كأن الفرس يحاطبني ويقول لي بالله عليك أردت أن تأخذ على العليج ثلاث مرات وأنت بالأمس اشتريت لي علما ودعت في تحته درهما زائفا لا يكون هذا أبدا قال فانتبهت فزعا فذهبت إلى الالف وأبدلت ذلك الدرهم فهذا مثال ما يبم ضرره وليقس عليه أمثاله .

( القسم الثاني ما يبم ضرره العامل )

فكل ما يستضره العامل فهو ظلم وإلحاقا العدل أن لا يضرب بأخيه المسلم والضابط السككي فيه أن لا يجب لأخيه إلا ما يجب لنفسه فكل مالو عومل به شق عليه وتقتل على قلبه فينبغي أن لا يمايل غيره به بل ينفى أن يستوى عنده درهمه ودرهم غيره قال بعضهم : من باع أخاه شيئا بدمه وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه إلا خمسة دنانق فإنه قد ترك الصبح للأموار به في الماملة ولم يجب لأخيه ما يجب لنفسه هذه جملة فأما تفصيله ففي أربعة أمور أن لا يئتي على السلعة بما ليس فيها وأن لا يكتف من عيوبها وخفايا صفاتها شيئا أصلا وأن لا يكتف من زونها ومقدارها شيئا وأن لا يكتف من سرها مالو عرفه العامل لا تمتنع عنه : أما الأول فهو ترك الشاء ناد وصفه للسلعة إن كان بما ليس فيها فهو كذب فإن قبل المشتري ذلك فهو تلبس وظلم مع كونه كذبا وإن لم يقبل فهو كذب وإسقاط مبروءة إذ الكذب الذي يروج قد لا يقدح في ظاهر المروءة وإن أتى على السلعة بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لا يعنيه وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه أنه لم يسكن بها قال الله تعالى - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - لأن يئتي على السلعة بما فيها مما لا يعرفه المشتري مالم يذكره كما يصفه من خفي أخلاق العبيد والجواري والدواب فلا بأس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة وإطراب ولكن قصده منه أن يعرفه أخوه المسلم فيرغب فيه ويتقضى بسبب حاجته ولا يئتي أن يخلف عليه ألبنة فإنه إن كان كاذبا فقد جاء بالعين القموس وهي من الكبار التي تذر الديار بالقع وإن كان صادقا فقد جعل الله تعالى عرمة لأبائنا وقدا ساء فيه إذ الدنيا أخص من أن يقصد تزويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة .

(١) حديث رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء البخاري من حديث جابر .

القلب نفسه عن  
دواعي الهوى والمحسوس  
فيا لا يئتي ويكون  
الشيخ في بيت الجماعة  
قوة حاله وصبره على  
مداواة الناس وتخلصه  
من تبعات الخاطلة  
وحضور وقاره بين الجمع  
فيغضب به التبر ولا  
يتكدر هو وأما الخدمة  
فكان من دخل الرباط  
مبتدئا ولم يذق طعم  
العلم ولم يتبه لتفاسد  
الأحوال أن يؤسر  
بالخدمة لتكون عيادته  
خدمة ويجذب بحسن  
الخدمة قلوب أهل الله  
إليه فتشمله بركة ذلك  
ويصين الإخوان  
للتعلمين بالعبادة قال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « المؤمنون  
إخوة يطلب بعضهم إلى  
بعض الحوائج فيقضى  
بعضهم إلى بعض  
الحوائج فيقضى الله لهم  
حاجاتهم يوم القيامة »  
فيتحفظ بالخدمة  
عن البطالة التي تحث  
القلب والخدمة عند



وفي الخبر « ويل للتاجر من بلى واقه ولا واقه وويل للصانع من غد وبسغده » وفي الخبر « البين الكاذبة منقعة للسلعة محقة للبركة » (١) وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة عائل مستكبر ومنان بغيته ومنفق سلته يمينه » (٢) فإذا كان التناء على السلعة مع الصدق مكرها ومن حيث إنه فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى التخليط في أمر البين وقد روى عن يونس بن عبيد وكان خزازا أنه طلب منه خزل الثراء فأخرج غلامه سقط الحز ونشره ونظر إليه وقال اللهم ارزنا الجنة فقال لعلاه رده إلى موضعه ولم يبعه وخاف أن يكون ذلك تعرضا بالتناء على السلعة فقل هو لا. ثم الذين انجروا في الدنيا ولم يضيعوا دينهم في تجارتهم بل علوا أن ربح الآخرة أولى بالطلب من ربح الدنيا. الثاني: أن يظهر جميع عيوب البيع فيها وجليها ولا يكتم منها شيئا فذلك واجب فإن أخفاء كان ظاهرا غاشا والنفس حرام وكان تاركا للنصح في العمالة والنصح واجب ومهما أظهر أحسن وجهي الثوب وأخفى الثاني كان غاشا وكذلك إذا عرض الثياب في المواضع للظلمة وكذلك إذا عرض أحسن فردى الخف أو النعل وأمثاله ويدل على تحريم النفس ماري « أنه مر عليه الصلاة والسلام برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فيه فرأى بللا فقال ما هذا قال أصابته السماء فقال فعلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا » (٣) ويدل على وجوب النصح بظهور العيوب ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الإسلام ذهب لينصرف فجدب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم (٤) فكان جرير إذا قام إلى السلعة يبيعها بصر عيوبها ثم خيرهم وقال إن شئت فخذ وإن شئت فارك فقبله إنك إذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع قال إنا بائنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم وكان واثلة بن الأسقع واقفا يباع رجل ناقه له بثلاثة دراهم ففعل واثلة وقدمه الرجل بالناقة فعسى وراؤه وجعل يصيح به يا هذا اشتريناها للحم وللظفر فقال بل للظفر فقال إن شئنا فبا قدرته وإن شئنا لا تابع المير فمادفدها فتقصها بالبع مائة درهم وقال لوالثة رحلها الله أقصدت على بيعي فقال إنا بائنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يعل لأحد يبيع بها إلا أن يبين آفته ولا يعل لمن يعلم ذلك إلا عينه » (٥) فقد فهموا من النصح أن لا يرضى لأحبه إلا ما يرضاه لنفسه ولم يمتدوا أن ذلك من الفضائل وزيادة القامات بل اعتقدوا أنه من شروط الإسلام الداخلة تحت بيعتهم وهذا أمر يشق على أكثر الخلق فلذلك يختارون التحل للمادة والاعتزال عن الناس لأن القيام بحقوق الله مع المخاطلة والعمالة مجاهدة لا يقوم بها إلا الصديقون ولبن يفسر ذلك على العبد إلا بأن يعتقد أمرين. أحدهما أن تلبسه العيوب وترويعه

(١) حديث ويل للتاجر من بلى واقه ولا واقه وويل للصانع من غد وبسغده لم أقف له على أصله وذكر صاحب مسند الفروس من حديث أنس بن مالك بإسناده نحوه (٢) حديث البين الكاذبة منقعة للسلعة محقة للبركة متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ الحلف وهو عند البيهقي بلفظ النصف (٣) حديث أبي هريرة ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة عائل مستكبر ومنان بغيته ومنفق سلته يمينه مسلم من حديثه إلا أنه لم يذكر فيها إلا عائل مستكبر ولهما ثلاثة لا ينظر الله ولا ينظر إليهم رجل حلف على سلعة قد أعطى فيها أكثر مما أعطى وهو كاذب وسلم من حديث أبي ذر اللان والسبل وإزاره والنفق سلته بالحلف الكاذب (٤) حديث مر برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فرأى بللا فقال ما هذا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث جرير بن عبد الله بائنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم متفق عليه (٦) حديث واثلة لا يعل لأحد يبيع بها إلا أن يبين ما فيه ولا يعل لمن يعلم ذلك إلا عينه الحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي.

القوم من جملة العدل الصالحين وطريق من طرق الواجدين تكسب الأوصاف الجليلة والأحوال الحسنة ولا يرون استخدام من ليس من جنسهم ولا متطلعا إلى الاهتداء بهديهم. أخبرنا الشيخ الفقيه أبو القاسم محمد أنا أبو الفضل حميد ابن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال ثنا سليمان ابن أحمد قال ثنا علي ابن عبد العزيز قال ثنا أبو عبيد قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شريك عن أبي هلال الطائي عن وثيق بن الرومي قال كنت معوكا لمصرين الحطاب رضى الله عنه فكان يقول لي أسلم فانك إن أسلمت استمنت بك على أمانة المسلمين فانه لا يبيعني أن أسلمت على أماناتهم من ليس منهم قل فأبيت فقال عمر لا إكراه في الدين نكفها

السلع لا يزيد في رزقه بل يحقه ويذهب يركته وما يجتمع من ممرقات التلبسات بهلكه الله دفعة واحدة .  
 قد حكى أن واحدا كان له بقرة يحملها ويخلط بلبنها الماء ويبيعه فباع سيل ففرق البقرة فقال بعض  
 أولاده إن تلك المياه التفرقة التي ميسبناها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة كيف وقد  
 قال صلى الله عليه وسلم « البيان إذا صدقا وتصحابك لهما في بيعهما وإذا كنا وكنا نعت بركة  
 بيعهما » (١) وفي الحديث « يدا الله على الشريكين مالم يتخاونا فإذا تخاونا رفع يده عنهما » (٢) فإذا لا يزيد  
 مال من خيانة كالا ينقص من صدقة ومن لا يفسد الزيادة والنقصان إلا بالميزان لم يصدق . هذا الحديث  
 ومن عرف أن الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لهلاك مالكمها بحيث يمتنى الإفلاس منها وراه أصلح  
 الألفة قد ينزع الله البركة منها حتى تكون سببا لهلاك مالكمها بحيث يمتنى الإفلاس منها وراه أصلح  
 له في بعض أحواله فيعرف معنى قولنا إن الحائنة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه والمعنى الثاني الذي  
 لا بد من اعتقاده لئيم له النصح ويتيسر عليه أن يسلم أن درع الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا وأن فوائد  
 أموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر وتبقى مظالمها وأوزارها فكيف يستجيب العاقل أن يستبدل الذي هو  
 أدنى بالنهي وخير والحري كل في سلامة الدين قال رسول الله ﷺ « لا تزال لإله إلا الله تدفع عن الحق  
 سطخ الله ما يؤثروا صفعة دنيام على آخرتهم » (٣) وفي لفظ آخر « مالم يألوا ما من من دنيام بسلامة  
 دينهم فإذا ضلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال تعالى كذبتم لستم بها صادقين » وفي حديث آخر « من  
 قال لا إله إلا الله غلصا دخل الجنة قيل وما إغلاصه قال أن يحجزه بمحارم الله » (٤) وقال أيضا آمن  
 بالقرآن من استحل عماره ومن علم أن هذه الأمور قادمة في إيمانه وأن إيمانه رأس ماله في  
 تجارتها في الآخرة لم يضع رأس ماله للمد لمر لا آخر له بسبب ربح يتفقه به أماما معدودة . وعن  
 بعض التابعين أنه قال لودعات الجامع وهو غاص بأهله وقبلى من خير هؤلاء . قلت من أنصهم  
 لهم فإذا قالوا هذا قلت هو خيرهم ولو قيل لي من شرهم قلت من أغشهم لهم فإذا قيل هذا قلت هو  
 شرهم والنش حرام في البيوع والصنائع جميعا ولا ينبغي أن يتناول الصانع بعمله على وجه لوعامله به  
 غيره لما ارتضاء لنفسه بل ينبغي أن يحسب الصنعة وعكمها ثم يبين عيبها إن كان فيها عيب  
 فيذلك يتخلص . وسأل رجل حذاء بن سالم فقال كيف لي أن أسام في بيع النعال فقال اجعل الوجهين  
 سواء ولا تفضل التي على الأخرى وجود الحشو وليكن شيئا واحدا تاما وقارب بين الحزب ولا تطبق  
 إحدى التعلين على الأخرى ومن هذا الفن ما مثلت له أحمد بن حنبل رحمه الله من الرفو بحيث  
 لا يتبين قال لا يجوز لمن يبيعه أن يخفيه وإنما يحل للرا إذا علم أنه يظهره وأنه لا يريد له ليع . فان قلت  
 فلا ترم للعاملة معهما وجب على الإنسان أن يذكر عيوب البيع . فأقول ليس كذلك إذ شرط التاجر أن  
 لا يشتري للبيع إلا الجيد الذي يرضيه نفسه لو أمسكه ثم شفع في بيعه يرضى بغير فيبارك الله له فيه ولا

حضرته الوفاة اعتنى  
 فقال اذهب حيث شئت  
 فالتوم يكرهون  
 خدمة الأغيار ويأبون  
 عطايتهم أيضا فان  
 من لا يحب طريقهم  
 ربما استغفر بالنظر  
 إليهم أكثر مما يتفنى  
 قاتمهم يسر ويتدمنهم  
 أمور بمقتضى طبع  
 البشر وشكرها التبر  
 لقة على بمقامهم  
 فيكون إياهم موضع  
 الشفقة على الخلق  
 لاسن طريق التمز  
 والرفع على أحد  
 من السليين والشاب  
 الطالب إذا خدم أهل  
 الله المشغولين بطاعة  
 يشاركهم في التواب  
 وحيث لم يؤهل  
 لأحوالهم السنية بخدم  
 من أهل لها فخدمته  
 لأهل القرب علامة  
 حب الله تعالى . أخبرنا  
 الثقة أبو الفتح محمد  
 ابن سليمان قال أنا  
 أبو الفضل حميد بن  
 أحمد قال أنا الحافظ  
 أبو نعيم قال ثنا

(١) حديث البيان إذا صدقا وتصحابك لهما في بيعهما الحديث متفق عليه من حديث حكم  
 ابن حزام (٢) حديث بد الله على الشريكين مالم يتخاونا فإذا تخاونا رفع يده عنهما أبو داود والحاكم  
 من حديث أبي هريرة وقال صحيح الإسناد (٣) حديث لا تزال لإله إلا الله تدفع عن الحق  
 سطخ الله ما يؤثروا صفعة دنيام على آخرهم الحديث أبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس  
 بسند ضعيف وفي رواية للترمذي الحكيم في التوادر حق إذا نزلوا بالمر للذي لا يبالون ما من  
 من دينهم إذا سلت لهم دنيام الحديث وللطبراني في الأوسط نحوه من حديث عائشة وهو ضعيف  
 أيضا (٤) حديث من قال لا إله إلا الله غلصا دخل الجنة قيل وما إغلاصه قال يحجزه عما حرم الله الطبراني  
 من حديث زيد بن أرقم في معجمه الكبير والأوسط بإسناد حسن .

يحتاج إلى تلبس وإنما تعذر هذا لأنهم لا يقتنون بالريح اليسير وليس يسلم الكثير إلا بتلبس فمن تعود هذا لم يشتر الملبس فان وقع في يده معيب نادرا فليذكره وليقتن بقمته باع ابن سيرين ثلثة قالوا للشعري أبا إريك من عيب فيها إنها تغلب العلف رجلها وباع الحسن بن صالح جارية فقال للشعري إنها تنحبت مرة عندنا دما فهكذا كانت سيرة أهل الدين فمن لا يقدر عليه فليترك العاملة أو ليوطن نفسه على عذاب الآخرة . الثالث أن لا يكتفى القدر شيئا وذلك بتعديل اللزآن والأختياط فيه وفي الكيل فينبغي أن يبكيل كما يكتال قال الله تعالى - ويل للعطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون - ولا يخلص من هذا إلا بآن يرجع إذا أعطى وينتقم إذا أخذ إذا العدل الحقيقي قلما يتصور فليستظهر . بظهور الزيادة والتقصان فان من استقصى حقه بكمالها يوشك أن يستداه وكان بعضهم يقول : لا أنشترى الويل من الله بحجة فكان إذا أخذ نقص نصف حبة وإذا أعطى زاد حبة وكان يقول : ويل لمن باع حبة جنة عرضها السموات والأرض وما أخسر من باع طوف بويل وإنما التوا في الاحتراز من هذا وشبهه لأنها مظالم لا يمكن التوبة منها إذ لا يعرف أصحاب الحيات حتى يجمعهم ويؤدى حقوقهم ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قال للوزن لما كان وزن ثمنه « وزن وأرجح »<sup>(١)</sup> ونظر فضيل إلى ابنه وهو يسئل ديناراً يريد أن يصرفه ويؤزله تسكبه ويقبضه حتى لا يزيد وزنه بسبب ذلك قال يابى فملك هذا أفضل من حبتين وعشرين عزمة وقال بعض السلف سمعت للتاجر والبائع كيف ينجو وزن ويخلف بالهيار وبنام بالليل وقال سليمان عليه السلام لآبته : يابى كائسدا الحبة بين الحجرين كذلك تدخل الخطيئة بين التبايعين . وصلى بعض الصالحين على تحت قيل له إنه كان فاسداً فكسك فأعيد عليه فقال : أنك تقاتلني كان صاحب ميزانين يعطى بأحدهما وبأخذ بالآخر أشار به إلى أن فسقه مظلة بينه وبين الله تعالى وهذا من مظالم العباد والسامعة والمغفوة أبعد والتشديد في أمر اللزآن عظيم والخالص منه يحصل بحجة ونصف حبة وفي قراءة : بده الله من مسعود رضى عنه - لا تظنوا في اللزآن وأقيموا الوزن باللسان ولا تخسروا اللزآن - أى لسان اللزآن فان نقصان والرجحان يظهر بحله وبالجملة كل من ينتصف لنفسه من غيره . ولو في كلفة ولا ينتصف بمن لا ينتصف فهو داخل تحت قوله تعالى - ويل للعطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون - الآيات فان تحرم ذلك في الكيل ليس لسكونه مكيلال لسكونه أمراً مقصود ترك العدل والصفة فيه فهو جار في جميع الأعمال فاصحاب اللزآن في خطر الويل وكل مكلف فهو صاحب موازين في أقواله وأفعاله وخطراته قالوا ويل له إن عدل عن العدل ومال عن الاستقامة فلو لا تعذر هذا واستحالة لما ورد قوله تعالى - وإن منكم إلا وادها كان على ربك حاقم مضيا - فلا يملك عبد ليس بمصوما عن اللزآن عن الاستقامة إلا أن درجات اللزآن تتفاوت تفاوتاً عظيماً فذلك تتفاوت مدة مقامهم في النار إلى أوان الخلاص حتى لا يبقى . بعضهم إلا يقدر تخلة القسم ويبقى بعضهم ألفاً وألوف سنين فنسأل الله تعالى أن يقربنا من الاستقامة والعدل فان الاشتداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل عنه غير مطموع فيه فانه أدق من الشرعة وأشد من السيف ولولاه لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط المدود على متن النار التى من رفته أنه أدق من الشرعة وأحد من السيف وقد استقامت على هذا الصراط المستقيم تخف العبد يوم القيامة على الصراط وكل من خلط بالطعام زباً أو غيره ثم كاله فهو من الطغففين في الكيل وكل قصاب وزن مع اللحم عظيم ثم العادة مثله فهو من الطغففين في الوزن وفس على هذا سائر التقديرات حتى في الدرع الذى يتعاطاه اللزآن

(١) حديث قال للوزان وزن وأرجح أصحاب السنن والحاكم من حديث سويد بن قيس قال الترمذى - من صحيح وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم .

أبو بكر بن خلاد قال ثنا الحرث بن أبى أسامة قال ثنا معاوية ابن عمرو قال ثنا أبو اسحاق عن حميد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك قال حين دنا من المدينة إن بالديسة أقواما ماسر من مسير ولا قطعهم واديا إلا كانوا معكم قالوا وهم في المدينة قال « نعم حبسهم المذرة » فالتاقم جماعة القوم فتوق عن بلوغ درجهم بغير القصور وعدم الأهلية فقام حول الحى بأذى مجهود في الخدمة يتصل بالأثر حيث منع النظر لجزاه الله على ذلك أحسن الجزاء وأتاه من جزيل المطاء وهكذا فكان أهل الصفة يتعاونون على البر والتقوى ويجمعون على الصالح الدينية

فانه إذا اشترى أرسل الثوب في وقت الشدة ولم يمد مدا وإذا باع مده في الدرع ليظهر خاوتا في القدر  
فكل ذلك من التطفيف للعرض صاحبه للويل . الرابع أن يصدق في سمر الوقت ولا يخفي منه شيئا قد  
نهى رسول الله ﷺ عن تلقى الركبان <sup>(١)</sup> ونهى عن التجنى <sup>(٢)</sup> أما تلقى الركبان فهو أن يستقبل  
الرفقة ويتلقى للتاع ويكذب في سمر البلد فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تلقوا الركبان » ومن تلقاها  
فصاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق وهذا الشراء منقذ ولكنه إن ظهر كذبه ثبت البائع  
الخيار وإن كان صادقا في الخيار خلاف لما عارض عموم الحريم زوال التلبس ونهى أيضا أن يبيع حاضر  
لباد <sup>(٣)</sup> وهو أن يقدم البدوي البلد ومعه قوت يريد أن يتسارع إلى بيته فيقول له الحضري أركه  
عندي حتى أغالى في ثمنه وأنتظر ارتفاع سعره وهذا في القوت حرم وفي سائر السلع خلاف الأطهر تحرجه  
لموم النبي ولأنه تأخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة لا فضولى الضيق ونهى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم عن التجنى وهو أن يتقدم إلى البائع بين يدي الرابع للشرى ويطلب السلعة بزيادة  
وهو لا يريد بها وإنما يريد تحريك رغبة الشترى فيها فهذا إن لم تجر مواطاة مع البائع فهو فصل حرام  
من صاحبه والبيع منقذ وإن جرى مواطاة في ثبوت الخيار خلاف الأولى إثبات الخيار لأنه تقرير  
بفضل يمتحنه التقرير في المصراة وتلقى الركبان فهذه الثلاث تدل على أنه لا يجوز أن يلبس على البائع  
والشرى في سمر الوقت ويكتم منه أمرا لو علم لما أقدم على القدر فعمل هذا من التقى التمر  
للضاد للصح الواجب . قد حكى عن رجل من التابعين أنه كان بالبصرة وله غلام بالسوس يجهز  
إليه السكر فيكتب إليه غلامه إن قصب السكر قد أمأته آفة في هذه السنة فاشتر السكر قال  
فاشترى سكرًا كثيرا فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفا فانصرف إلى منزله فأفكر ليلته وقال  
رحمت ثلاثين ألفا وخسرت نصح رجل من السلفين فلما أصبح غدا إلى بائع السكر دفع إليه ثلاثين  
ألفا وقال بارك الله لك فيها قال ومن أين صارت لي فقال لي كتمتلك حقيقة الحال وكان السكر  
قد غلا في ذلك الوقت فقال رحمتك الله قد أعلتني الآن وقد طينيت لك قال فرجع بها إلى منزله  
وعكرويات ساهرا وقال مانصحتك فلمه استحيما من قتركي لي فبكر إليه من الغد وقال عافاك الله خذ  
حالك إليك فهو أطيب لقلبي فأخذ منه ثلاثين ألفا فهذه الأخبار في الناهي والحكايات تدل على أنه ليس  
له أن يشتد فرصة ويتهم غفلة صاحب المتاع ويخفي من البائع غلاء السعر أو من الشترى تراجع الأسعار  
فإن فضل ذلك كان ظلما تارك للعدل والنصح للسلفين ومهما باع مراعاة بأن يقول بعت بما قام على  
أوبى ما اعتبرت فضله أن يصدق ثم يجب عليه أن يخبر بما حدث بعد العقد من عيب أو نقصان ولو اشترى  
إلى أجل وجب ذكره ولو اشترى مساعمة من صديقه أو ولده يجب ذكره لأن العامل يعول على عادته في  
الاستقصاء أنه لا يترك النظر لنفسه فإذا تركه بسبب من الأسباب فيجب إخباره إذ الاعتداء فيه على أمأته .

## ( الباب الرابع في الإحسان في المعاملة )

وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعا والعدل سبب النجاة فقط وهو يجري من التجارة يجري  
رأس المال والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجري من التجارة يجري الربح ولا يمد من الغلاء  
من قنع في معاملات الدنيا برأس ماله فكذلك في معاملات الآخرة فلا يبغي للفتن أن يقتصر على العدل

(١) حديث النبي عن تلقى الركبان متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة (٢) حديث  
النبي عن التجنى متفق عليه من حديث ابن عمر وأبي هريرة (٣) حديث النبي عن بيع  
الحاضر للبادي متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة وأمس .

## ( الباب الرابع في الإحسان في المعاملة )

ومواساة الاخوان  
بالمال والدين .

## [ الباب الخامس عشر

في خصائص أهل

الربط والصوفية

فيما يتماهدونه

ويغصون به ]

أعلم أن تأسيس هذه

الربط من زينة هذه

للك الهادية للسيدة

ولسكان الربط أحوال

تجزوا بها عن غيرهم

من الطوائف مودع على

هدى من رحيم قال

الله تعالى - أولئك

الذين هدى الله فيدهام

اقتده - وما يرى من

التقصير في حق البعض

من أهل زماننا

والتخلف عن طريق

سلفهم لا يندفع في أصل

أمرهم وصحة طريقتهم

وهذا القدر الباقي من

الأثر واجتباع للتصوفة

في الربط وما هيا الله

تعالى لهم من الرفق

بركة جمية بواطن

لشايخ السائين وآثر

من آثار منع الحق في

حقهم وصورة الاجتباع

واجتناب الظلم وبيع أبواب الإحسان وقد قال الله - وأحسن كما أحسن الله إليك - وقال عز وجل - إن الله يأمر بالعدل والإحسان - وقال سبحانه - إن رحمت الله قريب من المحسنين - ونفى بالإحسان فضل ما ينتمى به العامل وهو غير واجب عليه ولكنه فضل منه فإن الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه وتال رتبة الإحسان بواحد من ستة أمور : الأول في الثانية فينبغي أن لا يفتن صاحبه بما لا يفتن به في العادة فأما أمل الثانية لما ذون فيه لأن البيع للربح ولا يمكن ذلك إلا بغير ما ولكن يراعى فيه التقرب بالذل المشتري زيادة في الربح للمعاد إما لشدة رغبته أو لشدة حاجته في الحال إليه فينبغي أن يمتنع من قبوله فذلك من الإحسان ومهما لم يكن تلبس لم يكن أخذ الزيادة ظلمًا وقد ذهب بعض العلماء إلى أن القين بما يزيد على الثلث يوجب الحيار ولنا نرى ذلك ولكن من الإحسان أن يحيط ذلك القين . يروى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان ضرب قبة كل حلة منها أربع مائة وضرب كل حلة قيمتها مائة ثم إلى الصلاة وخلف ابن أخيه في الدكان فجاء أعرابي وطلب حلة بأربع مائة ففرض عليه من الحل المائتين فاستحسنها ورضيها فاستراها ففنى بها وهي على يديه فاستقبله يونس فصرف حلة فقال للأعرابي بكم اشتريتها فقال بأربع مائة فقال لئلا سوى لي يديه مائتين فأرجع حتى تردها فقال هذه لتأوى في بلدنا خيبة وأنا أرتضيها فقال له يونس انصرف فإن النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها فنهده إلى الدكان ورد عليه مائة درهم وخامس ابن أخيه في ذلك وقاله وقال أما أصبحت أمأثرت الله ترع مثل الفتن وترك النصح للمسلمين فقال والله ما أخذها إلا وهو راض بها قال فهل رضيته بما ترضاها لنفسك وهذا إن كان فيه إخفاء سر وتلبس فهو من باب الظلم وقصص وفي الحديث « غيب السر لرسول حرام »<sup>(١)</sup> وكان الزبير بن عدي يقول أدركت غمانية عشر من الصحابة ما منهم أحد يحسن يشتري لحا بدرهم فحين مثل هؤلاء السترلين ظلم إن كان من غير تلبس فهو من ترك الإحسان وقلنا يتم هذا إلا بنوع تلبس وإخفاء سر الوقت وإنما الإحسان المحض ما خل عن السرى السقطي أنه اشترى كركلوز بستين دينارًا وكتب في روزنامه ثلاثة دنانير بعه وكأنه رأى أن يربح على الشرة نصف دينار فصار اللوز بستين فأثام الدلال وطلب اللوز فقال خذ قال بكم فقال بثلاثة وستين فقال الدلال وكان من الصالحين قد صمد اللوز بستين فقال السرى قد عقدت عفدا لأهلكه لست أبيع إلا بثلاثة وستين فقال الدلال وأنا عقدت ببني وبين الله أن لا أغش مسلما لست أخذ منك إلا ببستين قال فلا الدلال اشترى منه ولا السرى باعه فهذا محض الإحسان من الجانبين فإنه مع العلم بحقيقة الحال . وروى عن محمد بن النكدر أنه كان له شفق بضها خمسة وبضها بضرة فباع في غيبته غلامه شقة من الخفيات بضرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الأعرابي لا يشتري طول النهار حتى وجده فقال له إن التلام قد غلطت فباعك ما يساوي خمسة بضرة فقال يا هذا قد رضيته فقال وإن رضيته فانا لا نرضيكم إلا ما نرضاه لأنفسنا فافتر إحدى ثلاث خصال إما أن تأخذ شقة من العثريات بدارهمك وإما أن نرد عليك خمسة وإما أن ترد شقتك وتأخذ درهمك فقال أعطني خمسة فرد عليه خمسة وانصرف الأعرابي يسأل ويقول من هذا الشيخ قبيل له هذا محمد بن النكدر فقال لا إله إلا الله هذا الذي نستسقي به في البرادى إذا قطعنا فهذا إحسان في أن لا يربح على الشرة إلا نصفًا أو واحدًا على ما جرت به العادة في مثل ذلك الاتع في ذلك السكان ومن تقع بربح قليل كثر معاملاته واستطاع من تكررها ربحًا كثيرًا وبه تظهر البركة . كان على رضى الله عنه يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول معانير التجار

(١) حديث غيب السر لرسول حرام الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف والبيهقي من حديث جابر بسند جيد وقال ربا بدل حرام .

في الربط الآن على طاعة الله والترسم بظاهر الآداب عكس نور الجعية من بواطن المؤمنين وسلوك الخلف في مناهج السلف فهم في الربط كجسد واحد بقلوب متفقة وعزائم متحدة ولا يوجد هذا في غيرهم من الطوائف قال الله تعالى في وصف المؤمنين - كأنهم ببيان مرموس - وبكس ذلك وصف الأعداء فقال - تحسبهم جميعًا وقولهم شق - وروى النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنما المؤمنون كجسد رجل واحد إذا اشتكى عضو من أعضائه اشتكى جسده أجمع وإذا اشتكى مؤمن اشتكى المؤمنين » فالصوفية وطلبتهم اللازم من حفظ اجتماع البواطن وإزالة التفرقة بإزالة شعث البواطن لأنهم بنسبة الأرواح

خذوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الربح فتعروا كثيره قبل لبدا الرحمن بن عوف رضي الله عنه ما سبب يسارك قال ثلاث ما رددت رجما قط ولا طلب مني حيوان فأخبرت ربه ولا بت بسيفه وقال إني باع ألف ناقة فأربح إني أعقلها باع كل عقال بدرهم فربح فيها ألفا وربع من تفتته عليها ليومها ألفا . الثاني : في احتمال التبن والشترى إن اشترى طعاما من ضعيف أو شيئا من فقير فلا بأس أن يعمل التبن ويشاهل ويكون به عسنا ودخلا في قوله عليه السلام « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء » فاما إذا اشترى من غنى تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال التبن منه ليس محمدا بل هو قضيع ماله من غير أجر ولا حمد قد ورد في حديث من طريق أهل البيت « التبنون في الشراء لا محمود ولا مأجور »<sup>(١)</sup> وكان إياس بن معاوية بن قرعة قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين يقول لست بغب والحب لا يفتني ولا يفتني ابن سيرين ولكن بين الحسن وبين أي يعني معاوية بن قرعة والكسالك في أن لا يفتني ولا يفتني كالأوصاف بعضهم عمر رضي الله عنه فقال قال أكرم من أن يمدح وعقل من أن يمدح وكان الحسن والحسين وغيرهما من خيار السلف يستقصون في الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزل من المال قليل لبعضهم تستقصي في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالى فقال إن الوهاب يعطي فضله وإن التبنون لا يفتني عقله وقال بعضهم إنما أغنى يعطى ويهوى فلا أمكن التباين منه وإذا وهبت أعطى الله ولا استكثر منه شيئا . الثالث : في استيفاء الثمن وسائر الديون والإحسان فيمرة بالساعة وحط البعض ومرة بالإيهال والتأخير ومرة بالمساهلة في طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب إليه ومحمود عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء »<sup>(٢)</sup> فليتمتع دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم « وقل صلى الله عليه وسلم »<sup>(٣)</sup> « وأما صلى الله عليه وسلم »<sup>(٤)</sup> « أنظر ميسرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا » وفي لفظ آخر « أظله الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله »<sup>(٥)</sup> « وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل هل عمل خيرا قط فقال لا إلا أني كنت رجلا أدين الناس فأقول لفتيان ساعوا لئوسر وأنظروا للمسر »<sup>(٦)</sup> وفي لفظ آخر « ونجاوزوا عن المسر فقال الله تعالى نحن أحق بذلك منك تجاوزا عنه وغفروا » وقال صلى الله عليه وسلم « من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة »<sup>(٧)</sup> « وقد كان من السلف من لا يبيع أن يقضى غريمه الدين لأجل هذا الخبر حتى يكون كالتصدق بجميعة في كل يوم وقال صلى الله عليه وسلم « رأيت على باب

(١) حديث من طريق أهل البيت للتبنون لا محمود ولا مأجور الترمذي الحكيم في التواضع من رواية عبيد الله بن الحسن عن أبيه عن جده ورواه أبو يعلى من حديث الحسين بن علي رفعه قال الذهبي هو منكر (٢) حديث رحم الله سهل البيع سهل الشراء تقدم في الباب قبله (٣) حديث اسمع يسبح لك الطبراني من حديث ابن عباس ورجاله ثقات (٤) حديث من أنظر ميسرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفي لفظ آخر أظله الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله مسلم باللفظ الثاني من حديث أبي اليسر كعب بن عمرو (٥) حديث ذكر رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل هل عملت خيرا قط فقال لا إلا أني كنت رجلا أدين الناس فأقول لفتيان ساعوا لئوسر الحديث مسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري وهو متفق عليه بنحوه من حديث حذيفة (٦) حديث من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين حديث جندب بن أمية من حديث بريدة من أنظر ميسرا كان له كل يوم صدقة ومن أنظره بداءه كان له مثله في كل يوم صدقة وسنده ضعيف ورواه أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .

اجتمعا ورباطة  
التأليف إلى انفتوا  
وتشاهدة القلوب  
نواطوا وتهدبوا  
النفوس وتصفية القلوب  
في الرباط رباطوا  
فلا بد لهم من التألف  
والتودد والتصح .  
روى أبو هريرة عن  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال « المؤمن  
بأنفسه يؤلف ولاخير  
فيمن لا يألف ولا  
يؤلف » . وأخبرنا  
أبو زرعة طاهر بن  
الحافظ أبي الفضل  
للقدس عن أبيه قال  
ثنا أبو القاسم الفضل  
ابن أبي حرب قال أنا  
أحمد بن الحسين  
أخبرني قال أنا أبو سهل  
ابن زياد القطان قال  
ثنا الحسين بن مكرم  
قال ثنا يزيد بن هرون  
الواسطي قال ثنا محمد  
ابن عمرو عن أبي سلمة  
عن أبي هريرة قال :  
قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « الأرواح  
جنود مجتمة في تعارف

الجنة مكتوبا الصدقة بشر أمثالها والقرض بثان عشرة <sup>(١)</sup> قيل في معناه إن الصدقة تنفع في يد المحتاج وغير المحتاج ولا يحتمل ذلك الاستقراض بالإحتياج » ونظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل بالآزم رجل بدين فأومأ إلى صاحب الدين يده أن يضع الشطر ففعل فقال للدينون قم فأعطه <sup>(٢)</sup> وكل من باع شيئا وترك ثمنه في الحال ولم يرهق إلى طلبه فهو في معنى القرض . وروى أن الحسن البصري باع بقة له بأربعمائة درهم فلما استوجب للمال قال له يرهقني اصمعي يا أباسيد قال قد أسقطت عنك مائة قال له فأحسن يا أباسيد فقال قد وهبت لك مائة أخرى قبضت من حق مائتي درهم فقيل له يا أباسيد هذا نصف الثمن فقال هكذا يكون الإحسان وإلا فلا وفي الخبر » خذحك في كفاف وعفاف واف أو غير واف بحاسبك الله حسابا يسيرا <sup>(٣)</sup> . الرابع : في توفية الدين ومن الإحسان فيه حسن القضاء وذلك بأن يعنى إلى صاحب الحق ولا يكلفه أن يعنى إليه يتقاضاه فقد قال صلى الله عليه وسلم » خيركم أحسنكم قضاء <sup>(٤)</sup> » ومهما قدر على قضاء الدين فليأدر إليه ولو قبل وقته وليسلم أجود مما شرط عليه وأحسن وإن عجز فليؤن قضاءه مهما قدر قال صلى الله عليه وسلم » من أذن دينا وهو يتوى قضاءه وكل الله به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه <sup>(٥)</sup> » وكان جماعة من السلف يسترضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما كلف صاحب الحق بكلام خشن فليختمه وليناقله باللطيف اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم » إذ جاءه صاحب الدين عند حلول الأجل ولم يكن قد اتفق قضاءه فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله ﷺ فهم به أصحابه فقال : دعوه فإن لصاحب الحق مقالا <sup>(٦)</sup> » ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض فالإحسان أن يكون الليل الأكثر للتوسطين إلى من عليه الدين فإن المقرض يقرض عن غنى والمستقرض يستقرض عن حاجة وكذلك ينبغي أن تكون الاعانة للمشتري أكثر فإن البائع راغب عن السلعة يعني ترويحها والمشتري محتاج إليها هذا هو الأحسن الآن يتعدى من عليه الدين حده فعند ذلك نصرته في منعه عن تصديه وإعانة صاحبه إذ قال ﷺ » انصر أخاك ظالما أو مظلوما قيل كيف نصره ظالما فقال منعك إياه من الظلم نصرته <sup>(٧)</sup> » . الخامس : أن يقبل من يستقبله فإنه لا يستقبل لإلتماسه مستضر بالبيع ولا ينبغي أن يرضى نفسه أن يكون سبب استضرار أخيه قال صلى الله عليه وسلم » من قال نادما صفته أقاله الله عشرته يوم القيامة <sup>(٨)</sup> » أو كما قال . السادس : أن يقصد في معاملته جماعة ممن القراء بالنسبة وهو في الحال عازم على أن لا يظالمهم إن لم تظهر لهم ميسرة فقد كان في صالحه السلف من له دفتران للحساب أحدهما ترجته بمجولة فيه أسماء من لا يعرفه

(١) حديث رأيت على باب الجنة مكتوبا الصدقة بشر أمثالها والقرض بثان عشرة ابن ماجه من حديث أنس بن مالك (٢) حديث أومأ إلى صاحب الدين يده وضع الشطر الحديث متفق عليه من حديث كعب بن مالك (٣) حديث خذ حرك في عفاف الحديث ابن ماجه من حديث أبي هريرة بإسناد حسن دون قوله بحاسبك الله حسابا يسيرا وله ولابن حبان والحاكم وصححه نحوه من حديث ابن عمر وعائشة (٤) حديث خيركم أحسنكم قضاء متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث من أذن دينا وهو يتوى قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه أحمد من حديث عائشة مامن عبد كانت له نية في أداء دينه إلا كان معه من الله عون وحافظ وفي رواية له لم يزل معه من الله حارس وفي رواية للطبراني في الأوسط إلا كان معه عون من الله عليه حتى يقضيه عنه (٦) حديث دعوه فإن لصاحب الحق مقالا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما الحديث متفق عليه من حديث أنس (٨) حديث من أقال نادما صفته أقاله الله عشرته يوم القيامة أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم

منها اتلف وماتنا كر  
منها اختلف » فهم  
باجتماعهم تجتمع  
بواظهم وتقيد  
نفسهم لأن بعضهم  
عين على البعض على  
ماورد » المؤمن » فأى وقت  
الزمن » فأى وقت  
ظهر من أحدهم أثر  
التفرقة نأفروه لأن  
التفرقة تظهر بظهور  
النفس وظهور النفس  
من تضيق حق الوقت  
فأى وقت ظهرت  
نفس الفقير علوا منه  
خروجه عن دائرة  
الجمعة وحسبوا عليه  
بضيق حكم الوقت  
وإهمال السياسة وحسن  
الرعاية فيقاد للمنافرة  
إلى دائرة الجملة .  
أخبرنا شيخنا ضياء  
الدين أبو العجيب  
عبد القاهر السمرودي  
إجازة قال أنا الشيخ  
العالم عمام الدين أبو  
حفص عمر بن أحمد  
ابن منصور الصفاقلي  
أنا أبو بكر أحمد أنا  
خلف الشيرازي قال أنا

من الضعفاء والفقراء وذلك أن الفقير كان يرى الطعام أو الفاكهة فيشتبه فيقول أحتاج إلى خمسة أرطال مثلا من هذا وليس معي منه فكان يقول خذني واقض عنه عند البسرة ولم يكن يد هذا من الحيار بل عد من الحيار من لم يكن ثبت اسمه في دفتر أصلا ولا يحسبه دينا لكن يقول خذ ما تريد فإن يسرك فاقض وإلا فأنت في حل. منه وسعة فهدى طرق تجارات السلف وقد انبرست والقائم به هي هذه السنة وبالجملة التجارة محك الرجال وبها تختبر. ومن الرجل يورعه ولذلك قيل : لا يفرنك من اللزق قيس رقصه أو إزار فوق كسب الساق منه رقصه أو جبين لاص فيه أثر قد قلعه ولدى الدرهم فانظر غيبه أو ورعه

ولذلك قيل إذا أتى على الرجل جيرانه في الحضر وأصحابه في السفر ومعاملوه في الأسواق فلا تشكوا في صلاحه وشهد عند عمر رضى الله عنه شاهد فقال اتقي بمن يفرقك فأتاه رجل فاتني عليه خيرا فقال له عمر أنت جاره الأدنى يعرف مدخله ومخرجه قال لا تقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق فقال لا قال فاصلته بالدينار والدرهم بالتى يستبين به ورع الرجل قال لا قال أظنك رأيته قائما في المسجد يهيمهم بالقرآن يخفى رأسه طورا ويرفعه أخرى قال نعم فقال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فاتتني بمن يفرقك .

( الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه وبم آخرته )

ولا ينبغي للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضالما وصفته خاسرة وما يغتفر من الربح في الآخرة لا ينبغي به ما ينال في الدنيا فيكون بمن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة بل العاقل ينبغي أن يشفق على نفسه وشفقته على نفسه يحفظ رأس ماله ورأس دينه وتجارته قال بعض السلف أولى الأشياء بالمعامل أحوجه إليه في العاجل وأحوج شيء إليه في العاجل أحدد عاقبة في الأجل وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه في وصيته إنه لا بد لك من نصيبك في الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج فأبداً بنصيبك من الآخرة غفده فانك ستمر على نصيبك من الدنيا فتظنمه قال الله تعالى - ولا تنس نصيبك من الدنيا - لا تنس في الدنيا نصيبك منها للآخرة فانها مزرعة الآخرة وفيها تتكسب الحسنات وإنما تم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة أمور . الأول : حسن التبة والعقيدة في ابتداء التجارة فلينبهها الاستعفاف عن السؤال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم واستعانة بما يكسبه على الدين وقياماً بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به ولينو النصح للسليين وأن يحب لساير الحق ما يجب لنفسه ولينو اتباع طريق العدل والإحسان في معاملته كما ذكرناه ولينو الأمر بالعرف والنهي عن المنكر في كل ما يراه في السوق فإذا أضمر هذه العقائد واليات كان عاملا في طريق الآخرة فان استغاد مالا فهو مزيد وإن خسر في الدنيا ربح في الآخرة . الثاني : أن يصدق القيام في صنفته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات فان الصناعات والتجارات لو تركت بطلت للعالمين وملك أكثر الحق فانتظام أمر الكل يتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمله ولو قبل كلهم على صنفة واحدة لتعلقت البواقي وهلكوا وعلى هذا حمل بعض الناس قوله عليه السلام « اختلاف أمي رحمة » أي اختلاف مهم في الصناعات والحرف ومن الصناعات ما هي مهمة ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها إلى طلب الثم والزرين في الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها كافيا عن السليين مهما في الدين وليجتنب صناعة الفسق والصياغة وتشديد البنيان بالجص وجميع ما ترخف به الدنيا فكل ذلك كرهه

( الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه )

(١) حديث اختلاف أمي رحمة تقدم في العلم .

الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلي قال سمعت محمد ابن عبد الله يقول سمعت روعيا يقول لا يزال الصوفية غير متافروا فإذا اصطبلوا هلكوا وهذه إشارة من روم إلى حسن تفقد بينهم أحوال بسبب إشفاقا من ظهور النفوس يقول إذا اصطبلوا أو رضوا للآخرة من بينهم يخاف أن تخامر البواطن للساحة والرامة والبعض البعض في إهمال دقيق آدابهم وبذلك تظهر النفوس وتستولى وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : رحم الله أمرا أهدي إلى عيوني . وأخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ القدسي قال أنا أبو عبد الله محمد ابن عبد العزيز الهروي قال أنا عبد الرحمن بن أبي شريح قال أنا أبو القاسم النبوي قال



ذو الدين فأما حمل الملاهي والآلات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة الخياط القباء من الإبريسم للرجال وصياغة الصانع مراكب الذهب أو خواتيم الذهب للرجال فكل ذلك من المعاصي والأجرة للأخوة عليه حرام وكذلك أوجبنا الزكاة فيها وإن كنا لانوجب الزكاة في الخيل لأنها إذا قصدت للرجال فهي محرمة وكونها مهيئة للنساء لا يلحقها بالخيل البالي ما يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من التصد وقد ذكرنا أن بيع الطعام وبيع الأكفان مكروه لأنه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بفناء السر ويكره أن يكون جزاء لما فيه من تساوة القلب وأن يكون حجاباً أو كناساً لما فيه من غشامة النجاسة وكذا الدباغ وما في مناه وكره ابن سيرين الدلالة وكره قنادة أجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استثناء الدلال عن الكذب والافراط فيثناء على السلة لترجيحها ولأن العمل فيه لا ينتظر قد يغل وقد يكثر ولا ينظر في مقدار الأجرة إلى عمله بل إلى قدر قيمة الثوب فهذه العادة وهو ظلم يبغي أن ينظر إلى قدر الثوب وكرهوا شراء الحيوان للتجارة لأن المشتري يكره قضاءه فيه وهو ألوث الذي يصدده لاهالة وحولوه وقيل مع الحيوان واشترى اللواتن وكرهوا الصرف لأن الاحتراز فيه عن دقائق الربا عسير ولأنه طلب للمنافي الصفات فيها لا يقصد أعيانها وإنما يقصد رواجها وقفاً للصيرفي ربح إلا باعتبار جهالة معاملته بدقائق النقد قلما يسلم الصيرفي وإن احتاط ويكره للصيرفي وغيره كسر الصبيح والدنانير إلا عند الشك في جودته أو عند ضرورة قال أحمد بن حنبل رحمه الله وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> وعن أصحابه في الصياغة من الصلاح وأنا أكره الكسر وقال يشتري بالدينار درهم ثم يشتري بالدرهم ذهباً ويصوغه ويستجوا بمائة الز قال سعيد بن السبب مامن بمائة تجارة أحب إلى من البر ما لم يكن بها أيمان وقد روى «خير تجارتكم البر وخير صناعتكم الحرز» <sup>(٢)</sup> وفي حديث آخر «لوا تجرأ أهل الجنة لا تجرأوا في البر ولا تجرأ أهل النار لا تجرأوا في الصرف» <sup>(٣)</sup> وقد كان غالب أعمال الأخيار من السلف عسر صنائع الحرز والتجارة والحل والحياطة والحذو والتصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل النعالز ومعالجة صلب البر والبحر والوراقة قال عبد الوهاب الوراق قال لي أحمد بن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة قال كسب طيب ولو كنت صانعا يدي لصنعت صنعتك ثم قال لي لا تكتب إلا مواسطة واستبق الخواشي وظهور الأجزاء وأربعة من الصناعات موسومة عند الناس بضعف الرأي الحاكمة والقطانون وللغازييون والعلويون ولعل ذلك لأن أكثر غائلتهم مع النساء والعيان وغائلة ضفاء القول تضعف العقل كما أن غائلة القتل تزيد في العقل وعن مجاهد أن سريماً علياً السلام مرت في طلبها ليس على السلام بحاكم فظلمت الطريق فأرعدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبه وأتمهم قراء وخبرهم في عين الناس فاستجيب دعاؤها وكره السلب أخذ الأجرة على كل ما هو من قبيل العبادات وفروض الكفايات كسبل اللوني ودقهم وكذا الأذان وصلاة التراويح وإن حكم

(١) حديث الترمذي عن كسر الدينار والدرهم أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم من رواية علقمة ابن عبدالله عن أبيه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكسر سكة السلبين المجازة بينهم إلا من بأس زاد الحاكم أن يكسر الدرهم فيجعل فضة ويكسر الدينار فيجعل ذهباً وضمنه ابن جبان (٢) حديث خير تجارتكم البر وخير صناعتكم الحرز لم أقف له على إسناد وكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب (٣) حديث لوا تجرأ أهل الجنة لا تجرأوا في البر ولا تجرأ أهل النار لا تجرأوا في الصرف أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف . وروى أبو يعلى والمقليل في الضعفاء الشطر الأول من حديث أبي بكر الصديق .

حدثنا مصعب بن عبدالله الزيري قال حدثني إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب أن محمد بن نعمان أخبر بأن عمر قال في مجلس فيه المهاجرون والأنصار أرايت لو ترخصت في بعض الأمور ماذا كنتم فاعلمين قال فسكتنا قال قال ذلك مرتين أو ثلاثاً أرايت لو ترخصت في بعض الأمور ماذا كنتم فاعلمين قال قال بسر بن سعد لو ضلت ذلك فوساكت تخويم القدر قال عمر أتم إذن أتم وإذا ظهرت نفس الصوفي فضبط وخضومة مع بعض الإخوان فخرط أخيه أن يقابل نفسه بالقلب فان النفس إذا قولت بالقلب أعصمت مادة السر وإذا قولت النفس بالنفس ثارت الفتنة وذهبت العصمة قال الله تعالى - ادفع بالتي هي أحسن فإذا

بصفة الاستئجار عليه وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع فان هذه أعمال حقها أن يتجر فيها للأخرة وأخذ الأجرة عليها استبدال بالدنيا عن الآخرة ولا يستحب ذلك . الثالث أن لا يغمسوق الدنيا عن سوق الآخرة وأسواق الآخرة للساجد قال الله تعالى - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة - وقال الله تعالى - في يوم أذن الله أن ترفع ويدك فيها اسمه - فينبئني أن يحمل أول النهار إلى وقت دخول السوق لأخرته فيلازم السجود وياطلب على الأورداد كان عمر رضى الله عنه يقول للتجار اجعلوا أول نهاركم لأخرتكم وما يمدد دنياكم كمكان حالو السلف يصلون أول النهار وآخره للأخرة والوسط للتجارة ولم يكن يبيع المريسة والرءوس بكرة إلا للصبيان وأهل الذمة لأنهم كانوا في الساجد يمدون في الخبر « إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد وفيها في أول النهار وفي آخره ذكر الله وخير كفر الله عنه ما بينهما من سيئه الأعمال (١) » وفي الخبر « تلتقي ملائكة الليل والنهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله تعالى وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وجئناهم وهم يصلون فيقول المفسبجانه وتعالى أشهدكم أنه قد غفرت لهم (٢) » ثم يسمع الأذان في وسط النهار للأولى والصبر فينبئني أن لا يهرج في غفل وبزعم عن مكانه ويدع كل ما كان فيه لما يغوته من فضيلة التكبيرة الأولى مع الإمام في أول الوقت لا توارى الدنيا بما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلماء وقد كان السلف يبتدرون عند الأذان ويخلون الأسواق للصبيان وأهل الذمة وكانوا يستأجرون بالقراريط لحفظ الحوائط في أوقات الصلوات وكان ذلك معيشة لهم وقد جاء في تفسير قوله تعالى - لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله - أنهم كانوا حاديين وخرازين فكان أخذهم إذا رفع الطرقة أو غرغز الإذني فسمع الأذان لم يخرج إلا من الغرغز ولم يوقع للطرفة ورمى بها وقام إلى الصلاة . الرابعة أن لا يقتصر على هذا بل يلازم ذكر الله سبحانه في السوق ويشغل بالتبجيل والتسبيح فذكر الله في السوق بين الغافلين أفضل قال صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في الغافلين كالقاتل خلف الفارين وكالمسي بين الأموات » وفي لفظ آخر « كالشجرة الخضراء بين المشيم » وقال صلى الله عليه وسلم « من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له لملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف حسنة (٣) » وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين لتبيل فضيلة هذا الذكر وقال الحسن ذاكر الله في السوق يحيى يوم القيامة له ضوء كضوء القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله في السوق غفر الله له ببذل أهلها وكان عمر رضى الله عنه إذا دخل السوق قال اللهم إني أعوذ بك من الكفر والسوق ومن شر ما أحاطت به السوق اللهم إني أعوذ بك من عين فاجرة وصفقة خاسرة وقال أبو جعفر الرافعي كتابوما عند الجند فجري ذكر ناس يجلدون في الساجد ويتشبهون بالصوفية ويتصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويسبون من يدخل السوق فقال الجندكم ممن هو في السوق حكمه أن يدخل السجود ويأخذ ياذن بمن من فيه

(١) حدث إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد في أول النهار وآخره ذكر وخير كفر الله ما بينهما من سيئه الأعمال أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف بمعناه (٢) حدث تلتقي ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله وهو أعلم كيف تركتم عبادي الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفداة وصلاة العصر الحديث (٣) حديث من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده شريك له الحديث تقدم في الأذكار .

الذى يذك وينه  
عداوة كأنه على حميم  
وما يلقاها إلا الذين  
صبروا - ثم الشيخ  
أو الحادى إذا شكا إليه  
قهر من أخيه فله أن  
يأتى بها مشاء فيقول  
للمتمدى لم تمديت  
وللمتمدى عليه ما لى  
أذنبت حتى تصدى  
عليك وسلط عليك  
وهلا قالت نفسه  
بالقلب رقاً بأخيك  
وإعطاء لفتوة  
والصحة حقها فكل  
منها جان وخارج عن  
دائرة الجمعية فيرد إلى  
الدائرة بالقرار فيعود  
إلى الاستغفار ولا يسلط  
طريق الإصرار روت  
عائشة رضى الله عنها  
قالت « كان يقول رسول  
الله صلى الله عليه وسلم :  
الهم اجعلنى من  
الذين إذا أحسنوا  
استبشروا وإذا أساءوا  
استغفروا » فيكون

الاستغفار طاهراً مع  
الإخوان واطعام الله  
تعالى وبرور الله في

فيخرجه ويجلس مكانه وإن لأعرف رجلا يدخل السوق ورزقه كل يوم ثلثانة ركة وثلاثون ألف تسبيحة قال فسبق إلى وهمي أنه يعني نفسه فكذلك كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لا لتتميم الدنيا فإن من يطلب الدنيا للاستمتاع بها على الآخرة كيف يدع ربح الآخرة والسوق والسجد والبيت له حكم واحد وإنما التجارة بالتقوى قال صلى الله عليه وسلم « اتق الله حيثما كنت <sup>(١)</sup> » فوظيفة التقوى لا تنقطع عن التجرد من الدين كيفما تقلبت بهم الأحوال وبه تسكون حياتهم وعيشهم إذ فيه يرون تجارتهم ودرهمهم وقد قيل من أحب الآخرة عاش ومن أحب الدنيا طامس والأحق يبدو وبروح في لاف والمال عن عيوب نفسه قاسي . الخامس : أن لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة وذلك بأن يكون أول داخل وآخر خارج وبأن يركب البحر في التجارة فيها مكرهان يقال إن من ركب البحر فقد استنصرى في طلب الرزق وفي الخبر « لا يركب البحر إلا لبيع أو عمرة أو غزو <sup>(٢)</sup> » وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول لا تسكن أول داخل في السوق ولا آخر خارج منها فإنها باض الشيطان وفرغ روى عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر أن إبليس يقول لوليه زليزوسر يكنايك فأت أصحاب الأسواق زين لهم السكدب والحلف والهدمية والسكر والحياة وكن مع أول داخل وآخر خارج منها وفي الخبر « شر البقاع الأسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا <sup>(٣)</sup> » وتعلم هذا الاحتراز أن يراقب وقت كفايته فإذا حصل كفايته وقته انصرف واشتغل بتجارة الآخرة هكذا كانوا صالحو السلف لقد كان منهم من إذا ربح دافعا انصرف قناعة به وكان حماد بن مسلمة يبيع الحزب في سبط بين يديه فكان إذا ربح جتين ربح سبطه وانصرف وقال إبراهيم بن بشار قلت لابراهيم بن آدم رحمه الله أمر اليوم أعمل في الطين فقال يا ابن بشار إنك طلب ومطلوب بطلبك من لافوته وتطلب ماقد كفتي أما رأيت حرصا محروما وضيقا مبروقا قلت إن لي دافعا عند البقال فقال عز على بك نملك دافعا وتطلب العمل وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم من لا يعمل في الأسبوع إلا يوما أو يومين وكانوا يكفون به . السادس : أن لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقوا مواطن الشبهات ومواطن الرب ولا ينظر إلى الفتاوى بل يستفتي قلبه فإذا وجد فيه حرازة اجتنبه وإذا حمل إليه سامة رابه أمرها سأل عنها حتى يعرف وإلا أكل الشبهة « وقد حمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبن فقال من أين لكم هذا ؟ فقالوا من الشاة فقال ومن أين لكم هذه الشاة ؟ قتل من موضع كذا فخر بمنه ثم قال : إنا معاشرة الأنبياء أمرنا أن لا تأكل إلا طيبا ولا نضل إلا صالحا <sup>(٤)</sup> » وقال « إن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال - يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم - <sup>(٥)</sup> » فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أصل الشيء وأصل أصله ولم يزد لأن ما وراء ذلك يتعدر وسين في كتاب الحلال والحرام وموضع وجوب هذا السؤال فإنه كان عليه السلام لا يسأل

(١) حديث اتق الله حيثما كنت كذب الترمذي من حديث أبي ذر وصححه (٢) حديث لا يركب البحر إلا لحاجة أو عمرة أو غزو أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو وقيل إنه منقطع (٣) حديث شر البقاع الأسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا تقدم صدر الحديث في الباب السادس من العلم وروى أبو نعيم في كتاب حرمة المساجد من حديث ابن عباس أبغض البقاع إلى الله الأسواق وأبغض أهلها إلى الله أولهم دخولا وآخرهم خروجا (٤) حديث سؤاله عن اللبن والشاة وقوله وإنما معاشرة الأنبياء أمرنا أن لا تأكل إلا طيبا ولا نضل إلا صالحا الطبراني من حديث أم عبد الله أخت شداد بن أوس بسند ضعيف (٥) حديث إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

استغفارهم فلماذا المني يقفون في صف العال على أقدامهم تواضعا وانكسارا وصمت شيخنا يقول للفقير إذا جرى بينه وبين بعض إخوانه وحشة قم واستغفر فيقول الفقير ما أرى باطنيا صالحا ولا أثر للقيام بالاستغفار ظاهرا من غير صفاء الباطن فيقول أنت قم فبكرة سببك وقيامك تزيق الصفاء فكان يجد ذلك ويرى أثره عند الفقير وترق القلوب وترفع الوحشة وهذا من خاصية هذه الطائفة لا يبتسون والبواطن منظوبة على وحشة ولا يجتمعون للطعام والبواطن تضمر وحشة ولا يرون الاجتماع ظاهرا في شيء من أمورهم إلا بعد الاجتماع بالبواطن وذهاب التفرقة والشك فإذا قام الفقير للاستغفار لا يجوز ردة استغفاره بحال . روى عبد الله

عن كل ما يعمل إليه (١) وإنما الواجب أن ينظر التاجر إلى من سامه فكل منسوب إلى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا فلا سامه وكذا الأجناد والظلة لا سامهم البتة ولا سامل أصحابهم وأعوامهم لأنه معين بذلك على الظلم . وبكى عن رجل أنه تولى عمارة سور ثمر من الثور قال فوقع في نفس من ذلك شيء وإن كان ذلك العمل من الحيرات بل من فرائض الاسلام ولكن كان الأمير الذي تولى في محله من الظلة قال فسألت سفيان رضى الله عنه فقال لا تكن عوناً لهم على قليل ولا كثير قلت هذا سور في سبيل الله للسليين قال نعم ولكن أكل ما يدخل عليك أن تحب بقاءهم ليوفر أجرك فتكون قد أحببت بقاء من يمسى الله وقد جاء في الخبر « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يمسى الله في أرضه » (٢) وفي الحديث « إن الله لا ينضب إذا مدح الناس » (٣) وفي حديث آخر « من أكرم فاسقاً فقد أعان على هدم الاسلام » (٤) ودخل سفيان على الهدي ويده درج أيضاً فقال يا سفيان أعطني الهواة حتى أكتب قال أخبرني أي شيء تكتب فإن كان حقاً أعطيتك وطلب بعض الأشرار من بعض العلماء الميوسمين عنده أن يناوله طيناً ليحتم به الكتاب فقال ناوئي الكتاب أولاً حتى أنظر ما فيه فمكننا كانوا يعترضون عن معاونة الظلمة ومعاملتهم أشد أنواع الالاف فينبني أن يجتنبها ذوو الدين ما وجدوا إليه سبيلاً وبالجملة فينبني أن ينضم الناس عنده إلى من سامل ومن لا سامل ولكن من سامله أقل ممن لا سامله في هذا الزمان قال بعضهم أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من يرون لي أن أعامل من الناس فقال له عامل من شئت ثم أتى زمان آخر كانوا يقولون عامل من شئت إلا فلانا وفلانا ثم أتى زمان آخر فكان يقال لا تعامل أحداً إلا فلانا وفلانا وأخشي أن يأتي زمان يذهب هذا أيضاً وكأنه قد كان الذي كان مجذراً أن يكون إماماً وإنما إليه راجعون . السابع : ينبغي أن يراقب جميع مجاري معاملته مع واحد من معاملته فانه مراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب في كل ففة وقوله إنه لم أقدم عليها ولأجل ماذا فانه يقال إنه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيئاً وقصة ومحاسب عن كل واحد محاسبة على عدد من عامله قال بعضهم رأيت بعض التجار في النوم قفلت ماذا فعل الله بك فقال نشر على خسين ألف صحيفة قفلت هذه كلها ذنوب قال هذه معاملات الناس بيدك كل انسان عاملة في الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بيني وبينه من أول معاملته إلى آخرها فهذا ما على المكتسب في عمله من المدل والاحسان والشفقة على الدين فان اقتصر على العدل كان من الصالحين

(١) حديث كان لا يسأل عن كل ما يعمل إليه أحمد من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هموا بأمرأة فذبح لهم شاة الحديث فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة فلم يستطع أن يسيغها فقال هذه شاة ذبحت بغير إذن أهلها الحديث وله من حديث أبي هريرة كان إذا أتى بطعام من غير أهله سأل عنه الحديث وإنسانها جيد وفي هذا أنه كان لا يسأل عما أتى به من عند أهله والله أعلم (٢) حديث من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يمسى الله في أرضه لم أجده مرفوعاً وإنما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت من قوله الحسن وقد ذكره للصنف هكذا على الصواب في آفات اللسان (٣) حديث إن الله ليغضب إذا مدح الناس ابن أبي الدنيا في الصمت وابن عدي في الكامل وأبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعیف (٤) حديث من أكرم فاسقاً فقد أعان على هدم الاسلام غريب بهذا اللفظ والمعروف من وقر صاحب بدعة الحديث رواه ابن عدي من حديث عائشة والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن بسر بأسانيد ضعيفة قال ابن الجوزي كلها موضوعة

ابن عمر رضى الله عنهما  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « وارحموا ترحموا واغفروا يغفروا ينظر لكم » . وهو صوفي في خيل يد الشيخ بعد الاستغفار أصل من السنة . روى عبد الله ابن عمر قال « كنت في سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاص الناس حصة فكتف فيمن خاص فكتنا كيف صنع وقد فررنا من الرخصه يومنا بالتصميم قلنا لودخلنا للدينة فتننا فيها ثم قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قان كان لنا توبة وإلا ذهبنا فأبتناه قبل صلاة الفداة فخرج فقال من القوم قلنا نحن القراءون قال لا بل أتم المكارون أنا فتشك أنا ففة السليين » يقال عكر الرجل إذا تولى ثم كر راجعاً والمكار العطف والرجاع « قال فأتيناه حتى قبل يده »

وإن أضاف إليه الإحسان كان من اللقرين وإن راعى مع ذلك وظائف الدين كما ذكر في الباب الخامس كان من الصديقين وأما أعلم بالصواب ثم كتاب آداب السكب واللبينة بحمد الله ومنه .

### ( كتاب الحلال والحرام )

وهو الكتاب الرابع من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين لازب وصلصال ، ثم ركب صورته في أحسن تقويم وأتم اعتدال ، ثم غذاه في أول نشوء بلبن استصفا من بين قرث ودم سائما كماء الزلال ، ثم حماه بما آتاه من طيبات الرزق عن دوايح النصف والأعلال ، ثم قدس بونه العاديه له عن السطوة والصيل ، وقهرها بما اقترضه عليهن طلب القوت الحلال ، وهزم بكسرهما جند الشيطان للتشمر للأضلال ، ولقد كان مجرى من ابن آدم مجرى النهم السيل ، فضيق عليه عزة الحلال الجبرى والمجال ، إذا كان لا ينفقه إلى أعماق العروق إلا الشهوة للمائة إلى الفلبة والاسترسال ، فيق الملازم بزمام الحلال خابيا خاسرا ماله من ناصر ولا وال . والصلاة على محمد الهادي من الضلال وعلى آله خير آل وسلم تسليما كثيرا . أما بعد . فقد قال صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة على كل مسلم »<sup>(١)</sup> رواه ابن مسعود

رضي الله عنه وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض أعصاها على القول فحما وأقلها على الجوارح فضلا ولذلك اندرس بالكلية علما وعملا وصار غموض عليه سببا لاندراس عمله إذ ظن الجهال أن الحلال مغفود وأن السبيل دون الوصول إليه مسدود وأنه لم يبق من الطيبات إلا اللاء القنرات والحشيش النابت في اللوات وما عاده قد أجبته الأبدى العادة وأقصدته اللامات القاسدة وإذا تضرعت القناعة بالحشيش من النبات لم يبق وجه سوى الاتساع في الهرمات فرفضوا هذا القطب من الدين أصلا ولم يدركوا بين الأموال فرقا فضلا وهيئات هيئات فالحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيفما تقلبت الحالات ولما كانت هذه بدعة عم في الدين ضررها واستطار في الخلق شررها وجب كشف الغطاء عن قسدها بالإرشاد إلى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق والبيان ولا يخرجها الضيق عن حيز الإمكان . ونحن نوضح ذلك في خمسة أبواب . الباب الأول : في فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام .

الباب الثاني : في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام . الباب الثالث : في البحث والسؤال والمجموع والأجمال ومظانها في الحلال والحرام . الباب الرابع : في كيفية خروج التائب عن الظالم للسلالة . الباب الخامس : في إدارات السلاطين وصلاتهم وما عمل منها وما يحرم . الباب السادس : في الدخول على السلاطين ومخالطهم . الباب السابع : في مسائل متفرقة .

( الباب الأول في فضيلة الحلال ومذمة الحرام ، وبيان أصناف الحلال

ودرجاته وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه )

( فضيلة الحلال ومذمة الحرام )

( كتاب الحلال والحرام )

( الباب الأول في فضيلة طلب الحلال )

(١) حديث ابن مسعود طلب الحلال فريضة على كل مسلم تقدم في الزكاة دون قوله على كل مسلم ولطفراني في الأوسط من حديث أنس وأجاب على كل مسلم وإسناده ضعيف .

وروى أن أبا عبيدة ابن الجراح قبل يد عمر عند قدومه وروى عن أبي سرمد التنوي أنه قال « أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت إليه وبكبت يده » فهذا رخصة في جواز بتقيل اليد ولكن أدب الصوفى أنه متى رأى نفسه تتعزز بذلك وأنظر يومئذ أن تنتفع من ذلك فإن سلم من ذلك فلا بأس بتقيل اليد ومعاظمتهم للاخوان عقيب الاستغفار لرجوعهم إلى الألفة بعد الوحشة وقدمهم من سفر المهجرة بالفرقة إلى أوطان الجعية فظهور النفس تمربوا وبسبوا وبضعة النفس والاستغفار ورجعوا ومن استغفر إلى أخيه ولم يشبهه قد أخطأ قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وعبد روى عنه عليه

قال الله تعالى - كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - أمر بالأكل من الطيبات قبل العمل وقيل إن الراد به الحلال وقال تعالى - ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - وقال تعالى - إن الدين بأكل من أموال اليتامى ظلما - الآية . وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بين يدي الربا إن كنتم مؤمنين - ثم قال - فإن لم تعملوا فاذنوا مجرب من الله ورسوله - ثم قال - وإن تبتم فلكم دروس أموالكم - ثم قال - ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون - جعل أكل الربا أول الأمر مؤذنا بحاربه الله وفي آخره متحذرا للنار والآيات الواردة في الحلال والحرام لا تحصى وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « طلب الحلال فريضة على كل مسلم » ولما قال صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم »<sup>(١)</sup> قال بعض العلماء أراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل الراد بالحدِيثين واحدا وقال صلى الله عليه وسلم « من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا في غفاف كان في درجة الشهداء »<sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه »<sup>(٣)</sup> وفي رواية « زهد الله في الدنيا » وروى « أن سعدا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله تعالى أن يجعله حجاب الدعوة فقال له أطلب طمعتك تستجب دعوتك »<sup>(٤)</sup> ولما ذكر صلى الله عليه وسلم الحرام على الدنيا قال « رب أشعث أغبر مشرد في الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام يرفع يديه فيقول يا رب بارب فأتى يستجاب ذلك »<sup>(٥)</sup> وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل »<sup>(٦)</sup> قيل الصرف النافقة والعدل الفريضة وقال صلى الله عليه وسلم « من اشترى ثوبا بشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته إدام عليه منه شيء »<sup>(٧)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به »<sup>(٨)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم

للصلاة والسلام أنه قال « من اعتذر إلي أخوه معطوة فلم يقبلها كان عليه مثل خطيئة صاحب للكوس » وروى جابر أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اتصل إليه فلم يقبل لم يرد الخوض » ومن السنة أن يخدم للاخوان شيئا بعد الاستفطار روى أن كعب بن مالك قال لابي صلى الله عليه وسلم : إن من توبخ أن أدخل من مالى كله وأهجر دارقوى المني فيها أتيت الذئب . فقال له النبي عليه الصلاة والسلام « يجزيك من ذلك الثلث » فصار سنة الصوفية للطلبة بالقرامة بعد الاستفطار وللناقرة وكل تقدم رعاية التألف حتى تكون بواطنهم على الاجتماع كأن ظواهرهم على الاجتماع وهذا أمر غرردوا به من بين طوائف الإسلام . ثم

(١) حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم تقدم في العلم (٢) حديث من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا في غفاف كان في درجة الشهداء الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة من سعى على عياله ففي سبيل الله ولأبي منصور في مسند الفردوس من طلب مكسة من باب حلال يكف بها وجهه عن مسئلة الناس وولده وعباله جاء يوم القيامة مع النبيين والصديقين وإسنادها ضعيف (٣) حديث من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي أيوب من أخلصه الله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ولأبي عدى نحوه من حديث أبي موسى . وقال حديث منكر (٤) حديث أن سعدا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله أن يجعله حجاب الدعوة فقال له أطلب طمعتك تستجب دعوتك الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وفيه من لا تعرفه (٥) حديث رب أشعث أغبر مشرد في الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام الحديث مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر الحديث (٦) حديث ابن عباس إن لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل لم أقف له على أصل ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود من أكل لقمة من حرام لم تقبل منه صلاة أربعين ليلة الحديث وهو منكر (٧) حديث من اشترى ثوبا بشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته وعليه منه شيء أحمد من حديث ابن عمر بسند ضعيف . (٨) حديث كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به الترمذي من حديث كعب بن عجرة وحسنه وقد تقدم



صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك قال أوما علمت أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيباً وكذلك شرب  
 عمر رضى الله عنه من لبن إبل الصدقة غلطا فأدخل أصبعه وتعباً وقالت عائشة رضى الله عنها إنكم  
 لتفتنون عن أفضل البداة هو الورع وقال عبدالله بن عمر رضى الله عنهما صليت حتى تكونوا كالنمل  
 وصمت حتى تكونوا كالآوتار لم يقل ذلك منكم إلا يورع حاجز وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله  
 ما أدرك من أدرك إلا من كان يقل ما يدخل جوفه وقال الفضيل من عرف ما يدخل جوفه كتب الله  
 صدقاً فانظر عند من تخطر يأسكين وقيل لإبراهيم بن آدم رحمه الله لا تخرب من ماء زمزم قال  
 لو كانى دلو شربت منه وقال سفيان الثوري رضى الله عنه من أتقن من الحرام في طاعة الله كان  
 كمن طهر الثوب النجس بالبول والثوب النجس لا يطهره إلا الماء والذهب لا يكفره إلا الحلال وقال ابن  
 عبيد رضى الله عنهما لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام وقال سهل التستري لا يبلغ البديهة  
 الإيمان حتى يكون فيه أربع خصال : أداء القرائن بالسنّة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهي من  
 الظاهر والباطن والصبر على ذلك إلى الموت وقال من أحب أن يكشف بآيات الصديق فليأكل إلى  
 حلالاً ولا يمس إلى سنة أو ضرورة ويقال من أكل الشبهة أربعين يوماً ظلم قلبه وهو تأويل قوله  
 تعالى - كلا بل إن على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وقال ابن المبارك ردّ درهم من شبه أحب إلى  
 من أن أصدق بمائة ألف درهم ومائة ألف ألف درهم حق بلغ إلى شئانة ألف وقال بعض السلف  
 إن البهيد يأكل أكلة فيقلب قلبه فينقل كما ينقل الأديم ولا يود إلى حاله أبداً وقال سهل رضى الله  
 عنه من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى علم أولم يعلم ومن كانت طمعه حلالاً أطاعته جوارحه  
 ووقت الخيرات وقال بعض السلف إن أول لقمة يأكلها البهيد من حلال ينقر له ماسلف من ذنوبه  
 ومن أقام نفسه مقام ذلك طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كتناسق ورق الشجر . وروى في آثار  
 السلف أن الواعظ كان إذا جلس للناس قال المصاء تفقدوا منه ثلاثاً فإن كان متقدماً لبدعة فلا  
 تجالسوه فإنه عن لسان الشيطان ينطق وإن كان سيء الطمعة فمن الهوى ينطق فإن لم يكن مكيّن  
 العقل فإنه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح فلا تجالسوه وفي الأخبار المشهورة عن علي عليه السلام وغيره  
 إن الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب وزاد آخرون وشبهتها عتاب . وروى بعض الصالحين دفع  
 طعاماً إلى بعض الأبدال فلم يأكل فسأله عن ذلك فقال نحن لأننا كل لإحلال فذلك تستقيم قلوبنا  
 ويدوم حالنا ونكشف لللكوث ونشاهد الآخرة ولو أكلنا مما تأكلون ثلاثة أيام لم يرجعنا إلى شيء  
 من علم اليقين ولذهب الخوف والشهادة من قلوبنا فقال له الرجل فأي أصوم الدهر وأختم القرآن في  
 كل شهر ثلاثين مرة فقال له البديل هذه الشربة التي رأيته شربتها من الليل أحب إلى من ثلاثين  
 خنعة في ثمانية ركعة من أعمالك وكانت شربته من لبن طيبة وحسية وقد كان بين أحمد بن حنبل  
 وبجي بن معين محبة طوية فبهجه أحمد إذ سمعه يقول إني لأسأل أحدا شيئاً ولو أعطاني الشيطان  
 شيئاً لأكته حتى اعتذر بجي وقال كنت أمتزج فقال تزج بالدين أما علمت أن الأكل من الدين  
 قدمه الله تعالى على العمل الصالح فقال - كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً - وفي الخبر أنه مكتوب في التوراة  
 « من لم يبال من أين مطعمه لم يبال الله من أي أبواب النيران أدخله » وعن علي رضى الله عنه  
 أنه لم يأكل بعد قتل عثمان ونهب الدار طعاماً إلا محتوماً حذراً من الشبهة واجتمع الفضيل بن عياض  
 وقال له التلام أتعزى ما هذا فقال وما هو قال كنت تكهنت لأنسان في الجاهلية فذكره دون  
 الرفع منه فلم أجده .

فيكون ما يأكله في  
 مقابلة خدمته . روى  
 عن أبي عمرو الزجاجي  
 قال ألفت عند الجيد  
 معة فما رأيت قط إلا  
 وأنا مشغل بنوع من  
 العبادة فما كفى حتى  
 كان يوم من الأيام  
 خلا للوضع من الجماعة  
 قمت وزعت ثيابي  
 وسكنت للوضع  
 ونظفته ورشته  
 وغسلت موضع الطهارة  
 فرجع الشيخ ورأى  
 على أثر التيار فدعا لي  
 ورحب بي وقال أحسن  
 عليك بها ثلاث مرات  
 ولا يزال المشايخ الصوفية  
 يندبون الشباب إلى  
 الخدمة حفظاً لهم عن  
 البطالة وكل واحد  
 يكون له حظ من  
 العاسة وحظ من  
 الخدمة . روى أبو  
 محذورة قال : جعل  
 رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم لنا الأذان  
 والسقاية لبني هاشم  
 والحجابة لبني عبدالمبارك  
 وهذا يقتدى مشايخ



وإن عينة وابن البارك عندوهيب بن الورد بمكة فذكروا الربط فقال وهيب هو من أحب الطعام إلى إنائي لا آكله لا اختلاط رطب مكة يساين زيدة وغيرها فقال ابن البارك إن نظرت في مثل هذا ضاق عليك الحزب قال وماميه قال إن أصول الضايغ قد اختلطت بالصوافي فنشئ على وهيب فقال سفيان قتلت الرجل فقال ابن البارك ما أردت إلا أن أهون عليه فلما أفاق قال لله على أن لا آكل خبزاً أبداً حتى ألقاه قال فكان يشرب اللبن فأته أمه لبن فأسألهما قالت هو من شاة بني فلان نسأل عن ثمنها وأنه من ابن أن لم تفكرت فلما أدناه من فيه قال يقب أنها من ابن كانت ترعى فسكت فحرب لأها كانت ترعى من موضع فيحق للمسلمين فقالت أمه اشرب فإن الله ينفرك قال ما أحب أن ينفركي وقد شرته فألأنفكرته بمصيبة وكان يشرب الحاف رحمة الله من الورعين قليله من ابن تأكل قال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبيح كنيأ كل وهو يضحك وقال يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة وهكذا كانوا يجتزون من الشبابة .

### (أصناف الحلال ومداخله)

اعلم أن تفصيل الحلال إنما يتولى بيانه كتب الفقه ويستغنى الريد عن تطويله بأن يكون له طعمة معينة يعرف الفتوى حلها لا يأكل من غيرها فأما من يتوسع في الأكل من وجوه متفرقة فيفتقر إلى علم الحلال والحرام كالأصناف في كتب الفقه ونحن الآن نشير إلى مجامع في سياق تيسير وهو أن اللال إنما يحرم ما ملأني في عينه أو حلل في جهة اكتسابه .

### (القسم الأول)

الحرام لصفة في عينه كالخمر والحزير وغيرها وتفصيله أن الأعيان للأكل على وجه الأرض لا تمدو ثلاثة أقسام فأنها إما أن تكون من المادن كاللح والطين وغيرها أو من النبات أو من الحيوانات . أما المادن فهي أجزاء الأرض وجميع ما يخرج منها فلا يحرم أكله إلا من حيث إنه يضر بالأكل وفي بعضها ما يجرى مجرى السم والحزير لو كان مضراً لحرم أكله والطين الذي يثاد أكله لا يحرم إلا من حيث الضرر وفائدة قولنا إنه لا يحرم مع أنه لا يؤكل أنه لو وقع شيء منها في مرقعة أو طعام مانع لم يضر به حرماً . وأما النبات فلا يحرم منه إلا ما يزيل العقل أو يزيل الحياة أو الصفة فزيل العقل البنج والخمر وسائر السكرات ومزيل الحياة السموم ومزيل الصفة الأدوية في غير وقتها وكان مجموع هذا يرجع إلى الضرر إلا الخمر والسكرات فإن الذي لا يسكر منها أيضاً حرام مع قتله لعينه ولصفته وهي الشدة الطرية وأما السم فإذا خرج عن كونه مضراً لقلته أو لعينه بغيره فلا يحرم وأما الحيوانات فنقسم إلى ما يؤكل وإلى ما لا يؤكل وتفصيله في كتاب الأطعمة والنظر بطول في تفصيله لأسباب في الطيور البرية وحيوانات البر والبحر وما يجل أكله منها فأما يجل إذا ذبح ذبحاً شرعياً رومياً فيه شروط الذابح والآلة والذبح وذلك مذكور في كتاب الصيد والتأنيح والمال يدبح ذبحاً شرعياً أو مات فهو حرام ولا يجل إلا إيتين السمك والجراد وفي مناهج ما يستحيل من الأطعمة كدود التفاح والحل والجبن فإن الاحتراز منها غير ممكن فأما إذا أفردت وأكلت فحكمها حكم الدباب والخنفساء والقرب وكل ما ليس له نفس سائلة لأسباب في تحريمها إلا الاستفاد ولو لم يكن لسكان لا يكرهه فإن وجد شخص لا يستفده لم يفتن إلى خصوص طعمه فإنه التحق بالحجائب لعموم الاستفاد فيكرهه أكله كالجوارح الخاطو وشربه كزذلك وايت السكره لتجاسدها فإن الصحيح أنها لا تنجس بالموت إذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يعل الدباب في الطعام إذا وقع فيه <sup>(١)</sup> وربما يكون حاراً ويكون ذلك شرب موته

(١) حديث الأثر بأن يعل الدباب في الطعام إذا وقع فيه البخاري من حديث أبي هريرة .

السوقية في تخريق الحنم على القراء ولا يعذر في ترك نوع من الخدمة إلا كامل الشغل بوقته ولا ينفى بكامل الشغل شغل الجوارح ولكن نفي به دوام الرعاية والحاسبة والشغل بالقلب والقالب وقتاً وبالقلب دون القالب وقتاً وتنفذ الزيادة من نقصان فإن قيام الفقير بمقوق الوقت شغل تام وبذلك يؤدي شكر نعمة الفراغ ونعمة السكافية وفي البطالة كفران نعمة الفراغ والسكافية أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو العجب عبدالقاهر بإجازة قال أنا عمر بن أحمد بن منصور قال أنا أحمد بن خلف قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن محمد ابن الحسين قال سمعت أبا الفضل بن حمدون يقول سمعت علي بن عبد الحميد الغضائري يقول سمعت السري

ولو تهرت نعمة أو ذبابة في قدر لم يجب إراقفها إذ السقندر هو جرمة إدا بقى له جرّم ولم ينحس حق جرّمه بالنجاسة وهذا يدل على أن تحرّيه للاستقذار ولذلك يقول لو وقع جزء من آدمي ميت في قدر ولو وزن دائق حرم السكل للنجاسة فإن الصحيح أن آدمي لا ينحس بالموت ولكن لأن أكله حرم احتراماً لاستقذاراً وأما الحيوانات إلّا كولة إذا ذبحت بشرط الشرع فلا تلحق جميع أجزائها بل يحرم منها اللحم والفرث وكل ما يقضى بنجاسته منها بل تناول النجاسة مطلقاً يحرم ولكن ليس في الأعيان شيء يحرم نجس إلا من الحيوانات وأما من النبات فالسكرات فقط دون ما زيل القتل ولا يسكر كالنبيج فإن نجاسة السكر تقلب لآزر عنه لكونه في مظنة التشوف ومهما وقمت قطرة من النجاسة أو جزء من نجاسة جامدة في مرقعة أو طعام أو دهن حرم أكل جبهه ولا يعرّم الانتفاع به لغير الأكل فيجوز الاستنباح بالدهن النجس وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها فهذه مجامع ما يعرّم لصفة في ذاته .

( القسم الثاني ما يعرّم لحلل في جهة إثبات اليد عليه )

وفيه يسمع النظر فتقول أخذ المال إما أن يكون باختيار المالك أو بشر اختياره فالذي يكون غير اختياره كالإرث والذي يكون باختياره إما أن لا يكون من مالك كنبيل للمادن أو يكون من مالك والذي أخذ من مالك فاما أن يؤخذ قهراً أو يؤخذ تراضياً ولأخوذ قهراً إما أن يكون لسقوط عصمة المالك كالنكاح أو لاستحقاق الأخذ كزكاة المتعتين والنفقات الواجبة عليهم ولأخوذ تراضياً إما أن يؤخذ بموض كالبيع والصدقات والأجرة وإما أن يؤخذ بغير عوض كالهبة والهبة فيحصل من هذا السياق ستة أقسام . الأول : ما يؤخذ من غير مالك كنبيل للعادن وإحياء اللوات والاصطيد والاختطاب والاستقام من الأنهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط أن لا يكون أخذاً بمحض خدعة من آدميين فاذا افترس من الاختصاصات ملكها آخذها وتفصيل ذلك في كتاب إحياء الوات . الثاني : الأخذ قهراً ممن لا حرمة له وهو النقي . والثنية وسائر أموال الكفار والمجانين وذلك لحلال المسلمين إذا أخرجوا منها الجنس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم يأخذوها من كافر له حرمة وأمان وعهد وتفصيل هذه الشروط في كتاب السير من كتاب النقي والثنية وكتاب الجزية . الثالث : ما يؤخذ قهراً باستحقاق عند امتناع من وجب عليه فيؤخذ دون رضاه وذلك حلال إذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذي به استحقاقه واقتصر على القدر المستحق واستوفاه ممن يملك الاستيفاء من قاض أو سلطان أو مستحق وتفصيل ذلك في كتاب تفريق الصدقات وكتاب الوقف وكتاب النفقات إذ فيها النظر في صفة المستحقين للزكاة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق فإذا استوفيت شرائطها كان للأخوذ حلالاً . الرابع : ما يؤخذ تراضياً بمعاوضة وذلك حلال إذا روعي شرط العوضين وشرط العاقدين وشرط الظلّين أعنى الإيجاب والتبوع مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المنقصة وبيان ذلك في كتاب البيع والسلم والإجارة والحالة والضيان والقراض والسرقة والساقاة والشفعة والصلح والحلج والكتابة والصدقات وسائر المعاريض . الخامس : ما يؤخذ عن رضا من غير عوض وهو حلال إذا روعي فيه شرط اللغو عليه وشرط العاقدين وشرط القصد وما يؤد إلى ضرر بوارث أو غيره وذلك المذكور في كتاب الهبات والوصايا والصدقات . السادس : ما يحصل بغير اختيار كالبراث وهو حلال إذا كان الوروث قد اكتسب المال من بعض الجهات المحس على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة وإخراج الزكاة والصلح والكفارة إن كان واجباً وذلك المذكور في كتاب الوصايا والقراض فهذه مجامع ما يدخل الحلال والحرام أومأنا إلى جمعتها لئلا يرد أنه إن كانت طمعت متفرقة لأم من جهة معينة فلا يستثنى عن

يقول من لا يعرف  
قدر التمسك بها من  
حيث لا يمل - وقد  
يسن الشيخ العاجز  
عن الكسب في تناول  
طعام الرباط ولا يسن  
الشاب هذا في شرط  
طريق القوم على  
الإطلاق فأما من حيث  
قوى الشرع فإن  
كان شرط الوقف على  
التصوفة وعلى من تزا  
بزي للتصوفة وليس  
خرقهم فيجوز أكل  
ذلك على من الإطلاق  
قوى وفي ذلك  
القناعة بالخصة دون  
الزعة التي هي شغل  
أهل الإرادة وإن  
كان شرط الوقف على  
من يملك طريق  
الصوفية عملاً وحالاً  
فلا يجوز أكل لأهل  
البطالات والراكنين  
إلى تنصيع الأوقات  
وطرق أهل الإرادة  
عند مشايخ الصوفية  
مشهورة . أخبرنا  
الشيخ الثقة أبو الفتح  
قال أنا أبو الفضل

علم هذه الأمور فشكل ما يأكله من جهة من هذه الجهات ينبغي أن يستحق فيه أهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل فإنه كما يقال للعالم لم خالفت عليك يقال للجاهل لم إلزمت جهلك ولم تعلم بعد أن قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم .

### (درجات الحلال والحرام)

اعلم أن الحرام كله خبيث لكن يمهه أخبث من بعض والحلال كله طيب ولكن بعضه أطيب من بعض وأسمى من بعض وكان أكل الطيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضها حار في الدرجة الأولى كالسكر وبعضها حار في الثانية كالقانيذ وبعضها حار في الثالثة كالذهب وبعضها حار في الرابعة كالسمل كذلك الحرام بعضه خبيث في الدرجة الأولى وبعضه في الثانية أو الثالثة أو الرابعة وكذا الحلال تفاوت درجات صفاته وطيبه فلتقتد بأهل الطب في الاصطلاح على أربع درجات تقريبا وإن كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر إذ يتطرق إلى كل درجة من الدرجات أيضا تفاوت لا ينحصر فإن من السكر ماهو أشد حرارة من سكر آخر وكذا غيره فذلك نقول الورع عن الحرام على أربع درجات : ورع الدول وهو الذي يجب الفسق باقتحامه وتسقط العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرض للثأر بسببه وهو الورع عن كل ما يحرمه فتاوى الفقهاء . الثانية : ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق إليه احتمال التحريم ولكن للثأر يرخص في تناول بناء على الظاهر فهو من مواقع الشبهة على الجلة فلنفس التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو في الدرجة الثانية . الثالثة : مالا يحرمه الفتوى ولا شبهة في حله ولكن يخاف منه أداءه إلى محرم وهو ترك ما لا بأس به مخافة مما به بأس وهذا ورع للتقين قال صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ العبد درجة التقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس »<sup>(١)</sup> الرابعة : مالا بأس به أصلا ولا يخاف منه أن يؤدي إلى ما به بأس ولكنه يتناول لتفريته وعلى غير نية التقوى به على عبادة الله أو تتطرق إلى أسبابه للسهلة له كراهية أو مصيبة والامتناع منه ورع الصديقين فهذه درجات الحلال جملة إلى أن تفصلها بالأمثلة والشواهد . وأما الحرام الذي ذكرناه في الدرجة الأولى وهو الذي يشترط التورع عنه في العدالة والمطرح ممة الفسق فهو أيضا على درجات في الحبث فالأخوذ بمقد فاسد كالمطاعة مثلا فلا يجوز فيه للمطاعة حرام ولكن ليس في درجة للنصوب على سبيل القهر بل النصوب أعظم إذ فيه ترك طريق الشرع في الاكتساب وإيذاء الغير وليس في المطاعة إيذاء وإنما فيه ترك طريق التجسد قطع ثم ترك طريق التبدد بالمطاعة أهون من تركه بالرابا وهذا التفاوت يدرك بتقدير الشرع ووعيده وتأكيده في بعض للناس على ما سيأتي في كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الكبيرة والصغيرة بل للأخوذ طمسا من فقير أو صالح أو من يتيم أخبث وأعظم من للأخوذ من قوي أو غنى أو فاسق لأن درجات الإيذاء تتخاف باختلاف درجات اللؤى فلهذه دقائق في تفاصيل الحياث لا ينبغي أن يذهل عنها فنولا اختلاف درجات الصاة لما اختلفت دركات النار وإذا عرفت منارات التلطيف فلا حاجة إلى حصره في ثلاث درجات أو أربعة فإن ذلك جار مجرى التحك والتشبه وهو طلب حصرها لأحارمه وبذلك على اختلاف درجات الحرام في الحبث ما سيأتي في تعارض المذورات وترجيح بعضها على بعض حتى إذا اضطر إلى أكل ميتة أو أكل طعام الغير أو أكل صيد الحرم فانا شدم بعض هذا على بعض .

(١) حديث لا يبلغ العبد درجة للتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس ابن ماجه وقد تقدم .

حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف قال حدثنا جعفر القزويني قال حدثنا محمد بن الحسين البلخي بسمرقند قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثنا سعيد بن أنس بن أبي الربيع قال حدثنا عبد الله بن الوليد عن أنس بن سفيان الأثري عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « مثل المؤمن كمثل القرس في آخيته يجول ويرجع إلى آخيته وإن المؤمن يسوء ثم يرجع إلى الإيمان فأطمعوا طعما من الأثية وأولو معروفكم المؤمنين » .

[أبواب السادس عشر في ذكر اختلاف أحوال مشايخهم في السفر والقام] اختلف أحوال مشايخ الصوفية فمنهم من سافر في

( أمثلة الدرجات الأربع في الورع وشواهدا )

أما الدرجة الأولى : وهي ورع العدول فكل ما اقتضى الفتوى تحريمه عما يدخل في الداخل الستة التي ذكرناها من مداخل الحرام لتقيد شرط من الشروط فهو الحرام المطلق الذي ينسب مقتضاه إلى الفسق والصبيّة وهو الذي يزيد بالحرام المطلق ولا يحتاج إلى أمثلة وشواهد . وأما الدرجة الثانية : فأشملها كل شبهة لا تنوجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها كما سيأتى في باب الشبهات إذ من الشبهات ما يجب اجتنابها فتلحق بالحرام ومنها ما يكره اجتنابها فالورع عنها ورع الواسعين كن يتبع من الاستعداد خوفاً من أن يكون الصيد قد أفلت من إنسان أخذه ومملكه وهذا وسواس ومنها ما يستحب اجتنابها ولا يجب وهو الذي ينزل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » (١) ونعمله على نهى التنزيه وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « كل ما أصعبت ودع ما أتيت » (٢) والإنهاء أن يجرى الصيد فينبى عنه ثم يدركه ميتا إذ يجهل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر والذي يختاره كما سيأتى أن هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين وقوله دع ما يريبك أمر تنزيه إذ ورد في بعض الروايات كل منه وإن غاب عنك ما تجد فيه أترا غير سهمك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم في السكب العلم : « وإن أكل فلا تأكل فاني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه على سبيل التنزيه لأجل الخوف إذ قال لأبي ثعلبة الخنسي « كل منه فقال وإن أكل منه فقال وإن أكل » (٣) وذلك لأن حالة أبي ثعلبة وهو قفر مكتسب لا تختمل هذا الورع وحال عدى كان يجهل . يحكى عن ابن سيرين أنه ترك لثريك له أربعة آلاف درهم لأنه حاك في قلبه شيء مع اتفاق العلماء على أنه لا بأس به فأشبهه هذه الدرجة نذكرها في العرض لدرجات الشبهة فكل ما هو شبهة لا يجب اجتنابها فهو مثال هذه الدرجة . أما الدرجة الثالثة : وهي ورع التقيين فيشدها قوله عليه السلام « لا يبلغ العبد درجة التقيين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس » وقال عمر رضي الله عنه كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن تقع في الحرام وقيل إن هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال أبو الدرداء إن من تمام التقوى أن يترك العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما حتى يكون حجابا بينه وبين النار ولهذا كان لبعضهم مائة درهم على إنسان يخطئها إليه فأخذ تسعة وتسعين وتورع عن استيقاف السكك خوفاً من الزيادة وكان بعضهم يتحزق فكل ما يستوفيه يأخذ به بنقصان حبة وما يخطئ به يوفيه بزيادة حبة ليسكون ذلك حائزا من النار ومن هذه الدرجة الأخترار عما يتسامح به الناس فإن ذلك حلال في الفتوى ولكن يخاف من فتح باب أن يتجرى إلى غيره وتألف النفس الاسترسال وترك الورع فمن ذلك ما روى عن علي بن معبد أنه قال كنت ما كنا في بيت بكراء فكنت كتابا وأردت أن أخذ من تراب الحائط لأثر به وأجفئه ثم قلت الحائط ليس لي فقالت لي نفسي وما قدر تراب من حائط فأخذت من التراب حاجتي فلما تمت فإذا أنا بشخص واقف يقول يا علي بن معبد سيعلم غدا الذي يقول وما قدر تراب من حائط ولعل معنى ذلك أنه يرى كيف يحط من منزله فإن التقوى درجة نفوت بوفات ورع التقيين وليس الراد بأن يستحق تحضرا وإسنادها جيد والبيهقي موقوفاً عليه وقال إن الرفوع ضئيف

بدايته وأقام في نهايته ومنهم من أقام في بدايته وسافر في نهايته ومنهم من أقام ولم يسافر ومنهم من استدام السفر ولم يؤثر الإقامة ونشرح حال كل واحد منهم ومقصده فيما رام فأما الذي سافر في بدايته وأقام في نهايته قصده بالسفر لمان منها تعلم شيء من الصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالبعير » وقال بعضهم لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كفة تدل على هدى ما كان سفره ضائعا . وشل أن جابر بن عبد الله رحل من المدينة إلى مصر في شهر لحديث بلغه أن أنسا يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام « من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » وقيل في تفسير قوله تعالى - السالمون -

غوبة على قلبه ، ومن ذلك ما روى أن عمر رضى الله عنه وصله مسك من البحرين فقال وددت لو أن امرأة وزنت حتى أقسمه بين المسلمين قتلت امرأته عائكة أنا أجيد الوزن فسكت عنها ثم أعاد القول فأعادت الجواب فقال لا أحببت أن أقسمه بكفة ثم تقولين فيها أثر التبار فسمعين بهاعنك فأصيب بذلك فضلا على المسلمين . وكان يوزن بين يدي عمر بن عبدالعزيز مسك للمسلمين فأخذ بأفقه حتى لاتصيه الرائحة وقال ينتفع منه إلا برحله لا استبعد ذلك منه « وأخذ الحسن رضى الله عنه تمره من تمر الصدقة وكان صغيرا فقال عليه السلام كعب كعب <sup>(١)</sup> » أي ألقها ، ومن ذلك ما روى بعضهم أنه كان عند محتضر فأتى ليلا فقال ألقوا السراج فقد حدث فورثة حتى في الدهن ، وروى سليمان التيمي عن نعيمة العطاره قالت كان عمر رضى الله عنه يدفع إلى امرأته طيبا من طيب للمسلمين لتبعمه فباعته طيبا فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتسكر بأستائها فتعلق بأصبعها شيء منه قالت به هكذا بأصبعها ثم مسحت به خمارها فدخل عمر رضى الله عنه فقال ماهذه الرائحة فأخبرته فقال طيب للمسلمين تأخذينه فاتزع الخمار من رأسها وأخذ جرة من الماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه في التراب ثم يشمه ثم يصب الماء ثم يدلكه في التراب ويشمه حتى لم يبق له ريح قالت ثم أتيها مرة أخرى فلما وزنت على منه شيء بأصبعها فأدخلت أصبعها في فمها ثم مسحت به التراب فهذا من عمر رضى الله عنه وورع التقوى لحوق أداء ذلك إلى غيره . وإلا فسمعا الحارما كان يعيد الطيب إلى المسلمين ولكن أنقله علينا زجرا وردعا وإن شاء ، ومن أن يمدى الأمر إلى غيره ، ومن ذلك ما سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل يكون في المسجد يحمل حجرة لبعض السلاطين ويخير المسجد بالمود فقال ينبغي أن يخرج من المسجد فإنه لا ينتفع من المود إلا برأئته وهذا قد يغارب الحرام فإن القدر الذي يبق بئوه من رائحة الطيب قد يقصد وقد يخل به فلا يدري أنه يتسامح به أم لا ، وسئل أحمد بن حنبل عن سقطت منه ورقة فيها أحاديث فهل لمن وجدها أن يكتب منها ثم يردها فقال لا بل يستأذن ثم يكتب ، وهذا أيضا قد يشك في أن صاحبها هل يرضى به أم لا فإهوى محل الشك والأصل تحريره فهو حرام وتركه من الدرجة الأولى ومن ذلك التورع عن الزينة لأنه يخاف منها أن تدعو إلى غيرها وإن كانت الزينة مباحة في نفسها ، وقد سئل أحمد بن حنبل عن المال السبية فقال أما أنا فلا أستعملها ولكن إن كان للطين فأرجو وأما من أراد الزينة فلا ، ومن ذلك أن عمر رضى الله عنه لما ولي الخلافة كاستله زوجة بجها فظلمها خيفة أن تشير عليه بشفاعه فيأطل فيطيعها ويطلب رضاها وهذا من ترك مالا بأس به مخافة مما به البأس أي مخافة من أن يقضى إليه أو أكثر للباحات داعية إلى المحظورات حتى استكثر الأكل واستعمل الطيب المعتز به فإنه يحرك الشهوة ثم الشهوة تدعو إلى الفكر والفكر يدعو إلى النظر والنظر يدعو إلى غيره . وكذلك النظر إلى دور الأغنياء وتجملم مباح في نفسه ولكن بهيج الحرس ويدعو إلى طلب مثله يلزم منه ارتكاب ما لا يحل في تحصيله وهكذا للباحات كلها إذا لم تؤخذ بقدر الحاجة في وقت الحاجة مع التحرز من غوائلها بالمعرفة أولا ثم بالحذر ثانيا قلما تخلو عاقتها عن خطر وكذا كل ما أخذ بالشهوة قلما تخلو عن خطر حتى كره أحمد بن حنبل تجصيص الحيطان وقال أما تجصيص الأرض فيمنع التراب وأما تجصيص الحيطان فزينة لا فائدة فيه حتى أنكر تجصيص للساجد وتزيينه واستدل بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنتمثل أن يكحل المسجد فقال لا ، عريش كعريش موسى <sup>(٢)</sup> »

(١) حديث أخذ الحسن بن علي تمره من الصدقة وكان صغيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم كعب كعب ألقها . البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث أنه سئل أن يكحل المسجد فقال لا ، عريش كعريش موسى الدارقطني في الإفراء من حديث أبي الدرداء وقال غريب .

أنهم طلاب العلم . حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو العجب السهروردي إملاء . قال أنا أبو الفتح عبد الملك الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ، حدثنا وكعب قال حدثنا أبو داود عن سفيان عن أبي هريرة قال كنا نأتى أبا سعيد فيقول مرحبا بوضي رسول الله صلى الله عليه وسلم إن النبي عليه السلام قال « إن الناس لكم تبع وإن الرجال يأفكسون من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فإذا أتوك فاستوصوا بهم خيرا » وقال عليه السلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وروى عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله تعالى أوحى إلى أنتمن

وإنما هو شيء مثل الكحل يظلم به فلم يرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وكره السلف التوب  
الريق وقالوا من ريق توبه ريق دينه وكل ذلك سؤفا من سرعان اتباع الشهوات في اللبائبات إلى غيرها  
فإن المظهور والباح تشبههما النفس بشهوة واحدة وإذا تومت الشهوة السامعة استرسلت فاقضى  
خوف الفتوى الورع عن هذا كله فكل حلال اتقك عن مثل هذه الخافقة فهو الحلال الطيب في  
الدرجة الثالثة وهو كل ما لا يخاف أداؤه إلى مصيبة آتية . أما الدرجة الرابعة : وهو ورع الصديقين  
فالحلال عندهم كل ما لا يتقدم في أسبابه مصيبة ولا يستبان به على مصيبة ولا يقصد منه في الحال وللحال  
قضاء وطول بل يتناول الله تعالى قسط والفتوى على عبادته واستبقاء الحياة لأجله وهؤلاء هم الذين يرون  
كل ما ليس لله حراما امتثالا لقوله تعالى - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلجون - وهذه رتبة الواحدين  
للتجريد عن حظوظ أنفسهم للتفرد في الله تعالى بالقصد ولا شك في أن من يتورع عما يوصل إليه  
أو يستبان عليه بمصيبة ليتورع عما يقترب بسبب اكتسابه مصيبة أو كراهية فمن ذلك ما روى عن  
يحيى بن كثير أنه شرب الدواء فقال له امرأته لو غشيت في الدار فلاحقني بعمل الدواء فقال هذه مصيبة  
لأعرفها وأنا أحسب نفسي منذ ثلاثين سنة فسكأنه لم يخضه نية في هذه الليلة تعلق بالدين فلم يجر  
الاندام عليها . وعن سري رحمه الله أنه قال انتهيت إلى حشيش في جبل وما يخرج منه فتناولت من  
الحشيش وشربت من الماء وقلت في نفسي إن كنت قدأكلت يوما حلالا طيبا فهو هذا اليوم ففتفت في  
هاتف إلى القوة التي أوصلتك إلى هذا الوضع من أين هي فرجست وندمت ومن هذا ما روى عن  
ذو النون المصري أنه كان جائعا محبوسا فيقت إليه امرأة سالحة طعاما إلى يدالجان فطلبها كل ثم  
اعتذر وقال جاءني على طبق ظالم بيني إلى القوة التي أوصلت الطعام إلى لم تكن طيبة وهذه الفتاة  
المقصود في الورع . ومن ذلك أن بشرنا رحمه الله كان لا يشرب للماء من الأنهار التي تحفرها الأمراء فأن  
الشر سبب لجران الماء ووصوه إليه وإن كان الماء مباحا في نفسه فيكون كالشئ من الباهر المظهور بأعمال  
الأجراد وقد أعطوا الأجرة من الحرام ولذلك امتنع بعضهم من الصب الحلال من كرم حلال وقال  
لصاحب أفسدته إذ سقيته من الماء الذي يجري في الزهر الذي حفرته الظلمة وهذا أبعد عن الظلم من  
شرب نفس الماء لأنه احتراز من استمداد العنب من ذلك الماء . وكان بعضهم إذا مر في طريق الحج  
لم يشرب من المصانع التي حملها الظلمة مع أن الماء مباح ولكنه بقي محفوظا لمصنع الذي عمل به  
بأنه حرام فسكأنه انتفاع به وامتناع ذى النون من تناول الطعام من يد السجان أعظم من هذا كله  
لأن يد السجان لا توصف بأنه حرام بخلاف الطبق المصوب إذا حمل عليه ولكنه وصل إليه بقوة  
اكتسبت بالعداء الحرام ولذلك تنهى الصديق رضى الله عنه من اللين خيفة من أن يحدث الحرام فيه  
فوقع أن شربه عن جهل وكان لا يجب إخراجها ولكن تخلي البطون عن الحديث من ورع الصديقين  
ومن ذلك التورع من كسب حلال اكتسبه خياط يخط في المسجد فإن أحمد رحمه الله كره جلوس  
الخياط في المسجد . وسئل عن المأزلي يجلس في قبة في القنابر في وقت نجاف من المطر فقال إنما هي  
من أمر الآخرة وكره جلوسه فيها وأطفا بعضهم سراجا أسرجه غلامه من قوم يكره ما لهم وامتنع من  
تجسير تور الخبز وقد بقي فيه جرم من حطب مكروه وامتنع بعضهم من أن يحكم شمع منه في مشعل  
السلطان فهذه دقائق الورع عند سالكى طريق الآخرة والتحقق فيه أن الورع أول وهو الامتناع  
عما حرمته الفتوى وهو ورع الدول وله غاية وهو ورع الصديقين وذلك هو الامتناع من كل ما ليس لله  
عما أخذ بشهوة أو توصل إليه بمكروه أو اتصل بسببه مكروه . وبينهما درجات في الاحتياط فكما كان  
العبد أشد تشديدا على نفسه كان أخف ظهرا يوم القيامة وأسرع جوازا على الصراط وأبعد عن أن

سلكه سلكا في طلب  
العلم سهلته له طريقا  
إلى الجنة ومن جنة  
مقاصدهم في البداية لقاء  
للصالح والإخوان  
لصديقين فللمريد  
بقائه كل صادق مزيد  
وقد ينضم لحظا الرجال  
كما ينضم لفظ الرجال .  
وقد قيل من لا ينضمك  
لحظه لا ينضمك لفظه  
وهذا القول في موجبات  
أصدها أن الرجل  
الصديق يكلم الصادقين  
بلسان فيه أكثر  
ما يكلمهم بلسان قوله  
فإننا نظر الصادق إلى  
تصاريحه في مودعه  
ومصدره وخلوته  
وجلوته وكلامه وسكوته  
ينتمى بالنظر إليه فهو  
نعم العظم ومن  
لا يكون حاله وأمثاله  
هكذا فلفظه أيضا  
لا ينتمى لأنه يشكك  
بمواد توراة القول  
في قدر توراة  
القلب وتوراة القلب  
حسب . الاستقامة  
والقيام بواجب حق

ترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وتفاوت النازل في الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع كما تفاوت درجات النار في حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام في الجب ، وإذا علت حقيقة الأمر فإليك الحيار فإن شئت فاستكثر من الاحتياط وإن شئت فرخص فلنفسك تخاط وعلى نفسك رخص والسلام .

( الباب الثاني في مراتب الشبهات ومشارتها وتمييزها عن الحلال والحرام )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يلبسها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه <sup>(١)</sup> » فهذا الحديث نص في إثبات الأقسام الثلاثة وللشكل منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلا بد من بيانها وكشف الغطاء عنها فإن ما لا يعرفه الكثير قد يعرفه القليل فنقول : الحلال للطلق هو الذي خلا عن ذاته الصفات للوجبة لتحريم في عينه وأخل عن أسبابه ما يطرأ إليه تحريم أو كراهية ومثاله الماء الذي يأخذه الإنسان من للطرقل أن يقع على ملك أحد ويكون هو واقفا عند جمعه وأخذه من الهواء في ملك نفسه أو في أرض مباحة والحرام المحض هو ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة الطرية في الحجر والتجاسة في البول أو حصل بسبب منى عنه قطعاً كالحصل بالظلم والزنا ونظائره فهذان طرفان ظاهران يلتحق بالطرفين ما تحقق أمره ولكنه احتمل تغيره ولم يكن ذلك الاحتمال سبب يدل عليه فإن صيد البر والبحر حلال ومن أخذ ظبية فيحتمل أن يكون قد أمسكها صياد ثم أفلتت منه وكذلك السمك يحتمل أن يكون قد ترقى من الصياد بعد وقوعه في يده وخربطته فمثل هذا الاحتمال لا ينطبق إلى ماء الطير المختطف من الهواء ولكنه في معنى ماء الطير والاحتراز منه وسواس ، ولنسم هذا الفن ورع الموسمين حتى تتحقق به أمثاله وذلك لأن هذا وهم مجرد لا دلالة عليه ثم لودل عليه دليل فإن كان قاطعاً كالووجد حلقة في أذن السمكة أو كان محتملاً كالووجد على الظبية جراحة يحتمل أن يكون كما لا يقدر عليه إلا بعد الضبط ويحتمل أن يكون جرحاً فهذا موضع الورع وإذا انتفت الدلالة من كل وجه فالاحتمال المدوم دلالة كاحتمال المدوم في نفسه ومن هذا الجنس من يستعير داراً فيغيب عنه اللعير فيخرج ويقول لله ما توارى الحق لو أوارث فهذا وسواس إذا لم يدل على موته سبب قاطع أو مشكك إذ الشبهة المهدورة مانعاً من الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشأ عن سببين فما لا سبب له لا يشك عقده في النفس حتى يساوى العقد للباله فيصير شكاً ولهذا قول : من شك أنه صلى ثلاثاً أو أربعاً أخذ بالثلاث إذ الأصل عدم الزيادة أو مثل إنسان أنه صلاة الظهر التي أداها قبل هذا بشهر سنين كانت ثلاثاً أو أربعاً لم يتحقق قطعاً أنها أربعة وإذا لم يقطع جواز أن تكون ثلاثة وهذا التجوز لا يكون شكاً إذا لم يحضره سبب أو جابح اعتقاد كونها ثلاثاً فلتنهم حقيقة الشك حتى لا يشبه الوهم والتجوز بغير سبب فهذا يلتحق بالحلال للطلق يلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه وإن أمكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب كمن في يده طعام لم يورثه الذي لا وارث له سواء فخاب عنه يقال يحتمل أنه مات وقد انتقل الملك إلى <sup>(٢)</sup> فكأنه فإقداً عليه إقدام على حرام محض لأنه احتمال لا مستند له فلا ينبغي أن يدل هذا النمط من أقسام الشبهات وإعما الشبهة نفي بها ما شق عليه أمره بأن تعارضوا نفيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين . ومشارت الشبهة خمسة :

( الباب الثاني في مراتب الشبهات )

(١) حديث الحلال بين والحرام بين منفق عليه من حديث الثمان بن بشير .

السودية وحقيقتها

والوجه الثاني أن نظر

الماء الراشع في العلم

والرجال بالبين تزيق

تافع ينظر أحدم إلى

الرجل الصادق

فيستكشف بنور

بصيره حسن استعداد

الصادق واستنباه

لمواهب الله تعالى

الحاسة تقع في قلبه

عجة الصادق من

للريدن وينظر إليه

نظر عجة عن بصيرة

وهم من جنود الله تعالى

فيحسبون بنظم

أحوالانية ويهون

آثاراً مرضية وماذا

يشكر للنكر من قدرة

أفان الله سبحانه وتعالى

كاجل في بعض الأفاضى

من الحاسة أنه إذا

نظر إلى إنسان يهلكه

بنظره أن يحمل في نظر

بعض خواص عباده

أنه إذا نظر إلى طالب

صادق يكسبه حالاً

وحياة وقد كان شيخاً

رحمه الله يطوف في

مسجد الحيف يحني

## (التار الأول الشك في السبب المحلل والمحرّم)

وذلك لا يخلو إما أن يكون متعادلاً أو غلب أحد الاحتمالين فإن تعادلاً الاحتمال كان الحكم لماعرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك وإن غلب أحد الاحتمالين عليه بأن صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للقال ولا يتبين هذا إلا بالأمثال والشواهد فلنقسمه على أقسام أربعة : القسم الأول : أن يكون التحريم معلوماً من قبل ثم يقع الشك في المحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها ومحرم الإقدام عليها . مثاله : أن يرمى إلى صيد فيجرحه ويقع في الماء فيصادفه ميتاً ولا يدري أنه مات بالقرق أو بالجرح فهذا حرام لأن الأصل التحريم إلا إذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق فلا يترك اليقين بالشك كما في الأحداث والنجاسات وركعات الصلاة وغيرها وعلى هذا ينزل قوله تعالى لعدي بن حاتم « لا تأكله فلهمة قلته غير كليك <sup>(١)</sup> » فذلك كان صلى الله عليه وسلم إذا أتى بشيء اشتبه عليه أنه صدقة أو هبة سأل عنه حتى يعلم أيهما هو <sup>(٢)</sup> وروى « أنه صلى الله عليه وسلم أرق ليلية فقال له بعض نسائه أرققت يا رسول الله فقال أجل وجدت ثمرة غشيت أن تكون من الصدقة <sup>(٣)</sup> » وفي رواية « فأكلتها غشيت أن تكون من الصدقة » ومن ذلك ما روى عن بعضهم أنه قال « كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنا الجوع فتركنا منزلاً كثير الضباب فبينما القدور تفل بها إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه مسخت من بني إسرائيل أخشى أن تكون هذه فأكلناها القدور <sup>(٤)</sup> » ثم أغله الله بعد ذلك أنه لم يمسح الله خلقاً لجمل له نسلاً <sup>(٥)</sup> وكان امتناعه أولاً لأن الأصل علم المحل وشك في كون الدج محللاً . القسم الثاني : أن يعرف المحل وشك في المحرم فالأصل علم المحل وله الحكم كما إذا نكح امرأتين رجلاً وطار طائر فقال أحدهما إن كان هذا غراباً فامرقأتى طالق وقال الآخر إن لم يكن غراباً فامرقأتى طالق والتبس أمر الطائر فلا يقضى بالتحريم في واحدة منهما ولا يبرأ منهما اجتنابهما ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما حتى يحل لسائر الأزواج وقد أمر مكحول بالاجتناب في هذه الثلاثة وأقضى الشعي بالاجتناب في رجائين كانا قد تنازعا فقال أحدهما لا خير أنت حدود فقال الآخر أحسنا زوجته طالق ثلاثاً فقال الآخر نعم وأشكل الأمر وهذا إن أراد به اجتناب الورع فصحح وإن أراد التحريم المحقق فلا وجه له إذ ثبت في اللبائ والنجاسات والأحداث والصلوات أن اليقين لا يجب تركه بالشك وهذا في معناه . فان قلت وأى مناسبة بين هذا وبين ذلك فاعلم أنه لا يحتاج إلى المناسبة فانه لازم من غير ذلك في بعض الصور فانه مهما يتيقن طهارة الماء ثم شك في نجاسته جاز له أن يتوضأ به فكيف لا يجوز أن يشربه وإذا جوز الشرب بصدق علم أن اليقين لا يزال بالشك إلا أن هناك دققة وهو أن وزان الماء أن يشك في أنه طلق زوجته أم لا فيقال الأصل الأصل ما طلق

(١) حديث لا تأكله فلهمة قلته غير كليك قاله لعدي بن حاتم متفق عليه من حديثه (٢) حديث كان إذا أتى بشيء اشتبه عليه أنه صدقة أو هبة يسأل عنه البخاري من حديث أبي هريرة (٣) حديث أنه أرق ليلية فقال له بعض نسائه أرققت يا رسول الله فقال أجل وجدت ثمرة فأكلتها غشيت أن تكون من الصدقة أحمد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بإسناد حسن (٤) حديث كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنا الجوع فتركنا منزلاً كثير الضباب فبينما القدور تفل بها إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من بني إسرائيل مسخت فأخاف أن تكون هذه فأكلناها القدور ابن حبان والبيهقي من حديث عبد الرحمن وحسنه وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه حديث ثابت بن زيد نحوه مع اختلاف قال البخاري وحديث ثابت أصح (٥) حديث أنه لم يمسح الله خلقاً لجمل له نسلاً مسلم من حديث ابن مسعود .

ويصنف وجوه الناس قبل له في ذلك قال له هباد إذا نظروا إلى شخص أكسبه سعادة فانا أنطلب ذلك ومن جملة القاصد في السفر ابتداء قطع للألوفات والانسلاخ من ركوب النفس إلى معهود ومعلوم والتعامل على النفس بتجريح مبرارة قرينة الإلاف والخلاف والأهل والأوطان فمن صبر على تلك الألوفات محسباً عند الله أجراً قد حاز فضلاً عظيماً . أخبرنا أبو زرعة بن أبي الفضل الحافظ القدسي عن أبيه قال أنا القاضي أبو منصور محمد بن أحمد الفقيه الأسدي . قال أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن حريش قوله قال أحمد ثنا أبو بكر عبد الله ابن محمد بن زياد النيسابوري قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى



ووزان مسئلة الطائر أن يتحقق نجاسة أحد الإنانين ويشبهه عنه فلا يجوز أن يستعمل أحدهما  
بغير اجتهاد لأنه قابل يقين النجاسة يقين الطهارة فيبطل الانتصاب فكذلك ههنا قد وقع الطلاق  
على إحدى الزوجتين قطعا والتبس عين المطلقة بغير المطلقة فتقول اختلف أصحاب الشافعي في الإنانين  
على ثلاثة أوجه فقال قوم يستصحب بغير اجتهاد وقال قوم بعد حصول يقين النجاسة فيمقابلة يقين  
الطهارة يجب الاجتناب ولا يقين الاجتهاد وقال القصدون يجتهد وهو الصحيح ولكن وزانه أن  
تكون له زوجتان فيقول إن كان غرابا فزنب طالق وإن لم يكن فصره طالق فلا جرم لا يجوز له  
غشيانها بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد إذ لا علامة ونحرمهما عليه لأنه لو وطئهما كان مقتضا  
للحرام قطعا وإن وطئ أحدهما وقال أقصر على هذه كان متحكما بتعيينها من غير ترجيح ففي هذا  
افترق حكم شخص واحد أو شخصين لأن التحريم على شخص واحد متحقق بخلاف الشخصين إذ كل  
واحد شك في التحريم في حق نفسه . فان قيل فلو كان الإنان أن لشخصين فينبغي أن يستغنى عن  
الاجتهاد ويتوصأ بكل واحد بإثباته لأنه يتيقن طهارته وقد شك الآن فيه فتقول هذا محتمل في الققه  
والأرجح في ظني المنع وأن تعدد الشخصين ههنا كإحاده لأن صحة الوضوء لا تستدعي ملكا بل وضوء  
الإنسان بماء غيره ورفع الحدث كوضوءه بماء نفسه فلا يتبين لاختلاف للثك وإحاده أثر بخلاف الوضوء  
لزوجة الغير فإنه لا يعمل ولا للملاحظات مدخلا في النجاسات والاجتهاد فيه يمكن بخلاف الطلاق فوجب  
تقوية الاستصحاب بعلامة يدفع بها قوة يقين النجاسة للقاء يقين الطهارة وأبواب الاستصحاب  
والترجيحات من غوامض الققه ودفاعة وقد استقصينا في كتب الققه ولنا قصد الآن لإزالة الشك على  
قواعدها . القسم الثالث : أن يكون الأصل التحريم ولكن طرأ ما أوجب تحليله بظن غالب فهو  
مشكوك فيه والغالب حله هذا ينظر فيه فان استند غلبة الظن إلى سبب معتبر شرعا فالذي يختار  
فيه أنه محل واجتنابه من الورع . مثاله : أن يرمى إلى سيد فينبئ ثم يدركه ميتا وليس عليه أثر  
سوى سهمه ولكن يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر فان ظهر عليه أثر صدمة أو جراحة  
أخرى التحق بالقسم الأول وقد اختلف قول الشافعي رحمه الله في هذا القسم والمختار أنه حلال لأن  
الجرح سبب ظاهر وقد تحقق والأصل أنه يطرأ غيره عليه فطريانه مشكوك فيه فلا يدفع اليقين  
بالشك . فان قيل فقد قال ابن عباس : كلما أصيبت ودع ما أصيبت . وروى عائشة رضي الله عنها « أن رجلا  
أتى النبي ﷺ بأرنب فقال رمية عرفت فيها سمى فقال أصيبت أو أصيبت فقال بل أصيبت قال إن الليل  
خاف من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذي خلقه فله أغان على قتله شيء (١) » وكذلك قال صلى الله عليه وسلم  
لعدى بن حاتم في كلبه اللهم « وإن أكل فلا تأكل كل فاني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه (٢) »  
والغالب أن السكاب اللهم لا يسمي خلقه ولا يمسك إلا على صاحبه ومع ذلك نهى عنه وهذا التحقيق وهو أن  
الحل إنما يتحقق إذا تحقق تمام السبب وتمام السبب بأن يفضى إلى الموت سلبا من طريان غيره عليه  
(١) حديث عائشة أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأرنب فقال رمية عرفت فيها سمى فقال أصيبت أو أصيبت فقال بل أصيبت فقال إن الليل  
أصيبت أو أصيبت قال بل أصيبت قال إن الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذي خلقه فله أغان على قتله شيء ليس هذا من حديث عائشة وإنما رواه موسى بن أبي عائشة عن أبي رزين قال جاء رجل  
إلى النبي صلى الله عليه وسلم يصيد فقال إن رمية من الليل فأعياى ووجدت سهمي فيه من اللد  
وعرفت سهمي فقال الليل خلق من خلق الله عظيم لعله إبانك عليها شيء رواه أبو داود في الراشدين  
والبيهقي وقال أبو رزين اسم سمعوه والحدث مرسل قاله البخاري (٣) حديث قال لعمري في كلبه اللهم  
وإن أكل فلا تأكل فاني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه متفق عليه من حديثه .

قال حدثنا بن وهب  
قال حدثني يحيى بن  
عبد الله عن أبي عبد  
الرحمن عن عبد الله  
ابن عمرو بن العاص  
قال « مات رجل بالمدينة  
عن وديها فبلى عليه  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ثم قال  
لته مات بغير مولده  
قالوا ولم ذلك يا رسول  
الله قال إن الرجل إذا  
مات بغير مولده قيس له  
من مولده إلى مقطع  
أثر من الجنة » ومن  
جدة القاصد في السفر  
استكشاف دقائق  
النفوس واستخراج  
رعوناتها ودعائها  
لأنها لا تمكاد تبين  
حقائق ذلك بغير السفر  
ومضى السفر سفرًا لأنه  
يسفر عن الأخلاق  
وإذا وقف على داله  
يتشعر لدوائه وقد  
يكون أثر السفر في  
نفس للتبدي كثر  
الناقل من الصلاة  
والصوم والتجويد وغير  
ذلك وذلك أن التفتل

وقد شك فيه فهو شك في تمام السبب حتى اشبهه أن موته على المحل أو على الحرمة فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على المحل في ساعته ثم شك فيما يطرق عليه . فالجواب أن نهى ابن عباس ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمول على الورع والتزهد بدليل ما روى في بعض الروايات أنه قال : « كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثرا غير سهمك » (١) وهذا تنبيه على الشيء الذي ذكرناه وهو أنه وإن وجد أثرا آخر قد تعارض السببان بتعارض الظن وإن لم يجد سوى جرحه حصل غلبة للظن فيحكم به على الاستصحاب كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس للظنون والمعمومات للظنونة وغيرها وأما قول القائل إنه لم يتحقق موته على المحل في ساعة فيكون هذا في السبب فليس كذلك بل السبب قد تحقق إذ الجرح سبب للوث قطري القهر شك فيه وبدل على صحة هذا الإجماع على أن من جرح وغاب فوجد ميتا فيجب القصاص على جرحه بل إن لم يثبت يحتمل أن يكون موته بهيجان خلط في باطنه كما يموت الإنسان فيمات فينبغي أن لا يجب القصاص إلا بجرح الرقبة والجرح للذئف لأن المثل القاتلة في الباطن لا تؤمن ولأجلها يموت فيمات ولا قاتل بذلك مع أن القصاص مبتناه على الشبهة وكذلك جبن الذكاة حلال ولعله مات قبل ذبح الأصل لا بسبب ذبحه أو لم ينفع فيه الروح وغرة الجنين يجب ولعل الروح لم ينفع فيه أو كان قد مات قبل الجنابة بسبب آخر ولكن يبنى على الأسباب الظاهرة فإن الاحتمال الآخر إذا لم يستدل إلى دلالة تدل على الصحة بالوهم والوسواس كذا ذكرناه فكذا هذا وأما قوله من الله عليه وسلم « استأف أن يكون إنما أمسك على نفسه » فلتأشفي رحمه الله في هذه الصورة قولان والذي نختاره الحكم بالتحريم لأن السبب قد تعارض إذا الكلب للتم كآلة والوكيل يمسك على صاحبه فيجوز ولو استمر للتم بنفسه فأخذ لم يحل لأنه يتصور منه أن يصاد نفسه ومهما انبث بشارته ثم كل دل ابتداء انبمائه على أنه نازل منزلة آله وأنه يسعى في كآله ونيابته ودل أنه كآله آخرى أنه أمسك نفسه لاصحاحه فقد تعارض السببان فالتعاضد الأصل والتحريم فيستصحب ولا يزال بالشك وهو كآلو وكل رجلا بأن يشتري له جارية فاشتري جارية ومات قبل أن يبين أنه اشتراها لنفسه أو لموكله لم يحل للموكل وطؤها لأن للوكيل قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جميعا ولا دليل مرجح والأصل التحريم فهذا يلتحق بالقسم الأول لا بالقسم الثالث . القسم الرابع : أن يكون المحل معلوما ولكن ينسب على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعا فيرفع الاستصحاب وينقض بالتحريم إذ بان أن الاستصحاب منفي ولا يثبت حكم مع غلبة الظن . ومثاله أن يؤدي اجتهاده إلى نجاسة أحد الإنانين بالاعتقاد على علامة معينة توجب غلبة الظن فتوجب تحريم شربه كما أوجب منع الوضوء به وكذا إذا قال إن قتل زيد عمرا أو قتل زيد سيذا منفردا يقتله فامرأى طالق فيجرعه وغاب عنه فوجد ميتا حرمت زوجته لأن الظاهر أنه منفرد يقتله كما سبق وقد نص الشافعي رحمه الله أن من وجد في القدران ماء متغيرا احتمل أن يكون تغيره بطول للكس أو بالنجاسة فيستعمله ولو رأى طيبة يالت فيه ثم وجده متغيرا واحتمل أن يكون بابلول أو يطول الكس لم يجز استعماله إذ صار البول الشاهد دلالة منفية لاحتمال النجاسة وهو مثال ما ذكرناه وهذا في غلبة ظن استند إلى علامة متعلقة بعين الشيء فأما غلبة الظن لامن جهة علامة تتعلق بعين الشيء فقد اختلف قول الشافعي رحمه الله عنه في أن أصل المحل هل يزال به إذا اختلف قوله في التوثق من أواني الشرابين وممن الحرق والصلاة في المقابر النبوية والصلاة مع طين الشوارع

(١) حديث كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثر سهم غيرك متفق عليه من حديث عدي بن حاتم

صاحبا سائر إلى الله تعالى من أوطان الفضلات إلى محل القربات وللشافعي قطع للشافعات ويتقلب في القافز والقولوات بحسن النية قد تعالى سائرا إلى الله تعالى بمرامجة الهوى ومهاجرة تملذ الدنيا . أخبرنا شيخنا إجازة قال اتنا عمر بن أحمد قال أنا أحمد بن محمد بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت عبد الواحد ابن بكر يقول سمعت علي بن عبد الرحيم يقول سمعت النووي يقول التصوف ترك كل حظ النفس فإذا سافر للبتنى تاركا حظ النفس تطلعت النفس وتلين كائنين بدوام الثافة ويكون لها بالسفر دباغ ينهب عنها الحق وتوالي يوسه الجلبية والبغوة الطبيعية كالجلد يمود من هيئة الجلود إلى هيئة الكياب ضمود

النفس من طيبة  
الغنيان إلى طيبة  
الإيمان . ومن جهة  
للقاصد في السفر رؤية  
الآثار والعبر وتوسيع  
النظر في مباحث الفكر  
ومطالعة أجزاء الأرض  
والجبال ومساكنها .

أقدام الرجال واستماع  
التسبيح من ذرات  
الجمادات والقهم من  
لسان حال القطع  
للتجارب وتجدد  
البقعة بتجدد متوسع  
البر والآيات وتوفر  
مطالعة الشاهد  
والسواقي الشواهد  
والدلائل كآيات الله تعالى  
- منبرهم آيات في  
الآفاق وفي أنفسهم حتى  
يتبين لهم أنه الحق -  
وقد كان السرى يقول  
لمصوفة : إذا خرج  
الشاء ودخل آدماء  
وأورقت الأعجار طاب  
الاتسار . ومن جهة  
للقاصد بالسفر لاثار  
الحقول وإطراح حظ  
القبول فصدق الصافي  
يتم على أحسن الحال

أعنى القصد الزائد على ما يتعدى الاحتراز عنه وعبر الأصحاب عنه بأنه إذا تمارس الأصل والغالب فأيهما يتبر وهذا جار في حل الشرب من أواني مدمن الخمر والشركين لأن النجس لا يعمل شربه فأذن مأخذ النجاسة والحل الواحد فالتردد في أحدهما يوجب التردد في الآخر والذي أخذاه أن الأصل هو العتبر وأن العلامة إذا لم تتعلق بين تناول لم توجب رفع الأصل وسيأتي بيان ذلك وبرهانه في المثار الثاني لشبهة وهي شبهة الخلط قد اتضح من هذا حكم حلال شك في طريان محرم عليه أوطن . وحكم حرام شك في طريان محلل عليه أوطن . وبأن الفرق بين ظن يستند إلى علامة في عين الشيء وبين مالا يستند إليه وكل ما حكمنا في هذه الأقسام الأربعة بمحل فهو حلال في الدرجة الأولى والاحتياط تركه فالقدم عليه لا يكون من زمرة التثقيب والصالحين بل من زمرة المعدوم للدين لا يقضى في تنوي الشرع بفسقهم وعصيانهم واستحقاقهم العقوبة إلا ما ألقناه برتبة الوسواس فان الاحتراز عنه ليس من النوع أصلا .

### ( المثار الثاني لشبهة شك منشؤه الاختلاط )

وذلك بأن يخلط الحرام بالحلال ويشبه الأمر ولا يتميز والخلط لا يخلو إما أن يقع بعدد لا يحصر من الجانبين أو من أحدهما أو بصدد محصور فان اختلط بمحصور فلا يخلو إما أن يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يتميز بالاشارة لاختلاط المائعات أو يكون اختلاط استنباط مع التميز للاعتيان باختلاط الأبعاد والمور والأفراش والذي يخلط بالاستنباط فلا يخلو إما أن يكون مما يقصد عين العاروض أو لا يقصد كالنود فيخرج من هذا التقسيم ثلاثة أقسام . القسم الأول : أن تستعين بعين بصدد محصور كالو اختلط البنة بكذا عذ أو بشر مذكيات أو اختلطت رضية بشر نسوة أو يتزوج إحدى الأختين ثم تلتبس فلهذه شبهة يجب اجتنبها بالإجماع لأنه لا مجال للاجتهاد والملاحظات في هذا وإذا اختلط بصدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد فتقابل فيه بين التحريم والتحليل ولا فرق في هذا بين أن يثبت حل فطرأ اختلاط محرم كالو أو وقع الطلاق على إحدى زوجتين في سنة الطائر أو يخلط قبل الاستحلال كالو اختلطت رضية بأجنبية فأراد استحلال واحدة وهذا قد يشكل في طريان التحريم كطلاق إحدى الزوجتين لما سبق من الاستصحاب وقد نهينا على وجه الجواب وهو أن يقين التحريم قابل يقين الحل فضعف الاستصحاب وجانب الخطر أغلب في نظر الشرع فلذلك ترجح وهذا إذا اختلط حلال محصور بمحرم محصور فان اختلط حلال محصور بمحرم غير محصور فلا يخفى أن وجوب الاجتناب أولى . القسم الثاني : حرام محصور بحلال غير محصور كالو اختلطت رضية أو عشر رضائع بنسوة بله كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح نساء أهل الله بل له أن يسكن من شاء منهن وهذا لا يجوز أن يطل بكنة الحلال إذ يلزم عليه أن يجوز النكاح إذا اختلطت واحدة حرام بتسح حلال ولا تقابل به بل الملة القلبية والحاجة جميعا إذ كل من ضاع له رضيع أو قريب أو محرم بمصاهرة أو سبب من الأسباب فلا يمكن أن يسد عليه باب النكاح وكذلك من علم أن مال الدنيا خالطه حرام قطعا لا يلزمه ترك الثراء والأكل فان ذلك حرج ومال الدين من حرج ويعلم هذا بأنه لما سرق في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مجن (١) وغل واحد في الفضية عبادة (٢) لم يمنع أحد من شراء المجان والمبايع في الدنيا وكذلك كل ماسوق وكذلك كان

(١) حديث سرقة المجن في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم (٢) حديث غل واحد من الثناعم عبادة البخاري من حديث عبد الله بن عمر ، واسم الغال كركرة

يبر أن في الناس من يرى في الدرهم والدنانير وماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدرهم والدنانير بالسكينة<sup>(١)</sup> وبالجلالة إنما تنفك الدنيا عن الحرام إذا عصم الخلق كلهم عن المعاصي وهو محال وإذا لم يشترط هذا في الدنيا لم يشترط بأضافي به إلا إذا وقع بين جماعة محصورين بل اجتناب هذا من ورع اللوسوين إذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة ولا يتصور الوفاء به في مدة من الليل ولا في عصر من الأعصار . فان قلت قتل عدد محصور في علم الله فما حد المحصور ولو أراد الانسان أن يحصر أهل بلد لقدر عليه أيضا إن تمكن منه . فاعلم أن تحديد أمثال هذه الأمور غير ممكن وإنما يضبط بالتقريب . فنقول كل عدو لو اجتمع على صيد واحد لمر على الناظر عديم بمجرد النظر كالآف والألفين فهو غير محصور وما سهل كالشربة والشرين فهو محصور وبين الطرفين أوساط متشابهة تلتحق بأحد الطرفين بالظن ومواقع الشك فيه استغنى فيه القلب فان الإثم حراز القلوب وفي مثل هذا اللقاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أيسه استغنى قلبك وإن أوتوك وأوتوك وأتوك<sup>(٢)</sup> وكذا الأقسام الأربعة التي ذكرناها في التار الأول يقع فيها أطراف متقابلة واضحة في النفي والاثبات وأوساط متشابهة فاللقى ينفى الظن وعلى المستغنى أن يستغنى قلبه فان حاك في صدره شيء فهو الآثم بينه وبين الله فلا ينبغى في الآخرة فتوى لللقى فانه ينفى بالظاهر والله يتولى السرائر . القسم الثالث : أن يخلط حرام بالبحر محلال لا يحصر حكم الأموال في زمانها هذا فالذي يأخذ الأحكام من الصور قد يظن أن نسبة غير المحصور إلى غير المحصور كنسبة المحصور إلى المحصور وقد حكمنا ثم بالبحر لم تحكم هنا به والذي يخافه خلاف ذلك وهو أنه لا يحرم بهذا الاختلاط أن يتناول شيء بينه احتمال أنه حرام وأنه حلال إلا أن يقتن بذلك الدين علامة تدل على أنه من الحرام فان لم يكن في الدين علامة تدل على أنه من الحرام فتركه ورع الدين علامة تدل على أنه من الحرام ومن الملامات أن يأخذ من يد سلطان ظالم إلى غير ذلك من العلامات التي سيأتي ذكرها ويدل على الأثر والقياس فأما الأثر فما علم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والحقاء الراشدين بعده إذ كانت أئمان المحور ودرهم الربا من أيدي أهل السنة غنطلة بالأموال وكذا غلول الأموال وكذا غلول الفدية ومن الوقت الذي نهى صلى الله عليه وسلم عن الربا إذ قال « أول ربا أضه ربا العباس »<sup>(٣)</sup> ما ترك الناس الربا بأجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمر وسائر المعاصي حتى روى أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باع الخمر فقال عمر رضي الله عنه لمن الله فلانا هو أول من سيع الخمر إذ لم يكن قد فهم أن تحريم الخمر تحريم لثمها وقال صلى الله عليه وسلم « إن فلانا يجر في النار عبادة قد غلها »<sup>(٤)</sup> وقتل رجل فقتلوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لانسواي درهمين قد غلها<sup>(٥)</sup> وكذا أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الغلظة ولم يمتنع أحد منهم عن الشراء والبيع في السوق بسبب نهب المدينة وقد نهى أصحاب يزيد ثلاثة أيام وكان من يمتنع من تلك الأموال مشارا إليه في الورع والأكثرون لم يمتنعوا

ويرزق من الخلق  
حسن الأقبال وقفا  
يكون صادق متمسك  
بمروة الاخلاص  
ذو قلب عامر لا ويرزق  
إقبال الخلق حتى صحت  
بعض الشايح يحكى عن  
بعضهم أنه قال : أريد  
إقبال الخلق على لا آتى  
أبلغ نفسي حظها من  
الموى فان لا بألى أقبوا  
أو أدبروا ولكن  
لكنون إقبال الخلق  
علامة تدل على صحة  
الحال فاذا ابتلى المرید  
بذلك لا يأمّن نفسه أن  
تدخل عليه بطريق  
الركعون إلى الخلق  
وربما يفتح عليه باب  
من الرزق وتدخل  
النفس عليه من طريق  
السير والدخول في  
الأسباب المحموده  
وترى فيه وجه للصحة  
والقبضية في خدمة  
عبادته وبذل الوجود  
ولا تزال النفس به  
والشيطان حتى يجره  
إلى السكون إلى  
الأسباب واستجلاء

(١) حديث إن في الناس من كان يرى في الدرهم والدنانير وماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدرهم بالسكينة هذا معروف وسيأتي حديث جابر بعده بحديث وهو يدل على ذلك  
(٢) حديث استغنى قلبك وإن أوتوك وأوتوك وأتوك قاله لو أيسه تقدم (٣) حديث أول ربا أضه ربا العباس مسلم من حديث جابر (٤) حديث إن فلانا يجر في النار يجر عبادة قد غلها البخاري من حديث عبد الله بن عمر وتقدم قبله بثلاثة أحاديث (٥) حديث قتل رجل فقتلوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لانسواي درهمين قد غلها أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث زيد بن خالد الجهني .

مع الاختلاط وكثرة الأموال اللبوية في أيام الظلمة ومن أوجب مالم يوجبه السلف الصالح وزعم أنه تضمن من الشرع مالم يتعلموا له فهو موسوس مختل العقل ولوجاز أن زاد عليهم في أمثال هذا الجاز مخالفتهم في مسائل لامستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم إن الجدة كالأم في التحريم وابن الإبن كالابن وشعر الخنزير وشحمه كالحمم للذكور تحريمه في القرآن والربا جاز فباعدا الأشياء الستة وذلك محال فاتهم أولى بنهم الشرع من غيرهم . وأما القياس فهو أنه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات وخرب العالم إذ السق يلق على الناس ويتساهلون بسببه في شروط الشرع في العقود ويؤدى ذلك لاحتمال إلى الاختلاط . فان قيل قد قلتم أنه صلى الله عليه وسلم امتنع من الضب وقال « أخشى أن يكون مما مسخه الله » وهو في اختلاط غير المحصور ؟ قلنا يجعل ذلك على التنزه والورع أو يقول الضب شكل غريب ربما يدل على أنه من المسخ فهي دلالة في عين التناول . فإن قيل هذا معلوم في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقة والتب وغلو الفتنه وغيرها ولكن كانت هي الأقل بالاضافة إلى الحلال فإذا تحول في زماننا وقد صار الحرام أكثر مالم أيدى الناس لفساد المعاملات وإهلاك شروطها وكثرة الربا وأموال السلاطين الظلمة ، فمن أخذ مالا لم يشهد عليه علامة معينة في عينه للتحريم فهل هو حرام أم لا ؟ فأقول ليس ذلك حراما وإنما الورع تركه وهذا الورع أهم من الورع إذا كان قليلا . ولكن الجواب عن هذا أن قول القائل أكثر الأموال حرام في زماننا غلط محض ومنشؤه الغفلة عن الفرق بين الكثير والأكثر فأكثر الناس بل أكثر الفقهاء يظنون أن ما ليس بنادر فهو الأكثر ويتوهمون أنهما قياسا متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك بل الأقسام ثلاثة قليل وهو النادر وكثير وأكثر . ومثاله أن الخنزير فلما بين الحلق نادر وإذا أضيف إليه المريض وجد كثيرا وكذا السفر حتى يقال الرض والسفر من الأعداد العامة والاحتياضة من الأعداد النادرة ، ومعلوم أن الرض ليس بنادر وليس بالأكثر أيضا بل هو كثير والفقهاء إذا تساهل وقال الرض والسفر غالب وهو عند عام أرباب أنه ليس بنادر فإن لم يردها فهو غلط والصحيح والقيم هو الأكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنزير نادر فإذا فهم هذا فتقول قول القائل الحرام أكثر باطل لأن مستندها القائل إما أن يكون كثرة الظلمة والجنبة أو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة أو كثرة الأبدى التي تكررت من أول الاسلام إلى زماننا هذا على أصول الأموال الموجودة اليوم . أما المستند الأول فباطل فإن الظالم كثير وليس هو بالأكثر فاتهم الجندية إذ لا يظلم إلا لأوغلة وشوكه وهم إذا أضفيوا إلى كل العالم لم يبلغوا عشرين عشرين فكل سلطان مجتمع عليه من الجنود مائة ألف مثلا فيملك إقليبا يجمع ألف ألف وزيادة ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته يزيد عددها على جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين أكثر من عدد الرعايا لمهلك الكل إذا كان يجب على كل واحد من الرعية أن يقوم بشرة منهم مثلا مع تعمهم في المعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد منهم تجمع من ألف من الرعية وزيادة وكذا القول في السراق فإن البلدة الكبيرة تشتمل منهم على قدر قليل . وأما المستند الثاني وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهي أيضا كثيرة وليست بالأكثر إذ أكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعده هؤلاء أكثر والذي يتعامل بالربا وغيره فلو عدت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد إلا أن يطلب الانسان بوجهه في البلدة خصوصا بالهبة والحب وقلة الدين حتى يتصور أن يقال معاملاته الفاسدة أكثر ومثل ذلك المخصوص نادر وإن كان كثيرا فليس بالأكثر لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخفى هو أيضا عن معاملات صحيحة تساوي الفاسدة أو تزيد عليها وهذا مقطوع به لمن تأمله وإنما غلب

يقول الحلق وربما  
قوبا عليه جراه إلى  
التصنع والتعمل  
ويستعج الحرق على  
الراعي . وصحت أن  
بعض الصالحين قال  
لمريد له أنت الآن  
وصلت إلى مقام لا يدخل  
عليك الشيطان من  
طريق الشر ولكن  
يدخل عليك من  
طريق الخير وهذا منزلة  
عظيمة للأقدام بالله  
تعالى يذكرك الصادق  
إذا ابتلى بشيء من  
ذلك وزججه بالعناية  
السابقة واللوعة  
اللاحقة إلى السفر  
فيفارق للمارف  
والوضع الذي فتح  
عليه هذا الباب فيه  
ويتجدد لله تعالى  
بالخروج إلى السفر  
وهذا من أحسن  
للقاصد في الأسفار  
للصديقين لهذه حمل  
للقاصد للطلبة للشيخ  
في بدائهم ماعدا  
الحج والقرى وزيارة  
بيت المقدس ، وقد نقل

هذا على النفوس الفاسدة لاستنكار النفوس الفساد واستبعادها إياه واستعظامها له وإن كان نافعا حتى ربما يظن أن النار وشرب الخمر قد شاع كإشاعة الحرام فتخيّل أنهم أكلوا أكثر وهو خطأ منهم أنهم أكلوا وإن كان فهم أكثر . وأما للسند الثالث وهو أخيليا أن يقال الأموال إنما تحصل من العادن والنبات والحيوان والحيات والحيوان حاصلان بالتوالد فإذا نظرنا إلى شاة مثلا وهي نلد في كل سنة فيكون عدد أسومها إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسمائة ولا غلو هذا أن يتطرق إلى أصل من تلك الأصول غضب أو معاملة فاسدة فكيف يقدر أن تسلم أسومها عن تصرف باطل إلى زمانها هذا وكذا بذور الحبوب والقواكه تحتاج إلى خمسمائة أصل أو ألف أصل مثلا إلى أول السرع ولا يكون هذا حلالا ما لم يكن أصله وأصل أصله كذلك إلى أول زمان النبوة حلالا وأما العادن فهي التي يمكن نيلها على سبيل الابتداء وهي أقل الأموال وأكثر ما يستعمل منها الدرهم والدينار ولا يخرج إلا من دار الضرب وهي في أيدي الظلمة مثل العادن في أيديهم يتنوع الناس منها ويلزمون الفقراء استخراجها بالأعمال الشاقة ثم يأخذونها منهم غضبا فإذا نظر إلى هذا علم أن قضاء دينار واحد بحيث لا يتطرق إليه عقد فاسد ولا ظلم وقت النيل ولا وقت الضرب ولا بد منه في معاملات الصرف والربا بيد تادر أو محال فلا يبقى إذن حلال إلا الصيد والبهائم والنباتات والمعادن والمعادن الحطب البلع من يحصله لا يقدر على كلفة فيقتصر على أن يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل إلا بالاشتقاق والتوالد فيكون قد بذل حلالا في مقابلة حرام فهذا هو أحد الطرق بخلاف . والجواب أن هذه الغلبة لم تتشأن من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج عن الخط الذي نحن فيه والتحق بما ذكرناه من قبل وهو تعارض الأصل والغالب إذ الأصل في هذه الأموال قبولها للتصرفات وجواز التراضي عليها وقد عارضه سبب غالب يخرجها عن الصلاحه فيضاهي هذا محل القولين لشافعي رضي الله عنه في حكم النجاسات والصحيح عندنا أنه يجوز الصلاة في الشوارع إذا لم يجد فيها نجاسة فإن طين الشوارع طاهر وأن الوضوء من أواني للشراب جائز وأن الصلاة في المقابر النبوية جائزة ثبتت هذا أولا ثم هيس ما نحن فيه عليه ويدل على ذلك توضؤ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة مشركة ، وتوضؤ عمر رضي الله عنه من جرة صرانية ، مع أن مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يمتزجون عما بحمه شرعنا ، فكيف تسلم أوانيهم من أيديهم ، بل نقول نعلم قطعا أنهم كانوا يلبسون الفراء المدبوقة والثياب المصبوغة والمقصورة ومن تأمل أحوال الدباغين والقصارين والصباغين علم أن الغالب عليهم النجاسة والطهارة في تلك الثياب محال أو نادر ، بل نقول نعلم أنهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير ولا يسلونه مع أنه يداي بالقر والحيوانات وهي يتول عليه وتروث وقفا يخلص منها ، وكانوا يركبون الدواب وهي ترق وما كانوا يسلون ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن أمها وعليها رطوبة نجسة قد زيلها الأمطار وقد لا زيلها وما كان يجترعها ، وكانوا يمشون خاة في الطريق وبالنعال ويصلون معها ويجلسون على التراب ويمشون في الطين من غير حاجة ، وكانوا لا يمشون في البول والعدرة ولا يجلسون عليها ويستريحون منه ، ومتى تسلم الشوارع عن النجاسات مع كثرة السكاب وأبوالها وكثرة الدواب وأروائها ، ولا ينبغي أن نظن أن الأعصار أو الأمصار تختلف في مثل هذا حتى يظن أن الشوارع كانت تقفل في عصرهم أو كانت تحرس من الدواب هيئات فذلك معلوم استحالة بالمادة قطعا فدل على أنهم لم يجتزوا إلا من نجاسة مشاهدة أو علامة على النجاسة دالة على العين ، فأما الظن الغالب الذي يستتار من ردة الهرام إلى مجاري الأحوال فلم يتبروه وهذا عند الشافعي رحمه الله وهو يرى أن الماء القليل ينجس من غير تقير واقع .

أن ابن عمر خرج من المدينة قاصدا إلى بيت المقدس وصلى فيه الصلوات الخمس ثم أسرع راجعا إلى المدينة من القد . ثم إذا من الله على الصادق بإحكام أمور بدايته قلبه في الأسفار ومنحه الحظ من الاعتبار وأخذ نصيه من العلم قدر حاجته واستفاد من مجاورة الصالحين وانتش في قلبه فوائد النظر إلى حال اثنين وتطرباطنه باستشاق عرف معارف القرين وتحسن بحماية نظر أهل الله وخاسته وسير أحوال النفس وأسفر السفر عن دلائل أغلاطها وشبهاتها الخفية وسقط عن باطنه نظر الخلق وصار يلب ولا يلب كالآله الله تعالى إخبارا عن موسى - فمرت منك لما خضعت فوهب لي ربي حكما وجسلي من ربي الرسلين - فندد ذلك

إذ لمزل الصحابة يدخلون الحمامات ويتوضؤون من الحياض وفيها المياه القليلة والأبدى المختلفة تنمس فيها على الدوام وهذا قاطع في هذا الغرض ومهما ثبت جواز التوضؤ من جرة نصرانية ثبت جواز شربه والتحقيق حكم الحلال بحكم النجاسة . فان قيل لا يجوز قياس الحلال على النجاسة إذ كانوا يتوسعون في أمور الطهارة وعجزون من شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليها . قلنا إن أراد به أنهم صالوا مع النجاسة والصلاة معها مصيبة وهي عباد الدين فيس الظن بل يجب أن يستدققهم أنهم احتزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وإنما تسامحوا حيث لم يجب وكان في محل تسامحهم هذه الصورة التي تعارض فيها الأصل والغالب فإن أن الغالب الذي لا يستند إلى علامة تتسلق بين ما فيه النظر مطرح وأما تورعهم في الحلال فكان بطريق التقوى وهو ترك ما لا بأس به بحافة ما به بأس لأن أمر الأموال مخوف والفسق يميل إليها إن تقبض عنها وأمر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة أن يشغل قلبه . وقد حكى عن واحد منهم أنه احتز من الوضوء بماء البحر وهو الطهور المحض بالاتفاق في ذلك لا يقدح في الغرض الذي أجمعنا فيه على أننا نغري على هذا السند بل الجواب الذي قدمناه في السنتين السابقتين ولا نسلم ما ذكره من أن الأكثر هو الحرام لأن المال وإن كثرت أصوله فليس بواجب أن يكون في أصوله حرام بل الأموال الموجودة اليوم مما تقرر النظم إلى أصول بعضها دون بعض وكأن الذي يتدافع به اليوم هو الأقل بالإضافة إلى ما لا ينضب ولا يسرق فهكذا كل مال في كل عصر وفي كل أصل فالمصوب من مال الدنيا وللتناول في كل زمان بالفساد بالإضافة إلى غيره أقل ولست ندرى أن هذا الفرع منه من أي القسمين فلا نسلم أن الغالب يحرمه فإنه كآثر بدلتصوب بالتوالد يزيد غير التصوب بالتوالد فيكون فرع الأكثر لاجتماعه في كل عصر وزمان أ أكثر بل الغالب أن الحبوب النصبوة تنصب للأكل لا للذبح وكذا الحيوانات للنصبوة أ أكثرها يؤكل ولا يفتى بالتوالد فكيف يقال إن فروع الحرام أكثر ولم تزل أصول الحلال أكثر من أصول الحرام ولينهم المترشد من هذا طريق معرفة الأكثر فإنه ملة قدم وأكثر العلماء يفلطون فيه فكيف العوام هذا في التولدات من الحيوانات والحبوب فأما الماعدان فأنها عملة مسيلة يأخذها في بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد يأخذ السلاطين بعضها منهم أو يأخذون الأقل لاجتماعه لا الأكثر ومن حاز من السلاطين معدنًا فظله جمع الناس منه فأما ما يأخذ الأخذ منه فيأخذ من السلطان بأجرة والصحيح أنه يجوز الاستعانة في إثبات اليد على الباحات والاستعانة عليها فالمتاجر على الاستعانة إذا حاز لاء دخل في ملك السلق له واستحق الأجرة فكذلك التبيل فإذا فرغنا على هذا لم نحرّم عين الذهب إلا أن يقدر ظله بتقصان أجرة العمل وذلك قليل بالإضافة ثم لا يوجب تحريم عين الذهب بل يكون ظالمًا ببقاء الأجرة في ذمته وأما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من أعيان ذهب السلطان الذي غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون إليهم الذهب للبيوك أو القند الرديء ويستأجرونهم على السبك والضرب ويأخذون مثل وزن ماسلوس إليهم لا لشيء أقل بل تركونه أجرة لهم على العمل وذلك جائز وإن فرض دنائير مفروية من دنائير السلطان فهو بالإضافة إلى مال التجار أقل لاجتماعه . نعم السلطان يظلم أجراء دار الضرب بأن يأخذ منهم ضريبة لأنه خصصهم بها من بين سائر الناس حتى توفر عليهم مال بحسنة السلطان فما يأخذ السلطان عوض من حشمته وذلك من باب الظلم وهو قليل بالإضافة إلى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لأهل دار الضرب والسلطان من جملة ما يخرج منه من المائة واحد وهو عشر المشير فكيف يكون هو الأكثر فهذه أغايط سبقت إلى القلوب بالوهم وتشتد لثريتها جماعة ممن رقى ذنبهم حتى قبضوا الورع وسدوا به واستبقوا تميز بين مال ومال وذلك عين البدع والفساد . قال قبل فلو قدر

يرده الحق إلى مقامه  
ويجده يجزئ لإمامه  
وبجمله إماما للفتن به  
يتنذى وعدا للمؤمنين  
به يهتدى . وأما الذي  
أقام في بدايته وسافر  
في نهايته يكون ذلك  
شخصا يسر الله في  
بداية أمره صحة  
وقبض له شيئا عالما  
بذلك به الطريق  
ويدرجه إلى منازل  
التحقيق فيلازم موضع  
إرادته ويترجم صحة  
من يرده عن عادته  
وقد كان الشيلي يقول

للحصرى في ابتداء  
أمره إن خطر يالك  
من الجملة إلى الجملة غير  
الله فحرام عليك أن  
تحضرن فن رزق  
مثل هذه الصحة  
يحرم عليه السفر  
فالصعبة خير له من  
كل سفر وفضيلة  
يقصدها . أخبرنا رضي  
الدين أبو الخير أحمد  
ابن اسمعيل القزويني  
إجازة قال أنا أبو  
الظفر عبد الله بن

غلبة الحرام . وقد اختلط غير محصور بشيء محصور فإذا تناولون فيه إذا لم يكن في الميعن للتناول علامة خاصة . فنقول الذي نراه أن تركه وريح وأن أخذه ليس بحرام لأن الأصل الحلال ولا يرفع الإجماع معينة كافي طين الشوارع ونظائرها بل أزيد . وأقول : لو طبق الحرام الدين حتى علم بقيناه لم يبق في الدنيا لكنت أقول نستأنف تعهد الشروط من وقتنا ونفوق محاسن وقول ماجاوز حده انعكس إلى ضده فهما حرم الكل حل الكل ، وبرهانه أنه إذا وقت هذه الواقعة فلاحتالات خمسة : أحدها أن يقال يبيع الناس إلا كل حتى يعوتوا من عند آخرهم . الثاني أن يقتصروا منها على قدر الضرورة وسد الرمي يزجون عليها أياما إلى اللوث . الثالث أن يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاءوا بسرقه وغصبا وتراضيا من غير تعيين مال ومال وجهه وجهة . الرابع أن يتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعد من غير اقتصار على قدر الحاجة . الخامس أن يقتصروا مع شروط الشرع على قدر الحاجة أما الأول فلا يخفى بطلانه وأما الثاني فياقل قطعا لأنه إذا اقتصر الناس على سد الرمي وزجوا وأقامهم على الضعف فتشا فيهم الموانع وطلبت الأعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكسبية وفي خراب الدنيا خراب الدين لأنها مزرعة الآخرة وأحكام الحلافة والقضاء والسياسات بل أكثر أحكامها مقصودها حفظ مصالح الدين لئيمها مصالح الدين وأما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين مال ومال بالصعب والسرقة والتراضى وكيفما اتفق فهو رافع لسد الشرع بين القسدين وبين أنواع الفساد فتمتد الأيدي بالصعب والسرقة وأنواع الظلم ولا يمكن زجرهم منه إذ يقولون ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عقابه فحرام عليه وعلينا وذو اليد قدر الحاجة فقط فان كان هو محتاجا فإن أيضا محتاجون وإن كان الذي أخذه في حق زائدا إلى الحاجة فقد سرقه بمن هو زائد على حاجته يومه وإذا لم يراع حاجه اليوم والسنة فما الذي يراعى وكيف يضبط وهذا يؤدي إلى بطلان سياسة الشرع وإغراء أهل الفساد بالفساد فلا يبقى إلا الاحتمال الرابع وهو أن يقال كل ذي يد في مافيه وهو أولى به لا يجوز أن يؤخذ منه سرقة وغصبا بل يؤخذ برضاه والتراضى هو طريق الشرع وإذا لم يجز إلا بالتراضى فللتراضى أيضا مناهج في الشرع تتعلق به المصالح فان لم يعتبر فلم يتبين أصل التراضى وتمطل تفصيله . وأما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من أصحاب الأيدي فهو الذي نراه اتفاقا بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة ولكن لوجه لا يجابه على الكسافة ولا لإدخاله في فتوى العامة لأن أيدي الطلبة تمتد إلى الزيادة على قدر الحاجة في أيدي الناس وكذا أيدي السراق وكل من غلب سلب وكل من وجد قسرى ويقول لاحق له إلا في قدر الحاجة وأما محتاج لا يبقى إلا أن يجب على السلطان أن يخرج كل زيادة على قدر الحاجة من أيدي الملاك ويستوعبها أهل الحاجة ويدير على الشكل الأموال يوما قوما أوسنة فسنه وفيه تكليف شطوط وتضييع أموال . أما تكليف الشطوط فهو أن السلطان لا يقدر على القيام بها مع كثرة الحاقق بل لا يتصور ذلك أصلا وأما التضييع فهو أن مافضل عن الحاجة من القواك والحبوب والحبوب ينبغي أن يلقى في البحر أو يترك حتى يمتفن فإن الذي خلقه الله من القواك والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفعهم فكيف على قدر حاجتهم ثم يؤدي ذلك إلى سقوط الحجج والزكاة والكفارات المالية وكل عبادة تبطئ على الناس إذا أصبح الناس على علم أن لا يقدر حاجتهم وهو في غاية القبح بل أقول لو ورد في مثل هذا الزمان لوجب عليه أن يستأنف الأمر ويعهد تفصيل أسباب الأملاك بالتراضى وسائر الطرق ويفعل ما يفعله لوجود جميع الأموال حلالا من غير فرق وأعني بتولي يجب عليه إذا كان النبي بمن يث صلحة الخلق في دينهم ودينام إذ لا يثم الصلاح برد الكسافة إلى قدر الضرورة والحاجة إليه فان لم يثم الصلاح لم يجب بهذا ونحن يجوز أن يقدر الله سببا يهلك به الخلق عن آخرهم فيقوت دينهم ويضلون في دينهم فانه يضل من يشاء ويهدى من يشاء

عبد الكريم بن  
هو ازن القشيري عن  
والده الأستاذ أبي  
القاسم قال سمعت محمد  
ابن عبد الله الصوفي  
يقول سمعت عياض بن  
أبي الصخر يقول سمعت  
أبا بكر الزقاق يقول  
لا يكون المرء مريدا  
حتى لا يكتب عليه  
صاحب الثال شيئا  
عشرين سنة فن رزق  
صعبة من ينده إلى  
مثل هذه الأحوال  
السنية والعزائم القوية  
يحرم عليه المفارقة  
واختيار السفر ثم إذا  
أحكم أمره في الابتداء  
بازروم الصعبة وحسن  
الافتقار وارتنوى من  
الأحوال وبلغ مبلغ  
الرجال وانجس من  
قلبه عيون ما الحياة  
وصارت نفسه مكسبة  
للسعادات يستنشق  
نفس الرحمن من صدور  
الصادقين من الإخوان  
في أنظار الأرض  
وشاح البلدان يشرب  
إلى التلاق وينبث



بشاه وبعت من يشاء وبمجي من يشاء ولكننا نهدر الأمر جارياً على ما ألف من سنة الله تعالى في بيعة  
 الأنبياء لصالح الدين والدنيا وما إلى أمده هذا وقد كان ما أقدره فلقد بعث الله نبياً صلى الله عليه وسلم على  
 فترة من الرسل وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قريب من ستمائة سنة والناس متفهمون  
 إلى مكذبين له من اليهود وعبد الأوثان وإلى مصدقين له قدشاع القسق فيهم كشاع في زماننا الآن  
 والكفار خاطبون بزور الشرية والأموال كانت في أيدي الكذابين له والصدقين أما للكذبون  
 فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى عليه السلام وأما الصدقون فكانوا يتساهلون مع أصل التصديق كما  
 يتساهل الآن للسلون مع أن العهد بالنبوة أقرب فكانت الأموال كلها أو أكثرها أو كثير منها حراماً  
 وعفاً عن كل محاسن لم يتعرض له وخص أصحاب الأبدى بالأموال ومهد السرع وماتت تحرمة في  
 شرع لا يتقلب حالاً ليعترضوا ولا يتقلب حالاً بأن يسلم الذي في يده الحرام قاتلاً لا تأخذ في الجزية من  
 أهل القسوة ما نرضه بينه أنه عن خير أموال ربنا فقد كانت أموالهم في ذلك الزمان كما هو الآن  
 وأمر العرب كان أشد لعموم التلب والقارة فيهم فبان أن الاحتمال الرابع متعين في الفتوى والاحتمال  
 الخامس هو طريق الورع بل تمام الورع الاتصاف في الباح على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا  
 بالكسب وذلك طريق الآخرة ونحن الآن نكتم في الفقه النوط بمصالح الخلق ونحوى الظاهر له حكم  
 ومناجى على حسب مقتضى الصالح وطريق الدين الذي لا يقدر على سلوكه إلا الأخاد ولواشغل الخلق كلهم  
 به لبطل النظام وخرب العالم فإن ذلك طلب ملك كبير في الآخرة ولواشغل كل الخلق بطلب ملك  
 الدنيا وتركوا الحرف الدينية والصناعات الحسنيات لبطل النظام ثم يطل بطلاته للملك أيضاً فالتفرون  
 في تأسخروا لينظم الملك للسلوك وكذلك القبول على الدنيا يسخروا ليسلم طريق الدين لدى الدين وهو  
 ملك الآخرة ولولاه لاسلم لدى الدين أيضاً ذمتهم فطرط سلامة الدين لهم أن يرض الأ أكثر من  
 طريقهم ويستغلوا بأموال الدنيا وذلك قسمة سبق بها الشيعة الأزلية وإليه الإشارة بقوله تعالى - نحن  
 قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً - فإن  
 قول لاجابة إلى تقدير عموم التحريم حتى لا يبقى حلال فإن ذلك مبرور وهو معلوم ولا شك في أن البعض  
 حرام وذلك البعض هو الأقل أو الأقل أكثر فيه نظر وما ذكرتموه من أنه الأقل بالإضافة إلى السكل جلى  
 ولكن لا بد من دليل يحصل على تجوزهم ليس من المصالح الرسالة وما ذكرتموه من التسميات كلها صالح  
 مرسله فلا بد لها من شاهد معين تنافس عليه حتى يكون الدليل مقبولاً بالاتفاق فإن بعض العلماء لا يقبل  
 الصالح الرسالة . فأقول إن السلم أن الحرام هو الأقل فيكفينا برهانا عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 والصالحات مع وجودها وبالسرقة والغلول والتلب وإن قدر زمان يكون الأ أكثر هو الحرام فيعمل التنازل  
 أيضاً فبرهانه ثلاثة أمور الأول: التسميات التي حصرناؤها بطلان منه أو بقواتنا القسم الخامس فإن ذلك إذا  
 أجرى فيها إذا كان السكل حراماً كان أخرى فيها إذا كان الحرام هو الأ أكثر والأقل وقول القائل موصلة  
 مرسله هوس فإن ذلك إنما تخيل من تخيله في أمور مظنونة وهذا مقطوع به فانا لا نشك في أن  
 مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع وهو معلوم بالضرورة وليس بظنون ولا شك في أن رد كافة الناس  
 إلى قدر الضرورة أو الحاجة أو إلى الحشيش والصيد غريب للدنيا وأولاد الدين بواسطة الدنيا ثانياً في  
 لا يشك فيه لاجتماع إلى أصل يشده له وإنما يستشهد على الحزالات الظنونة المتعلقة بأحد الأشخاص .  
 البرهان الثاني : أن يصلح قياس محرر مردود إلى أصل يتفق الفقهاء الآنسون بالأقضية الجزئية عليه وإلا  
 كانت الجزئيات مستحقة عند المحصلين بالإضافة إلى مثل ما ذكرناه من الأمر السكلى الذي هو ضرورة  
 التي لو بعث في زمان عم التحريم حتى لو حكم بغيره لحرب العالم والقياس الحرر الجزئى هو أنه قد تمارض

إلى الطواف في الآفاق  
 يسيره الله تعالى في  
 البلاد لقائدة العباد  
 ويستخرج بمخاطيس  
 حاله خب: أهل الصدق  
 وللتطمين إلى من  
 يحجز عن الحق وينذر  
 في أراضي القلوب بنذر  
 الفلاح ويكثر بركة  
 خسه وصحبته أهل  
 الصالح وهذا مثل  
 هذه الأمة الهادية في  
 الإنجيل كزبرج أخرج  
 شطأه فأزهره فاستغلظ  
 فاستوى على سوقه  
 تعود بركة البعض  
 على البعض وتسرى  
 الأحوال من البعض  
 إلى البعض ويكون  
 طريق الوراثة ممتورا  
 وعلم الإفادة مشهوراً  
 أخبرنا شيخنا قال أنا  
 الإمام عبد الجبار البيهقي  
 في كتابه قال أنا  
 أبو بكر البيهقي قال  
 أنا أبو علي الروضباري  
 قال ثنا أبو بكر بن  
 داسه قال ثنا أبو داود  
 قال أنا يحيى بن أيوب  
 قال ثنا إسماعيل بن

أصل وغالب فيها انقطع فيه العلامات المعنية من الأمور التي ليست محصورة فيحكم بالأصل لابلغالب قباسا على طين الشوارع وجرة الصراية وأواني الشرابين وذلك قد أثبتناه من قبل بفعل الصحابة وقولنا انقطع العلامات المعنية احتراز عن الأواني التي يتطرق إليها وقولنا ليست محصورة احتراز عن التباس الميتة والرضيعة بالذكية والأجنبية . فان قيل كون الماء طهورا مستيقن وهو الأصل ومن يسلم أن الأصل في الأموال الحل بل الأصل فيها التحريم . فنقول الأمور التي لا تحرم لصحة في عينها حرمة الحجر والحزير خلقت على صفة تستمد لقبول العلامات بالتراضي كما خلق الماء مستندا للوضوء وقد وقع الشك في بطلان هذا الاستمداد منهما فلا فرق بين الأمرين فانها تخرج عن قبول العاملة بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه ولا فرق بين الأمرين . والجواب الثاني أن اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب وأتوى منه بدليل أن الشرع أحلفه به إذ من ادعى عليه دين فاقول قوله لأن الأصل برائة ذمته وهذا استصحاب ومن ادعى عليه ملك في يده فاقول أيضا قوله ليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد في يد إنسان فالأصل أنه ملكه ما يهدل على خلافه علامة معينة . البرهان الثالث : هو أن كل ما دل على جنس لا يحصر ولا يدل على معين لم يعتبر وإن كان قطعا فإن لا يعتبر إذا دل بطريق الظن أولى وبأنه أن ما علم أنه ملك زيد فحقه من التصرف فيه بغير إذنه ولو علم أنه ملك في العالم ولكن وقع اليأس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصود لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم الصلحة ولو دل على أن له مالكا محصورا في عشرة مثلا أو عشرين أمتنع التصرف فيه بحكم الصلحة فاقى يشك في أن له مالكا سوى صاحب اليد أم لا لا يزيد على الذي يتيقن قطعا أن له مالكا ولكن لا يصر عنه فليجز التصرف فيه بالصلحة والصلحة ما ذكرناه في الأقسام الخمسة فيكون هذا الأصل شاهدا له وكيف لا وكل ما لضعف قدامه كيصرفه السلطان إلى الصالح ومن الصالح الفقراء وغيرهم فلو صرف إلى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه فلو سرق منه سارق قطعت يده فكيف قد تصرفه في ملك الغير ليس ذلك إلا لحكمنا بأن الصلحة تقتضي أن ينتقل الملك إليه وعلى له قضيتها بموجب الصلحة . فان قيل ذلك يختص بالتصرف في السلطان . فنقول والسلطان لا يجوز له التصرف في ملك غيره بغير إذنه لأسبيله إلا للصلحة وهو أنه لو ترك لصاع فهو مردد بين تضييعه وصرفه إلى مهم والعرف إلى مهم أصلح من التضييع فرجع عليه وللصلحة في شك فيه ولا يعلم تحريمه أن يحكم فيه بدلالة اليد ويترك على أرباب الأيدي إذا تزاوعا بالشك وتساكنهم الاقتصاد على الحاجة يؤدي إلى الضرر الذي ذكرناه وجهات الصلحة تختلف فان السلطان تارة يرى أن الصلحة أن يبنى بذلك المال فظرة وتارة أن يصرفه إلى جند الإسلام وتارة إلى الفقراء وبدور مع الصلحة كيفما دارت وكذلك الفتوى في مثل هذا تدور على الصلحة وقد خرج من هذا أن الحلق غير مأخوذ في أعيان الأموال بظنون لا تستند إلى خصوص دلالة في ملك الأعيان كالمأخوذ السلطان والفقراء الآخذون منه بصلهم أن المال له مالك حيث لم يتلق العلم بين مالكه مشار إليه ولا فرق بين عين المالك وبين عين الأملاك في هذا المعنى فهذا يان شبه الاختلاط والميق إلى النظر في امتزاج الماعنات والدرهم والعروض في يد مالك واحد وسياق يبان في باب تفصيل طريق الخروج من الظلام .

( لنار الثالث للشبهة أن يتصل بالسبب المحلل معصية )

إما في قرائنه وإما في لواحه وإما في سوابقه أو في عونه وكانت من المعاصي التي لا توجب فساد القصد وإبطال السبب المحلل . مثال المعصية في القرائن : البيع في وقت النداء يوم الجمعة والبيع بالكسكين

جسرا قال أخبرني الملاء

ابن عبد الرحمن عن

أبيه عن أبي هريرة

رضي الله عنه قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم

قال « من دعا إلى هدى

كان له من الأجر مثل

أجر من اتبعه

لا يتقص ذلك من

أجرهم شيئا ومن دعا

إلى ضلالة كان عليه

من الإثم مثل آثام

من اتبعه لا ينقص

ذلك من آثامهم شيئا »

فأما من أقام ولم يسافر

يكون ذلك خضرابه

الحق سبحانه وتعالى

وتولاه وفتح عليه

أبواب الخير وجذبه

بنياته . وقد ورد

جذب من جذبات الحق

توازي عمل القلبين

ثم لما علمته الصدق

ورأى حاجته إلى من

يتفتح به ساق إليه

بعض الصديقين حتى

أبد . لطفه ولطفه

ودراكه لحظته ولطفه

بقوة خاله وكفاه

يسير الصعبة لكلال

للتصوية والاحتطاب بالقدوم للتصوب والبيع على بيع النير والسوم على سومه فكل شيء ورد في القود ولم يدل على فساد القدون الاستماع من جميع ذلك وورع وإن لم يكن التساوي هذه الأساليب محكوماً بمتجره وتسمية هذا النمط حبة فيه تسمع لأن الشبهة في غالب الأمر تنطلق لإرادة الاختيار والجهل والاختيار هنا بدل الصيان والبيع بكنه النير معلوم وحل الذبحة أيضاً معلوم ولكن قد تشتق الشبهة من الشبهة وتناول الحاصل من هذه الأمور مكروه والكراهة تشبه التحريم فإن أريد بالشبهة هذا قسمية هذا شبهة له وجه وإلا فينبغي أن يسمى هذا كراهة لاشبهة وإذا عرف للمخالفات مشاحة في الأمسي ضادة التقفاء التماس في الاطلاقات. ثم اعلم أن هذه الكراهة ثلث درجات: الأولى منها تحريم من الحرام والورع عنه مهم والأخيرة تنهى إلى نوع من الباطلة تكاد تقتضي بورع للوسوسين وبينهما أوساط نازعة إلى الطرفين فالكراهة في صيد كلب منسوب أحد منها في الذبحة بكنه منسوب أول التقتص بسم منسوب إذ الكلب له اختيار وقد اختلف في أن الحاصل به لما لك الكلبة أو للصيد وبليه شبهة البذر وللزروع في الأرض للتصوية فإن البذر البذر ولكن فيه شبهة ولو أثبتنا حق الحبس لما لك الأرض في الزرع لكان كالفن الحرام ولكن الأقيس أن لا يثبت حق حبس كما لو طعن بطاحونة منضوبة واقتبس بشبكة منضوبة إذ لا يمتنع حق صاحب الشبكة في منعها بالصيد وبليه الاحتطاب بالقدوم للتصوب ثم ذمهم ملك نفسه بالسكن للتصوب إذ لم يذهب أحد إلى تحريم الذبحة وبليه البيع في وقت النداء فإنه ضعيف التعلق بقصود الضد وإن ذهب قوم إلى فساد العقد إذ ليس فيه إلا أنه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه ولو أفسد البيعة بثلثه لأفسد بيع كل من عليه درهم زكاة أو صلاة فاقته وجوباً على الفور أو في ذمته مظلة دائية فإن الاشتغال بالبيع مانع عن القيام بالواجبات فليس للجلمة إلا الوجوب بعد النداء. وينجز ذلك إلى أن لا يصح تسلك أولاد الظلمة وكل من في ذمته درهم لأنه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه إلا من حيث ورد في يوم الجمعة نهي على الخصوص ربما سبق إلى الأنفهام خصلية فيه فتكون الكراهة أشد ولا بأس بالخدر منه ولكن قد ينجر إلى الوسواس حتى يترجع عن تسلك بنات أرباب الظالم وسائر مماناتهم. وقد حكى عن بعضهم أنه اشترى شيئاً من رجل فسمع أنه اشتراه يوم الجمعة فردّه خيفة أن يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء وهذا غاية الباطلة أنه رد بالشك ومثل هذا الوم في تدبير الناهي أو للفسادات لا ينقطع عن يوم السبت وسائر الأيام والورع حسن والباطلة فيه أحسن ولكن إلى حد معلوم فقد قال **عليه السلام** «هك للتسلطون»<sup>(١)</sup> فليحذر من أمثال هذه الباطلات فإنها وإن كانت لاتضر صاحبها ربما أوم عند الغير أن مثل ذلك مهم ثم سيجز عما هو أيسر منه فيترك أصل الورع وهو يستند أكثر الناس في زعمائهم إذ سبق عليهم الطريق فأبوا عن القيام به فاطرحوه فكأن الوسوس في الطهارة قد سيجز عن الطهارة فتركها فكذلك بعض الوسوسين في الخلائق سبق إلى أوهاهم أن مال الدنيا كله حرام فوسوسوا فتركوا الخير وهو عين الضلال. وأما مثال الواوحي: فهو كل تصرف ينفى في سياقه إلى مصيبة وأعلاء بيع النصب من الحمار وبيع الغلام من المعروف بالقصور بالثمنان وبيع السيف من قطاع الطريق وقد اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل الثمن للأخذ منه والأقيس أن ذلك صحيح وللأخذ خلال والرجل ماص بمده كما يصح بالدفع بالسكن للتصوب والذبحة حلال ولكنه يسمى عصيان الإغاثة على المصيبة إذ لا يمتنع ذلك بين العقدة للأخذ من هذا مكروه كراهية عديدة وتركه من أنواع الهوى وليس حرام وبليه في الرتبة بيع الصب عن ضرب الحجر ولم يكن خماراً وبيع السيف ممن يفرق ويظلم أيضاً

(١) حديث هك للتسلطون مسلم من حديث ابن مسعود وتقدم في قواعد العقائد.

الأهلية في صاحب  
والصوب وإجراء  
سنة الله تعالى في إعطاء  
الأسباب خفا الأقامة  
رسم المحكمة بموجب  
إلى يسر الصبة فيتنبه  
بالقليل والكثير وبنيه  
اليسير من الصبة عن  
اللفظ الكبير ويكنى  
بواقر حظ الاستمرار  
عن الأسفار ويتنوض  
بأشعة الأنوار عن  
مطالعة النير والآثار  
كما قال بعضهم الناس  
يقولون اقتحوا  
أعينكم وأبصروا وأنا  
أقول غمضوا أعينكم  
وأبصروا. وصحت  
بعض السالطين يقول  
فنه عباد طور سيناه  
ركبهم تكونون دهمهم  
على ركبهم وهم  
في عن القرب فمن  
ينج له معصين  
الحياة في ظلمة خلوته  
فإذا صنع بدخول  
الظلمات ومن اندرج  
له أطباق السموات  
في طي شومه ماذا  
يصنع بتقلب طرله في

لأن الاحتمال قد تعارض وقد كره السلف بيع السيف في وقت الفتنة خفية أن يشتريه ظاهراً فهذا ورع فوق الأول والكرهية فيه أخف وبليه ما هو بالمتى ويكاد يلتحق بالوسواس وهو قول جماعة لا يجوز معاملة الملاحين بآلات الحرب لأنهم يستنبطون بها على الحرمة ويبعون الطعام من الظلة ولا يبيع منهم البقر والقدان وآلات الحرب وهذا ورع الوسوسة إذ ينجر إلى أن لا يبيع من الفلاح طعام لأنه يتقوى به على الحرمة ولا يسقى من الماء العام لذلك وينتهي هذا إلى حد التنطع للنهي عنه وكل متوجه إلى شيء على قصد خير لا بد وأن يدرك العلم الحق وربما يقدم على ما يكون بدعة في الدين ليستغفر الناس بعده بها وهو يظن أنه مشغول بالخير ولهذا قال **عليه السلام** فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي <sup>(١)</sup> والتتبعونهم الذين يخفى عليهم أن يكونوا بمن قيل فيهم - الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وبالجملة لا ينبغي للإنسان أن يشتغل بدقائق الورع إلا بحضرة عالم متقن فإنه إذ جاوز مرسوم له وتصرف بذنه عن غير ما كان مابعد أكثر مما يصلحه وقد روى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه أحرق كرمه خوفاً من أن يباع الغنم بمن يتخذ خمرًا وهذا لا يعرف له وجهاً إن لم يعرف هو سبباً خاصاً يوجب الإحراق إذ ما أحرق كرمه ونخله من كان أرفع قدرامنه من الصحابة ولوجاز هذا لجواز قطع الذكر خيفة من الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب إلى غير ذلك من الإنلاقات . وأما التقديمات : فلنطرق للصبة إليها ثلاث درجات . الدرجة العليا التي تشتد الكراهة فيها : ما يبيح آثره في تناول أو أكل من شاة غلفت بلف مفصوب أو رعت في مرعى حرام فإن ذلك معصية وقد كان سبباً لبقائها وربما يكون الباقي من دمها ولحمها وأجزاءها من ذلك الملع وهذا الورع مهم وإن لم يكن واجباً وتدل ذلك عن جماعة من السلف وكان لأبي عبد الله الطوسي التروغ في شاة يحملها على رقبته كل يوم إلى الصحراء وبرعها وهو يمسك وكان يأكل من لبنها ففعل عنها ساعة فتناول من ورق كرم على طرف بستان فتركها في البستان ولم يستحل أخذها . فإن قيل فقد روى عن عبد الله بن عمر وعبد الله أنهما اشتريا إبلاً فبشاهما إلى الحمى فرعته إليهما حتى سميت فقال عمر رضي الله عنه أربعها في الحمى فقالا نعم فناطرها فهذا يدل على أنه رأى اللحم الحاصل من الملع لأصحاب الملع فلا شتر كما لأصحاب تحريماً . قلنا ليس كذلك فإن الملع يفسد بالآكل واللحم خلق جديد وليس عين الملع فلا شتر كما لأصحاب الملع فشرعاً ولكن عمر غرمها قيمة الكلا ورأى ذلك مثل شطر الإبل فأخذ الشطر بالاجتهاد كما شاطر سعد بن أبي وقاص ماله لما أن قدم من الكوفة وكذلك شاطر أباهريرة رضي الله عنه إذ رأى أن كل ذلك لا يستحقه العامل ورأى شطر ذلك كافياً على حق علمهم وقدره بالشر اجتهاداً . الرتبة الوسطى : ما نقل عن بشر بن الحرث من امتناعه عن الماء الساقي في نهر احتفزه الظلة لأن النهر موصل إليه وقد عصى الله بحفره وامتنع آخر عن غنم كرم يسقي بهاء يجري في نهر حفظها وهو أرفع منه وأبلغ في الورع وامتنع آخر من الشرب من مصانع السلاطين في الطرق وأعلم من ذلك امتناع ذي النون من طعام حلال وأوصل إليه على بسجنان وقوله إنه جاءني على بظلام درجات هذه الرتبة لا تنحصر . الرتبة الثالثة : وهي قريب من الوسواس وبالجملة أن يتنع من حلال ووصل يد رجل عصى الله بأثرنا أو القذف وليس هو كالمعصية يأكل الحرام فإن الوصول قوته الحاصلة من الغذاء الحرام والزنا والقذف لا يوجب قوة يستعان بها على الجلب بل الامتناع من أخذ حلال وصل على يد كافر وسواس مغلاف أكل الحرام إذ الكفر لا يتعلق بعمل الطعام وينجر هذا إلى أن لا يؤخذ من يد من عصى الله ولو بدنية أو كذبة وهو غاية التنطع والإسراف فيلبسط ماعرف من ورع ذي النون وبشر بالمعصية في السبب

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي تقدم في العلم .

للمدوات ومن جمعت أحمداً في بصيرته متفرقات الكائنات ماذا يستفيد من طي الغلوات ومن خالص خاصة فطرته إلى جمع الأرواح ماذا تفيد زيادة الأشباح . قيل أرسل ذوالنور الصوري إلى أبي يزيد رجلاً وقال قل له إلى من هذا التوم والراحة وقد صارت القافلة فقال للرسول قل لأخي الرجل من بنام الليل كله ثم يصبح في اللؤلؤ قيل القافلة قال ذوالنور حينئذ هذا كلام لا يبلغه أحوالنا . وكان بشر يقول يأمير القراء سيحوا تعبطوا فان الماء إذا كثرت بكته في موضع تغير وقيل قال بعضهم عند هذا الكلام صرخوا حتى لا تسمع فإذا أدام الريد سير الباطن ينقطع مسافة النفس الأمارة بالسوء حتى قطع منازل آفاتنا

الموصل كالنهر وقوة اليد الاستفادة بالعداء الحرام ولو امتنع عن الشرب بالكوز لأن صانع القفار البدي  
عمل الكوز كان قدعصى الله يوما بضرب إنسان أو شتمه لكان هذا وسواسا ولو امتنع من لحم شاة  
سائها أكل حرام فهذا أيضا من يد السجان لأن الطعام يسوقه قوة السجان والشاة تسمى بنسبها والسائق  
بتمتعها عن العدول في الطريق فقط فهذا قريب من الوسواس فانظر كيف تدرجنا في بيان ما تدعى إليه  
هذه الأمور . واعلم أن كل هذا خارج عن فتوى علماء الظاهر فإن فتوى الفقيه تخص بالدرجة الأولى  
التي يمكن تكليف عامة الخلق بها ولو اجتمعوا عليه لم يخرجه العالم دون مساعدته من ورع الثقلين  
والصالحين والفتوى في هذا ماقاله عليه السلام « لو ايسة إقالة » استفت قلبك « وإن أتوك وأتوك وأتوك »  
وعرف ذلك بإقالة « الإنم حراز القلوب (١) » وكل ما حاك في صدر الريدمن هذه الأسباب فلوا قدم عليه  
مع حراز القلب استغربه وأعلم قلبه بقدر الحراز الذي يجدها بل لو أقدم على حرام في علمه وهو يظن أنه  
حلال لم يؤثر ذلك في قساوة قلبه ولو أقدم على ما هو حلال في فتوى علماء الظاهر ولكنه يجد حزارة  
في قلبه فذلك يضربه وإنما الذي ذكرناه في النبي عن ابنة أزدنا به أن القلب الصافي للشدل هو  
الذي لا يجد حزارة في مثل تلك الأمور فان مال قلب موسى عن الاعتدال ووجد الحزارة فأقدم مع  
ما يجد في قلبه فذلك يضربه لأنه مأخوذ في حق نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه وكذلك يشد على  
الأموس في الطهارة ونية الصلاة فانه إذا غلب على قلبه أن الله لم يصل إلى جميع أجزائه ثلاث مرات  
لنية الوسوسة فيجب عليه أن يستعمل الرابعة وصار ذلك حكما في حقه وإن كان محظا في نفسه أو لترك  
قوم شدوا وفسدوا فذهب عليهم ولذلك شد على قوم موسى عليه السلام لما استقصوا في السؤال عن البقرة  
ولو أخذوا أولا بمصوم لفظ البقرة وكل ما ينطلق عليه الاسم لأجرهم ذلك فلا تقفل عن هذه الدقائق  
التي رددناها نثيا وإثباتا فان من لا يطلع على كنه الكلام ولا يحيط بمجاميعه يوشك أن يزل في درك  
مقاصده . وأما العصية في العوض فله أيضا درجات . الدرجة العليا : التي تشتد الكراهة فيها أن  
يشترى شيئا في النعمة ويقضى عنه من غصب أموال حرام فينظر فان سلم إليه البائع الطعام قبل قبض  
التمن يطيب قلبه فأكله قبل قضاء التمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالإجماع أعني قبل قضاء التمن ولا  
هو أيضا من الودع المؤكد فان قضى التمن بعد الأكل من الحرام فكأنه لم يقض التمن ولو لم يقضه  
أصلا لكان يتفقدنا للأظلمة بترك ذمته مرتبة الدين ولا يتقلب ذلك حراما فان قضى التمن من الحرام  
وأبرأه البائع العلم بأنه حرام قد عبرت ذمته ولم يبق عليه إلا مظلمة تصرفه في الفرام الحرام بصرفها  
إلى البائع وإن أبرأه على ظن أن التمن حلال فلا يحصل البراءة لأنه يبره بما أخذه إبراء استيفاء ولا  
يصالح ذلك للإبراء هذا حكم المشتري والأكل منه وحكم الذمة وإن لم يسلم إليه بطيب قلب ولكن  
أخذه فأكله حرام سواء أكله قبل توفية التمن من الحرام أو بعده لأن الذي تسمى الفتوى به ثبوت  
حق الحبس للبائع حتى يضمن ملكه بإقباض التقد كاتمين ملك المشتري وإنما يطل حق حبسه إما بالإبراء  
أو الاستيفاء ولم يجرع مني منها ولكنه أكل ملك نفسه وهو عاص به عيان الراهن للطعام إذا أكله  
غيره إذن المرتين وبينه وبين أكل طعام التفرق ولكن أصل التحريم شامل لهذا كله إذا قبض قبل  
توفية التمن إما بطيبة قلب البائع أو من غير طيبة قلبه فاما إذا قبض التمن الحرام أو لا ثم قبض فان كان البائع  
عالما بأن التمن حرام ومع هذا أقبض للبيع بطل حق حبسه وبقي له التمن في ذمته إنما أخذه ليس يضمن ولا  
يصير أكل البيع حراما بسبب بقا التمن فأما إذا لم يعلم أنه حرام وكان بحيث لو علم لما رضى به ولا أقبض  
البيع فحق حبسه لا يطل بهذا التلبس فأكله حرام محرم بأكمله الرهون إلى أن يبره أو يوفي من حلال

(١) حديث الإنم حراز القلوب تقدم في العلم .

وبدل أخلاقها  
للمدومة بالمعصية  
وعاقب الإقبال على  
الله تعالى بالسوق  
والإخلاص اجتمع له  
المتفرقات واستغاد في  
حضره أكثر من سفره  
لكون السفر لا يغلو  
من متاعب وكلف  
ومشوات وطوارق  
ونوازل يتجدد الضعف  
عن سياستها بالعلم  
لضفاء ولا يقدر على  
تسليط العالم على  
متجددات السفر  
وطوارهق إلا الأقوياء  
قال عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه لذي  
ركب عنده رجلا : هل  
صحبته في السفر الذي  
يستدل به على مكلم  
الأخلاق قال لا قال  
ما أراك تعرفه فاذا  
حفظ القبعده ببداية  
أمره من تشويش  
السفر وتمعن بجمع الملم  
وحسن الإقبال في  
الحضر وساق إليه من  
الرجال من أكتب  
به صلاح الحال قد

أورضى هو بالحرام ويرى فيصح إيراؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه وبان المحكم في الدرجة الأولى من الحل والحرمه فأما الامتناع عنه فمن الورع اللهم لأن للمصيبة إذا تمكنت من السبب للوصول إلى الشيء تشدد الكراهية فيه كالسبق وأقوى الأسباب للوصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضى البائع بتسليمه إليه فراضاه لا يخرج عن كونه مكروها كراهية شديدة ولكن العدالة لا تخبر به وتزول بدرجة التقوى والورع ولو اشترى سلطان مثلاً ثوباً أو أراضاً في القمعة وقبضه برضا البائع قبل توفية الثمن وسله إلى قيمه أو غيره صلة أو خلمة وهو شك في أنه يفتنى عنه من الحلال أو الحرام فهباً أخلف إذ وقع الشك في تطرق المصيبة إلى الثمن وتفاوتت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقتله في مال ذلك السلطان وما يغلب على الظن فيه وبعضه أهدمن بعض والرجوع فيه إلى ما ينقدح في القلب . الرتبة الوسطى : أن لا يكون الموضع غصبا ولا حرما ولكن نبأ لمصيبة كالوسم عوضا عن الثمن عينا والأخذ شارب الجر أو سيفا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحرما في مبيع اشتراه في القمعة ولكن يقتضى فيه كراهية دون الكراهية التي في الغصب وتفاوت درجات هذه الرتبة أيضا بتفاوت غلبة المصيبة على قابض الثمن وتدوره ومهما كان الموضع حرما فبذلك حرام وإن احتمل تحرره ولكن أصبح بظن فذلك مكروه وعليه يترك عندى النبي عن كسب الحجام وكراهته (١) إنهى عنه عليه السلام مرات ثم أمر بأن يعلف الناضح (٢) ومسبق إلى اليوم من أن سبه مباشرة التجاسة والقدر فاسد إذ عجب طرده في البغ والكاس والأقارب وإن قيل به فلا يمكن طرده في القصاب إذ كيف يكون كسبه مكروها وهو يدل عن اللحم والجمع في نفسه غير مكروه وعامة القصاب الجباسة أكثر منه للحجام والقتاد فان الحجام يأخذهم بالحجم فيجسمه بالطننة ولكن السبب أن في الحجامنة والتعدي تحريم بيتا الحيوان وأخرجا لده وبه قوام حياته والأصل فيه التحريم وإنما عمل بضرورة وتعلل الحاجة والضرورة بحس واجتهاد وربما يظن ناقصا ويكون ضارا فيكون حراما عند الله تعالى ولكن يحكم بحله بالظن والحس ولذلك لا يجوز للقصاب ضده صدى وعبد ومعتوه إلا بإذن وليه وقول لطيب ولولا أنه حلال في الظاهر لما أعطى عليه السلام أجره للحجام (٣) ولولا أنه يحتمل التحريم لما نهى عنه فلا يمكن الجمع بين إعطائه ونهيه إلا باستبطاط هذا المعنى وهذا كان ينبغي أن نذكره في القرائن والقرون بالسبب فانه أقرب إليه . الرتبة السفلى : وهي درجة للوسوسين وذلك أن يحلف إنسان على أن لا يلبس من غزل أمه فباع غزلها واشترى به ثوبا فهذا لا كراهية فيه والورع عنه وسوسة وروى عن القنبرة أنه قال في هذه الواقعة لا يجوز واستشهد بأن النبي ﷺ قال ولئن الله اليهود حرمت عليهم الخمر فباعوها أو أكلوا أمثالها (٤) وهذا غلط

(١) حديث النبي عن كسب الحجام وكراهته ابن ماجه من حديث أبي مسعود الأنصاري والنسائي من حديث أبي هريرة بإسنادين صحيحين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجام واللبزى من حديث أبي جعيفة نهى عن غن الدم ولمس من حديث رافع بن خديج كسب الحجام خبيث (٢) حديث نهى عنه مرات ثم أمر بأن يعلف الناضح أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث محبة أنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في إجارة الحجام فنهاه عن أن يترك يسأل ويستأذن حتى قال ألقنه ناضحا وأطمعه رقيقا وفي رواية لأحمد أنه زجره عن كسبه قال ألا أطمعه أينما لي قال لا قال ألا أطمعه قال لا فرخص له أن يعلفه ناضحه (٣) حديث أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أجره الحجام متفق عليه من حديث ابن عباس (٤) حديث القنبرة أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن اليهود إذ حرمت عليهم الخمر فباعوها لم أجده هكذا والمرفوع أن ذلك في الشحوم ففي الصحيحين من حديث جابر قال قال الله اليهود إن الله لما حرمت عليهم شحوا ما جعلوا مائة كواكبه .

أحسن إليه . قيل في تفسير قوله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - هو الرجل للقطع إلى الله فيشكل عليه شيء من أمر الدين فيعت الله إليه من عمل إشكاله فإذا ثبت قسمه على شروط البداية رزق وهو في القام من غير سفر ثمزات النهاية فيستغرق المحضراتها وابتداء وأقيم في هذا القام جمع من الصالحين وأما الذي أدام السفر فرأى صلاح قلبه وصحة حاله في ذلك يقول بعضهم اجتهد أن تكون كل ليلة صيف مسجداً لآيات الإين منزلين . وكان من هذه الطبقة إبراهيم الخواص ما كان يقيم في بلد أكثر من أربعين يوما وكان يرى إن أقام أكثر من أربعين يوما يغسد عليه توكله فكان علم الناس

لأن بيع الخمر باطل إذ لم يبق للخمر منفعة في الشرع وتبين البيع الباطل حرام وليس هذا من ذلك بل مثال هذا أن يملك الرجل جارية هي أخته من الرضاع فتباع بجارية أجنبية فليس لأحد أن يتورع منه وتشبيه ذلك ببيع الخمر غاية السرف في هذا الطرف وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدريج فيها وإن كان تفاوت هذه الدرجات لا ينحصر في ثلاث أو أربع ولا في عدد ولكن المقصود من التمهيد والتبويب . فإن قيل قد قال صلى الله عليه وسلم « من اشترى ثوبا بشرة دراهم فيها درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما كان عليه »<sup>(١)</sup> ثم أدخل ابن عمر أصابعه في أذنيه وقال صمتا إن لم أكن سمعته منه . قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بشرة يبيعها لأخي الدمة وإذا اشترى في الدمة فقد سكتنا بالتحريم في أكثر الصور فليحمل عليها ثم كم من ملك يتوعد عليه يمنع قبول الصلاة لمصية تطرقت إلى سببه وإن لم يدل ذلك على فساد العقد المشتري في وقت البدء وغيره .

( المثار الرابع الاختلاف في الأدلة )

فإن ذلك لا اختلاف في السبب لأن السبب سبب لحكم الحل والحرمه والدليل سبب لمعركة الحل والحرمه فهو سبب في حق المعرفة ومالم يثبت في معرفة التفسير فلا فائدة لثبوته في نفسه وإن جرى سببه في علم الله وهو إما أن يكون لتعارض أدلة الشرع أو لتعارض الصلوات الدالة أو لتعارض التشابه . القسم الأول : أن تتعارض أدلة الشرع مثل تعارض عموميين من القرآن أو السنة أو تعارض تبيين أو تعارض قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك ويرجع فيه إلى الاستصحاب أو الأصل للمعلوم قبله إن لم يكن ترجيح فإن ظهر ترجيح في جانب الحذر وجب الأخذ به وإن ظهر في جانب الحل جاز الأخذ به ولكن الورع تركه واتقاء مواضع الخلاف مهم في الورع في حق التقي والمقلد وإن كان المقلد يجوز له أن يأخذ بما أفتاه مقلده الذي يظن أنه أفضل علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف أفضل أطباء البلد بالتسامع والقرآن وإن كان لا يحسن الطب وليس للمستفتي أن ينتقد من للذهب أو سخطا عليه بل عليه أن يبحث حتى يغلب على ظنه الأفضل ثم يتبعه فلا يخالفه أصلا ، نعم إن أفتى له إمامه شيء وإمامه فيه مخالف فالمرار من الخلاف إلى الإجماع من الورع لا يؤكد وكذا المجتهد إذا تعارضت عنده الأدلة ورجح جانب الحل بحسب وتعمين وظن فالورع له الاجتناب فلقد كان الفتون يفتون بعل أشياء لا يقدمون عليها قط تورعا منها وحذرا من الشبهة فيها فلنقسم هذا أيضا على ثلاث مراتب . الرتبة الأولى : ما يتأكد الاستصحاب في التورع عنه وهو ما يورى فيه دليل المخالف ويقع وجه ترجيح المذهب الآخر عليه فمن المهمات التورع عن فريسة الكسب للعلم إذا أكل منها وإن أفتى للفتي بأنه حلال لأن الترجيح فيه فامض وقد اخترنا أن ذلك حرام وهو أقوي قول الشافعي رحمه الله ومهما وجد للشافعي قول جديد موافق للمذهب أفي حنفية رحمه الله وغيره من الأئمة كان الورع فيه مهما وإن أفتى للفتي بالقول الآخر ومن ذلك الورع عن متروكة التسمية وإن لم يخالف فيه قول الشافعي رحمه الله لأن الآية ظاهرة في إيجابها والأخبار متواترة فيه فانه صلى الله عليه وسلم قال لكل من سأله عن الصيد « إذا أرسلت كلبك العلم وذكرته عليه اسم الله فكل »<sup>(٢)</sup> ونقل ذلك على التكرار وقد شهر الدين بالبسطة<sup>(٣)</sup> وكل ذلك يقوى دليل الاشتراط

- (١) حديث من اشترى ثوبا بشرة دراهم الحديث تقدم في الباب قبله (٢) حديث إذا أرسلت كلبك وذكرته اسم الله فكل متفق عليه من حديث عدي بن حاتم ومن حديث أبي ثعلبة الحنفي
- (٣) حديث التسمية على الدين متفق عليه من حديث رافع بن خديج ما أخره الدم وذكر اسم الله عليه فكوا ليس السن والظفر .

ومعرقهم بإياه براء سببا ومعلوما . وحكى عنه أنه قال مكثت في البادية أحد عشر يوما لم أكل وتطلعت نفسي أن أكل من حشيش البر فرأيت الحذر مقبلا نحوي فهرت منه ثم التفت فإذا هو رجع عن قبيل لم هربت منه قال تشوقت نفسي أن يبيئني فهوؤلاه . القرارون بدنيهم . أخيرا أبو زرعة طاهر ابن الحافظ أبي الفضل القدسي عن أبيه قال أنا أبو بكر أحمد بن علي قال أنا أبو عبد الله بن يوسف بن ناموية قال ثنا أبو محمد الزهري القاضي قال ثنا محمد بن عبد الله بن أسباط قال ثنا أبو نعيم قال ثنا محمود بن عيسى ابن مسلم عن عثمان ابن عبد الله بن أوس عن سليمان بن هرمز عن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أحب شيء إلى الله التبراء »

ولكن لما صح قوله صلى الله عليه وسلم «لا يؤمن يذبح على اسم الله تعالى مسمى ولم يسم» (١) واحتدل أن يكون هذا عاما موجبا لعرف الآية وسائر الأخبار عن ظواهرها ويحتمل أن يخص هذا بالناس ويترك الظواهر ولا تأويل وكان حمله على الناس ممكنا تمجيذا لعلمه في ترك التسمية بالنسب وكان تمعيه وتأويل الآية ممكنا إمكانا أقرب رجحنا ذلك ولا تنكر رفع الاحتال القابل له فالورع عن مثل هذا مهم واقف في الدرجة الأولى . الثانية : وهي مزاحمة للدرجة الوسواس أن يتورع الإنسان عن أكل الجبن الذي يصادف في بطن الحيوان للذبح وعن الضب وقد صح في الصحاح من الأخبار حديث الجبن إن ذكاته ذكاة أمه (٢) صحة لا يتطرق احتال إلى متنه ولا نصف إلى سنده وكذلك صح أنه أكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وقد قل ذلك في الصحيحين وكذا ظن أن أباحيفة لم تبلغه هذه الأحاديث ولو بلغته لقال بها إن أنصف وإن لم ينصف منصف فيه كان خلافه غلطا لا يمتد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف وعلم الشيء بخبر الواحد . الرتبة الثالثة : أن لا يشتر في الشلثة خلاف أصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر الواحد فيقول القائل قد اختلف الناس في خبر الواحد فتمهم من لا يقبله فأنا أتورع فإن الثقة وإن كانوا عدولا فالغلط جائز عليهم والكذب لقرض حتى جائز عليهم لأن المدل أيضا قد يكذب والوهم جائز عليه فإنه قد يسبق إلى صميم خلاف ما يقوله القائل وكذا إلى فهمهم فهذا ورع لم يقبل مثله من الصحابة فبا كانوا يسمونه من عدل تكن قومهم إليه وأما إذا تطرقت شبهة بسبب خاص ودلالة معينة في حق الزاوي فالتوقف وجه ظاهر وإن كان عدلا . وخلاف من خالف في أخبار الآحاد غير معتد به وهو تكلاف النظام في أصل الإجماع وقوله إنه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع أن ينتعج الإنسان من أن يأخذ ميراث الجد أبي الأب ويقول ليس في كتاب الله ذكر لأبوين وإلحاق ابن الابن بالأب بجامع الصحابة وهم غير مصومين والغلط عليهم جائز إذ خالف النظام فيه وهذا هوس ويشدعي إلى أن يترك ماعلم بصوميات القرآن إذ من التمكن من ذهب إلى أن الصوميات لاحضة لها وإنما يحتج بها فهم الصحابة منها بالقرائن والدلالات وكل ذلك وسواس فاذن لاطرف من أطراف الشبهات إلا وفيها غلو وإسراف فليتهم ذلك ومهما أشكل أمر من هذه الأمور فليست في القلب وليدع الورع ما يريه إلى ماله بريه وليترك حزاز القلوب وحكايات الصدور وذلك يختلف

(١) حديث المؤمن يذبح على اسم الله مسمى أو لم يسم قال الصنف إنه صح . قلت لا يرفع بهذا اللفظ فضلا عن محته ولأبي داود في الرسائل من رواية الصلت مرفوعا ذبيحة للسلل حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر ولا طبراني في الأوسط والدارقطني وابن عدى والبيهقي من حديث أبي هريرة قال رجل يارسل الله الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى الله فقال اسم الله على كل مسلم قال ابن عدى منكر والدارقطني والبيهقي من حديث ابن عباس للسلل بكفيه اسمه فإن نسي أن يسمى حين يذبح فاقسم وليذكر اسم الله ثم يأكل فيه محمد بن سنان منعه الجمهور (٢) حديث ذكاة الجبن ذكاة أمه قال الصنف إنه صح لا يتطرق احتال إلى متنه ولا نصف إلى سنده وأخذ هذا من إمام الحرمين فإنه كذا قال في الأساليب والحديث رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الاستاد وليس كذلك وللطبراني في الصغير من حديث ابن عمر بسند جيد وقال عبد الحق لا يحتج بأسانيدها كلها (٣) حديث أكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصنف هو في الصحيحين وهو كما ذكره من حديث ابن عمر وابن عباس وخالد بن الوليد .

قبل من القرباء ؟ قال

الفرارون بدينهم

يحتمون إلى عيسى

ابن مريم يوم القيامة

وهذه كلها أحوال

اختلفت واتبع أربابها

الصحة وحسن النية

مع الله وحسن النية

يقضى الصدق

والصدق لينة محمود

كيف تخليت الأحوال

فمن سافر يبنى أن

يتفقد حاله وصح

نيتيه ولا يقدّر على

تخليص النية من

شوائب النفس إلا

كثير العلم تام التقوى

وافر الحظ من الزهد

في الدنيا ومن انطوى

على هوى كامن ولم

يستقم في الزهد

لا يقدّر على تصحيح

النية قد يدعوه إلى

السفر نشاط جبلي

هشاني وهو يظن أن

ذلك داعية الحق ولا

يميز بين داعية الحق

وداعية النفس

وحجّاج الشخص في

علم صحة النية إلى العلم



بالأشخاص والوقائع ولكن ينبغي أن يحفظ قلبه عن دواعي الوسواس حتى لا يمحى إلا بالحق فلا ينطوي على حرازة في مظان الوسواس ولا يغلو عن الحرازة في مظان السكراة وما أعز مثل هذا القلب وقد لُحِدَ عليه السلام كل أحد إلى قوى القلب وإنما قال ذلك لوابسة لما كان قد عرف من حاله (١) . القسم الثاني : تعارض العلامات الدالة على الحل والحزمة فانه قد ينهب نوع من اللتاع في وقت ويندر وقوع مثله من غير التهب فيرى مثلاً في يد رجل من أهل الصلاح فيدل صلاحه على أنه حلال ويدل نوع اللتاع وتدوره من غير التهب على أنه حرام فيتعارض الأمران وكذلك يجبر عدل أنه حرام وآخر أنه حلال أو تتعارض شهادة فاسقين أو قول صبي والمثلثان يظهر ترجيح حكمه بالورع والاجتناب وإن لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسبب تفصيله في باب التعرف والبحث والسؤال . القسم الثالث : تعارض الأشياء في الصفات التي تناطحها الأحكام . مثاله أن يوصى بمال للفقهاء فيعلم أن الفاضل في الفقه داخل فيه وأن الذي ابتدأ التعلم من يوم أو شهر لا يدخل فيه وبينهما درجات لا تحصى يقع الشك فيها فالقضى يقع بسبب الظن والورع والاجتناب وهذا أغض مشتات الشبهة فإن فيها صوراً يتجبر للفتى فيها تحجراً لازماً لاحية له فيه إذ يكون التصف بصفة في درجة متوسطة بين الدرجتين للفتايتين لا يظهر له سبيله إلى أحدهما وكذلك الصدقات المرسوقة إلى المحتاجين فإن من لا شيء له معلوم أنه محتاج ومن له مال كثير معلوم أنه غنى ويتصدى بينهما مسائل غامضة كمن له دار وأثاث وثياب وكتب فإن قدر الحاجة منه لا يتبع من الصرف إليه والفاضل يتبع والحاجة ليست معدودة وإنما تدرك بالقرئب ويتعدى منه النظر في مقادير ما دار وأثنيها ومقدار قيمتها لكونها في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار دونها وكذلك في نوع أثاث البيت إذا كان من الصغر لا من الخرف وكذلك في عددها وكذلك في قيمتها وكذلك فيما يحتاج إليه كل يوم وما يحتاج إليه كل سنة من آلات الشتاء وما يحتاج إليه إلا في سنين وشئ من ذلك لا خدله والوجه في هذا ما قاله عليه السلام « مع ما يريك إلى ما لا يريك » (٢) وكل ذلك في محل الرب وإن توقف للفتى فلا وجه إلا التوقف وإن أفق للفتى بظن وتخمين فالورع التوقف وهو أهم وواقع الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الأقارب وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال إذ فيه طرفان يعلم أن أحدهما قاصر وأن الآخر زائد وبينهما أمور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال والطلع على الحاجات هو أنه تعالى وليس للبشر وقوف على حدودها فما دون الرطل السكى في اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلاثة أرطال زائد على الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حد فليتع الورع ما يريه إلى ما لا يريه وهذا جار في كل حكم ينط سبب يعرف ذلك السبب بلفظ العرب إذ العرب وسائر أهل اللغات لم يقدروا امتصينات اللغات بحدود محدودة تنقطع أطرافها عن مقابلاتها كلفظ السنة فانه لا يعتمد مادونها وما فوقها من الأعداد وسائر أرقام الحساب والتقدير فليس ألفاظ القنوية كذلك فلا تعلق في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ويتطرق الشك إلى أوساط في مقتضياتها تدور بين أطراف متقابلة فتعظم الحاجة إلى هذا الفن في الوصايا والأوقاف فالوقوف على الصوفية مثلاً مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ هذا من القوامض فكذلك سائر الألفاظ وسنشير إلى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص

(١) حديث لم يرد كل أحد إلى قوى قلبه وإنما قال ذلك لوابسة وتقدم حديث وإبسة وروى

الطبراني من حديث وإبسة أنه قال ذلك لوابسة وفيه العلام بن ثعلبة مجهول .

(٢) حديث دع ما يريك إلى ما لا يريك في الباب قبله .

بعرفة الخواطر وشرح  
الخواطر وعليها يحتاج  
إلى باب مفرد نفسه  
ونومى الآن إلى ذلك  
يرمز بذكره من نازله  
شئ من ذلك فأكثر  
الفقراء من علم ذلك  
ومعرفة على حد .  
اعلم أن ما ذكرناه من  
نشاط النفس واقع  
للفقير في كثير من  
الأمر قد يجد الفقير  
الروح بالخروج إلى  
بعض الصحارى  
والبساتين ويكون  
ذلك الروح مضراً به  
في ثانی الحال وإن كان  
يتراءى له طية القلب  
في الوقت وسبب طية  
قلبه في الوقت أن النفس  
تتسع وتتسع يولوج  
غرضها وتيسر يسير  
هواها بالخروج إلى  
الصحراء والتزه وإذا  
انتمت بدت عن  
القلب وتحت عنه  
متشوقة إلى متعلق  
هواها فيتروح القلب  
للاصحراء بل يمد  
النفس منه كشخص

يلم به طريق التصرف في الألفاظ وإلا فلا مطمع في استيفائها فهذه اشتباهاً شور من علامات متعارضة تجذب إلى طرفين متقابلين وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابها إذا لم ترجح جانباً لمحل بدلالة قلب على الظن أو باستصحاب بموجب قوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريك إلى ما لا يريك» وبوجوب سائر الأدلة التي سبق ذكرها فهذه ماثرات الشبهات وبعضها أشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء واحد كان الأمر أغلظ مثل أن يأخذ طعاماً مختلفاً فيه عوضاً عن عنب باعه من خمار جند النداء يوم الجمعة والبيع قد خالط ماله حرام وليس هو أكثر ماله ولكنه صار مشتهياً به فقد يؤدي ترادف الشبهات إلى أن يشتد الأمر في اقتحامها فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها لما اتضح من هذا التشرح أخذ به وما التيسر فلينجنب فإن الإثم حراز القلب وحيث قضينا باستثناء القلب أردنا به حيث أبلغ القبح أماحت حرمه فيجب الامتناع ثم لا يمول على كل قلب قرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطمئن إلى كل شيء ولا اعتبار بهذين القليبين وإنما الاعتبار بقلب العالم الموفق الرقيب لدقائق الأحوال وهو الحكم الذي يمتنع به خفاء الأمور، وما أعز هذا القلب في القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه فليتنس التور من قلب بهذه الصفة وليمرض عليه واقته، وجاء في الزبور: إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام قل لبي إسرائيلي إني لأنظر إلى صلاتكم ولا صياحكم ولكن أنظر إلى من شك في شيء فتركه لأجل فذلك الذي أنظر إليه وأؤيده بصري وأباهي به ملائكتي.

(الباب الثالث: في البحث، والسؤال، والهجوم، والإجماع ومظانها)

اعلم أن كل من قدم إليك طعاماً أو هدية أو أردت أن تشتري منه أو تبيع فليس لك أن تفتش عنه وتساءل وتقول هذا مما لا أحقق حله فلا أخذه بل أفتش عنه وليس لك أيضاً أن تترك البحث فتأخذ كل ما لا تتيقن نحرجه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب مرة ومكروه مرة فلا بد من تفصيله، والقول الثاني فيه هو أن مظنة السؤال مواقع الريبة ومنقأ الريبة ومثارها إما أمر يتعلق بالمال أو يتعلق بصاحب المال.

(المبار الأول أحوال المالك)

وله بالإضافة إلى معرفتك ثلاثة أحوال إما أن يكون مجهولاً أو مشكوكاً فيه أو معلوماً بنوع ظن يستند إلى دلالة. الحالة الأولى: أن يكون مجهولاً والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظنه كزكري الأجناد ولا ما يدل على صلاحه ككتاب أهل التصوف والتجارة والمعلم وغيرها من العلامات فإذا دخلت قرية لا تعرفها قرأت رجلاً لا تعرف من حاله شيئاً ولا عليه علامة تنسبه إلى أهل صلاح أو أهل فساد فهو مجهول وإذا دخلت بلدة غريبة ودخلت سوقاً ووجدت رجلاً خائفاً أو قسماً أو غيرهم ولا علامة تدل على كونه مريباً أو خائناً ولا ما يدل على نفيه فهو مجهول ولا يدري حاله ولا قول إن مشكوك فيه لأن الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان وأكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين المالا يدري وبين ما يشك فيه وقد عرفت مما سبق أن الورع ترك المالا يدري. قال يوسف بن أبسب من منذ ثلاثين سنة ما حاك في قلبي شيء إلا تركته وتكلم جماعة في أشق الأعمال فقالوا هو الورع فقالوا لهم حسان بن أنس أن ما شئ عند أسهل من الورع إذا حاك في صدري شيء تركته فهذا شرط الورع وإنما تذكر لأن حكم الظاهر، فتقول حكم هذه الحالة أن المجهول إن قدم إليك طعاماً أو حمل إليك هدية أو أردت أن تشتري من دكانه شيئاً فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلماً دلالتان كافيتان

(الباب الثالث: في البحث والسؤال)

يباعد عنه قرن يستقله ثم إذا عاد الفقيه إلى زاويته واستفتح ديوان معاملته وميز همتور حاله يجد النفس مقارئة للقلب بمزيد تسهل موجب ثبرمه بها وكما ازداد قهراً تكدر القلب وسبب زيادة قهراً استرسالها في تناول هواها فيصير الخروج إلى الصحراء عين النداء ويظن الفقير أنه ترويح ودواء فلو صبر على الوحدة والحلوة ازدادت النفس ذوباناً وخفت ولطفت وصارت قرناً صالحاً لقلب لا يستقلها وعلى هذا يقاس التروح بالأسفار فلفنس وثبات إلى توهم الروحيات فمن فطن لهذه الحقيقة لا يتر بالروحيات للسمارة التي لا تحمد عاقبتها ولا تؤمن غائلتها ويتبنت عند ظهورها خطر السفر ولا يكثر بالخطاير بل يطرعه بسدم الالتفات

في المهجوع على أخذه ، وليس لك أن تقول القصاد والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا السلم بينه وإن بعض الظن إنهم وهذا السلم يستحق بإسلامه عليك أن لاتسى الظن به فإن أمأت الظن به فيعنه لأنك رأيت فسادا من غيره قد جنبت عليه وآمنت به في الحال تهدا من غير شك ولو أخذت اللال لكان كونه حراما مشكوكا فيه ويدل عليه أنا نعلم أن الصحابة رضی الله عنهم في غزواتهم وأسفارهم كانوا يتنزلون في القرى ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولا يجتازون من الأسواق وكان الحرام أيضا موجودا في زمانهم وماتل عنهم سؤال الإعران رية إذا كان صلى الله عليه وسلم لايسأل عن كل ما يحمل إليه بل يسأل في أول قدمه إلى المدينة عما يحمل إليه أصدقاء أم هدية (١) لأن قربنة الحال تدل وهو دخول المهاجرين للمدينة وهم قراء قلب على الظن أن ما يحمل إليهم بطريق الصدقة ، ثم إسلام للمطلى ويده لا يدلان أنه ليس بصدقة ، وكان يدعى إلى الضيافات فيجب ولا يسأل أصدقاء أم لا (٢) إذ العادة ما جرت بالتصدق بالضيافة ، ولذلك دعت أم سنب (٣) ودعاء الحياط (٤) كما في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه وقدم إليه طعاما فيه قرع ، ودعاء الرجل الفارس قال عليه الصلاة والسلام وأنا وعائشة قال لا تقال فلا ثم أجابه بعد فقنبح هو وعائشة ينساو وكان يقرب إليهما إهالة (٥) ولم يثقل السؤال في شيء من ذلك ، وسأل أبو بكر رضي الله عنه عبده عن كسبه لما رآه من أمره ، وسأل عمر رضي الله عنه الذي سقا من لبن إبل الصدقة إذ رآه وكان أعجبه طعمه ولم يكن على ما كان يأفقه كل مرة وهذه أسباب الرتبة وكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا بآبائه من غير تفتيش بل رأى في داره تجملا ومالا كثيرا فليس له أن يقول الحلال عزوهذا كفى في أن يجتمع هذا من الحلال بل هذا الشخص بينه يحتمل أن يكون ورث مالا أو اكتسبه فهو بينه يستحق إحسان الظن به ، وأزيد على هذا وأقول ليس له أن يسأله بل إن كان يتورع فلا يدخل جوفه إلا ما يدري من أن هو فهو حسن فليتلطف في الترك وإن كان لا بد له من أكله فليأكل كل بغير سؤال إذ السؤال إيذاء وهتك ستر وإعماش وهو حرام بلا شك . فان قلت لله لا يتأذى فأقول لله لا يتأذى فأنت تسأل حذرا من لعل فان قصت فلفل ماله حلال وليس الاتم المهدور في إيذاء مسلم بأقل من الاتم في أكل الشبهة والحرام والغالب على الناس الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز له أن يسأل من غيره من حيث يدري هو به لأن الإيذاء في ذلك أكثر وإن سأله من حيث لا يدري هو فقيه إساءة ظن وهتك ستر وفيه نجس وفيه تشبث بالنية وإن لم يكن ذلك صريحا وكل ذلك منبى عنه في آية واحدة قال الله تعالى - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يثبت بعثكم بضاً - وكم زاهد جاهل يوحش القلوب في التفتيش ويتكلم السلام الحسن للؤذى وإنما يحسن الشيطان ذلك عنده طلبا للشبهة بأكل الحلال ولو كان باعثه محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم أن يتأذى

(١) حديث سؤاله في أول قدمه إلى المدينة عما يحمل إليه أصدقاء أم هدية أم أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد من حديث سلمان أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم للمدينة أتاه سلمان بطعام فسأله عنه أصدقاء أم هدية الحديث تقدم في الباب قبله من حديث أبي هريرة (٢) حديث كان يدعى إلى الضيافات فيجب ولا يسأل أصدقاء أم لا هذا معروف ومشهور من ذلك في الصحيحين من حديث أبي مسعود الأنصاري في صنع أبي شبيب طعاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاء خامس خمسة . (٣) حديث دعت أم سليم منق عليه من حديث أنس (٤) حديث أنس أن خياط دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم إليه طعاما فيه قرع منق عليه (٥) حديث دعاه الرجل الفارسي فقال أنا وعائشة الحديث مسلم عن أنس .

سيثا ظنه بالنفس  
وتسويلاتها ومن هذا  
القبيل والله أعلم قول  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم «إن الشمس  
تطلع من بين قرني  
الشيطان» فيكون  
للفنس عند طلوع  
الشمس وثبات تستند  
تلك الوثبات والتهنات  
من النفس إلى الزواج  
والطبايع ويطول  
شرح ذلك ويسق  
ومن ذلك القبيل خفة  
مرض الرئص غدوة  
علافة المشيات  
فيشكل اهتزاز النفس  
بعضات القلب ويدخل  
على القبر من هذا  
القبيل آفات كثيرة  
يدخل في سداخل  
باهتزاز نفسه ظنانه  
أن ذلك حكم نهوض  
قلبه وربما يتردى له  
أنه الله يصول والله  
يقول والله يتحرك  
قد ابتلى بنضة النفس  
ووثوبها ولا يتبع هذا  
الاعتناء إلا لأرباب  
القلوب وأرباب الأحوال

أشعمن خوفه على بطنه أن يدخله ما لا يدري وهو غير مؤاخذ بما لا يدري إذ لم يكن ثم علامة توجب الاجتناب فليعلم أن طريق الورع التردد والتجسس وإذا لم يكن بد من الأكل فالورع الأكل وإحسان الظن هذا هو للأوف من الصعابة رضى الله عنهم ومن زاد عليهم في الورع وهو متدبر متدبر وليس يتبع فتن يبلغ أحدهم أحدهم ولا ينفسه ولو اتفق ما في الأرض جميعا كيف • وقد أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام بريرة قليل فإنه صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية (١) ولم يسأل عن الصدق عليها فكان التصديق مجهولا عنده ولم يتبع . الحالة الثانية : أن يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة أوردت رية فتلذذ كصورة رية ثم حكمها . أما صورة الريه فيكون تله على تحريم ما في يده دلالة إيمان خلقت أومن زيه وثابه أومن فيه وقوله ، أما الحلقة فبأن يكون على خلقه الآراء والبواهي وللورع في الظلم وقطع الطريق وأن يكون طويل الشارب وأن يكون الشعر مفرقا على رأسه على ذاب أهل القساد ، وأما الثياب فالتقاء والفسوة وزى أهل الظلم والفساد من الأجناد وغيرهم ، وأما النسل والقول فهو أن يشاهد منه الإقدام على ما لا يحل فإن ذلك يدل على أنه يتساهل أيضا في اللال ويأخذ ما لا يحل فيه مواضع الريه فإذا أراد أن يشتري من مثل هذا شيئا أو يأخذ منه هدية أو يبيع إلى ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه إلا هذه العلامات فيجمل أن يقال اليتمدل على الملك وهذه الدلالات ضئيلة فالإقدام جائز والترك من الورع ويحتمل أن يقال إن اليد دلالة ضئيلة وقد قال بها مثل هذه الدلالة فأوردت رية فالهجوم غير جائز وهو الذي نخاره وتفق به قوله صلى الله عليه وسلم ودع ماريك إلى ما لا يريك (٢) فظاهره أمر وإن كان يحتمل الاجتناب لقوله صلى الله عليه وسلم الإثم حزاز القلوب (٣) وهذا له وقع في القلب لا ينكر ولأن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أمدة هو أو هدية وسأل أبو بكر رضى الله عنه غلامه وسأل عمر رضى الله عنه وكل ذلك كان في موضع الريه وحله في الورع وإن كان ممكنا ولا يعمل عليه إلا ليقاس حكمه والقياس ليس يشهد بتسليم هذا أن دلالة البدو الإسلام وقد عارضتها هذه الدلالات وأوردت رية فإذا خابها فلا استحلال لاستدله وإنما لا يترك حكم البدو الاستصحاب بنك لا يستدل إلى علامة كما إذا وجدنا لواء متغيرا واحتمل أن يكون بطول السكت فإن رأينا ظلية باله فيه ثم احتمل التشير به تركنا الاستصحاب وهذا قريب منه ولكن بين هذه الدلالات خاوت فإن طول الشوارب وليس القيام وهيئة الأجناد يدل على الظلم بالمال أما القول والفعل الخافقان للشرع إن تعلقا بظلم المال فهو أيضا دليل ظاهر كالوصمة بأمر النصب والظلم أو بمقتعد الرأيا فما إذا رآه قد شتم غيره في غصبه أو أتبع نظره امرأة مرت به فهذه الدلالة ضئيلة فكأن من إنسان يتخرج في طلب اللال ولا يكتبب إلا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فليتبين لهذا التفاوت ولا يمكن أن يضبط هذا بعد فليستفد البدي في مثل ذلك قلبه . وأقول إن هذا إن رآه من مجهول فله حكم وإن رآه عن غيره فالورع في الطهارة والصلاة وقراءة القرآن كله حكم آخر إذا تعارضت الدلائل بالإضافة إلى اللال وناسقنا وعاد للرجل كالمجهول وإذ ليست إحدى الدلائل تناسب اللال على الخصوص فكأن من متخرج في اللال لا يتخرج في غيره وكأن من محسن للصلاة والوضوء والقرامة ويأكل من حيث يجدد الحكم في هذه المواضع ما يميل إليه القلب فإن هذا أمر بين البدين رضى الله فلا يبعد أن يباط بسبب غنى لا يظلم عليه إلا هو ورب الأرباب وهو حكم حزاز القلوب لم يتيه لدقيقة أخرى وهو أن هذه الدلالة ينبغي أن تكون بحيث تدل على أن أكثر ماله حرام بأن يكون

وغير أرباب القلب والحال من هذا يجرى وهذه مزية قدم غصنة بالحواشي دون العوام فاعلم ذلك أنه عزز على وأقل مراتب التفراف في مبادئ الحركة للسفر للتصحيح وجه الحركة أن يتدبروا صلاة الاستخارة وصلاة الاستخار لاهمل وإن تبين فقير صفة خاطره أو تبين له وجه الصلحة في السرفريان أوضح من الحاضر فلقوم مراتب في التبيان من العلم بصحة الحاضر وبما فوق ذلك ففي ذلك كله لاهمل صلاة الاستخارة أيناها للجنة ففي ذلك البركة وهو من تعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو العليجب السهروردى إملاء قال أنا أبو القاسم بن حيد الرحمن في كتابه أن أبا سعيد السكجروى أخبرهم

(١) حديث أكله طعام بريرة قليل إنها صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث مع ماريك تقدم في البابين قبله (٣) حديث الإثم حزاز القلوب تقدم في العلم .

جنباً أو عاتل سلطان أو نأحة أو منفة فان دل على أن فيه حراماً قليلاً لم يكن السؤال واجباً بل كان السؤال من الورع . الحالة الثالثة : أن تكون الحالة معلومة بنوع خبره وبحارسة بحيث يوجب ذلك ظناً في حبل المال أو تحريجه مثل أن يصرح صلاح الرجل وديانته وعدائته في الظاهر وجوز أن يكون الباطن بخلافه فهنا لا يجب السؤال ولا يجوز كافي المجهول فالأولى بالإقدام والإقدام هنا أبعد عن الشبهة من الإقدام على طعم المجهول فان ذلك بعيد عن الورع وإن لم يكن حراماً وأما أكل طعم أهل الصلاح فغالب الأنبياء والأولياء قال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل كل إلاطعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى » (١) « فاما إذا علم بالخبرة أنه جندى أو منمن » أو مرب واستغنى عن الاحتدال عليه بالهيئة والشكل والياتب فهنا السؤال واجب لاهالة كافي موضع الريبة بل أولى .

( للثالث ما يستند التشكيق فيه إلى سبب المال في حال المال )

وذلك بأن يخلط الحلال بالحرام كما إذا طرح في سوق أو حمال من طعم غصب واشترأها أهل السوق فليس يجب من يشتري في تلك البلدة وذلك السوق أن يسأل عما يشتريه إلا أن يظهر أن أكثر ما في أيديهم حرام فعند ذلك يجب السؤال فان لم يكن هو الأكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب والسوق الكبير حكمه كحبله والدليل على أنه لا يجب السؤال والتفتيش إذا لم يكن الأغلب الحرام أن الصحابة رضي الله عنهم إبتعنوا من الثراء من الأسواق وفيها دراهم الربا وغلول الفتنية وغيرها وكانوا لا يسألون في كل عقد وإنما السؤال نقل عن آحادهم نادراً في بعض الأحوال وهي محال الريبة في حق ذلك الشخص اللعين وكذلك كانوا يأخذون الضام من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين وربما أخذوا أموالهم واحتمل أن يكون في تلك الضام شيء مما أخفوه من المسلمين وذلك لا يصلح أخذه جازاً بالأخلاق بل يرد على صاحبه عند الشافعي رحمه الله وصاحبه أولى به بالتمسك عند أبي حنيفة رحمه الله ولم ينقل قط التفتيش عن هذا . وكتب عمر رضي الله عنه إلى أذربيجان إنكم في بلاد تدفع فيها البنية فانظروا ذكهم من ميتة أذن في السؤال وأمر به ولم يأمر بالسؤال عن الدراهم التي هي آتمانها لأن أكثر دراهمهم لم تكن آتمان الجلود وإن كانت هي أيضاً تباع وأكثر الجلود كان كذلك وكذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه إنكم في بلاد أكثر تصابيحها الجوس فانظروا الذكي من الميتة فخص بالأكثر الأمر بالسؤال ولا يتضح مقصود هذا الباب إلا بذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها في العادات فلنفرضها [مسألة] شخص معين خالط ماله الحرام مثل أن يباع على دكان طعم منصوب أو مال منسوب ومثل أن يكون القاضي أو الرئيس أو العامل أو القبيح الذي له إدار على سلطان ظالمه أيضاً مال موروث وهدنة أو تجارة أو رجل تاجر يعامل بعمامات صحيحة ويرى أيضاً فان كان الأكثر من ماله حراماً لا يجوز أكل من ضيافته ولا قبول هديته ولا صدقته إلا بعد التفتيش فان ظهر أن المأخوذ من وجه حلال فذاك وإن أترك وإن كان الحرام أقل والمأخوذ مشتبّه فهذا في محل النظر لأنه على رتبة بين الرتبةين إذ قضينا بأنه لو اشتبه ذكية بشر ميتات مثلاً وجب اجتناب الشكل وهذا يشبهه من وجه من حيث إن مال الرجل الواحد كالمصوّر لا سيما إذا لم يكن كثير المال مثل السلطان وبخلافه من وجه إذ الميتة بلم وجودها في الحال بقينا والحرام الذي خالطه ماله بمحتمل أن يكون قد خرج من يده وليس موجوداً في الحال وإن كان المال قليلاً وعظمنا أن الحرام موجود في الحال فهو ومسئلة اختلاط البنية واحد وإن كثر اللال واحتمل أن يكون الحرام غير موجود في الحال فهذا أخف من ذلك ويشبه من وجه الاختلاط بغير محصور كافي الأسواق والبلاد ولكنه أغلظ من اختصاصه بشخص واحد ولا يشك في

(١) حديث لا تأكل إلاطعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى تقدم في الزكاة .

قال أنا أبو عمرو بن  
حسدان قال حدثنا  
أحمد بن الحسين  
الصفوي قال حدثنا  
منصور بن أبي مزاحم  
قال حدثنا عبد الرحمن  
ابن أبي الوالي عن محمد  
ابن السكندر عن جابر  
رضي الله عنه قال كان  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يمتنا  
الاستخارة كما يمتنا  
السورة من القرآن  
قال : إذا هم أحكمكم  
بالأمر أو أزال الأمر  
فليصل ركعتين من  
غير الفريضة ثم يقل  
اللهم إني أستخيرك  
بملك وأستدرك  
بقدرتك وأسألك من  
فضلك العظيم فانك  
تقدر ولا أقدر وتعلم  
ولا أعلم وأنت علام  
الغيوب اللهم إني كنت  
تعلم أن هذا الأمر  
ورسمه بيته خير  
لي في ديني ومعاشي  
ومعادي وعاقبة أمري  
أو قال عاجل أمري  
وأجله فانقره لي ثم

بجره في فيه وإن كنت  
تلمسها إلى مثل ذلك  
فأصرفه عنى وأصرفى  
عنه وأقدر لى الخير  
حيث كان .

[ الباب السابع عشر  
فيما يحتاج إليه الصوفى  
في سفره من الفرائض  
والفرائض ]

فأما من الفقه وإن  
كان هذا يذكر في كتب  
الفقه وهذا الكتاب  
غير موضوع لذلك  
ولكن نقول على سبيل  
الإيجاز فيما يذكر  
في أحكام الشرعية التي  
هي الأساس الذي يبنى  
عليه لابد للصوفى  
للسافر من علم التيمم  
وللحج على الحنفين  
والقصر والجمع في  
الصلاة أما التيمم فجائز  
لهريض والسافر في  
الجبابة والحدث عند  
عدم الماء أو الخوف  
من استعماله تلقا في  
النفس أو المال أو  
زيادة في الأرض على  
القول الصحيح من  
لذهب أو عند حاجته

أن المجوم عليه يمدن الورع جدا ولكن النظر في كونه نفسا مانعا للدلالة وهذا من حيث النقل  
أيضا غامض لتجاذب الأشياء ومن حيث النقل أيضا غامض لأن ما ينقل فيه عن الصحابة من الامتناع  
في مثل هذا وكذا عن التابعين يمكن حمله على الورع ولا يصادف فيه نص على التحريم وما ينقل من  
إقدام على الأكل كما كل أبي هريرة رضي الله عنه طعام معاوية مثلا إن قدر في جملة ما يده حرام فذلك  
أيضا يحمل أن يكون إقدامه بعد التفتيش واستبانة أن عين ما يأكله من وجه مباح فالأفعال في هذا  
ضعيفة الدلالة ومذاهب العلماء المتأخرين مختلفة حتى قال بعضهم لو أعطاني السلطان غنيّا لأخذته وطرده  
الإباحة فيها إذا كان الأكل أيضا حراما مهما لم يعرف عين ما يؤخذ واحتمل أن يكون حلالا واستدل  
بأخذ بعض السلف جوائز السلاطين كما سيأتي في باب بيان أموال السلاطين فأما إذا كان الحرام هو الأكل  
واحتمل أن لا يكون موجودا في الحالم يكن الأكل حراما وإن تحقق وجوده في الحالم كما في مسألة  
اشتياء الدية باليتة فهذا مما لا أدري ما أقول فيه وهو من التشابهات التي تيجر للفقيه لفتها ما مترددة  
بين مشابهة المحصور وغير المحصور والرضية إذا اشتهت بقرية فيها عشر نسوة وجب الاجتناب وإن  
كان يملته فيها عشرة آلاف أحب ويهيئها أعدادا ولو سكت عنها لكانت لا أدري ما أقول فيها ولقد  
توقف العلماء في مسائل هي أوضح من هذه إذ نزل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل رضى صيدا فوقع  
في ملك غيره أليكون الصيد للراى أو لملك الأرض فقال لا أدري فروجع فيه مرات فقال لا أدري  
وكثيرا من ذلك حكينا عن السلف في كتاب العلم فليقطع للفقيه طمعه عن ذلك الحكم في جميع الصور  
وقد سأل ابن المبارك صاحبه من البصرة عن معاملته قوما ياملون السلاطين فقال إن لم ياملوا سوى  
السلطان فلا تعاملهم وإن عاملوا السلطان وغيره فاملهم وهذا يدل على السامعة في الأكل ويحمل  
السامعة في الأكل أيضا وبالجملة فليزعم عن الصحابة أنهم كانوا يهجون بالكليّة معاملة السلاطين والحجاز  
والناجر لخاصة عقد واحد أو فاسدا أو لمالمة السلطان مرة وتقدر ذلك فيه بعد والستة مشكلة في نفسها  
فإن قيل قد روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه رضى فيه وقال خذ ما يطيك السلطان فأما  
بعطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر من الحرام ووصل ابن مسعود رضى الله عنه في ذلك  
فقاله السائل إن لي جاراً لا أعلمه إلا خبيثا يدعوننا أو نحتاج فنفسله فقال إذا دعاك فأجبه وإذا  
احتجت فنفسله فإن لك الهأ وأعليه المأثم وأفق سلمان بمثل ذلك وقد علل على الكثرة وعلل ابن  
مسعود رضى الله عنه بطريق الإشارة بأن عليه المأثم لأنه يعرف ولك الهأ أي تأمت لآمره . وروى  
أنه قال رجل لابن مسعود رضى الله عنه إن لي جاراً يأكل الربا فيدعوننا إلى طعامه أفأتيه فقال نعم  
وروى في ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه روايات كثيرة مختلفة وأخذ الشافعي ومالك رضى الله  
عنهما جواز الخفاء والسلاطين مع العلم بأنه قد خالط ما لهم الحرام . قلنا أما ما روى عن علي رضى  
الله عنه فقد اشتهر له ورعه ما يدل على خلاف ذلك فإنه كان يجتنع من مال بيت المال حتى يبيع سببه  
ولا يكون له إلا قبض واحد في وقت التسليم لا يبدغيه . ولست أنكر أن رخصته صريح في الجواز  
وفسله محتمل للورع ولكنه لو سمع فقال السلطان له حكم آخر فإنه يحكم كثره يكاد يلتحق بما  
لا يحصر وسيأتي بيان ذلك وكذا فعل الشافعي ومالك رضى الله عنهما متعلق بمال السلطان وسيأتي  
حكمه وإنما كالاتنا في آحاد الخلق وأموالهم قريبة من المحرم وأما قول ابن مسعود رضى الله عنه قبل  
إنه إنما تله خواص التيمم وأنه متيف الحفظ والشهور عنه ما يدل على توفى الشبهات إذ قال لا يقول  
أحدكم أخاف وأرجو فإن الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتهيات فدمع ما يركب إلى ما لا يركب  
وقال اجتنبوا الحكماء قبيح الآثم . فإن قيل فلم تأخذ إذا كان الأكل حراما لمجرد الأخذ عن أن

لأخو ليس فيه علامة تدل على تحريمه على الخصوص واليد علامة على الملك حتى إن من سرق مال مثل هذا الرجل قطعت يده والسكينة تدل على أن المال لا يتعلق بالدين فليكن كتاب الظن في طين الشوارع وغالب الظن في الاختلاط بغير محصور إذا كان الأكثروه الحرام ولا يجوز أن يستدل على هذا بضموم قوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريك إلى ما لا يريك» لأنه مخصوص ببعض الواضع بالافتقار وهو أن يريه بعلامة في عين الملك بدليل اختلاط القليل بغير المحصور فإن ذلك يوجب رتبة ومع ذلك قطعتم بأنه لا يحرم . فالجواب أن اليد دلالة ضمنية كالاستصحاب وإنما تؤثر إذا سلت عن معارض قوى فإذا تحققت الاختلاط وتحققنا أن الحرام المختلط موجود في الحال والمال غير خال عنه وتحققنا أن الأكثر هو الحرام وذلك في حق شخص معين يد ب ماله من المحصر ظهر وجوب الإعراض عن مقتضى اليد وإن لم يعمل عليه قوله عليه السلام «دع ما يريك إلى ما لا يريك» لايحق له حمل إذ لا يمكن أن يحمل على اختلاط قليل بخلاف غير محصور إذا كان ذلك موجودا في زمانه وكان لا يده على أى موضع حمل هذا كان هذا في منتهى عمله على التزبه صرف له عن ظاهره بغير قياس فإن تحريم هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاستصحاب والسكينة تأثير في تحقيق الظن وكذا للمحصر وقد اجتمعا حتى قال أبو حنيفة رضى الله عنه لا تجتهد في الألوان إلا إذا كان الطاهر هو الأكثر فانتزعت اجتماع الاستصحاب والاجتهاد بالعلامة وقوة السكينة ومن قال بأخذ أى آية أراد بلا اجتهد بناء على مجرد الاستصحاب فيجوز الشرب أيضا فيلزم التجوز ههنا بمجرد علامة اليد لا يجزى ذلك في بول اشبه بماء إذ لا استصحاب فيه ولا نظره أيضا في ميتة اشبهت بذكاة إذ لا استصحاب في الميتة واليد لا تدل على أنه غير ميتة وتدل في الطعام اللباح على أنه ملك فههنا أربع متعلقات استصحاب وقلة في المختلط أو كثرة وانحصار أو اتساع في المختلط وعلامة خاصة في عين الشيء . يتعلق بها الاجتهاد فمن ينقل عن مجموع الأربعة ربما ينقل قبحه ببعض المسائل بما لا يشبهه حصل مما ذكرناه أن المختلط في ملك شخص واحد إما أن يكون الحرام أكثره أو أقله وكل واحد إما أن يعلم يقين أو يظن عن علامة أو توهم فالسؤال يجب في موضعين وهو أن يكون الحرام أكثره أو أقله معلوما باليقين فهو محل التوقف وتكاد تسير أكثر السلف وضرورة الأحوال إلى الليل إلى الرخصة وأما الأقسام الثلاثة الباقية فالسؤال غير واجب فيها أصلا . مسألة : إذا حضر طعام إنسان علم أنه دخل في يده حرام من أدران كان قد أخذه أو وجه آخر ولا يدري أنه بقي إلى الآن أم لا ؟ فله الأكل ولا يلزمه التنفيس وإنما التنفيس فيه من الورع ولو علم أنه قد بقي منه شيء ولكن لم يدر أنه الأقل أو الأكثر فله أن يأخذ بأنه الأقل وقد سبق أن أمر الأقل بمشكل وهذا يقرب منه . مسألة : إذا كان في يد التولى للخيرات أو الأوقاف أو الوصايا مالان يستحق هو أحدهما ولا يستحق الثاني لأنه غير موصوف بتلك الصفة فهل له أن يأخذ ما يسهل إليه صاحب الوقت نظر فإن كانت تلك الصفة ظاهرة برفقها التولى وكان التولى ظاهر العدالة فله أن يأخذ بغير بحث لأن الظن بالتولى أنه لا يصرف إليه ما يصرفه إلا من المال الذى يستحقه وإن كانت الصفة خفية وإن كان للتولى من عرف حاله أنه يخلط ولا يبالى كيف يفعل فعليه السؤال إذ ليس ههنا بد ولا استصحاب يعول عليه وهو وزن سؤال الرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة والهبة عند ترده فيما لأن اليد لا تخصص الهبة عن الصدقة ولا الاستصحاب فلا ينبى منه إلا السؤال فإن السؤال حيث أسقطناه في الجهول أسقطناه بعلامة اليد والإسلام حتى لو لم يعلم أنه مسلم وأراد أن يأخذ من يده لحامن حيث هو واحتمل أن يكون مجوسيا لم يجزه ما لم يعرف أنه مسلم إذ اليد

إلى الماء الوجود لمسطحه أو عطش دأته أو رقيقته في هذه الأحوال كلها يصل بالتييم ولا إعادة عليه والحافظ من البرد يصل بالتييم ويبيد الصلاة على الأصح ولا يجوز التيمم إلا بشرط الطلب للماء في مواضع الطلب ومواضع الطلب موضع ردة السافر في منزله للاحتياط والاحتشاش ويكون الطلب بعد دخول الوقت والسفر القصير في ذلك الطويل وإن صلى بالتييم مع نيقن الماء في آخر الوقت جاز في الأصح ولا يبيد معها صلى بالتييم وإن كان الوقت باقيا ومعهما توهم وجود الماء بطل تيممه كإدنا طلع ركب أو غير ذلك وإن رأى الماء في أثناء الصلاة لا يبطئ صلاته ولا تتركه الإعادة ويستحب له الخروج منها واستئناف بالوضوء على الأصح ولا يتييم

لاتدل في البينة ولا الصورة تدل على الإسلام إلا إذا كان أكثر أهل البلدة مسلمين فيجوز أن يظن بالقي ليس فيه علامة الكفر أنه مسلم وإن كان الخطأ حكماً فيه فلا ينبغي أن تلبس الواضع التي تشهد فيها اليد والحال بالقي لا تشهد . مسئلة : له أن يشتري في البلدة داراً وإن علم أنها تشتمل على دور منصوبة لأن ذلك اختلاط بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع وإن كان في مكة عشر رباطات خصص بوقتها أرباب للذهب وهو على منهج واحد من جهة تلك المذهب فليس له أن يسكن أبها شاء وبأكل من وقفها بغير سؤال لأن ذلك من باب اختلاط المحصور فلا بد من التمييز ولا يجوز الهجوم مع الإيهام لأن الرباطات وللدارس في البلدة لا بد أن تكون محصورة . مسئلة : حيث جعلنا السؤال من الورع فليس له أن يسأل صاحب الطعام والمال إذا لم يأمن غضبه وإنما أوجبت السؤال إذا تحقق أن أكثر ماله حرام وعند ذلك لا يبالى بغضب مثله إذ يجب إبداء الظالم بأكثر من ذلك والغالب أن مثل هذا لا يغضب من السؤال ، نعم إن كان يأخذ من يد وكيله أو غلامه أو تلميذه أو بعض أهله ممن هو تحت رعايته فله أن يسأل مهما استراب لأنهم لا يفتنون من سؤاله ولأن عليه أن يسأل ليظهر طريق الحلال ولذلك سأله أبو بكر رضي الله عنه غلامه وسأل عمر من سقاء من إبل الصدقة وسأل أبا هريرة رضي الله عنه أيضاً لما أقدم عليه بمال كثير فقال وعكأ أكل هذا طيب من حيث إنه تعجب من كثرة ما كان هو من رعيته لا سيما وقد رفق في صيغة السؤال وكذلك قال على رضي الله عنه ليس شيء أحب إلى الله تعالى من عدل إمام ورفقه ولا شيء أبغض إليه من جوره وخرقه . مسئلة : قال الحرث المحاسبي رحمه الله لو كان له صديق أو أخت وهو يأمن غضبه لوسأله فلا ينبغي أن يسأله لأجل الورع لأنه ربما يدوله ما كان مستورا عنه فيكون قد حمل على هتك السر ثم يؤدي ذلك إلى البغضاء وما ذكره حسن لأن السؤال إذا كان من الورع لا من الوجوب فالورع على مثل هذه الأمور الاحتراز عن هتك السر وإثارة البغضاء أم وزاد على هذا فقال وإن رآه منه شيء أيضاً لم يسأله ويظن به أنه يطعمه من الطيب ويحببه الحبيب فإن كان لا يطعم قلبه إليه فيجتزئ مطلقاً ولا يهتك سره بالسؤال قال لأنني لم أر أحداً من العلماء فعله فهذا منه مع ما شتهر بمن الزهد يدل على مسامحة فيما إذا خالط المال الحرام القليل ولكن ذلك عند التوهم لأعد التحقيق لأن لفظ الزانية يدل على التوهم بدلالة تدل عليه ولا يوجب اليقين فليراع هذه الحقائق بالسؤال . مسئلة : ربما يقول القائل أتى فائدة في السؤال بمن بعض ماله حرام ومن يستحل المال الحرام ربما يكذب فان وقي بأمانته فليقتضيه بدائته في الحلال . فأقول مهما علم مخالطة الحرام لمال إنسان وكان له غرض في حضورك ضيافته أو أدبوك هديته فلا تحصل الثقة بقوله فلا فائدة للسؤال منه فلينبئ أن يسأل من غيره وكذا إن كان يبايع وهو يرغب في البيع لطلب الربح فلا تحصل الثقة بقوله إنه حلال ولا فائدة في السؤال منه وإنما يسأل من غيره . وإنما يسأل من صاحب اليد إذا لم يكن متبهما كما يسأل التلوي على المال الذي يسله أنه من أي جهة وكما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهدية والصدقة فإن ذلك لا يؤدي ولا يهزم القائل فيه وكذلك إذا اتهمه بأنه ليس يدري طريق كسب الحلال فلا يهزم في قوله إذا أخبر عن طريق صحيح وكذلك يسأل عبده وخادمه ليعرف طريق اكتسابه فهنا يفيد السؤال فإذا كان صاحب المال متبهما فليساأل من غيره فإذا أخبره عدل واحد قبله وإن أخبره فاسق يعلم من قرينته حاله أنه لا يكذب حيث لا غرض له فيه جاز قوله لأن هذا أمر بينه وبين الله تعالى والمطلوب ثقة النفس وقد حصل من الثقة بقوله فاسق فلا يحصل بقوله عدل في بعض الأحوال وليس كل من فسق يكذب ولا كل من

لغرض قبل دخول الوقت ويقيم لكل فريضة ويصل مهما شاء من التوافل يقيم واحد ولا يجوز أداء الغرض بقيم النافلة ومن لم يجد ما ولا ترابا يصل ويبيد عند وجود أمدح ما ولكن إن كان محدثا لا يصح للصالح وإن كان جانيا لا يجزأ القرآن في الصلاة بل يذكر الله تعالى عوض القراءة ولا يقيم إلا بتراب طاهر غير مخالط للرمل والجس ويجوز بالتباعد على ظهر الحيوان والثوب ويسبى الله تعالى عند التيمم وينوي استباحة الصلاة قبل ضرب البسطة على التراب ويضم أصابعه لغيره الوجه ويصح جميع الوجه فلا يبقى شيء من محل الفرض غير مسح لاصبع التيمم وضرب شربة للدين مبسوطاً الأصابع ويصح بالتراب محل الفرض



وإن لم يفسد إلا  
بضريتين فصاعدا  
كيف أمكنه لابد أن  
يمس التراب على القرض  
ويعمس إذا فرغ إحدى  
الراحتين بالأخرى حتى  
تصيرا بمسوحين ويمر  
اليد على منازل من  
اللعبة من غير إصا  
التراب إلى الثالث .

وأما للشح : فيمسح  
على الخف بمائة أيام  
ولياليين في السفر  
والقيم يوما وليلة  
وابتداء للثة من حين  
الحديث بدليس الخف  
دمن حين لبس الخف  
ولاحاجة إلى التيقن  
لبس الخف بل يحتاج  
إلى كمال الطهارة حتى  
لوليس أحد الخفين  
قبل غسل الرجل  
الأخرى لا يصح أن  
يمسح على الخف  
ويشترط في الخف  
إمكان متابعة الشئ  
عليه ومستر على القرض  
ويكنى مسح يسير من  
أعلى الخف والأولى  
مسح أعلاه وأسفله

تري المدالة في ظاهره يصدق وإنما نيطت كشهادة لعدالة الظاهرة لضرورة الحكم فان البواطن لا يطلع عليها وقد قيل أبو حنيفة رحمه الله شهادة الناسق وكمن شخص تعرفه وتعرف أنه قد يتقنع العاصي ثم إذا أخبرك بشيء وثقت به وكذلك إذا أخبر به شيء يميز عن عرفته بالثبوت فقد تحصل الثقة بقوله فيحل الاعتاد عليه فأما إذا أخبر به بمجهول لا يدري من حاله شيء أصلا فهذا إما يجوزنا الأكل من يده لأن يده دالة ظاهرة على ملكه وربما يقال إسلامه دالة ظاهرة على صدقه وهذا فيه نظر ولا يخفى قوله عن أثر ما في النفس حتى لو اجتمع منهم جماعة تنفذ ظنا قويا إلا أن أثر الواحد فيه في غاية الضعف فيلنظر إلى حد تأثيره في القلب فان الفقه هو القلب في مثل هذا الوضع والقلب التفاتات إلى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق فليتامر فيه ويدل على وجوب الالتفات إليه ما روى عن عتبة بن الحرث « أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني تزوجت امرأة فجمعت أمة سوداء فرجمت أنها قد أَرْضَنَتْنا وهي كاذبة فقال دعها فقال إنها سوداء يسفر من شأنها فقال عليه السلام فكيف وقد رجمت أنها قد أَرْضَنَتْنا لا خير لك فيها دعها عنك <sup>(١)</sup> » وفي لفظ آخر كيف وقد قيل « ومهما لم يمس كذب المجهول ولم يظهر أماره غرضه فيه كان وقع في القلب لأحالة فذلك يتأكد الأمر بالاحتراز فان اطمأن إلى القلب كان الاحتراز حثا واجبا . مسئلة : حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقطا وكذا قول فاسقين ويجوز أن يرجح قول أحد العدلين أو أحد الفاسقين ويجوز أن يرجح أحد الجانبين بالكثرة أو بالاختصاص بالخبرة واللمعة وذلك بما يشعب تصويره . مسئلة : لو تهب متاع مخصوص صادف من ذلك النوع متاعا في يد إنسان وأراد أن يشتريه واحتمل أن لا يكون من المنسوب فان كان ذلك الشخص ممن عرفه بالصلاح جاز الشراء وكان تركه من الورع وإن كان الرجل مجهولا لا يعرف منه شيئا فان كان يكثر نوع ذلك المتاع من غير المنسوب لله أن يشتري وإن كان لا يوجد ذلك المتاع في تلك القعة إلا نادرا وإنما كثر بسبب المنسوب فليس يدل على الحل إلا البعد وقد عارضته علامة خاصة من شكل المتاع ونوعه فالامتناع عن شرائه من الورع اللهم ولكن الوجوب فيه نظر فان العلامة متعارضة ولست أقدر على أن أحكم فيه بحكم إلا أن أرده إلى قلب المستفي لينظر ما الأقوى في نفسه فان كان الأقوى أنه منسوب لزمه تركه وإلا حل له شرائه أو أكثر هذه الوقائع يلبس الأمر فيها فهو من التشابهات التي لا يعرفها كثير من الناس فمن توقها فقد استبرأ لمرته ودينه ومن اتحمها فقد حام حول الحمى وخطرف نفسه . مسئلة : لو قال قائل قد سألت رسول الله <sup>(صلى الله عليه وسلم)</sup> عن لبن قدم إليه فذكر أنه من شاة فسأل عن الشاة من أين هي فذكره فسكت عن السؤال <sup>(٢)</sup> . فيجب السؤال عن أصل اللب أو أم لا وإن وجب عن أصل واحد أو اثنين أو ثلاثة وما الضبط فيه ؟ فأقول لا يضبط فيولا تحذير بل ينظر إلى الرية القضية للسؤال إملوجوبا أو ورعا ولا غاية للسؤال إلا حيث تقطع الرية للتضييق وذلك يختلف باختلاف الأحوال فان كانت التهمة من حيث لا يدري صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال فان قال اشترت اتقطع بسؤال واحد وإن قال من شاتي وقع الشك في الشاة فان قال اشترت اتقطع وإن كانت الرية من الظلم وذلك كما في أيدي الرب ويتواله في أيديهم المنسوب فلا تقطع الرية بقوله إنه من شاتي ولا يقوله إن الشاة ولدتا شاتي فان أسند إلى الوراثة من أبيه وحالة أبيه بمجهولة اتقطع السؤال وإن كان يعلم أن جميع مال أبيه حرام

(١) حديث عتبة إني تزوجت امرأة فجمعت أمة سوداء فرجمت أنها قد أَرْضَنَتْنا وهي كاذبة البخاري من حديث عتبة بن الحرث (٢) حديث سأل رسول الله <sup>(صلى الله عليه وسلم)</sup> عن لبن قدم إليه من أين فذكره فسكت الحديث تهم في الباب الخامس من آداب الكسب والمال .



في النفس كأن الحبر إذا طال إسناده صار احتمال الكذب والقاط فيه أقوى مما إذا قرب إسناده فهذا حكم هذه الواقعة وهي من الفتاوى وإنما أوردناها ليعرف كيفية تخرج الوقائع للفتنة للتبسة وأنها كيف ترد إلى الأصول فإن ذلك مما يحسن عنه أكثر القتين .

( الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن الظالم المالية )

اعلم أن من تاب وفي يده مختلط فله وظيفة في تميز الحرام وإخراجه وظيفة أخرى في مصرف المخرج فليظنر فيما .

( النظر الأول في كيفية التمييز والإخراج )

اعلم أن كل من تاب وفي يده ماهر حرام معلوم المين من غصب أو ودعة أو غيره فأمره سهل فله تميز الحرام وإن كان متنبها غنا فلا يغلو ما أن يكون في مال هومن ذوات الأمثال كالحيوب والتعود والأدهان وإما أن يكون في أعيان متباينة كالعيد والدور والياب فإن كان في التباينات أو كان شاملا في المال كله كمن اكتسب المال بتجارة يعلم أنه قد كذب في بعضها والرابحة وصدق في بعضها أو من غصبها وخلطه يدهن نفسه أو فله في الحبوب والدرام والذات غير غلو ذلك إما أن يكون معلوم القدر أو مجهولا فإن كان معلوم القدر مثل أن يعلم أن قدر النصف من جملة ماله حرام فله تميز النصف وإن كان أشكل فله طريقان أحدهما الأخذ باليقين والآخر الأخذ بنائب الظن وكلاهما قدالة به المداء في اشتباهه وكلمات الصلاة ونحن لا نجوز في الصلاة إلا الأخذ باليقين فإن الأصل اشتغال السمة فيستحب ولا يشر إلا بسلامة قوية وليس في أعداد الركعات علامات يوفق بها وأما هنا فلا يمكن أن يله الأصل أن ما في يده حرام بل هو مشكل فيجوز له الأخذ بنائب الظن اجتهدا ولكن الورع في الأخذ باليقين فإن أراد الورع فطريق التحري والاجتهاد أن لا يستيق إلا القدر الذي يتيقن أنه حلال وإن أراد الأخذ بالظن فطره مثلا أن يكون في يده مال تجارة فسد بعضها فيتيقن أن النصف حلال وأن الثلث مثلا حرام ويثق سدس يشك فيه فيحكم فيه بنائب الظن وهكذا طريق التحري في كل ماله وهو أن يقطع القدر للتيقن من الجانبين في الحل والحرمه والقدر التردد فيه إن غلب على ظنه التحريم أخرجه وإن غلب الحل جازله الأمساك والورع إخراجا وإن شك فيه جاز الأمساك والورع إخراجا وهذا الورع أكد لأنه صار مشكوكا فيه وجاز إمساكه اعتقادا على أنه في يده فيكون الحل أغلب عليه وقد صار ضمنا يدين اختلاط الحرام ويمثل أن يقال الأصل التحريم ولا يأخذ إلا ما يظن على ظنه أنه حلال وليس أحد الجانبين بأولى من الآخر وليس يتيقن في الحل والحرم وهو من المشكلات . فإن قيل هب أنه أخذ باليقين لكن الذي يخرج ليس يدرى أنه عين الحرام قلل الحرام ما في يده فكيف يقدم عليه ولو جاز هذا لجاز أن يقال إذا اختلطت مئة بتسع مذكرة فهي العشرين بل أو طرح التسع واستيق واحدة لم تحل لاحتمال أنها الحرام . فتقول هذه للوازنة كانت تصح لو أن المال يحل بإخراج البذل لتطرق للمواصلة إليه وأما للية فلا تطرق للمواصلة إليها فليكشف الغطاء عن هذا الإشكال بالقرض في درهم معين اشتبه بدرهم آخر فيمنه درهمان أحدهما حرام قد اشتبه عنه وقد سئل أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن مثل هذا فقال يقع الكل حتى يبين وكان قد رهن آنية فلما قضى الدين حمل إليه الرهن آتينين وقال لأدرى أيهما آتينك فتركما فقال الرهن هذا هو الذي لك وإنما كنت أخبرت بك قضى دينه ولم يأخذ

( الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن الظالم )

الرواتب يصلها بالجمع بين السنتين قبله القرضتين فظهر والصبر وبعد القرض من الرضيتين يصل ما يصل بعد القرضه من الظاهر بركتين أو أربعة وبعد القرض من القرض والعشاء يؤدي السن الرابعة لها ويوز بعدها ولا يجوز أداء القرض على الدابة حال إلا عند التحام القتال فجاز ولا يجوز ذلك في السن الرواتب والتواضع وتكفي الصلاة على ظهر الصلاة وفي الركوع والسجود والإيماء ويكون إيماء السجود أخفض من الركوع إلا أن يكون قادرا على التحسين مثل أن يكون في محادثة وغير ذلك وقوم توجهه إلى الطريق مقام استقبال القبلة ولا يوجهها إلى غير الطريق إلا لاجبة حتى

لو حرف دابته عن  
الصوب للتوجه إليه  
لا إلى نحو القبلة بطلت  
صلاته . والمأشئ  
يتغلف السفر ويقته  
استقبال القبلة عند  
الإحرام ولا يجزئ  
في الإحرام إلا الاستقبال  
ويقتضه الإجماع للركوع  
والسجود وراكتب  
للعبادة لا يحتاج إلى  
استقبال القبلة للإحرام  
أيضا . وإذا أصبح  
للسافر مقبلا ثم سافر  
ففيه انجم ذلك اليوم  
في الصوم وهكذا إن  
أصبح مسافرا ثم أقام  
والصوم في السفر أفضل  
من العطر وفي الصلاة  
القصر أفضل من  
الإتمام . فهذا القدر  
كاف للصوفي أن يسله  
من حكم الشرع في مهام  
سفره . فأما التدبؤ  
وللستحب فينبغي أن  
يطلب لنفسه رفقا  
في الطريق بينه وبين أم  
الدين وقديله الرقيق  
ثم الطريق ونهى  
رسول الله صلى الله

الرحمن وهذا ورع ولكننا نقول إنه غير واجب فلنفرض السئلة في درهم له مالك معين حاضر فتقول إذا رد  
أحد الدرهمين عليه ورضى به مع العلم بحقيقة الحال حله الدرهم الآخر لأنه لا يجوز ما أن يكون الردود  
في علم الله هو للأخوذ فقد حصل المقصود وإن كان غير ذلك فقد حصل لكل واحد درهم في يد صاحبه  
فلا حشاش أن يتأبى باللفظ فإن لم يشأ وقع التقاسم والتبادل بمجرد المعاينة وإن كان المصوب منه  
قد فات له درهم في يد المصوب وعسر الوصول إلى عينه واستحق ضابطه فلأخذه وتقع الضمان بمجرد  
القبض وهذا في جانبه واضح فإن الضمون له بمالك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والاشكال  
في الجانب الآخر أنه لم يدخل في ملكه . فتقول لأنه أيضا إن كان قد تسلم درهم فقد فات له أيضا  
درهم في يد الآخر فليس يمكن الوصول إليه فهو كالتائب فيقع هذا بدلا عنه في علم الله إن كان الأمر  
كذلك ويتع هذا التبادل في علم الله كما يتع التقاسم لو أنفق رجلان كل واحد منهما درهما على  
صاحبه بل في عين مستلثنا لو أنفق كل واحد مائة في البحر أو أحرقه كأن قد ألقه ولم يكن عليه  
عهدة الآخر بطريق التقاسم فكذا إذا لم يتلف فإن القول بهذا أولى من للصبر إلى أن من يأخذ  
درهما حرما وبطرحة في ألف ألف درهم لرجل آخر يصير كل المال مجبورا عليه لا يجوز التصرف  
فيه وهذا الذهب يؤدي إليه فانظر مافي هذا من البعد وليس فيها ذكرناه إلا ترك اللفظ والمعاينة  
يسع ومن لا يجملها بما غيبت يتطرق إليها احتمال إذ الفعل يصف دلالته وحيث يمكن التلفظ وهما  
هذا التسليم والتسلم للعبادة قطعا والبيع غير ممكن لأن البيع غير مشار إليه ولا معلوم في عينه وقد  
يكون محال فيقبل البيع كالموخر طرط دقي بأنفسه رطل دقيق لغيره وكذا الدين والرطب وكل ما لا يباع  
البعض منه بالبعض . فإن قيل فأنتم جوزتم تسليم قدر حقه في مثل هذه الصورة وجعلتموه يما .  
قلنا لا يجله يما بل شول هو بدل عما فات في يده فملكه كما يملك التلف عليه من الرطب إذا أخذ  
مثله هذا إذا ساعده صاحب المال فإن لم يساعده وأضر به وقال لا أخذ درهما أصلا لإعني ملكي فإن  
استحبم فأكره ولأعنه وأعطى عليك مالك . فأقول على القاضي أن يوجب عنه في القبض حتى يطيب  
للرجل ماله فإن هذا يحض التثبت والتضييق والسرعة لم يرد به فإن يجوز عن القاضي ولم يحده فليحكم رجلا  
متدينا ليقبض عنه فإن يجوز فينبوي هو بنفسه ويفرد في نية الصرف إليه درهما ويتعين ذلك له  
ويطيب له الباقي وهذا في خلط المائمت أظهر وأزهر . فإن قيل فينبوي ن يحل له الأخذ ويتنقل  
الحق إلى ذمته فأى حاجة إلى الإخراج أولا ثم التصرف في الباقي . قلنا قال قائلون يحل له أن يأخذ مادام  
يقع قدر الحرام ولا يجوز أن يأخذ السك ولو أخذ لم يجز لذلك وقال آخرون ليس له أن يأخذ ما لم يخرج  
قدر الحرام بالتوبة وقصد الإبدال وقال آخرون يجوز للأخذ في التصرف أن يأخذ منه وأما هو  
فلا يعطى فإن أعطى عصى هودون الأخذ منه وما يجوز أحد أخذ السك وذلك لأن المالك لو طهره  
أن يأخذ حقه من هذه الجلة إذ يقول لعل المصروف إلى يقع عين حق والتبئين وإخراج حق التبر  
وتحريمه يندفع هذا الاحتمال فهذا المال يترجع بهذا الاحتمال على غيره وما هو أقرب إلى الحق مقدم كايقيم  
المثل على القيمة والعين على المثل فكذلك ما يحتمل فيه رجوع المثل مقدم ما يحتمل فيه رجوع القيمة  
وما يحتمل فيه رجوع العين يقدم ما يحتمل فيه رجوع المثل ولجواز لهذا أن يقول ذلك لجواز صاحب  
الدرهم الآخر أن يأخذ الدرهمين ويصرف فيهما ويؤبى على فضاء . حقا من موضع آخر إذ الاختلاط من  
الجانبيين وليس ملك أحدهما بأن يقدر فائنا بأولى من الآخر لأن ينظر إلى الأقل يقدر أنه ثلث فيه  
أو ينظر إلى الذي خلط فيجعل بفضله متلفا لحق غيره وكلاهما بعيدان جدا وهذا واضح في ذوات الأمثال فلها  
تتمع عوضا في الاتلافات من غير عقد فأما إذا اشتبه دار بدورا وعبد بعيدا لاسبيل إلى المسالحة والتراضي .

فإن أي أن يأخذ إلا عين حقه ولم يقدّر عليه وأراد الآخر أن يوق عليه جميع ملكه فإن كانت متماثلة القيم فالطريق أن يبيع القاضى جميع المور ويوزع عليهم الثمن بقدر النسبة وإن كانت متفاوتة أخذ من طالب البيع قيمة أخشى المور وصرف إلى للمتنع منه مقدار قيمة الأقل ويوقف قدر التفاوت إلى البيان أو الإسقاط لأنه مشكل وإن لم يوجد القاضى فللذى يريد الخلاص وفيه به السكك أن يتولى ذلك بنفسه هذه هي الوسيلة وماعداها من الاحتمالات ضمنية لا يختارها وفيا سبق تنبيه على العلة وهذا في الحنفية ظاهر وفي القنود دونه وفي العروض أغتمض إذ لا يقع البض بدلا عن البض فلذلك احتيج إلى البيع ولترسم مسائل يتم بها بيان هذا الأصل . مسألة : إذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد غصب ضيقة لمورهم فرد عليه قطعة معينة فهي لجميع الورثة ولو رد من الضيقة نصفها وهو قدر حقه ساهم الورثة فإن النصف الذي لا يتميز حتى يقال هو الردود والباقي هو للتصوب ولا يصير عجزا بنية السلطان وقصد حصر القصد في نصيب الآخرين . مسألة : إذا وقع في يده مال أخذه من سلطان ظالم ثم تاب للسلطان وكان قد حصل منه لارتفاع فيبني أن يحسب أجر مثله لطول تلك اللدة وكذلك كل زيادة حصلت منه وتقدير أجر العبد واليا وبالأواني وأمثال ذلك مما لا يتبادر إجازتها مما يسر ولا يدرك ذلك إلا بالاجتهاد وتخمين وهكذا كل التوقعات تقع بالاجتهاد وطريق الورع الأخذ بالأقصى وما رجع به إلى المال للتصوب في عقود عقدها على العدة وقضى الثمن منه فهو ملك له ولكن فيه شبهة إذ كان منه حراما كما سبق حكمه وإن كان باعيا تلك الأموال فالقنود كانت فاسدة ، وقد قيل تنفذ بإجارة المصوب منه المصلحة فيكون المنصوب منه أولى به والقياس أن تلك القنود تفسخ وتبرّد الثمن وترد الأعيان فإن عجز عنه لكثرته فهي أموال حرام حصلت في يده فللمنصوب منه قدر رأس ماله والفضل حرام يجب إخراجا ليدقق به ولا يحمل الغائب ولا المنصوب منه بل حكمه حكم كل حرام يقع في يده . مسألة : من ورث مالا ولم يدرك أن مورثه من ابن أخته كتب له أمن حلال أم من حرام ولم يكن ثم علامة فهو حلال بإضاف الملاء وإن علم أن فيه حراما وشك في قدره أخرج مقدار الحرام بالتحري فإن لم يعلم بذلك ولكن علم أن مورثه كان يتولى أعمالا للسلطين واحتمل أنه لم يكن يأخذ في عمله شيئا أو كان قد أخذ ولم يق في يده منه شيء لطول المدة فهذه شبهة يحسن التورع عنها ولا يجب وإن علم أن بين ماله كان من الظلم فيأمره بإخراج ذلك القدر بالاجتهاد . وقال بعض العلماء : لا يلزمه والام على اللورث واستدل بما روى أن رجلا من وإلى عمل السلطان مات فقال صحابي الآن طالب ماله أي لوارثه وهذا ضيف لأنه لم يذكر اسم الصحابي ولم له صدر من متساهل بقيد كان في الصحابة من يتساهل ولكن لا نذكره لحرمة الصعبة وكيف يكون موت الرجل مبيحا لحرام التيقن المختلط ومن أين يؤخذ هذا نعم إذا لم يتيقن يجوز أن يقال هو غير مأخوذ بما لا يدري فيطلب لوارث لا يدري أن فيه حراما قيسا .

## ( النظر الثاني في المصرف )

فإذا أخرج الحرام فله ثلاثة أحوال : إما أن يكون له مالك معين فيجب الصرف إليه أو إلى وارثه وإن كان غائبا فيقتصر حضوره أو الإيجال إليه وإن كانت له زيادة ومنفعة فلتجميع فوائده إلى وقت حضوره وإما أن يكون للمالك غير معين وقب اليأس من الوقوف على عينه ولا يدري أنعمات عن وارث أم لا فهذا لا يمكن الرد فيه للمالك ويوقف حتى يتضح الأمر فيه وربما لا يمكن الرد لكثرة الملاك كمنكول التسمية فانها بصدق النزاع كيف يقدر على جمعهم وإن قدر فكيف يفرق ديناراً واحداً من مئاة ألف

عليه وسلم أن يسافر الرجل وحده إلا أن يكون صوفيا طالما بأفة نفسه بخلاف الوحدة على مسيرة من أمره فلا بأس بالوحدة وإذا كانوا جماعة يبنى أن يكون فيهم مقدم أمير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمرأوا أحكمهم » والذي يسميه الصوفية ينسب وهو الأمير ويبنى أن يكون الأمير أزهد الجماعة في الدنيا وأوفرهم حظا من التقوى وأهم مروءة وسخاوة وأكثرهم شفقة . روى عبد الله ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه » قل عن عبد الله الروزي أن أبا بطل الرابطي حبه

فقال على أن أكون أنا الأمير أو أنت فقال بل أنت ظم زل يحصل

أول اثنين فهذا ينبغي أن يتصدق به وإما من مال الله والأموال المرصدة لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك إلى القناطر والساجد والرباطات ومصانع طريق مكة وأمثال هذه الأمور التي يشترك في الاستفادة بها كل من يمر بها من المسلمين ليكون ماما للمسلمين وسكن القسم الأول لأشبهه فيما أتصدق وبناء القناطر فينبغي أن يتولاه القاضي فيسلم إليه المال إن وجد قاضيا متدينا وإن كان القاضي مستحلا فهو بالتسليم إليه ضامن لو ابتدأ به فما لا يضمنه فكيف يسقط عنه به ضامن قد استقر عليه بل يحكم من أهل البلد طامعا متدينا فان التحكيم أولى من الاختراع فان عجز فيقول ذلك بنفسه فان التصود الصرف وأما عين الصارف فاعلم نطلبه لمصارف دقيقة في الصالح فلا يترك أصل الصرف بسبب العجز عن صرف هو أولى عند القدرة عليه . فان قيل مادليل جواز التصديق بما هو حرام وكيف يتصدق بما لا يملك وقد ذهب جماعة إلى أن ذلك غير جائز لأنه حرام . وحكى عن الفضيل أنه وقع في يده درهمان فباعهما أنهما غير وجههما رماهما بين الحجارة وقال لا تصدق إلا بالطيب ولا أرضى لغيري ما لأرضاه نفسي فتقول نعم لك وجه واحتمال وإنما اخترنا خلافه للغير والأثر والقياس . أما الخبر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالثاء الصلبة التي قدمت إليه فكلمت بها حرام إذ قال صلى الله عليه وسلم أطعموها الأسارى (١) ولما نزل قوله تعالى - ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من يدينهم سيبلون - كذبه للشركون وقالوا للصعابة ألا نرون ما يقول صاحبكم يزعم أن الروم سئلب ، فخطأهم أبو بكر رضي الله عنه إذ نزل رسول الله عليه وسلم فلاحق الله صدقه وجاء أبو بكر رضي الله عنه بما قدمه به قال عليه الصلاة والسلام هذا سحت تصدق به وفرح المؤمنون بنصر الله وكان قد نزل تحريم القمار بعد إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له في الحظارة مع الكفار (٢) وأما الأثر فان ابن مسعود رضي الله عنه اشترى جارية لم يظفر بالسكها ليقدمه الفتن فطلبه كثيرا فلم يجده فتصدق بالثمن وقال اللهم هذا عنه إن رضي وإلا فلا أجر لي ، ومثل الحسن رضي الله عنه عن توبة الغالب وما يؤخذ منه بعد شريق الجيش فقال يتصدق به . وروى أن رجلا سئل له تسه قتل ماوة دينار من التهمة ثم أتى أميره ليردها عليه فأبى أن يقبضها وقال له خرق الناس فأبى معاوية فأبى أن يقبض فأبى بعض النساك فقال ادفع خمسا إلى معاوية وتصدق بما بقي فبلغ معاوية قوله فتلهف إذ به خطر لذلك ، وقد ذهب أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وجماعة من النورعين إلى ذلك . وأما القياس فهو أن يقال إن هذا المال مردد بين أن يضيع وبين أن يصرف إلى خير إذ قد وقع البأس من مالكة وبالضرورة يعلم أن صرفه إلى خير أولى من إلقائه في البحر فأن إن رميته في البحر فقد فوتاه على أختنا وعلى المالك ولم تحصل منه فائدة وإذا رميته في يد فقير يدعوا لملكه حصل للمالك بركة دعاه وحصل للفقير سد حاجته وحصول الأجر لملكه بغير اختياره في التصديق لإينبغي أن ينكر

(١) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالثاء الصلبة التي قدمت بين يديه وكلمته بأنهم حرام إذ قال أطعموها الأسارى أحدهم حديث رجل من الأنصار قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فلما رجنا لقينا راعي امرأة من قريش فقال إن فلانة تدعوك ومن معك إلى طعام الحديث وفيه قال أجد علم عاة أخذت بغير إذن أهلها وفيه قال أطعموها الأسارى وإسناده جيد (٢) حديث خطأه أنى بكر الشرابين بأذنه صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى - ألم غلبت الروم - وفيه قال صلى الله عليه وسلم هذا سحت تصدق به البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن عباس وليس فيه أن ذلك كان بأذنه صلى الله عليه وسلم والحديث عند الترمذي وحسنه الحاكم وصححه دون قوله أيضا هذا سحت تصدق به .

أراد نفسه ولأن على ظنره وأعطرت السماء ذات لية قام عبد الله طول الليل على رأس ردفته يضطه بكسائه عن النظر وكما قال لا تضل يقول كنت الأمير وعليك الاتحاد والطاعة فأما إن كان الأمير يصعب الفقراء لحبة الاستماع وطلب الرياسة والتعزز ليقسط على الخدم في الربط وبلغ خسه هواها فهذا طريق أرباب الهوى الجهال البائسين لطريق الصوفية وهو سيبل من يريد جمع الدنيا فليخذ نفسه رقاء ما تلين إلى الدنيا يحتمون تحصيل أغراض النفس والدخول على أبناء الدنيا والمظلة لتوصل إلى تحصيل مأرب النفس ولا يخلو اجتماعه هذا عن الخوض في التيسر والدخول في المداخل المكروهة والنقل في

فان في الخبر الصحيح « إن الزارع والتارس أجرا في كل ما يصبى الناس والطيور من بحاره وزرعه »<sup>(١)</sup> وذلك بنير اختياره ، وأما قول القائل لا تصدق إلا بالطيب فذلك إذا طلبنا الأجر لأفئتنا ونحن الآن نطلب الخلاص من الظلمة لا الأجر وتردنا بين التصنيع وبين التصديق ورجعنا جانب التصديق على جانب التصنيع ، وقول القائل لا ترضى لغيرنا ما لا ترضاه أنفسنا فهو كذلك ولكنه علينا حرام لاستثنائنا عنه ولتفتير حلال إذا حله دليل الشرع وإذا اقتضت الصلحة التحليل وجب التحليل وإذا حل قدر رضينا له الحلال ، وقول إن له أن يصدق على نفسه وعياله إذا كان فقيرا ، أما عياله وأهله فلا يخفى لأن الفقر لا يثبت عندهم من عياله وأهله بل هم أولى من يصدق عليهم وأما هو فله أن يأخذ منه قدر حاجته لأنه أيضا فقير ولو صدق به على فقير لجاز وكذا إذا كان هو الفقير ، ولترسم في بيان هذا الأصل أيضا مسائل . مسألة : إذا وقع في يده مال من يد سلطان قال قوم يرد إلى السلطان فهو أعلم بما تولاه فليقتله ما يقتله وهو خير من أن يصدق به واختار المحاسبي ذلك وقال كيف يصدق به فقل له مالك مينا ولوجاز ذلك لجاز أن يسرق من السلطان ويصدق به ، وقال قوم يصدق به إذا علم أن السلطان لا يرده إلى مالك لأن ذلك إغاة للظلم وتكبير لأسباب ظلمه فالرد إليه تنصيص على مالك ، واختار أنه إذا علم من عادة السلطان أنه لا يرده إلى مالك فيصدق به عن مالك فهو خير للسالك إن كان له مالك معين من أن يرد على السلطان لأنه ربما لا يكون له مالك معين ويكون حق السليم فرده على السلطان تنصيص فان كان له مالك معين فالرد على السلطان تنصيص وإغاة للسلطان الظالم ونقض لبركة دعاء الفقير على الملك وهذا ظاهر فإذا وقع في يده من ميراث أو يتعد هو بالأخذ من السلطان فانه عليه بالقطة التي أيس عن معرفة صاحبها إذا لم يكن له أن يتصرف فيها بالتصدق عن الملك ولكن له أن يملكها ثم وإن كان غنيا من حيث إنه اكتسبه من وجه مباح وهو الاتعاض وهما لم يحصل المال من وجه مباح فيؤثر في منعه من التملك ولا يؤثر في المنع من التصديق . مسألة : إذا حصل في يده مال لملك له وجوزنا له أن يأخذ قدر حاجته فقهره ففي قدر حاجته نظر ذكرناه في كتاب أسرار الزكاة ، وقد قال قوم يأخذ كفاية سنة لنفسه وعياله وإن قدر على شراء ضيعة أو تجارة يكتب بها للعائلة فضل وهذا ما اختاره المحاسبي ولكنه قال الأولى أن يصدق بالكل إن وجد من نفسه قوة التوكل وينتظر لطف الله تعالى في الحلال فان لم يقدر فله أن يشتري ضيعة أو يتخذ رأس ماله يمشي بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالا أمسك ذلك اليوم عنه فإذا بقي عاد إلى عاده وجد حلالا معينا تصدق بمثل ما أتقنه من قبل ويكون ذلك قرصا عنده ثم إنه يأكل الخبز ويترك اللحم إن قوى عليه وإلا أكل اللحم من غير تيم وتوسع وما ذكره لأمزيد عليه ولكن جيل ما أتقنه قرصا عنده فيه نظر ولا شك في أن الورع أن يجمله قرصا فإذا وجد حلالا تصدق بمثله ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذي يصدق به عليه فلا يبعد أن لا يجب عليه أيضا إذا أخذ فقره لاسيا إذا وقع في يده من ميراث أو لم يكن متدينا بنبه وكسبه حتى يملك الأرض عليه فيه . مسألة : إذا كان في يده حلال وحرام أو شبهة وليس يفضل الكل عن حاجته فإذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لأن الحاجة عليه أوكفد في نفسه منه في عبده وعياله وأولاده الصغار والكبار من الأولاد بحرمهم من الحرام إن كان لا يقضى بهم إلى ما هو أشد منه فان أفضى فيقطعهم بقدر الحاجة والجلالة كل ما يحذر في غيره فهو محذور في نفسه وزيادة وهو أنه يتناول مع العلم والبيان بما تقرر إذا

الربط والاستمتاع  
والزخوة وكذا حكر  
العلوم الرباط أطالوا  
للقام وإن تصدقت  
أسباب الدين وكذا قل  
العلوم رحلوا وإن  
تيسرت أسباب الدين  
وليس هذا طريق  
الصوفية ومن السحب  
أن يوقع إخوانه إذا  
أراد السفر ويدعولهم  
بدعاء رسول الله صلى  
الله عليه وسلم . قال  
بعضهم سمعت عبد الله  
ابن عمر من مكة إلى  
المدينة فلما أردت  
مفارقتها شيعني وقال  
سمعت رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يقول  
قال لقمان لابنه يا بني  
إن الله تعالى إذا  
استودع شيئا حفظه  
وإن استودع الله  
دينك وأمانتك  
وخواتيم علك وروى  
زيد بن أرقم عن  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم أنه قال إذا أراد  
أحدكم سفرا فليودع  
إخوانه فان الله تعالى

(١) حديث أجرة الزارع والتارس في كل ما يصبى الناس والطيور البخاري من حديث أنس مامن مسلم يفسر غرسا أو يزرع ذرعا فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له صدقة .

لم تعلم إذ لم تتول الأمر بنفسها فليبدأ بالحلال بنفسه ثم بمن يعول وإذا تردد في حق نفسه بين ما يحسنه وكسوته وبين غيره من المؤمنين كأجرة الحجام والصباغ والتسوير والتمشيط والصلابة بالثوب والدهن ومهارة اللزج وتعمد الدابة وتسجير الثور وتحن الحطب ودهن السراج فليخس بالحلال قوته ولباسه فإن ما يتعلق بيده ولاغى به عنه هو أولى بأن يكون علياً وإذا دار الأمر بين القوت واللباس فيجتمل أن يقال يخس القوت بالحلال لأنه ممتزج بلحمه ودمه وكل لحم ثبت من حرام فالأثر أولى به وأما الكسوة فتأخذها ستر عورته ودفع الحر والبرد والإحصار عن جسده وهذا هو الأظهر عندي وقال الحرث المحاسبي يقدم اللباس لأنه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى عليه لما روى أنه « لا يقبل الله صلاة من عليه ثوب اشتراه بمشرة دراهم فيها درهم حرام »<sup>(١)</sup> وهذا يحتمل ولكن أمثال هذا قد ورد فيمن في بطنه حرام ونبت لحم من حرام<sup>(٢)</sup> فإفراغة اللحم والعظم أن ينبت من الحلال أولى ولذلك تقي الصديق رضي الله عنه ما شره مع الجهل حتى لا ينبت منه لحم ثبت ويقي . فإن قيل فإذا كان السكل منصرفاً إلى أغراضه فأى فرق بين نفسه وغيره وبين جهة وجهة ومادرك هذا الفرق . قلنا : عرف ذلك بما روى أن رافع بن خديج رعى الله مات وخلف ناضعا وعبدًا حجاً ما فقل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك تقي عن كسب الحجام فروج مرات فنع منه قيل إن له أنثاء فقال أعلقوه الناضح<sup>(٣)</sup> فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو أودائه فإذا انتفع سبيل الفرق قصص عليه التفصيل الذي ذكرناه . مستقاة : الحرام الذي في يده لو تسدى به على الفقراء فله أن يوسع عليهم وإذا اتفق على نفسه فليخس ما قدر وما اتفق على عياله فليقتصد وليكس وسطاً بين التوسيع والتضييق فيكون الأمر على ثلاث مراتب فإن اتفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه وإن كان غنياً فلا يطعمه إلا إذا كان في برية أو قدم إليه دلاً بمد شيئاً فإنه في ذلك الوقت فقير وإن كان الفقير الذي حضر ضيفاً تقياً لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام وليخبره جميعاً بين حق الضيافة وترك الخلداء فلا ينبغي أن يكره أخاه بما يكره ولا ينبغي أن يعول على أنه لا يدري فلا يضروه فإن الحرام إذا حصل في المصدة أمر في قسوة القلب وإن لم يعرفه صاحبه ولذلك تقي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وكانا قد شربا على جهل وهذا وإن أثبتنا بأنه حلال للفقراء أحلناه بحكم الحاجة إليه فهو كالخزير والجر إذا أحلناها بالضرورة فلا يلتحق بالطلبات مستقاة : إذا كان الحرام أو الشبهة في يد أبويه فليمتنع عن مؤاكلتهما فإن كانا سيخطان فلا يؤاكلهما على الحرام المحض بل بينهما فلا طاعة لخالق في معصية الله تعالى فإن كان شبهة وكان امتناعه لا يورع فهذا قد عارضه أن الورع طلب رضاها بل هو واجب فليستطيف في الامتناع فإن لم يقدر فليوافق وليقل الأكل بأن يصغر اللقمة ويطلب الضغ ولا يتوسع فإن ذلك عدوان والأخ والأخت قريبان من ذلك لأن حقيهما أياضاً وكذلك إذا ألبسته أمه ثوباً من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل

(١) حديث لا تنهت صلاة من عليه ثوب اشتراه بمشرة دراهم وفيها درهم حرام أحمد من حديث ابن عمر وقد تقدم (٢) حديث الجسد ثبت من حرام تقدم (٣) حديث أن رافع بن خديج مات وخلف ناضعا وعبدًا حجاً ما فقل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك تقي عن كسب الحجام فروج مرات فنع منه قيل إن له أنثاء فقال أعلقوه الناضح أحمد والطبراني عن رواية عباية بن رفاعه ابن خديج أن جده حين مات ترك جارية وناضعا وغلاماً حجاً ما الحديث وليس للراد بحمد رافع ابن خديج فإنه بقي إلى سنة أربع وسبعين فيجتمل أن الراد جده الأعلى وهو خديج ولم أره ذكرًا في الصحابة وفي رواية للطبراني عن عباية بن رفاعه عن أبيه قال مات أبي وفي رواية له عن عباية قال مات رفاعه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وهو مضطرب .

جاء له في دعائهم البركة . وروى عنه عليه السلام أيضاً أنه كان إذا ودع رجلاً قال « زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيثما توجهت » وينبغي أن يفتدوا حوائجهم إذا دعا لهم واستودعهم الله أن الله يتجيب دعاءه فقد روى ابن عمر رضي الله عنه كان يعطى الناس عطائهم إذ جاء رجل منه ابنه فقال له عمر ما رأيت أحداً أشبه بأحد من هذا بك قال الرجل أحذثك عنه يا أمير المؤمنين إنني أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به قتالت فخرج وتدعى على هذه الحالة قتلت أستودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت فإذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فإذا نار تلوح على قبرها قتلت للقوم ماهذه النار فقالوا هذه من قبر فلانة نراها كل ليلة قتلت والله إنها



كانت صوامة قوامه  
فأخذت للمول حق  
استيبنا إلى القبر فعفرنا  
وإذا سراج وإذا هذا  
الغلام يدب قبل إن هذا  
ودبعتك ولو كنت  
استودعنا أمه لوجدتها  
قال عمر لهو أشبه بك  
من القراب بالقراب .  
وينبغي أن يودع كل  
منزل برحله عنه  
بركتين ويقول : اللهم  
زودني التقوى واغفر لي  
ذنوبي ووجهي للخير  
أيما توجهت . وروى  
أنس بن مالك قال كان  
رسوله الله عليه الصلاة  
والسلام لا يزل منزلا  
إلا ودعه بركتين  
فينبغي أن يودع كل  
منزل ورباط يرسل  
عنه بركتين وإذا  
ركب الدابة فليقل  
- سبحان الذي سخر  
لنا هذا وما كنا له  
مقرنين - بسم الله  
والله أكبر توكلت على  
الله ولا حول ولا قوة  
إلا بالله العلي العظيم .  
اللهم أنت الحامل على

وليابس بين يديها ولينزع وغينها وليجنبد أن لا يصلي فيه إلا بعد حضورها فصلى فيه صلاة الفطر  
وهذه تمارض أسباب الورع ينبغي أن يتقصد هذه الدقائق . وقد حكى عن بسر رحمته أنه سئل  
إليه أمه رطبة وقالت يعني عليك أن تأكلها وكان يكرهه فأكل ثم صعد غرفة فصعدت أمه وراءه  
فراته يتبأ وتبأ فسل ذلك لأنه أراد أن يجمع بين رضاها وبين صيانة العدة وقد قيل لأحمد بن  
حنبل سئل بشر هل والله بن طاعة في الشبهة فقال لا فقال أحمد هذا شديد قبله مثل محمد بن مقاتل  
البيداني عنها فقال بر. والديك لماذا تقول فقال للسائل أحب أن تعفي قد سمعت ما قالوا ثم قال  
ما أحسن أن تداربهما . مسألة : من في يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة مالية  
لأنه مفلس ولا يجب عليه الزكاة إذ معنى الزكاة وجوب إخراج ربع العشر مثلاً وهذا يجب عليه  
إخراج السكك إما رداً على المالك إن عرته أو صرفاً إلى الفقراء إن لم يعرف للمالك وأما إذا كان  
مال شبهة يحتل أنه حلال فإذا لم يخرج منه من يده ثمة الحج لأن كونه حلالاً ممكن ولا يسقط الحج  
إلا بالفقر ولم يتحقق فقره وقد قال الله تعالى - وقف على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً -  
وإذا وجب عليه التصديق بما يزيد على حاجته حيث يطلب على ظنه تحريمه فالثمة أولى بالوجوب  
وإن ثمة كفارة فليجمع بين الصوم والاعتاق ليتخلص يمينين وقد قال قوم يلزمه الصوم دون  
الإطعام إذ ليس له يسار معلوم وقال الحامسي يكتفي بالإطعام والذي نخشاه أن كل شبهة حكمنا بوجوب  
اجتنابها وأثرناه إخراجها من يده لتكون احتمال الحرام أغلب على ما ذكرناه فقبله الجمع بين الصوم  
والإطعام أما الصوم فلا نه مفلس حكماً وأما الإطعام فلا نه قد وجب عليه التصديق بالجمع ومحتل  
أن يكون له فيكون اللزوم من جهة الكثرة . مسألة : من في يده مال حرام أمسكه للحاجة فأراد  
أن يتبجح بالحج فان كان ماشياً فلا بأس به لأنه سبأ كل هذا المال في غير عبادة فأكله في عبادة  
أولى وإن كان لا يقدر على أن يمشي ويحتاج إلى زيادة للمركوب فلا يجوز الأخذ لكل هذه الحاجة  
في الطريق كالأجور شراء للركوب في البلد وإن كان يتوقع القدرة على حلال لو أقام بحيث يستغنى  
به عن بقية الحرام فالإقامة في انتظاره أولى من الحج ماشياً بالمال الحرام . مسألة : من خرج لحج  
واجب بماله فيه شبهة فليجنبد أن يكون قوته من الطب فان لم يقدر فمن وقت الإحرام إلى التحلل  
فان لم يقدر فليجنبد يوم عرفة أن لا يكون قيامه بين يدي الله ودعاؤه في وقت مطمعه حراماً وملبسه  
حرام فليجنبد أن لا يكون في يده حرام ولا على ظهره حرام فإنما وإن جوزنا هذا للحاجة فهو نوع  
ضرورة وما الحنفاء بالطيقات فان لم يقدر فلا يلزم قلبه الخوف والتمسما هو مضطر إليه من تناول  
ماليس يطيب فبما ينظر إليه بين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكراهته . مسألة :  
سئل أحمد بن حنبل رحمه الله فقال له قائل مات أفي وترك مالا وكان يعامل من تكرهه معاملته فقال  
تدع من ماله بقدر ما ربح فقال له دين وعليه دين فقال قضى وتقتضى فقال أفترى ذلك قال أقدمه  
محبساً بدينه وما ذكره صحيح وهو يدل على أنه رأى التحريم بإخراج مقدار الحرام إذ قال يخرج  
قدر الربح وأنه رأى أن أعيان أمواله ملك له بدلاً عما بذله في المعاوزات الفاسدة بطريق النقاص  
والتقابل مهما كثرت التصرفات وعسر الرد وعول في قضاء دينه على أنه يمين فلا يترك بسبب الشبهة .

( الباب الخامس في إدراوات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم )

اعلم أن من أخذ مالا من سلطان فلا بد له من النظر في ثلاثة أمور في مدخل ذلك إلى يد السلطان  
من أين هو وفي صفته التي بها يستحق الأخذ وفي المقدار الذي يأخذه هل يستحقه إذا أنصف إلى  
حاله وحال شركائه في الاستحقاق .

( الباب الخامس في إدراوات السلاطين )

## ( النظر الأول في جهات الدخول للسلطان )

وكل ما يجل للسلطان سوى الإحياء وما يشترك فيه الرعية قهبا : مأخوذ من السكفار وهو القنينة للأخوة بالقهر والتيء وهو الذي حصل من مالم في يده من غير قتال والجزية وأموال الصالحة وهي التي تؤخذ بالشروط والمعاقبة . والقسم الثاني للأخوذ من السلفين فلاجل منه لإقسان : للوارث وسائر الأمور الضائعة التي لا يمتين لها مالك والأوقاف التي لا متولى لها أما الصدقات فليست توجد في هذا الزمان وما عدا ذلك من الحراج الضروب على السلفين والصادرات وأنواع الرشوة كلها حرام فإذا كتب لقيه أو غيره إدار أو صلة أو خلة في جهة فلاجل من أحوال ثمانية : فانه إما أن يكتب له ذلك على الجزية أو على اللوارث أو على الأوقاف أو على ملك أحياء السلطان أو على ملك اشتراه أو على عامل خراج السلفين أو على بيع من جملة التجار أو على الخزانة . فالأول هو الجزية وأربعة أحماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة فما يكتب على الخمس من تلك الجهات أو على الخماس الأربعة لما فيه مصلحة وروعي فيه الاحتياط في التقدير فهو حلال بشرط أن لا تكون الجزية إلا مضروبة على وجه شرعي ليس فيها زيادة على دينار أو على أربعة دنانير فانه أيضا في محل الاجتهاد واللسطان أن يغفل ما هو في محل الاجتهاد وبشرط أن يكون الدمي الذي تؤخذ الجزية منه مكتسبا من وجه لا يسلح تحريمه فلا يكون حامل سلطان ظالما ولا يبيع خمر ولا يبيع ولا امرأة إلا لجزية عليهما فهذه أمور تراعى في كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من تصرف إليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر في جميع ذلك . الثاني للوارث والأموال الضائعة فهي للمصالح والنظر أن الذي خلقه هل كان ماله كله حراما أو أكثره أو أقله وقسمت حكمه فان لم يكن حراما بق النظر في صفة من يصرف إليه بأن يكون في الصرف إليه مصلحة ثم في للقدار للصروف . الثالث الأوقاف وكذا يجري النظر فيها كما يجري في للراث مع زيادة أمر وهو شرط الواقف حتى يكون للأخوذ موافقا له في جميع شرائطه . الرابع ما أحياء السلطان وهذا لا يمتري فيه شرط إذ له أن يعطى من ملكه ما شاء لمن شاء أى قدر شاء وإنما النظر في أن الطالب أنه أحياء باكره الأجراء أو بأداء أجرتهم من حرام فان الإحياء يحصل بحجر القناة والأنهار وبناء الجدران وقسوة الأرض ولا يتولاه السلطان بنفسه فان كانوا مكرهين على القتل لم يملكه السلطان وهو حرام وإن كانوا متأجرين ثم قضيت أجورهم من الحرام فهذا يورث شبهة قد نبهنا عليها في تعليق السكرهه بالأعواض . الخامس ما اشتراه السلطان في القمة من أرض أو ثياب خلة أو قرس أو غيره فهو ملكه وله أن يتصرف فيه ولكنه يستقيض منه من حرام وذلك بوجب التحريم ثمة والشبهة أخرى وقد سبق تفصيله . السادس أن يكتب على عامل خراج السلفين أو من يجمع أموال القسمة والصادرة وهو الحرام المسحت الذي لا شبهة فيه وهو أكثر الإدارات في هذا الزمان إلا ما على أراضي العراق فانها وقف عند الشافعي رحمه الله على مصالح السلفين . السابع ما يكتب على بيع يمايل السلطان فان كان لا يمايل غيره فانه كمال خزانة السلطان وإن كان يمايل غير السلاطين أكثر فبا يبعه قرض على السلطان وسبا أخذ بدله من الخزانة فالخلل ينطبق إلى العوض وقد سبق حكم الحق الحرام . الثامن ما يكتب على الخزانة أو على عامل يجمع عنده من الحلال والحرام فان لم يعرف للسلطان دخل إلا من الحرام فهو سحت محض وإن عرف يقينا أن الخزانة تقتتل على مال حلال ومال حرام واحتمل أن يكون ما يسل إليه جنيته من الحلال احتالا قريبا له وقع في النفس واحتمل أن يكون من الحرام وهو الأغلب لأن أغلب أموال السلاطين حرام في هذه الأعصار والحلال في أيديهم معدوم وأعز

الظهر وأنت للسلطان على الأمور السنة وأن يرسل من للازل بكرة وينتدئ يوم الخميس . روى كتب بن مالك قال قلنا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى السفر إلا يوم الخميس وكان إذا أراد أن يبع سرية بعثا أول النهار ويستحب كلما أشرف على منزل أن يقول : اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقلن ورب السلاطين وما أشللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا للزل وخير أهله وأعوذ بك من شر هذا للزل وشر أهله وإذا نزل فليصل ركعتين . وما ينبغي للمسافر أن يصحبه آلة الطهارة قيل كان إبراهيم الخواص لإيثاره أربعة أشياء في الحشر والسفر الركوة والحبل والإبرة

فقد اختلف الناس في هذا فقال قوم كل ما لا يتيقن أنه حرام فهو أن أخذه وقال آخرون لا يحمل أن يأخذ ما لم يتحقق أنه حلال فلا يحمل شبهة أصلا ولا كلاهما إسرافا ولا اعتدال ما قد منا ذكره وهو الحكم بأن الأغلب إذا كان حراما حرم وإن كان الأغلب حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقف فيه كالسبق. ولقد احتج من جوز أخذ أموال السلاطين إذا كان فيها حرام وحلال مهما لم يتحقق أن عين للأخوذ حرام بما روى عن جماعة من الصحابة أنهم أدركوا أيام الأئمة الظلة وأخذوا الأموال منهم أبو هريرة وأبو سعيد الخدري وزيد بن ثابت وأبو أيوب الأنصاري وجبر بن عبد الله وجابر وأبى مالك واللسورين مخزومة فأخذ أبو سعيد وأبو هريرة من مروان وزيد بن عبد الملك وأخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج وأخذ كثير من التابعين منهم كالشعي وإبراهيم والحسن وابن أبي ليلى وأخذ الشافعي من هرون الرشيد ألف دينار في دفعة وأخذ مالك من الخلفاء أموالا جملة وقال علي رضي الله عنه خذ ما يطعك السلطان فأما يطعك من الخلال وما يأخذ من الخلال أكثر وإنما ترك من ترك العطاء منهم تورعا مخافة على دينه أن يعمل على مداخل الأتريق قول أبي ذرٍّ للأحنف بن قيس خذ العطاء ما كان تحتك فإذا كان أعان دينكم فدعوه. وقال أبو هريرة رضي الله عنه إذا أعطينا قبلنا وإذا أعطينا مننا لم نسأل. وعن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضي الله عنه كان إذا أعطاه معاوية سكت وإن منه وقع فيه وعن الشعبي عن مسروق لا يزال العطاء بأهل العطاء حتى يدخلهم النار أي يحمله ذلك على الحرام لأنه في شبه حرام وروى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن المختار كان يمشي إليه المال فيقبله فيقول لأسأل أحدا ولأرد مارزقي الله وأهدى إليه ناقة فقبلها وكان يقال لها ناقة المختار ولكن هذا يارضنه ماروي أن ابن عمر رضي الله عنهما لم يرد هدية أحد إلا هدية المختار والاسناد فيرده أثبت وعن نافع أنه قال يشأ ابن عمر إلى ابن عمر يستين ألفا قسمها إلى الناس ثم جاءه سائل فاستقرضه من بعض من أعطاه وأعطى السائل ولما قدم الحسن بن علي رضي الله عنهما على معاوية رضي الله عنه قال لأجيزك بجائزة لم أجزها أحدا فبلك من العرب ولا أجيزها أحدا بملك من العرب قال فأعطاه أربعائة ألف درهم فأخذها وعن حبيب ابن أبي ثابت قال قد رأيت جائزة المختار لابن عمر وابن عباس قبلها قليل ما هي قال مال وكسوة وعن الزبير بن عدي أنه قال قال سليمان إذا كان لك صديق طامل أو تاجر عارف الربا فدعاك إلى طعام أو نحوه أو أعطاك شيئا فقبل قال اللهم لك وعليه الوزر فإن ثبت هذا في الربى فالظالم فيمنه وعن جعفر عن أبيه أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا يقبلان جوائز معاوية وقال حكيم بن جبير ممرنا على سعيد بن جبير وقد جعل عامل على أسفل القريات فارسا إلى المصارين أطمعنا مما عندكم فأرسلوا بطعام فأكلوا وكنا معه وقال العلاء بن زهير الأزدي أتى إبراهيم أفي وهو عامل على حلوان فأجازه فقبل وقال إبراهيم لأبى بجائزة المال إن المال مؤنة ورزقا ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما أعطاك فهو من طيب ماله فقد أخضعك فؤادك كلهم جوائز السلاطين الظلة وكلهم طعنوا على من أطاعهم في مصبة الله تعالى وزعمت هذه الفرقة أن ما ينقل من امتناع جماعة من السلف لا يدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين وأبي ذرٍّ وغيرهم الزهاد فانهم امتنعوا من الخلال لطلاق زاهد ومن الخلال الذي يخاف إقصاؤه إلى محذور ورعا ونفوى فقدم هؤلاء يدل على الجواز وامتناع أولئك لا يدل على التحريم وما دخل عن سعيد بن المسيب أنه ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلاثين ألفا وما دخل عن الحسن بن قنبله لا تؤمنوا من ما يدعى ولو ضاع وقت الصلاة لأن لا يدعى أصل ماله كل ذلك ورع لا ينكر واتباعهم عليه أحسن من اتباعهم على الاتساع ولكن لا يحرم اتباعهم على الاتساع أيضا فنفذه شبهة من يجوز أخذ مال السلطان للظالم والجواب أن ما دخل من أخذه هؤلاء محصور قليل بالإضافة إلى

وخيلها والقراض ورويت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سافر حمل معه خسة أشياء للزرة والمكحلة والصدى والسواك والقراض والصدقة لا تخرقهم الصاوي أيضا من السنة. روى معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أخذت منبرا فقد أخذت إبراهيم وإن أخذت الصا فقد أخذت إبراهيم وموسى» وروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال التوكؤ على الصا من أخلاق الأنبياء كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عصا يتوكؤ عليها ويأمر بالتوكؤ على الصا وأخذ الركة أيضا من السنة. وروى جابر بن عبد الله قال «يئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوسأ من

ما قبل من درهم وإنكارهم وإن كان يتطرق إلى امتناعهم احتمال الورع فينتظر إلى أخذ من أخذ ثلاثة احتمالات متفاوتة في الدرجة يتفاوتهم في الورع فإن الورع في حق السلطين أربع درجات . الدرجة الأولى : أن يأخذ من أموالهم شيئاً أصلاً كما فعله الورعون منهم وكان ينظمه الخلفاء الراشدون حتى إن أبا بكر رضي الله عنه حسب جميع ما كان يأخذه من بيت المال فلم يستع آلاف درهم فصره إلى بيت المال وحق إن عمر رضي الله عنه كان يقسم مال بيت المال يوماً فدخلت ابنة له وأخذت درهماً من المال فقبض عمر في طلبها حتى سقطت الماحقة عن أهدنكبيه ودخلت الصبية إلى بيت أهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فأدخل عمر أصبه فأخرجه من فيها وطرحه على الحراج وقال أها الناس ليس لهم ولا لآل عمر إلا مال المسلمين قسّمهم وبهدهم وكسح أبو موسى الأشعري بيت المال فوجد درهماً فربى لمصر رضي الله عنه فأعطاه إياه عمر ذلك في يد الغلام فسأله عنه فقال أعطانيه أبو موسى فقال يا أبا موسى ما كان في أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عمر أردت أن لا يبقى من أمة محمد ﷺ أحد إلا طلبنا بمنظلة ورد الدرهم إلى بيت المال هذا مع أن المال كان حالاً ولكن خاف أن لا يستحق هودك القدر فكان يستبرئ له دينه ويقتصر على الأقل امتثالاً لتولاه صلى الله عليه وسلم « مع ما يريك إلى مالا يريك (١) » وقلوه « ومن تركها فقد استبرأ لعرشه ودينه (٢) » ولما صمم رسول الله صلى الله عليه وسلم من التشديدات في الأموال السلطانية حتى قال ﷺ حين يمشي بعبادة بن الصامت إلى الصدقة « اتق الله يا أبا الوليد لا يخفى يوم القيامة يميز نعله على رقبته رغاء أو بزق لها خوار أو شاة لها تواج فقال يا رسول الله أكفذا يكون قال نعم والذي نفسي بيده إلا من رحم الله قال فوالذي يمشك بالحق لأعمل على شيء أبداً (٣) » وقال ﷺ « إني لأخاف عليكم أن تتركوا بدي إنا أخاف عليكم أن تنافسوا (٤) » وإنا خاف التنافس في المال ولذلك قال عمر رضي الله عنه في حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال إني لم أجد نفسي فيه إلا كالوالي مال اليتيم إن استغنيست استغنت وإن افقرت تأكلت بالمعروف وروى ابن عباس لطاوس أفلح كتاباً عن لسانه إلى عمر بن عبد العزيز فاعطاه ثلثمائة دينار فباع طائوس ضيعة له وبعت من ثمنها إلى عمر ثلثمائة دينار هذا مع أن السلطان مثل عمر بن عبد العزيز فقهه في الدرجة العليا في الورع . الدرجة الثانية : هو أن يأخذ مال السلطان ولكن إنما يأخذ إذا علم أن ما يأخذه من جهة خلال فاشتبهت بد السلطان على حرام آخر لا يضره وعلى هذا ينزل جميع ما قبل من الآثار أو أكثرها أو ما اختص منها بأكثر الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر فإنه كان من اللباثين في الورع فكيف يتوسع في مال السلطان وقد كان من أشدهم إنكاراً عليهم وأشدّهم ذمّاً لأموالهم وذلك أنهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو في مرضه وأشفق على نفسه من ولايته وكونه مأخوذاً عند الله تعالى بها فقالوا له إنا نرجو لك الخير خرفت الآبار وسقيت الحاج وصنعت وصنعت وابن عمر سأق لك ما إذا خول ابن عمر فقال أقول ذلك إذا طاب لك السكب وزكت النفقة وسترّد قري وفي حديث آخر أنه قال إني الخبيث لا يكثر الخبيث وإنك قد وليت البصرة ولا أحسبك إلا قد أصبت منها شراً فقال له ابن عامر ألا تدعو لي فقال

(١) حديث مع ما يريك إلى مالا يريك تقدم في الباب الأول من الحلال والحرام (٢) حديث من تركها فقد استبرأ له دينه وعرضه متفق عليه من حديث الثعالب بن بشير وقد تقدم أولاً في أول الباب الثاني من الحلال والحرام (٣) حديث قال لبيعة بن الصامت حين بعته إلى الصدقة اتق الله يا أبا الوليد لا يخفى يوم القيامة يميز نعله على رقبته الحديث الثعالب في السنن من حديث طائوس مرسل لا يأنى يلى في اللجم من حديث ابن عمر مختصراً أنه قال لبيد بن عباد وإسناده صحيح (٤) حديث إني لأخاف عليكم أن تتركوا بدي إنا أخاف عليكم أن تنافسوا متفق عليه من حديث عتبة بن عامر .

ركوة إذ جهش الناس نحوه أي أسرعوا نحوه . والأصل فيه البكاء كالصبي يتلازم بالأم ويسرع إليها عند البكاء قال قتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك قالوا يا رسول الله ما نجد ماء تشرب ولا توشى به إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فنظرت وهو يغور من بين أصابعه مثل الميونة قال فوشى القوم منقلته كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة في غزوة المدينة . ومن سنة الصوفية عند الوسط وهو من السنة . روى أبو سعيد قال « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مشاة من المدينة إلى مكة وقال اربطوا على أوساطكم بأزركم فربطنا ومشيئنا خلفه للمرولة . ومن ظاهر آداب الصوفية عند

ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غفل (١) ، وقد وليت البصرة فهذا قوله فيا صهره إلى الخبرات وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال في أيام الحجاج : ما سمعت من الطعام مذات تبيت الدار إلى يومى هذا . وروى عن طى رضى الله عنه أنه كان له سوق في إزاء عتوم يهرب منه قليل أضل هذا العراق مع كثرة طعامه قال أمانى لأخته بخلافه ولكن أكره أن يجعل فيه ماليس منه وأكره أن يدخل بطنى غريب فهذا هو المؤلف منهم وكان ابن عمر لا يسيبه شيء إلا خرج عنه فطلبته نافع بثلاثين ألفا فقال إنى أخاف أن تخفنى دوام ابن عامر وكان هو الطالب أذهب فأتى حر . وقال أبو سعيد الحدرى ما من أحد إلا وقدمات به الدنيا إلا ابن عمر فهذا يتضح أنه لا يظن بعموم كان في منصبه أنه أخذ مالا يدري أنه حلال . الهجرة الثالثة : أن يأخذ ما أخذه من السلطان ليتصدق به على الفقراء أو يفرقه على المستحقين فان مالا يتعين مال كله هذا حكم الصرع فيه فإذا كان السلطان إن لم يأخذ منه لم يفرقه واستعان به على ظم فقد يقول أخذه منه وعرفته أولى من تركه فيه ، وهذا قدرته بضم الماء وسأى وجهه ، وعلى هذا ينزل ما أخذه أكثرهم ولذلك قال ابن المبارك إن الذين يأخذون الجواز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة ياخذون بهما لأن ابن عمر فرق ما أخذ حتى استعرض في مجلسه بعدهم تمتعين ألفا وعائشة فلت مثل ذلك وجابر بن زيد جاهد ماله فصدق به وقال رايت أن أخذه منهم وأصدق أحب إلى من أن أضعها في أيديهم وهكذا فعل الناقض رحمه الله بما قبله من هرون الرشيد فاته فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة ، الدرجة الرابعة : أن لا يمتنع أن يحل ولا يفرق بل يمتنع ولكن يأخذ من سلطان أكثرهمه حلال وهكذا كان الخلفاء في زمان الصحابة رضى الله عنهم والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن أكثر ما لهم حراما ويدل عليه تلميح طى رضى الله عنه حيث قال فان ما يأخذ من الحلال أكثر فهذا ما جوزه جماعة من العلماء تنويلا على الأكثر ونحن إنما توقفنا فيه في حق أحاد الناس ومال السلطان أشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد أن يؤدي اجتهد مجتهد إلى جواز أخذ مالم يعلم أنه حرام اعتمادا على الأغلب وإنما منعه إذا كان الأكثر حراما فإذا فهمت هذه الدرجات تحققت أن إدارات الظلمة في زماننا لا تجري مجرى ذلك وأنها تخافه من وجهين فاطمين : أحدهما أن أموال السلاطين في عصرنا حرام كلها أو أكثرها وكيف لا والحلال هو الصدقات والنفقة والقيمة لا وجودها وليس يدخل منها شيء في يد السلطان ولم يبق إلا الجزية وأنها تؤخذ بأنواع من الظلم لأهل أخذها به فاتهم بما وزنوا خدود الصرع في الأخوذ والأخوذ منه والوفاء له بالصرط ثم إذا نسبت ذلك إلى ما ينصب إليهم من الخراج القسرو على السليين ومن الصادرات والرشا وصنوف الظلم لم يبلغ عشر عشر عشرين . والوجه الثانى أن الظلمة في مصر الأول قرب عهدهم زمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشرقين من ظلمهم ومشوقين إلى إسالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين على قبولهم عظامهم وجوازمهم وكانوا يشئون إليهم من غير سؤال وإذلال بل كانوا يتقلدون للنة بقولهم ويفرحون به وكانوا يأخذون منهم ويفرقون ولا يطيئون السلاطين في أغراضهم ولا يفتشون مجالسهم ولا يكترون جميعهم ولا يجرون بقادهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيه ويشكرون للسكرات منهم عليهم فإن كان يحد أن يسيروا من دينهم بقدر ما أصابوا من دنياهم ولم يكن يأخذهم بأس فاما الآن فالتسمت نفوس السلاطين ببطية الإلن طمعوا في استخدامهم والتسكترهم والاستعانة بهم على أغراضهم والتجمل بشيخان مجالسهم وتكليفهم المواظبة على الدعاء والتناء والتركية والاطراء

(١) حديث لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غفل مسلم من حديث ابن عمر .

خروجهم من الربط  
 أن يصلو ركعتين في  
 أول الثار يوم السفر  
 بكرة كاذرنا يومع  
 البسة بالركتين  
 ويقدم الخف ويغضه  
 ويشتر الك البني ثم  
 اليسرى ثم يأخذ  
 للبايد الذى يشده  
 وسطه ويأخذ خريفة  
 للداس ويغضها وأنى  
 للوضع الذى يريد أن  
 يلبس الخف فيفرغ  
 السجادة طاقين  
 ويحك نعل أحد  
 للداسين بالأخرو يأخذ  
 للسكاس باليسر  
 والخريفة باليمين وضع  
 للداس في الخريفة  
 أعقابها إلى أسفل  
 ويشد رأس الخريفة  
 ويدخل للداس يده  
 اليسرى من كفه  
 الأيسر ويغضه خلف  
 ظهره ثم يقدم على  
 السجادة ويقدم الخف  
 يساره ويغضه  
 ويتبى باليمنى فليس  
 ولا يبع شيئا من الران  
 أو النطقه قح على

في حضورهم ومنعهم فلو لم يبدل الأخذ نفسه بالسؤال أولا وبالتردد في الخدمة ثانيا وبالثناء والدعاء ثالثا وبالمساعدة على أغراضه عند الاستعانة رابعا وبكثير جمه في جملة وموكة خامسا وبإظهار الحب والولاء والتناصره على أعدائه سادسا وبالستر على ظلمه ومقامه وسواي أعماله ساجا لم ينه عليه بدم واحد ولو كان في فضل الشافعي رحمه الله مثلا فلا يجوز أن يؤخذ منهم في هذا الزمان ما يبطل أنه حلال لأفضائه إلى هذه اللغاة فكيف ما يبطل أنه حرام أو يشك فيه فن استجرا على أموالهم وشبهه نفسه بالصاحبة والتابعين فقد قاس الملائكة بالحدادين في أخذ الأموال منهم حاجة إلى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة عمالهم وأحوال القل منهم والثناء عليهم والتزدد إلى أبوابهم وكل ذلك مصيبة على ماسئين في الباب الذي يل هذا فإذا قد تبين مما تقدم مداخل أموالهم وما يعل منها وما لا يعل فلو تصور أن يأخذ الإنسان منها ما يعل بقدر استحقاقه وهو جالس في بيته يساق إليه ذلك لا يحتاج فيه إلى عقد عامل وخدمة ولا إلى الثناء عليهم وتزكيتهم ولا إلى مساعدتهم فلا يحرم الأخذ ولكن يكره لمن استنبه عليها في الباب الذي يل هذا.

### (النظر الثاني من هذا الباب في قدر المأخوذ وصفه الأخذ)

ونفرض للمال من أموال الصالح كآربة أخماس النقي\* والوراثة فان ماعدها ثمانية مئين مستحقة إن كان من وقف أو صدقة أو خسر في أو خمس غنية وما كان من ملك السلطان مما أعياه أو اشتراه فله أن يعطى ماشاء لمن شاء وإنما النظر في الأموال الضائعة وما للسلح فلا يجوز صرفه إلا إلى من فيه مصلحة عامة أو هو محتاج إليه عاجز عن الكسب فأما النقي الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال إليه هذا هو الصحيح وإن كان العلماء قد اختلفوا فيه ، وفي كلام عمر رضي الله عنه ما يدل على أن لكل مسلم حقا في بيت المال لكونه مسلما مكرما جمع الإسلام ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فإذا ثبت هذا فنكل من يتولى أمرا يقوم به تعدى مصلحته إلى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لم تعط عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم أعني العلوم التي تعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون ، وطلبة هذه العلوم أيضا يدخلون فيه فانهم إن لم يكونوا لم يشكوا من الطلب ويدخل فيه العمال وهم الذين ترتب مصالح الدنيا بأعمالهم وهم الأجناد للرتبة الذين يحرسون للملكة بالسيف عن أهل العداوة وأهل البغي وأعداء الإسلام ويدخل فيه الكتاب والحساب والوكلاء وكل من يحتاج إليه في ترتيب ديوان المخرج أعني العمال على الأموال الحلال لا على الحرام فان هذا المال للمصالح وللصاحبة إما أن تعلق بالدين أو بالدين في العلماء حراسة الدين وبالأجناد حراسة الدنيا والدين والملك توأمان فلا يستثنى أحدهما عن الآخر والطبيب وإن كان لا يرتبط بعه امر دني ولكن يرتبط بصحة الجسد والدين يقيم فيجوز أن يكون له ولن يجري مجراه في العلوم المحتاج إليها في مصلحة الأبدان أو مصلحة البلاد إدارا من هذه الأموال ليغفروا لحاجة المسلمين أعني من حاج منهم غير أجرة وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز أن يعطوا لغيرهم في الحلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والأنصار ولم ينفروا بالحاجة وليس يشتر أيضا بتقدير بل هو إلى اجتهد الإمام وله أن يوسع ويغن وله أن يقتصر على الكفاية في ما يقتضيه الحال وصمة المال فقد أخذ الحسن عليه السلام من معاوية في دفعة واحدة أربعة مائة ألف درهم وقد كان عمر رضي الله عنه يعطى لجماعة اثني عشر ألف درهم ثمرة في السنة ، وأثبتت عائشة رضي الله عنها في هذه الجريدة وجماعة عشرة آلاف وجماعة ستة آلاف وهكذا فإذا مال هؤلاء فيوزع عليهم حتى لا يبق منه شيء فان خص واحد منهم بمال كثير فلا بأس وكذلك السلطان أن يخص

الأرض ثم يخل بده  
ويجمل وجهه إلى  
الوضع الذي يخرج منه  
ويودع الحاضر من فان  
أخذ بعض الإخوان  
راوية إلى خارج  
ليربط لابنهم وهكذا  
المصاوي الأبريق ويودع  
من شيء ثم يشد  
الراوية برفع يده إلى  
ويخرج اليسرى من  
تحت إبطه الأيمن ويشد  
الراوية على الجانب  
الأيسر ويكون كنهه  
للأيمن خاليا وعقدة  
الراوية على الجانب  
الأيمن فإذا وصل في  
طريقه إلى موضع  
شريف أو استقبله جمع  
من الإخوان أو شيخ  
من الطائفة على الراوية  
ويحطها ويستقبلهم  
ويسلم عليهم ثم إذا  
جاءوه يشد الراوية  
وإذا دنا من منزل  
رباطا كان أو غيره  
يجل الراوية ويحملها  
تحت إبطه الأيسر  
وهكذا المصاوي الأبريق  
يمسكه بيساره وهذه

من هذا للمال ذوى الخصائص بالخلع والجوائز قد كان يفعل ذلك في السلف ولكن يبنى أن يلتفت فيه إلى الصلحة ومهما خص عالم أو شجاع بصلة كان فيه بث للناس وتحريض على الاعتقال والتشبه به فهذه فائدة الخلع والصلوات وضروب التخصيصات وكل ذلك منوط باجتهد السلطان وإنما النظر في السلاطين الثلاثة في شئتين : أحدهما أن السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته وهو إما معزول أو أوجب العزل فكيف يجوز أن يأخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان . والثاني أنه ليس يسم بحاله جميع المستعنين فكيف يجوز للأحد أن يأخذوا أو يجزوا لهم الأخذ بقدر حصصهم أم لا يجوز أصلاً أم يجوز أن يأخذ كل واحد ما أعطى . أما الأول فالذي نراه أنه لا يمنع أخذ الحق لأن السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلمه وكان في الاستبدال به فتنه تائرة لا تطلق وجب تركه ووجبت الطاعة له كما يجب طاعة الأمراء إذ قد ورد في الأمر بطاعة الأمراء (١) ولتلك من سل اليد عن مساعدتهم (٢) وأوامر وزواجر فالذي نراه أن الخلافة منقذة للتكفل بها من بني العباس رضى الله عنه وأن الولاية نافذة للسلاطين في أنظار البلاد والبايعين للخليفة وقد ذكرنا في كتاب المنظري المتبسط من كتاب كشف الأسرار وهناك الأستار تأليف القاضي أبي الطيب في كتاب أصفاء الروافض من الباطنية ما يشير إلى وجه الصلحة فيه . والقول الوجيز أنا نراعي الصفات والشروط في السلاطين نشوقاً إلى مزاي الصالح ولو قضينا بطلان الولايات الآن لبطلت الصالح رأساً فكيف يغوث رأس المال في طلب الربح بل الولاية الآن لا تتبع إلا الشوكة فمن بابيه صاحب الشوكة فهو الخليفة ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة في أصل الخطية والسكة فهو سلطان نافذ للحكم والقضاء في أنظار الأرض ولاية نافذة الأحكام وتحقيق هذا قد ذكرناه في أحكام الإمامة من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد فلنا نظروا الآن به . وأما الإشكال الآخر وهو أن السلطان إذا لم يسم بالطاء كل مستحق فهل يجوز لواحد أن يأخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على أربع مراتب فقلنا بعضهم وقال كل ما يأخذه فالمسلمون كلمهم فيه شركاء ولا يدري أن حسنة منه دائق أو حجة فليترك السك والوقوم له أن يأخذ قدر قوت يومه قسط فان هذا القدر يستحقه حاجته على المسلمين وقال قوم له قوت سنة فان أخذ الكفاية يوم كل صير وهو ذوق في هذا المال فكيف يتركه وقال قوم إنه يأخذ ما يسقى والظلم هم بالوقوف وهذا هو القياس لأن المال ليس مشتركاً بين المسلمين كالنخبة بين الغائبين ولا كالميراث بين الورثة لأن ذلك صار ملكاً لهم وهذا لو يفتق قسمه حتى مات متحولاً لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وإنما يتبين بالقبض بل هو كالمداقات ومهما أعطى الفقراء حصتهم من المداقات وقع ذلك ملكاً لهم ولم ينتج بظلم المالك قيمة الأصناف بمنع حقهم هذا إذا لم يصرف إليه كل المال بل صرف إليه من المال ما صرف إليه بطريق الأثار والتفضيل مع تعين الآخرين لجاز له أن يأخذه والتفضيل جائز في العطاء . سوى أبو بكر رضى الله عنه فراجعه عمر رضى الله عنه فقال إنما فضلهم عند الله وإنما الدنيا بلاغ وفضل

(١) حديث الأمر بطاعة الأمراء البخاري من حديث أنس اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة . وسلم من حديث أبي هريرة عليك بالطاعة في منشط ومكرهك الحديث وله من حديث أبي ذر أوصاني النبي ﷺ أن أسمع وأطيع ولو لم يجد جميع الأطراف (٢) حديث للنع من سل اليد عن مساعدتهم الشيخان من حديث ابن عباس ليس أحد يفارق الجماعة شراً فموت إلا مات ميتة جاهلية ومسلم من حديث أبي هريرة من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية وله من حديث ابن عمر من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له .

الرسوم استحساناً بقراء  
خراسان والجيل ولا  
يتهدأ أكثر قراء  
العراق والشام والقرب  
ومجرى بين الفقراء  
مشاحنة في رعائتها  
فمن لا يتهدأ يقول  
هذه رسوم لا تنجم  
والالتزام بها وقوف  
مع الصور وغفلة عن  
الحقائق ومن يتهدأ  
يقول هذه آداب  
وضمها للتقدم وإذا  
رأوا من مجل بها أو  
بعض منها ينظرون  
إليه نظر الازدراء  
والحقارة ويقال هذا  
ليس بصوفي وكلا  
الطائفتين في الانكار  
يتصدون الواجب  
والصحيح في ذلك أن  
من يتهدأ لا ينكر  
عليه فليس بمنكر  
في الشرع وهو أدب  
حسن ومن لم يقرم  
بذلك فلا ينكر عليه  
فليس بواجب في  
الشرع ولا مندوب  
إليه وكثير من قراء  
خراسان والجيل يبالغ

عمر رضى الله عنه في زمانه فأعطى عائشة اثني عشر ألفاً وزينب عشرة آلاف وجوزية سنة آلاف وكذا صفية وأقطع عمر لعل خاصة رضى الله عنهما وأقطع عثمان أيضاً من السواد خمس جنات وآثر عثمان علياً رضى الله عنهما بها قبل ذلك منه ولم ينكر وكل ذلك جائز في محل الاجتهاد وهو من المجتهدات التي أقول فيها إن كل مجتهد مصيب وهي كل مسألة لانس على عبها ولا على مسألة تقرب منها فتكون في معناها قياس جلي كهذه المسئلة ومسئلة حد الشرب فانهم جلدوا أربعين ومائتين والسكك سنة وحق وإن كل واحد من أبي بكر وعمر رضى الله عنهما مصيب باتفاق الصحابة رضى الله عنهم إذ للفضل مارد في زمان عمر شيئاً إلى الفاضل مما قد كان أخذه في زمان أبي بكر ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل في زمان عمر واشترك في ذلك كل الصحابة واعتقدوا أن كل واحد من الرايين حق فليؤخذ بهذا الجنس نستورا للاختلافات التي يصب فيها كل مجتهد فأما كل مسألة شذ عن مجتهد فيها نص أو قياس جلي بنفذة أو سوء رأى وكان في القوة بحيث ينقض به حكم المجتهد فلا حول فيها إن كل واحد مصيب بل للصيب من أصاب النص أوما في معنى النص وقد تحصل من مجموع هذا أن من وجد من أهل المحصول للوصوفين بصفة تتعلق بها مصالح الدين أو الدنيا وأخذ من السلطان خلة أو إداراً على التركات أو الجزية لم يصر فاسقاً بمجرد أخذه وإنما يفسق بخدمته لهم ومعاوته إليهم ودخوله عليهم وتناؤه وإطرأته لهم إلى غير ذلك من لوازم لا يسل للال غالباً إلا بها كما ستبينه .

( الباب السادس فيما قبل من خاتمة السلاطين الظلة وما بعدهم )

وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والأكرام لهم )

اعلم أن لك مع الأمراء والعمال الظلة ثلاثة أحوال . الحالة الأولى : وهي شرها أن تدخل عليهم والثانية وهي دونها أن يدخلوا عليك والثالثة وهو الأسلم أن تمترل عنهم فلا ترواهم ولا يرووك . أما الحالة الأولى : وهي الدخول عليهم فهو مذموم جداً في الشرع وفيه تقييدات وتشديدات وتواردت بها الأخبار والآثار فتتقيا لتعرف ذم الشرع له ثم تتعرض لما يحرم منه وما يحل وما يكره مما تنص فيه الفتوى في ظاهر العلم . أما الأخبار : فإنه لما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الظلة قال « فمن تابذهم نجاً ومن اعتزلهم سلم أو كاد أن يسلم ومن وقع معهم في دينهم فهو منهم <sup>(١)</sup> » وذلك لأن من اعتزلهم سلم من إثمهم ولكن لم يسلم من عذاب يسعه معهم إن نزل بهم تركه النابتة والنزاعة وقال صلى الله عليه وسلم « سيكون من يسدي أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم يكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على المحض <sup>(٢)</sup> » وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم « أبيض القراء إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء <sup>(٣)</sup> » وفي الخبر « خير الأمراء الذين يأتون العلماء وشر العلماء الذين يأتون الأمراء »

( الباب السادس فيما قبل من مخالطة السلاطين )

(١) حديث فن تابذهم نجاً ومن اعتزلهم سلم أو كاد يسلم ومن وقع معهم في دينهم فهو منهم الطبراني من حديث ابن عباس بسند ضعيف وقال ومن خالطهم هلك (٢) حديث سيكون بسدي أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم يكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على المحض النسائي والترمذي وصححه والحاكم من حديث كعب بن جحزة (٣) حديث أبي هريرة أبيض القراء إلى الله عز وجل الذين يأتون الأمراء نعمهم في العلم .

في رعاية هذه الرسوم إلى حد يخرج إلى الافراط وكثيراً ما قبل بها قراء الرقاق والهمام والمغاربة إلى حد يخرج إلى الضرب والأليق أن ما ينكره الشرع ينكر وما لا ينكره لا ينكر ويجعل لصفريف الاخوان أعماراً مالم يكن فيها منكر أو إخلال بتدبؤ إليه والله للوفق .

[ للباب الثامن عشر

في القدوم من السفر ودخول الرباط

والأدب فيه ]

يبني الفقير إذا رجع من السفر أن يستبذ بالله تعالى من آفات القلم كما يستبذ به من وعاء السفر . ومن الدعاء للمأثور : « اللهم إني أعوذ بك من وعاء السفر وكآبة القلب وسوء الخطر في أهل والال والواله » وإذا أشرف



وفي الخبر: «الماء آمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلاطين فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم» (١) «رواه أنس رضي الله عنه . وأما الآثار : فقد قال حذيفة إذا كنتم ومواقف الفتن قبل وماهي قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال أبوذر: لئله بأسغة لاتفتي أبواب السلاطين فانك لاتصيب من دنياهم شيئا إلا أبا بومان ودينك أفضل منه ، وقال سفينان في جهنم واد لايسكنه إلا القراء الزوارون للولوك ، وقال الأوزاعي ما من شيء أنقض إلى الله من عالم يزور عالما . وقال سمعون ما أصبح بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسألته فيقال عند الأمير . وكنت أسمع أنه يقال إذا زارتم العالم يجب الدنيا فانهموه على دينكم حتى جرت ذلك إذا دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها المراكع ما أواجههم به من الظلمة والخائفة لهما ، وقال عباد بن الصامت حبان القاري: التاسك الأمراء فاق وجه الأغنياء رياء ، وقال أبوذر من أكثر سواد قوم فهو منهم أي من أكثر سواد الظلمة ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولادين له قيل له ولم قال لأنه ربيعة بسخط الله واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا قليل كان عاملا للحجاج فعزله فقال الرجل إنما عملت له على شيء يسير فقال له عمر حسبك أصبحت يوما أو بعض يوم شؤما وشرا ، وقال الفضيل ما ازداد رجل من ذى سلطان قريبا إلا ازداد من الله بعدا . وكان سعيد بن المسيب يشجر في الزيت ويقول إن في هذا لفتى عن هؤلاء السلاطين ، وقال وهيب هؤلاء الذين يدخلون على اللوك لهم أمر في الأمة من القامرين ، وقال محمد بن سلمة الديبالي العذرة أحسن من قارى على باب هؤلاء . ولما خالطت أهرى السلطان كتب أخ له في الدين إليه : عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت محال ينشئ لمن عرفك أن يدعو لك الله ورحمك أصبحت شيئا كبيرا قد أثقلتكم الله لما فهمك من كتابه وعلك من سنة نبيه محمد ﷺ وليس كذلك أخذ الله الشياق على الماء قال الله تعالى - لئبنته لناس ولا تكتفونه - واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آتست وحشة القام وسهلت سبيل البنى بدونك بمن لم يؤدقا ولم يترك باطلا حين أدناك اتخذوك قطبا تدور عليك رضى ظلمهم وجرا يبرون عليك إلى بلأهم وسلفا يصعدون فيه إلى ضلالتهم ويدخلون بك الشك على الماء ويتنادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فبا أقصدوا عليك من دينك لما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم - غلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة - الآية وإنك تعامل من لا يجهل وعفظ عليك من لا ينفذ فداو دينك فقد دخلت مستم وهي زائد قد حضر سفر بيد - وما يغني على الله من شيء في الأرض ولا في السماء - والسلام ، فعذه الأخبار والآثار تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتن وأنواع الفساد ولكن تفصل ذلك تفصيلا قفها تميز فيه المظهر عن الكره والباح . فقول : الداخل على السلطان مترش لأن بعض الله تعالى إما يفضله أو يسكوته وإما يؤمله وإما يعتاده فلا يفتك عن أحدعذه الأمور أما الفعل فالدخل عليهم في غالب الأحوال يكون إلى دور مضوبة وتخطها والدخول فيها بغير إذن لللاك حرام ولا يترك قول القائل إن ذلك مما يتسامح به الناس كشمرة أو فتاة خبز فإن ذلك صحيح في غير التصوب أما التصوب فلا لأنه إن قيل إن كل جلسة خفيفة لاتتنص لللاك فهي في عمل التماسيح وكذلك الاجتياز فيجبرى هذا في كل واحد فيجبرى أيضا في الجموع والنصب إنما تم بفعل الجميع وإنما يتسامح به

(١) حديث أنس الماء آمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلاطين الحديث القليل في الضعفاء في ترجمة خصص الآري وقال حديثه غير محفوظ تقدم في العلم .

على بله يريد القام بها  
يشير بالسلام على من  
بها من الأعيان  
والأموات وقرأ من  
القمران ما يفسر  
وجمعه هدية للأعيان  
والأموات ويكره قد  
روى أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
كان إذا قتل من  
غزو أو حج يكره على  
كل شرف من الأرض  
ثلاث مرات ويقول :  
لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له له الملك  
وله الحمد وهو على كل  
شيء قدير آيرون  
تاليون ما يدون  
ساجدون لربنا حامدون  
صدق الله وعده ونصر  
عبده وهزم الأحزاب  
وحده ويقول إذا رأى  
البد : اللهم اجعل لها  
قرارا ورزقا حسنا  
ولو اغتسل كان حسنا  
اقتداء برسول الله صلى  
الله عليه وسلم حيث  
اغتسل فدخل مكة .  
وروى أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم لما  
رجع من طلب الأحزاب

إذا افترد إذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه فإذا كان ذلك طريقاً إلى الاستغراق بالاشتراك حكم  
التحرير ينسحب على الكل فلا يجوز أن يؤخذ ملك الرجل طريقاً اعتاداً على أن كل واحد من  
اللارين إنما يخطو خطوة لاتقص للملك لأن المجموع مفوت للملك وهو كضربة خفيفة في التعليم تباح  
ولكن بشرط الانفراد فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع أن  
كل واحدة من الضربات لو افتردت لكانت لاتوجب قصاصاً فإن فرض كون الظالم في موضع غير  
منضوب كالومات مثلاً فإن كان تحت خيمة أو مظلة من ماله فهو حرام والدخول إليه غير جائز لأنه  
استفاد بالحرام واستغلاله بآن فرض كل ذلك حلالاً فلا يسمى بالدخول من حيثانه دخول ولا بقوله  
السلام عليكم ولكن إن سجد أو ركع أو مثل قائماً في سلامه وخدمته كان مكرماً للظالم بسبب  
ولايته القوي آله ظله والتواضع للظالم نصية بل من تواضع لتقي ليس بظالم لأجل غناه لأمي آخر  
اقتضى التواضع قصص ثلثا دينه فكيف إذا تواضع للظالم فلا يباح إلا مجرد السلام فأما تقبيل اليد  
والانحناء في الخدمة فهو مصيبة إلا عند الخوف أو لإمام عادل أو لإمام أولي يستحق ذلك بأمر ديني .

قبل أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه يد على كرم الله وجهه لما إن قيه بالشم فلم يشكر عليه وقد  
بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم في السلام والأعراض عنهم استغفروا لهم وعد ذلك من  
محاسن القربات فأما السكوت عن رد الجواب ففيه نظر لأن ذلك واجب فلا ينبغي أن يسقط الظالم  
فإن ترك الداخل جميع ذلك واقتص على السلام فلا يخلو من الجالس على سباطهم وإذا كان أغلب  
أموالهم حراماً فلا يجوز الجالس على فرشهم هذا من حيث الفعل . فأما السكوت فهو أنه سري في مجلسهم  
من القرش الحرير وأواني الفضة والحرير اللبوس عليهم وعلى غلبتهم ما هو حرام وكل من رأى سيئة  
ومسكت عليها فهو شريك في تلك السيئة بل يسمع من كلامهم ما هو مخفي وكذب وشتم وإيذاء والسكوت  
على جميع ذلك حرام بل يراهم لا يبين الثياب الحرام وآكلين الطعام الحرام وجميع ما في أيديهم حرام  
والسكوت على ذلك غير جائز فيجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه إن لم يقدر بضمه .  
فإن قلت : إنه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق ولكنه مستثنى عن أن يمرض نفسه  
لارتكاب ما لا يباح إلا بغير فاته لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسية حتى يسقط عنه  
بالمعذر وعند هذا أقول من علم فساداً في موضع وعلم أنه لا يضر على إزالته فلا يجوز له أن يحضر ليجري  
ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت بل ينبغي أن يحترز عن مشاهدته . وأما القول فهو أن يدعو  
الظالم أو يثني عليه أو يصدق فبا يقول من باطل يصريح قوله أو بتحريك رأسه أو باستبشار في وجهه  
أو بظهر له الحب واللواذ والاشتياق إلى لقائه والحرص على طول عمره وبقائه فانه في الغالب لا يقتصر  
على السلام بل يتكلم ولا يبدو كلامه هذه الأنعام . أما الدعاء له فلا يخل إلا أن يقول أمهلني  
الله أو وثق الله للخيرات أو طول الله عمرك أو طاعتني أو ما يجري هذا الجري فأما الدعاء بالحراسة  
وطول البقاء وإسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما في معناه فغير جائز قال صلى الله عليه وسلم « من  
دعا للظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه <sup>(١)</sup> » فإن جاوز الدعاء إلى الثناء فسيذكر ما ليس  
فيه فيكون بالكاذب ومناقضاً ومكرماً للظالم وهذه ثلاث معاصي وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله  
ليغضب إذا مدح الفاسق <sup>(٢)</sup> » وفي خبر آخر « من أكرم فاسقاً فقد أعان على هدم الإسلام <sup>(٣)</sup> »

(١) حديث من دعا للظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه تقدم (٢) حديث إن الله يغضب  
إذا مدح الفاسق تقدم (٣) حديث من أكرم فاسقاً فقد أعان على هدم الإسلام تقدم أيضاً .

وتزل المدينة نزع لأمته  
وإغتسل واستحم  
ولاً فليجد الوضوء  
ويتقلب ويتقلب  
ويستلقا الأخوان  
بذلك وينوي التبرك  
بمن هناك من الأحياء  
والأموات ويؤرم .

روى أبو هريرة رضى  
الله عنه قال قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
« خرج رجل زوراً خائفاً  
له في الله فأرصد الله  
بمدرجته مسلماً وقال  
أين تريد قال أنزور  
فلانا قال لمرابة قال  
لا قال لنعمة له عندك  
تشكرها قال لا قال  
فيم تزوره قال إن  
أحبني الله قال فاني  
رسول الله إليك بأنه  
يحبك بحبك إليه » .  
وروى أبو هريرة رضى  
الله عنه عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
أنه قال « إذا دعا الرجل  
أخاه أو أزاره في الله قال  
الله له طيب وطاب  
مجتاك وبقبوا من الجنة  
مزيلاً » وروى أن

فإن جاوز ذلك إلى التصديق له فيما يقول والتركه والشاء على ما يعمل كان عاصيا بالتصديق وبالإنعانة  
فإن التركه والشاء إبانة على العصية وتحريك للرغبة فيه كما أن التكذيب واللذمة والتبنيح زجر  
عنه وتضييق لدواعيه والانعانة على العصية ولو بشرط كلمة ، ولقد سئل سفيان الثوري رضى الله  
عنه عن ظالم أشرف على الهلاك في بركة هل يسقى شربة ماء فقال لا دعه حتى يموت فإن ذلك إغاثته  
وقال غيره يسقى إلى أن شوب إليه نفسه ثم يرض عنه فإن جاوز ذلك إلى إظهار الحب والشوق إلى لقائه  
وطول بقاءه فإن كان كاذبا عصى معصية الكذب والنفاق وإن كان صادقا عصى بحبه بقاء الظالم وحقه  
أن يفضيه في الله ويقتله فالبعض في الله واجب ومحبة العصية والمرضى بها عاص ومن أحب ظلما فإن  
أحبه لظلمه فهو عاص لهبه وإن أحبه لسبب آخر فهو عاص من حيث إنه لم يفضيه وكان الواجب عليه  
أن يفضيه وإن اجتمع في شخص خير وشر وجب أن يحب لأجل ذلك الخير ويغض لأجل ذلك الشر  
وسبأ في كتاب الإخوة والتحابين في الله وجه الجمع بين البغض والحب فإن سلم من ذلك كله وهربا  
فالإسلم من فساد ينطرق إلى قلبه فإنه ينظر إلى توسعه في النعمة ويزدري نعم الله عليه ويكون مقتعما  
نهي رسول الله ﷺ حيث قال « يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق (١) »  
وهذا مع ما فيه من اقتداء غيره في الدخول ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه وتجعله إياهم إن كان  
عبد يتجمل به وكل ذلك إما كروهاة أو محظورات . دعى سيد بن السبب إلى البيعة للوليد وسليمان ابني  
عبد الملك بن مروان فقال لا أتابع اثنين ما خالف الليل والنهار فإن النبي ﷺ نهي عن يمينين (٢)  
فقال ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر فقال الولد لا يقتدي أحد من الناس بقلبي ما أتوا بس

للسوح ولا يجوز الدخول عليهم إلا بغير إذن . أحدهما أن يكون من جهة أمر إزارا لأمر إكرام  
وعلم أنه لا تمتنع أذى أو فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب عليهم أمر السياسة فيجب عليه الإجابة  
لأطاعته بل لرعاية المصلحة الحاقية حتى لا تضطرب الولاية . والثاني أن يدخل عليهم في دفع ظلم عن  
مسلم سواء أوعن نفسه إما بطريق الحسنة أو بطريق الظلم فذلك رخصة بشرط أن لا يكذب ولا يثنى  
ولا يقع نصيحة يتوقع لها قبولاً فهذا حكم الدخول . الحالة الثالثة أن يدخل عليك السلطان الظالم  
زائرا فجواب السلام لا بد منه وأما القيام والاكرام فلا يحرم مقابلة على إكرامه فإنه باكرام العلم  
والدين مستحق للاحدا كما أنه بالظلم مستحق للإبعاد فالأكرام بالاكرام والجواب بالسلام ولكن الأولى  
أن لا يقوم إن كان معه في خلوة يظهره بذلك عز الدين وحقارة الظلم ويظهر غضبه للدين وإعراضه  
عن أمرض عن الله فأعرض الله تعالى عنه وإن كان الداخل عليه في جميع فراعاة حسنة أو باب  
الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا بأس بالقيام على هذه النية وإن علم أن ذلك لا يورث فسادا في الرعية  
ولا يناله أذى من غضبه فترك الأكرام بالقيام أولى ثم يجب عليه بعد أن وقع اللقاء أن ينصحه فإن  
كان يقارفر بالإنصاف تحريمه وهو يتوقع أن يتركه إذا عرف فليعرفه فذلك واجب وأما إذا تحريم  
ما يلح من السرف والظلم فلا فائدة فيه بل عليه أن يخوفه فيما يرتكبه من العاصي مهما ظن  
أن التخويف يؤثر فيه وعليه أن يرشده إلى طريق الصلحة إن كان يعرف طريقا على وفق الشريعة

(١) حديث يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق الحاكم من حديث  
عبد الله بن النخعي أئقوا الدخول على الأغنياء فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة عز وجل وقال صحيح  
الاسناد (٢) حديث دعا ابن السبب إلى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك فقال لا أتابع اثنين  
ما اختاف الليل والنهار فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عن يمينين أبو نعيم في الحلية بإسناد  
صحيح من رواية يحيى بن سعيد .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكرا للآخرة » فيحصل للفقر فائدة الأحياء والأموات بذلك فافها دخل البلد يبتدئ عسجد من الساجد يصلي فيه ركعتين فإن قصد الجامع كان أكمل وأفضل وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم دخل السجدا ولا يصلي ركعتين ثم دخل البيت والرباط للفقر بمنزلة البيت ثم قصد الرباط قصد الرباط من السنة على ما روينا عن طلحة رضى الله عنه قال : سكن الرجل إذا قدم للدين وكان له بها عريف ينزل على عرفة وإن لم يكن له بها عريف نزل الصفة فكنت ممن أنزل الصفة ، فإذا دخل الرباط عصى إلى الوضع الذي يريد نزول الحنف فيه فيلح

بحيث يحصل بها غرض الظلم من غير معصية ليعصده بذلك عن الوصول إلى غرضه بالظلم فإذا يجب عليه التعريف في عمل جهله والتخويف فيها ومستجري عليه والإرشاد إلى ماهو غافل عنه بما ينبغي عن الظلم فهذه ثلاثة أمور تلزمه إذا وقع للسلام فيه أمرا وذلك أيضا لازم على كل من اتفق له دخول على السلطان بعدوا وبينه عذر . وعن محمد بن صالح قال كنت عند حماد بن سلمة وإذا ليس في البيت إلا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علفه ومطهرة يتوضأ فيها فأنعده إذ قد دق الباب فآذاهو محمد بن سليمان فأذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال له مالي إذا رأيتك امتلأت منك رعبا قال حماد لأنه قال عليه السلام « إن العالم إذا أراد بعله وجهه الله هابه كل شيء . وإن أراد أن يكثر به السكوت هاب من كل شيء » (١) ثم عرض عليه أربعين ألف درهم وقال تأخذهاو تستعين بها قال أرددها على من ظلمتها قال والله ما أعطيتك إلا ما ورثته قال لا حاجة بي قال تأخذها فتقسمها قال لعل إن عدلت في قسمتها أخاف أن يقول بعض من لم يرق منها إنهم يبدل في قسمتها فيأتهم فازوها عني .

الحالة الثالثة : أن يعزلم فلا يروهم ولا يرونه وهو الواجب إذ لإسلامة إلا فيه ضلعي أن يعتقد بعضهم على ظلمهم ولا يجب بقاؤه ولا يبقى عليهم ولا يستنبر عن أحوالهم ولا يتقرب إلى التصلين بهم ولا يتأسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم وذلك إذا خطر بباله أمرهم وإن غفل عنهم فهو الأحسن وإذا خطر بباله تتميم فليذكر ما قاله حاتم الأصم « إنما يخفى وبين الملوك يوم واحد فأما أسف فلا يجدون لفته وإنى وإياهم في غد لعل وجل وإعما هو اليوم وما عسى أن يكون في اليوم ، وما قاله أبو البرداء إذ قال أهل الأموال يا كلون ونا كل وشربون وترب ويليسون وتلبس ولهم فضول أموال ينظرون إليها وننظر معهم إليها وعليهم حسابها ونحن منها برآء وكل من أحاط بعلمه بظلم ظالم ومعصية عاص فينبغي أن يحط ذلك من درجته في قلبه فهذا واجب عليه لأن من صدر منه ما يكره قص ذلك من رتبته في القلب لإحالة والمصية يبنى أن تكفر فانه إما أن يغفل عنها أو يرضى بها أو يكره ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلا بد من الكراهة فليكن جناية كل أحد على حق الله كجانيته على حرك . فان قلت الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فكيف يجب . قلنا ليس كذلك فإن الحب يكره بضرورة الطبع ماهو مكروه عند محبوه ومخالف له فان من لا يكره معصية الله لا يجب الله وإعما لا يجب الله من لا يعرفه ولا يعرفه واجبة والمحبة لله واجبة وإذا أحبه كره ما كرهه وأحبه ما أحبه وسبأني تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا . فان قلت قد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين . فأقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل كما حكى أن هشام بن عبد الملك قسم حاجا إلى مكة فلما دخلها قال اتقوا رجل من الصحابة قيل يا أمير المؤمنين قد نفاونا فقال من التابعين فأتى بطاوس الجاني فلما دخل عليه خلع ثيابه بجاشية بساطه ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك يا هشام ولم يكنه وجلس بإزائه وقال كيف أنت يا هشام ؟ فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له أنت في حرم الله وحرم رسوله ولا يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما الذي حملك على ما صنعت قال وما الذي صنعت فأزدار غضبا وغيظا قال خلعت ثيابك بجاشية بساطي ولم تقبل بدى ولم تسلم على بإمرة المؤمنين ولم تكنى وجلست بإزائي غير إذنى وقتل كيف أنت يا هشام قال أما ما صنعت

وسطه وهو قائم ثم يخرج الخريطة يساره من مكة اليسار ويحل رأس الخريطة باليمن ويخرج للداس باليسار ثم يضع الداس على الأرض ويأخذ باليديد ويلقيها في وسط الخريطة ثم يترج خننه اليسار فإن كان على الوضوء يسفل قدميه بحدنزع الخنن من تراب الطريق والبرق وإذا قدم على السجادة يطوى السجادة من جانب اليسار ويمسح قدميه بما انطوى ثم يستقبل القبلة ويصل ركعتين ثم يسلم ويحفظ القدم أن يبطأ بها موضع السجود من السجادة وهذه الرسوم الظاهرة التي استحسناها بعض الصوفية لا تستكر على من يتقيد بها لأنه من استحسان الشيوخ وبنيتهم الظاهرة في ذلك خييد اللريد في كل شيء . بيوتة محصورة ليكون أبدا مفقدا

(١) حديث حماد بن سلمة مرفوعا إن العالم إذا أراد بعله وجهه الله هابه كل شيء . وإذا أراد أن يكثر به السكوت هاب من كل شيء . هذا معضل وروى أبو الشيخ بن حبان في كتاب التواب من حديث واثلة بن الأسقع من خاف الله خوف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله فحوقه الله من كل شيء . وللعقيلي في الضعفاء نحوه من حديث أبي هريرة وكلاما منكرا .

من خلع نعلي بحاشية بساطك فاني أخلدكما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقب ولا ينضب على وأما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : لا يجزئ لرجل أن يقبل بأحد إلا أمرأته من شهوة أو ولده من رحمة وأما قولك لم تسلم على يامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب وأما قولك لم تسكني فان الله تعالى سمى أنبياءه وأوليائه فقال يادادو يايعسى يايعسى وكفى أعداءه قال - تب تبدا أبي لهب - وأما قولك جلست بأزائي فاني سمعت أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له هشام عظمي فقال سمعت من أمير المؤمنين على رضي الله عنه يقول إن في جهنم حيات كالقمل وعقارب كاليفال تلغ في كل أمير لا يبدل في رعبته ثم قام وهرب وعن سفیان الثوري رضي الله عنه قال أدخلت على أبي جعفر النصور بنى فقال لي ارفع إلينا حاجتك قلت له اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا قال فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال ارفع إلينا حاجتك قلت إنما أزلت هذه التزلة بسيف المهاجرين والأنصار وأبناؤهم يموتون جوعا فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال ارفع إلينا حاجتك قلت حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لحازنه كم أنفقت ؟ قال بضعة عشر درهما وأرى ههنا أموالا لاتطيق الجبال حملها وخرج فكذلك كانوا يدخلون على السلاطين إذا أئزموا وكانوا يغزرون بأرواحهم لانتقام لله من ظلمهم ودخل ابن أبي شميعة على عبد الملك بن مروان فقال له تكلم فقال له إن الناس لا يجنون في القيامة من غصصها ومراراتها ومماينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه فكيف عبد الملك وقال لأجلن هذه الكلمة مثالا نصب عيني ماعشت ولما استعمل عثمان بن عفان رضي الله عنه عبد الله بن عامر أتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطأ عنه أبو ذر فكان له صديقا فتابه فقال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عنه »<sup>(١)</sup> ودخل مالك بن دينار على أمير البصرة فقال أيها الأمير قرأت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول ما أحق من سلطان وما أجهل من عصاة ومن أعز من اعترى أيها الراعي السوء دفعت إليك غنا سبانا صحاحا فأكلت اللحم وليست الصوف وتركها عظاما تتعفن فقال له والى البصرة أندري ما الذي يجرئك علينا ويحبنا عنك قال لا قال فة الطمع فينا وترك الامساك لما في أيدينا . وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد فجزع ووضع صدره على مقدمة الرجل فقال له عمر هذا صوت رحمتي فكيف إذا سمعت صوت عذابي ثم نظر سليمان إلى الناس فقال ما أكثر الناس فقال عمر خضاؤك يا أمير المؤمنين قال له سليمان ابتلاك الله بهم . وحكى أن سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فأرسل إلى أبي حازم فدعاه فلدخل عليه قاله سليمان ياأبا حازم ما لنا نكره للوث فقال لأنك خربت آخرتكم وحرمت دينكم فكرهتم أن تنتقلوا إلى المعمران إلى الخراب فقال ياأبا حازم كيف أقدم على الله قال ياأمير المؤمنين أما الحسن فكان لائب يقدم على أهله وأما السبي فكذلك يقدم على مولاه فكيف سليمان وقال ليت شعري مالي عند الله قال أبو حازم اعرض نفسك على كتاب الله تعالى حيث قال - إن الأبرار لتي نعم وإن التجار لتي جحيم - قال سليمان فأتى رحمة الله قال قريش من المستحسن ثم قال سليمان ياأبا حازم أي عباد الله أكرم ؟ قال أهل البر والتقوى قال فأى الأعمال أفضل ؟ قال أداء القرائن مع اجتناب المحارم قال فأى الكلام أمتع ؟ قال قول الحق عند من تخاف وترجو

(١) حديث أبي ذر إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عنه وجل منه لم أنف له على أصل .

لحركاته غير قائم على حركة يغير قصد وعزيمة وأدب ومن أدخل من القراء بشي من ذلك لا ينكر عليه ما لم يخل بواجب أو مندوب لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تفيدوا بحكمتهم من رسوم للتصوفة وتكون الشبان يطالبون الوارد عليهم بهذه الرسوم من غير نظرهم إلى النية في الأشياء غلط قلل الفقير يدخل الرباط غير مشمر أو كالمه وقد كان في السفر لم يشعر بالأحكام فينبه أن لا يتعاطى ذلك لنظر الخلق حيث لم يخل بتدب إليه شرعا وكون الآخر يشعر بالأحكام فينبس ذلك على حد الوسط وشد الوسط من السنة كما ذكرنا من حد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوساطهم في سفرهم بين المدينة ومكة فتشعر الأحكام

قال فأى المؤمنين أكيس؟ قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها قال فأى المؤمنين أكيس؟ قال رجل خطا في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال سليمان ما تقول فيا نحن فيه؟ قال أوتفني قال لا بد فانها نصيحة تلقاها إلى قال يأمر المؤمنين إن أباهم قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من السليدين ولا رضاء منهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت بما قالوا وماتيل لهم فقال له رجل من جلسائه بشيا قلت قال أبو حازم إن الله قد أخذ الشياطين على العلماء ليبيّنهن للناس ولا يكتُمونه قال وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد؟ قال إن تأخذ من حله تضعه في حقه قال سليمان ومن يقدر على ذلك؟ قال من يطلب الجنة ويخاف من النار قال سليمان ادع لي قال أبو حازم: اللهم إن كان سليمان وليك فيفسره لغيري الدنيا والآخرة وإن كان عدوك تغذ بناصيته إلى ما تحب ورضي قال سليمان أوصني قال أوصيك بأوجز عظم ربك وزهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك. وقال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم عتقني فقال اضطلع ثم اجعل اللوت عند رأسك ثم انظر إلى ما تعجب أن يكون فيك تلك الساعة ففقهه الآن وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة ففقهه الآن فلعل تلك الساعة قريبة. ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك قال تكلم يا أعرابي قال يأمر المؤمنين إلى مملكك بسلام فاحمله وإن كرهته فإن وراءه ما يحب إن قبلته قال يا أعرابي إنا لنجود بسعة الاختيار على من لا تزجو نصحه ولا تأمن غشه فكيف بمن تأمن غشه وزجو نصحه قال الأعرابي يأمر المؤمنين إنه قد تكسفت رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله تعالى ولم يخافوا الله فيك حرب الآخرة سلم الدنيا فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله تعالى عليه فاتهم لم يألو في الأمانة تضييعا وفي الأمانة خسفا وعسفا وأنت مسئول عما اجترحوه وليسوا بمسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غيبا من باع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان يا أعرابي أما إنك قد سللت لسلك وهو أقطع سيفيك قال أجل يأمر المؤمنين ولكن لك لاعليك. وحكى أن أبا بكر دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك في كل ليلة تأتي عليك لآزداد من الدنيا إلا بعدا ومن الآخرة إلا قربا وعلى أترك طالب لافوته وقد نصب لك علما لا تجوزه فما أسرع ما جئناك العلم وما أوشك ما يلحق بك الطالب وإنا وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن إليه صائرون باقى إن خيرا غير وإن شرا فمكذبا كان دخول أهل العلم على السلاطين أعنى علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيدخلون ليقرّبوا إلى قلوبهم فيدلوهم على الرخص ويستنبطون لهم بدقائق الحيل طرق السعة في ما وافق أغراضهم وإن تسكّموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن تصدّم الإصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم وفي هذا غروران يتر بهما الحق: أحدهما أن يظهر أن قصدى في الدخول عليهم لإصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على أنفسهم بذلك وإيما الباعث لهم شهوة خفية للشهوة وعصيل المرفة عندهم وعلامة الصدق في طلب الإصلاح أنلو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من أقرانه في العلم ووقع موقع القبول وظهر به أثر الإصلاح فينبئني أن يفرجه ويستكر الله تعالى على كفايته هذا اللهم كن وجب عليه أن يسأل مرضيا ضامنا مقام ما يجالته غيره فانه يعلم به فرحه فان كان يصادف في قلبه ترجيحاً للإسلامه على كلام غيره فهو مفروود. الثاني أن يزعم أني أقصد الشفاعة فلمر في دفع ظلامة وهذا أيضا مظنة التروير ومياري ما قدم ذكره وإذا ظهر طريق الدخول عليهم فلنرسم في الأحوال العارضة في مخالطة السلاطين ومباشرة أموالهم مسائل. مسألة: إذا بعث إليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء فان كان له ماله معلن فلا عمل أشدّه وإن لم يكن

في معناه من الحفصة والارتفاق به في الشئ فمن كان مشدود الوسط شعرا يدخل الرباط كذلك ومن لم يكن في السفر مشدود الوسط أو كان راكبا لم يشد وسطه فمن الصدق أن يدخل كذلك ولا يعتمد شد الوسط وتشمير الأكامل لنظر الخلق فانه تكلف ونظر إلى الخلق ومبىي التصوف على الصدق وسقوط نظر الخلق وعما ينصكر على للتصوفة أنهم إذا دخلوا الرباط لا يبتدون بالسلام ويقولون للسكر هذا خلاف للتدوب ولا ينبغي للسكر أن يبادر إلى الانكار دون أن يعلم مقاصدهم فيا اعتدوه وتركهم السلام يحتمل وجوها: أحدها أن السلام اسم من أسماء الله تعالى وقد روى عبد الله بن عمر قال سمع رجلا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو

بل كان حكمه أنه يجبو التصديق به على الساكن كما سبق ذلك أن تأخذه وتولى التفرقة ولا تسمى بأخذه ولكن من العلماء من امتنع عنه فعندهذا ينظر في الأولى فتقول : الأولى أن تأخذه إن أمئت ثلاث غوائل . الغائلة الأولى : أن ينظر السلطان بسبب أخذك أن ماله طيب ولولا أنه طيب لما كنت تعد يدك إليه ولا تدخله في ضيائه فان كان كذلك فلا تأخذه فان ذلك محذور ولا يلى الحرج في مباشرتك التفرقة بما يحصل لك من الجرامة على كسب الحرام . الغائلة الثانية : أن ينظر إليك غيرك من العلماء والمجاهل فيمتدحون أنه حلال فيمتدحون بك في الأخذ ويستدلون به على جوازهم لا يغرقون فهذا أعظم من الأول فان جماعة يستدلون بأخذ الشافعي رضي الله عنه على جواز الأخذ ويفعلون عن تفرقه وأخذه على نية التفرقة فالتفتدي والتشبه به يبنى أن يحترز عن هذا غاية الاحتراز فانه يكون فله سبب ضلال خلق كثير . وقد حكى وهب بن منبه أن رجلا أتى به إلى ملك بمشهد من الناس ليكرهه على أن يأكل لحم الخنزير فلم يأكل فقدم إليه لحم غنم وأكرهه السيف فلم يأكل فقيل له في ذلك فقال إن الناس قد اعتقدوا أني طوبيت بأكل لحم الخنزير فإذا خرجت سالما وقد أكلت فلا يملكون ماذا أكلت فيضلون . ودخل وهب بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف أخى الحاجب وكان عاملا وكان في غداة باردة في مجلس بارز . فقال لفلانة هلم ذلك الطليسان وأتته على أبي عبد الرحمن أي طاوس وكان قد تصد على كرسي فألقى عليه قلم يزل يحرك كنفه حتى أتى الطليسان عنه فضرب محمد بن يوسف فقال وهب كنت غنيا عن أن تضيق لو أخذت الطليسان وتصدت به قال نعم لولا أن يقول من يبدى إته أخذه طاوس ولا يصنع به ما أصنع به إذن لعلت . الغائلة الثالثة : أن يتحرك قلبك إلى حبه لتخصيه بإك وإشاره لك بما أمته إليك فان كان كذلك فلا تقبل فان ذلك هو السم القاتل والماء الدفين أعنى ما يجب الظلمة إليك فان من أحبه لابد أن يحرص عليه وتدهان فيه قالت عائشة رضي الله عنها : جبلت النفوس على حب من أحسن إليها وقال عليه السلام « اللهم لا تجعل لفاجر عندي بدا فيجبه قلبي » <sup>(١)</sup> بين صلى الله عليه وسلم أن القلب لا يتكاد يمتنع من ذلك . وروى أن بعض الأمراء أرسل إلى مالك بن دينار بشرة آلاف درهم فأخرجها كلها فأناها محمد بن واسع فقال ما صنعت بما أعطاك هذا الخاق ؟ قال سسل أصحابي فقالوا أخرجها كله قال أنشدك الله أنليك أشد حيا له الآن أم قيل أن أرسل إليك ؟ قال لا بل الآن قال إنما كنت أخاف هذا وقد صدق فانه إذا أحبه أحب مقامه وكره عزله ونكته وموته وأحب السماع ولايته وكثرة ماله وكل ذلك حب لأسباب الظلم وهو مذموم قال سلمان وابن مسعود رضي الله عنهما من رضى بأمر وإن فاب عنه كمن عهدته قال تعالى - ولا تركنوا إلى الذين ظلموا - قيل لا ترضوا بأعمالهم فان كنت في القوة بحيث لا تزاد حيا لم بذلك فلا بأس بالأخذ . وقد حكى عن بعض عباد البصرة أنه كان يأخذ أموالا ويقرها قبل له إلا يخاف أن يجبه فقال لو أخذ رجل يدي وأدخلني الجنة ثم جى ربه ما أجبه قائل لأن الذي سخره للأخذ يدي هو الذي أبشاه لأجبه شكرا له على تسخيريه إياه وهذا يبين أن أخذ المال الآن منهم وإن كان ذلك للمال بعينه من وجه حلال محذور ومذموم لأنه لا ينفعك من هذه التوائل . مسألة : إن قال قائل إذا جاز أخذهما وتفرقت فهل يجوز أن يسرق ماله أو يخفي وديته وتكره وتفرق على الناس فتقول ذلك غير جائز لأنه ربما يكون له مالك معين

(١) حديث اللهم لا تجعل لفاجر عندي بدا فيجبه قلبي ابن مردويه في التفسير من رواية كثير بن عطية عن رجل لم يسم ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ وأبو موسى اللدني في كتاب توضيح العمر والأيام من طريق أهل البيت مرسلأ وأسانيد كلها ضعيفة .

يول فسلم عليه فلم يرد عليه حتى كاد الرجل أن يتواري فغضب يده على الحائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة أخرى فمسح بها ذراعيه ثم ردى الرجل السلام وقال إنه لم يعنى أن أرد عليك السلام إلا أني لما كنت على طهر» وروى « أنه لم يرد عليه حتى توضأ ثم اعتذر إليه وقال إني كرهت أن أذكر الله تعالى إلا على طهر» وتديكون جمع من الفقهاء مصطحين في السفر وقد يشق لأحمد حدث فلوسلم للتوضؤ وأمسك المحدث ظهر حاله فيترك السلام حتى يتوضأ من يتوضأ ويضل قدمه من يضل ستره لعل على من أحدث حتى يكون سلامهم على الطهارة اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يصحكون بعض التبيين أيضا على غير طهارة فيستدلون ب

وهو على عزم أن يرده عليه وليس هذا كما لو يته إليك فإن العاقل لا يظن به أنه يصدق بحال يعلم مالكة فيدل تسليمه على أنه لا يعرف مالكة فإن كان بمن يشكك عليه مثله فلا يجوز أن يقبل منه المال ما يعرف ذلك ، ثم كيف يسرق ويحتل أن يكون ملكه قد حصل له بشراء في ذمته فإن اليد ذلالة على ذلك فهذا لا سبيل إليه بل لو وجد لقطة وظهر أن صاحبها جندی واحتمل أن تكون له بشراء في القصة أو غيره وجب الرد عليه فإذا لم يجز سرقه ماله لمنهم ولا بمن أودع عنده ولا يجوز إنكار ودينتهم ويجب الحد على سارق ماله إلا إذا ادعى السارق أنه ليس ملكا لهم فندد ذلك بسقط الحد بالدعوى . مسألة : للعامة معهم حرام لأن أكثر ماله حرام فما يؤخذ عوضا فهو حرام فإن أدى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما سلم إليهم فإن علم أنهم يصون الله به كبيع الدجاج منهم وهو يعلم أنهم يلبسونه فذلك حرام كبيع الثوب من التجار وإنما الخلاف في الصحة وإن أمكن ذلك وأمكن أن يلبسوا نسائه فهو شبهة مكروهة هذا فيما يصح في عينه من الأموال وفي معناه بيع الفرس منهم لأسيا في وقت ركوبهم إلى قتال المسلمين أو جباية أموالهم فإن ذلك إغارة لهم بغرسة وهي محظورة فأما بيع الدراهم والدنانير منهم وما يجري مجراها مما لا يصح في عينه بل يتوصل بها فهو مكروه لما فيه من إغارة على الظلم لأنهم يستنبون على ظلمهم بالأموال والدواب وسائر الأسباب وهذه الكراهة جارية في الإهداء إليهم وفي العمل لهم من غير أجره حتى في تسليمهم وتعلم أولادهم الكتابة والترسل والحساب وأما تسليم القرآن فلا يكره إلا من حيث أخذ الأجرة فإن ذلك حرام إلا من وجه يعلم حله ولوا تصب وكلاهما يشتري لهم في الأسواق من غير جعل أو أجره فهو يكره من حيث الإغارة وإن اشترى لهم ما يعلم أنهم يقصدون به العصية كالقتال والدجاج للفرش والابس والفرس للركوب إلى الظلم والقتل فذلك حرام فهو ما ظهر قصد العصية بالمتابع حصل التحريم ومهما لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلائلها عليه حصلت الكراهة . مسألة : الأسواق التي ينهاها المال الحرام محرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها فإن سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعي لم يحرم كبيع وكان عاصيا بسكناه ولتناس أن يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا أخرى فالأولى الشراء منها فإن ذلك إغارة لسكناهم وتكثير لكرام حوائثهم وكذلك معاملة السوق التي لاخراج لهم عليها أحب من معاملة سوق لهم عليها خراج وقد بالغ قوم حتى حرزوا من معاملة الفلاحين وأصحاب الأراضي التي لهم عليها الخراج فأنهم ربما يصرفون ما يأخذون إلى الخراج فيحصل بالإغارة وهذا غلو في الدين وحرج على المسلمين فإن الخراج قدعهم الأراضي ولا غنى بالناس عن ارتضاع الأرض ولا معنى للمنع منه ولوجاز هذا الحرم على المالك زراعة الأرض حتى لا يطلب خراجها وذلك بما يطول ويتداخى إلى حسم باب العاش . مسألة : معاملة قضائهم ومعاملهم وخدمهم حرام كمالمتهم بل أشد أما القضاء فلا يمتهم يأخذون من أموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويغرون الخلق بزبهم فأنهم على زى العلماء ويحتلطون بهم يأخذون من أموالهم والطباع مجبولة على التقية والافتداء بنوى الجاه والحشمة فهم سبب اقتياد الخلق إليهم وأما الخدم والحشم فأكثر أموالهم من النصب الصريح ولا يقع في أيديهم مال مصلعة وميراث وجزية ولا وجه حلال حتى تضعف الشبهة باختلاط الحلال بالمعصوم قال طائوس لا أعهد عندهم وإن تحققت لأنى أخاف تعديهم على من شهدت عليه وبالجملة إنما فسدت الرعية بفساد اللوك وفساد اللوك بفساد العلماء فلو لا القضاء السوء والملاء السوء قل فساد اللوك خوفا من إنكارهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا تزال هذه الأمة تحت يدي الله

السلام أيضا بالطهارة لأن السلام اسم من أسماء الله تعالى وهذا من أحسن ما يذكر من الوجوه في ذلك ومنها أنه إذا قدم يماشه الإخوان وقد يكون معه من آثار السفر والطريق ما يكره فيستند بالوضوء والنظافة ثم يسلم ويصافهم ومنها أن جمع الرباط أرباب مراقبة وأحوال فهو هجم عليهم بالسلام قد يزعج منه مراقب ويتشوش محافظ والسلام يتقدمه استئناس بدخوله واشتغاله بفصل القدم والوضوء وصلات ركعتين فيتأهب الجميع له كما تأهب لهم بعد مسابقة الاستئناس وقال الله تعالى - حتى ننأسوا - واستئناس كل قوم على ما يليق بمالهم ومنها أنه لا يدخل على غير بيته ولا هو يفرى به منهم بل هم إخوانه



وكفه مالم يمالى قراؤها أمراءها<sup>(١)</sup> وإما ذكر القراء لأنهم كانوا هم السواء وإما كان عليهم بالقرآن ومعانيه الفهمية بالنسبة وما وراء ذلك من العلوم فهي محدثة بسدم وقد قال السفیان : لا تغالط السلطان ولا من يغالطه وقال صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرباس وصاحب البليطة بنسبتهم شركاء بعض وقد صدق فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن في الحجر عشرة حتى العاصر وللنصر<sup>(٢)</sup> وقال ابن مسعود رضى الله عنه « آكل الربا وموكله وشاهداه وكتابه ملمونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> » وكذا رواه جابر ومحمّد بن رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> وقال ابن سيرين لا تعمل للسلطان كتابا حتى تعلم ما فيه وانتع سفیان رحمه الله من مناقلة الخليفة في زمانه دولة بين يديه وقال حتى أعلم ما تكتب بها فكل من حوالهم من خدمهم وأتباعهم ظلمة مثلهم يجب بنسبتهم في الله جميعا . وروى عن عثمان بن زائدة أن مسلما رجل من الجند وقال أين الطريق فسكت وأظهر الصمم وخاف أن يكون متوجها إلى ظلم فيكون هو بإرشاده إلى الطريق معينا وهذه البالغة لم تقبل عن السلف مع التساق من التجار والحاكّة والحجابيين وأهل الحمامات والصالغة والصابغين وأرباب الحرف مع غلبة الكذب والفسق عليهم بل مع الكفار من أهل الفسقة وإنما هذا في الظلمة خاصة الأكلين لأموال البتاي والسلاطين والولاة الذين تهاونوا على طمس رسوم الشريعة وشعائرها وهذا للصبيبة تنقسم إلى لازمة ومتعبدية والفسق لازم لا يتبدى وكذا الكفر وهو جناية على حق الله تعالى وجسابة على الله وأمامية الولاء بالظلم وهو متعبد فاما ينظف أمرهم لذلك ويجدر عموم الظلم وعموم التصدي بزيادة عند الله مقنا فيجب أن يزداد منهم اجتنابا ومن معاملتهم احترازا فقد قال صلى الله عليه وسلم « يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار<sup>(٥)</sup> » وقال عليه السلام « من أشرط الساعة رجال معهم سياط كأذناب البقر<sup>(٦)</sup> » فهذا حكمهم ومن عرف بذلك منهم فقد عرف ومن لم يعرف فعلمته القباء وطول الشوارب وسائر الهيئات المشوهة فن رأى على تلك الهيئة تعين اجتنابا ولا يكون ذلك من سوء الظن لأنه الذي جنى على نفسه إذ تزيأ بهم ومساواة الذي تدل على مساواة القلب ولا يتجان

(١) حديث لأزال هذه الأمة تحت يد الله وكفه مالم يمالى قراؤها أمراءها أبو عمرو الداني في كتاب الفتن من رواية الحسن مرسلًا ورواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي وابن عمر بلفظ مالم يعظم أربارها فجارها ويدهان خيارها شرارها وإسنادهما ضعيف (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لمن في الحجر عشرة حتى العاصر والنصر الترمذي وابن ماجه من حديث أنس قال الترمذي حديث غريب (٣) حديث ابن مسعود آكل الربا وموكله وشاهداه وكتابه ملمونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وأصحح السنن واللفظ للنسائي دون قوله وشاهداه ولأن داود لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وشاهداه وكتابه ملمونون وابن ماجه وشاهداه (٤) حديث جابر لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكتابه ملمونون وشاهداه (٥) حديث جابر عن عمر قاضر إليه الترمذي بقوله وفي الباب ولاين ماجه من حديثه إن آخر ما أنزلت آية الربا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يفسرها فدعوا الربا والرية وهو من رواية ابن السيب عنه والجمهور على أنه لم يسمع منه (٦) حديث يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف (٧) حديث من أشرط الساعة رجال معهم سياط كأذناب البقر أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث أبي أمامة يكون في آخر الزمان رجال معهم سياط كأذناب البقر الحديث ومسلم من حديث أبي هريرة يوعك إن طالت بك مدة أن ترى قوما في أيديهم مثل أذناب البقر وفي رواية له سفنان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر الحديث .

والأمة بالنسبة المنوية الجامعة لهم في طريق واحد وللنزول منزله والوضع موضعه فى البركة في استغفار النزول بمعاملة الله قبل معاملة الخلق وكما عهد عذرهم في ترك السلام ينفي لهم أن لا ينكروا على من يدخل ويتدنى بالسلام فكأن من ترك السلام له نية فالتدنى بالسلام به له أيضا وللقوم آداب ورد بها الشرع ومنها آداب استحسانها شيوخم فيما ورد به الشرع ما ذكرنا من شد الوسط والمسا والركوة والابتداء باليمين في لبس الخف وفي زرع البسار . روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا استلمت فابدؤا باليمين وإذا خلمت فابدؤا باليسار أو اخلهما جميعا أو انزلهما جميعا » روى جابر رضى الله عنه « أن رسول الله صلى

إلا يحجون ولا يتسبه بالفاسق إلا فاسق نعم الفاسق قد يتسبه فيتسبه بأهل الصلاح فأما الصالح فليس له أن يتسبه بأهل الفساد لأن ذلك تكثير لسوئهم وإنما زل قوله تعالى - إن الدين توفاهم اللائكة ظالمى أنفسهم - في قوم من السليين كانوا يكترون جماعة الشركين بالمحالطة وقد روى أن الله تعالى أوصى إلى يوشع بن نون إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال مبال الأخبار قال إنهم لا يفتضون لمنضى فكانوا يؤاكلتهم ويشربونهم وهذا يبين أن بعض الظلة والتسبب عليهم واجب . وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ «إن الله لعن علماء بني إسرائيل إذا خلطوا الظالمين في معاشهم»<sup>(١)</sup> . مسألة : الواضع التي بناها الظلة كالتقاط الرباطات والساجد السقيات ينبغي أن يحاط فيها وينظر أما القطرة فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاحتراز ما أمكن وإن وجد معدلاً ناكذ الورع وإنما جوزنا العبور وإن وجد معدلاً لأنه إذا لم يعرف تلك الأعيان مالاً كان حكماً أن ترد للخيرات وهذا خبر فأما إذا عرف أن الأجر والحجرة تقل من دار معلومة أو مقبرة أو مسجد معين فهذا لإجل العبور عليه أصلاً إلا للضرورة يحمل به مثل ذلك من مال التبريم يجب عليه الاستحلال من المالك الذي يعرفه وأما المسجد فإن بني في أرض منصوبة أو غصب من مسجد آخر أو ملك معين فلا يجوز دخوله أصلاً ولا للجمعة بل لو وقف الإمام فيه فليس هو خلف الإمام وليقف خارج المسجد فإن الصلاة في الأرض المنصوبة تسقط القرض وتتعد في حق الاقتداء فذلك جوزنا لأنه تقتدى الاقتداء بمن صلى في الأرض المنصوبة وإن عصى صاحبه بالوقوف في التسبب وإن كان من مال لا يبرح مالكة فالورع المدول إلى مسجد آخر إن وجد فإن لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به لأنه يحتمل أن يكون من المالك الذي بناء ولوعى بعد وإن لم يكن له مالك معين فهو لصالح السليين ومهما كان في المسجد الكبير بناء لسلطان ظالم فلا عذر لمن صلى فيه مع اتساع المسجد حتى في الورع قبل لأحمد بن حنبل ما حجتك في ترك الخروج إلى الصلاة في جماعة ونحو بالعسكر فحق أن الحسن وإبراهيم التيمي خافا أن يفتنهما الحجاج وأنا أخاف أن أفتن أيضاً وأما الخلق والتجسس فلا يمنع من الدخول لأنه غير منفع به في الصلاة وإنما هوزنة الأولى أنه لا ينظر إليه وأما البوارى التي فرسوها فإن كان لها مالك معين فيحرم الجلوس عليها وإلا فيعد أن أرصدت لصلحة عامة جاز اقتراشها ولكن الورع المدول عنها فإنها محل شبهة . وأما السقاية فحكمها ما ذكرناه وليس من الورع الوضوء والشرب منها والدخول إليها إلا إذا كان يخاف قوات الصلاة فيتوضأ وكذا مصانع طريق مكة . وأما الرباطات والمدارس فإن كانت رتبة الأرض منصوبة أو الأجر مستقلاً موضع معين يمكن الرد إلى مستنقع فلا رخصة للدخول فيه وإن التمس المالك قد أرصد لجهة من الخير والورع اجتنابه ولكن لا يلزم الفسق بدخوله وهذه الأبيية إن أرصدت من خدم السلاطين فالأمر فيها أشد إذ ليس لهم صرف الأموال الضامنة إلى الصالح ولأن الحرام أغلب على أموالهم إذ ليس لهم أخذ مال الصالح وإنما يجوز ذلك للوالة وأرباب الأمر . مسألة . الأرض المنصوبة إذا جعلت شارعاً لم يجوز أن يتخطى فيه أئمة وإن لم يكن له مالك معين جاز والورع المدول إن أمكن فإن كان الشارع مباحاً وفوقه ساباط حاز الدور وجاز الجلوس تحت الساباط على وجه لا يحتاج فيه إلى

(١) حديث ابن مسعود لعن الله علماء بني إسرائيل إذا خلطوا الظالمين في معاشهم أبو داود والترمذي وابن ماجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم عماؤهم فلم يتوبوا فغاسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فغضب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم أنظر الترمذي وقال حسن غريب

الله عليه وسلم كان يخلع اليسرى قبل اليمنى ولبس اليمنى قبل اليسرى وبسط السجادة وردت به السنة وقد ذكرناه وكون أحدم لا يقعد على سجادة الآخر مشروع ومسنون وقد ورد في حديث طويل «لا يؤم الرجل الرجل في سلطانه ولا في أهله ولا يجلس على تكرمته إلا بإذنه» وإذا سلم على الاخوان يماهمهم ويمأخونه فقد روى جابر بن عبد الله قال «لما قدم جعفر من أرض الحبشة عاقله النبي صلى الله عليه وسلم» وإن قباهم فلا بأس بذلك روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم جعفر قبل بين عينيه وقال ما أنا بفتح خير أسرى بقدوم جعفر» ويصافح إخوانه فقد قال عليه السلام «قبلة السلم أخاه للصالح» وروى أنس

السقف كما ينف في الشارع لشغل هذا انتفع بالسقف في دفع حر الشمس أو الظل أو غيره فهو حرام لأن السقف لا يراد إلا لذلك وهكذا حكم من يدخل مسجداً أو أرضاً مباحة سقف أو حوط بنصب فاته بمجرد التخطي لا يكون متنعاً بالحيطان والسقف إلا إذا كان له فائدة في الحيطان والسقف لم أر أو برد أو تسر به بصر أو غيره فذلك حرام لأنه انتفاع بالحرام إذ لم يحرم الجلوس على النصب لما فيه من المصلحة بل للانتفاع بالأرض تراد للاستقرار عليها والسقف للاستئصال به فلا فرق بينهما .

( الباب السابع في مسائل متفرقة بكثر ميسر الحاجة إليها وقد سئل عنها في الفتاوى )

مسألة : سئل عن خادم الصوفية يخرج إلى السوق ويجمع طعاماً أو ثوباً ويشتري به طعاماً في الذي يحمله أن يأكل منه وهل يخص بالصوفية أم لا . قلنا أما الصوفية فلا شبهة في حقهم إذا أكلوه وأما غيرهم فيحملهم إذا أكلوه برضا الخادم ولكن لا يخلو عن شبهة أما الخلد فلأن ما يعطى خادم الصوفية إنما يعطى بسبب الصوفية ولكن هو المعطى للصوفية فهو كالرجل الميل يعطى بسبب عياله لأنه متكفل بهم وما يأخذ يقع ملكاً له لا لغيره ولا يمكن أن يعطى غير المالك إلا بإذنه أن يقال لم يخرج عن ملك المعطى ولا يسلط الخادم على التبرأ به والتصرف فيه لأن ذلك مغير إلى أن المعطاة لا تسكن وهو ضعيف ثم لا صائر إليه في الصدقات والهدايا ويعد أن يقال زال الملك إلى الصوفية الحاضرين الذين هم وقت سؤاله في الخفاء إذ خلاف أن له أن يعطى منه من يقدم يدهم ولومواوا كلمهم أو واحد منهم لا يجب صرف نصيبه إلى وارثه ولا يمكن أن يقال إنه وقع لجهة التصوف ولا يتعين له مستحق لأن إزالة الملك إلى الجهة لا توجب تسليط الأعداء على التصرف فان الدخول فيه لا ينصرفون بل يدخل فيه من يولد إلى يوم القيامة وإنما تصرف فيه الولاء والخادم لا يجوز له أن ينتصب نائباً عن الجهة فلا وجه لإلزامه بقوله وهو ملكه وإنما يعطى الصوفية بوفاء بشرط التصوف والبروة فان منهم عنه منعه عن أن يظهر فيه من مرض التكفل بهم حتى ينقطع وقفه كما ينقطع عن مات عياله . مسألة : سئل عن مال أوصى به للصوفية فمن الذي يجوز أن يصرف إليه قلنا التصوف أمر باطن لا يطلع عليه ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته بل بأمور ظاهرة يقول عليها أهل العرف في إطلاق اسم الصوفي والضابط الكلي أن كل من هو بصفة إذا نزل في خاها الصوفية لم يكن نزوله فيها واختلاطه بهم منكرنا عندهم فهو داخل في غمارهم والتفصيل أن يلاحظ في خمس صفات الصلاح والفقر وزى الصوفية وأن لا يكون مشغلاً بمجرعة وأن يكون مخالطاً لم يطبق في الساكنة في الخفاء ثم بعض هذه الصفات بما يوجب زوالها زوال الاسم وبحسبنا ينجر بالبروة الفاسق يمنع هذا الاستحقاق لأن الصوفي بالجملة عبارة عن رجل من أهل الصلاح بصفة مخصوصة فالذي يظهر نفسه وإن كان على زعمه لا يستحق ما أوصى به للصوفية ولنا نعتير فيه الصفات . وأما الحرفة والاشتغال بالسكسب بمنع هذا الاستحقاق فالدهقان والعالم والتاجر والصانع في حالته أوداره والأجير الذي يخدم بأجرة كل هؤلاء لا يستحقون ما أوصى به للصوفية ولا ينجر بهذا بالزى والمخالطة فأما الورقة والحياطة وما يبرغم منها مما يليق بالصوفية تعاطيا فإذا تعاطاها في حانوت ولا على جهة الكتاب وحرفة فذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك ينجر بما كسبه يأمع مع بقية الصفات وأما القدرة على الحرف من غير مباشرة لا تمنع وأما الوعظ والتدريس فلا ينافي اسم التصوف إذ لو وجدت بقية لحاصل من الزى والسكينة والفقر إذا بناقض أن يقال صوفي مقرر صوفي وعظ وصوفي عالم أو مدرس وينافض أن يقال صوفي دهقان وصوفي تاجر وصوفي عامل وأما الفقر فإن زال بنى مفرط ينسب الرجل إلى البروة الظاهرة فلا يجوز زعمه أخذ صوفية وإن كان لعمال ولا يني دخله

( الباب السابع في مسائل متفرقة )

ابن مالك قال « قيل  
يا رسول الله الرجل يلقى  
صدقه وأخاه ينحله  
قال لا يلزمه وبقيته  
قال لا يلزمه فيصافحه قال  
نعم » ويستحب للقراء  
القيمين في الرباط أن  
يتلقوا الفقراء بالترحيب  
روى عكرمة قال : قال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يومئذ :  
مرحباً بالراكب  
الهاجر مرتين وإن  
قاموا إليه فلا بأس  
وهو مستون . روى  
عنه عليه السلام أنه  
قام ليل يوم قدومه  
ويستحب للخادم أن  
يخدمه الطعام . روى  
لقيط بن صبرة قال  
« وقد ناطى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
فلم يصادفه في منزله  
وصادفنا عائشة رضي  
الله عنها فأمرت لنا  
بالحريرة فصنعت لنا  
وأنيباً بفتح فيه تمر  
والفتح الطبق فأكلنا  
ثم جاء رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فقال

مخرجهم لم يطل حقه وكذا إذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكاة وإن لم يكن له خرج وهذه أمور  
لادليلها إلا العادات وأما الخاطلة ومساكنتهم فلها أثر ولكن من لا يخاططهم وهو في دار أو في مسجد  
على زهمه ومتخلف بأخلاقهم فهو شرك في سهمهم وكان ترك الخاطلة يجبرها ملازمة الزى فإن لم يكن  
على زهمه ووجد فيه بنية الصفات فلا يستحق إلا إذا كان مساكنا لهم في الرباط فيسحب عليه حكمهم  
بالتبعية فالخاطلة والذى ينوب كل واحد منهما عن الآخر والفقير الذى ليس على زهمه هذا حكمه  
فإن كان خارجا لم يمسد سوفا وإن كان ساكنا معهم ووجدت بنية الصفات لم يمسد أن يسحب بالتبعية  
عليه حكمهم . وأما ليس للزقة من يدسح من مشايخهم فلا يشترط ذلك في الاستحقاق وعده لا يضره  
مع وجود التراط للذكورة وأما التأهل للتردد بين الرباط والسكن فلا يخرج بذلك عن جملتهم .  
مسألة : ما وقع على رباط الصوفية وسكانه فالأمر فيه أوسع مما أوصى لهم به لأن معنى الوقت  
الصرف إلى مصالحهم فلتغير الصوفى أن يأكل معهم برضاهم على ما دلتهم مرة أو مرتين فإن أمر الأئمة  
مبناء على التماسح حتى جاز الاغترابها في التناغم للشركة والقول أن يأكل معهم في دعوتهم من ذلك  
الوقت وكان ذلك من مصالح مما يشبه وما أوصى به للصوفية لا يجوز أن يصرف إلى قول الصوفية  
بخلاف الوقت وكذلك من أحضره من العمال والتجار والقضاء والفقهاء ممن لهم غرض في استئالة  
قلوبهم يحملهم الأكل برضاهم فإن الوقت لا يقف إلا معتدا فيه ما جرت به عادات الصوفية فيزول  
على العرف ولكن ليس هذا على الدوام فلا يجوز لمن ليس صوفيا أن يسكن معهم على الدوام وبأكل  
وإن رضوا به إذ ليس لهم تغيير شرط الوقت بمشركة غير جنسهم . وأما الفقيه إذا كان على زهمه  
وأخلاقهم فله التزول عليهم وكونه قتيلا لا ينافي كونه صوفيا والجهل ليس بشرط في التصوف عند من  
يسرف التصوف ولا يلتفت إلى خرافات بعض الحق بقلهم فإن العلم حجاب فإن الجهل هو الحجاب وقد  
ذكرنا تأويل هذه الكلمة في كتاب العلم وأن الحجاب هو العلم للظن دون المعلوم وذكرنا المعلوم  
والظن وذكرهما . وأما الفقيه إذا لم يكن على زهمه وأخلاقهم فله من من التزول عليهم فإن رضوا  
ببذله فيحل له الأكل معهم بطريق التبعية فكان عدم التزول يجبره للسكنة ولكن برضا أهل  
الزى وهذه أمور تشهد لها العادات وفيها أمور متعاقبة لا يخفى أطرافها في النفي والاثبات ومشاهاه  
أوساطها فمن احتز في مواضع الاختباء قد استبرأ لدينه كائنها على في أبواب الشبهات . مسألة :  
سئل عن الفرق بين الرشوة والهبة مع أن كل واحد منهما يصدر عن الرضا ولا يخفى عن غرض وقد  
حرمت إحداها دون الأخرى . قلنا باذل المال لا يبيعه قط إلا لترض ولكن القرض إما أجل  
كالثواب وإما عاجل والمأجل إما مال وإما فضل وإعانة على مقصود معين وإما تقرب إلى قلب الهدى إليه  
بطلب محبة وإما المعبة في عينها وإما للتوصل بالهبة إلى غرض وراها فالأقسام الحاصلة من هذه خمسة  
الأول : ما غرضه الثواب في الآخرة وذلك إما أن يكون لسكون المصروف إليه محتاجا أو عاغا أو منتسبا  
ينسب ديني أو صالحا في نفسه متدبنا في علم الأخذ أنه يعطاه حاجته لا يحل له أخذه إن لم يكن محتاجا  
وما علم أنه يعطاه لشرف نسبه لا يحل له إن علم أنه كاذب في دعوى النسب وما يعطى لعله فلا يحل له أن  
يأخذه إلا أن يكون في العلم كما يعتقد الله - أن كان خيل إليه كالا في العلم حتى يمتنع بذلك على التقرب  
ولم يكن كاملا لم يحله وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له أن يأخذه أن كان فاسقا في الباطن فسقا  
لوعله للمطى ما أعطاه وقلما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لقيت القلوب مائلة إليه وإنما ستر  
الله الجليل هو الذى يحب الخلق إلى الخلق وكان التورعون يكونون في الثراء من لا يعرف أنه وكيلهم  
حتى لا ينساعوا في البيع خيفة من أن يكون ذلك أكلا بالدين فإن ذلك عطر والتقى حتى لا كالم

أصبحت عينا قلنا ثم  
يرسل الله ويستحب  
للقادم أن يقدم للفقراء  
حيث لحق القدم .  
ورد أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم لما  
قدم للدينه نخرج رورا  
وكرهتهم لقدم القادم  
بعد الصر وجهه من  
السنة منع التي صلى  
الله عليه وسلم عن  
طريق الليل والصوفية  
بعد الصر يستمدون  
لاستقبال الليل  
بالطهارة والانسكاب  
على الأذكار والاستغفار  
روى جابر بن عبد الله  
قال : قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم « إذا قدم  
أحدكم من سفر فلا  
يطرقن أهل ليلا »  
وروى كعب بن مالك  
أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم كان  
لا يقدم من السفر إلا  
نهارا في الضحى  
فيستحبون القدوم في  
أول النهار فإن فات  
من أول النهار فقد  
ينفق تمويق من

والنسب والفقر فينبغي أن يجنب الأخذ بالدين ما أمكن . القسم الثاني : ما يقصد به في المعاجل عرض معين كالتقير يهدي إلى التقي طمعا في خامته فهذه هبة بشرط الثواب لا يبغي حكمها وإنما تحمل عند الوفاء بالثواب المطموع فيه وعند وجود شروط العقود . الثالث : أن يكون المراد إغانة بفعل معين كالاحتياج إلى السلطان يهدي إلى وكيل السلطان وخاصة ومن له مكانة عنده فهذه هدية بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال فلينظر في ذلك العمل الذي هو الثواب فإن كان حراما كالسمي في تنجيز إدار حرام أو ظلم إنسان أو غيره حرم الأخذ وإن كان واجبا كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه أو شهادة متينة فيحرم عليه ما يأخذوه وهي الرشوة التي لا يشك في تحريمها وإن كان مباحا لأوجبها ولا حراما وكان فيه تب محث لوعرف لماز الاستنجار عليه فما يأخذ حلال مهما وفي بالقرض وهو جار مجرى الجمالة كذوله أو صل هذه القصة إلى دي فلان أوبد السلطان ولك دينار وكان بحيث يحتاج إلى تب وعمل متقوم أو قال اقترح على فلان أن يعينني في غرض كذا أو ينم علي بكذا وإفقر في تنجيز غرضه إلى كلام طويل فذلك جعل كما يأخذ الوكيل بالخصوصية بين يدي القاضي فليس بحرام إذا كان لا يسمي في حرام وإن كان مقصوده يحصل بكلمة لا تب وبها ولكن تلك الكلمة من ذي الجاه أو تلك العقلة من ذي الجاه نفي كقولها للبوابة لا تلقني دونه باب السلطان أو كوضعه قصة بين يدي السلطان فقط فهذا حرام لأنه عوض من الجاه ولم يثبت في الشرع جواز ذلك بل ثبت ما يدل على النهي عنه كما سيأتى في هذا الباب للوكو إذا كان لا يجوز العوض عن إسقاط الشفعة والرء باليب ودخول الأغصان في هواء الملك وجملة من الأغراض مع كونها مقصودة فكيف يؤخذ عن الجاه ويقرب من هذا أخذ الطبيب المثل على كلمة واحدة بنه بها على دواء ينفرده بمعرفة كواحد ينفرده بالعلم يثبت بقلع البواسير أو غيره فلا بد كره إلا يرض فإن عمله بالتلفظ به غير متقوم كية من مسمم فلا يجوز أخذ العوض عليه ولا على عمله إذ ليس ينتقل عمله إلى غيره وإنما يحصل لغيره مثل عمله ويقي هو عالما به ودون هذا الحادق في الصناعة كالصقل مثلا الذي يزل اعوجاج السيف أو الرأء بدقة واحدة لحسن معرفته بموضع الخلل ولحذقه بإساقته بهدز بدقة واحدة مال كثير في قيمة السيف والرأء فهذا لا يرى بأسا بأخذ الأجرة عليه لأن مثل هذه الصناعات يتعب الرجل في تعلمها ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل . الرابع : ما يقصد به الهبة وجلبها من قبل الهدى إليه لا لترض معين ولكن طلبا للاستئناس وتأكيذا للصحة وتوداد إلى القلوب فذلك مقصود للعلاء ومندوب إليه في الشرع قال صلى الله عليه وسلم «تهادوا تحابوا» (١) وعلى الجملة فلا يقصد الإنسان في الغالب أيضا محبة غيره لعين المحبة بل لثابتة في محبة ولكن إذا لم تتبين تلك القاعدة ولم تمثل في نفسه غرض معين يبيته في الحال أو المال سمى ذلك هدية وحل أخذها . الخامس : أن يطلب التقرب إلى قلبه وتحصيل محبة لالحته وللأنس به من حيث إنه أنس فقط بل يتوصل بمجاهة إلى أغراض له ينصرف جنسها وإن لم ينصرف عنها وكان لولاجهاه وحشمة السكان لا يهدي إليه فإن كان جاهه لأجل علم أو نسب فالأمر فيه أخف وأخذ مكره فإن فيه مشابة الرشوة ولكنها هدية في ظاهرها فإن كان جاهه بولاية تولاه من قضاء أو عمل أو ولاية صدقة أو جباية مال أو غيره من الأعمال السلطانية حتى ولاية الأوف في مملوكا كان لولا تلك الولاية السكان لا يهدي إليه فهذه رشوة عرضت في معرض الهدية إذا قصد بها في الحال طاب التقرب واكتساب المحبة ولكن لأمر ينصرف جنسه إذا لم يكن التوصل إليه بالولايات لا يبغي وآية أنه لا يبنى المحبة أنهلوا في الحال غيره ليلم المال إلى ذلك الغير فهذا مما اغتفوا على أن الكراهة فيه شديدة واختلفوا في كونه حراما والى

(١) حديث تهادوا تحابوا واليهي من حديث أبي هريرة وضعفه ابن عدى .

صنف بعضهم في الثنى  
أو غير ذلك فيمنز  
التقير فيمة التبار  
إلى الصر لاحتمال  
التعويق فإذا صار  
الصر ينسب إلى  
تقصيره في الإهتمام  
بالسنة وقدم أول  
التبار فاتهم بكرهون .  
الدخول بعد الصر  
والله أعلم فإذا صار  
الصر يؤخر التقدم  
إلى القد ليكون عاملا  
بالسنة للتقدم ضحوة  
وأبضا فيه معنى آخر  
وهو أن الصلاة بعد  
الصر مكرهه . ومن  
الأدب أن يسلي القادم  
ركعتين فذلك  
بكرهون التقدم بعد  
صلاة الصر وقد  
يكون من القفره  
القادمين من يكون  
قليل العناية بدخوله  
الرباط ويناله دهشة  
فمن السنة التقرب  
إليه والتودد وطلاقة  
الوجه حتى ينسبط  
وتنهب عنه الدهشة  
ففي ذلك فضل كثير

فيه متعارضا فانه دار بين الهدية المحضة وبين الرشوة البذولة في مقابلة جاه محض في غرض معين وإذا تعارضت المشابهة القياسية وعضدت الأخبار والآثار أحدهما تعين للبل إلى إله وقد دلت الأخبار على تشديد الأمر في ذلك قال صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعة يقتل البري » لتوعظ به العامة (١) ، وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن السحت فقال : قضى الرجل الحاجة قهدها الهدية ولله أزد قضاء الحاجة بكلمة لاصب فيها أو تبرع بها لاطل قصد أجرة فلا يجوز أن يأخذ بعده شيئا في معرض الموض . شفع مسروق شفاعته فأهدى إليه الشفوع له جارية فضنب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولأنكم فيها بقي منها وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال سحت ، وأخذ عمر رضي الله عنه ربح مال القراض الذي أخذه ولده من بيت المال وقال إنما أعطيتها لمكانكم إذ لم أعلم أنهما أعطيا لأجل جاه الولاية . وأهدت امرأة أبي عبيدة بن الجراح إلى خاتون ملكة الروم خلقة فكافأها بمجوهر فأخذه عمر رضي الله عنه فباعه وأعطاها ثمن خلوقها ورد باقيه إلى بيت مال المسلمين . وقال جابر وأبو هريرة رضي الله عنهما هدايا للولولغول ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية فقال كان ذلك له هدية وهو لنا رشوة » أي كان يتقرب إليه ليوثبه لالولايته ونحن إنما نعطي الولاية وأعظم من ذلك كله ماروي أبو حميد الساعدي « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا على صدقات الأزد فلما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك بعض ما معه وقال هذا لكم وهذا لي هدية فقال عليه السلام ألا جلست في بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً ثم قال مالي أستعمل الرجل منكم فيقول هذا لك وهذا لي هدية ألا جلست في بيت أمه لهدى له والذي نفسي بيده لا يأخذ منك أحد شيئا بشئ حقه إلا أتى الله بحملة فلا يأتين أحدكم يوم القيامة يبيع له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تير ثم رفع يده حتى رأيت ينضأ يبطله ، ثم قال اللهم هل بلغت (٢) ، وإذا بقت هذه التشديدات فالتقاضى والوالى ينبغي أن يقدر نفسه في بيت أمه وأبيه لما كان يسقط بعد العزل وهو في بيت أمه يجوز له أن يأخذ في ولايته وما يعلم أنه إنما يسطه لولايتة فحرام أخذه وما أشكل عليه في هدايا أصدقائه أنهم هل كانوا يسلطونه لو كان معزولا فهو شبهة فليجتنبه .

(ثم كتاب الحلال والحرام بمحمد الله ومنه وحسن توفيقه والله أعلم)

(كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق)

(وهو الكتاب الخامس من ربيع العادات الثاني)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غفر صفوة عباديه بأطائف التخصيص طولاً وامتناناً . وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخواناً . وزرع الفل من صدورهم فظفروا في الدنيا أصدقاء وأخذانا . وفي الآخرة رفقاء وخلانا والصلاة على محمد المصطفى وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولاً وفعلًا وعدلاً وإحساناً .

(١) حديث يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعة يقتل البري » يوعظ به العامة لم أقف له على أصل (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية البخاري من حديث عائشة (٣) حديث أبي حميد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا إلى صدقات الأزد فلما جاء قال هذا مالكم وهذا هدية لي الحديث متفق عليه .

(كتاب آداب الصحبة)

روى أبو رفاعه قال « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقبلت يارسل الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه قال فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم على وترك خطبته ثم أتى بكبرى قواعده من حديد قصده رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلى ما علمه الله ثم أتى خطبته وأتم آخرها » فأحسن أخلاق الفقراء بالرفق بالمسلمين وأحسن للكره من السموم والرفق وقد يدخل فقير بعض الربط ويحل بشئ من مراسم للتصوفة فينهروهم ويخرج وهذا خطأ كبير قد يكون خلق من الصالحين والأولياء لا يعرفون هذا الترسيم الظاهر ويقصدون الرباطية سالحة فاذا استقبلوا بالمكره يحس أن تتشوش بوطئهم من الأذى

ویدخل على التكر  
عليه ضرر في دينه  
ودنياء فيلحذر ذلك  
وينظر إلى أخلاق  
التي على الله عليه وسلم  
وما كان يعتمد مع  
الحق من الداراة

والرفق وقد صح  
« أن أعرايا دخل  
السجود بال فأمر النبي  
عليه السلام حتى أتى  
بذنوب نصب في ذلك »  
ولم ينهر الأعرايا بل  
رفق به وعرفه الواجب  
بالرفق واللين والفظافة  
والتخفيف والتسلط  
على السليين بالقول  
والفعل من النفوس  
الحبيثة وهو ضد حال  
التصوفة ومن دخل  
الرباط بمن لا يصلح  
للقائه رأسا يصرف  
من اللوح على ألطف

وجه بعد أن يقدم له  
طعام وحسن الكلام  
فهذا الذي يليق بكان  
الرباط وما يستعمله  
الفقراء من تميز  
القدام فخلق حسن  
ومعاملة سالحة وردت

أما بعد : فان التحاب في الله تعالى والأخوة في دينه من أفضل القربات . وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات . ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمنجحين في الله تعالى وفيها حقوق جماعتها تصنع الأخوة عن شوائب السكودات ونزغات الشيطان . فبالقيام بحقوقها يتقرب إلى الله تعالى وبالله فلفة عليها تنال الدرجات العلى . ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلاثة أبواب . الباب الأول : في فضيلة الألفة والأخوة في الله تعالى وشروطها ودرجاتها وفوائدها . الباب الثاني : في حقوق الصبية وأكادها وحقيقتها ولوازمها . الباب الثالث : في حق السلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من قد يلى بهذه الأسباب .

( الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها )

( فضيلة الألفة والأخوة )

اعلم أن الألفة محرسة من الحق والتفرق غرة سوء الخلق . فحسن الحق يوجب التحاب والتألف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحامد والتدابير ومهما كان الثمر محمودا كانت الثمرة عظيمة وحسن الخلق لا يخفى في الدين فضيلته وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام إذ قال - وإنك لمل خلق عظيم - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « أكرم ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق (١) » وقال أسامة بن شريك قلنا يا رسول الله « ما خير ما أعطى الإنسان ؟ قال خلق حسن (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « بئس لأثم عاصن الأخلاق (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « أنقل ما يوضع في الميزان خلق حسن (٤) » وقال عليه السلام « ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطمعه النار (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق قال أبو هريرة رضى الله عنه وما حسن الخلق يا رسول الله ؟ قال فصل من قطعك وتفوق عن ظلك وتمطى من حرمك (٦) » ولا يخفى أن غرة الخلق الحسن الألفة أو قطع الوحشة ومهما طاب الثمر طاب الثمرة . وكيف وقد ورد في التناء على نفس الألفة سببا إذا كانت الرابطة هي التقوى والدين وحسب الله . ومن الآيات والأخبار والآثار ما في كفاية ومقنع . قال الله تعالى مظهر عظيم منه على الخلق بنعمة الألفة - لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألقت بينهم - وقال - فأصحبتم بنعمته إخوانا - أي بالألفة ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - إلى - لعلم تهتدون - وقال عليه السلام « إن أفرقكم مني مجلسا أحسنكم أخلاقا للوطنون أكنافا الدين يألقون ويؤلفون (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم

( الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة )

(١) حديث أول ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الإسناد وقد تقدم (٢) حديث أسامة بن شريك يا رسول الله ما خير ما أعطى الإنسان قال خلق حسن ابن ماجه بإسناد صحيح (٣) حديث بئس لأثم عاصن الأخلاق أحمد والبيهقي والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أنقل ما يوضع في الميزان خلق حسن أبو داود والترمذي من حديث أبي الدرداء وقال حسن صحيح (٥) حديث ما حسن الله خلق امرئ وخلقه قطعها النار ابن عدى والطبراني في معارج الأخلاق وفي الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة قال ابن عدى في إسناده بعض التكرار (٦) حديث يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق قال وما حسن الخلق قال فصل من قطعك وتفوق عن ظلك وتمطى من حرمك البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن أبي هريرة وإسبع منه (٧) حديث إن أفرقكم مني مجلسا أحسنكم أخلاقا للوطنون أكنافا الدين يألقون ويؤلفون الطبراني في معارج الأخلاق من حديث جابر بسند ضعيف ،

« المؤمن إلف مألوف ولاخير فيمن لا يألف ولا يؤلف »<sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم في الشتاء على الأخوة في الدين « من أراد الله به خيرا رزقه خيلا صالحا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه »<sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « مثل الأخوين إذا التقيا مثل الدين فصل إحداهما الأخرى وما التقي مؤمنان قط إلا أفاة الله أحدهما من صاحبه خيرا »<sup>(٣)</sup> وقال عليه السلام في الترغيب في الأخوة في الله « من آخى أخا في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله »<sup>(٤)</sup> وقال أبو إدريس الخولاني لماد إنني أحبك في الله فقال له أبشر ثم أبشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطافة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفرح الناس وهم لا يفرحون وخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » فقبل من هؤلاء بارسول الله ؟ فقال هم للتحابون في الله تعالى »<sup>(٥)</sup> ورواه أبو هريرة رضي الله عنه وقال فيه « إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور وجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء ينبطحون للنبون والشهداء فقالوا بارسول الله صفهم لنا فقال هم للتحابون في الله والتجالسون في الله والتراورون في الله »<sup>(٦)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « ما أحب أثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه »<sup>(٧)</sup> ويقال إن الأخوين في الله إذا كان أحدهما أعلى مقاماً من الآخر رفع الآخر معه إلى مقامه وإنه يلتحق به

(١) حديث المؤمن إلف مألوف ولاخير فيمن لا يألف ولا يؤلف أحمد والطبراني من حديث سهل بن سعد والحاكم من حديث أبي هريرة وصححه (٢) حديث من أراد الله به خيرا رزقه خيلا صالحا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه غريب بهذا اللفظ والمعروف أن ذلك في الأمير ورواه أبو داود من حديث عاتكة إذا أراد الله الأمر شيء جعله وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه الحديث ضعيف بن عدي ولأن عبد الرحمن السلمي في آداب الصعبة من حديث علي من مسعدة المرء أن يكون إخوانه الحليين (٣) حديث مثل الأخوين إذا التقيا مثل الدين فصل إحداهما الأخرى الحديث السلمي في آداب الصعبة وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلي كذاب وهومن قول سلمان الفارسي في الأول من الحزريات (٤) حديث من آخى أخا في الله عز وجل رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث أنس ما أحدث عبد أخا في الله عز وجل إلا أحدث الله عز وجل له درجة في الجنة وإسناده ضعيف (٥) حديث قال أبو إدريس الخولاني لماد إنني أحبك في الله فقال أبشر ثم أبشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تنصب لطافة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة الحديث أحمد والحاكم في حديث طويل إن أبا إدريس قال قلت والله إنني أحبك في الله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن التحابين يجلال الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وهو عند الترمذي من رواية أبي مسلم الخولاني عن معاذ بلطف التحابون في جلاله لهم منابر من نور ينبطحون للنبون والشهداء قال حديث حسن صحيح ولأحمد من حديث أبي مالك الأشعري إن الله عبادة ليسوا بأنبياء ولا شهداء ينبطحون للأنبياء والشهداء على منازلهم وقرهم من الله الحديث وفيه تعابوا في الله وتصافوا به يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فجعل وجوههم نوروازيابهم نور يفرح الناس يوم القيامة ولا يفرحون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وفيه شريين حوشب يختلف فيه (٦) حديث أبي هريرة إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور وجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء الحديث الثاني في سننه الكبرى ورجاله ثقات (٧) حديث ما أحب أثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح الاسناد.

بالسنة روى عمر رضي الله عنه قال : ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلام له جيش يميز ظهره فقلت بارسول الله ما شأنك فقال إن الناقة اتحتني فقد عجن الرماض بذلك عن يميز في وقت تبه وقدمه من السفر فأما من يتخذ ذلك عادة ويجب التميز ويستجلب به النوم ويساكنه حتى لا يوته فلا يليق بحال الفقراء وإن كان في الصرع جائز وكان بعض الفقراء إذا استرسل في النوم واستلذه واستدعاه يجمل فيرى ذلك الاحتلام عقوبة استرساله في التخمير ولأرباب الزرائم أمور لا يسعهم فيها الركون إلى الرخص . ومن آداب الفقير إذا استقر وقد بعد قدمه أن لا يستدعى بالسلام دون أن يسأل ويستحب أن يمشك



كان تلحق القرية بالأيوب والأهل بهمهم يمرض لأن الأخوة إذا اكتسبت في الله تم تسكن دون أخوة الولادة . قال عز وجل - ألفتنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء - وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول حقت محبة للذين يتزاورون من أجل وحقت محبة للذين يتحابون من أجل وحقت محبة للذين يتباذلون من أجل وحقت محبة للذين يتناصرون من أجل (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعت امرأة ذات حسب وجمال قتال إلى أخاف الله تعالى ورجل تصدق فأخفاها حتى لا تعلم من مالها ما تنفق بينه (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « مازار رجل رجلا في الله شوقا إليه ورغبة في لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طيب وطاب بمشاك وطابت لك الجنة (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن رجلا زار أخا له في الله فأرصد الله له ملكا فقال أين تريد قال أريد أن أؤثر أخى فلما قال فقال لحاجة لك عنده قال لا قال لقرابة بينك وبينه قال لا قال لنبعة له عنده قال لا قال فم قال أحبه في الله قال فان الله أرسلني إليك بخبرك بأنه يحبك إليك إياه وقد أوجب لك الجنة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « أوفق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله (٦) » فلهذا يجب أن يكون الرجل أعداء يضيغم في الله كما يكون له أصدقاء وإخوان يحبهم في الله . وروى أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء أما هذه في الدنيا فقد تمتحلت الراحة وأما انقطاعك إلى فقد تفرقت مني ولكي هل عادت في عدوا أو أهل واليت في وليا . وقال عليه السلام « اللهم لا تجعل لفاجر على منة تفرقه مني حبة (٧) » وروى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام « لو أنك عبدني بعبادة أهل السموات والأرض وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما أغنى عنك ذلك شيئا » وقال عيسى عليه السلام : تحبوا إلى الله يفيض أهل المعاصي وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم والتجوارضا الله بسخطهم فلو أيا روح الله فمن نحاسي قال جالسا من تذكر كرم الله رؤيته ومن يزيد في عملكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله . وروى في الأخبار السابقة أن الله عز وجل أوحى على موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارثك لنفسك إخوانا وكل خد من صاحب لا يوازيك على مسرتي فهو لك عدو

- (١) حديث إن الله يقول حقت محبة للذين يتزاورون من أجل وحقت محبة للذين يتحابون من أجل الحديث أحمد من حديث مجمر بن عبيدة وحديث عبادة بن الصامت ورواه الحاكم وصححه
- (٢) حديث إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي مسلم
- (٣) حديث أبي هريرة سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث مازار رجل رجلا في الله شوقا إليه ورغبة في لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طيب وطابت لك الجنة ابن عدى من حديث أنس دون قوله شوقا إليه ورغبة في لقائه ولقائمة وابن ماجه من حديث أبي هريرة من عاد مريضا أوزار أخا في الله ناداه مناد من السماء طيب وطاب بمشاك وتبوات من الجنة منزلا قال الترمذي غريب (٥) حديث إن رجلا زار أخا له في الله فأرصد الله له ملكا فقال أين تريد الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٦) حديث أوفق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله أحمد من حديث البراء بن عازب وفيه لث بن أبي سليم مختلف فيه والخراطي في مكالم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٧) حديث اللهم لا تجعل لفاجر على منة تفرقه مني حبة . في الكتاب الذي قبله .

ثلاثة أيام لا يصعد زيارة  
أومشهدا أو غير ذلك  
عما هو مقصوده من  
الدينة حتى ينسحب عنه  
وعشاء السفر ويعود  
باطنه إلى هيئته قد  
يكون بالسفر وعوارضه  
تغير باطنه وتكدر  
حتى يجتمع في الثلاثة  
الأيام همه وينسلخ  
باطنه ويستند لقاء  
الشايح والزيارات  
بقتور الباطن فان  
باطنه إذا كان منورا  
يستوفى حظه من الخير  
من كل شيخ وأخ  
يزوره . وقد كنت  
أسمع شيخنا بوصي  
الأصحاب وغول  
لا تكمسوا أهل هذا  
الطريق إلا في أصفى  
أوقاتكم وهذا فيه  
فائدة كبيرة فان نور  
السلام على قدر نور  
القلب ونور السمع على  
قدر نور القلب فاذا  
دخل على شيخ أو أخ  
وزاره فبني على يسأذنه  
إذا أراد الانصراف  
قد روى عبد الله بن

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قال : ياداو دى مالى أراك متبدا وحيدا قال لى قليت الخلق من أجلك فقال ياداو دى كن قنطانا واربد لنفسك أخذانا وكل خدن لا يواقتك على مسرى فلا تصاحبه فانه لك عدو بقى قلبك وياعدك منى . وفي أخبار داود عليه السلام أنه قال يارب كيف أنى أبغى الناس كلهم وأسلم فى بينى وبينك قال خالق الناس بأخلاقهم وأحسن فى بينى وبينك وفى بعضها خالق أهل الدنيا بأخلاق الدنيا وخالق أهل الآخرة بأخلاق الآخرة . وقال النبي ﷺ « إن أجبك إلى الله الدين يأتون ويؤلقون وإن أنفك للشامون بالقيمة الفرقون بين الإخوان (١) » . وقال صلى الله عليه وسلم « إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من التلج يقول اللهم كما ألفت بين التلج والنار كذلك ألفت بين قلوب عبادك الصالحين (٢) » وقال أيضا « ما أحدث عبدا فى الله إلا أحدث الله له درجة فى الجنة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « للتعايون فى الله على عمود من ياقوتة حمراء فى رأس العمود سبعون ألف غرفة يعرفون على أهل الجنة بفضى حسنهم لأهل الجنة كاتضى الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى التعاين فى الله فيضى حسنهم لأهل الجنة كاتضى الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم للتعاين فى الله (٤) » . الآثار : قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالإخوان فانهم عدة فى الدنيا والآخرة لا تسمع إلى قول أهل النار . فإنا لمن شافين ولا صدق جهم . وقال عبده بن عمر رضى الله عنهما والله لو صمت النهار لأفطره وقت الليل لأنامه وأنفقت مالى غلقا خلقا فى سبيل الله أوت يوم أوت وليس فى قلبى حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ما تغنى ذلك شيئا . وقال ابن السكيت عندهموت الله بهم إنك تعلم أنى إذا كنت أعصيك كنت أحب من يطعك فأجعل ذلك قربة إلىك . وقال الحسن على ضنه يا ابن آدم لا يترك قول من يقول الله مع من أحب فانك إن تلتحق بالأبرار إلا بأعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون أشياءهم وليسوا معهم وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة فى بعض الأعمال أوكلا لا ينفع وقال الفضيل فى بعض كلامه ما مر بدأ نكسك الفردوس وتجاور الرحمن فى داره مع التبيين والصدقين والشهداء والصالحين بأى عمل عملته بأى شهوة تركتها بأى يظك طعته بأى رحم قاطع وصلتها بأى زلة لأخيك غفرتها بأى قريب باعده فى الله بأى بيد قاربته فى الله . ويرى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام هل عملت لى عملا قط فقال لى لى صليت لك وصمت وتصدقت وزكيت فقال إن الصلاة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والزكاة نور فأى عمل عملت لى ؟ قال موسى لى لى على عمل هولك قال ياموسى هل وابت لى لى ولما قط وهل عادت فى عدوا قط فلعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب فى الله والبغض فى الله . وقال ابن مسعود رضى الله عنه لو أن رجلا قام بين الركن والمقام يعبدا تسعين سنة لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب . وقال الحسن رضى الله عنه مصارمة الفاسق قربان إلى الله وقال رجل لحمد بن واسع إنى لأجلك فى الله فقال أجلك الذى أحببتى لى ثم حول وجهه وقال اللهم إنى أعوذ بك أن أحب فىك وأنت لى مبغض ودخل رجل

(١) حديث إن أجبك إلى الله الدين يأتون ويؤلقون بأهلون الحديث الطبرانى فى الأسط والصغير من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من التلج يقول اللهم كما ألفت بين التلج والنار كذلك ألفت بين قلوب عبادك الصالحين أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث معاذ بن جبل والرباض بن سارية بسند ضعيف (٣) حديث ما أحدث عبد أخا فى الله تعالى إلا أحدث الله له درجة فى الجنة ابن أفى الدنيا فى كتاب الإخوان من حديث أنس وقد تقدم (٤) حديث للتعاين فى الله على عمود من ياقوتة حمراء فى رأس العمود سبعون ألف غرفة الحديث الحكيم الترمذى فى النوادر من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .

عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا زار أحدكم أخاه فجلس عنده فلا يتومنون حتى يستأنه » وإن نوى أن يقيم أياما وفى وقته سعة ولنفسه إلى البطالة وترك العمل تشوف يطلب خدمة يقوم بها وإن كان دائم العمل لربه فكفى بالعبادة شغلا لأن الخدمة لأهل العبادة تقوم مقام العبادة ولا يخرج من الرباط إلا باذن للقدم فيه ولا يعمل شيئا دون أن يأخذ برأيه فيه فهذه جملة أعمال يعتمدها الصوفية وأرباب الربط والله تعالى يفضلها بـ [ الباب التاسع عشر فى حال الصوفى للتبب ] اختلاف أحوال الصوفية فى الوقوف مع الأسباب والأعراض عن الأسباب فمن كان على الفتوح لا يركن

على داود الطائي فقال له ما حاجتك ؟ فقال زيارتك فقال أما أنت فقد عملت خيرا حين ردت ولكن انظر ماذا ينزل بي أنا إذا قيل لي من أنت قترار أمن الزهاد أنت لا والله أم البعاد أنت لا والله أم الصالحين أنت لا والله ثم أنبل يوحى نفسه ويقول كنت في الشبية فاسقا فلما شغت صرت مراثيا والله للمرائي شر من الفاسق وقال عمر رضي الله عنه إذا أصاب أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به قلما يصيب ذلك وقال مجاهد الصحابيون في الله إذا التقوا فكشع بعضهم إلى بعض تحت عنهم الخطايا كما ينحت ورق الشجر في الشتاء إذا يسى وقال الفضيل نظر الرجل إلى وجه أخيه على الودعة والرحمة عبادة .

( بيان معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا )

اعلم أن الحب في الله والبغض في الله غامض وينكشف الغطاء عنه بما تذكره وهو أن الصعبة تتقدم إلى ما يبعث بالانفاق كالصعبة بسبب الجوار أو بسبب الاجتماع في المكتب أو في المدرسة أو في السوق أو على باب السلطان أو في الأسفار وإلى ما ينشأ اختيارا ويقصد وهو الذي نريد بيانه إذا الأخوة في الدين وإقامة في هذا القسم لاحالة إذ لا أبواب لإلا على الأفعال الاختيارية ولا مرغيب إلا في الصعبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الأمور لا يقصد الإنسان بها غيره إلا إذا أحبه فان غير المحبوب يجنب وياعد ولا يقصد مخالطته والذي يجب فاما أن يجب لذاته لا ليتوصل به إلى محبوب ومقصود وراءه وإما أن يجب للتوصل به إلى مقصود وذلك المقصود إما أن يكون مقصودا على الدنيا وحظوظها وإما أن يكون متعلقا بالآخرة وإما أن يكون متعلقا بالله تعالى فهذه أربعة أقسام . القسم الأول : وهو حبك الإنسان لذاته فذلك ممكن وهو أن يكون في ذاته محبوبا عندك على معنى أنك تلتزم برويته ومعرفة ومشاهدة أخلاقه لاستمساكك به فان كل جبل لذيذ في حق من أدرك جماله وكل لذيذ محبوب

واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع النسابة والملازمة والواقفة بين الطابع ثم ذلك للستحسن إما أن يكون هو الصورة الظاهرة أعني حسن الخلقة وإما أن يكون هي الصورة الباطنة أعني كمال العقل وحسن الأخلاق ويتبع حسن الأخلاق حسن الأفعال لاحالة ولتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل التستيم وكل مستحسن فمستلذبه ومحبوب بل في اتلاف القلوب أمر أعظم من هذا فانه قد تستحكم الودة بين شخصين من غير ملاحاة في صورة ولا حسن في خلق وخلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الألفة والواقفة فان شبه الشيء . فيجذب إليه بالطبع والأشياء الباطنة خفية ولها أسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك حيث قال « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف (١) » فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناشب الذي عبر عنه بالتعارف وفي بعض الألفاظ « الأرواح جنود مجندة تلتقي فتتشام في الهواء (٢) » وقد كفى بعض العلماء عن هذا بأن قال إن الله تعالى خلق الأرواح فخلق بعضها فلما وأطافها حول العرش فأى روحين من فلتين تعارفا هناك فتلتقيتا وتواصلتا في الدنيا . وقال صلى الله عليه وسلم « إن أرواح المؤمنين يلتقيان على مسيرة يوم ومارأى أحدهما صاحبه قط (٣) » وروى « أن امرأة بمكة كانت تضحك للنساء وكانت بالمدينة أخرى قزلت المكبة

(١) حديث الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف مسلم من حديث أبي هريرة والبخاري تعليقا من حديث عائشة (٢) حديث الأرواح تلتقي فتتشام في الهواء الطبراني في الأوسط بسند ضعيف من حديث علي بن الأرواح في الهواء جند مجندة تلتقي فتتشام الحديث .

(٣) حديث إن أرواح المؤمنين يلتقيان على مسيرة يوم ومارأى أحدهما صاحبه قط أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ تلتقي وقال أحدكم وفيه ابن لهيعة عن دراج .

إلى معلوم ولا يتسبب بكسب ولا سؤال ومنهم من كان يكتب ومنهم من كان يسأل في وقت فاته ولم في كل ذلك أدب واحد يراعونه ولا يتعدونه وإذا كان القسير يسوس خسه بالعلم يأتيه الفهم من الله تعالى في الذي يدخل فيه من سبب أو ترك سبب فلا يبنى للتقدير أن يسأل مهما أمكن قد حث النبي عليه السلام على ترك السؤال بالترغيب والترهيب فالأمر بالترغيب فأروى ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ضمن لي واحدة أتكفل له » بلجنة قال ثوبان قلت أنا قال لتسأل الناس شيئا فسأل ثوبان تسقط علاقة سوطه فلا يأمر أحدا بئاوله وينزل هو وبأخذها . وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال

على اللدنية فدخلت على عائشة رضي الله عنها فأخبرتها فقالت أين زلت فذكرت لها صاحبها فقالت صدق الله وسوله (١) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الأرواح جنود مجندة» الحديث والحق في هذا أن الشاهدة والتجربة تشهد للاتلاف عند التائب والتائب في الطباع والأخلاق بانها وظاهرا أمر مفهوم . وأما الأسباب التي أوجبت تلك النسبة فليس في قوة البشر الاطلاع عليها وطاية هذين النجم أن يقول إذا كان طالعه على تدبيس طالع غيره أو تلبسه فهذا نظر للوافة والوادة فتقتضي التائب والتواد وإذا كان على مقابلة أو تريعه اقتضى التباغض والصداوة فهذا لو صدق يكون كذلك في مجاري سنة الله في خلق السموات والأرض لكان الإشكال فيه أكثر من الإشكال في أصل التائب فلا معنى للخوض فيما لا يكشف سره للبشر فما أوتينا من العلم إلا قليلا ويكتفي بالتصديق بذلك التجربة والشاهدة فقد ورد الخبر به قال صلى الله عليه وسلم «لو أن مجلسا في مائة مؤمن ومناق في مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه ولو أن منافقا دخل إلى مجلس في مائة مؤمن ومناق واحد لجاء حتى يجلس إليه» (٢) وهذا يدل على أن شبه الشيء منجذب إليه بالطبع وإن كان هو لا يشعر به . وكان مالك بن دينار يقول لا يفتق إثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر وإن أجناس الناس كأجناس الطير ولا يفتق نوعان من الطير في الطيران إلا وفيهما مناسبة قال فرأى يوما غرابا مع حمامة فصبغ من ذلك فقال اخفا وألبس أنس شكل واحد ثم طارا فاذا هما أعرجان فقال من ههنا اخفا ولذلك قال بعض الحكماء : كل إنسان يأمن إلى شكله كأن كل طير يطير مع جنسه ، وإذا اصطحب إثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد أن يفترا ، وهذا معنى حتى تظن له الشعراء حتى قال قائلم :

وقائل فكيف تفارقنا قلت قولا فيه إضفاف  
لميك من شكلي ففارقته والناس أشكال والألف

تقدظهر من هذا أن الإنسان قد يحب لذاته لافائته تاله منه في حال أو مالا بل ليجرد المجانسة والنسابة في الطباع الباطنة والأخلاق الحمية ويدخل في هذا القسم الحب للجمال إذا لم يكن القصور قضاء الشهوة فإن الصور الجميلة مستلذة في عينها وإن قدر فقد أصل الشهوة حتى يستلذ النظر إلى الفواكه والأنوار والأزهار والتفاح للشرب والحجرة وإلى لاء الجاري والحضرة من غرض سوى عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو حب بالطبع وشهوة النفس وينصير ذلك بمن لا يؤمن بالله إلا أنه إن اتصل به غرض مذموم صار مذموما كحب الصورة الجميلة لقضاء الشهوة حيث لا يحل قضاءها وإن لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بمحمد ولا ذم داخل بما محمود وإما مذموم وإما مباح لا يحمده ولا يذم . القسم الثاني : أن يحب لئال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة إلى محبوب غيره والوسيلة إلى الم محبوب محبوب وما يحب لئله كان ذلك التبر هو الم محبوب بالحققة ولكن الطريق إلى الم محبوب محبوب ولذلك أحب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيها إلا ليطعم ولا يلبس ولكهما وسيلة إلى الم محبوبات فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة من حيث

(١) حديث إن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدنية أخرى قزلت للكية على اللدنية فدخلت على عائشة فذكرت حديث الأرواح جنود مجندة الحسن بن سفيان في مسنده بالقصة بسند حسن وحديث عائشة عند البخاري تعليقا مختصرا دونها كأنهم (٢) حديث لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس وفيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه الحديث البيهقي في شعب الإيمان موقوفا على ابن مسعود وذكره صاحب الفردوس من حديث معاذ بن جبل ولم يخرج له ولله في المسند .

رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأن يأخذ أحدكم حبالا فيحبط على ظهره فيأكل ويمدق خيره من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه فإن اليد العليا خير من اليد السفلى» . أخبرنا الشيخ الصالح أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل الحافظ للقدس قال أخبرني والذي قال أنا أبو محمد الصيرفي يتعداد قال أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد قال ثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال ثنا علي بن الجعد قال ثنا شعبة عن أبي حمزة قال سمعت هلال بن مسكين قال : أتيت اللدنية فزلت دار ابن سعيد فضئق وإياه المجلس فحدث أنه أصبح ذات يوم وليس عنده طعام فأصبح وقد عصب على بطنه حجرا من الجبوع فقالت لي امرأة أتت رسول الله صلى الله

إنه وسيلة إلى القصد إذ يتوصل به إلى نيل جاه أو مال أو علم كما يحب الرجل سلطاناً لا يتفاهه بماله أو جاهه وحب خواصه لتحسين حاله عنده وتهدم أمره في قلبه فالتوصل إليه إن كان مقصور القائمة على الدنيا لم يكن حبه من جملة الحب في الله وإن لم يكن مقصور القائمة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به إلا الدنيا كحب التلذذ لأصنافه فهو أيضاً خارج عن الحب لله فإنه إنما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فحبه هو العلم فإذا كان لا يقصد العلم فالتقرب إلى الله بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق فحبه هو الجاه والقبول والملم وسيلة إليه والأساذ وسيلة إلى العلم فليس في شيء من ذلك حب لله إذ يتصور كل ذلك بمن لا يؤمن بالله تعالى أصلاً ثم ينقسم هذا أيضاً إلى مذموم ومباح فإن كان يقصد به التوصل إلى مقاصد مذمومة من قهر الأقران وحيازة أموال الدنيا وظلم الرعاة بولاية القضاء أو غيره كان الحب مذموماً وإن كان يقصد به التوصل إلى مباح فهو مباح وإنما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من القصد للتوصل إليه فإنها تابعة له غير قاطعة بنفسها . القسم الثالث : أن يحبه لآلته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعاً إلى حظوظه في الدنيا بل يرجع إلى حظوظه في الآخرة فهذا أيضاً ظاهر لا غرض فيه وذلك كمن يحب أستاذه وشيخه لأنه يتوصل به إلى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الآخرة فهذا من جملة المحبين في الله وكذلك من يحب تلميذه لأنه يتألف منه السلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرى به إلى درجة التطعيم في ملكوت الساء ، إذ قال عيسى صلى الله عليه وسلم : من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيمياً في ملكوت السماء ولا يتم التعليم إلا بتعلم فهو إذن آلة في تحصيل هذا الكمال فإن أحبه لأنه آلة له لإجمل صدره مزرعة لحرمه الذي هو سبب تربيته إلى رتبة التطعيم في ملكوت الساء فهو محب في الله بل الذي يتصدق بأمواله لله ويجمع الضيفان ويهيئ لهم الأطعمة اللذيذة الفرية تقرباً إلى الله فأحب طبائخا لحسن منته في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله وكذا لو أحب من يتولى له إيصال الصدقة إلى المستحقين فقد أحبه في الله بل يزيد على هذا وتقول إذا أحب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكس يئته وطبخ طعامه وفرغه بذلك العلم أو العمل ومقصوده من استخدامه في هذه الأعمال الفراغ لعبادة فهو محب في الله بل يزيد عليه وتقول إذا أحب من يتفق عليه من ماله وبواسيه بكسوته وطعامه وسكته وجمع أغراضه التي يقصدها في دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل للتقرب إلى الله فهو محب في الله فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفائهم جماعة من أولى الثروة وكان اللواصي واللواصي جميعاً من المتحابين في الله بل يزيد عليه وتقول من نسك امرأة سالحة ليتحسن بها عن وهوس الشيطان وصون بها دينه أو ليولد منها له ولد صالح يدعو له وأحب زوجته لأنها آلة إلى هذه القاصد الدينية فهو محب في الله ولذلك وردت الأخبار بوفور الأجر والثواب على الاتفاق على العيال حتى القصة بضمها الرجل في امرأة <sup>(١)</sup> بل تقول كل من اشترى بحب الله وحب رضاء وحب لقائه في الدار الآخرة فإذا أحب غيره كان محباً في الله لأنه لا يتصور أن يحب شيئاً إلا لما شئت لما هو محبوب عنده وهو رضا الله عز وجل بل يزيد على هذا وأفول إذا اجتمع في قلبه محبتان محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع في شخص واحد العيان جميعاً حتى صلح لأن يتوصل به إلى الله وإلى الدنيا فإذا أحبه لصلاحه للأمرين فهو من المحبين في الله كمن يحب أستاذه الذي يسهل الدين ويكليه مهمات الدنيا بالمواساة في المال فأحبه من حيث إن في طبعه طلب الراحة في الدنيا والسعادة في الآخرة فهو وسيلة إليهما فهو محب في الله وليس من شرط حب الله أن لا يحب في العاجل

(١) حديث الأجر في الإغاق على العيال حتى القصة بضمها الرجل في امرأة تقدم .

عليه وسلم قد أتاه  
فعلان فأعطاه وأتاه  
فعلان فأعطاه قال فأنيته  
وقالت التمس شيئاً  
فنهيت أطلب فأتيت  
إلى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وهو غطيب  
ويقول « من يستغ  
يفيه الله ومن يستغ  
بشئ الله ومن سألنا  
شيئاً فوجدناه أعطينا  
وواستغفروا من استغف  
عنه واستغفروا أحب  
إلينا من سألنا » قال  
فرجعت ومأسأله  
فرزقني الله تعالى حتى  
ما أعلم أهل بيت من  
الأصناف أكثر أموالاً  
منه وأما من حيث  
الترهيب والتحذير فقد  
روى عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أنه  
قال « لا تزال الشقة  
بأحدكم حتى يلقى الله  
وليس في وجهه مزة  
لحم » وروى أبو هريرة  
رضي الله عنه قال قال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « ليس  
السكين الذي ترده

حظاً ألبته إذ الدعاء الذي أمر به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فيه جمع بين الدنيا والآخرة ومن ذلك قولهم - ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة - وقال عيسى عليه السلام في دعائه : اللهم لا تشمتني عدوي ولا تنوذي صديقي ولا تجعل مصيقي لذيي ولا تجعل الدنيا أكبر همي دفع شجاة الأعداء من حظوظ الدنيا ولم يقل ولا تجعل الدنيا أصلاً من همي بل قال لا تجعلها أكبر همي وقال نبينا صل الله عليه وسلم في دعائه « اللهم إني أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة <sup>(١)</sup> » وقال « اللهم غافني من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة <sup>(٢)</sup> » وعلى الجملة فإذا لم يكن حب السعادة في الآخرة منافقاً لحب الله تعالى لحب السلامة والصحة والكفاية والكرامة في الدنيا كيف يكون منافقاً لحب الله والدنيا والآخرة عبارة عن حالتين إحداها أقرب من الأخرى فكيف تصور أن يحب الإنسان حظوظ نفسه غداً ولا يحبها اليوم وإنما يحبها غداً لأن الغد سيصير حالاً راحة فالحالة الراحنة لا بد أن تكون مطلوبة أيضاً إلا أن الحظوظ العاجلة تنقسم إلى ما يصاد حظوظ الآخرة ويعت منها وهي التي احتز عنها الأنبياء والأولياء وأمرؤا بالاحتراز عنها وإلى ما لا يصاد وهي التي يتمتعون منها كالنكاح الصحيح وأكل الحلال وغير ذلك فما يصاد حظوظ الآخرة فحق العاقل أن يكرهه ولا يبعه وأغنى أن يكرهه ببقته لا يطبعه كما يكره التناول من طعام لذيذ الملك من الملوك يعلم أنه لو أقدم عليه لقطعت يده أوجرت رقبته لا يمتنع أن الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهي بطبعه ولا يستلذه لو أكله فإن ذلك محال ولكن على معنى أنه يجزعه عقله عن الإقدام عليه ونحصل فيه كراهة الضرر للتلذذ به وللقصود من هذا أنه لو أحب أستاذه لأنه يواسيه ويمله أو يظفنه لأنه يتعلم منه وبخيمه وأحدهما حظ عاجل والآخر أجل فكان في زمرة المتحابين في الله ولكن بشرط واحد وهو أن يكون بحيث لو منه العلم مثلاً أو تصدر إليه تحصيله منه نقص حبه بسببه فالقدر الذي ينقص بسبب قصده هو الله تعالى وله في ذلك القدر ثواب الحب في الله وليس يستكثر أن يشتد حبك لإنسان بلجة أغراض ترتبط لك به فإن امتنع بعضها نقص حبك وإن زاد زاد الحب فليس حبك للذهب كبك للفضة إذا تساوى مقدارها لأن الذهب يوصل إلى أغراض هي أكثر مما توصل إليه الفضة فاذن يزيد الحب بزيادة القرض ولا يستحيل اجتماع الأغراض الدنيوية والأخروية فهو داخل في جملة الحب، وحده هو أن كل حب لولا الإيمان بالله واليوم الآخر لم تصور وجوده فهو حب في الله وكذلك كل زيادة في الحب لولا الإيمان بالله لم تكن تلك الزيادة فكل الزيادة من الحب في الله فذلك وإن دق فهو عزيز قال الجبري تعامل الناس في القرن الأول بالدين حتى رق الدين وتماثوا في القرن الثاني بالوفا حتى ذهب الوفا. وفي الثالث بالمرودة حتى ذهبت المرودة ولم يبق إلا الرهبة والرغبة . القسم الرابع : أن يحب لله وفي الله لئلا يمتنه علماً أو عملاً أو يتوصل به إلى أمر وراء ذاته وهذا أعلى الدجات وهو أدقها وأعظمها وهذا القسم أيضاً يمكن فإن من آثار غلبة الحب أن يمتد من الم محبوب إلى كل من يتعلق بالمحبيب ويناسبه ولومن بعد فن أحب إنساناً حباً شديداً أحب حب ذلك الإنسان وأحب محبوه وأحب من يحبهم وأحب من يثنى عليه محبوه وأحب من يتسارع إلى رضا محبوه حتى قاله بقية بن الوليد إن المؤمن إذا أحب المؤمن أحب كل به وهو كالأقوال يشهد له التجربة في أحوال العشاق ويدل عليه أشعار الشعراء . ولذلك يحفظ ثوب المحبوب وبخيمه تذكرة من جهته وبخيم منزله ومحلته وجيرانه حتى قال جعجون بن عامر

(١) حديث اللهم إني أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة الترمذي من حديث ابن عباس في الحديث الطويل في دعائه صل الله عليه وسلم بعد صلاة الليل وقد تقدم (٢) حديث اللهم غافني من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة ، أحمد من حديث جبرين أبي أرطاة نحوه بسند جيد .

الأكلة والتمتران والتمرة ولكن للسكين الذي لا يسأل الناس ولا يظن بكماله فيعطى هذا هو حال الفقير الصادق والتصرف الحق لا يسأل الناس شيئاً ومنهم من يلزم الأدب حتى يؤذيه إلى حال يستحي من الله تعالى أن يسأله شيئاً من أمر الدنيا حتى إذا همت النفس بالسؤال ترد الحمية ويرى الإقدام على السؤال جرأة فيعطيه الله تعالى عند ذلك من غير سؤال كما قل عن إبراهيم الخليل عليه السلام : أنه جاء جبريل وهو في الهواء قبل أن يصل إلى النار فقال هل لك من حاجة فقال أما إليك فلا فقال له فقل ربك فقال حين من سؤالي على بحالي وقد ضعف عن مثل هذا فيسأل الله عبودية ولا يرى

أمر على الديار ديار ليل أقبل ذا الجدار وذا الجدارا  
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديار

فلذن للشاهدة التجربة تدل على أن الحب يتعدى من ذات المحبوب إلى ما يحيط به ويتعلق بأسيابه  
ويناسبه ولومن بعد ولكن ذلك من خاصة فرط المحبة فأصل المحبة لا يكتفي فيه ويكون اتساع الحب في  
تمديه من المحبوب إلى ما يكتنسه ويحيط به ويتعلق بأسيابه بحسب إفراط المحبة وقوتها وكذلك حب  
الله سبحانه وتعالى إذا قوى وغلب على القلب واستولى عليه حتى انتهى إلى حد الاستتار فيتعدى إلى  
كل موجود سواه فان كل موجود سواه أمر من آثار قدرته ومن أحب إنسانا أحب صنعه وخطفه وجميع  
أضاله وكذلك كان **عليه السلام** إذا حمل إليه با كورة من القوا كه مسح بها عينيه وأكرمها وقال إنه قريب  
المهدي ربنا<sup>(١)</sup> وحب الله تعالى تارة يكون لصديق الجاد في مواعيده وما يتوقع في الآخرة من نعيمه وتارة  
لمناسف من آياديه وصنوف نعمته وتارة قداته لأمر آخر وهو أذى ضرور المحبة وأعلاها وسيأتي تحقيقها  
في كتاب المحبة من ربيع التجليات إنشاء الله تعالى وكيفما اتفق حب الله فإذا قوى تعدى إلى كل متعلق به  
ضرر بمن المتعلق حتى يتعدى إلى ما هو في شمس لم يكرهه ولكن فرط الحب يضعف الإحساس بالألم والفرح  
بشغل المحبوب وتقصده إياه بالأبصار يضمر إدراك الألم وذلك كالفرح بضرب من المحبوب وأفرصة فيها نوع معاينة  
فان قوتها المحبة تثير فرحنا بغير إدراك الألم وقد انتهت بحبة الله بقوم إلى أن قالوا لا تفرق بين البلاء والنعمة  
فان السك من القول تفرح إلا بما يفرح منه قال بعضهم لا يريد أن أقال منفرداته بحبة الله وقال صحتون :  
وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبرني

سؤال الملقين فيسوق  
الله تعالى إليه القسم  
من غير سؤال مخلوق.  
بلنا عن بعض  
المالحن أنه كان  
يقول : إذا وجد الفقير  
نفسه مطالبة بجاه  
لاخلو تلك الطالبة  
إما أن تكون لرزق  
يريد الله أن يسوقه  
إليه فتنه النفس  
له فقد تطلع قوس  
بعض السقراء إلى  
ما سوف يحدث وكأها  
تخر بما يكون وإما  
أن يكون ذلك عقوبة  
لذنب وجد منه فإذا  
وجد الفقير ذلك  
وألحت النفس بالمطالبة  
فليقم وليسبح الوضوء  
ويسلركتنب ويقول:  
يا رب إن كانت هذه  
الطالبة عقوبة ذنب  
فأستغفر وأتوب  
إليك وإن كانت  
لرزق قدرته لي فصيل  
وصوه إلى فان الله  
كان رزقه وإلا تلهب  
الطالبة عن باطنه

وسياتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة وللتصود أن حب الله إذا قوى أتم حب كل من يقوم بحق عبادة  
الله في علم أو عمل وأتم حب كل من فيه سنة مرضية عند الله من خلق حسن أو تأدب بأداب الشرع  
وأمين مؤمن محب للأخوة وهب لله إلا إذا أخبر عن حال رجلين أحدهما عالم عابد والآخر جاهل  
فاسق إلا وجد في تسميلا إلى العالم باد ثم يصف ذلك الليل ويقول بحسب منصف إعمانه قوته وبحسب  
منصف حبه لله وقوته وهذا الليل حاصل وإن كانا غائبين عنه بحيث يعلم أنه لا يسيبه منهما خير ولا شر  
في الدنيا ولا في الآخرة فذلك الليل هو حب في الله وقته من غير حظ فانه إنما يحبه لأن الله يحبه ولأنه مرضى  
عند الله تعالى ولأنه محب لله تعالى ولأنه مشغول بعبادة الله تعالى إلا أنه إذا ضعف لم يظهر أثره ولا يظهر به  
ثواب ولا أجر فإذا قوى حمل للوالة والنصرة والذب بالنفس واللسان وتتفاوت الناس فيه  
بحسب تفاوتهم في حب الله عز وجل ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال من المحبوب في الحال  
أولئك لما تصور حب للون من السماء والعباد ومن الصحابة والتابعين بل ومن الأنبياء المتفرجين  
سلوات الله عليهم وسلامه وحسبهم ستكون في قلب كل مسلم متدين وتبين ذلك بضربه عند طين  
أعدائهم في واحد منهم وفرحه عند انتاء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حبه لأنه خواص عباده الله  
ومن أحب مسلما أو شخصا مجلا أحب خواصه وخدمه وأحب من أجه إلا أنه يتمتع المحب بالمطالبة  
محظوظ النفس وقد يندب بحسب لا يلقى لنفس حظ إلا أنها هو حظ المحبوب وعنه غير قول من قال :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

(١) حديث كان إذا حمل إليه با كورة من القوا كه مسح بها عينيه وأكرمها وقال إنها قريب  
عنه برها الطرافي في الصغير من حديث ابن عباس ، وأبو داود في الراسيل واليهي في الدموات  
من حديث أبي هريرة دون قوله وأكرمها الخ وقال إنه غير محفوظ وحديث أبي هريرة في البا كورة  
عند بقية أصحاب السنن دون معنى عنيها وما بعده وقال الترمذي حسن صحيح .

وقولهم قال • وما لجرح إذا أرساكم أم • وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحفظ دون بعض  
 كمن تدمع نفسه بأن يشاطر محبوبه في نصف ماله أو في ثلثه أو في عشرة فقادير الآء والموافق لهبة  
 إذ لا تعرف درجة المحبوب إلا بمحسوب يترك في مقابلته فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب  
 سواء فلامسك لنفسه عيشاً مثل أبي بكر الصديق رضي الله عنه فانه لم يترك لنفسه أهلاً ولا مالا فلم  
 ابنته التي هي مرة عينه وبذل جميع ماله ، قال ابن عمر رضي الله عنهما • بينا رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خلها على صدره غلال إذ نزل جبريل عليه السلام فأقرأه  
 عن الله السلام وقال لي يا رسول الله مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها على صدره غلال فقال أنفق ماله  
 على قبل الفتح قال فأقرأه من الله السلام وقل له يقول لك ربك أراض أنت عني في قترك هذا أم  
 سأخط ؟ قال فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وقال يا أبا بكر هذا جبريل يتركك السلام من  
 الله ويقول أراض أنت عني في قترك هذا أم سأخط قال فيكي أبو بكر رضي الله عنه وقال أهل ربي  
 أسخط أنا عن ربي راض أنا عن ربي راض <sup>(١)</sup> . فحصل من هذا أن كل من أحب عالماً أو عبداً  
 أو أحب شخصاً راضياً في علم أو في عبادة أو في خير فاعلم أنه في الله وفيه من الأجر والثواب  
 بقدر قوة حبه فهذا شرح الحب في الله ودرجاته وبهذا يتضح البغض في الله أيضاً ولكن تزيد يانا .

( بيان البغض في الله )

اعلم أن كل من يحب في الله لا بد أن يبغض في الله فانك إن أحببت إنساناً لأنه مطيع لله ومحبوب  
 عند الله فان عصاه فلا بد أن تبغضه لأنه عاص لله ومعتوث عند الله ومن أحب بسبب بالضرورة يبغض  
 لنفسه وهذا من تلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر وهو مطرد في الحب والبغض في العبادات ولكن كل  
 واحد من الحب والبغض داء دفين في القلب وإنما يترشح عند الغلبة ويترشح بظهور أفضال المحبين  
 والبغضين في القاربة والباعدة وفي الخالطة والواقعة فإذا ظهر في القلب سمى موالاة ومعادة ولذلك قال  
 الله تعالى : هل واليت في وليا وهل عاديت في عدوا كما قلناه ، وهذا واضح في حق من لم يظهر لك إلا  
 طاعته تخدر على أن تحبه أو لم يظهر لك إلا فسقه وجفوره وأخلاقه السيئة فتقدر على أن تبغضه وإنما للشكل  
 إذا اختلطت الطاعات بالمعاصي فانك تقول كيف أجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان وكذلك تتناقض  
 محبتكما من اللواقعة والمخالفة والموالاة والمعادة فأقول ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كما لا يتناقض  
 في المخلوط البشرية فانه مهما اجتمع في شخص واحد اتصال بحب بعضها وبكره بعضها فانك تحبه من  
 وجه وتبغضه من وجه فمن لمزوجة حسنة فاجرة أو ولد ذكي خديم ولكنه فاسق فانه محبه من وجه  
 ويبغضه من وجه ويكون معه على حالة بين حالتين إذ لو فرض له ثلاثة أولاد أحدهم ذكي بار والآخر بليد  
 عاق والآخر بليد بار أو ذكي عاق فانه يصادف نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة بحسب غاوت خصالهم  
 فكذلك ينبغي أن تكون حالك بالإضافة إلى من غلب عليه الفجور ومن غلبت عليه الطاعة ومن  
 اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب وذلك بأن تعطى كل صفة حظاً من البغض والحب والإعراض  
 والالقاء والصحة والقطيعة وسائر الأفعال الصادرة منه . فان قلت فكل مسلم فإسلامه طاعة منه  
 فكيف يبغضه مع الإسلام . فأقول تحبه لإسلامه وتبغضه لصيئته وتكون معه على حالة لو نسبها بحال  
 كافر أو فاجر أدركت خرفة بينهما ونظك التفرقة حب الإسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله

(١) حديث ابن عمر بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خلها على  
 صدره فجاءه جبريل عليه السلام فأقرأه من ربه السلام الحديث ابن حبان والمقبيل في الضعفاء قال الذهبي  
 في البزآن هو كذب .

فصان القبر أن يزل  
 حوائجه بالحق فاما  
 أن يرزقه الله أو الصبر  
 أو يذهب ذلك عن  
 قلبه قد سبحانه  
 وتعالى أجواب من  
 طريق الحكمة وأجواب  
 من طريق القدرة  
 فان فتح باباً من طريق  
 الحكمة وإلا فيفتح  
 باباً من طريق القدرة  
 وأية الصبر بحرق  
 الشهادة كما كان يأتي  
 صبره عليه السلام . كما  
 دخل عليها زكريا  
 المهراب وجد عندها  
 رزقاً قال يا صبرم أي ذلك  
 هذا قالت هومن عند  
 الله . حكى عن بعض  
 الفقهاء قال جئت ذات  
 يوم وكان حالي أن  
 لأصلي فدخلت بعض  
 المجال ينفاد مجازاً  
 متحرراً لعل الله تعالى  
 يرضى لي على يد بعض  
 عباده عيشاً فلم يقدر  
 فمتت جامعا فأتيت  
 في منامي فقال لي اذهب  
 إلى موضع كذا وعين  
 الموضع ثم خرفة زرقاء



والطاعة له كالجنابة على حثك والطاعة لك فن وافقك على غرض وخالفك في آخر فكن معه على حالة متوسطة بين الانقياض والاعتزال وبين الاتبال والاعراض وبين التودد إليه والتوحش عنه ولاتباع في إكرامه مبايعة في إكرام من يوافقك على جميع أغراضك ولاتباع في إهانة مبايعة في إهانة من خالفك في جميع أغراضك ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله إلى طرف الإهانة عند غلبة الجنابة وتارة إلى طرف المجاملة والاكرام عند غلبة الموافقة فكذا ينبغي أن يكون فيمن يطبع الله تعالى ويصبه ويترضى رضاء مرة ولسلطه أخرى . فان قلت فإذا يمكن إظهار البص فأقول أما في القول فبكت اللسان عن مملكته ومحدثه مرة وبالاستخفاف والتغليظ في القول أخرى وأما في الفعل فيقطع السمي في إهانة مرة والسعي في إصااته وإفساد مآربه أخرى وبعض هذا أحد من بعض وهي محب درجات القس واللصبة الصادرة منه . أما ما يجري مجرى الهفوة التي يعلم أنه متقدم عليها ولا يصير عليها فالأولى فيه السر والإغماض . أما ما أصغر عليه من ضيرة أوكيرة فان كان مما تأكدت بينك وبينه مودة ومحبة وأخوة لله حكم آخر وضيأ وفيه خلاف بين العلماء . وأما إذا لم تتأكد أخوة ومحبة فلا بد من إظهار البص إماما في الأعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات إليه وإماما في الاستخفاف وتغليظ القول عليه وهذا أحد من الأعراض وهو محب غلط للصبة وخفتا وكذلك في الفعل أيضا ربتان إحداها قطع للوونة والرفق والنصرة عنه وهو أقل الدرجات والأخرى السعي في إفساد أغراضه عليه كتمل الأعداء للبصين وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق للصبة أما ما لا يؤثر فيه فلا ، مثاله رجل عصى الله بهرب الحر وقد خطب امرأته لتيسر له نكاحها لكان مضبوطا بها بالمال والجال والجاه إلا أن ذلك لا يؤثر في منته من شرب آخر ولا في بيت وعرض عليه فإذا قدرت على إهانة لئمه غرضه ومقصوده وقدرت على توشبهه بقوته فليس لك السعي في توشبهه أما الإهانة فلو تركتها إظهارا للتعصب عليه في فسقه فلا بأس وليس يجب تركها إذ ربما يكون لك نية في أن تلطف بإهانة وإظهار الشفقة عليه ليعتد مودتك ويقل نصحك فهذا حسن وإن لم يظهر لك ولكن رأيت أن تنبهه على غرضه قضاء لحق إسلامه فذلك ليس بمنوع بل هو الأحسن إن كانت مصيبته بالجنابة على حثك أو حق من يتلقى بكوفيه زل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة - إلى قوله تعالى - ألا تحبون أن يغرقكم لكم - إذ تكلمهم مسطح بن أثانة في واقعة الإنك<sup>(١)</sup> خلفا بوبكر أن يقطع عنه رقه وقد كان بوابه بالمال قزلت الآية له عظم مصيبة مسطح وأية مصيبة تزيد على التعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإهانة اللسان في مثل عائشة رضي الله عنها إلا أن الصديق رضي الله عنه كان كالحني عليه في نفسه بتلك الواقعة والنفو عن ظلم والإحسان إلى من أساء من أخلاق الصديقين وإنما يحسن الإحسان إلى من ظلمك فأما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن الإحسان إليه لأن في الإحسان إلى الظالم إساءة إلى الظالم وحق الظالم أولى بالمرعاة وتقوية قلبه بالأعراض عن الظالم أحب إلى الله من تقوية قلب الظالم فأما إذا كنت أنت المظلم فالأحسن في حثك النفو والصفح . وطرق السلف قد اخافت في إظهار البص مع أهل المعاصي وكلهم اتفقوا على إظهار البص لظلمة والتباعدة وكل من عصى الله بمصيبة تمتددة منه إلى غيره فأما من عصى الله في نفسه ففهم من نظر بين الرحمة إلى النصاة كلهم . ومنهم من شدد الإنكار واخار لهاجرة قد كان أحمد بن حنبل يهجر الأكارب في أدنى كافتن هجر يحيى بن زبيد لقوله إن لأسأل أحدا شيئا ولو حمل السلطان إلى شيئا لأخذته ، وهجر الحرث

(١) حديث كلام مسطح في الإفك وهجر أبي بكر له حتى زلت ولا يأتل أولوا الفضل منكم الآية متفق عليه من حديث عائشة .

فيها قطيعات أخرجه  
في مصالحك من تجرد  
عن المتولفين وتغرد  
بالله قد تغرد بنى  
قادر لا يسجزه شي  
يفتح عليه من أبواب  
الحكمة والقدرة  
كيف شاء وأولى من  
سأل نفسه يسألها الصبر  
الجيل فان الصاق  
تجبه لله . وحكي  
شيخنا رحمه الله تعالى  
أن ولده جاء إليه  
ذات يوم وقاله أريد  
جبة قال قلت له  
ماضيل بالجبة فذكر  
شهوة يشترها بالجبة  
ثم قال من أذنك اذهب  
واستعرض الجبة قال  
قلت نعم استعرضها  
من حثك فهي أولى  
من أقرض . وقد نظم  
بضم هذا للشي  
قال :  
إن شئت أن تستعرض  
للمال متفقا  
على شهوات النفس في  
زمن الصبر  
فصل حثك للاخلاق  
من كثر صبرها

المحاسبي في تصديقه في الرد على المعتزلة وقال إنك لا بد تورد أولا شبههم وتعمل الناس على التفكير فيها ثم ترد عليهم ، وهجر أبو ثور في تأويله قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم في صورته <sup>(١)</sup> » وهذا أمر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال فإن كان الطالب على القلب النظر إلى اضطراب الحلق وبجرحهم وأنهم مسخرون لما قدوروا له أورش هذا تساهلا في المادة والبض وله وجه ولكن قد تنلبس به الداهية فأكثر البواش على الانغصاء عن الناصح للداهية ومراعاة القلوب والحقوق من وحشيتها وغارها وقد يلبس الشيطان ذلك على النبي الأحق بأنه ينظر بين الرحمة وعك ذلك أن ينظر إليه بين الرحمة إن جرى على خاصه ويقول إنه قد فسره والقدر لا ينفص منه الحذر وكيف لا يغمه وقد كتب عليه فقل هذا قد تصحح نية في الإغماش عن الجناية على حق الله وإن كان يتناظر عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله فهذا مدهن مفرور بمكيدة من مكاييد الشيطان فليقبله . فان قلت فأنتل الدرجات في إظهار البض المهجر والاعراض وفتح الرفق والاعانة فهل يجب ذلك حق بمعنى العبد يتكره . فأقول لا يدخل ذلك في ظاهر الملم تحت التكليف والإيجاب فانا نعلم أن الدين شربوا الحمر وتماطوا الواحش في زمان رسول الله ﷺ والمسحابة ما كانوا يهيمون بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم : إلى من يملظ القول عليه ويظهر البض له ، وإلى من يمرضه عن ولا يترضه ، وإلى من ينظر إليه بين الرحمة ولا يؤثر للقاطعة والتباعد فهذه دنية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد على ما يفضيه حاله ووقته ومقتضى الأحوال في هذه الأمور إما مكروهة أو مندوبة فتكون في رتبة الفضائل ولا تنتهي إلى التحريم والإيجاب فان الداخل تحت التكليف أصل المعرفة لله تعالى وأصل الحب وذلك قد لا يندى من المحبوب إلى غيره وإنما للندى إفراط الحب واستيلاؤه وذلك لا يدخل في القنوى وتحت ظاهر التكليف في حق عوام المخلق أصلا .

( بيان مراتب الدين يفضون في الله وكيفية معاملتهم )

فان قلت إظهار البض والعداوة بالفعل إن لم يكن واجبا فلا شك أنه مندوب إليه والصاء والنفاق على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم وهل يملك جميعهم مسلكا واحدا أم لا . فاعلم أن المخالف لأمر الله سبحانه لا يخلو إما أن يكون مخالفا في عهده أو في عمله والمخالف في العقد إما يستمع أو كافر والبتنع إما دافع إلى بدعته أو ساكت إما سبجه أو اختياره فأقسام الفساد في الاعتقاد ثلاثة الأول : الكفر فالكافر إن كان محاربا فهو يستحق القتل والارفاق وليس بهذهن إهانة وأما الذي فانه لا يجوز إيذاؤه إلا بالاعراض عنه والتحقير به بالاضطرار إلى أميق الطرق وترك اللقاعة بالسلام فاذا قال السلام عليك قلت عليك والأولى السكف عن مخالطته ومعاملته ومواكفته وأما الانسباط معه والامترسال إليه كما يسترسل إلى الاصداقة فهو مكروه كراهة شديدة يكاد يهتي ما يؤرى منها إلى حد التحريم قال الله تعالى - لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو حملاهم - وقال ﷺ « السلم والشرك لا تراى نارهما <sup>(٢)</sup> » وقال عز وجل - يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء - الآية . الثاني البتنع الذي بدعى إلى بدعته فان كانت البدعة بحيث يكفر بها فأمره أشد من الذي لأنه لا يفر بجزية ويسامح بقدر ذمة وان كان ممن لا يكفر به فأمره بينه وبين الله أخف من أمر الكافر لعمالة ولكن الأمر في الانسار عليه أشد منه

عليك وإرفاقا إلى زمن اليسر فان قلت كنت التقي وإن أبت فكل منوع بعدها واسع العذر فاذا استند الفقير الجهد من نفسه وأشرف على الضعف وتحققت الضرورة وسأل مولاه ولم يقدر له شيء ووقته يمين عن الكسب من شغله بحاله فتد ذلك يفرع باب السب وسأل قد كان الصالحون يملون ذلك عند فاقهم . قل عن أبي سعيد الخراز أنه كان يعد يده عند الفاقة ويقول : ثم شيء لله . وقل عن أبي جعفر الحساد وكان أستاذا للجند أنه كان يخرج بين المشايخ ويسأل من باب أو باين ويكون ذلك معلومه على قدر الحاجة بعد يوم أو يومين . وقل عن إبراهيم بن آدم

(١) حدث إن الله خلق آدم على صورته مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حدث للؤمن والشرك لا تراى نارهما أبو داود والترمذي من حديث جرير أنا برى من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا يارسوله الله ولم ؟ قال لا تراى نارهما ورواه النسائي مرسل وقال البخاري الصحيح أنه مرسل .

على الكافر لأن شر الكافر غير متدد فإن السليبين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون إلى قوله إذ لا يدعى لنفسه الاسلام واعتقاد الحق . أما البدع الذي يدعو إلى البدعة وزعم أن ما يدعو إليه حق فهو سبب لنوابة الخلق ضرم متدد فلا استجباب في إظهار بنفه ومصاداته والاشتغال عنو تخفيره والتشجيع عليه يدعته وتغير الناس عنه أشد وإن سلم في خلوة فلا بأس برده جوابه وإن علت أن الاعراض عنه والسكوت عن جوابه يقيح في نفسه بدعته ويؤثر في زجره ترك الجواب أولى لأن جواب السلام وإن كان واجبا فيسقط بأدنى غرض فيمصلحة حتى يسقط بكون الانسان في الحماهم أوفى قضاء حاجته وغرض الزجر أهم من هذه الاعراض وإن كان في ملأ ترك الجواب أولى تشفيرا للناس عنه وتضييحا لبدعته في أعينهم وكذلك الأولى كلف الاحسان إليه والامانة له لاسبابها يظهر للخلق قال عليه السلام « من أتمر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ومن أهان صاحب بدعة أمسه الله يوم النزع الأكر ومن آلان له وأكرمه أولقيه بشر قد استخف بما أنزل الله على محمد ﷺ » . الثالث : للبدع العاصي الذي لا يدعى على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فأمره أهون فالأولى أن لا يخاف بالتخليط والامانة بل يتطلبه في الصبح فان قلوب النوام سرية التقلب فان لم ينفع النصيح وكان في الاعراض عنه تخييب لبدعته في عينه فأكد الاستجباب في الاعراض وإن علم أن ذلك لا يؤثر فيه لجود طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالاعراض أولى لأن البدعة إذا لم يخالع في تقييحها شاعت بين الخلق وعم فسادها . وأما العاصي بضمه وعمله لا باعتقاده فلا يخلو إما أن يكون بحيث يتأذى به غيره كالنصر والصب وشهادة الزور والتبعية والتضرب بين الناس والشئ بالنجاسة وأمثالها أو كان مما لا ينصرف عليه ويؤذى غيره وذلك ينقسم إلى ما يدعو غيره إلى الفساد كما صاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال والنساء ويهيئ أسباب الشرب والفساد لأهل الفساد أولاد يدعو غيره إلى ضله كالذي يشرب ويرزق وهذا الذي لا يدعو غيره إما أن يكون عصيانا كبيرا أو بصغيرة وكل واحد فلما أن يكون مصرا عليه أو غير مصر فهذه التقسيمات يتصل منها ثلاثة أقسام ولكل قسم منها رتبة وبضيا أشد من بعض ولان ذلك بالكل مسلكا واحدا . القسم الأول : وهو أشدها ما ينضرب به الناس كالظلم والصب وشهادة الزور والتبعية فهؤلاء الأولي الاعراض عنهم وترك مخالطتهم والابتياض عن معاملتهم لأن للصبة عديدة فلما يرجع إلى إيذاء الخلق ثم هؤلاء ينقسمون إلى من ينظم في الدماء وإلى من ينظم في الأموال وإلى من ينظم في الاعراض وبضيا أشد من بعض فلا استجباب في إهانتهم والاعراض عنهم مؤكدا جدا ومهما كان يتوقع من الامانة زجرا لهم ولتفريهم كان الأمر فيه أكد وأشد . الثاني : صاحب الماخور الذي يهيئ أسباب الفساد ويسهل طرقه إلى الخلق فهذا لا يؤذى الخلق في دنياهم ولكن يخلط بضمه وبهم وإن كان بل وفق رضاهم فهو قريب من الأول ولكنه أخف منه فان للصبة بين البدي وبين الله تعالى إلى النور أقرب ولكن من حيث إنه تمتد على الجملة إلى غيره فهو شديد وهذا أيضا يقتضي الامانة والاعراض والمقاطعة وترك جواب السلام إذا ظن أن فيه نوعا من الزجر له أولتيره . الثالث : الذي يسقى في نفسه شرب خمر أو ترك واجب ومقارفة محظور بضمه فالأمر فيه أخف ولكنه في وقت مباشرته ان صودف بمحبته بما ينتج به منه ولو بالضرب والاستخفاف فان الهن من الشكر واجب وإذا فرغ منه وعلم أن ذلك من عادته وهو مصر عليه فإن تحقق أن نصحه بمنه عن العود إليه وجب التصح وإن لم يتحقق ولكنه كان يرجو فالأفضل التصح والزجر بالتلفظ أو بالتخليط إن كان

(١) حديث من أتمر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ، الحديث أبو نعيم في الحلية والمروى في ذم الكلام من حديث ابن عمر بسند ضيف .

أنه كان منكفيا بجامع  
البصرة مدة وكان  
يخطر في كل ثلاث  
ليال ليلة وإليه إظهاره  
يطلب من الأبواب  
وقل عن سفیان  
الثوري أنه كان يسافر  
من الحجاز إلى مناه  
البحرين ويسأل في  
الطريق وقال كنت  
أذكر لهم حديثا في  
الضيافة فيقدم على الطعام  
فأتناول حاجتي وأترك  
ما يقى . وقد ورد من  
جامع ولم يسأل فأت  
دخل النار ومن هذه  
علم وله مع الله حال  
لايألى يمثل هذا بل  
يسأل بالعلم وبمسك  
عن السؤال بالعلم وحكي  
بعض مشايخنا عن  
شخص كان مصرا على  
العاصي ثم أتته وتاب  
وحسن توبته وصار  
له حال مع الله تعالى قال :  
عزمت أن أجمع مع  
القائسة ونويت أن  
لا أسأل أحدا شيئا  
وأكتفي بمل الله بحالي  
قال فقيت إيما في

هو الأنفع فأما الإعراض عن جواب سلامة والكف عن مخالطته حيث يعلم أنه يصر وأن التصح ليس ينفعه فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة والصحيح أن ذلك يختلف باختلاف نية الرجل فعند هذا يقال الأعمال بالنيات إذ في الرفق والنظر بين الرحمة إلى الخلق نوع من التواضع وفي العنف والإعراض نوع من الزجر والسنتق في القلب فما يراه أميل إلى هواء ومتفتق بطنه فالأولى منه إذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر ومحبة التذاذ باظهار العلو والادلال بالصالح وقد يكون رفقته عن مدهانة واستئالة قلب الوصول به إلى غرض أو خوف من تأثير وحشته ونفرتة في جاء أو ماله بظن قريب أو بعيد وكل ذلك مرده على إشارات الشيطان وبيد عن أعمال أهل الآخرة فكل راغب في أعمال الدين يجتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الأحوال والقلب هو التي فيه وقد يصيب الحق في اجتباؤه وقد يخطئ وقد يندم على اتباع هواء وهو عالم به وقد يقدم وهو يحكم الضرر ظان أنه عامل لله وسالك طريق الآخرة وسيأتي بيان هذه الدقائق في كتاب الشرور من ربيع الملهكات ، ويدل على تخفيف الأمر في الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله ما روي أن شارب خمر ضرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات وهو يعود فقال واحد من الصحابة لئنه أيا ما أكثر ما يشرب فقال صلى الله عليه وسلم « لا تكن عونا للشيطان على أخيك <sup>(١)</sup> » أو لفظا هذا معناه وكان هذا إشارة إلى أن الرفق أولى من العنف والتنليظ .

( بيان الصفات للشرطة فيمن تختار محبة )

اعلم أنه لا يصلح للصحة كل إنسان قال صلى الله عليه وسلم « للره على دين خليله فلينظر أحدكم من يغال <sup>(٢)</sup> » ولابد أن يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها في محبة وتشرط تلك الخصال بحسب القوائد المطلوبة من الصحة إذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول إلى المقصود فبالإضافة إلى التصود تظهر الشروط ويطلب من الصحة فوائد دينية ودنيوية أما الدنيوية فكالاستغناء بالمال أو الجاه أو مجرد الاستغناء بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من أغراضنا. وأما الدينية فيجتمع فيها أيضا أغراض مختلفة إذ منها الاستفادة من العلم والعمل ومنها الاستفادة من الجاه نمحنا به عن إيذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة ومنها استفادة المال لا لكثافة به عن تضييع الأوقات في طلب القوت ومنها الاستعانة في اللزمات فيكون عدة في المصائب وقوة في الأحوال ومنها التبرك بمجرد الدعاء ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة فقد قال بعض السلف استكثروا من الإخوان فان لكل مؤمن شفاعة فليطلب تدخل في شفاعة أخيك وروى في غريب التفسير في قوله تعالى - ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله - قال يستقيم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ويقال إذا غفر الله لعبد شفع في إخوانه وتلك جماعة من السلف على الصحة والألفة والمخالطة وكروها العزلة والانفراد فهذه قوائد تستدعي كل فائدة شروطا لا تحصل إلا بها ونحن نقصها أما على الجملة فينبغي أن يكون فيمن تؤثر محبة خمس خصال أن يكون عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا . أما العقل فهو رأس المال وهو الأصل فلا خير في محبة الأحمق فإلى الوحة والقطعة ترجع عاقبتها وإن طالت قال صلى الله عليه : فلا تصحب أبا الجهل وإياك وإياه فكف من جاهل أردى حليبا حين آخاه يقاس السرور بالمرء إذا ما للره ماشاء ولشيء من الشيء مقاييس وأشباه وللقب على القلب دليل حين يلقاه

(١) حديث إن شارب خمر ضرب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه لا تكن عوناً للشيطان على أخيك البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث للره على دين خليله الحديث أو داود والترمذي وحسنه والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح إن شاء الله .

الطريق فتح الله على  
بالماء والزاد في وقت  
الحاجة ثم وقف الأمر  
ولم يفتح الله على شيء  
لجفت وعطشت حتى  
لم يبق لي طاقة فضضت  
عن الشيء وقيت أناخر  
عن القافلة فلا قلبا  
حتى مررت القافلة فقلت  
في نفسي هذا الآن  
مضى إلقاء النفس إلى  
الهلكة وقد منع الله  
من ذلك وهذه مسألة  
الاضطرار أمأل فلما  
همت بالسؤال انبث  
من باطني إنكار لهذه  
الحال وقأت عزيمة  
عقدتها مع الله لا أقصها  
وهان على الموت دون  
نقص عزمي فقصدت  
شجرة وقعدت في  
ظلها وطرحت رأسي  
استطرحا للسوت  
ونذيت القافلة فينا  
أنا كذلك إذ جاني  
شاب متسكلا بسيف  
وحركتي فقممت وفي  
يده أداة فيها ماء  
فقال لي اشرب فخربرت  
ثم قدم لي طعما وقال

كيف والأحقى قد يضرك وهو يريد تفعل وإعانتك من حيث لا يدري ولذلك قال الشاعر :

إني لأمن من عدو عاقل وأخاف خلدًا يمتريه جنون  
فالقل فم واحد وطريقه أدري فأرصد والجنون فنون

كل فأكلت ثم قال لي  
أريد القافة فقلت من  
لي بالقافة وقد عبرت  
فقال لي قم وأخذ  
يسدى ومضى معي  
خطوات ثم قال لي  
اجلس فالتقافة إليك  
تجني فجلست ساعة  
فاذا أنا بالقافة ورأى  
متوجهة إلى هذا شأن  
من يامل مولاه  
بالصدق وذكر  
الشيخ أبو طالب للشيخ  
رحمه الله أن بعض  
الصوفية أول قول  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم «أهل ما أكل  
للمؤمن من كسبه»  
بأنه للساعة عند القافة  
وأسكر الشيخ  
أبو طالب هذا التأويل  
من هذا الصوفي وذكر  
أن جعفرًا الخليلي كان  
يحكي هذا التأويل عن  
شيخ من شيوخ  
الصوفية ووقع لي والله  
أعلم أن الشيخ الصوفي  
لم يرد بكسب اليد  
ما أنكره الشيخ  
أبو طالب منه وإنما

وقد كذب المقاطعة الأحمق قربان إلى الله . وقال الثوري : النظر إلى وجه الأحمق خطيئة مكتوبة ونسي  
بالعقل الذي يفهم الأمور هي منى عليه إيمان نفسه وإما إذا فهم . وأما حسن الخلق فلابد منه إذ رب  
عاقل يدرك الأشياء على ما هي عليه ولكن إذا غلبه غضب أو شهوة أو غيظ أو جبن طاع هواه وخالف  
ما هو المعلوم عنده لمجزة عن قهر صفاته وتقويم أخلاقه فلا خير في محبته ، وأما الفاسق الصر على  
الفسق فلا فائدة في محبته لأن من يخاف الله لا يصير على كبيرة . ومن لا يخاف الله لا يؤمن غائلته ولا  
يوفق بصداقته بل يتغير بتغير الأغراض وقال تعالى - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع  
هواه - وقال تعالى - فلا يصدرك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه - وقال تعالى - فأعرض عن  
تولي عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا - وقال - واتبع سبيلا من أناب إلى - وفي مفهوم ذلك زجر  
عن الفاسق . وأما للبتس في محبته خطر سراية البدعة وتعدى شؤمها إليه فالبتس مستحق للهجر  
والمقاطعة فكيف تؤثر محبته وقد قال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب الدين في الصديق فيما رواه  
سعيد بن المسيب قال : عليك بأخا من الصديق تمشي في أكنافهم فأنهم زينة في الرخاء وعدة في الإبلاء  
وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما ينيلك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من  
القوم ولأمين إلا من حتى إذا فلا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تطلمه على شرك واستر في  
أمرك الدين يخشون الله تعالى . وأما حسن الخلق فقد جمعه علقمة البطاردي في وصيته لابنه حين  
حضرته الوفاة قال : يا بني إذا عرضت لك إلى محبة الرجال حاجة فاصب من إذا خدمته سائك وإن  
محبته زانك وإن قصدت بك مؤنة منك ، اصحب من إذا مددت يدك نجبر مدها وإن رأى منك حسنة  
عدها وإن رأى سيئة سدها ، اصحب من إذا سألك أعطاك وإن سكت أبدك وإن نزلت بك نازلة  
واساك اصحب من إذا قلت صدق قولك وإن حاولنا أمرا أمرك وإن تنازعنا تركه فكأنه جمع بهذا  
جميع حقوق الصلحة وشرط أن يكون قائما بجميعها . قال ابن أكرم قال للأمين فأن هذا قليله  
أندري لم أوصاه بذلك قال لا لأنه أراد أن لا يصحب أحدا . وقال بعض الأدباء لا تصحب من الناس  
إلا من يكرمك شرك ويستر عيبك فيكون معك في الثواب ويؤثرك بالرياء ويستر حسنتك ويطوي  
سيتك فإن لم تجد فلا تصحب إلا نفسك ، وقال علي رضي الله عنه :

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضمر نفسه لينفك  
ومن إذا رب زمان صدعك شئت فيه فله ليجمعك

وقال بعض السلفاء : لا تصحب إلا أحد رجلين رجل تحلم منه شيئا من أمر دينك فينفك أو رجل  
تمله شيئا من أمر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه ، وقال بعضهم : الناس أربعة فواحد حلو  
كله فلا يتبع منه وآخر مر - ك فلا يؤكل منه وآخر فيه حوصة تغد من هذا قبل أن يأخذ منك  
وأخر فيه ملوحة تغد منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق رضي الله عنه : لا تصحب خسة  
الكذب فإنك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعد ويبعد منك القرب ، والأحق  
فأنك تست منه على شيء يريد أن ينفك فيضرك ، والبخل فإنه يقطع بك أحوال ما تكونك إليه ،  
والجبان فإنه يسلكك ويغفر عند الشدة ، والفاسق فإنه يبيحك بأكله أو أقل منها قليل وما أقل منها قال  
الطعم فيها ثم لا ينالها . وقال الجليلي لأبي بصير فاسق حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبني قارى

سبي الخلق، وقال ابن أبي الحواري قال لي أستاذي أبو سليمان بأحمد لا تصحب إلا أجد رجلين رجلا  
تزقق به في أمر دينك أوردجلا يزيد معه وتتشمع به في أمر آخرتك والافتتال بشير مدين حتى كبر .  
وقال سهل بن عبد الله : اجتنب صيحة ثلاثة من أوصاف الناس الجبارة الغافلين والقراء للدهابين  
والتصوفة الجاهلين . واعلم أن هذه الكلمات أكثرها غير محيط بجميع أغراض الصحة والحريص  
ما ذكرناه من ملاحظة للقاصد ومراعاة الشروط بالإضافة إليها فليس ما يشترط للصحة في مقاصد الدنيا  
مشروطا للصعبة في الآخرة والأخوة كما قاله بشر . الاخوان ثلاثة : أخ لا غرتك وأخ لدينك وأخ  
لنفسك . وقفا تجتمع هذه القاصد في واحد بل تتفرق على جمع فتفرق الشروط فيها لاجتماع ، وقد  
قال للأخوان ثلاثة : أحدهم مثله مثل الفداء لا يستغنى عنه والآخرون مثله مثل الدواء يحتاج إليه  
في وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط ولكن البعد قد يبتلى به وهو الذي لا أنس  
فيه ولا نفع ، وقد قيل مثل جملة الناس كمثل الشجر والنبات فيها ماله ظل وليس له ثمر وهو مثل  
الذي ينتفع به في الدنيا دون الآخرة فان شمع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنها ماله ثمر وليس له  
ظل وهو مثل الذي يصلح للآخرة دون الدنيا ومنها ماله ثمر وظل جميعا ومنها ماله ليس له واحد منهما  
كأم غيلان تمرق الثياب ولا علم فيها ولا شراب ومثله من الحيوانات الفائرة والغرب كما قال تعالى : يدعو  
لن ضره أقرب من نعمة ليس للولي وليس المشير . وقال الشاعر :

الناس شتى إذا ما أمت ذقتهم لا يستونون كما لا يتوى الشجر  
هكذا له ثمر حالو مذاقه وذاك ليس له طعم ولا ثمر

فإذا لم يجد رفيقا بواخيه ويستفيد به أحدهم القاصد الفاحدة أولى به . قال أبو ذؤود رضي الله عنه  
الوحدة خير من المجلس السوء والمجلس الصالح خير من الوحدة وروى مرفوعا . وأما العبادة وعدم  
الفسق فقد قال الله تعالى : واتبع سبيل من آتاك إلى - ولأن مشاهدة الفسق والفساق نهون أمر  
الصعبة على القلب وتبطل نفرة القلب عنها . قال سعيد بن السبب : لا تنظروا إلى الظلمة فتحبط أعمالكم  
الصالحة بل هؤلاء لسلامة في مخالطتهم وإنما السلامة في الانقطاع عنهم . قال الله تعالى : وإذا خاطبهم  
الجاهلون قالوا سلاما - أي سلامة والألف بدل من الهاء ومعناه إنا سلمنا من إفسادكم وأنتم سلمتم من  
شرنا ، فهذا ما أردنا أن نذكره من معاني الأخوة وشروطها وفوائدها ، فلنرجع في ذكر حقوقها  
ولو أزمها وطرق القيام بمقها ، وأما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه  
والانقياد بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه ، فبجالة الحريص على الدنيا تحرك  
الحريص وبجالة الزاهد زهد في الدنيا فذلك تسكره صعبة طلاب الدنيا ويستحب صعبة الراغبين  
في الآخرة . قال علي عليه السلام : أحبوا الطاعات ببجالة من يستحي منه . وقال أحمد بن حنبل  
رحم الله ما أوفى في بابة الإصعبة من لأحشمتهم . وقال لقمان : يا بني جالس العلماء وزاحمهم ربك نيك  
فان القلوب لتحبها بالحكمة كما تحبها الأرض للمنة بوابل القطر .

( الباب الثاني : في حقوق الأخوة والصعبة )

اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكإتفاقي النكاح حقوقا  
الوفاء بها فيما يماحق النكاح كما سبق ذكره في كتاب آداب النكاح فكذلك عقد الأخوة . فلا تحك  
عليك حق في المال والنفس واللسان والقلب والمعو والدعاء وبالأخلاص والوفاء وبالتخفيف وتزك  
التكليف والتكليف وذلك يجمعه ثمانية حقوق :

( الباب الثاني : في حقوق الأخوة والصعبة )

أراد بكسب الديرهها  
إلى الله تعالى عند  
الحاجة فهو من أهل  
مأبأ كله إذا أجاب الله  
سؤاله وساق إلى يرزقه  
وقال الله تعالى حكاية  
عن موسى عليه السلام  
- رب إني لما أنزلت  
إلي من خير فقير -  
قال عبد الله بن عباس  
رضي الله عنهما قال  
ذلك وإن خيرة البقل  
تترادى في بطنه من  
الهرال . وقال محمد الباقر  
رحمه الله قالما وإنه  
يحتاج إلى شق ثمرة  
وروى عن مطرف  
أنه قال : أما الله لو كان  
عند نبي الله صلى  
ما اتبع المرأة ولكن  
حمله على ذلك الجهد  
وذكر الشيخ أبو  
عبد الرحمن السلي  
عن الصرمادى أنه  
قال في قوله - إني لما  
أنزلت إلى من خير فقير -  
لم يسأل التكليم الحاق

وإنما كان سؤاله من  
الحق ولم يسأل غداء  
النفس إنما أراد

## ( الحق الأول في المال )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل الأخوين مثل الدين تسفل إحداهما الأخرى» (١) وإنما شبهما بالدين لإبلايد والرجل لأتهما بتوانا على غرض واحد فكذا الإخوان إنما تم أخوتها إذا تراضا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضى السامعة في السراء والضراء والمشاركة في الآل والحال وارتفاع الاختصاص والاستتار . والواسة بالمال مع الأخوة على ثلاث مراتب أدناها أن تنزله منزلة عبيدك أو خادمك تقوم بحاجته من فضلة مالك فإذا سحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تحوجه إلى السؤال فإن أحوجته إلى السؤال فهو غاية التقصير في حق الأخوة . الثانية : أن تنزله منزلة نفسك وترضى بشاركتك إياك في مالك وتنزله منزلك حتى تسمح بعشائره في المال . قال الحسن : كان آدم يثق بإزاره بينه وبين أخيه . الثالثة : وهي العليا أن تؤثر على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات التحايين ومن ثمار هذه الرتبة الابتثار بالنفس أيضا كما روى أنه سعى بجماعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسين النوري فبادر إلى السيف ليكون هو أول مقتول قتيله في ذلك فقال أحببت أن أؤثر إخواني بالبقاء في هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجا جميعهم في حكاية طوبى فإن ما تصادف تحسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم أن عقد الأخوة لم ينعقد بعد في الباطن وإنما الجارى بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين ، فقد قال ميمون بن مهران : من رضى من الإخوان بترك الأضال فليؤاخ أهل القبور . وأما الدرجة الدنيا فليست أيضا مرضية عند ذوى الدين ، روى أن عتبة الصلام جاء إلى منزل رجل كان قد أخاه فقال احتاج من مالك إلى أربعة آلاف فقال خذ المئين فأعرض عنه وقال أثرت الدنيا على الله أما استحييت أن تدعى الأخوة في الله وتقول هذا ومن كان في الدرجة الدنيا من الأخوة يبنى أن لاتعامله في الدنيا . قال أبو حازم : إذا كان لك أخ في الله فلا تعامله في أمور دينك وإنما أربا به من كان في هذه الرتبة . وأما الرتبة العليا في الوصف الله تعالى للمؤمنين في قوله - وأمرهم شورى بينهم وما رزقهم ينفقون - أي كانوا خلطاء في الأموال لا يعيز بعضهم رحله عن بعض وكان منهم من لا يصحب من قال نعل لأنه أضافه إلى نفسه وجاء فتح الوصول إلى منزل لأخ له وكان غالبا فأمر أهلها فأخرج من صندوقه ففتحه وأخذ حاجته فأخبرت الجارية مولاهما فقال إن صدقت فانت حرة لوجه الميسرورا بما فعل ، وجاء رجل إلى أبي هريرة رضى الله عنه وقال إنى أريد أن أواخيك في الله فقال أمدري ما حق الإخاء قال عرفنى قال أن لاتسكن أحق بدينارك ودرهمك منى قال لم أبلغ هذه الترتة بعد قال فاذبعنى وقال طى بن الحسين رضى الله عنه ما لرجل هل يدخل آدمك يده في كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه قال لا قال فلتسم بأخوان ودخل قوم على الحسن رضى الله عنه فقالوا يا أبا سعيد أصليت قال نعم قالوا فإن أهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن يأخذني من أهل السوق بئنى أن أحدهم يمتع أخاه الدرهم قاله كالتمجب منه وجاء رجل إلى إبراهيم بن آدم رحمه الله وهو يريد بيت المقدس فقال إنى أريد أن أرافقك فقال له إبراهيم طى أن أكون أمك لتبشرك منك قال لا قال أهبني صدقك . قال فكان إبراهيم بن آدم رحمه الله إذا رافقه رجل لم يخافه وكان لا يصحب إلا من يوافق ، ومعه رجل شارك فأهدى رجل إلى إبراهيم في بعض المنازل قمصة من ثريد ففتح جراب رفيقه وأخذ حزمة من شرارك وجعلها في القصة وردها إلى صاحب الهدية ففاجأه وفيه قال إن الشرار قال ذلك الثريد الذى أكلته إيش كان قال كنت تمطيه شرار كين أو ثلاثة قال اصبر يسمع لك

(١) حديث مثل الأخوين مثل الدين الحديث تقدم في الباب قبله .

سكون القلب . وقال  
أبو سعيد الحاراز  
الحق متردون بين  
مالهم وبين ما لهم من  
نظر إلى ماله تكلم  
بلسان الفقر ومن شاهد  
ماله تكلم بلسان  
الحيلاء والفقر لأزرى  
حال الكليم عليه  
السلام لما شاهد  
خواص ما خاطبه به  
الحق كيف قال : أرى  
أنظر إليك . ولما نظر  
إلى نفسه كيف أظهر  
الفقر وقال : إني لما  
أنزلت إلى من خير  
قبر . وقال ابن عطاء  
نظر من الصودية إلى  
الربوية فخشع وخضع  
وتكلم بلسان الافتقار  
بما ورد على سره  
من الأنوار افتقار  
الصيد إلى مولاة في  
جميع أحواله لافتقار  
سؤال وطلب . وقال  
الحسين : قصير لما  
خصصنى من علم اليقين  
أن ترقين إلى عين  
اليقين وسعوه وقع واقفه  
أعرق قوله لما أنزلت

وأعطى مرة حمارا كان لرفيقه بنير إذنه رجلا رآه رجلا فلما جاء رفيقه سكث ولم يكره ذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال أخى فلان أوجع من إليه فيمت به إليه فيمت ذلك الإنسان إلى آخر فلم يزل يمت به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة . وروى أن سرقا ادان ديناً قبلما وكان على أخيه خيشة دين قال نذهب مسروق قضى دين خيشة وهو لا يملك وذهب خيشة قضى دين مسروق وهو لا يملك ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيها<sup>(١)</sup> فأثره بما آثره به وكأنه قبله ثم آثره به وذلك عداوة والبداية إيثار والإيثار أفضل من المساواة وقال أبو ساجان الداراني لو أن الدنيا كلها لي لجمتها في ثم أعين إخواني لاستغلتها له وقال أيضاً إني لأتعمد القصة أخاً من إخواني فأجد طعمها في حلق . ولما كان الاتفاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء قال له رضي الله عنه لعشرون درهما أعطها أخى في الله أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين وقال أيضاً لأن أسنع صاعاً من طعام وأجمع عليه إخواني في الله أحب إلى من أن أعتق رقبة . وانتداء الكل في الإيثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع للمستقيم إلى صاحبه فقال له يا رسول الله كنت والله أحنى بالمستقيم من فقال « ومن صاحب يصحب صاحباً ولو ساعة من النهار لإلاسل عن محبته هل أقام بها حتى قال الله أم أماعه<sup>(٢)</sup> » فأشار بهذا إلى أن الإيثار هو القيام بحق الله في الصيحة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر ينقل عندها فأمسك حذيفة بن اليمان الثوب وقام يستر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر ينقل ليفعل فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب وقام يستر حذيفة عن الناس فأبى حذيفة وقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا تفعل فأبى عليه السلام إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل<sup>(٣)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « ما اصطحب اثنين قط إلا كان أحدهما إلى الله أرفقهما بصاحبه<sup>(٤)</sup> » وروى أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غالياً فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك كف يدك حتى يجيء صاحب البيت فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل وكان مالك أبط منه وأحس خلاقاً فدخل الحسن وقال يادملك هكذا كنا لا نجتمع بعضنا بعضاً حتى ظهرت أنت وأصحابك وأشار بهذا إلى أن الانبساط في بيت الإخوان من الصفاء في الأخوة كيف وقد قال الله تعالى - أو صدقكم - وقال - أو ما ملكتكم منافهم - إذ كان الأعم يدفع منافيتهم بيته إلى أخيه ويغوض التصرف كما يريد وكان أخوه يتخرج عن الأكل بحكم التقوى حتى أنزل الله تعالى هذه الآية وأذن لهم في الانبساط في طعام الإخوان والاصدقاء .

( الحق الثاني في الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات )  
والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة )

(١) حديث لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيها رواه البخاري من حديث أنس (٢) حديث أنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع للمستقيم إلى صاحبه الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث ستر حذيفة لبي صلى الله عليه وسلم بثوب حتى اغتسل ثم ستره صلى الله عليه وسلم لحذيفة حتى اغتسل لم أجده أيضاً (٤) حديث ما اصطحب اثنين قط إلا كان أحدهما إلى الله أرفقهما بصاحبه تقدم في الباب قبله بانظر أشدهما لصاحبه .

إلى من خير فقير . أن الازتال مشعر يمد رتبته عن حقيقة القرب فيكون الازتال عين الفقر لما تقع بالمتزل وأراد قرب التزلومن صح فقره فقفره في أمر آخرته كفقره في أمر دنياه ورجوعه إليه في الدارين وإياه يسأل حوائج التزليل ومتساوي عنده الحاجتان فالله مع غير الله شغل في الدارين [ الباب العشرون في ذكر من يأكل من الفتنح ]

إذا كل شغل الصوفي بالله وكل زهد له كمال تقواه بحكم الوقت عليه بترك القريب وينكشف له صريح التوحيد وحمة الكفاية من الله الكريم فيزول عن باطنه الاهتمام بالأقسام ويكون مقدمة هذا أن يفتح الله له باب من التعريف بطريق المقابلة على كل فصل بصدمة حتى لو جزي



وهذه أيضا لها درجات كما لها أساطير فالأمانة القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول اللذة وقال بعضهم إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فقد كرهه ثانية فله أن يكون قد نسي فإن لم يقضها فكبر عليه وأقرأ هذه الآية - وللموت يبعثهم الله - وقضى ابن شبرمة حاجة بعض إخوانه كبيرة فجاء بهدية فقال ما هذا قال لما أسديتني إلى فقال خذ مالك عافاك الله إذا سألت أخاك حاجة فلم يجده نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعنه في اللوق قال جعفر بن محمد إنني لأتسارع إلى قضاء حوائج أعدائي مخافة أن أؤدب فيستنوا عني هفا في الأعداء فكيف في الأصدقاء وكان في السالف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة فيوم حاجتهم ويرتد كل يوم إليهم ويؤنهم من ماله فكانوا لا يفقدون من أيهم إلا يجته بل كانوا يرون منه ما يروا من أيهم في حياته وكان الواحد منهم يردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول هل لك زيت هل لك زيت هل لك ملح هل لك حاجة وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه وبهذا تظهر الشفقة والأخوة فإذا لم تشر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها قال ميمون بن مهران من لم تنتفع بصدقاته لم تضرك عداوته وقال صلى الله عليه وسلم «ألا وإن لله أواني في أرضه وهي القلوب فأحب الأواني إلى الله تعالى أصفها وأصلها وأرقها أصفها من القلوب وأصلها في الدين وأرقها على الأخوان» (١) وبالجملة فينبغي أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أو أهم من حاجتك وأن تكون متفقدا لأوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لا تغفل عن أحوال نفسك وتقية عن السؤال وإظهار الحاجة إلى الاستئانة بل تقوم بحاجته كأنك لا تدري أنك قت بها ولا ترى نفسك حقا بسبب قيامك بها بل تتقدم منه بقبوله معك في حقه وقامك بأمره ولا ينبغي أن تقتصر على قضاء الحاجة بل تجتهد في البداية بالأكرام والزيادة والإيثار والتقديم على الأقارب والولد كان الحسن يقول إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة وقال الحسن من شيع أخاه في الله بعث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشيعونه إلى الجنة وفي الأثر مازار رجل أخا في الله شوقا إلى لقائه إلا ناداه ملك من خلقه طبت وطابت لك الجنة (٢) وقال عطاء تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فودوهم أو مشاغل فاعينهم أو كانوا نسوا فذكروهم وروى «أن ابن عمر كان يلتفت عينا ومحالا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال أحببت رجلا فأنا أطلبه ولا أراه فقال : إذا أحببت أحدا فسله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فإن كان مريضا عدته وإن كان مشغولا أعنته» (٣) وفي رواية عن اسم جده وعشيرته . وقال الشعبي في الرجل يحالس الرجل فيقول أعرف وجهه ولا أعرف اسمه تلك معرفة النوكي . وقول لابن عباس من أحب الناس إليك قال جليسي وقال ما خلف رجل إلى مجلسي ثلاثا من غير حاجة له إلى فقلت ما مكافأته من الدنيا وقال سعيد ابن العاص لجليسي على ثلاث إذا دنا رحبت به وإذا حدث أقبلت عليه وإذا جلس أوسعت له وقد قال تعالى - رحما بينهم - إشارة إلى الشفقة والأكرام ومن تمام الشفقة أن لا ينفرد بطعام لذيذ

(١) حديث إن لله أواني في أرضه وهي القلوب فأحب الأواني إلى الله أصفها وأصلها وأرقها أصفها من القلوب وأصلها في الدين وأرقها على الأخوان (٢) حديث إذا أحببت أحدا فسله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله وعشيرته الحديث المرحلي في كرام الأخلاق واليبي في شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه الترمذي من حديث يزيد بن نامة وقال غريب ولا يعرف ليزيد بن نامة سماع من النبي صلى الله عليه وسلم .

عليه يسر من ذنب بحسب حاله أو الذنب مطلقا مما هو منبئ عنه في الشرع يجد غيب ذلك في وقته أو يومه كان يقول بعضهم : إنني لأعرف ذنبي في سوء خلق غلامي وقيل إن بعض الصوفية فرض القارئة فلما رآه تالم وقال :

لو كنت من مازن لم تسبح إلى بنو القبطه .م. ذهل ابن شيانا إشارة منه إلى أن الداخل عليه مقابلة له على شيء استوجب به ذلك فلا تزال به القسايات متضمنة للتعريجات الإلهية حتى يتحصن بصدق الحاسبة وصفاء الراقية عن تضييع حقوق العبودية ومخالفة حكم الوقت ويتردد له حكم فعل الله وتمحي عنه أفعال غير الله فيرى العطي والناهم هو الله سبحانه فوقا وحالا

أو يحضور في مسرة دونه بل يتنصص لمرآته ويستوحش بانفراده عن أخيه .

### (الحق الثالث)

(في اللسان بالكوت مرة وبالطريق أخرى) : أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيها يشكلم به ولا يجاربه ولا يناقشه وأن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله وإذا رأى في طريق أو حاجة لم يخافه بذلك خرضه من مصدره ومودره ولا يسهله عنه فرميا ينقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أن يكذب فيه وليسكت عن أسرارته التي بها إليه ولا يبينها إلى غيره البتة ولا إلى أخس أصدقائه ولا يكشف شيئاً منها ولو بعد القطيعة والوحشة فإن ذلك من لؤم الطبع وخيب الباطن وأن يسكت عن القدح في أحبابه وأهله وولده وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه فإن الذي سبك من بلفظ وقال أنسى « كان صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحداً بشئ » يكرهه (١) » والتأذى يحصل أولاً من اللبغ ثم من القاتل ثم لا يبين أن يخفي ما يسمع من التواء عليه فإن السرور به أولاً يحصل من اللبغ للضح ثم من القاتل وإخفاء ذلك من الخسد وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتضميلاً إلا إذا وجب عليه النطق في أمر معروف أو نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فاذ ذاك لا يلائم بكراهته فإن ذلك إحسان إليه في التحقيق وإن كان يظن أنها إساءة في الظاهر . أما ذكر مساويه وعيوبه ومساوي أهله فهو من التنية وذلك حرام في حق كل مسلم وزجر له عنه أمراً : أحدها أن تطالع أحوال نفسك فإن وجدت فيها عيباً واحداً مذموماً فهو على نفسك مآثم من أنبيك وقدرة أنه عاجز عن قهر نفسه في تلك الحصة الواحدة كما أنك عاجز عما أنت مبتلي به ولا تستغفله بحصة واحدة مذمومة فأرى الرجال الهذب وكل مالا تصادفه من نفسك في حق الله فلا تنتظره من أنبيك في حق نفسك فليس حثك عليه بأكثر من حق الله عليك . والأمر الثاني أنك تعلم أنك لو طلبت منزهاً عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولن تجد من تصاحبه أصلاً من أحد من الناس إلا ولا محاسن ومساو فلا غلبت المحاسن المساوي فهو الغاية والنشأ للمؤمن الكريم أبداً يحضر في نفسه محاسن أخيه لينمت من قلبه التوقير والود والاحترام . وأما النفاق الشيم فانه أبداً يلاحظ للمساوي واليوب قال ابن المبارك للمؤمن يطلب المآذير والنفاق يطلب الثمرات وقال الفضيل الفتوة الفوق عن زلات الإخوان وقلبك قال عليه السلام « استعبدوا بالله من جاز السوء الذي إن رأى خيراً ستره وإن رأى شراً أظهره » (٢) » وما من شخص إلا ويمكن تحمين حاله بحال فيه ويمكن تنجيحه أيضاً روى « أن رجلاً أتني في رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الندم ذه قال عليه السلام : أنت بالأسنى ثنى عليه واليوم تنمه فقال والله لقد صدقت عليه بالأسنى وما كذبت عليه اليوم إنه أرحأني بالأسنى قلت أحسن ماعلت فيه وأغضبي اليوم قلت أقم ماعلت فيه فقال عليه السلام : إن من البيان لسحراً » (٣) » وكأنه كره ذلك شبيهه بالسحر وقلبك قال في خبر آخر

(١) حديث أنس كان لا يواجه أحداً بشئ يكرهه أبو داود والترمذي في الشاهل والنسائي في اليوم والبلية بسند ضعيف (٢) حديث استعبدوا بالله من جاز السوء الذي إن رأى خيراً ستره وإن رأى شراً أظهره البخاري في التاريخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والنسائي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح : سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال عليه السلام : من جاز السوء الذي إن رأى خيراً ستره وإن رأى شراً أظهره البخاري في التاريخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٣) حديث أن رجلاً أتني في رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الندم ذه الحديث وفيه قال صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحراً الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرک من حديث أبي بكره إلا أنه ذكر للضح وأقدم في مجلس واحد لا يومين ورواه الحاكم من حديث ابن عباس أطول منه بسند ضعيف أيضاً .

لا علماً وإيماناً ثم يدركه الحق تعالى بالمونة ويوقفه على صريح التوحيد ويحرره قبل الله تعالى كما حكى عن بعضهم أنه خطر له خاطر الاهتنام بالرزق غفر إلى بعض الصغارى فرأى قبرة عياء عرجاء ضئيفة فوقف متعجباً منها متفكرًا فيها تأكل مع عجزها عن الطيران ولشيء الرؤية فيها هو كذلك إذ انشقت الأرض وخرجت سكرجاناً في أحداها صمم نقي وفي الأخرى ماء صاف فأكلت من السم وشربت من الماء ثم انشقت الأرض وغطت السكرجان قال فلما رأيت ذلك سقطت على الاهتنام بالرزق فإذا أوقف الحق عبده في هذا اللقاع يزيل عن بطنه الاهتنام بالأقسام ويرى المدخول في التسبب والتكسب بالسؤال وغيره رتبة

« البدء والبيان شعبان من التفائق (١) » وفي الحديث الآخر « إن الله يكرم لكم البيان كل البيان » وكذلك قال الشافعي رحمه الله ما أحد من السليين يطيع الله ولا يصبه ولا أحد يصي الله ولا يطيعه لمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل وإذا جمل مثل هذا عدلا في حق الله فإن أراد عدلا في حق نفسك ومقتضى أخوتك أولى . وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك إساءة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه أيضا وحده أن لا تحمل فيه على وجه فاسد ما أمكن أن تحصله على وجه حسن ، فأما ما انكشف يقين ومشاهدة فلا يمكنك أن لا تعلمه وعليك أن تحمل ما تشاهد على سبيل ونسيان إن أمكن وهذا الظن ينقسم إلى ما يسمى تخمرا وهو الذي يستدل إلى علامة فإن ذلك يحرك الظن تحريكا ضروريا لا يقدر على دفعه وإلى ما يشؤء سوء اعتقادك فيه حتى صدر منه فعله وجهان فيحملك سوء الاعتقاد فيه على أن تنزهه على الوجه الأردأ من غير علامة تخمه به وذلك جنابة عليه بالباطن وذلك حرام في حق كل مؤمن إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الله قد حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن سوء » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » (٣) وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتجسس والتجسس ، وقد قال عليه السلام « لا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تخاطبوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » (٤) والتجسس في تلطع الأخبار والتجسس بالمراقبة بالعين فستر العيوب والتجامل والتخاطب عنها شيمة أهل الدين ويكفيك تنبيه على كمال الرتبة في ستر القبيح وإظهار الجليل أن الله تعالى وصف به في السماء قبيل يامن أظهر الجليل وستر القبيح والمرضى عند الله من خلق بأخلاقه فانه ستر العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن المييد فكيف لا تتجاوز أنت عن مثلك أو فوقك وما هو بكل حال عديك ولا محنتك ، وقد قال عيسى عليه السلام للحواريين : كيف تصنعون إذا رأيتم أناسكم نائما وقد كشف الرمح ثوبه عنه قالوا نستره ونغطي قال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يخل هذا قال أحدكم يسمع بالكلمة في أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها . واعلم أنه لا يتم إيمان المرء ما لم يجب لأخيه ما يجب لنفسه وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يجب أن يعامله به ولا شك أنه ينتظر منه ستر العورة والسكوت على السأوى والعيوب ولو ظهر له منه هيمى ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه لما أبعد إذا كان ينتظر منه ما لا يضره له ولا يزم عليه لأجله وويل له في نص كتاب الله تعالى حيث قال - ويل للعطفين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالواهم أو وزنهم يمشرون - وكل من يلتمس من الأنصاف أكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية ومنشأ التفسير في ستر العورة أو السعى في كشفها البدء بالباطن وهو المحقد والمحمد فإن المحقود المحمود بلاء باطنه بالبحث ولكن يحبه في باطنه ويخفيه ولا يديده مهما

(١) حديث البدء والبيان شعبان من التفائق الترمذى وقال الحاكم والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٢) حديث إن الله حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن سوء الحاكم في التاريخ من حديث ابن عباس دون قوله وعرضه ورجاله ثقات إلا أن أباعل النيسابورى قال ليس هذا عندي من كلام النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو عندي من كلام ابن عباس ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر وللمسلم من حديث أبي هريرة كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه (٣) حديث إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث لا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تخاطبوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ، متفق عليه من حديث أبي هريرة وهو بعض الحديث الذى قبله .

المرام ويصير ملوب  
الاختيار غير متطلع  
إلى الأغيار ناظرا إلى  
فعل الله تعالى منتظرا  
لأمر الله ففساق إليه  
الأقسام ويقتع عليه  
باب الانعام ويكون  
بدوام ملاحظته لفعل  
الله وترصد ما يحدث  
من أمر الله تعالى  
مكتشفا له تجليات من  
الله تعالى بطريق  
الأفعال والتجلى  
بطريق الأفعال رتبة  
من القرب ومنه يترقى  
إلى التجلى بطريق  
الصفات ومن ذلك  
يترقى إلى تجلى الذات  
والإشارة في هذه  
التجليات إلى رتب في  
اليقين ومقامات في  
التوحيد شئ فوق  
شئ وشئ أعلى من  
شئ فالتجلى بطريق  
الأفعال يحدث صفو  
الرضا والتسليم والتجلى  
بطريق الصفات  
يكسب المحبة والأنس  
والتجلى بالذات يكسب  
الفناء والبقاء وقد

لم يجد له مجالا وإذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارفع الحياء وترشح الباطن بحبه الدفين ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فلا تقطع أولى قال بعض الحكماء ظاهر الشاب خير من مكثون الحقد ولا يزيد لطيف الخلود إلا وحشة منه ومن في قلبه سخيمة على مسلم فأبانه شريف وأمره خطير وقلبه خبيث لا يصلح لقاء الله . وقد روى عبد الرحمن بن جبرين تقرير عن أبيه أنه قال كنت باليمن ولقي جاريهودي يخبرني عن التوراة يقدم على اليهودي من سفر قتل إن الله قد بعث فينا نبيا فدعانا إلى الاسلام فألسنا وقد أزل علينا كتابا مصدقا للتوراة فقال اليهودي صدقت ولكنكم لا تستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به إنا نجد نعمة ونمت أمتة في التوراة إنه لا يعمل لامرئ<sup>(١)</sup> أن يخرج من عبته بابه وفي قلبه سخيمة على أخيه السلم ، ومن ذلك أن يسكت عن إفساد سره الذي استودعه وله أن ينكره وإن كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره وإن احتاج إلى الكذب فله أن يفعل ذلك في حق أخيه فان أخاه نازل منزله وهما ك شخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن هذه حقيقة الأخوة وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرايا وخارجا عن أعمال السرى إلى أعمال العلانية فان معرفة أخيه بعلمه تكفره بنفسه من غير فرق وقد قال عليه السلام « من ستر عورة أخيه ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة<sup>(٢)</sup> » وفي خبر آخر « فكنما أحيا مودة<sup>(٣)</sup> » وقال عليه السلام « إذا حدث الرجل بمحدث ثم التفت فهو أمانة<sup>(٤)</sup> » وقال « المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس مجالس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غيره<sup>(٥)</sup> » وقال عليه السلام « إنما يتجالس التجالسان بالأمانة ولا يعمل لأحدهما أن يفتي على صاحبه ما يكره<sup>(٦)</sup> » قيل لبعض الأديباء كيف حفظك للسرا قال ألقاه وقد قيل صدور الأحرار قبور الأسرار وقيل إن قلب الأحق في فيه ولسان الدافل في قلبه أي لا يستطيع الأحق إخفاء ما في نفسه فيديه من حيث لا يدري به فن هذا يجب مقاطعة الحق والتوق عن مصيبتهم بل عن مشاهدتهم وقد قيل لآخر كيف تحفظ السرا قال أجمعدهم وأحافهم للستخبر . وقد أخرج أسننه وأستراني أسننه وعبرته ابن العز قال :

ومستودعي سرا نبأت كشمه فأودعته صدري فصار له قبرا

وقال آخر وأراد الزيادة عليه :

وما السر في صدري كشوايقيره لأنني أرى القبور ينتظر النشرا

ولكنني أنسا حق ككأنني بما كان منه لم أخط ساعة خيرا

ولو جاز كتم السر بيني وبينه عن السر والأشياء لم تعلم السرا

(١) حديث من ستر عورة أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة ابن ماجه من حديث ابن عباس وقال يوم القيامة ولم يقل في الدنيا ولمسلم من حديث أبي هريرة من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (٢) حديث فكنما أحيا مودة من قريها أبو داود والنسائي والحاكم من حديث عتبة بن عامر من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا مودة زاد الحاكم من قريها وقال صحيح الاسناد (٣) حديث إذا حدث الرجل بمحدث ثم التفت فهي أمانة أبو داود والترمذي من حديث جابر وقال حسن (٤) حديث المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس الحديث أبو داود من حديث جابر من رواية ابن أخيه غير مسمى عنه (٥) حديث إنما يتجالس التجالسان بالأمانة لا يعمل لأحدهما أن يفتي على صاحبه ما يكره أبو بكر بن لال في مكلام الأخلاق من حديث ابن مسعود بلسان ضعيف ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية أبي بكر بن حزم مرسلا والحاكم وجمعه من حديث ابن عباس إنكم تتجالسون بينكم بالأمانة .

يسمى ترك الاختيار والوقوف مع فعل الله فناء يمتن به فناء الإرادة والمهوى والإرادة لطيف أقسام المهوى وهذا الفناء هو الفناء الظاهر فأما الفناء الباطن وهو محو آثار الوجود عند لمعان نور الشهود يكون في تحلل القات وهو أكل أقسام اليقين في الدنيا فأما تحلل حكم القات فلا يكون إلا في الآخرة وهو القلق الذي حظي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المراج ومنع عنه موسى بلن ترائي فليعلم أن قولنا في التحلل إشارة إلى رب الحظ من اليقين ورؤية البصرة فإذا وصل العبد إلى مبادئ أقسام التحلل وهو مطالعة الفضل الإلهي مجردا عن فعل سواء يكون تناوله الأقسام من الفتح . روى عن رسول الله صلى الله

وأثنى بعضهم سرا له إلى أخيه ثم قاله حفظت فقال بل نسبته وكان أبو سمية الثوري يقول إذا أردت أن  
تواخي رجلا فأغضبه من دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك فإن قال خيرا وكنتم سركا فاصبه وقيل  
لأبي يزيد من نصب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله وقاله التوتون  
لاخير في صفة من لا يحب أن يراك إلا المصموما ومن ألقى السر عند الضرب فهو اللئيم لأن إخفاءه عند الرضا  
تفضيه الطباع السليمة كلها وقد قال بعض الحكماء لا نصب من يتغير عليك عند أربع: عند غضبه  
ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي أن يكون صدق الأخوة ثابتا على اختلاف هذه الأحوال والله قليل:

ورى الكريم إذا نصرم وصله يغنى القبيح ويظهر الاحسانا

ورى اللئيم إذا تقضى وصله يغنى الجبيل ويظهر البهانا

وقال عباس لابنه عبدالله إني أرى هذا الرجل يعني عمر رضي الله عنه يقدمك على الأخياخ فاحفظ عني  
خسا لا تشبهن سرا ولا تتقنن عنده أحدا ولا تعبرن عليه كذبا ولا تصين له أمرا ولا يظلمن منك على  
خيانة قال التميمي كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف ومن ذلك السكوت عن المارة والدافعة في كل  
ما يشكك به أخوك قال ابن عباس لا تحار سفيا فيؤذيك ولا حليفا فيقلبك وقد قال صلى الله عليه وسلم  
«من ترك المراء وهو مبطل بئله يبيت فريض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بئله يبيت في أعلى الجنة» (١)  
هذا مع أن تركه مبطلا واجب وقد جعل ثواب النفل أعظم لأن السكوت عن الحق أشد على النفس من  
السكوت على الباطل وإنما الأجر على قدر النصب وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الأخوان المارة  
وللأمانة قائما عين التدابر والتقاطع تقع أولا بالأثر ثم بالأقوال ثم بالأبدان وقال عليه  
السلام «لا تدابروا ولا بناغضوا ولا تخادعوا ولا تقاتلوا وكونوا عباد الله إخوانا للسلام لأخو للسلام لا يظلمه  
ولا يغرمه ولا يخدله بحسب المراء من التمر أن يحرق أخاه للسلام» (٢) وأشد الاحتقار المارة فإن من  
رد على غيره كلامه فقد نسبته إلى الجهل والحق أو إلى التفة والسوء عن فهم الشيء على ما هو عليه وكل  
ذلك استحقار وإغبار للصدر وإغماش وفي حديث أبي أمامة الباهلي قال «خرج علينا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ونحن نتبارى فغضب وقال: ذروا المراء لقلعة خيرة وذروا المراء فإن قلعة قليل وإنه  
يرجع الداوة بين الأخوان» (٣) وقال بعض السلف من لاحت الأخوان وما رام قلت مروءته وذهبت  
كرامته وقال عبد الله بن الحسن إياك ومعاراة الرجال فانك لن تقدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم وقال  
بعض السلف اعجز الناس من قصر في طلب الأخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وكثرة  
النزاة وتوجب التفتيش والقطعة وتورث الداوة وقد قال الحسن لا تشتر عداوة رجل بمودة ألف  
رجل وعلى الجنة فلا باع على المارة إلا إظهار التمييز بمزيد العقل والفضل واحتقار اللزود عليه  
بإظهار جهله وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والأيذاء والشتم بالحق والجهل والامتنع للمعادة  
إلا هذا فكيف تضامته الأخوة وللصافاة فقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من ترك المراء وهو مبطل بئله يبيت فريض الجنة الحديث تقدم في العلم (٢) حديث  
لا تدابروا ولا بناغضوا ولا تخادعوا وكونوا عباد الله إخوانا للسلام لأخو للسلام الحديث مسلم من حديث  
أبي هريرة وأوله متفق عليه من حديثه وحديث أنس وقد تقدم بعضه قبل هذا بسبعة أحاديث  
(٣) حديث أبي أمامة خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتبارى فغضب وقال ذروا المراء  
لقلة خيرة فإن قلعة قليل فانه يرجع الداوة بين الأخوان الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة  
وأي الرداء ووالله وأنس دون ما يبدو قوله قلعة خيرة ومن هنا إلى آخر الحديث رواه أبو منصور  
والدبلي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة ققط وإسناده ضيف .

عليه وسلم أنه قال ومن  
وجه إليه شيء من  
هذا الرزق من غير  
مسئلة ولا إشراف  
فليأخذه وليوسع به  
فدركه فإن كان عنده  
غنى فليدعه إلى من  
هو أحوج منه وفي  
هذا دلالة ظاهرة على  
أن البعد يجوز أن  
يأخذ زيادة في حاجته  
بنية صرفه إلى غيره  
وكيف لا يأخذ وهو  
يرى فضل الله تعالى  
ثم إذا أخذ ففهم من  
يخرج به إلى المحتاج  
ومنهم من يتقف في  
الإخراج أيضا حتى يرد  
عليه من الله عمن خاص  
ليكون أخذه بالحق  
وإخراجه بالحق  
أخبرنا الشيخ أبو زرعة  
طاهر قال أنا والدي  
الحافظ أبو الفضل  
القدس قال أنا أبو  
اسحاق إبراهيم بن  
سعيد الجبال قال أنا  
محمد بن عبد الرحمن  
ابن سعيد قال أنا  
أبو طاهر أحمد بن محمد

أنه قال لأخاك أخاك ولا تخافه ولا تلمه موعدا فتخلقه (١) وقد قال عليه السلام «إنكم لاتسمون الناس بأموالكم ولكن ليسمهم منكم بسط وجه وحسن خلق (٢)» والمباراة مضادة لحسن الخلق وقد انتهى السلف في الحذر عن المباراة والحنن على المساعدة إلى حد لم يروا السؤال أصلا وقالوا إذا قلت لأخيك قم فقال لي أين فلا تصحبه بل قالوا ينبغي أن يقوم ولا يسأل وقال أبو سليمان العباداني كان لي ألع بالعراق فكنت أجيبه في النوايا فأقول أعطني من مالك شيئا فكان يلقي إلي كيب فأخذ منه ما أريد فجئت ذات يوم قتللت أحتاج إلى شيء فقال كى تريد غرجت حلوة إذعته من قلبي وقال آخر إذا طلبت من أخيك مالا فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الإخاء . واعلم أن نوام الأخوة بالمواقة في السلام والفعل والشفقة قال أبو عثمان الخيري مواقة الإخوان خير من الشفقة عليهم وهو كال قال .

### (الحق الرابع على اللسان بالنطق)

فإن الأخوة كما تقتضى السكوت عن السكاره تقتضى أيضا النطق بالهاب بل هو أخص بالأخوة لأن من فنع بالسكوت مصعب أهل القبور وإنما تراد الإخوان ليسفاد منهم لا ليتخلص عن أذام والسكوت منه كلف الأذى فلهذا أن يتودد إليه بلسانه ويتفقد في أحواله التي يحب أن يتفقد فيها كالأشغال التي عارض إن عرض وإظهار خلل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جملة أحواله التي كرهها ينبغي أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهتها وجهه إلى الله تعالى يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها فبني الأخوة للسماحة في السراء والضراء وقد قال عليه السلام «إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره (٣)» وإنما أمر بالأخبار لأن ذلك موجب زيادة حب فان عرف أنك تحبه أسيبك بالطبع لاهالة فإذا عرفت أنه أيضا غيبك زاد حيك لاهالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويضعف والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين ولذلك علم في الطريق قال «تهادوا تحابوا (٤)» ومن ذلك أن تدعوه بأحب اسمائه إليه في غيبته وحضوره قال عمر رضي الله عنه ثلاث صفين لكود أخيك أن تسلم عليه إذا لقيته أولا وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب اسمائه إليه ومن ذلك أن تثنى عليه بما تعرف من محاسن أحواله عند من يؤثر هو التناء عند ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة وكذلك التناء على أولاده وأهله وصننه وقوله حتى على عقله وخلقه وهيبته وسخطه وشره . وتصفينه وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وإفراط ولكن بحسن ما قبيل التحسين لاجلته وآكمن ذلك أن تبته ثناء من أثنى عليه مع إظهار القبح فان إخفاء ذلك محض الحسد ومن ذلك أن تشكره على منعيه في حقل بل على نية وإن يتم ذلك قال عليه رضي الله عنه من لم يمدح أخاه من حسن النية لم يمدح على حسن الصنية وأعظم من ذلك تأثيرا في جلب المحبة الدب عنه في غيبته مهيا تصديسه أو تعرض لعرشه بكلام صريح أو تعرض لخلق الأخوة التثمين في الحماية والصرة وتبكت للتغث وتقليظ القول عليه

(١) حديث ابن عباس لأخاك أخاك ولا تخافه ولا تلمه موعدا فتخلقه الترمذي وقال غريب لا تعرفه إلا من هذا الوجه يعني من حديث لث بن أبي سليم وضفه الجوهري (٢) حديث إنكم لاتسمون الناس بأموالكم ولكن ليسمهم منكم بسط وجه وحسن الخلق أبو يونس اللؤلؤ والطبراني في معارج الأخلاق وابن عدي في الكامل وضفه الحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة (٣) حديث إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والحاكم من حديث اللقمان بن معدى كرب (٤) حديث تهادوا تحابوا البيهقي من حديث أبي هريرة وقد تقدم غير مرة .

ابن عمر وقال أنابونس ابن عبد الأهل قال حدثنا ابن وهب قال ثنا عمرو بن الحرث عن ابن شهاب عن السائب بن زيد عن حبيب بن عبد المزي عن عبيد الله السدي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسطي المطاء فأقول له أعطه يا رسول الله من هو أقر مني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خذه فمعه أو تصدق به وما جاءك من هذا للسأل وأنت غيب متصرف ولا سائل فخذ وما لا فلا تتبعه تشك» قال سالم بن أبل ذلك كان ابن عمر يسأل أحدا شيئا ولا يرد شيئا أعطيه دمج رسول الله صلى الله عليه وسلم الأصحاب بأوامره إلى رؤية فعل الله تعالى والخروج

والسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الأخوة وإنما شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين تسلم إحداها الأخرى لينصر أحدهما الآخر وينوب عنه<sup>(١)</sup> وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «السلام أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يئله»<sup>(٢)</sup> وهذا من الاتساق والجدلان فإن إجماله لتزريق غرضه كما هاله لتزريق لمحله فأخس بأخ براكو الكلاب فتتركس وتمزق لحومك وهو ساكت لا تحرك الشفقة والحمية للدمع عنك وتمزق الأعراض أشد على النفوس من تمزيق اللحوم ولذلك شبه الله تعالى بأكل لحوم الميتة قال - أجب أحذركم أن يأكل لحم أخيه ميتا - ولذلك الذي يمثل في المنام ما تظلمه الروح من اللوح المحفوظ بالأشلة المحسوسة يمثل الميتة بأكل لحوم الميتة حتى إن من يرى أنه يأكل لحم ميتة فإنه ينتاب الناس لأن ذلك الملك يمثله براءى للشاركة والناسبة بين الشيء وبين مثاله للشيء الذي يجري من الكلال يجري الروح في ظاهر الصور فاذا من حماية الأخوة بدفع ذم الأعداء وتحت للتنتين واجب عقد الأخوة وقد قال مجاهد لا تذكر أخاك في غيبته إلا كما تحب أن يذكرك في غيبتك فاذن لك فيه معياران أحدهما أن تذكر أن الذي قيل فيه لوقيل فيك وكان أخوك حاضرا ما الذي كنت تحب أن يوقع أخوك في غيبتي أن تعامل التعرض لمرعته به والثاني أن تذكر أنه حاضر من وراء جدار يسمع قولك ويظن أنك لا تعرف حضوره لما كان يتحرك في قلبك من الصرة له بمسمع منه وتراه في غيبتي أن يكون في منفيه كذلك فقد قال بعضهم ما ذكر أخا لي غيب إلا تصورته جالسا قلبي في ما يحب أن يسمعه لو حضر وقال آخر ما ذكر أخا لي إلا تصورته نسي في صورته قتلت فيه مثلا ما أحب أن يقال في وهذا من صدق الإسلام وهو أن لا يرى لأخيه إلا ما يراه لنفسه وقد نظر أبو الدرداء إلى ثورين يحرثان في فدان فوقف أحدهما يحكم جسمه فوقف الآخر فيكم وقال هكذا الإخوان في الله يملآن الله فإذا وقف أحدهما واقفه الآخر وبالمواقة يتم الاخلاص ومن لم يكن بخاصا في إخوانه فهو منافق والاخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلو والاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك محادفة في اللومة وهو دخل في الدين ووليعة في طريق المؤمنين ومن لا يقدر من نفسه على هذا فلا تقطع والعزلة أولى به من الواخاة والصاحبة فإن حق الصبة ثقيل لا يطيقه إلا محقق فلا جرم أجره جزيل لا يناله إلا موفق ولذلك قال عليه السلام «وأباهر أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا»<sup>(٣)</sup> فانظر كيف جعل الإيمان جزءا للصبة والإسلام جزء الجوار فالفرق بين فضل الإيمان وفضل الإسلام على حد الفرق بين الشفعة في القيام بحق الجوار والقيام بحق الصبة فإن الصبة تغتضي حقوقا كثيرة في أحوال متقاربة مترادفة على الدوام والجوار لا يغتضي إلا بحقوقا قرية في أوقات متباعدة لا تندوم ومن ذلك التسليم والتسوية فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال فإن كنت غنيا بالمعنى فليكن مواساة من فضلك وإرشاده إلى كل ما ينفعه في الدين والدنيا فإن علمه وأرشدته ولم يعمل يغتضي العلم فليكن النصيحة وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائده تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة ليتزجر عنه وتنبه على عيوبه وتجنب التبسيع في عينه وتحسن الحسن ولكن ينبغي أن يكون ذلك في سر لا يطلع

(٢) حديث تشبيه الأخوين بالدين تقدم في الباب قبله (٣) حديث السلم أخو المسلم تقدم في أثناء حديث قبله بسبعة أحاديث (٤) حديث أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا الترمذي وابن ماجه واللفظ له من حديث أبي هريرة بالشرط الأول فقط وقال الترمذي مؤمنا قال وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما وقال ابن ماجه مؤمنا قال الدارقطني والحديث ثابت ورواه التضاعفي في مسند الشهاب بلفظ الصنف .

من تدبير النفس إلى حسن تدبير الله تعالى . سئل سهل بن عبد الله التستري عن علم الحال قال هو ترك التدبير ولو كان هذا في واحد لكان من أوتاد الأرض . وروى زيد ابن خالد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جاء معروف من أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله فاما هو شيء من رزق الله تعالى ساقه الله إليه » وهذا البعد الواقف مع الله تعالى في قبول ما ساق الحق آمن ما غشى عليه إنسا يغشى على من برد لأن من رد لأيمن من دخول النفس عليه أن يرى بين الزهد في أخذ إسقاط نظر الخلق تحققا بالصدق والاخلاص وفي إخراجها إلى الغير إثبات حقيقته فلا يزال في كلا الحالين زاهدا

عليه أحد لما كان على الملا فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة إذ قال صلى الله عليه وسلم «للمؤمن مرآة المؤمن» (١) أي يرى منه مالا يرى من غيره فيستفيد للره بأخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقال الشافعي رضي الله عنه من وعظ أخاه سرا قد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه وقبله المسر أعجب من مخبرك بسبوك فقال إن نصحتني فإني يبني وبينه فتم وإن قرعني فللأ فلا وقد صدق فان النصيح على اللا فضيحة والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كفه في ظل ستره فوقه على ذنوبه سرا وقد بدف كتاب عمله محتوما إلى الملاشكة الذين يحفون به إلى الجنة فإذا قاربوا باب الجنة أعطوه الكتاب محتوما ليقرأه وأما أهل اللقت فينادون على رموس الأشهاد وتستطلق جوارحهم فضأحهم فيزدادون بذلك خزيا واقتضاها ونمود باللهمن الحزبي يوم العرض الأكبر فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالأسرار والاعلان كما أن الفرق بين الدنارة والداهنة بالعرض ألباع على الأعضاء فان أغضيت لسلامة دينك ولما ترى من إصلاح أخيك بالأعضاء فأنت مدار وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شربواتك وصلامة جاهك فأنت مداهن وقال ذو النون لاصحب مع الله إلا بالمواظبة ولا مع الخلق إلا بالنصحة ولا مع النفس إلا بالمخالفة ولا مع الشيطان إلا بالعداوة.. فان قلت فإذا كان في الصبح ذكر العيوب فيه إغماش القلب فكيف يكون ذلك من حق الأخوة فاعلم أن الإغماش إنما يحصل بذكر عيب بعله أخوك من نفسه فأما تنبيهه على ماله بعله فهو عين الشفقة وهو أسالة القلوب أغنى قلوب العلاء وأما الحق فلا يثبت إليهم فان من ينهك على فعل مذموم تطايطه أو وصف مذمومة أضمت لها تركي نفسك عنها كان كمن ينهك على حية أو عقرب تحت ذيلك وقد همت بإهلاكك فان كنت تكره ذلك لما أشد حملك واصفات الذميمة عقارب حيات وهي في الآخرة مهلكات فانها تغلق القلوب والأرواح والمها أشدها يبلغ الطواهر والأجساد وهي مخلوقة من نار الله الوددة ولذلك كان عمر رضي الله عنه يستدعي ذلك من إخوانه ويقول رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه ولذلك قال عمر لسلطان وقد قدم عليه ما الذي بلغك عني عما تكره فاستعني فألج عليه فقال بلغني أن لك حلتين تلبس إحداها بالهار والأخرى بالليل وبلغني أنك تجمع بين إدامين على مائة واحدة فقال عمر رضي الله عنه أما هذا فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما فقال لا وكتب حذيفة الرعشي إلى يوسف بن أسباط بلغني أنك بست دينك عتبتين وقتت على صاحبين قتلتك بك هذا فقال بسدس قتلته لا يضمن فقال هو لك وأمرتك فأمرتك فكشف من رأسك قناع الغافلين واتبعه عن ردة اللوني وأعلم أن من قرأ القرآن ولم يستغن وأثر الدنيا لم آمن أن يكون بآيات الله من السهريين وقد وصف تعالى الكاذبين ينضمون للناصحين إذ قال.. ولكن لا تحبون للناصحين - وهذا في عيب وهو غافل عنه فأما ما علمت أنه يعله من نفسه فاعلموا مهور عليه من طبعه فلا ينبغي أن يكشف فيه ستره إن كان مخفي وإن كان يظهره فلا بد من التلطف في النصيح بالعرض مرة وبالصرح أخرى إلى حد لا يؤدي إلى الإغماش فان علمت أن النصيح غير مؤثر فيه وأنه مضطر من طبعه إلى الأصرار عليه فالسكوت عنه أولى وهذا كله فيما ينطلق بمصالح أخيك في دينه أو دنياه أما ما يتعلق بتقصيره في حقك فالواجب فيه الإحتيال والغفو والصفح والتعاضد عنه والعرض لذلك ليس من النصيح في شيء، نعم إن كان بحيث يؤدي استمراره عليه إلى القطعية فالعاب في السخري من القطعية والتعريض به خير من التصريح بالكاتبه خير من الشافهة والاحتال خير من الكل إذ ينبغي أن يكون قصدك من أخيك إصلاح نفسك بمرأعائك إياه وقيامك بحقه وإحاثك تقصيره لا الاستعانة به

(١) حدث المؤمن مرآة المؤمن أبو داود من حديث أبي هريرة بإسناد حسن .

براه الغير بين الرغبة  
لقلة السلم بحاله وفي  
هذا المقام يستحق  
الزهد في الزهد ومن  
أهل الفتوح من يعلم  
دخول الفتوح عليه  
ومنها من لا يعلم دخول  
الفتوح عليه فهم  
من لا يتناول من  
الفتوح إلا إذا تقدمه  
علم تعريف من الله  
إياه ومنها من يأخذ  
غير منتقل إلى تقدم  
العلم حيث تجرد له  
العلم ومن لا ينتظر  
تقدم العلم فوق من  
ينتظر تقدم العلم  
لقيام محبة مع الله  
وانسلاخه من إرادته  
وعلم حاله في ترك  
الاختيار ومنها من  
يدخل الفتوح عليه  
لا بتقدمة العلم ولا  
رؤية تجرد الفعل  
من الله ولكن برزق  
شربا من الهبة  
بطريق رؤية التهمة  
وقد يتكدر شرب  
هذا يتغير مهود  
العمة وهذا حال



والاسترقاق منه قال أبو بكر السكتاني صحبني رجل وكان على قلبي ثقبلا فوهبت له يوما شيئا على أن يزول ما قلاني فلم يزل فأخذت يده يوما إلى البيت وقتلته منع رجلك على خدي فأني قتلت لا بد فضل فزال ذلك من قلبي ، وقال أبو علي الرباطي صحبت عبدالله الرازي وكان يدخل البادية فقال لي أن تسكون أنت الأمير أو أنا قتلت بل أنت قال وعليك الطاعة قتلت نعم فأخذ عملة ووضع فيها الزاد وحملها على ظهره فإذا قتله له أعطى قال ألتست قلت أنت الأمير فليك الطاعة فأخذنا للطير ليلة فوقف على رأس إلى الصباح وعليه كساء وأنا جالس يمنع عني للطير فكنت أقول مع نفسي ليثي مت ولم أفل أنت الأمير .

### (الحق الخامس العفو عن الزلات والهفوات)

وهذوة الصديق لا تغلو إيمان أن تسكون في دينه بارتكاب معصية أو في حثك بتقصيره في الاخوة أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها فليك التلطف في نصحه بما يقوم أوده ويجمع شمله ويبيد إلى الصلاح والورع حاله فإن لم تقدر وبقي مصرّاً قد اخلفت طرق الصحابة والتابعين في إدامة حق مودته أو مقاطعته فنسب أبو ذر رضي الله عنه إلى الاعتطاع ودل إذا انقلب أخوك عما كان عليه فأقبضه من حيث أحببت وراى ذلك من مقتضى الحب في الله والبشنى والله وأما أبو البراء وجماعة من الصحابة فذهبوا إلى خلافه فقال أبو البراء إذا تقبّر أخوك وحال مما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك فإن أخاك يسوج مرة ويستقيم أخرى ، وقال إبراهيم النخعي لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غدا ، وقال أيضا لا تحذروا الناس زلة العالم فإن العالم زل الزل تميركها وفي الخبر « اتوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا قبضته (١) » وفي حديث عمر وقد سأل عن أخ كان أخاه فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال ماضل أخني قال ذلك أخو الشيطان قال له قال إنه فارف الكبائر حتى وقع في الحفر قال إذا أردت الخروج فكأن في كسب عند خروجه إليه بسم الله الرحمن الرحيم - سم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - الآية ثم جاء به تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح لي عمر فاب رجوع . وحكى أن أخوين ابني أهدما بهوى فأظهر عليه أخاه وقال إني قد اعتلت فان شئت أن لا تمعد على صحبتي فله فاضل قال ما كنت لأحلّ عند أخوتك لأجل خطيئتك أبادما تمعد أخوه بينه وبين الله أن لا يأكل ولا يشرب حتى يباقي الله أخاه من هواء فطوى أربعين يوما في كلها يسأله عن هواء فكان يقول القلب مقيم على حاله وما زال هو يتحلل من التّم والجوع حتى زال الهوى عن قلب أخيه بعد الأربعين فأخبره بذلك فأكل وشرب بعد أن كاد يلفظ هزلا وضراً . وكذلك حكى عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة فقبل لأخيه أنه تقطعه وتهجره فقال أحوج ما كان إلى في هذا الوقت لما وقع في عثرته أن أخذ يده وأنطلق له في العاتية وأدعوه بالعود إلى ما كان عليه . وروى في الاسرائيليات أن أخوين عابدين كانا في جبل نزل أحدهما ليشري من للمسر لحا بدرهم فرأى بئيا عند اللحام فرمقها وعشقها واجتذبا إلى خلوة وواقفهما ثم أقام عندها ثلاثا واستجيا أن يرجع إلى أخيه حياء من جنايته قال فافقدا أخوه واهتم بشأنه فزل إلى المدينة فلم يزل يسأل عنه حتى دلّ عليه فدخل إليه وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يبله ويلزّمه وأنكر الآخر أنه يعرفه قط لفرط استحيائه منه فقال قم يا أخني قد عدت لك شأنك

(١) حديث اتوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا قبضته النبوي في اللجم وابن عدى في الكامل من حديث عمرو بن عوف الزنى ومضاف .

صنيف بالإضافة إلى  
الحالين الأولين لأنه  
علة في الهبة ووليعة  
في الصدق عند  
الصدقين وقد ينتظر  
صاحب الفتوح العلم  
في الإخراج أيضا كما  
ينتظر في الأخذ لأن  
النفس تظهر في  
الإخراج كما تظهر في  
الأخذ وأتم من هذا  
من يكون في إخراجها  
عنتار أو في أخذه عنتارا  
بعد تحققة بصحة  
التصرف فان انتظار  
الملم إنما كان لموضع  
اتهام النفس وهويقية  
هوى موجود فاذا زال  
الاهتمام بوجود صريح  
الملم يأخذ غير محتاج  
إلى علم متجدد وبخروج  
كذلك وهنم حال من  
تحقق بقول رسول الله  
صلّى الله عليه وسلم كما  
عن ربه « فإذا أحببت  
كنت له سمّا وبصرا  
ففيسمع وويصروني  
بنطق « الحديث فلما  
صح تعرفه صح نصرته  
وهذا أعز في الأحوال

وفسنتك وما كنت قط أحب إلى ولا أعز من ساعتك هذه فلما رأى أن ذلك لم يسقطه من عينه قام فانصرف معه فهذه طريقة قوم وهي اللطف وأتته من طريقة أبي ذر رضى الله عنه وطريقته أحسن وأسلم . فإن قلت ولم قلت هذا اللطف وأتته ومقارفة هذه الصبية لأنجوز مؤاخذته ابتداء تنجيب مقاضته انتهى لأن الحكم إذا ثبت بصفة القياس أن زول زوالها وعلّة بعد الأخوة التعاون في الدين ولا يستمر ذلك مع مقارفة الصبية . فأقول أما كونه اللطف فلما فيه من الرفق والاتساع والتلطّف للنفس إلى الرجوع والتوبة واستمرار الحياء عند دوام الصبغة ومهما قطعوا واطع طمعه من الصبغة أمر واستمر وأما كونه أتمه فمن حيث إن الأخوة عقد ينزله منزلة القرابة فإذا انقضت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ومن الوفاء بأن لا يهمل أيام حاجته وقره وقره الله من أهدم من قهر اللال وقد أحاط به جائحة والمتم به آفة اقترع بسببها في دينه فينبغي أن يراقب ويراعى ولا يهمل بل لا يزال يتلطّف به ليحان على الخلاص من تلك الوتمة التي ألتمت به للأخوة عدة للثبات وحوادث الزمان وهذا من أشد الثواب والفاجر إذا صاحب قيا وهو ينظر إلى خوفه ومدامته فيسرع على قرب ويستحي من الإصرار بل السكّان صباح الحرس في العمل فيحرص حياء منه . قال جعفر بن سليمان مهما قررت في العمل نظرت إلى محمد بن واسع وإقباله على الطاعة فيسرع إلى نشاطي في العبادة وفارقتي السكّال ومحت على أسبوعا وهذا التحقّق وهو أن الصدقة لجة كلحة النسب والقرب لا يجوز أن يهجر بالمصيبة وذلك قاله تعالى لئن لم يلهي الله عليّ وسلم في عبثه رة سافن عسوك لقلن لي برى ما تملكون ولم يقلن لي برى منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب وإلى هذا أشار أبو الدرداء لما قيل له ألا تفيض أخاك وقد فعل كذا فقال إنما أفيض على ولا فهو أخي وأخوة الدين أو كد من أخوة القرابة ولذلك قيل لحكيم أما أحب إليك أخوك أو صديقك فقال إنما أحب أخي إذا كان صديقا لي وكان الحسن يقول كم من ألم من تله أمك ولذلك قيل القرابة تحتاج إلى مودة واللوة لا تحتاج إلى قرابة وقال جعفر الصادق رضى الله عنه مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم مائة من قطعها قطعه الله فأذن الوفاء بفقد الأخوة إذا سبق انفادها واجب وهذا جوابنا عن ابتداء اللؤاخة مع الفاسق فإنه لم يتقدم له حتى فإن تقدمته له قرابة فلا جرم لا ينبني أن يقاطع بل يجامل والدليل عليه أن ترك اللؤاخة والصبة ابتداء ليس مذموما ولا مكروها بل قال قائلون لا أفراد أولى فأما قطع الأخوة عن دوامها فهي عنه ومذموم في نفسه ونسبته إلى تركها ابتداء كمنسبة الطلاق إلى ترك النكاح والطلاق أبشئ إلى الله تعالى من ترك النكاح قال صلى الله عليه وسلم « شرار عباد الله للشامون بالقيمة الفرقون بين الأعبة »<sup>(١)</sup> وقال بعض السلف في ستر زلات الاخوان ودّ الشيطان أن يلقى على أخيك مثل هذا حتى تهجروه وتقطعوه فإذا اتقيتم من محبة عدوك وهذا لأن التفرّق بين الأحباب من محاب الشيطان كما أن مقارفة الصبيان من محابه فإذا حصل للشيطان أحد غرضيه فلا ينبني أن يضاف إليه الثاني وإلى هذا أشار عليه السلام في الذي شتم الرجل الذي أتى فاحشة إذ قال له وزيره وقال « لاسكوتوا عونا للشيطان على أخيك »<sup>(٢)</sup> فهذا كله يبين الفرق بين الدوام والابتداء لأن غائلة الفاسق محذورة ومفارقة الأحباب والاخوان أيضا محذورة وليس من سلم عن معارضة غيره كاللبي لم يسلم وفي الابتداء قد سلم فرأينا أن الهجارة والتجبه بما الأولى وفي الدوام تعارضا فكان الوفاء بحق الأخوة أولى من ذلك في دينه أما زلاته في حقه بما يوجب إجماعه فلا خلاف في أن الأولى المنو والاحتمال بل كل ما يعتدل ينزله على وجه حسن ويصور تمهيد

من الكبريت الأحمر  
وكان شيخنا ضياء  
الدين أبو النجيب  
السهروردي رحمه الله  
يخبرني عن الشيخ حماد  
الدهاس أنه كان يقول  
أنا لا آكل إلا من طعام  
الفضل فكان يرى  
الشخص في المنام أن  
يحمل إليه شيئا وقد  
كان بينه وبينه في المنام  
أن يحمل إلى حماد  
كذا وكذا ويقل إنه  
يقع زمانا يرى هو في  
واقته أو مناه إنك  
أحلت في فلان بكذا  
وكذا . وحكي عنه أنه  
كان يقول كل جسم  
ترى بطعام الفضل  
لا ينسلط عليه البلاء  
ويمن بطعام الفضل  
ما شهده له محبة الحال  
من قروح الحق ومن  
كانت هذه حالته فهو  
غنى بالله . قال  
الواسطي الافتقار إلى  
الله أعلى درجة للريدين  
والاستغناء بالله أعلى  
درجة الصديقين  
وقال أبو سعيد الخراز

(١) حديث شرار عباد الله للشامون بالقيمة الفرقون بين الأعبة حديث أحمد بن حنبل  
(٢) حديث لاسكوتوا عونا للشيطان على أخيك . البخاري من حديث أبي هريرة وخدم في الباب قبله .

عذر فيه قريب أو بعيد فهو واجب بحق الأخوة فقد قيل ينبغي أن تستبطل لالة أخيك سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك فرد اليوم على نفسك فتقول قلبك ما أقصاك يعتذر إليك أخوك سبعين عذرا فلا تقبله فأنت المعب لا أخوك فان ظهر عيب لم يقبل التحسين فينبغي أن لا تقبض إن قدرت ولكن ذلك لا يمكن وقد قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان فلا تكن حمارا ولا شيطانا واسترض قلبك بنفسك نوبة عن أخيك واحترز أن تكون شيطانا إن لم تقبل قال الأنصف حق الصديق أن تحتمل منه ثلاثا ظلم الغضب وظلم العدالة وظلم الحقوة وقال آخر ما شمت أحدنا قط لأنه إن شتمني كرم فأنأ أحق من غفرها له أوليهم فلا أجعل عرضي له غرضا ثم تمل وقال :

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم الثيم تكريما

وقد قيل : خذ من خليلك ماصفا ودع القى فيه الصعد

فالمسير أقصر مما نبة الخليل على الصبر

ومهما اعتذر إليك أخوك كاذبا كان أو صادقا فاقبل عذره قال عليه السلام « من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل إثم صاحب الكسي<sup>(١)</sup> » وقال عليه السلام « المؤمن سريع الغضب سريع الرضا<sup>(٢)</sup> » فلم يصغ بأنه لا يغضب وكذلك قال الله تعالى - والكاملين النيط - ولم يقل والفائقين النيط وهذا لأن العادة لا تنتهي إلى أن يخرج الإنسان فلا يتألم بل تنتهي إلى أن يصبر عليه ويمتد وكأن التألم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتألم بأسباب الغضب طبع القلب ولا يمكن قلمه ولكن يمكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه فانه يقتضى التشنج والانتقام والمكافأة وترك العمل بمقتضاه يمكن وقد قال الشاعر :

ولست بمسبق أخا لاتفه على شئت أى الرجال المهذب

قال أبو سليمان النخعي لأحمد بن أبي الحواري إذا واخبت أحدا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فانك لا تأمن من أن ترى في جوابك ما هو شر من الأول قال تجربته فوجدته كذلك وقال بعضهم الصبر على مضض الأخ خير من معاتبته والماتبة خير من القطيعة والقطعة خير من الوقعة وبنى أن لا يبالغ في البضعة عند الوقعة قال تعالى - عسى الله أن يعمل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة - وقال عليه السلام « أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون يفيض يوما ما وياض يفيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما<sup>(٣)</sup> » وقال عمر رضي الله عنه لا يكن حيك كلفا ولا يفضك تلقا وهو أن تحب تلف صاحبك مع هلاكك .

### (الحق السادس)

(الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته بكل ما يحبه نفسه ولأهله وكل متعلق به قدعوله كما تدعول نفسك)

(١) حديث من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل صاحب مكس ابن ماجه وأبو داود في الراسيل من حديث جودان واختلف في صعبته وجهه أبو حاتم وباقي رجاله ثقات ورواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر بسند ضعيف (٢) حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضا لم أجده ههنا ولا ترمذى وحسنه من حديث أبي سعيد الخدري إلا أن بنى آدم خلقوا على طبقات فوق الحديث وفيه ومنهم سريع الغضب سريع التى فتلك تلك (٣) حديث أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون يفيض يوما ما الحديث الترمذى من حديث أبي هريرة وقال غريب قلت رجلاه ثقات رجال مسلم لكن الراوى تردد في رفته .

العارف تديره فى

فى تدبير الحق فالواقف

مع الفتوح واقف مع

الله ناظر إلى الله

وأحسن ما حكي فى هذا

أن بعضهم رأى

السورى بمد يد

ويسأل الناس قال

فاستعظمت ذلك منه

واستعجبته له فأثبت

الجيد وأخبرته

فقال لا يأمظ هذا

عليك فان التورى لم

يسأل الناس إلا ليعطيهم

سؤلهم فى الآخرة

فيؤجرون من حيث

لا يشره وقول الجيد

ليعطهم كقول بعضهم

اليد العليا بد الأخذ

لأنه يعطى الثواب قال

ثم قال الجيد هات

للزبان فوز مائة درهم

ثم قبض قبضة فألقاها

على المائة ثم قال احملها

إليه فقلت فى نفسى إنما

يزن ليعرف مقدارها

فكيف خلط الجهول

بالوزون وهو رجل

حكيم واستحييت أن

أسأله فنجبت بالصرة

ولا تفرق بين نفسك وبينه فإن دعاءك لبدعاء نفسك على التحريق قد قال صلى الله عليه وسلم « إذا دعا الرجل لأخيه في ظهر الثيب قال الملك ولك مثل ذلك »<sup>(١)</sup> وفي لفظ آخر « يقول الله تعالى بك أبدأ يا عبدي »<sup>(٢)</sup> وفي الحديث « يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه »<sup>(٣)</sup> وفي الحديث « دعوة الرجل لأخيه في ظهر الثيب لاترد »<sup>(٤)</sup> وكان أبو الدرداء يقول إن لأدعو لسجين من إخواني في سجودي أمسيهم بأسمائهم وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول وأبني مثل الأخ الصالح أهلك يقتسمون ميراثك ويقتسمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك مهم بما قدمت وما صرت إليه يدعو لك في ظلة الليل وأنت تحت أطباق الترى وكان الأخ الصالح يقتدى باللائكة إذ جاءه في الخبر « إذ مات البعد قال الناس ما خلف وقالت اللائكة ما قدم »<sup>(٥)</sup> فزحوا له بما قدم ورسألون عنه ويشفقون عليه ويقال من بلغ موت أخيه ترحم عليه واستغفره كتب له كأنه شهد جنازته وصل عليه . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مثل الميت في قبره مثل الفريق يتلقى بكل شيء ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ أو قريب »<sup>(٦)</sup> وإنه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال وقال بعض السلف الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هلته هدية لك من عند أخيك فلان من عند قريبك فلان قال فيخرج بذلك كما يفرح الحي بالهدية .

#### ( الحق السامع الوفاء والإخلاص )

ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه فإن الحب إنما يراد للأخرة فإن أقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي ولذلك قال عليه السلام « في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه »<sup>(٧)</sup> وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة ولذلك روى أنه عليه السلام « أكرم عبودا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين »<sup>(٨)</sup> فمن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه وللتلقين به ومراعاتهم أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ في نفسه فإن فرحه ينقد من يتلقى به أكثر إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب إلا امتدحها من المحبوب إلى كل من يتلقى به حق السكب الذي على باب داره يبنى أن يميز في القلب عن سائر السكاب ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان فإنه لا يحسد متعاونين بل يحسد متواخين في الله ومتحابين

- (١) حديث إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الثيب قال الملك ولك مثل ذلك مسلم من حديث أبي الدرداء
- (٢) حديث الدعاء للأخ بظهر الثيب وفيه يقول الله بك أبدأ عبدي لم أجدها اللفظ (٣) حديث يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه لم أجده بهذا اللفظ ولأبي داود والترمذي وضعه من حديث عبد الله بن عمرو إن أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لقاب (٤) حديث دعوة الأخ لأخيه في الثيب لاترد الدارقطني في العلل من حديث أبي الدرداء وهو عند مسلم لأنه قال مستجابة مكان لاترد (٥) حديث إذا مات البعد قال الناس ما خلف وقالت اللائكة ما قدم البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٦) حديث مثل الميت في قبره مثل الفريق يتلقى بكل شيء ينتظر دعوة ولد أو والد الحديث أبو منصور الدبلي في مسند القردوس من حديث أن هريرة قال النبي في اللزائن إنه خير منك جدا (٧) حديث سببه يظلمهم الله في ظله الحديث تقدم غير مرة (٨) حديث إكرامه صلى الله عليه وسلم لمجوز دخلت عليه وقوله إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان الحاكم من حديث عائشة وقال صحيح على شرط الشيخين وليس لعله .

إلى النوري قال هات  
اليزان فوزن مائة درهم  
وقال بردها وقله أنا  
لا أقبل منك شيئا  
وأخذ مازاد على المائة  
قال فزاد تبجي فأثته  
على ذلك قال الجني  
رجل حكيم يريد أن  
يأخذ الجبل بطريقه  
وزن لثامه نفسه طلبا  
لثواب وطرح عليها  
قبضة بلا وزن فله  
أخذت ما كان فله  
وردت ما جله نفسه  
قال فردتها على الجني  
فيكي وقال أخذ ماله  
ورد ماله . ومن  
لطائف ما سمعت من  
أصحابي شيئا أنه قال  
ذات يوم لأصحابه نحن  
محتاجون إلى شيء من  
اللؤلؤ فارجعوا إلى  
خفواتكم وإسألوا الله  
تعالى وما يفتح الله  
تعالى لكم التوفيق به  
فصلواتهم جاءهم من بينهم  
عصص يعرف بأسماعيل  
الطامحي ومعه كاغد  
عليه ثلاثون دائرة  
وقال لهذا الذي فتح

فيه فانه يجهد نفسه لافساد ما بينهما فله الله تعالى - وقل لعبادي يقولوا التمسوا أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم - وقال غيرنا عن يوسف - من بعد أن نزح الشيطان بيني وبين إخوتي - وبئال ما تواخى اثنان في الله فخرق بينهما إلا بذنب تركبه أحدهما وكان بشر يقول إذا قصر البدي في طاعة الله فسله الله من يؤمنه وذلك لأن الإخوان مسلاة لهموم وعون على الدين ولذلك قال ابن المبارك الله الأشياء جملة الإخوان والافتراق إلى كفاية واللودة الدأثة هي التي تكون في الله وما يكون للرؤس زول بزوال ذلك الرؤس ومن ثمرات اللودة في الله أن لا تكون مع حسد في دين ودنيا وكيف يحسده وكل دهن وأخيه فإليه ترجع فادته وبه وصف الله تعالى المحبين في الله تعالى فقال - ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم - ووجود الحاجة هو الحسد ومن الوفاء أن لا يتغير حاله في التواضع مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتسمت ولايته وعظم جاهه فارتفع على الإخوان بما يتجدد من الأحوال لئلا قال الشاعر :

إن الكرام إذا ما أسروا ذكروا من كان يألفهم في النزل الحشن

وأوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك وإن استنثيت عنه لم يقطع فيك وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك ودل بعض الحكماء إذا ولي أخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير - وحكي الربيع أن الشافعي رحمه الله أتى رجلا يفتاد ثم إن أخاه ولي السجين فخير له مما كان عليه فكتب إليه الشافعي بهذه الآيات :

أذهب فودك من فؤادي طالق أبدا وليس طلاق ذات البين

فإن اروعيت فاتها تطليقة ويدوم ذلك لي على تنسين

وإن امتنعت شققها بئالها فتكون تطليقتين في حيزين

وإذا التثاثل أهلك متى تنة لم تقن عك ولاية السجين

واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق في أمر يتعلق بالدين بل من الوفاء له المخالفة فقد كان الشافعي رضي الله عنه أخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقبني بمصر غيره فاعتل محمد فماده الشافعي رحمه الله تعالى فقال :

مرض الحبيب فسدته فرضت من حذري عليه

وأتى الحبيب يهودي فبرئت من نظري إليه

وظن الناس لصدق مودتهما أنه يفض أمر حالته إليه بعد وفاته فقبل للشافعي في علته التيمات فبها رضي الله عنه إلى من مجلس بعدك بابا عبد الله فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليوم - إليه قال الشافعي سبحان الله أينك في هذا أبو يعقوب البويطي فأنكرسها محمدا ومال أصحابه إلى البويطي مع أن محمدا كان قد حمل عنه مذهبه كله لكن كان البويطي أفضل وأقرب إلى الزهد والورع فصحب الشافعي له وللسفين وترك الداهية ولم يؤثر رضا الخلق على رضا الله تعالى فلما توفي انتلب محمد ابن عبد الحكم عن مذهبه ورجع إلى مذهب أبيه ودرس كتب مالك رحمه الله وهو من كبار أصحاب مالك رحمه الله وأثر البويطي الزهد والخمول ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الأسم الذي ينسب الآن إلى الربيع بن سليمان ويعرف به وإنما صنعه البويطي ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه إلى نفسه فزاد الربيع فيه وتصرف وأظهره والمقصود أن الوفاء بالهبة من تمامها التصحفة قال الأحنف الإخاء جوهرة رقيقة إن لم تحرسها كانت معرضة للافات فاحرسها بالكظم حتى تستدر إلى من ظلك والبارح حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولأمن أخيك التقصير ومن آثار الصدق والإخلاص وتعمم الوفاء أن تكون شديد الجزع من المفارقة شور الطبع عن أصحابها كقيل :

الله لي في واثق فأخذ  
الشيخ السكاغذ فلم  
يكن إلا ساعة فإذا  
بشخص دخل ومعه  
ذهب قدمه بين يدي  
الشيخ فتح القرطاس  
وإذا هو ثلاثون  
صحيفة فترك كل  
صحبة على دائرة وقال  
هذا فوج الشيخ  
إسماعيل أو كلاما هذا  
معناه - وصمعت أن  
الشيخ عبد القادر  
رحمه الله بث إلى  
شخص وقال قلان  
طعام وذهب التني من  
ذلك بكسفا ذهب  
وكذا ما قال الرجل  
كيف تصرف في ودية  
عندي ولو استفتيتك  
ما أفتيتني بالتصرف  
فأثمه الشيخ بذلك  
فأحسن الظن بالشيخ  
وجاء إليه بالذي طلب  
فلما وقع التصرف  
منه جاءه مكتوب من  
صاحب الودية وهو  
غائب في بعض نواحي  
العراق أن احمِل إلى  
الشيخ عبد القادر

وجدت مصيبات الزمان جميعها سوى فرقة الأجيال هينة الحطب .

وأنفذ ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت أقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يغيل إلى أن حشرهم ذهب من قلبي ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لاسيما من يظهر أولا أنه يحب لصديقه كيلا يئس ثم بقي الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من دقائق الجليل في التصريح ومن لم يغرر من لم تدم مودته أصلا قال واحد الحكماء قد جئت خاطبا لمودتك قال إن جلست مبرها ثلاثا فقلت قال وماهي قال لا تسمع علي بلاغة ولا تخافني في أمر ولا توطئ مشقة ومن الوفاء أن لا يصادق عدو صديقه قال الشافعي رحمه الله إذا أطاع صديقك عدوك قد اشتراك في عداوتك .

( الحق الثامن التخفيف وترك التكلف والتكلف )

وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه بل بروح سره من مهماته وحاجاته وبرقه عن أن يحمله شيئا من أعبائه فلا يستمد منه من جاه ومال ولا يكلفه التواضع له والتفقد لأحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد بحبه إلا الله تعالى تبركا بدعائه واستئناسا بلفظه واستعانة به على دينه وتقربا إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتعميل مؤته قال بعضهم من أقتضى من إخوانه مالا يقتضونه قد ظلمهم ومن أقتضى منهم مثل ما يقتضونه قد أتهمهم ومن لم يقتض فهو للتفضل عليهم وقال بعض الحكماء من جعل نفسه عند الإخوان فوق قدره أثم وأثموا ومن جعل نفسه في قدره تب وأتهمهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلوا وتعام التخفيف بطي بساط التكليف حتى لا يتسنى منه فبا لا يتسنى من نفسه وقال الجنيدي ما تواخى إثنان في الله فاستوحش أحدهما من صاحبه أو احتشم إلا لمة في أحدهما وقال علي عليه السلام شر الأصدقاء من تكلف لك ومن أحوجك إلى مداراة وأجلك إلى اعتذار وقال الفضيل إنما تخاطب الناس بالتكلف زور أحدهم أخاه فيتكلفه فيقطعه ذلك عنه وقالت عائشة رضي الله عنها المؤمن أخو المؤمن لا يؤمن لا يؤمنه ولا يحتمسه وقال الجنيدي سمعت أربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلاثون رجلا حارثا الحماسي وطبقته وحسنا للسوسى وطبقته وسرا السقطي وطبقته وابن الكربي وطبقته فما تواخى إثنان من الله واحتشم أحدهما من صاحبه أو استوحش إلا لمة في أحدهما وقيل لبعضهم من نصب قال من رفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما يقول أهل إخواني على من يتكلف لي وأحفظ منه وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي وقال بعض الصوفية لا تعاصر من الناس إلا من لا يزيد عنده يرو ولا تنقص عنده يلزم يكون ذلك لك وعليك وأنت عنده سواء وإنما قال هذا لأن به يتخلص عن التكلف والتحفظ وإلا فالطبع يحمله على أن يتحفظ منه إذا علم أن ذلك ينقصه عنده وقال بعضهم كن مع أبناء الدنيا بالأبد ومع أبناء الآخرة بالمع ومع العارفين كيف شئت وقال آخر لا تصحب إلا من يثوب عنك إذا أذنت وتبذر إليك إذا أسأت ويعمل عنك مؤنة تسك وكيفك مؤنة نفسه وقائل هذا قد ضيق طريق الأخوة على الناس وليس الأمر كذلك بل ينبغي أن يواخي كل متدين عاقل ويؤزم على أن يقوم بهذه الترافض ولا يكلف غيره هذه الترويض حتى تسكن إخوانه إذ به يكون مواخيا في الله والإكانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيدي قد عز الإخوان في هذا الزمان أين أغلى في الله فأعرض الجنيدي حتى أعاده ثلاثا فلما أكثر قال له الجنيدي إن أردت أخا يتيقك مؤنتك ويتحمل أذاك فهذا لعمري قليل وإن أردت أخا في الله تحمل أنت مؤنته وتصبر على أذاه فندى جماعة أعرفهم لك فكسرت الرجل . وإعلم أن الناس ثلاثة رجل تنتفع بصحبته ورجل تنفرد على أن تنفعه ولا تنفرد به ولكن لا تنتفع

كذا وكذا وهو القدر الذي عنه الشيخ عبد القادر ضايقه الشيخ بسد ذلك على نفسه وقال ظننت بالقرءاء أن إشارتهم تكون على غير صفة وعلم فالبد إذا صح مع الله تعالى وأخفى هواه منتظبا رضا الله تعالى يرفع الله عن باطنه هموم الدنيا ويعمل القنى في قلبه ويفتح على أبواب الرفق وكل الظنوم للسلطة على بسن للقرءاء لكون قلوبهم ما استكملت الفضل بالله والاهتمام برعاية حقائق المودة فضلا قدر ما خلعت من لطف بالله أبلغت ٣٣ الدنيا ولو ثلاثا من ثم انهما عذبت بهموم الدنيا وقمت وارتقت . روى أن عوف بن عبد الله السعدي كان له ثلثائة وستون صديقا وكان يكون عدد كل واحد يوما وآخر كان له ثلاثون

لا تتفجع به ورجل لا تقدر أيضا على أن تفهمه وتتضرر به وهو الأحق أو السوء الخلق فهذا الثالث ينبغي أن يتجنبه فأما الثاني فلا يجنبه لأنك تتفجع في الآخرة بشفاعته وبدعائه وبشواك على القيام به وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إن أظننى لنا أكثر إخوانك أى إن وإسئمت واحتملت منهم ولم تعمدهم وقد قال بعضهم صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بينى وبينهم خلاف فأنى كنت معهم على تقى ومن كانت هذه شيمة كثير إخوانه . ومن التخفيف وترك التكلف أن لا يترش في نوافل العبادات . كان طائفة من الصوفية يصلحون على شرط المساواة بين أربع معان إن أكل أحدهم التبارك كله لم يقل له صاحبه صم وإن صام الآخر كله لم يقل له أفطر وإن نام الليل كله لم يقل له قم وإن صلى الليل كله لم يقل له لم وتستوى حالته عنده بلا مزيد ولا نقصان لأن ذلك إن تفاوت حرك الطبع إلى الرياء والتخلف لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت أفته ومن خفت مؤنته دامت مودته وقال بعض الصالحين إن الله لمن التكلفين وقال صلى الله عليه وسلم « أنا والأخياء من أمى برآء من التكلف » (١) وقال بعضهم إذا عمل الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أمسه به (٢) إذا أكل عنده ودخل الحلاء وصلى ونام فذكر ذلك لبعض الشايخ فقال بقيت خاسمة وهو أن يحضر مع الأهل في بيت أخيه ويحلمها لأن البيت يتخذ للاستخفاف في هذه الأمور الجنى وإلا فالمساجد أروع للتعبدن فإذا فعل هذه الجنى قد تم الأخاء وارتفعت الحشمة وتأكّد الانسباط وقول الرب في تسليمهم يشير إلى ذلك إذ يقول أحدهم لصاحبه مرحبا وأهلا وسهلا أى لك عندنا مرحب وهو السعة في القلب والسكان ولك عندنا أهل تأنس بهم بلا وحشة لك منا ولك عندنا سهولة في ذلك كله أى لا يشتد علينا شيء عاتريد ولا يمت التخفيف وترك التكلف إلا بأن يرى نفسه دون إخوانه ويحسن الظن بهم ويسىء الظن بنفسه فإذا رآهم خيرا من نفسه ضد ذلك يكون هو خيرا منهم وقال أبو معاوية الأسود إخوانى كلهم خير منى قبل وكيف ذلك ؟ قال كلهم يرى إلى الفضل عليه ومن فضلى على نفسه فهو خير منى وقد قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله ولاخير في صفة من لا يرى لك مثل ماترى له » (٣) فهذه أقل الدرجات وهو النظر بين المساواة والكمال في رؤية الفضل للأخ ولتلك قال سفيان إذا قيل لك بإشر الناس فضبت فأنت شر الناس أى ينبغي أن تكون متفاد ذلك في نفسك أبدا وسيأتى وجه ذلك في كتاب الكبير والسجود وقد قيل في معنى التواضع ورؤية الفضل للاخوان آيات :

تذلل لمن إن تذلل له يرى ذلك للفضل لا لبله

وجانب صداقة من لا يزال على الأصداقة يرى الفضل له

وقال آخر : كم صديق عرفته بصديق صار أخطى من الصديق العتيق

ورقيق رأيته في طريق صار عندي هو الصديق الحقيقي

ومهما رأى الفضل لنفسه قد احتقر أخاه وهذا في عموم المسلمين مذموم قال صلى الله عليه وسلم « بحسب المؤمن من الشر أن يحقر أخاه المسلم » (٤) ومن تمة الانسباط وترك التكلف أن يشارور

(١) حديث أنا وأمى برآء من التكلف الدار قطنى في الأفراد من حديث الزبير بن العوام ألا أبى برى من التكلف وصالحا أمى وإسناده ضعيف (٢) حديث إذا صنع الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أمسه به الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث المرء على دين خليله ولاخير في صفة من لا يرى لك مثل ماترى له تقدم الشطر الأول منه في الباب قبله وأما الشطر الثاني فرواه ابن عدى في الكامل من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . مسلم

صدقا يكون عند كل واحد وما وآخر كان له سبعة إخوان يكون كل يوم من الأسبوع عند واحد فكان إخوانهم معلومهم وللعلوم إذا أقامه الحق للناظر إلى الله الكامل توحيد يكون نعمة هنية . جاورجل إلى الشيخ أبي السعود رحمه الله وكان من أرباب الأحوال السنية والواقفين في الأشياء مع فعل الله تعالى متمكنا من حاله لا كالاختياره ولله سبق كثيرا من المتقدمين في تحقيق ترك الاختيار رأينا منه وشاهدنا أحوالا صحيحة عن قوة وتمكين فقال له الرجل أريد أن أعين لك شيئا كل يوم من الحيز أحله إليك ولكنى قلت الصوفية يقولون للعلوم شؤم قال الشيخ نحن ما قول للعلوم شؤم فإن الحق يصفى لنا وفضه نرى فكل ما يقسم لنا

إخوانه في كل ما يصحده ويقبل إشاراتهم فقد قال تعالى - وشاورهم في الأمر - وينبغي أن لا يخفى عنهم شيئا من أسرارهم كما روى أن يعقوب ابن أخي معروف قال جاء أسود بن سالم إلى عمي معروف وكان مواجها له فقال إن جبرين الحارث يحب مؤاخاتك وهو يستحي أن يشافيك بذلك وقد أرسلني إليك يسألك أن تفعله فإني نيك وبينه وأخوة يحتملها ويستد بها إلا أنه يشترط فيها شروطا لا يجب أن يشتر بها ذلك ولا يكون بينك وبينه مازورة ولا ملاقة فانه يكره كثيرا لا اتفاقا فقال معروف أما أنا لو آتيت أحدا لم أحب مفارقتة لئلا ولا تهازل وأزرتة في كل وقت وأترته على نفسي في كل حال ثم ذكر من فضل الأخوة والمحبة في الله أحاديث كثيرة ثم قال فيها وقد أنشأ رسول الله ﷺ عليا فشاركه في العلم (١) وقاسمه في الدين (٢) وأنسكه أفضل بناته وأحبين إليه وخسه بذلك لمؤاخاته (٣) وأنا أشهدك أني قد عقدت له أخوة يخفى بينه وعقدت إخاءه في الله لرسائله وللسألة على أن لا يزوري إن كره ذلك ولكي أزوره متى أحببت ومره أن يلقاني في مواضع نلتقي بها ومره أن لا يخفى على شيئا من شأنه وأن يظني على جميع أحواله فأخبر ابن سالم جبرا بذلك فرضي وسر به فهذا جامع حقوق الصلوة وقد أجملناه مرة وفضلناه أخرى ولا يمت ذلك إلا بأن تكون على شك للأخوان ولا تكون لنفسك عليهم وأن تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بعقوبتهم جميع جوارحك . أما البصر فأن تنظر إليهم نظر ودة يعرفونهم أنك وتنتظر إلى محاسنهم وتتأمن عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم في وقت إقبالهم عليك وكلامهم منك روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يبطي كل من جلس إليه نصيا من وجهه وما استغناه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى كان مجلسه ومعه وحديثه ولطف مسأله وتوجهه للجالس إليه (٤)

من حديث أبي هريرة وتقدم في أثناء حديث لاتدأروا في هذا الباب (١) حديث آخرى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وشاركه في العلم للنساء في الخصائص من سننه الكبرى من حديث أبي قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بن عبدالمطلب الحديث وفيه فأيك يابني على أن يكون على وساجي ووارثي فلم يقم إليه أحد فقتل إليه وفيه حتى إذا كان في الثالثة ضرب يده على يده وله وللحاكم من حديث ابن عباس أن عليا كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم والله إنني لأخوه ووليه ووارث عله الحديث وكل ما ورد في أخوته فضعيف لا يصح منه شيء ولترمذي من حديث ابن عمر وأنت أخى في الدنيا والآخرة وللحاكم من حديث ابن عباس أنا مدينة العلم وعلى بابها وقال صحيح الإسناد وقال ابن حبان لأمرله وقال ابن طاهر إنه موضوع ولترمذي من حديث علي أن دار الحكمة وعلى بابها وقال غريب (٢) حديث مقاسمه عليا للدين مسلم في حديث جابر الطويل ثم أعطى عليا فخر ماعبر وأشركه في هديه (٣) حديث أنه أنسكه عليا أفضل بناته وأحبين إليه هذا معلوم مشهور في الصحيحين من حديث علي لما أردت أن أبتى بغاطمة بنت النسي على الله عليه وسلم وأعدت رجلا صواغا الحديث وللحاكم من حديث أم أيمن زوج سلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة عليا الحديث وقال صحيح الإسناد وفي الصحيحين من حديث عائشة عن فاطمة بغاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين الحديث (٤) حديث كان يبطي كل من جلس إليه نصيه من وجهه الحديث الترمذي في التباثل من حديث علي في أثناء حديث فيه يبطي كل جلسائه نصيه لا يجب جليسه أن أحدا أكرم عليه بمن جالسه ومن سألته حاجه لم يرده إلا بأوحياسور من القول ثم قال مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة وفيه ضحك كما يضحكون ويتعجب مما يتعجبون منه ولترمذي من حديث عبدالله بن الحارث بن جزمه ما رأيت أحدا أكثر نصيبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غريب

نزه مازكا ولا نراه  
شوما أخبرنا أبو زرعة  
إجازة قال أنا أنا أبو بكر  
ابن أحمد بن خلف  
الشيرازي إجازة قال أنا  
أبو عبد الرحمن السلمي  
قال سمعت أبا بكر بن  
شاذان قال سمعت أبا  
بكر السكتاني قال كنت  
أنا وعمرو وللسك وعياش  
ابن للهدى فطلب  
ثلاثين سنة فطلى  
الشدلة على طهر الصر  
وكنا قودا بمكة على  
التجريد مائنا على  
الأرض ما يساوي فلسا  
وربما كان يصحبنا  
الجوع يوما ويومين  
وثلاثة وأربعة وخمسة  
ولا نسأل أحدا فان  
ظهر لنا شيء وعرفنا  
وجهه من غير سؤال  
ولا تميز قبناه  
وأكلناه وإلا طوبنا  
فاذا اشتد بنا الأمر  
وخفنا على أنفسنا  
التقصان في القرائض  
قصدا بأبي عبد الحارث  
فتخذنا ألوانا من  
الطعام ولا تصد غيره



ولا تبسط إلا إليه لما

تعرف من غواء

وورعه . وقيل لأي

يزيد ما نراك تستغل

بكسب من أين معاشك

فقال مولاي يزيق

الكلب والخنزير تراه

لا يزيق أبأ يزيد .

قال السلي سمعت أبأ

عبد الله الرازي يقول

سمعت منظر القريبى

يقول الفقير الذى

لا يكون له إلى الله

حاجة . وقيل لبعضهم

ما الفقر قال وقوف

الحاجة على القلب

وحوها من كل أحد

سوى الرب . وقال

بعضهم أخذ الفقير

الصدقة عن يسطبه

لا يمن تصل إليه على

يده ومن قبل من

الوسائط فهو الترس

بالفقر مع دناءة .

أبنا شيخ خاضيا .

أبو النجيب السمروردي

قال أنا عصام الدين أبو

حفص عمر بن أحمد

ابن مصور الصفاق قال

أنا أبو بكر أحمد بن

وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وأمانة وكان عليه السلام أكثر الناس تيسبا وضكفا وجوءا أصحابه

وتعجبا عما يحدثونه به وكان ضحك أصحابه عنده التيسم اقتداء منهم بفعله وتوقيره له عليه السلام .

وأما السمع فإن تسمع كلامه متلذذا بجماله ومصدق به ومظفرا لاستبشار به ولا تقطع حديثهم عليهم

بمرارة ولا منازعة ومداخلة واعتراض فإن أرهقتك عارض اعتذرت إليهم ونحرس سملك عن سماع

ما يكرهون . وأما اللسان فقد ذكرنا حقوقه فإن القول فيه بطول ومن ذلك أن لا يرفع صوته عليهم ولا

يغلطهم بالإجابة يفتقون . وأما البدن فإن لا يقضه ما عن معاوتهم في كل ما يتعاطى بإيد . وأما الرجلان

فإن يمشي بهما وراهم متى أتباع لا يمشي للتبوعين ولا يتقدمم إلا بقدر ما يقدر منه ولا يقرب منهم

إلا بقدر ما يقربونه ويقوم لهم إذا أقبلوا ولا يقعد إلا بقدمهم ويقعد متواضعا حيث يقعد ومجاهم

الاتحاد خف صله من هذه الخلق مثل القيام والاعتذار والثناء فاتهمن حقوق الصحة وفي ضمتنا نوع

من الأجنبية والتكلف فاذن الاتحاد انطوى بساط التكلف بالكلية فلا يسلط به إلا مسلط نفسه لأن

هذه الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب ومجاهمة القلوب استغنى عن تكسيف إظهار

ما فيها ومن كان نظره إلى حجة الخلق فتارة يوجع وتارة يستهم ومن كان نظره إلى الخالق لزم الاستقامة

ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحلب فهو لخلق وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فانها أعلى أنواع

[خاتمة لهذا الباب] تذكر فيها جملة من آداب العشرة والمجالسة مع أوصاف الخلق ملتقط من كلام بعض

الحكماء . إن أردت حسن العشرة فالحق صدقك وعدوك بوجه الزام من غير ذلة ولم ولا هيبة تنهم

وتوقير من غير كبر وتواضع في غير منة وكن في جميع أمورك في أوسطها فكل طرف قصدا لا موزن

ولا تنظر في عظيم ولا تسكر إلا لانتفاع ولا تنف على الجماعات وإذا جلست فلا تستوفز وعظمت من تنبيك

أصابعك والبعث بلحيتك وخاتمتك وتخليل أسنانك وإدخال أصبعك في أنفك وكثرة صياقك وتنحك

وطرد الدباب من وجهك وكثرة التخطي والتثاوب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرها ولكن مجلسك

هاديا وحديثك منظوما مرتبا واضع إلى الكلام الحسن من حديثك من غير إظهار تعجب مغرط ولا

تسأله إعادته واستكبر عن الضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا جارتك ولا شريكك

ولا تصنيفك وسائر ما يحسك ولا تصنع صنع المرأة في الزين ولا تبدل تبدل العيد وتوق كثره الكسل

والاسراف في الدهن والانتع في الحجاب ولا تشجع أحدا على الظلم ولا تعلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم

مقدار مالك فانهم إن رأوه قليلا نعت عندم وإن كان كثيرا لم تبلغ قط رضام وخوفهم من غير عنف

وإن لم من غير ضعف ولا تهازل لأمتك ولا عبك فيسقط وقارك وإذا خاستم فتوقروا وتحفظ من جهلك

وتجنب عيبتك وتفكر في حجبك ولا تسكر الإشارة بيدك ولا تسكر الالتفات إلى من وراءك ولا

تبحث على ركبتك وإذا هدأ غيظك فسلم وإن قربك سلطان فكن منه على مثل حد الدنان فإن

استرسل إليك فأتا من اتقاه عليك وافرقي به رفقك بالصبي وكله بما يشبهه مالم يكن مصيبا ولا يملكنك

لفظه بك أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه وإن كنت لذلك مستحقا عنده فإن سقطا الدخال

بين الملك وبين أهله سقط لا تمنع وزلة لا تنال وإياك وصدق في العافية فانه أعدى الأعداء ولا تغفل مالك

أكرم من عرضك وإذا دخلت مجلسا فأدب فيه البداية بالسلم وترك التخطي لمن سبق والجلاس حيث

اتسع وحيث يكون أقرب إلى التواضع وأن تعمي بالسلام من قرب منك عند الجلاس ولا تجلس على الطريق

فإن جلست فأدبه غض البصر ونصرة للظلم وإغاثة للملوف وعون للضعيف وإرشاد الضال ورده للسلام

وإعطاء السائل والأمر بالبر وفاء لله عن النكر والارتداد لو وضع البصاق ولا تبصق في جهة القبلة ولا عن

يملك ولكن عن يشارك ونحت قدمك اليسرى ولا تجالس الملوك فإن فعلت فأدبه ترك التيسية ومجانبة الكذب وصيانة السروقة الخواص وتهذيب الألفاظ والاعراب في الخطاب ولذا كرتنا خلق الملوك وقلة الدعاة وكثرة الحذر منهم وإن ظهرت لك المودة فأن لا تتجشأ بحضرتهم ولا تتدخل بعد الأكل عنده وعلى الملوك أن يحتمل كل شيء إلا إفساء السروا والقدح في الملك والاعتراض للحرم ولا تجالس العامة فإن فعلت فأدبه ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصفاء إلى أراجههم والتناقل عما يجري من سوء أفعالهم وقلة الالتقاء لهم مع الحاجة إليهم وإياك أن تعارض لينا أو غير لبيب فإن اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترى عليك لأن الزاح يخرج الحية ويسقط ماء الوجه ويسقط الحقد وينهب بحلاوة الود ويشين قفه القبيح ويجريء السفيه ويسقط للزلة عند الحكم ويعتقه اللقون وهو يحيت القلب ويساعد عن الرب تعالى ويكسب القفله ويورث البالة وبه تظلم السرار وتوتمت الجوارح وتكثر العيوب وتبين الذنوب وقد قيل لا يكون الزاح إلا من سخط أو بطر ومن بلى في مجلس عزاء أو لقط فليدكر الله عند قيامه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من جلس في مجلس فكثر فيه لظه قال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانه اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفر وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك » (١) .

( الباب الثالث في حق السلم والرحم والجوارح والملك وكيفية المعاشرة مع من بدلي بهذه الأسباب ) اعلم أن الإنسان إما أن يكون وحده أو مع غيره وإذا تعذر عيش الإنسان إلا بالعتاطة من هو من جنسه لم يكن له بد من تعلم آداب المعاطلة وكل معالط في معالطته آداب والأدب على قدر حقوقيه على قدر رابطته التي بها وقعت المعاطلة والرابطه إما القرابة وهي أخصها أو أخوة الاسلام وهي أعمها وينطوي في معنى الأخوة الصداقة والصحية وإما الجوارح وإما محبة السفر والكتب والدرس وإما الصداقة أو الأخوة ولكل واحد من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم الهرم آكد للرحم حق ولكن حق الوالدين آكد وكذلك حق الجار ولكن يختلف بحسب قربهم من الدار ويعد ونظير التفاوت عند النسبة حتى إن البهية في بلاد القرية يجري مجرى القرب في الوطن لاختصاصه بحق الجوارح في البلد وكذلك حق السلم بتأكد كد المعرفة وللمعارف درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسماع بل آكد منه المعرفة بعد وقوعها كد بالاختلاط وكذلك الصحية تتفاوت درجاتها فحق الصحية في الدرس والكتب آكد من حق صحة السفر وكذلك الصداقة تتفاوت قاتها إذا قويت صارت أخوة فإن ازدادت صارت محبة فإن ازدادت صارت خلة والحليل أقرب من الحبيب الحبيب فالهبة ماتت من حبة القلب والخلة ماتت من سر القلب فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليل وتتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة فأما ما كون الخلة فوق الأخوة فمما أن لفظ الخلة عبارة عن حالة هي أتم من الأخوة وتعرف من قوله صلى الله عليه وسلم « لو كنت متخذًا خليلًا لأخذت أبا بكر خليلًا ولكن صاحب خليلي الله » (٢) إذ الحليل هو الذي يخلل الحب جميع أجزاء قلبه ظاهرا وباطنا ويستوعبه ولم يستوعب قلبه عليه السلام سوى حبه الله وقد منعه الخلة عن الاشتراك فيه مع أنه أخذ عليا رضي الله عنه فأما قال « على من ينزله هرون من موسى إلا النبوة » (٣) .

(١) حديث من جلس في مجلس فكثر فيه لظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانه اللهم وبحمدك الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة .

( الباب الثالث في حقوق السلم والرحم والجوارح )

(٢) حديث لو كنت متخذًا خليلًا لأخذت أبا بكر خليلًا الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري

(٣) حديث على من ينزله هرون من موسى إلا النبوة متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص .

خلف الشيرازي قال

أنا أبو عبد الرحمن

السلي قال سمعت أحمد

ابن حنبل بن جعفر يقول

سمعت أن أبا سليمان

الداراني كان يقول

آخر أقدام الزاهدين

أول أقدام التوكلين .

روى أن بعض الصارفين

زهد فبلغ من زهده

أن فارق الناس وخارج

من الأمصار وقال

لا أسأل أحدا شيئا

حتى يأتيني رزقي فأخذ

يسبح فأقام في سفح

جبل سبعا ثم يأتيه شيء

حتى كاد أن يلف قال

يا رب إن أحييتني فأنتي

برزقي الذي قسمت لي

ولإنا قبضني إليك

فألمسه الله تعالى في

قلبه وعزتي وجلالي

لا أرزقك حتى تدخل

الأمصار وتقيم بين

الناس فدخل المدينة

وأقام بين ظهرائي

الناس فجاء هذا

بطعام وهذا شراب

فأسل وشرب فأوجس

في نفسه من ذلك

فصل بلى عن النبوة كما عدل بأبي بكر عن الحق فشارك أبو بكر علياً رضي الله عنهما في الأخوة وزاد عليه بمقاربة الحق وأهليته لما لو كان للشركة في الحق مجال فانه نية عليه بقوله لا نغذت بأبي بكر خيلاً وكان صلى الله عليه وسلم حبيب الله وخليفه وقد روى أنه صمد النير يوماً مستبشراً فرحاً قال «إن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً فأنا حبيب الله وأنا خليل الله تعالى» (١) «لأن ليس قبل المرفة رابطة ولا بعد الحق درجة وما سواها من الدرجات بينهما وقد ذكرنا حق الصفة والأخوة ويدخل فيهما ماوراءهما من المحبة والحق وإنما تتفاوت الرتب في تلك الحقوق كسبق بحسب تفاوت المحبة والأخوة حتى ينتهي أقصاها إلى أن يوجب الإيثار بالنفس والمال كما أثر أبو بكر رضي الله عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وكما أثره طلحة بيده إذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز صلى الله عليه وسلم ونحن الآن نريد أن نذكر حق أخوة الاسلام وحق الرحم وحق الولدين وحق الجوار وحق للثلاث أئمة ملك المؤمنين فان ملك التكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب آداب التكاح .

### ﴿ حقوق المسلم ﴾

( ١ ) أن تسلم عليه إذا لقيه وتحيه إذا دعاه وتشمع إذا عطس وتعوذ إذا مرض وتشهد جنازته إذا مات وتبرقه إذا أتمم عليك وتصح له إذا استصحك وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك وتحب له ما يحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك (٢) ورد جميع ذلك في أخبار وآثار وقد روى أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال «أربع من حق للمسلم عليك أن تعين محسنه وأن تستغفر لذنبه وأن تدعو لدرهمه وأن تحب تأييده» (٣) وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى - رحاء بينهم - قال يدعو صالحهم لطالهم وطالهم لصالهم فإذا نظر الطالغ إلى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فبارك له من الخير وثبت عليه واغنا به وإذا نظر الصالح إلى الطالغ قال اللهم اهدمه وتبعه واغفر له عثرته . ومنها أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمان بن بشير : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائر الجسد بالسهر» (٤) وروى أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «للمؤمن للمؤمنين كالبنيان يشد بعضه بعضاً» (٥) ومنها أن لا يؤذى أحداً من المسلمين بفعل ولا قول قال ﷺ «المسلم من سلم للمسلمين من لسانه ويده» (٦)

(١) حديث ابن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً الحديث الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف دون قوله فأنا حبيب الله وأنا خليل الله .

### ( الأخبار الواردة في حقوق المسلم على المسلم )

(٢) هو أن يسلم عليه إذا لقيه فقد ذكر عشر خصال الشيطان من حديث أبي هريرة حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعبادة المريض وإتيان الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس وفي رواية لمسلم حق المسلم على المسلم ست إذا لقيه تسلم عليه وزاد وإذا استصحك فاصح له ولترمذى وابن ماجه من حديث علي بن السلمي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من أحب إلى الله من أحب إلى الناس ما أحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وفي الصحيحين من حديث البراء أمراً رسول الله ﷺ بسبع فذكر منها وإبرار القسم ونصر المظلوم (٣) حديث أنس أربع من حقوق المسلمين عليك أن تعين محسنه وأن تستغفر لذنبه وأن تدعو لدرهمه وأن تحب تأييده ذكره صاحب الترمذوسي ولم أجد له إسناداً (٤) حديث النعمان بن بشير مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الحديث متفق عليه (٥) حديث أبي موسى للمؤمن للمؤمنين كالبنيان يشد بعضه بعضاً متفق عليه (٦) حديث السلمي من سلم للمسلمين من لسانه ويده متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو .

فسمع هاتفا أردت أن تبطل حكمته بهذه في الدنيا أما علمت أن يزرع العباد بأيدي العباد أحب إليه من أن يزرعهم بأيدي القدرة فالواقف مع الفتح استوى عنده أيدي الآدميين وأيدي اللاتكة واستوى عنده القدرة والحكمة وطلب القفار والتوصل إلى قطع الأسباب من الارتهاق برؤية الأسباب وإذا صح التوحيد تلاشت الأسباب في عين الانسان . أخرنا شيخنا قال أنا أبو شخص عمر قال أنا أحمد ابن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال أنا محمد بن أحمد بن حمدان السكري قال سمعت أحمد بن عمرو ابن اليسرى يقول سمعت محمداً الإسكافي يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول من استفتح باب اللعاش



أن أهل الدار قد خيروا ما كان عندهم من الدقيق وتركوا الحيز على السرير ينشف فرأى أيوب وكان يصوم الدهر فقال أحد لانيه صالح ادفع إلى أيوب من الحيز فدفع له رغبين فردها قال أحمد ضمهما ثم صبر قليلا ثم قال خذها فالحقه بهما فلحقه فأخذها فرجع صالح متجنباً فقال له أحمد عجبت من رده وأخسده قال نعم قال هذا رجل صالح فرأى الحيز فاستشرت نسه إليه فلما أعطياه مع الاستئراف رده ثم أيس فردناه إليه بعد الإيسار قبل هذا حال أرباب الصدق إن سألوها سألوا يعلم وإن أمسكوا بحال وإن قبلوا قبلوا يعلم فمن لم يرزق حال الفتوح فله حال السؤال والسكب بشرط العلم بالمسائل

ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض . قال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة قتات » (١) وقال الحليل بن أحمد من ثم لك نعم عليك ومن أخوك غير أخير غيرك غيرك . ومنها أن لا يراد في الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام . هما غضب عليه . قال أبو أيوب الأنصاري قال صلى الله عليه وسلم « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » (٢) وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أقال مسلماً عثرته أقاله الله يوم القيامة » (٣) قال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب بعفوك عن إخوانك رفت ذكرك في الدارين . قالت عائشة رضي الله عنها « ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله » (٤) وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما عفا رجل عن مظلة إلا زاده الله بها عزاً . وقال صلى الله عليه وسلم « ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلاً بقفو إلا عزا وما من أحد تواضع لله إلا رضى الله » (٥) . ومنها أن يحسن إلى كل من قدر عليه منهم ما استطاع لا يميز بين الأهل وغير الأهل . روى علي بن الحسين عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصنع للعروف في أهله وفي غير أهله فان أصبت أهله فهو أهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله » (٦) وعنه بإسناده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس واصطناع العروف إلى كل بر وفاجر » (٧) قال أبو هريرة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحد يده فيزعه يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسله ولم تكن ترى ركبته خارجة عن ركبته جلوسه ولم يكن أحد يكلمه إلا قبل عليه بوجهه ثم لم يصرف عنه حتى يفرغ من كلامه » (٨) . ومنها أن لا يدخل على أحد منهم إلا بإذنه بل يستأذن ثلاثاً فإن لم يؤذن له انصرف . قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الاستئذان ثلاث فالأولى يستصنون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون » (٩) . ومنها أن يخالف الجميع بخلق حسن وبإمامهم بحسب طريقتهم فانه إن أراد أقاء الجاهل بالعلم والأمي بالقمه والعي بالبيان أدى وتأذى . ومنها أن

(١) حديث لا يدخل الجنة قتات متفق عليه من حديث حذيفة (٢) حديث أبي أيوب لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث الحديث متفق عليه (٣) حديث من أقال مسلماً عثرته أقاله الله يوم القيامة أبو داود والحاكم وقد تقدم (٤) حديث عائشة ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تصاب حرمة الله فينتقم لله متفق عليه بافظ إلا أن تنتهك (٥) حديث ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلاً بقفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رضى الله الحديث من حديث أبي هريرة (٦) حديث علي بن الحسين عن أبيه عن جده اصنع للعروف إلى أهله فان لم تصب أهله فأنت أهله ذكره الدارقطني في اللؤلؤ وهو ضعيف ورواه القضاة في مسند الشباب من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسلاً بسند ضعيف (٧) حديث علي بن الحسين عن أبيه عن جده رأس العقل بعد الإيمان التودد إلى الناس واصطناع العروف إلى كل بر وفاجر الطبراني في الأوسط والخطابي في تاريخ الطالبيين وعنه أبو نعيم في الحلية دون قوله واصطناع إلى آخره وقال الطبراني التجب . (٨) حديث أبي هريرة كان لا يأخذ أحد يده فيزعه يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسلها الحديث الطبراني في الأوسط بإسناد حسن ولأبي داود والترمذي وابن ماجه نحوه من حديث أنس بسند ضعيف (٩) حديث أبو هريرة الاستئذان ثلاث فالأولى يستصنون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون الدارقطني في الأفراد بسند ضعيف وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الاستئذان ثلاث فان أذن لك وإلا فارجع .

بوقر الشايخ ورحم الصبيان . قال جابر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرسم صغيرنا » (١) قال **عليه السلام** « من إجلال الله إكرام ذى الشيعة المسلم » ومن تمام توقير الشايخ أن لا يتكلم بين أيديهم إلا بالإذن ، وقال جابر « قدم وقد جهنة على النبي صلى الله عليه وسلم قمام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم ما فأن الكبير » وفى الخبر « ما وقر شاب شيخا إلا قبض الله فى نفسه من يوقره » (٢) وهذه بشارة بدوام الحياة فليقتبها لها فلا يوقى توقير للشايخ إلا من قضى الله له بطول العمر ، وقال **عليه السلام** « لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا ولطفا قيطا ونقيضا القام فيضا وتقيضا الكرام غيضا ويغترى الصغير على الكبير والشيخ على الكرم » (٣) « والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله **عليه السلام** » . « كان صلى الله عليه وسلم يقدم من السفر فيلتقاء الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرضون إليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويأمر أصحابه أن يعملوا بسنهم » (٤) فرما تفاخر الصبيان بذلك فيقول بعضهم لبعض هللى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه وحملك أنت وراؤه ويقول بعضهم أمر أصحابه أن يعملوك وراؤه . وكان يؤتى بالصغير ليدعوله بالبركة وليسميه فيأخذنه فيضمه فى حجره فرما بال الصبي فيصيح به يبنى من يراه فيقول : لا تزرموا الصبي بوله فيدعه حتى يقضى بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور أهله فيه للتلبروا أنه تأذى يوله فاذا انصرفوا غسل ثوبه بعده (٥) ومنها أن يكون

مستكرافوق الحاجة لافى وقت الضرورة فليس من الصوفية بشيء . مع عمر رضى الله عنه سالا لبال قال لمن عندهم أكل لك عشى السائل قال قد عشيتة فظفر عمر فاذا تحت إبطه عجلة مملوءة خبزا قال عمر أكل عيال قال لا قال عمر لست بسائل ولكك تاجر ثم ترحلته بين يدى أهل الصدقة وضربه بالبركة وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال إن لله تعالى فى خلقه مثنوبات تهرو وعقوبات تهرفن علامة الفقر إذا كان مثنوبة أن يحسن خلقه ويطيع ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على قهره ومن علامة الفقر إذا كان عقوبة أن يسوء خلقه ويصعب ربه ويكثر الشكاية ويشخط للقضاء فعاد الصوفية حسن الأدب

(١) حديث جابر ليس منا من لم يوقر كبيرنا ورحم صغيرنا الطبراني فى الأوسط بسند ضعيف وهو عند أبى داود والبخارى فى الأدب من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن (٢) حديث من إجلال الله إكرام ذى الشيعة المسلم أبوداود من حديث أبى موسى الأعمري بساند حسن (٣) حديث جابر قدم وقد جهنة على النبي صلى الله عليه وسلم قمام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم ما فأن الكبير الحاكم وصححه (٤) حديث ما وقر شاب شيخا لسه إلا قبض الله فى نفسه من يوقره الترمذى من حديث أنس بلفظ ما أكرم ومن يكرمه وقال حديث غريب وفى بعض النسخ حسن وفيه أبو الرجال وهو ضعيف (٥) حديث لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا ولطفا قيطا الحديث الخراطى فى مكارم الأخلاق من حديث عائشة والطبراني من حديث ابن مسعود وإسنادهما ضعيف (٦) حديث التلطف بالصبيان البراز من حديث أنس كان من أفكه الناس مع صبي وقد تقدم فى النكاح وفى الصحيحين يا أبا عمر ماضل التغير وغير ذلك (٧) حديث كان يقدم من السفر فيلتقاء الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرضون إليه الحديث مسلم من حديث عبد الله بن جعفر كان إذا قدم من سفر تلقى بنا قال فيأتى فى وبالحنن وقال فعلم أحدا بين يديه والآخر خلفه وفى رواية تلقى صبيان أهل بيته وأنه قدم من سفر فسبى إلى فله فعلنى بين يديه ثم جىء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه وفى الصحيحين أن عبد الله ابن جعفر قال ابن الزبير أن ذكر إذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت وابن عباس قال نعم فعملنا وتركنا لفظ مسلم وقال البخارى إن ابن الزبير قال لابن جعفر قائما على (٨) حديث كان يؤتى بالصغير ليدعوله بالبركة وليسميه فيأخذنه ويضمه فى حجره فرما بالصبي فيصيح به يبنى من رآه الحديث مسلم من حديث عائشة كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحتملهم قائم بين يديه فله فدا عاء فأثمه بوله ولم يفسله وأصله متفق عليه وفى رواية لأحمد فبدعولهم وفيه صبروا عليه للماء صبا ولقد أرقطى بال ابن الزبير على النبي صلى الله عليه وسلم فأخذنه أخذا عنيفا الحديث وفيه الحاجب بن أوطاة ضعيف ولأحمد بن منيع من حديث حسن بن على عن امرأة منهم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا على ظهره بلاء صبا إذا بال قامت لتأخذنه وتضربه فقال دعيه اتوني بكوز

في السؤال والفتح  
والصدق مع الله على  
كل حال كيف خلب  
[ السباب الحادي  
والشرون في شرح  
حالة التجرد والتأهل  
من الصوفية وصحة  
مقاصد ]  
الصوفي يزوج في كما  
يتجرد في فلتجرده  
مقصد وأوان وذاته  
مقصد وأوان والتجرد  
يعلم أوان التجرد  
والتأهل لأن الطبع  
الجوهري للصوفي ملهم  
بإجماع العلمهما يصلح  
له التجرد لا يستعمله

من ماء الحديث وإسناده صحيح (١) حديث أتدرون على من حرمت التارقالوا أفتدورسوه أثم قال  
 الهين الأبن السهل القريب الترمذي من حديث ابن مسعود ولم يقل الفين وذكرها الحرثاني من رواية  
 محمد بن أبي معيقب عن أنه قال الترمذي حسن غرب (٢) حديث أبي هريرة أن الله أحب السهل  
 الطلق البهيقي في شعب الأيمان بسند ضعيف ورواه من رواية مورو المجلج مرسلا (٣) حديث  
 إن من وجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام إن أبي شيبة في مصنفه والطبراني والحرثاني  
 في مكارم الأخلاق واللفظ والبهيقي في شعب الأيمان من حديث هاني بن يزيد بإسناد جيد (٤) حديث  
 اتوا النار ولو بشق تمرة الحديث متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وتقدم في الزكاة (٥) حديث  
 إن في الجنة غرfa يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها الحديث الترمذي من حديث علي  
 وقال حديث غرب . قلت وهو ضعيف (٦) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث الحرثاني  
 في مكارم الأخلاق والبهيقي في كتاب الزهد وأبو نعيم الحلية ولم يقل البهيقي وخفف الجناح وإسناده  
 ضعيف (٧) حديث أنس عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت لي معك حاجة فقال  
 اجلسي في أي نواحي السكك شئت اجلس إليك الحديث رواه مسلم (٨) حديث الددة عطية الطبراني  
 في الأوسط من حديث قاتب بن أشيم بسند ضعيف (٩) حديث الددة بن الطبراني في معجمه الأوسط  
 والأصغر من حديث علي وابن مسعود بسند فيه جهالة ورواه أبو داود في الراسيل (١٠) حديث ثلاث  
 في التنافق إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أتمن خان متفق عليه من حديث أبي هريرة  
 نحوه (١١) حديث ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن سام وصلح البخاري من حديث أبي هريرة

ومنه أن ينصف الناس من نفسه ولا يأتي إلا بما يحب أن يؤتى إليه قال صلى الله عليه وسلم  
 « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال : الاتفاق من الاقتار والانصاف من نفسه  
 وبذل السلام <sup>(١)</sup> » وقال عليه السلام « من سره أن يزحزن عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته  
 وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وليؤتى إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه <sup>(٢)</sup> » وقال  
 صلى الله عليه وسلم « يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً وأحب للناس ما عيب نفسك  
 تكن مسلماً <sup>(٣)</sup> » قال الحسن : أوحى الله تعالى إلى آدم صلى الله عليه وسلم بأربع خصال وقال ذنوب :  
 جامع الأمر لك ولولدك واحدة في واحدة لك وواحدة بيني وبينك واحدة بينك وبين الخلق  
 فأما التي لي تمديد ولا تشرك في شيئا وأما التي لك فمهلك أجزيك بها فمقت ما تكون إليه وأما التي  
 بيني وبينك فليك الدعاء وعلى الإجابة وأما التي بينك وبين الناس فتصحبهم بالذي تحب أن يصحبوك  
 به وسأل موسى عليه السلام الله تعالى فقال أي رب أي عبادك أعدك قال من أنصف من نفسه .  
 ومنها أن يزيد في توفير من تدل هيئته وتأيابه على علو منزلته فيزل الناس منازلهم روى أن عائشة  
 رضى عنها كانت في سفر فزلت منزلاً فوضعت طعامها فجاء سائل فقالت عائشة ناولوا هذا للسكين  
 قرصاً ثم رجع على دابة فقالت اعدوه إلى الطعام قليل لها تعطين للسكين وتدعين هذا الذي  
 فقالت إن الله تعالى أنزل الناس منازل لا بد لنا من أن نزلهم تلك المنازل هذا السكين رضى بقرص  
 وقبض بنا أن نعطى هذا الذي على هذه الهيئة قرصاً وروى أنه صلى الله عليه وسلم دخل بمنزلة بيوت  
 فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس وامتلاء فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلما يجد مكاناً فقدم على  
 الباب فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فألقاه إليه وقال له اجلس على هذا فأخذ جرير ووضع  
 على وجهه وجعل يقبله ويبكي ثم لفه ورمى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما كنت لأجلس على  
 ثوبك أكرمك الله كما أكرمتني فنظر النبي صلى الله عليه وسلم بينا ونحلاً ثم قال « إذا أنا كرم  
 قوم فأكرمهم <sup>(٤)</sup> » وكذلك كل من له عليه حق قدم فليكرمه ، روى « أن ظر رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم أتى أرضه جاءت إليه فيسقط لها رداءه ثم قال لها مرجأ بأى ثم أجلسها على الرداء  
 ثم قال لها اشغني تشغني وسلي تعطني فقالت قومي فقال أما حق وحق في هاتم فهو لك فقام الناس من كل  
 ناحية وقالوا وحققنا يا رسول الله ثم وصلوا بعد وأخذوها وهوب لها سمهاتهن بعين <sup>(٥)</sup> » فيبع ذلك  
 من عثمان بن عفان رضى الله عنه بمائة ألف درهم « ولربما أتاه من يأتيه وهو على وسادة  
 وأصله متفق عليه ولفظ مسلم وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم وهذا ليس في البخاري <sup>(١)</sup> حديث  
 لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الاتفاق من الاقتار والانصاف من نفسه  
 وبذل السلام الخراطمي في مكارم الأخلاق من حديث عثمان بن أبي أسير ووقفه البخاري عليه  
<sup>(٢)</sup> حديث من سره أن يزحزن عن النار فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً  
 رسول الله وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص  
 نحوه والخراطمي في مكارم الأخلاق لفظه <sup>(٣)</sup> حديث يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن  
 مؤمناً وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً الخراطمي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف  
 والعرف أنه قال لأبي هريرة وقد تقدم <sup>(٤)</sup> حديث إذا أنا كرم قوم فأكرمهم وفي أوله قصص  
 في قدوم جرير بن عبد الله الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وتقدم في الزكاة مختصراً  
<sup>(٥)</sup> حديث إن ظر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى أرضه جاءت إليه فيسقط لها رداءه الحديث  
 أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي الطيف مختصراً في بسط ردايته لها دون ما بعده .

القلب فيحصل بينهما  
 بالعدل وينظر في أمرها  
 بالقسط ومن صبر من  
 الصوفية على العزوبة  
 هذا الصبر إلى حين  
 بلوغ الكتاب أجله  
 ينتخب له الزوجة انتخبا  
 وبه الله له أعوانا  
 وأسبابا ويتم برفق  
 يدخل عليه ورزق  
 يساق إليه متى استعجل  
 للريد واستغفره الطبع  
 وخامره الجهل بثوران  
 دخان الشهوة اللطيفة  
 لشعاع العلم وأخط من  
 أوج العزعة الذي هو  
 فضية حاله وموجب  
 إرادته وشريطه صدق  
 طلبه إلى حضيض  
 الرخصة التي هي رحمة  
 من الله تعالى لمامة خلقه  
 يحكم عليه بالنقصان  
 ويشهد له بالحسرة  
 ومثل هذا الاستجمال  
 هو حضيض الرجال  
 قال سهل بن عبد الله  
 القسري إذا كان للعباد  
 مال يتوقع به زيادة  
 فدخل عليه الابتلاء  
 فرجوعه في الابتلاء



جالس ولا يكون فيها سعة يجلس معه فيزعمها ويضعها تحت الذي يجلس إليه فان أن عزم عليه حق فعل<sup>(١)</sup> . ومنها أن يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد إليه سبيلا قال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحاقة<sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة إصلاح ذات البين<sup>(٣)</sup> » وعن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أنس رضي الله عنه قال « بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر رضي الله عنه بإرسول الله « باني أنت وأمي ما الذي أضحكك قال رجلان من أمي جينا بين يدي رب العزة فقال أحدهما يارب خذني مطلق من هذا قال الله تعالى رد علي أخيك مظلمته قال يارب لم يبق لي من حسنتي شيء قال الله تعالى للطلاب كيف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسنته شيء قال يارب فليحمل عني من أوزاري ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء فقال إن ذلك يوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه إلى أن يعمل عنهم من أوزارهم قال فيقول الله تعالى أي الممتثل أرفع بصرك فانظر في الجنان قال يارب أرى مدائن من فضة وتصور من ذهب مكللة بالؤلؤ لأي نبي هذا أولي صديق أولي شيد قال الله تعالى هذا لمن أعطى الثمن قال يارب ومن يملك ذلك قال أنت تملكه قال بماذا يارب قال بفوك عن أخيك قال يارب قد عفوت عنه فيقول الله تعالى خذ يد أخيك فأدخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة<sup>(٤)</sup> » وقد قال صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا<sup>(٥)</sup> » وهذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس لأن ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب إلا بواجب آكد منه قال صلى الله عليه وسلم « كل الكذاب مكتوب إلا أن يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة أو يكذب بين اثنين فيصلح بينهما أو يكذب لأمر لا يرضيه<sup>(٦)</sup> » . ومنها أن تستر عورات المسلمين كلهم قال صلى الله عليه وسلم « من ستر على مسلم ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة<sup>(٧)</sup> » وقال « لا يستر عبد إلا ستره الله يوم القيامة<sup>(٨)</sup> »

(١) حديث زعمه صلى الله عليه وسلم وسادته ووضعها تحت الذي يجلس إليه أحمد من حديث ابن عمر أنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فألقى إليه وسادة من أدم حشوها ليف الحديث وإسناده صحيح والطبراني من حديث سلمان دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على وسادة نأقاه إلى الحديث وسنده ضعيف قال صاحب اللبزان هذا خبر ساقط (٢) حديث ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين وفساد ذات البين الحاقة أبو داود والترمذي وصححه من حديث أبي البراء (٣) حديث أفضل الصدقة إصلاح ذات البين الطبراني في الكبير والحرثاني في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه عبد الرحمن بن زياد الأفرنجي ضعف الجمهور (٤) حديث أنس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر بإرسول الله « باني وأمي ما الذي أضحكك قال رجلان من أمي جينا بين يدي الله عز وجل فقال أحدهما يارب خذني مطلق من هذا قال الله تعالى رد علي أخيك مظلمته قال يارب لم يبق لي من حسنتي شيء قال الله تعالى للطلاب كيف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسنته شيء قال يارب فليحمل عني من أوزاري ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء فقال إن ذلك يوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه إلى أن يعمل عنهم من أوزارهم قال فيقول الله تعالى أي الممتثل أرفع بصرك فانظر في الجنان قال يارب أرى مدائن من فضة وتصور من ذهب مكللة بالؤلؤ لأي نبي هذا أولي صديق أولي شيد قال الله تعالى هذا لمن أعطى الثمن قال يارب ومن يملك ذلك قال أنت تملكه قال بماذا يارب قال بفوك عن أخيك قال يارب قد عفوت عنه فيقول الله تعالى خذ يد أخيك فأدخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة<sup>(٤)</sup> » وقد قال صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا<sup>(٥)</sup> » وهذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس لأن ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب إلا بواجب آكد منه قال صلى الله عليه وسلم « كل الكذاب مكتوب إلا أن يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة أو يكذب بين اثنين فيصلح بينهما أو يكذب لأمر لا يرضيه<sup>(٦)</sup> » . ومنها أن تستر عورات المسلمين كلهم قال صلى الله عليه وسلم « من ستر على مسلم ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة<sup>(٧)</sup> » وقال « لا يستر عبد إلا ستره الله يوم القيامة<sup>(٨)</sup> »

إلى حال دون ذلك  
تصان وحدث وصمت  
بعض الفقهاء وقد قيل  
لهم لا تزوج فقالوا نأقاه  
لا تصلح إلا للرجال وأنا  
ما بلغت مبلغ الرجال  
فككيف أتزوج  
فالمصدقون لهم أو أن  
بلغ عنده يتزوجون  
وقد تراضت الأخبار  
ومثال الأمان في فضيلة  
التجريد والستر  
وتنوع كلام رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
في ذلك لتنوع الأحوال  
فمنهم من فضيلته في  
التجريد ومنهم من  
فضيلته في التأهل وكل  
هذا التعارض في حق  
من تار تواقته برد  
وسلام لكال تقواه  
وفقه هواء وإلا فني  
غير هذا الرجل الذي  
يخاف عليه الفتنة  
يجب النكاح في حال  
التوفيق للفرط ويكون  
الحلاف بين الأئمة في  
غير النائق فالصوفي  
إذا صار متأهلا يتعين  
على الاخوان معاوته

وقال أبو سعيد الحدرى رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم «لا يرى المؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة» (١) وقال عليه السلام لما أخبره «لوسترته بثوبك كان خيرا لك» (٢) فإذا لم يكن للسلم أن يستر عورة أخيه لحق إسلامه واجب عليه كحق إسلام غيره قال أبو بكر رضى الله عنه لو وجدت شاردا لأحببت أن يستره الله ولو وجدت سارفا لأحببت أن يستره الله وروى أن عمر رضى الله عنه كان يسر بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلا وامرأة على فاحشة فلما أصبح قال للناس أرأيتم لو أن إماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا إنما أنت إمام فقل طرعى الله عنه ليس ذلك لك إذا أقام عليك الحد إن الله يأمن على هذا الأمر ما قلن أربعة شهود ثم تركهم ماشاء الله أن يتركهم ثم سألم فقال القوم مثل مقاتلهم الأولى فقال طرعى الله عنه مثل مقاتله الأولى وهذا يشير إلى أن عمر رضى الله عنه كان مترددا في أن الهوى هل له أن يخفى بهله في حدوده فذلك راجعهم في معرض التقدير لافي معرض الإختيار خيفة من أن لا يكون له ذلك فيكون قاذفا بأخباره وسأل رأى طرعى إلى أنه ليس له ذلك وهذا من أعظم الأدلة على طلب الشرع لستر الفواحش فإن أخفها الزنا وقد نيط بأربعة من الدول يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالمرود في السككة وهذا قاطن ينفق وإن عله القاضي تحقيقا لم يكن له أن يكشف عنه فانظر إلى الحكمة في حسم باب الفاحشة بإيجاب الرجم الذي هو أعظم العقوبات ثم انظر إلى كيف ستر الله كيف أسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه فترجو أن لا نحرهم هذا الكرم يوم تبلى السرائر في الحديث «إن الله إذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة وإن كشفها في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها مرة أخرى» (٣) وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال خرجت مع عمر رضى الله عنه ليلة في المدينة فبينما نحن نمشي إذ ظهر لنا سراج فانطقنا نومه فلما دوننا منه إذا باب منطلق على قوم لهم أصوات ولنظ فأخذ محمريدى وقال أتدرى بيت من هذا ؟ قلت لأتاهل هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلفوم الآن شرب لها ترى ؟ قلت : أرى أنا قد أتينا ما هنا الله عنه قال الله تعالى - ولا تجسوا - فرجع عمر رضى الله عنه وتركهم وهذا يدل على وجوب السر وترك التتبع وقد قال صلى الله عليه وسلم لماوية «إنك إن تبعت عورات الناس أفندتهم أوكدت تقدمهم» (٤) وقول صلى الله عليه وسلم «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تقتابوا للسليين ولا تلتبوا عوراتهم فانه من يتبع عورة أخيه السلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته» (٥) وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لو رأيت أحدا لم يحد من حدود الله تعالى

(١) حديث أنى سعيد الحدرى لارى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة الطبرانى في الأوسط والصفير والحراطى في مكالم الأخلاق والقفطه لبند ضعيف (٢) حديث لوستره بثوبك كان خيرا لك أبو داود والنسائى من حديث نعيم بن هزال والحاكم من حديث هزال نفسه وقال صحيح الاسناد ونعيم يختلف في صحته (٣) حديث إن الله إذا ستر على عبده عورة في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفه في الآخرة الحديث الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث طرعى من أذنب ذنبا في الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه قاله أكرم من أن يرجع في شيء قد عفا عنه ومن أذنب ذنبا في الدنيا فزوب عليه الله أعذر من أن ينش العقوبة على عبده لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وسلم من حديث أنى هرة لآثر الله على عبد في الدنيا إلا ستره يوم القيامة (٤) حديث إنك إن ابنت عورات الناس أفندتهم أوكدت تقدمهم قاله لماوية أبو داود باسناد صحيح من حديث لماوية (٥) حديث يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تقتابوا للسليين ولا تلتبوا عوراتهم الحديث أبو داود من حديث أنى برزة باسناد جيد والترمذى نحوه من حديث ابن عمر وحسنه .

بالإيثار ومسامحته في الاستكثار إذا روى ضيف الحال قاصرا عن رتبة الرجال كما وصفنا من صبر من صبر حتى ظفر لما بلغ الكتاب أجله. أخبرنا أبو زرعة عن والده أن الفضل المقدسى المفاظ قال أنا أبو محمد عبد الله بن محمد الخطيب قال أنا أبو الحسين محمد بن عبيد الله ابن أخى ميسى قال أنا أبو القاسم عبيد الله ابن محمد بن عبد العزيز قال حدثنا محمد ابن هرون قال أنا أبو المغيرة قال حدثنا صفوان بن عمرو قال حدثنا عبد الرحمن ابن جبير عن أبيه عن عوف بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه في قمه في يومه فأعطى التاهل حطين والمزب حظا واحدا فهدينا وكنت أدعى قبل حمار بن ياسر

ما أخذته ولا دعوت له أحدا حتى يكون معي غيري وقال بعضهم كنت قاعدا مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذ جاءه رجل بأخر فقال هذا نثنوان فقال عبد الله بن مسعود استنكوهوا فاستنكوهوه فوجدته نثنوانا فحبسه حتى ذهب سكره ثم دعا بسوط فسكر ثم قال للجلاد اجلد وارفع يدك وأعط كل عضو حقه ففعلوه وعليه قباء وأمرط لها فرغ قال لذي جاء به ما أنت منه قال همه قال عبد الله ما أدبت فأحسنت الأدب ولا سترت الحمة إنه يبنني للامام إذا انتهى إليه حد أن يتيه وإن الله عفو يحب العفو ثم قرأ - وليعفوا وليصنعوا - ثم قال «إني لأذكر أول رجل قطعه النبي ﷺ أي يساري قطعه فكانت أسف وجهه فقالوا يارسول الله كأنك كرهت قطعه فقال وما يعني لانتكونوا عونا للشياطين على أخيك فقالوا الأعفوت عنه فقال إنه يبنني للسلطان إذا انتهى إليه حد أن يتيه إن الله عفو يحب العفو ثم قرأ - وليعفوا وليصنعوا إلا الذين أنفروا لله في سبيلهم والله غفور رحيم<sup>(١)</sup> وفي رواية فكانت أسف في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وماد لشدة تقيده وروى أن عمر رضي الله عنه كان يسى بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل في بيت يتغنى فتصور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر فقال يا عدو الله أظننت أن الله يسرك وأنت على مصبته فقال وأنت يا أمير المؤمنين فلا تسجل فإن كنت قد عصيت الله واحدة فقد عصيت الله في ثلاثا قال الله تعالى - ولا تجسسوا - وقد تجسست وقال الله تعالى - وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها - وقد تسورت على وقد قال الله تعالى - لا تدخلوا بيوتا غيركم - الآية وقد دخلت بيتي بشر إذن ولا سلام فقال عمر رضي الله عنه هل عندك من خير إن عفوت عنك قال نعم وأنا أمير المؤمنين لئن عفوت عنى لأعود إلى مثلها أبدا ففانعه وخرج يوتركه وقال الرجل لعبد الله بن عمر يا أبا عبد الرحمن كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة قال سمعته يقول «إن الله ليدني منه للؤمن فيضع عليه كفه ويستره من الناس فيقول أتعرف ذنبك كذا أتعرف ذنبك كذا فيقول لم يعاربه حتى إذا فرقه بذنوبه فرأى في نفسه أنه قد فعله قال يا عبد الله لئن استرها عليك في الدنيا إلا وأنا أربدان أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسنة وأما الكافرون ولنا نقول فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين<sup>(٢)</sup> » وقد قال صلى الله عليه وسلم «كل أمتي معافى إلا المهاجرين<sup>(٣)</sup> » وإن من المجاهرة أن يصل الرجل السوء سرا ثم يخبره وقال صلى الله عليه وسلم «من استمع خبر قوم وهم كارهون صب في أذنه الأناك يوم القيامة<sup>(٤)</sup> » ومنها أن يتق مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولأستهم عن الفرية فأنهم إذا عصوا الله بذكرك وكان هو السبب فيه كان شريكا قال الله تعالى - ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - وقال صلى الله عليه وسلم «كيف ترون من يسب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه ؟ فقال نعم يسب أبوي غيره فيسبون أبويه<sup>(٥)</sup> » وقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه

(١) حديث ابن مسعود إني لأذكر أول رجل قطعه النبي صلى الله عليه وسلم أي يساري قطعه فكانت أسف وجه رسول الله ﷺ الحديث رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ولغيره أنطى في مكرم الأخلاق فكانت أسف في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وماد لشدة تقيده (٢) حديث ابن عمر إن الله عز وجل ليدني للؤمن فيضع عليه كفه ويستره من الناس فيقول أتعرف ذنبك كذا أتعرف ذنبك كذا الحديث متفق عليه (٣) حديث كل أمتي معافى إلا المهاجرين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث من استمع من قوم وهم كارهون صب في أذنه الأناك يوم القيامة البخاري من حديث ابن عباس مرفوعا وموقوف عليه وعلى أبي هريرة أيضا (٥) حديث كيف ترون من يسب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه ؟ فقال نعم يسب أبويه الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو نحوه .

فأعطاني حظين وأعطاه حظا واحدا فمخط حق عرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجهه ومن خضره فقيت معه سلسلة من ذهب فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم روضها بطرف عمامة وتسقط وهو يقول كيف أتم يوم يكتر لكم من هذا فلم يجبه أحد فقال عمار وددنا يارسول الله لو قد أكثرنا من هذا فالتجرد عن الأزواج والأولاد أعون على الوقت فقير وأجمع لهمه وأقته ليشه ووصلح الفقير في ابتداء أمره قطع العلاقات وبحوالمات والتقل في الأسفار وركوب الأخطار والتجرد عن الأسباب والخروج عن كل ما يكون حجابا والزواج انحطاط من العزبة إلى الرخص ورجوع من التروح إلى النفس وتقيده

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم إحدى نسائه فر به رجل فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله من كنت أظن فيه فاني لم أكن أظن منك فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم <sup>(١)</sup> » وزاد في رواية « إني خشيت أن يقذف في قلوبكم شيئا وكانا رجلين فقال علي رسلكما إنها صفية <sup>(٢)</sup> » الحديث وكانت قدزارة في العشر الأواخر من رمضان وقال عمر رضي الله عنه من أقام نفسه مقام التهم فلا يلومن من أساء به الظن وسر برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالردة قال يا أمير المؤمنين : إنها امرأتى فقال هلا حيث لا يراك أحد من الناس ؟ . ومنها أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى من له عنده منزلة ويسمى في قضاء حاجته بما يقدر عليه قال صلى الله عليه وسلم « إني أوتى وأسأل وتطلب إلى الحاجة وأتم عندى فأشفعوا لتؤجروا ويقضى الله على يدي نبيه ما أحب <sup>(٣)</sup> » وقال معاوية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشفعوا لي تؤجروا إني أريد الأجر وأؤخره كي تشفعوا لي فتؤجروا <sup>(٤)</sup> » [١] وقالم صلى الله عليه وسلم « مامن صدقة أفضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك ؟ قال الشفاعة يحقن بها الدم وتجربها النفقة إلى آخر ويدفع بها السكره عن آخر <sup>(٥)</sup> » وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كآنى أنظر إليه خلقها وهو يبكي ودموعه تسيل على لحينه فقال صلى الله عليه وسلم لعباس الأصمب من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغضها له فقال النبي صلى الله عليه وسلم لوراجمته فاته أبووليك قالت يا رسول الله أناأمرنى فأفعل فقال لا إنما أناذاف <sup>(٦)</sup> » ومنها أن يبدأ كل مسلم منهم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام قال صلى الله عليه وسلم « من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدأ بالسلام <sup>(٧)</sup> » وقال بعضهم « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أستاذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع قل السلام عليكم وادخل <sup>(٨)</sup> » وروى جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دخلتم بيوتكم فسلعوا على أهلها فان الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته <sup>(٩)</sup> » وقال أنس رضي الله عنه « خدمت النبي صلى الله عليه وسلم ثمجان حجيج فقال لي بأنس أسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم على

(١) حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم إحدى نسائه فر به رجل فدعاه فقال يا فلان هذه زوجتي فلانة الحديث وفيه إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم رواه مسلم (٢) حديث إني خشيت أن يقذف في قلوبكم شرأ وقال علي رسلكما إنها صفية متفق عليه من حديث صفية (٣) حديث إني أوتى وأسأل وتطلب إلى الحاجة وأتم عندى فأشفعوا لتؤجروا الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى نحوه (٤) حديث ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان الحديث الخراطى في مكارم الأخلاق واللفظ له والطبراني في الكبير من حديث حمزة بن جندب بسند ضعيف (٥) حديث عكرمة عن ابن عباس أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كآنى أنظر إليه خلقها يبكي الحديث رواه البخاري .

(٦) حديث من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه الحديث الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في اليوم والليلة واللفظ له من حديث ابن عمر بسند فيه لين (٧) حديث دخلت على رسول الله ﷺ ولم أسلم ولم أستاذن فقال ﷺ ارجع قل السلام عليكم أ أدخل أبو داود والترمذي وحسنه من حديث كلدة بن الحنبل وهو صاحب القصة (٨) حديث جابر إذا دخلتم بيوتكم فسلعوا على أهلها فان الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته الخراطى في مكارم الأخلاق وفيه ضعف .

[١] هذا الحديث ساقط عند العراقي وهو من رواية أبي داود والنسائي وابن عساکر من طريق همام بن منبه عن معاوية كآفى الشارح اهـ .

بالأولاد والأزواج  
ودوران حول مظان  
الاعوجاج والتفات إلى  
الدنيا بعد الزهادة  
وانعطاف على الهوى  
بمقتضى الطبيعة  
والعادة . قال أبو سليمان  
الهاراني ثلاث من  
طلبهن فقد رسكن  
إلى الدنيا . من طلب  
معاشا أتزوج امرأة .  
أو كتب الحديث .  
وقال مارأيت أحدا  
من أصحابنا تزوج  
خبت على مرتبته .  
أخبرنا الشيخ طاهر  
قال أناوالدى أبو الفضل  
قال أنا محمد بن  
إسميل القرى قال  
أنا أحمد بن الحسن  
قال أنا حاجب الطوسي  
قال حدثنا عبد الرحيم  
قال حدثنا القزاري  
عن سليمان التيمي  
عن أبي عبان الهدي  
عن أنسامة بن زيد  
رضي الله عنهما قال  
: قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « ما تركت  
بدي فتة أضرب على

من لقينه من أمي تكثر حسناك وإذا دخلت مزلك فلم على أهل بيتك بكثر خير بيتك <sup>(١)</sup> وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا التقي الزمان فصالحا قسمت بينهما سبعون ألف فرقة وتسعون لأفسهنا جبرا » وقال تعالى « وإذا حبيبتا حباويا بأحسن منها أوردوها - وقال عليه السلام « والذي نفسي بيده لا ندخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولئك هم السالمون » <sup>(٢)</sup> وقال أيضا « إذا عمل أهل السلام على محبتهم تحابيت قالوا بلى يا رسول الله » قال أفشوا السلام بينكم <sup>(٣)</sup> وقال أيضا « إذا سلم المسلم على المسلم فر على صلت عليه الملائكة سبعين مرة <sup>(٤)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إن للملائكة تعجب من المسلم يمر على السلم ولا يسلم عليه <sup>(٥)</sup> » وقال عليه السلام « يسلم الراكب على الماشي وإذا سلم من القوم واحد أجرا عنهم <sup>(٦)</sup> » وقال قتادة كانت تحية من كان قبلكم السجود فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام وهي تحية أهل الجنة وكان أبو مسلم الحولاني يمر على قوم فلا يسلم عليهم ويقول ما يمنعني أن لا أتحني أن لا يرثوا فظنهم للملائكة والصالحة أيضا سنة مع السلام « وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فقال عليه السلام عشر حسنات لقاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله قال عشرون حسنة فاجأ آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلاثون <sup>(٧)</sup> » وكانت أنس رضي الله عنه يمر على الصبيان فيسلم عليهم <sup>(٨)</sup> وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فضل ذلك . وروى عبد الحميد بن بهرام « أنه صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قد قودا قواما بيده بالسلام وأشار عبد الحميد بيده إلى الحكاية <sup>(٩)</sup> » فقال عليه السلام « لا يبدؤا اليهود والنصارى بالسلام وإذا قيمت أحدكم في الطريق فاضطروه إلى أميقته <sup>(١٠)</sup> » وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الرجال من النساء

وروی رجاء بن حیوة

عن معاذ بن جبل

قال وابتلينا بالضراء

فَصَرْنَا وَاتْلُمْنَا بِالْمَاءِ

فلم نصبر وإن أخوف

ما أخاف عليك فتنة

النساء إذا تسمعن

بالتعاون مع

الشام وعصبة الي:

وَأَنْتُمْ خِفَافٌ مَّكَفَرُونَ

وَأَتَيْنَا آلَ هَارُونَ بِالنَّارِ  
الَّتِي كَانُوا يَدْعُونَ

التأخير ما لا يجد، وقال  
من لا يملك

بعض الحجاج معاجلة

الجزء حير من

معالجة النساء . وستل

سهل بن عبد الله عن

الذِّسَاءُ فَعَالَ الصَّبْرُ عَنْهُنَّ

خير من الصبر عليهن

والصبر عليهن خير من

الصبر على النار . وقيل

في تفسير قوله تعالى

- خلق الانسان

ضعيفا - لأنه لا يصبر

عن النساء وقيل في قوله

تعالیٰ - ربنا ولا تحملنا

ملا طاقة ليا به - الغلبة

وان قدر الفقير على

## مقاومة النفس ورزق

العلم الوافر بحسن

### المعاملة في معالجة

(١) حديث أنس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم ثمانى حجج قتال لي أنسى أسبغ الوضوء برد في حرك وسلم على من لقيته من أمي تسكر حسانك وإذا دخلت بيتك فسلم على أهل بيتك بكثر خير بيتك الحرائط في مكارم الأخلاق واللفظ له واليه في الشعب وإنسانه ضيف وللمتدعي وصحه إذا دخلت على أهلك فسلم بكون بركة عليك وعلى أهل بيتك (٢) حديث والذي نفس بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث إذا سلم السلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي هريرة ولم يسدده وله في المسند (٤) حديث الملائكة تعجب من المسلم ير على السلم فلا يسلم عليه لم أقف له على أصل (٥) حديث يسلم الراكب على اللاتي وإذا سلم من التوم أهد أجزأ عنهم ومالك في الوطأ عن زيد بن أسلم مرسل ولأبي داود من حديث أبي عجزى عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزى عن الجالس أن يرد أحدهم وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة يسلم الراكب على اللاتي الحديث وسأني في قبة الباب (٦) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال سلام عليك فقال صلى الله عليه وسلم عشر حسانات الحديث أبو داود والترمذي من حديث عمران بن حصين قال الترمذي حسن غريب وقال البيهقي في الشعب إسناده حسن (٧) حديث أنس كان ير على الصبيان فيسلم عليهم ورفعه متفق عليه (٨) حديث عبد الجيد بن بهرام أنه صلى الله عليه وسلم ير على المسجد يوما وعصبة من الناس قود فألقى يده بالتسلم وأشار عبد الجيد يده الترمذي من رواية عبد الجيد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وقال حسن وابن ماجه من رواية ابن أبي حنن عن شهر رواه أبو داود وقال أحمد لا بأس به (٩) حديث لا يمدوا اليهود والنصارى بالسلام الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

« ولتأخروا أهل الذمة ولا تبدهم بالسلم فإذا تيسروهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيق الطرق »  
 قالت عائشة رضي الله عنها « إن رهطاً من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم قالت عائشة رضي الله عنها قاتل بل عليكم السلام والذمة فقال عليه السلام يا عائشة إن الله يحب الرفق في كل شيء قالت عائشة ألم تسمع ما قالوا قال فقد قلت عليكم (١) » وقال عليه السلام « يسلم الراكب على السائى وللسائى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير (٢) » وقال عليه السلام « لا تشبهوا باليهود والنصارى فإن تسليم اليهود بالاشارة بالأصابع وتسليم النصارى بالاشارة بالألف (٣) » قال أبو يعسى إسناده ضعيف وقال عليه السلام « إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الأخيرة (٤) » وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « إذا التقي المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسعة وستون لأحسهما جراً (٥) » وقال عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إذا التقي المسلمان وسلم كل واحد منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للباقي تسعون وللصافح عشرة (٦) » وقال الحسن الصائغ يزيد في الوعد وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تمام محياتكم بينكم الصائفة (٧) » وقال عليه السلام « قبلة السلم أخاه للصائفة (٨) » ولا بأس بقبلة بدليلهم في الدين تبركاً به وتوقيراً له وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قلنا يا النبي صلى الله عليه وسلم (٩) وعن كعب بن مالك قال لما نزلت توفى أثبت النبي صلى الله عليه وسلم قبلت يده (١٠) وروى أن أعرابياً قال يا رسول الله أثبتني لي فأقبلت رأسك ويدك قال فأذن له فقبل (١١) ولقي أبو حنيفة

النفس وصبر عن  
 قد حاز الفضل  
 واستعمل العقل  
 واعتدى إلى الأمر  
 السهل قال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم  
 « خيركم بد للثنتين  
 رجل خفيف الحاذق  
 يارسل الله وما خفيف  
 الحاذق قال الذي لأهل  
 له ولولده وقال بعض  
 الفقهاء لما قيل له تزوج  
 أنا إلى أن أطلق نفسي  
 أحوج إلى التزوج  
 وقيل بشر بن الحرث

إن الناس يتكلمون  
 فيك فقال ما يقولون  
 قيل يقولون إنه تارك  
 للسنة يعني التكاح فقال  
 قولوا لهم أنا مشغول  
 بالقرض عن السنة .  
 وكان يقول لو كنت  
 أعول دجاجة خفت  
 أن أكون جلدا على  
 الجسر والصوف مبتلى  
 بالنفس ومطالبها وهو  
 في شغل شاغل عن  
 نفسه فإذا انضاف إلى  
 مطالبات نفسه  
 مطالبات زوجته

(١) حديث عائشة إن رهطاً من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك الحديث متفق عليه (٢) حديث يسلم الراكب على السائى وللسائى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير من حديث أبي هريرة ولم يقل مسلم والصغير على الكبير (٣) حديث لا تشبهوا باليهود والنصارى فإن تسليم اليهود بالاشارة بالأصابع وتسليم النصارى بالاشارة بالألف (٤) حديث إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الأخيرة أبو داود والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة (٥) حديث أنس إذا التقي المسلمان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسعة وستون لأحسهما جراً (٦) حديث عمر بن الخطاب إذا التقي المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة الحديث الخرائطي بسند ضعيف والطراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ما ترجمه تسعة وتسعون لأحسهما وأطلقها وأبرتها وأحسنها مسألة لأخيه وفيه الحسن بن كثير بن يحيى بن أبي كثير مجهول (٧) حديث عمر بن الخطاب إذا التقي المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة الحديث البزار في مسنده والخرائطى في مكارم الأخلاق واللفظ له والبيهقي في الشعب وفي إسناده نظر (٨) حديث أبي هريرة تمام محياتكم بينكم الصائفة الخرائطي في مكارم الأخلاق وهو عند الترمذي من حديث أبي أمامة وضعفه (٩) حديث قبلة السلم أخاه للصائفة وابن عدى من حديث أنس وقال غير محفوظ (١٠) حديث ابن عمر قبلنا يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو داود بسند حسن (١١) حديث كعب بن مالك قال لما نزلت توفى أثبت النبي صلى الله عليه وسلم قبلت يده أبو بكر في القري في كتاب الرخصة في تعجيل اليد بسند ضعيف (١٢) حديث أن أعرابياً قال يا رسول الله أثبتني لي فأقبل رأسك وبدا فأذن له فقبل الحاكم من حديث بريدة إلا أنه قال فليسلم موضع يدك وقال صحيح الإسناد.

عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فصاحه وقبل يده وتبعا يكبان وعن البراء بن عازب رضى الله عنه وأنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ومد يده إليه فصاحه فقال يا رسول الله ما كنت أرى هذا إلا من أخلاق الأعاجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للتبليغ إذا التبيا فصاحا تحات ذنوبهما (١) وعن النبي ﷺ قال « إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وإن لم يردوا عليه رد عليه ملا خير منهم وأطيب » أو قال وأفضل (٢) والاعتناء عند السلام منى عنه قال أنس رضى الله عنه « قلنا يا رسول الله أيتنى بضنا لبعض ؟ قال لا قال فيقول بضنا بضاً ؟ قال لا قال فيصافح بضنا بضاً ؟ قال نعم (٣) » والالتزام والتقبل قد ورد به الخبر عند القدم من السفر (٤) وقال أبو ذر رضى الله عنه ما قبلته صلى الله عليه وسلم إلا صاغى وطلى يوماً فلم أكن في البيت فلما أخبرت جئت وهو على سريره فالتزمت فكانت أجود وأجود (٥) والأخذ بالركاب في توقير العلماء ورد به الأثر فل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت (٦) وأخذ عمر بشر زید حتى رفعه وقال هكذا فاضلوا يزيد وأصحاب زيد . والقيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام قال أنس ما كان شخص أحب إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يملون من كراهيته لذلك (٧) وروى أنه عليه السلام قال مرة « إذا رأيتموني فلا تقوموا كما تصنع الأعاجم (٨) » وقال عليه السلام « من سره أن يثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار (٩) » وقال عليه السلام « لا يتم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتصبخوا (١٠) » وكانوا يحترقون عن ذلك لهذا التبري وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أخذ القوم مجالسهم فإن دعا أحد أخاه فأوسع له فليأته قائماً كرامة أكره بها أخوه (١١) »

(١) حديث البراء بن عازب أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ومد يده إليه فصاحه الحديث رواه الحارثي بسند ضعيف وهو عند أبي داود والترمذي وابن ماجه مختصراً ما من مسلمين بلقيان فيتصالحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا قال الترمذي حسن غريب . من حديث أبي إسحاق عن البراء (٢) حديث إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وإن لم يردوا عليه رد عليه ملا خير منهم وأطيب الحارثي والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود مرفوعاً وضمن البيهقي للرفع ورواه موقوفاً عليه بسند صحيح (٣) حديث أنس قلنا يا رسول الله أيتنى بضنا لبعض ؟ قال لا الحديث الترمذي وحسنه وابن ماجه وضمنه أحمد والبيهقي (٤) حديث الالتزام والتقبل عند القدم من السفر الترمذي من حديث عائشة قالت قدم زيد بن حارثة الحديث وفيه فاعتقته وقبلة وقال حسن غريب (٥) حديث أبي ذر ما قبلته صلى الله عليه وسلم إلا صاغى الحديث أبو داود وفيه رجل من عزة لم يسم وجهه البيهقي في الشعب عبد الله (٦) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت تقدم في العلم (٧) حديث أنس ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يملون من كراهيته لذلك الترمذي وقال حسن صحيح (٨) حديث إذا رأيتموني فلا تقوموا كما يصنع الأعاجم أبو داود وابن ماجه من حديث أبي أمامة وقال كما يقوم الأعاجم وفيه أبو العديس مجهول (٩) حديث من سره أن يثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار أبو داود والترمذي من حديث معاوية وقال حسن (١٠) حديث لا يتم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتصبخوا متفق عليه من حديث ابن عمر .

يضمن طلبه وسلك  
إرادته ونظر عزيمته  
والنفس إذا أطلعت  
طمعت وإذا أُنعت  
فتمت فيستعين الشاب  
الطالب على حسم مواد  
خاطر السكح بإدامة  
الصوم فإن للصوم أثراً  
ظاهراً في قمع النفس  
وفهراً وقد ورد أن  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم مر بجاعة  
من الشبان وهم يرضون  
الجبارة فقال « يا معشر  
الشباب من استطاع  
منكم البائة فليتزوج  
ومن لم يستطع فليصم  
فإن الصوم له وجاء »  
أصل الجواء رضى  
الحسين كانت العرب  
تجأ الفحل من القم  
لتذهب لحوائه  
وبسمن ومنه الحديث  
صلى رسول الله صلى  
الله عليه وسلم بكبشين  
أملحين موجودين وقد  
قبل هي النفس إن لم  
تشفها شفتك فإذا  
أدام الشاب للريد  
العمل وأذاب نفسه في

فان لم يوسع له فليُنظر إلى أوسع مكان يجده فيجلس فيه <sup>(١)</sup> وروى أنه سلم رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول قلم يجب <sup>(٢)</sup> فيكره السلام على من يقضى حاجته ويكره أن يقول ابتداء عليك السلام فانه قاله رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام «إن عليك السلام تحية الموتى قلها ثلاثاً» ثم قال: إذا لقي أحدكم أخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله <sup>(٣)</sup> ويستحب للدخول إذا سلم ولم يجد مجلساً أن لا يتصرف بل يقعد وراء الصف «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها وأما الثاني فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهباً فصار فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه <sup>(٤)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «ممن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا <sup>(٥)</sup> . وسئل أم هانئ عني التي صلى الله عليه وسلم فقال من هذه قبل له أم هانئ» فقال عليه السلام مرحباً بأم هانئ <sup>(٦)</sup> . ومنها أن يصون عرض أخيه للسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ويرد عنه ويواصل دونه وينصره فان ذلك يجب عليه بمقتضى أخوة الاسلام . روى أبو الدرداء «أن رجلاً نال من رجل عند رسول الله ﷺ فرد عنه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من رد عن عرض أخيه كان له حجاب من النار <sup>(٧)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم «ممن امرئ مسلم رد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة <sup>(٨)</sup> » وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «ومن ذكر عنده أخوه للسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره أدركه الله بها في الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده أخوه للسلم قصره نصره الله تعالى في الدنيا والآخرة <sup>(٩)</sup> »

(١) حديث إذا أخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل أخاه فأوسع بيني له فيجلس فانه كرامة من الله عز وجل الحديث البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن شعبة ورجاله ثقات وإن شية هذا ذكره أبو موسى اللديني في ذيله في الصحابة وقد رواه الطبراني في الكبير من رواية مصعب بن شعبة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أخضر منه وشية بن جبير والد منصور ليست له حجة (٢) حديث أن رجلاً سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول قلم يجب مسلم من حديث ابن عمر بافظ فلم يرد عليه (٣) حديث قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام فقال إن عليك السلام تحية أليت الحديث أبو داود والترمذي والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جري المجيب وهو صاحب القصة قال الترمذي حسن صحيح (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم جالساً في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها الحديث متفق عليه من حديث أبي واقد الليثي (٥) حديث مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث البراء بن عازب (٦) حديث سئلت أم هانئ عني فقال مرحباً بأم هانئ مسلم من حديث أم هانئ (٧) حديث أبي الدرداء من رد عن عرض أخيه كان له حجاب من النار الترمذي وحسنه (٨) حديث مامن امرئ مسلم رد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بنحوه والحرانطي في مكارم الأخلاق وهو عند الطبراني بهذا اللفظ من حديث أبي الدرداء وفيها شبر بن حوشب (٩) حديث أنس من ذكر عنده أخوه للسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره ولو بكلمة أنه الله عز وجل بها في الدنيا والآخرة الحديث ابن أبي الدنيا .

العبادة تصل عليه خواطر النفس وأيضاً شغله بالعبادة يشم له حلالة العامة ومحبة الاكثار منه ويفتح عليه باب السهولة والمشي في العمل فيشار على حاله ووقته أن يتكدر بهم الزوجة . ومن حسن أدب المريد في عزوبته أن لا يمكن خواطر النساء من باطنه وكما خطر له خاطر النساء والشهوة يخر إلى الله تعالى بحسن الانابة فيتذركه الله تعالى حينئذ بقوة المزمعة ويؤيده عبراتمة النفس بل يتمكن على نفسه نور قلبه ثوباً لحسن إتيائه فتسكن النفس عن الطالبة ثم يمرض على نفسه ما يدخل عليه بالنكاح من الدخول في المداخل للغمومة للسؤدية إلى الدل والموان وأخذ الشيء من غير وجهه وما يتوقع من القواطع



وقال عليه السلام « من حمى عن عرض أخيه السلم في الدنيا بعث الله تعالى له ملكا يحميه يوم القيامة من النار (١) » وقال جابر وأبو طلحة سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن امرئ مسلم ينصر مسلما في موضع ينتك فيه عرضه ويستحل حرمة إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرة وما من امرئ خذل مسلما في موطن ينتك فيه حرمة إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرة (٢) » . ومنها تشميت العاطس قال عليه الصلاة والسلام في العاطس يقول « الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشتمه يرحمك الله ويرد عليه العاطس فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم (٣) » . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطس يقول « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين فإذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فإذا قالوا ذلك فليقل يفر الله لي ولكم (٤) » . وشميت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطسا ولم يشمت آخر فأن زاد عن ذلك فقال إنه حمده وأنت سكت (٥) » وقال عليه السلام « يشمت العاطس السلم إذا عطس ثلاثا فإن زاد فهو زكام (٦) » . وروى أن شمس عاطسا ثلاثا فطس أخرى فقال إنك مزكوم (٧) وقال أبو هريرة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عطس غش صوته واستتر بثوبه أو يده (٨) » . وروى حمز وجهه وقال أبو موسى الأشعري « كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول : يهديكم الله (٩) » . وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه « أن رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا ويد ما يرضى والحمد لله على كل حال فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال من صاحب الكلمات فقال أنا يا رسول الله فأردت بهن الإخيار فقال لقد رأيت اثني عشر ملكا كلهم يبتدرونها أيهم يكن بها (١٠) »

في الصمت متصرا على ما ذكر منه وإسناده ضعيف (١) حديث من حمى عرض أخيه السلم في الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيامة من النار أبو داود من حديث معاذ بن أنس نحوه بسند ضعيف (٢) حديث جابر وأبي طلحة مامن امرئ ينصر مسلما في موضع ينتك فيه عرضة ويستحل حرمة الحديث أبو داود مع تقديم وتأخير واختلاف في إسناده (٣) حديث يقول العاطس الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشتمه يرحمك الله ويقول هو يهديكم الله ويصلح بالكم البخاري وأبو داود من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري على كل حال (٤) حديث ابن مسعود إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين الحديث النسائي في اليوم والليلة وقال حديث منكر ورواه أيضا أبو داود والترمذي من حديث سالم بن عبد الله واختلاف في إسناده (٥) حديث شمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطسا ولم يشمت آخر فأنه عن ذلك فقال إنه حمده وأنت سكت متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث شمتوا السلم إذا عطس ثلاثا فإن زاد فهو زكام أبو داود من حديث أبي هريرة شمت أخاك ثلاثا الحديث وإسناده جيد (٧) حديث أنه شمت عاطسا فطس أخرى فقال إنك مزكوم مسلم من حديث سلمة بن الأكوع (٨) حديث أبي هريرة كان إذا عطس غش صوته وستر بثوبه أو يده أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وفي رواية لأن لعبي في اليوم والليلة وخر وجهه وقام (٩) حديث أبي موسى كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح (١٠) حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة أن رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الحديث أبو داود من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه وإسناده جيد

بسبب الثفات الحاطر إلى ضبط المرأة وحرصاتها والكلف التي لا تحصر . وقد سئل عبد الله بن عمر عن جهد البلاء فقال : كثرة المال وقلة المال ، وقد قيل كثرة المال أحد الفقرين وقلة المال أحد اليسارين . وكان إبراهيم بن آدم يقول : من تعود أفخاذ النساء لا يخلع ولا شك أن المرأة تدعو إلى الرفاهية والدمعة وتمنع عن كثرة الاشتغال بالله وقيام الليل وسيام النهار ويسلط على الباطن خوف الفقر وحببة الاضمار وكل هذا بعيد عن التجرد وقد ورد « إذا كان بعد اللاتين أبيضت العزوبة لأمتي » فان توالى على الفقير خواطر النكاح وازاحت باطنه سببا في الصلاة والأذكار والتسلاوة فليستن بالله أولا ثم

وقال صلى الله عليه وسلم « من عطس عندك فسبق إلى الحمد لم يشكك خاصرته » (١) وقال عليه السلام « العطاس من الله والثأب من الشيطان فإذا ثأب أحدكم فليعج بدمه فيه فإذا قالهاها فان الشيطان يضحك من جوفه » (٢) وقال إبراهيم النخعي إذا عطس في قضاء الحاجة فلا بأس. بأن يذكر الله وقال الحسن محمد الله في نفسه ، وقال كعب قال موسى عليه السلام يارب أقرب أم أنت فأجابك أم بعيد فأجابك فقال أنا جالس من ذكرني فقال فانا نكون في حال نجلك أن نذكرك عليها كالجنابة والناظر فقال إذا كنت على كل حال . ومنها أنه إذا بلى بدى شىء فينبغى أن يحمله ويتبعه قال بعضهم خالص المؤمنين مخالصة وخالق الفاجر مخالفة فان الفاجر يرضى بالحق الحسن في الظاهر . وقال أبو الدرداء إن التلبس في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلصقهم وهذا معنى للدائرة وهي مع من يخاف شربه قال الله تعالى - ادفع بالتي هي أحسن السيئة - قال ابن عباس في معنى قوله - ويدرمون بالحسنة السيئة - أى الفسق والأذى والسلام والدائرة وقال في قوله تعالى - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض - قال بالرغبة والرغبة والحياة والدائرة وقالت عائشة رضى الله عنها « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فيش رجل العشيرة هو فلما دخل الآن له القول حتى ظننت أنه عند منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذى قلت ثم ألت له القول فقال يا عائشة إن شئ الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فضته » (٣) وفي الخبر « ماوى الرجل به عرصة فهو له صدقة » (٤) وفي الآثار : خالطوا الناس بأعمالكم وزابلوهم بالقلوب . وقال محمد بن الحنفية رضى الله عنه : ليس بحكيم من لم يعاصر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا . ومنها أن يحتجب مخالطة الأغنياء ويختلط بالمساكين ويعين إلى الأيتام كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم أحبنى مسكينا وأمتى مسكينا واحترق في زمرة المساكين » (٥) وقال عليه الأحرار كان سليمان عليه السلام في ملكه إذا دخل المسجد فرأى مسكينا جلس إليه وقال مسكين جالس مسكينا . وقيل ما كان من كلمة يقال لعيسى عليه السلام أحب إليه من أن يقال له يا مسكين وقال كعب الأحرار ما فى القرآن من يا أيها الذين آمنوا فهو في التوراة يا أيها المساكين وقال عبادة ابن الصامت إن النار سبعة أبواب ثلاثة للأغنياء وثلاثة للنساء وواحد للفقراء والمساكين وقال الفضيل بلغني أن نبيا من الأنبياء قال : يارب كيف لي أن أعلم رضاك عني فقال انظر كيف رضا المساكين عنك ، وقال عليه الصلاة والسلام « إياكم ومجالسة اللوى ، قيل ومن اللوى يا رسول الله ؟ قال الأغنياء » (٦) وقال موسى إلهي أين أبنيك قال عند المنكسرة قلوبهم ، وقال صلى الله عليه وسلم

بالمشاغ والإخوان  
وجرح الحال لهم  
ويسألهم مسألة الله له  
في حسن الاختيار  
ويطوف على الأحياء  
والأموات وللصالحين  
والمشاهير ويستعظم  
الأمر ولا يدخل فيه  
بقلة الأكرث فانه  
باب فتنة كبيرة وخطر  
عظيم وقد قال الله تعالى  
- إن من أزواجكم  
وأولادكم عدوا لكم  
فاحذروهم - ويكثر  
الافتراس إلى الله تعالى  
ويكثر البكاء بين يديه  
في الحفلات ويكرر  
الاستخارة وإن رزق  
القوة والصبر حتى  
يستبين له من فضل الله  
الحيرة في ذلك فهو  
الكامل والتمام فقد  
يكشف الله تعالى

لصالح ذلك منا أو  
إطلاقا في مناه أو  
يقظته أو على لسان  
من يق إلى دينه وحاله  
أنه إذا أشار لا يشير  
إلا بصيرة وإذ أحكم  
لا يحكم إلا بحق فند

(١) حديث من عطس عندك فسبق إلى الحمد لم يشكك خاصرته الطبراني في الأوسط وفي الدعاء من حديث علي بن بسند ضعيف (٢) حديث العطاس من الله والثأب من الشيطان الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله العطاس من الله فرواه الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وقال البخاري إن الله يحب العطاس ويكره التأثب الحديث (٣) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فيش رجل العشيرة الحديث متفق عليه (٤) حديث ماوى الرجل به عرصة فهو له صدقة أبو يعلى وابن عدى من حديث جابر وصفه (٥) حديث اللهم أحبنى مسكينا وأمتى مسكينا واحترق في زمرة المساكين ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد والترمذي من حديث عائشة بوقال غريب (٦) حديث إياكم ومجالسة اللوى قيل وما اللوى قال الأغنياء الترمذي وصفه والحاكم وصححه بإسناده من حديث عائشة إياكم ومجالسة الأغنياء .

«لاتبطين فاجرا بنعمة فانك لاتدرى إلى مايسير بعد الموت فان من ورائه طالبا حثيثا (١)» وأما البيهقي فقال صلى الله عليه وسلم «من ضم يتيما من أبوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة أئبته (٢)» وقال عليه السلام «وأنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وهوشير بأصبغيه (٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «من وضع يده على رأس يتييم تزحما كاتله بكل شفرة تمر عليها يده حسنة (٤)» وقال عليه السلام «خير بيت من المسلمين بيت فيه يتييم يحسن إليه وشرييتم من المسلمين بيت فيه يتييم يساء إليه (٥)» . ومنها النصيحة لكل مسلم والمجاهد في إدخال السرور على قلبه قال صلى الله عليه وسلم «للمؤمن محبوب للمؤمن كما يحب لنفسه (٦)» وقال عليه السلام «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (٧)» وقال صلى الله عليه وسلم «من قضى حاجة أخيه فكأنما خدم الله عمره (٨)» وقال صلى الله عليه وسلم «من أقر عرين مؤمن أقر الله عنه يوم القيامة [١]» وقال صلى الله عليه وسلم «من مثى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاه أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين (٩)» وقال عليه السلام «من فرج عن مؤمن مغموم أو أمان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة (١٠)» وقال صلى الله عليه وسلم «انصر أخاك ظالما أو مظلوما . قبل كيف ينصره ظالما قال يمنعه من الظلم (١١)» وقال عليه السلام

(١) حديث لاتبطين فاجرا بنعمة الحديث البخارى في التاريخ والطبرانى في الأوسط والبيهقى في الشعب من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٢) حديث من ضم يتيما من أبوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة أئبته أحمد والطبرانى من حديث مالك بن عمر وفيه على بن زيد بن جعدان متكلم فيه (٣) حديث أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة البخارى من حديث سهل بن سعد وسلم من حديث أبى هريرة (٤) حديث من وضع يده على رأس يتييم تزحما كاتله بكل شفرة تمر عليها يده حسنة أحمد والطبرانى بإسناد ضعيف من حديث أبى أمامة دون قوله تزحما ولا بن جبان في الضعفاء من حديث ابن أبى أوفى من مسح يده على رأس يتييم رجة له الحديث (٥) حديث خير بيت من المسلمين بيت فيه يتييم يحسن إليه وشرييتم من المسلمين بيت فيه يتييم يساء إليه ابن ماجه من حديث أبى هريرة وفيه ضعف (٦) حديث المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه تقدم بلقب لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ولم أره بهذا اللفظ (٧) حديث إن أحدكم مرآة أخيه الحديث رواه أبو داود والترمذى وقد تقدم (٨) حديث من قضى لأخيه حاجة فكأنما خدم الله عمره البخارى في التاريخ والطبرانى والحراطى كلاهما في مكالمات الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف مرسل (٩) حديث من مثى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاه أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين الحاكم وصححه من حديث ابن عباس لأن يمشى أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته وأشار بأصبغيه أفضل من أن يتكف في مسجدى هذا شهرين والطبرانى في الأوسط من مثى في حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكافه عشر سنين وكلاهما ضعيف (١٠) حديث من فرج عن مغموم أو أمان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة الحراطى في مكالمات الأخلاق وابن جبان في الضعفاء وابن عسدى من حديث أنس بلقب من أغاث مملوكا (١١) حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما الحديث متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم .

حديث من أقر عرين مؤمن لم يجدهم في تخريبها في نسختنا ووجدنا الشارح نقل عن العراق أنه رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق بإسناد ضعيف مرسل .

ذلك يكون تزوجه مدبرامعانا فيه . ومعنا أن الشيخ عبدالقادر الجيل قال له بعض الصالحين لم تزوجت ؟ فقال ما تزوجت حتى قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج فقال له ذلك الرجل الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بالرخس وطريق القوم التازم بالزعة فلا أعلم ما قال الشيخ في جوابه ولكنى أقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالرخصة وأمره على لسان الشرع فأما من التجأ إلى الله تعالى واقتر إليه واستخاره فيكشفه الله بقتيبه إياه في منامه وأمره هذا لا يصحكون أمر رخصة بل هو أمر بتمته أرباب الزعة لأنه من علم الحال لا من علم الحكم ويدل على صحة ماوقع لي ما نقل عنه أنه قال كنت أريد

«إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على قلب المؤمن أو أن يبرج عنه عما أوقى عنه دينا أو يطعمه من جوع» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من حمى مؤمنا من منافق يعتنه بئس الله إليه مسلكا يوم القيامة» يحكى عنه من نارجهم [٢] وقال صلى الله عليه وسلم «خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضر لبياد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الإيمان بالله والتفيع لبياد الله» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «من لم يهتم للمسلمين فليس منهم» (٤) وقال معروف السرخسي من قال كل يوم : اللهم ارحم أمة محمد كنية الله من الأبدال وفي رواية أخرى اللهم أصنع أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد كل يوم ثلاث مرات كنية الله من الأبدال . ويكى على بن الفضل يوما قيل له ما بك بك ؟ قال أبكى على من ظلمني إذا وقف غدا بين يدي الله تعالى وسئل عن ظلمه ولم تكن له حجة . ومنها أن يعود مرضاهم فالمرقة والاسلام كافيان في إثبات هذا الحق ونيل فضله وأدب العائذ خفة الجلسة وقلة السؤال وإظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات اللوغ وعند الاستئذان لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقول أنا إذا قيل له من ؟ ولا يقول يا غلام ولكن يحمد ويسبح وقال صلى الله عليه وسلم «تمام عبادة الرضى أن يضع أحدكم يده على جبهة أو على يده ويسأله كيف هو وتنام تحياتك للصالح» وقال عليه السلام «من عاد مريضا فقد في مخارف الجنة حتى إذا قام وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل» (٥) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا عاد الرجل الرجل الرضى خاض في الرحمة فإذا قد عنده قر فيه» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا عاد المسلم أخاه أوزاره قال الله تعالى طيب وطيب مشاك وتبوات منزلا في الجنة» (٧) وقال عليه السلام «إذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى إليه ملكين فقال انظرا ماذا يقول لو أده فأنه إذا جاءوه حمد الله واتى عليه رضا ذلك إلى الله هو أعلم فيقول لعبدى على إن توفيته أن أدخه الجنة وإن أنا شفيته أن أبدل له لما خيرا من لعمود ما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته» (٨) وقال رسول الله صلى الله

الزوجة مدة من الزمان ولا أجتري على الزوج خوفا من تكدير الوقت فلما صبرت إلى أن بلغ الكتاب أجله ساق الله لي أربع زوجات مافين لإامن تنفق على إرادة ورغبة فهذه ثمرة الصبر الجليل الكامل فإذا صبر الفقير وطلب الفرج من الله يأتيه الفرج والمخرج - ومن يتق الله يعمل له خراجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - فإذا تزوج الفقير بعد الاستقصاء

والإكثار من الضراعة والدعاء وورد عليه واردم الله تعالى بإذن فيه فهو القاية والنهاية وإن عجز عن الصبر إلى ورود الأذن واستغفد جهده في الدعاء والضراعة فقد يكون ذلك حظه من الله تعالى وإيمان عليه لحسن نيته وصدق مقصده وحسن رجائه واعتاده على ربه وقد

(١) حديث إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المؤمن من الحديث الطبراني في الصغير والأوسط من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٢) حديث خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضر لبياد الله الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث على ولم يسنده ولده في مسنده (٣) حديث من لم يهتم للمسلمين فليس منهم الحاكم من حديث حذيفة والطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر وكلاهما ضعيف (٤) حديث من عاد مريضا فقد في مخارف الجنة الحديث أصحاب السنن والحاكم من حديث على من أنى أخاه المسلم عائدا مشى في خرافة الجنة حتى يجلس فإذا جلس غمرته الرحمة فان كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن كان مساء الحديث لفظ ابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذى وحسنه من حديث ثوبان من عاد مريضا لم يزل في خرفة الجنة (٥) حديث إذا عاد الرجل الرجل الرضى خاض في الرحمة فإذا قد عنده قر فيه الحاكم والبيهقي من حديث جابر قال اتفق فيها قال الحاكم صحيح على شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر وذكره مالك في الموطأ بلاغا للفظ قر فيه ورواه الواقدي بلفظ استقر فيها والطبراني في الصغير من حديث أنس فإذا قد عنده غمرته الرحمة وله في الأوسط من حديث كعب بن مالك وعمر بن حزم استقر فيها (٦) حديث إذا عاد المسلم أخاه أوزاره قال الله تعالى طيب وطيب مشاك وتبوات منزلا في الجنة الترمذى وابن ماجه من حديث أبي هريرة إلا أنه قال ناداه الله قال الترمذى غريب قلت فيه عيسى بن سنان القسطلي منحه الجمهور (٧) حديث إذا مرض العبد بعث الله تعالى

[٨] حديث من حمى مؤمنا قال الشارح لم يذكره العراقي ورواه ابن المبارك وأحمد وأبو داود وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والطبراني عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه .

عليه وسلم « من برد الله به خيرا يسب منه »<sup>(١)</sup> وقال عثمان رضي الله عنه مرضت فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بسم الله الرحمن الرحيم أعينك بالله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ما تجد قلها مرارا<sup>(٢)</sup> ودخل علي<sup>(٣)</sup> بن أبي طالب رضي الله عنه وهو مريض فقال له : قل اللهم إني أسألك تسهيل عافيتك أو صبرا على لينتك أو خروجا من الدنيا إلى رحمتك فانك تستطع إحداثي<sup>(٤)</sup> . ويستحب لغيره أيضا أن يقول أعوذ بمرض الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا شك أحدكم بطنه فليسل أمرأته شيئا من صداقتها ويشترى به عسلا ويشربه بماء البهاء فيجتمع له الهنيء والبري والشفا والبارك . وقال صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا رسول الله قال يقول لإله الإله يحيي ويميت وهو حي لا يموت سبحان الله رب العالمين والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله أكبر كبيرا إن كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم إن أنت أمرتني بغير رضى رضى في مرضي هذا فاجعل رضى في أرواح من سبقك لهم منك الحسن وياعني من التاركا باعدت أوليائك الذين سبقك لهم منك الحسن<sup>(٥)</sup> . وروى أنه قال عليه السلام : عيادة المريض بدلت فواتقة<sup>(٦)</sup> . وقال طائفة أفضل العيادة أخفها وقال ابن عباس رضي الله عنهما عيادة المريض مرة سنة فما ازدادت فافقه . وقال بعضهم عيادة المريض بعد ثلاث . وقال عليه السلام : أغبوا في العيادة وأربوا فيها<sup>(٧)</sup> . وحمله أدب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والشجر والقنع إلى الدعاء والتوكل بعد الدعاء على خالق الدعاء . ومنها أن يثيب جنازهم قال صلى الله عليه وسلم : من شيع جنازة فله قيراط من الأجر فإن وقف حتى تدفن فله قيراطان<sup>(٨)</sup> . وفي الخبر : القيراط مثل أحد<sup>(٩)</sup> . ولاروى أبو هريرة هذا الحديث وصحاه ابن عمر

ملكين فقال انظرا ما يقوله لواءه الحديث مالك في اللوطا مرسلان حديث عطاء بن يسار ورواه ابن عبد البر في التمهيد من روايته عن أبي سعيد الخدري وفيه عباد بن كثير التقي ضعيف الحديث والبيهقي من حديث أبي هريرة قال الله تعالى إذا ابتليت عبدي المؤمن فلم تشك في عواده أطلقت من إيسري ثم أبدله لما خيرا من لجه وما خيرا من دمه ثم استأنف العمل وإسناده جيد<sup>(١)</sup> حديث من رده الله بخيرا يسب منه البخاري من حديث أبي هريرة<sup>(٢)</sup> حديث عثمان مرضت فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بسم الله الرحمن الرحيم أعينك بالله الأحد الصمد الحديث ابن السني في اليوم والليلة والطبراني والبيهقي في الأدعية من حديث عثمان بن عفان بإسناد حسن .<sup>(٣)</sup> حديث دخل علي بن أبي طالب وهو مريض فقال قل اللهم إني أسألك تسهيل عافيتك الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من حديث أنس بسند ضعيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على رجل وهو يشكى ولم يسم عليه وروى البيهقي في الدعوات من حديث عائشة أن جبريل علما للنبي صلى الله عليه وسلم وقال إن الله بأمرك أن تدعو بهذا . الكلمات<sup>(٤)</sup> حديث أبي هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار ابن أبي الدنيا في الدعاء وفي المرض والكفارات<sup>(٥)</sup> حديث عيادة المريض فواتقة ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من حديث أنس بإسناد فيه جهالة<sup>(٦)</sup> حديث أغبوا في العيادة وأربوا ابن أبي الدنيا وفيه أبو يعلى من حديث جابر وزاد إلا أن يكون مغلوبا وإسناده ضعيف<sup>(٧)</sup> حديث من شيع جنازة فله قيراط من الأجر فإن وقف حتى تدفن فله قيراطان الشيخان من حديث أبي هريرة<sup>(٨)</sup> حديث القيراط مثل جبل أحد مسلم من حديث ثوبان وأبي هريرة وأصله متفق عليه .

قال لقد فرطنا إلى الآن في قرارات كثيرة والقصد من التشريع قضاء حق المسلمين والاعتبار وكان مكحول النمشي إذا رأى جنازة قال اغدوا فانارأحون موعظة بليغة وغفلة سرية يذهب الأول والأخر لا عقل له ، وخرج مالك بن دينار خلف جنازة أخيه وهوسكي ويقول والقلنا نرى عبي حتى أعلم إلى ما صرت ولا والله لأعلم ما كنت حيا . وقال الأعمش كنا نذهب الجنازة فلاندرى لمن نمرى لحن القوم كلهم ونظر إبراهيم الزيات إلى قوم يترجمون على ميت فقال لورحون أنفك لكان أولى إننا نجا من أموال ثلاث وجه ملك اللوت قدرأى ومرارة اللوت قد ذاق وخوف الحامة قد أدام ، وقال صلى الله عليه وسلم

« يتبع لبيث ثلاث فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبع أهله وماله ويبنى عمله » (١)  
ومنها أن يزور قبرهم والتقصود من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال مالك « ما رأيت منظرا إلا والتبرأ فظن منه » (٢) وقال عمر رضي الله عنه « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى القابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه فيسكي وبكى فقال ما يبكيك قلنا بكينا لكنا قال هذا قلنا قرامة بنت وهب استأذنت ربى في زيارتها فأذن لي واستأذنت في أن أسفر لها فأبى على فأدركنى ما يدرك الولد من الرقة » (٣) وكان عمر رضي الله عنه إذا وقف على قبر حتى قبل لحيته ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه لما بعده أيسر وإن لم ينج منه فابعد أشد » (٤) وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم خرفة تقول أنا بيت اللودوييت والودوييت القرية وبنت الظلة فهذا ما أعددت لك لما أعددت لي ؟ وقال أبو ذر الأخرم كيوم قرى يوم أؤمى كرونى قبرى ، وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور فيقبل له في ذلك قائلا فجلس إلى قوم يذكروننى معادى وإن قتلتهم لم يتأبون وقال حاتم الأصم من مر بالقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخاتم وقال صلى الله عليه وسلم « مامن ليلة إلا وينادى مناد بأهل القبور من تقبّلون قالوا تقبّل أهل الساجد لأنهم يصومون ولا تصوم ويصلون ولا تصل ويذكرون الله ولا نذكركه » (٥) وقال سفيان من أكثر ذكر الهبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجد حفرة من حرات النار وكان الربيع بن خثيم قد غفر في دارمقبرا فكان إذا وجد قبره قلبه تساوة دخله في فاضطجع فيه وسكت ساعة ثم قال - رب أرجعوا لى أعمل صالحا فها تزلت - ثم يقول يا رب ربيع قد أرتجت فاعمل الآن قبل أن لا ترجع وقال يميون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى القبرة فلما نظر ظمنا إلى القبور بكى وقال ياميون هذه قبور آبائى بنى أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في قناتهم أما ترام مرعى قد خلت بهم الثلاث وأصاب الهول من أبنائهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أنعم من صار إلى هذه القبور وقد أمن عذاب الله . وآداب المرمى خفض الجناح وإظهار الحزن وقلة الحديث وترك التيسم . وآداب تشييع الجنازة لزوم الخشوع وترك الحديث وملاحظة البيت والتفكير في اللوت والاستعداد له

(١) حديث يتبع لبيث ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد مسلم من حديث أنس (٢) حديث ما رأيت منظرا إلا وأهبر أظفعت منه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث عثمان وقال صحيح الاستاد رذل الترمذى حسن غريب (٣) حديث عمر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى القابر فجلس إلى قبر الحديث في زيارته قبر أمه مسلم من حديث أبي هريرة مختصرا وأحمد من حديث بريدة وفيه قيام عمر فقدها بالأب والأُم يقول يا رسول الله مالك الحديث (٤) حديث عثمان بن عفان إن القبر أول منازل الآخرة الحديث الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم صحيح إسناده (٥) حديث مامن ليلة إلا وينادى مناد بأهل القبور من تقبّلون فقبّل أهل الساجد الحديث لم أجده له أصلا

الراسخين في العلم أحوال في دخولهم في السكاح تخص بهم وذلك أنهم بعد طول المجاهدات والرقابات والرياضات تظلمت نفوسهم وتقبل قلوبهم وللقلوب إقبالا وإدبارا يقول بعضهم : إن القلوب إقبالا وإدبارا فإذا أدبرت روح بالارتفاق وإذا أقبلت ردت إلى اللبثا فتبقى قلوبهم دائما الإقبال إلا اليسير ولا يدوم إقبالها إلا لطمائنة النفوس وكما عن النازعون ترك التثبث في القلوب فإذا الطمأننت النفوس واستقرت عن طبيعتها وتقررها وشراسبتها توفرت عليها حقوقها وربما يسير من حقوقها حظوظها لأن في أداء الحق إتقانا وفي أخذ الحظ انصاعا وهذا من دقيق علم الصوفية فانهم يسمون بالسكاح للباح إيسالا إلى النفس حظوظها لأنها ما زالت

وأن يثنى أمام الجنازة قربها والسرعة بالجنازة سنة <sup>(١)</sup> فهذا جمل آداب تنبه على آداب الماشية مع عموم الخلق ، والجلمة الجامعة في أن لا تستعصر منهم أحدا حيا كان أو ميتا قبلك لأنك لا تدري له خير منك فانه وإن كان فاسقا فقله بجمتك بمنك حاله وجمته له بالصلاح ولا تنظر إليهم بين التعظيم لهم في حال دينهم فإن الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها ومهما عظم أهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا فسقط من عين الله ولا يذل لهم دينك لتتألم من دينهم فصغر في أعينهم ثم حرم دينهم فإن لم تحرم كنت قد استبدلت الشيء هو أدنى بالذي هو خير ولاتعادم بحيث تظهر العداوة فيطول الأمر عليك في المعادة ويذهب دينك وديناك فيهم ويذهب دينهم فيك إلا إذا رأيت منكرا في الدين فتأذى أهلهم والقبحة وتنظر إليهم بين الرحمة لهم لترضهم لمت الله وعقوبته بصيانتهم فحسبهم جهنم يصلونها فإلك محمد عليهم ولاتسكن إليهم في مودتهم لك وثناهم عليك في وجعك وحسن بصرهم لك فإنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة إلا واحدا وربما لا تجده ولاتسكن إليهم أحواك فيكلك الله إليهم ولا تطعم أن يكونوا لك في القرب والسر كما في الملازمة فذلك طمع كاذب وآتى تظفر به ولا تطعم في أيديهم فتستعمل الذل ولاتألف الفرس ولا تمل عليهم تكبرا لاستئناك عنهم فإن الله يبلئك إليهم عقوبة على التكبر باظهار الاستغناء وإذا سألت أبا منهم حاجة قضاهم فهو أخ مستفاد وإن لم يقض فلا تعابه فيصير عدوا تطول عليك مقاساته ولا تشغل بوعظ من لا ترى فيه حایل القول فلا يسمع منك ويصادك ولكن عطفك عرضا واسترسالا من غير تخصيص على الشخص ومهما رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذي سخرهم لك واستغنى بالله أن يلك إليهم وإذا بلك عنهم غيبة أورايتهم شرا أو أصابك منهم ما يوسؤك فسل أمرهم إلى الله واستغنى بالله من شرهم ولا تشغل نفسك بالمكافأة فيزيد الضرر ويضيع العمر بشغله ولا تقل لهم لم تعرفوا موسى ، واعتقد أنك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موصفا في قلوبهم فله الحب والبشاشة إلى القلوب وكن فيهم جميعا لحقهم أصم عن باطلهم نطقوا بجمتهم صموتا عن باطلهم واحذر محبة أكثر الناس فاتهم لا يقبلون عثرة ولا ينفرون زلة ولا يسترعون عورة ومحاسنهم على القبر والقطمير ومحمدون على القليل والكثير يتصفون ولا يصفون ويؤاخذون على الخطأ والنسيان ولا ينفون بشرن الاخوان على الاخوان بالقيسة والبيان فصحة أكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان إن رضوا فظاهروهم للفق وإن سخطوا فباطمهم الحق لا يؤمنون في حنهم ولا يرجون في ملهم ظاهروهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك باليون ويربصون بصديقهم من الحسد رب اللون يحسون عليك الشررات في صميمهم ليواجهوك بها في غضبهم ووحشتهم ولاتحول على مودة من لم تخبره حق الخبره بأن تصبه مدة في دار أو موضع واحد فتجربه في عزله وولايته وغناه وفقره أو تسافر معه أو تامله في الديار والبرهم أو تقع في شدة فتحتاج إليه فإن رضيت في هذه الأحوال فأخذته أبداك إن كان كبيرا أو ابنا لك إن كان صغيرا أو أخاك إن كان مثلك ، فهذه جملة آداب الماشية مع أصناف الخلق .

### (حقوق الجوار)

اعلم أن الجوار يقتضى حقا وراه ملتصقيه أخوة الإسلام فيستحق الجوار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم « الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق » فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجوار المسلم ذوالرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم

(١) حديث الاسراع بالجنازة منقذ عليه من حديث أبي هريرة اسرعوا بالجنازة الحديث .

تخالفها وما حاق صار  
داؤها وادها وما وصارت  
الشهوات للباحة  
واللذات للشرعة  
لا تضرها ولا تغتر عليها  
عزائمها بل كالأصوات  
النفوس الزكية إلى  
حفظها ازداد القلب  
انشرحا وانفسا  
وبصير بين القلب  
والنفس موافقة يطفئ  
أحدهما على الآخر  
وزداد كل واحد منهما  
بما يدخل على الآخر  
من الحفظ كلما أخذ  
القلب حظه من الله  
خلع على النفس خلع  
الطمأنينة فيكون  
مزيد السكينة للقلب  
مزيد الطمأنينة للنفس  
ويشدد :

إن السماء إذا اكتست  
كست الترى  
حالا يدعجها الصمام  
الرام  
وكأأخذت النفس  
حظها تروح القلب  
تروح الجوار للشفق  
براحة الجار . سمعت  
بعض الفقهاء يقول :  
النفس تقول للقلب كن

وأما الذي له حنان فالجبار السلم له حق الجوار وحق الاسلام ، وأما الذي له حق واحد الجوار المشرك (١) فانظر كيف أُنشئت للمشرك عقاب مجرد الجوار ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً » (٢) وقال النبي ﷺ « مازال جبريل يوصيني بالجوار حتى ظننت أنه سيورثه » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « أول خصمين يوم القيامة جاران » (٦) وقال عليه الصلاة والسلام « إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذنته » (٧) وروى أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له : إن لي جاراً يؤذني ويشتني ويضيئي عليّ قد لا اذهب فان هو عصى الله فيك فأطع الله فيه ، وقيل لرسول الله ﷺ « إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال صلى الله عليه وسلم هي في النار » (٨) . وجاء رجل إليه عليه السلام يشكو جاره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اصبر ثم قال له في الثالثة أو الرابعة اطرح متاعك في الطريق قال فيقبل الناس يحرمون به ويقولون ذلك فيقال آذاه جاره قال فيقولوا يقولون لعنه الله فعاده جاره فقال لبرد متاعك نوافله لأعود » (٩) وروى الزهري « أن رجلاً أتى النبي عليه السلام فبذل يشكو جاره فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادي على باب المسجد ألا إن أربيعين داراً جار (١٠) » قال الزهري أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأوماً إلى أربع جهات وقال عليه السلام « الجن والشؤم في المرأة والسكن والقرس فيمن للراة خفة مهرها وسه نكاحها وحسن خلقها وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ومن للسكن سته وحسن جوار أهله ودومه ضيقه وسوء جوار أهله ومن القرس ذله وحسن خلقه وشؤمه وسوء خلقه » (١١) .

(١) حديث الجيران ثلاثة جاره له حق وجاره له حنان وجار له ثلاثة حقوق الحديث الحسن بن سفيان واليزار في مسندهما وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث جابر وابن عدى من حديث عبد الله بن عمر وكلاهما ضعيف (٢) حديث أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً تقدم (٣) حديث مازال جبريل يوصيني بالجوار حتى ظننت أنه سيورثه تقدم عليه من حديث عائشة وابن عمر (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديث أبي شريح (٥) حديث لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه البخاري من حديث أبي شريح أيضاً (٦) حديث أول خصمين يوم القيامة جاران أحمد والطبراني من حديث غيبة بن عمار بسند ضعيف (٧) حديث إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذنته لم أجده أصلاً (٨) حديث إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال هي في النار ، أحمد والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الاسناد (٩) حديث جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال اصبر ثم قاله في الثالثة أو الرابعة اطرح متاعك على الطريق الحديث أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم (١٠) حديث الزهري ألا إن أربيعين داراً جار أبو داود في اللباسيل ووصله الطبراني من رواية الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه ورواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة وقال أربعون ذراعاً وكلاهما ضعيف (١١) حديث الجن والشؤم في المرأة والسكن والقرس فيمن للراة خفة مهرها الحديث مسلم من حديث ابن عمر الشؤم في الدار والمرأة والقرس في رواية له إن بك من الشؤم شيء حقاً وله من حديث سهل بن سعد إن كان في القرس والمرأة والسكن وللمرأة من حديث حكيم ابن معاوية للشؤم وقد يكون الجن في الدار والمرأة والقرس ورواه ابن ماجه فناء محمد بن معاوية والطبراني من حديث أسماء بنت حميس قالت يا رسول الله ماسوء الدار حنق صاحبها وخيب جيرانها .

معي في الطعام أكن معك في الصلاة وهذا من الأحوال العزيرة لا يصلح إلا لعالم رباني وكمن مدح يهلك بتوهمه هذا في نفسه ومثلهذا البديزداد بالسكاح ولا ينقص والبعيد إذا كل عليه يأخذ من الأشياء ولا تأخذ الأشياء منه وقد كان الجريد يقول : أنا أحتاج إلى الزوجة كما أحتاج إلى الطعام وسمع بعض العلماء بعض الناس يظن في الصوفية فقال يا هذا ما الذي ينقص عندك فقال يا كلون كثيراً فقالوا أنت أيضاً واجبت كما يجوعون أكلت كما يأكلون ثم قال : ويتزوجون كثيراً قال وأنت أيضاً لو حفظت فرجك كما يحفظون تزوجت كما يتزوجون قاله وأى شيء أيضاً قال يسمعون القول قال وأنت أيضاً لو نظرت كما ينظرون سمعت كما



واعلم أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط بل احتمال الأذى فإن الجار أيضاً قد كُتِبَ أداء فاقس في ذلك قضاء حق ولا يكفي احتمال الأذى بل لابد من الرفق وإسداء الخير والعروف إذ يقال إن الجار الفقير يشارك في يوم القيامة فيقول يارب سل هذا لمنعتي معروفة وسد بابي دوني وبلغ ابن القنفذ أن جارا له يبيع داره في دين ربه وكان يجلس في ظل داره فقال ما كنت إذا حرمة ظل داره إن باعها معدا قدفع إليه عن الدار وقال لا تبعها ، وشكا بعضهم كثرة الفأر في داره فقبله لوانتبت هرا فقال أخشى أن يسع الفأر صوت المهر فيقرب إلى دور الجيران فأكون قد أصبحت لهم مالا أحب لنفسى ، وجملة حق الجار أن يدهم بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال ويعوده في الرض ويصبره للصية ويقوم معه في العزاء ويهتبه في الفرح ويظهر التبركة في السرور معه ويصنع عن زلاته ولا يتطلع من السطح إلى عوراته ولا يضايقه في وضع الجفجف على جداره ولا في مصب الماء في ميزابه ولا في مطرح التراب في فائه ولا يضيق طريقه إلى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره ويستمر ما يكشف له من عوراته وينعشه من صرعه إذا نابه نائبة ولا يغفل عن ملاحظة سواده عند غيبته ويرشده إلى ما يحمله من أمر دينه ودنياه ، هذا إلى جملة الحقوق التي ذكرناها لعامة المسلمين ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « أتدرون ما حق الجار إن استعان بك أغنته وإن استصرك نصرته وإن استرضك أقرضته وإن افتقر عدت عليه وإن مرض عدهته وإن مات تبعت جنازته وإن أصابه خير هنأته وإن أصابته مصيبة عزيت ولا تستمل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بأذنه ولا تؤذنه وإذا اشترت فأكفه فأهد له فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولذك ليعظي بها ، ولله ولا تؤذنه بقتار قدرك إلا أن تعرف لمنها ، ثم قال أتدرون ما حق الجار ؟ والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله <sup>(١)</sup> » هكذا رواه عمرو بن عبيد عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال مجاهد « كنت عند عبد الله بن عمر وعملامه يسلم شاة فقال بإعلام إذا سلخت فأبدأ بجارتنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجوار حتى خشينا أنه سيورثه <sup>(٢)</sup> » وقال هشام : كان الحسن لا يرى بأسا أن تطعم الجار اليهودي والنصراني من أضيئتك ، وقال أبو ذر رضي الله عنه أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم وقال « إذا طبخت قدرا فأكثر ما همت أنظر بعش أهل بيت في جيرانك فأغرف لهم منها <sup>(٣)</sup> » وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله إن لي جارين أحسدهما متبل علي يابه والآخر ناه قيل فما سوء العداية ؟ قال تمنعها ظهريها وسوء خلقها ، قيل فما سوء المرأة ؟ قال غم رحمها وسوء خلقها وكلامها ضيف وروينا في كتاب الحيل للدمياطى من رواية سالم بن عبد الله مرسل إذا كان الفرس شربا فهو مشؤوم وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجها قبل زوجها فحنث إلى الزوج الأول فهي مشؤومة وإذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يسمع فيها الأذان والاقامة فهي مشؤومة وإسناده ضيف ووصله صاحب مسند الفردوس بذكر ابن عمر في عمره <sup>(١)</sup> حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أتدرون ما حق الجار إن استعان بك أغنته وإن استرضك أقرضته الحديث الحراطى في مكالم الأخلاق وابن عدى في الكامل وهو ضيف <sup>(٢)</sup> حديث مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وعملامه يسلم شاة فقال بإعلام إذا سلخت فأبدأ بجارتنا اليهودي الحديث أبو داود والترمذى وقال حسن غريب <sup>(٣)</sup> حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم إذا طبخت فأكثر الرق ثم انظر بعش أهل بيت من جيرانك فأغرف لهم منها رواه مسلم .

يسمعون . وكان سفيان ابن عيينة يقول كثرة النساء ليست من الدنيا لأن عليا رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول خير هذه الأمة أكثرها نساء وقد ذكر في أخبار الأنبياء أن عابدات بيت العباد حتى فاق أهل زمانه فذكر لني ذلك الزمان فقال نعم الرجل لولأنه تارك لشيء من السنة فمضى ذلك إلى العابد فأهمه فقال ما تمنعني عبادتي وأنا تارك السنة فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال نعم إنك تارك الزواج فقال ما تمنعني لأنى أحرمه وما تمنعني منه إلا أني قبيح لاشيء لي وأنا عيال على الناس بطمعي هدامرة وهذا مرة فأكره أن تزوج



( حقوق الأقارب والرحم )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أنا الرحمن وهذه الرحم شقق لها اسم من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بته (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من سره أن ينسأ له في آثره ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه (٢) » وفي رواية أخرى « من سره أن يبد له في عمره ويوسع له في رزقه فليلق أبا وليلص رحمه » وقبل رسول الله ﷺ أي الناس أفضل « قال أقام فدا وأوصلهم رحمه وأمرهم بالمعروف ونهأهم عن المنكر (٣) » وقال أبوذر رضى الله عنه « أوصاني خليلي عليه السلام بصلة الرحم وإن أدبرت وأمرني أن أتول الحق وإن كان مرا (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافي » ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها (٥) » وقال عليه السلام « إن أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونون جارا قنصوا أمولهم ويكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم (٦) » وقال زيد بن أسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عرض له رجل فقال إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فليك بئى مدبج قال عليه السلام « إن الله قد منننى من بئى مدبج بصلتهم الرحم (٧) » وقالت أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها قدمت على أمي فقلت يا رسول الله إن أمي قدمت على وهي مشركة أفأصلها ؟ قال نعم (٨) » وفي رواية أفأصلها قال نعم صلها وقال عليه السلام « الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ننتان (٩) » ولما أراد أبو طلحة أن يتصدق عائلته كان له يسجبه عملا بقوله تعالى - لن تتأوا البرحق تنفقوا مما تحبون - (١٠) قال يا رسول الله هو في سبيل الله وللفقراء وللمساكين فقال عليه السلام « وجب أجرك على الله فاقسمه في أقاربك » وقال عليه السلام « أفضل الصدقة على ذى الرحم الكشاح (١١) »

(١) حديث يقول الله أنا الرحمن وهذه الرحم الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث من سره أن ينسأ له في آثره ويوسع له في رزقه فليلق الله ويلص رحمه متفق عليه من حديث أنس دون قوله فليلق الله وهو بهذه الزيادة عند أحمد والحاكم من حديث على بن إسناد جيد (٣) حديث أي الناس أفضل فقال أقامهم فدا وأوصلهم لرحم أحمد والطبراني من حديث درة بنت أبي لهب بإسناد حسن (٤) حديث أي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصلة الرحم وإن أدبرت وأمرني أن أتول الحق وإن كان مرا ، أحمد وابن حبان وصححه (٥) حديث إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافي » ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها الطبراني والبيهقي من حديث عبدالله بن عمرو وهو عند البخاري دون قوله الرحم معلقة بالعرش فرواها مسلم من حديث عائشة (٦) حديث أعجل الطاعات ثوابا صلة الرحم الحديث ابن حبان من حديث أبي بكرة والحرثاني في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب من حديث عبد الرحمن بن عوف بسند ضيف (٧) حديث زيد بن أسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عرض له رجل فقال إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فليك بئى مدبج قال إن الله منننى من بئى مدبج بصلتهم الرحم الحرثاني في مكارم الأخلاق وزاد وطعنهم في بابت الإبل وهو مرسل صحيح الإسناد (٨) حديث أسماء بنت أبي بكر قدمت على أمي فقلت يا رسول الله أتدمن على أمي وهي مشركة أفأصلها قال نعم صلها متفق عليه (٩) حديث الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم صدقة وصلة الترمذى وحسنه والنسائي وابن ماجه من حديث سلمان بن عامر الضبي (١٠) حديث لما أراد أبو طلحة أن يتصدق بعائلته كان يسجبه عملا بقوله تعالى - لن تتأوا البرحق تنفقوا مما تحبون - الحديث أخرجه البخاري وقد تقدم (١١) حديث أفضل الصدقة على ذى الرحم الكشاح أحمد والطبراني من حديث أبي أيوب وفيه الحجاج

ابن أبي البدر الخطيب  
قال ثنا أبو الحسن طي  
ابن إبراهيم بن  
سلة القطان قال ثنا  
أبو عبد الله بن محمد  
يزيد بن ماجه قال ثنا  
أحمد بن الأزهر قال  
حدثنا آدم قال حدثنا  
عيسى بن ميمون عن  
القاسم عن عائشة  
رضي الله عنها قالت قال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « النكاح  
سقى فمن لم يعمل بسقى  
فليس مني فزوجوا إني  
مكاتب بك الأم ومن  
كان ذا طول فليكنك  
ومن لم يجد فضله  
بالصيام فإن الصوم له  
وجاه » وما ينبغي  
للمتأهل أن يحذر من  
الافراط في المخالطة  
والمعاشر مع الزوجة إلى  
حد ينقطع عن أدراجه  
وسياسة أوقاته فان  
الافراط في ذلك يقوى  
النفس وجنودها ويفتر  
ناهض الهمة . ولتأهل  
بسبب الزوجة فتنتان  
فترة لصوم حاله وفترة




إذ جاءه رجل من بني سلفة فقال يا رسول الله هل بقي لي من بر أبي شيء أبره به بعد وفاهما ؟ قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإيقاد عهدهما وإكرام صديقتهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما (١) . وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أبر البر أن يصل الرجل أهله وذاته يومه بعد أن يولى الأب (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « بر الوالدة على الوالد (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « دعوة الوالدة أسرع إجابة لرسول الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من الأب ودعوة الرحم لا تسقط (٤) » . وسأله رجل قال : يا رسول الله من أبر ؟ قال بر والدك فقال ليس لي والدان قال بر ولدك كأن لو لديك عليك حقا كذلك لو لديك عليك حق (٥) . وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله والدا أعان ولده على بره (٦) » أي لم يعله على الحقوق بسوء عمله . وقال صلى الله عليه وسلم « ساووا بين أولادكم في العطية » وقد قيل ولدك خير مما كنتك سبعا وخادمك سبعا ثم هو عبدوك أو شريكك . وقال أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « الغلام يبق عنه يوم السابع ويسمى ويمط عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ تسع سنين عزل فرائسه فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجته أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بأقمن فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « من حق الوالد على الولد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه (٨) » وقال عليه الصلاة والسلام « كل غلام رهين أو رهينة يبقته تدب عنه يوم السابع ويعلق رأسه (٩) » وقال قتادة إذا ذبحتم الثقبعة أخذت صوفة منها فاستقبلت بها وأداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسبل عنه مثل الحيط ثم يسل رأسه ويعلق بهد وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فشكا إليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال أنت

(١) حديث مالك بن ربيعة يينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بني سلفة قال هل بقي لي من بر أبي شيء الحديث أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد (٢) حديث إن من أبر البر أن يصل الرجل أهله وذاته يومه مسلم من حديث ابن عمر (٣) حديث بر الوالدة على الوالد ضعفان غريب بهذا اللفظ وقد تقدم قبل هذا بثلاثة أحاديث من حديث بهز بن حكيم وحديث أبي هريرة وهو معنى هذا الحديث (٤) حديث الوالدة أسرع إجابة الحديث لم أقف له على أصل (٥) حديث قال رجل يا رسول الله من أبر ؟ قال بر والدك فقال ليس لي والدان فقال ولدك فمك أن لو لديك عليك حقا كذلك لو لديك عليك حق أبو عمر التوفاني في كتاب معاشره الأهلين من حديث عثمان بن عفان دون قوله فمك أن لو لديك الخ وهذه القطعة رواها الطبراني من حديث ابن عمر قال الدار قطني في العلل إن الأصم وقفه على ابن عمر (٦) حديث رحم الله والدا أعان ولده على بره أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث علي بن أبي طالب وابن عمر بسند ضيف ورواه التوفاني من رواية الشعبي مرسل (٧) حديث أنس الغلام يبق عنه يوم السابع ويسمى ويمط عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ سبع سنين عزل فرائسه فإذا بلغ ثلاثة عشر ضرب على الصلاة والصوم فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجته أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الضعفاء والعقبه إلا أنه قال وأدبوه لسبع وزوجوه لسبع عشرة ولم يذكر الصوم وفي إسناده من لم يسم (٨) حديث من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وحديث عائشة وضمفهما (٩) حديث كل غلام رهين أو رهينة يبقته تدب عنه يوم السابع ويعلق رأسه أصحاب السنن من حديث حمزة قال الترمذي حسن صحيح .

فروايت بهوا أنا صابر  
على ما ترون فإذا أفرط  
القفر في للدراة ربعا  
تعدى حد الاعتدال  
في وجوه الليشة متطلبا  
رضا الزوجة فهذا خنة  
عموم حاله . وقصة  
خصوص حاله الإفراط  
في المبالغة والمخالطة  
تنتقل النفس عن  
تهد الاعتدال  
وتترقى القرض يطول  
الاسترسال فيستولى  
على القلب بسبب  
ذلك السوء والتفقه  
ويستجلس مقام الهبة  
فيقل الوارد لفة  
الأوراد ويتكدر الحال  
لامهال شروط  
الأعمال وألطف من  
هذين الفتنين خنة  
أخرى تخص بأهل  
القرب والحضور وذلك  
أن النفوس امتزاجا  
وبرابطة الامتزاج  
تقتصد وتقتصد  
وتطرى . طينيتها  
الحامدة وتلتبذ نارها  
الحامدة فدواء هذه  
الفتنة أن يكون للتأهل

أفدته ويستحب الرفق بالولد . رأى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال إنني عثرتم من الولد ما قبلت واحدا منهم قتال عليه الصلاة والسلام » إن من لا يرحم لا يرحم (١) وقالت عائشة رضي الله عنها « قال لي رسول الله ﷺ يوما أغضلي وجهك وأجاسه فجلت أغضه وأنا نائمة فغضب يدي ثم أخضعه فصل وجهه ثم نيه قال : قد أحسن بنا إذ لم يكن جلابة » (٢) ونشر الحسن والنبي صلى الله عليه وسلم على منبره قتل خنعة وقرأ قوله تعالى - إنما المومنون أولادكم فتنة - (٣) وقال عبد الله بن شداد « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بالناس إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنك قد حدث أمر فقال : إن أبني قد ارتحلني فكرهت أن أجلبه حتى يقضى حاجته » (٤) وفي ذلك فوائد إحصاها القرب من الله تعالى فإن العبد أقرب ما يكون من الله تعالى إذا كان ساجدا وفيه الرفق بالولد والبر وتسلم لأمت . وقال ﷺ « ربع الوالدين ربع الجنة » (٥) وقال يزيد بن معاوية أرسلنا إلى الأحنف بن قيس فواصلوا إليه قال : يا أبا هريرة ما تقول في الولد ؟ قال يا أمير المؤمنين عمار قولنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وصاحبة بهم فواصلوا على كل جيلة فإن طلبوا فأعطهم وإن غضبوا فأرضهم بمحوك ودم وعجوك جهنم ولا تكن عليهم تملقا جليلا فيلوا حياتك ووبودا وفاتك وبكروها فربك قتال للمعاوية له أنت يا أحنف لقد دخلت على وأنا ملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الأحنف من عنده رضي عن يزيد وبش إليه بائق أبي درهم ومائق ثوب فأرسل يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقامه إلى أهله الشرط فيمنحه الأجر الملائق إلى أخصق الوالدين وكيفية القيام فغضها فرمى ذكرناه فحق الأخوة على هذه الرألة ؟ كدمن الأخوة بل يزيد بها أمرا : أحدها أن لا كثر الملائق على أن طاعة الأيوين واجبة في الشبهات وإن لم يحب في الجهد المأخوذ إذا كانا يتصان بأفراد كلهما بالطعام فليك أن تأكل معها لأن ترك الشبهة ورغ ورمًا والوالدين حتم وكذلك ليس أن تأسر في مباح أو نافعة إلا إنها واللبادة إلى الحج الذي هو فرض الاسلام قبل لأنه في التأخير والحج والطلب العلم قبل إلا إذا سكنت طلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن في بلدك من يملك ذلك كن يمسك إنداء في بلد ليس فيها من يعلمه شرع الاسلام فليته المجرة ولا يتقيد حق

(١) حديث رأى الأعمش بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال إنني عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال من لا يرحم ليرحم البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث عائشة قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أغلى وجهه أمامة فقبلت أغسله وأنا أنفة فضرب يدي ثم أخذه ففضل وجهه قبله ثم قال فذا نحن نبالا لم يكن جارية أبجد هكذا ولأحد من حديث عائشة أن أمامة مثر بنبذة الباب فدى فضل النبي صلى الله عليه وسلم بمعه ويقول لو كان أمامة جارية لحببنا ولكسوتها حتى أنفقها وإسناده صحيح (٣) حديث عثر الحسن وهو على منبره  فزلزل فخذه وقرأ قوله تعالى - إنما أموالكم وأولادكم فتنة - أصحاب (٤) من حديث بربرة في الحسن والحسين معا يعيشان ويصيران قال الترمذي حسن غريب (٥) حديث عبد الله بن شداد عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالأسى إذ جاء الحسن فركب عنقه للناس من رواية عبد الله بن شداد عن أبيه وقال فيه الحسن أو الحسين بن الشك ورواه الحاكم وقال صحيح له شرط الشيخين (٥) حديث ربح العلو من ربح الجنة الطبراني في الصغير والأوسط وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وفيه منديل بن ربح متعف.

عند المجالية عينان  
باطنان ينظر بهما إلى  
مولاموعينان ظاهران  
يستعملهما في طريق  
هواه. وقد قالت رابعة  
في معنى هذا نظما :  
إني جلستك في القواد  
محدثي

وأبحث جسمي من  
أراد جلوسى  
على جسم من الجليس  
مؤانس .  
وحبيب قلبى فى الفؤاد  
أُنسى .

والطيف من هذا فتنة  
أخرى يغشاها التأهل  
وهو أن يصير للروح  
استرواح إلى لطف  
الجمال ويكون ذلك  
الاسترواح موقوفاً  
على الروح وبصير  
ذلك ولحظة في حب

الروح المخصوص  
بالمعلق بالحضرة الالهية  
تتبدد الروح وينسد  
باب الزيد من الفتوح  
وهذه البلادة في الروح  
يمز الشهور بها فتحذر  
ومن هذا القبيل  
دخلت الفتنة على طائفة

قالوا بالمشاهدة وإذا  
كان في باب الحلال  
وليعة في الحب يتولد  
منها بلادة الروح  
في القيام بوظائف حب  
الحضرة الإلهية لها

عظمت قيمته يدعى  
ذلك في باب غير  
مشروع يضره سكن  
النفس فيظن أنه لو  
كان من قبل الهوى  
ما صحت النفس

والنفس لا تسكن في  
ذلك دائما بل تسلب من  
الروح ذلك الوصف  
وتأخذه إليها على أن  
استحيشت عما يبئس به  
الفقونون بالمشاهدة

فوجدت الحمى من  
ذلك من سورة الفسق  
عنده رغبة شراب  
الشهوة إذ لو ذهب علة  
الشراب ما بقيت الرغبة  
فليحذر ذلك جدا

ولا يسمع ممن يدعى  
فيه حالا وصحة فانه  
مكذب مدع ولهذا  
المنى قال الأطباء الجاع  
يسكن هيجان العشق  
وإن كان من غير

الوالدين قال أبو سعيد الخدرى «هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد  
فقال عليه السلام هل باليمن أبوك قال نعم قال هل أذنالك قال لا فقال عليه السلام فارح إلى أبوك  
فاستأذنها فان فضلا فجاهدوا لا فبرها ما استطعت فان ذلك خير مما تلقى الله به بعد التوحيد (١)». وجاء آخر  
إليه صلى الله عليه وسلم ليستشيره في الفزوق فقال لك والدة قال نعم قال فارجع إلى الجدة عند جليها (٢).  
«وجاء آخر يطلب البيعة على الهجرة وقال ما جئتك حتى أبكيك والذى قال ارجع إليها فأضحكها  
كما أبكىتها (٣)» وقال عليه السلام «حق كبير الأخوة على منيرهم كحق الوالد على ولده (٤)» وقال عليه  
السلام «إذا استعصم على أحدكم دابته أو ساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته فليؤذن في أذنه (٥)»  
(حقوق المملوك)

اعلم أن ملك السكاح قد سبقت حقوقه في آداب السكاح فأما ملك اليمين فهو أيضا يقتضى حقوقا  
في العاشرة لا بد من مراعاتها فقد كان من آخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وآله أن قال «اتقوا الله فيما  
ملكتم أيما نكح أطعموهما مما تأكلون واكسوهما مما تلبسون ولا تكفوهما من العمل ما لا يطبقون  
لما أحبتن فأمسكوا وما كرهتم فيميوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله مملكتكم أيام ولو عاملكمهم  
إياكم (٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما  
لا يطيق (٧)» وقال عليه السلام «لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيء الملكة (٨)» وقال

(١) حديث أنى سعيد الخدرى هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد  
فقال صلى الله عليه وسلم باليمن أبوك قال نعم الحديث أحمد وابن حبان دون قوله ما استطعت الخ  
(٢) حديث جاء آخر إلى النبي صلى الله عليه وآله يستشيره في الفزوق قال لك والدة قال نعم قال فارجع إلى الجدة تحت  
قدمها النساء وابن ماجه والحاكم من حديث معاوية بن جهمان جاهداً أنى التي صلى الله عليه وسلم  
قال الحاكم صحيح الإسناد (٣) حديث جاء آخر فقال ما جئتك حتى أبكيك والذى قال ارجع إليها  
فأضحكها كما أبكىتها أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح  
الإسناد (٤) حديث حق كبير الأخوة على منيرهم كحق الوالد على ولده أبو الشيخ ابن جبان في كتاب  
الثواب من حديث أبي هريرة ورواه أبو داود في الراشدين من رواية سعيد بن عمرو بن العاص من مراسل  
ووصله صاحب مسند الفردوس فقال عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده سعيد  
ابن العاص وإسناده ضعيف (٥) حديث إذا استعصم على أحدكم دابته أو ساء خلق زوجته أو أحد  
من أهل بيته فليؤذن في أذنه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث الحسين بن علي بن أبي  
طالب بسند ضعيف نحوه (٦) حديث كان من آخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وآله أن قال اتقوا الله فيما  
ملكتم أيما نكح أطعموهما مما تأكلون الحديث الخ وهو مفرق في عدة أحاديث فروى أبو داود من حديث  
علي كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكتم أيما نكح وفي  
الصحيحين من حديث أنس كان آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت الصلاة  
الصلاة وما ملكتم أيما نكح ولهما من حديث أبي ذر أطعموهما مما تأكلون وألبسوهما مما تلبسون  
ولا تكفوهما ما يلبسان فان كلفتموهما فاعينوهما لفظ رواية مسلم وفي رواية لأبي داود من لا يجتمع  
مملوكيكم فاطعموهما مما تأكلون واكسوهما مما تلبسون ومن لا يلبسكم منهم فيعوه ولا تعذبوا  
خلق الله تعالى وإسناده صحيح (٧) حديث للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل  
ما لا يطيق مسلم من حديث أبي هريرة (٨) حديث لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيء  
للملكة أحمد مجموعاً والتزمى مفرقاً وابن ماجه مقتصر على سيء الملكة من حديث أبي بكر ولبس

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نفوس الخادم فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اعف عنه في كل يوم سبعين مرة» (١) وكان عمر رضي الله عنه يذهب إلى العوالي في كل يوم مبت فاذا وجد عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه منه . وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى رجلا على دابته وغلاما يسمى خلفه فقال له يا عبد الله احمله خلقك فأما هو أخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال لا يزال البعد يزاد من الله يبدأ مامشي خلفه . وقالت جارية لأبي البراء إني سمعتك منذ سنة فأنا على عمل فكيف أتصال لم فصمت ذلك فقالت أردت الرأفة منك فقال اذهب عني فأنت حر لوجه الله وقال الزهري متى قلت للملك أخراك الله فهو حر . وقيل للأحنف بن قيس ممن تسلمت الحلم ؟ قال من قيس بن عاصم ، قيل لما بلغ من حلمه ؟ قال بينا هو جالس في داره إذ أتته خادمة له بسفود عليه خواء فسقطت السفود من بها على ابنه فخرقه فأت فدعشت الجارية فقال ليس بسكن روع هذه الجارية إلا لمتك قال لها أنت حر لا بأس عليك وكان عون بن عبد الله إذا عصاه غلامه قال مأشبهك بمولاك بمولاك يصحى مولاه وأنت تصحى مولاك فأغضبه يوما فقال إنما تريد أن أضربك اذهب فأت حر وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاستجبل على جاريته بالمشاء فبعثت مسرعة ومعهما قصبة مملوءة فمقرت وأراقتا على رأس سبعاين فقال يا جارية أحرقتي قالت يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع إلى ما قال الله تعالى قال وما قال الله تعالى قالت قال - والكاملين التيط - قال قد كطمت غيظي قالت وما الفين عن الناس قال قد دفعت عنك قالت زد فإن الله تعالى يقول - والله يحب المحسنين - قال أنت حر لوجه الله تعالى . وقال ابن السكندر «إن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل البعد يقول أسألك بالله أسألك بوجه الله فلم يشفه فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح البعد فالتفت إليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم أسألك بوجه الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح البعد لا تطلق إليه فلما رأى يدك قال فانه حر لوجه الله يا رسول الله فقال لو لم تفعل اسفمت وجهك النار» (٢) وقال **عليه السلام** «والبعد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين» (٣) ولما أعتق أبو رافع بكى وقال كان لي أجران فذهب أحدهما وقال صلى الله عليه وسلم «عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشديد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وغفبت متفهم ذو عيال وأول ثلاثة يدخلون النار أمير مسلط وذو ثروة لا يعطى حق الله وقدره فخور» (٤) وعن أبي

المشوق فليعلم أن مستند الشهوة ويكذب من يدعى فيه حلا وهذه حق التأهل وقتة العزب مرور النساء بخاطره وتصورهن في متخيله ومن أعطى الطهارة في باطنه لا يدنس باطنه بخواطر الشهوة وإذا صنع الحاضر يحويه بحسن الانابة والياد بالحر يومئذ سامر الشكر كشف الحاضر وخرج من القلب إلى الصدر وعند ذلك يحذر حساس الضو بالحاضر فيصير ذلك عملا خفيا وما أتبع مثل هذا بالصادق للتطلع إلى الحضور واليقظة فيكون ذلك فاجشة الحال وقد قيل مرور الفاحشة بقلب الصارفين كفضل القاعلين لها واقعا علم . [ الباب الثاني والعشرون في القول في السباع قولاً وإثارة ] قال الله تعالى - فيشر

عند أحد منهم متكبر وزاد أحمد والترمذي البخيل والنان وهو ضيف وحسن الترمذي أحد طريقه (١) حديث ابن عمر جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم تنفعون الخادم فصمت ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح غريب (٢) حديث ابن السكندر أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا فجعل البعد يقول أسألك بالله أسألك بوجه الله فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح البعد الحديث ابن المبارك في الزهد مرسل وفي رواية لمسلم في حديث أبي مسعود الآتي ذكره فجعل يقول أعوذ بالله قال فجعل يشره فقال أعوذ برسول الله فتركه وفي رواية له قتلته هو حر لوجه الله فقال أما إنك لو لم تفعل لفقتك النار أو لمستك النار (٣) حديث إذا نصح البعد لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار فأول ثلاثة يدخلون الجنة الشاهد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده



مسعود الأنصاري قال « بينا أنا أضرب غلاما لي إذ صمت صوتان من خلفي أعلم بأبامسعود مرتين فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقيمت السوط من يدي فقال : والله أنه أنذر عليك منك على هذا (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطمعه الحلو فإنه أطيب لنفسه (٢) » رواه معاذ . وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كنى أحدكم مملوكه بطنماه فليجلبه وليأكل معه فإن لم يفعل فليتناوله لقمة (٣) » وفي رواية « إذا كنى أحدكم مملوكه صنعة طعامه فكفاه حره ومؤتته وقرب به إليه فليجلبه وليأكل معه فإن لم يفعل فليتناوله أو ليأخذ أكلة فليروغها وأشار بيده وليضمها في يده وليلكل كل هذه . ودخل على سلمان رجل وهو يعجن فقال يا أبا عبد الله ما هذا فقال بعثنا الخادم في شغل فكرهنا أن نجتمع عليه محملين وقال صلى الله عليه وسلم « من كانت عنده جارية فصالحا وأحسن إليها ثم أعنتها وتزوجها فذلك له أجران (٤) » وقد قال صلى الله عليه وسلم « كل ركع ركعتين مستول عن رعيته (٥) » فجعلته حق الملوكة أن يشركه في طعمته وكسوته ولا يكفنه فوق طاقته ولا ينظر إليه بين الكبر والازدراء وأن يعفو عن زلته ويتشكر عند غضبه عليه بهوته أو يجناحه في معاصيه وجنائه حتى حق الله تعالى وتقصيره في طاعته مع أن قدرة الله عليه فوق قدرته ووروى فضالة بن عبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة لا يشك عنهم رجل فارق الجماعة ورجل عصي إمامه فأت عاصيا فلا يسأل عنهم وإمرأة غاب عنها زوجها وقد كفهاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده فلا يسأل عنها وثلاثة لا يسأل عنهم رجل ينازع الله رداؤه السكرية وإزاره العز ورجل في شك من الله وقنوط من رحمة الله (٦) » ثم كتاب آداب الصبيح والماتر مع أصناف الخلق .

### ( كتاب آداب العزلة )

( وهو الكتاب السادس من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله الذي أعظم النعمة على خيرة خلقه وصنعت بأن صرف همهم إلى مؤانسته وأجرل حفظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته وروح أسرارهم بمناجاته وملاطفته وحق في قلوبهم النظر إلى متاع الدنيا وزهرتها حتى انقبض بمنزلة كل من طوبت الحجب عن مجارى فكرته فاستأنس بمطالعة سبحات وجهه تعالى في خلوته واستوحش بذلك عن الأنس بالإس وإن كان من أخص خاصته

الحديث الترمذي وقال حسن وابن حبان من حديث أبي هريرة .

(١) حديث أبي مسعود الأنصاري بينا أنا أضرب غلاما لي سمعت صوتان من خلفي أعلم بأبامسعود مرتين الحديث رواه مسلم (٢) حديث معاذ إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطمعه الحلو فإنه أطيب لنفسه الطبراني في الأوسط والحراطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف (٣) حديث أبي هريرة وليأكل معه فإن لم يفعل فليتناوله لقمة وفي رواية إذا كنى أحدكم مملوكه صنعة طعامه الحديث متفق عليه مع اختلاف لفظ وهو في مكارم الأخلاق للحراطي والفقيل الذين ذكرهما الضيف غير أنه لم يذكره كراجه وهذه اللفظة عند البخاري (٤) حديث من كانت عنده جارية فصالحا وأحسن إليها ثم أعنتها وتزوجها فذلك له أجران متفق عليه من حديث أبي موسى (٥) حديث كل ركع ركعتين مستول عن رعيته متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم (٦) حديث فضالة بن عبيد ثلاثة لا يسأل عنهم رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصيا الحديث الطبراني والحاكم وصححه .

( كتاب العزلة )

( الباب الأول في ثقل للذهاب والرجوع فيها )

عبد الله بن يونس  
القول فيجبون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله  
وأولئك هم أولو الألباب  
قبل أحسنه أي أهداه  
وأرشده وقال عز  
وجل - وإذا سمعوا  
ما نزل إلى الرسول ترى  
أعينهم تفيض من الدمع  
حما عرفوا من الحق -  
هذا الباع هو الباع  
الحق الذي لا يختلف  
فيه اثنان من أهل  
الإيمان محكوم لصاحبه  
بالهداية واللب وهذا  
صالح ترد حراته على  
برد اليقين تفيض  
العين بالدمع لأنه تارة  
يشير حزنا والحزن حار  
وتارة يشير خوفا  
والشوق حار وتارة  
يشير بما والندم حار  
فإذا آثار الباع هذه  
الصفات من صاحب  
قلب مجلج يرد اليقين  
أبكى وأدمع لأن  
الحار والبرودة إذا  
اصطدمتا عرما فافذا  
إلى الباع بالقلب تارة  
غفرت إليه فيظهر

والصلاة على سيدنا محمد سيد أنبيائه وخيرته وعلى آله وصحبه سادة الحق وأئمة .

[أما بعد] فإن للناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل إحداهما إلى الأخرى مع أن كل واحد منهما لا يتلفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو إليها وميل أكثر العباد والزهاد إلى اختيار العزلة وتفضيلها في المخالطة وما ذكرناه في كتاب الصلحة من فضيلة المخالطة والمخالطة والوفاة بكاد يناقض ما مال إليه الأكثر من اختيار الاستيعاش والمخالطة فكشفت الظلمة عن الحق في ذلك مهم ومحمل ذلك برسم باين . الباب الأول : في قل للذاهب والحلج فيها . الباب الثاني : في كشف الظلمة عن الحق بحصر القوائد والقوائل .

( الباب الأول في قل للذاهب والأقويل وذكر حجج الفريقين في ذلك )

أما للذاهب فقد اختلف الناس فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين فذهب إلى اختيار العزلة وتفضيلها في المخالطة سفيان الثوري وإبراهيم بن آدم ودาวود الطائي وتفضيل بن عباس وسليمان الحواري ويوسف بن أسباط وحذيفة الرعشي وبشر الحافي وقال أكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والإخوان والتألف والتجيب إلى المؤمنين والاستئانة بهم في الدين تماوت على البر والتقوى ومال إلى هذا سعيد بن السيب والشعي وابن أبي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك ابن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل وجماعة ، والمأثور عن العلماء من الكلمات ينقسم إلى كلمات مطلقة تدل على اللب إلى أحد الرأيين وإلى كلمات مقرونة بما يشير إلى علة الليل فانقل الآن مطاقات تلك الكلمات لتبين للذاهب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نوره عند التعرض لغوائل والقوائد فقول قد روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال خذوا محظكم من العزلة وقال ابن سيرين العزلة عبادة وقال الفضيل كفى بالله عجا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا وقيل أخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا . وقال أبو الريح الزاهد لدาวود الطائي عظمي قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الأبد وقال الحسن رحمه الله كلمات أحفظهن من التوراة فتح آدم فاستغنى اعزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروءته صبر قليلا فتمتع طويلا وقال وهيب بن الورد بلننا أن الحكممة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس وقال يوسف بن مسلم لمن بكى ما عجزك على الوحدة وقد كان لزم البيت فقال كنت وأنا شاب أصبر على أكثر من هذا كنت أجالس الناس ولأكلهم وقال سفيان الثوري هذا وقت السكوت وملزمة البيوت وقال بعضهم كنت في سفينة ومعنا شعب من العافية فسكت معنا سبعا لانسمع له كلاما قتلناه ياهذا قد جئنا الله وإياك منذسبح والنازك تخالطنا ولا نكلمنا فأنشأ يقول :

قليل لهم لاوله يموت ولا أمر يحافذه يموت  
فضى وطر الصبا وأقاد علما فنباتته التفرد والسكوت

وقال إبراهيم النخعي لرجل تفقه ثم اعزل وكذا قال الربيع بن خثيم وقيل كان مالك بن أنس يشهد الجنائز ويؤد الدرس ويصلي الإخوان حقوقهم ترك ذلك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول لا نبيا للمرء إن يغرب كل عدله وقبل للمعز بن عبد العزيز لو تفرغت لنا فقال ذهب الفراغ فلا فراغ إلا عند الله تعالى وقال الفضيل إني لأجد للرجل عندي بدا إذا تيقن أن لإسلامه . وإذا مرضت أن لا يودني وقال أبو سليمان الداراني بينا الربيع بن خثيم جالس على باب داره إذ جاءه حجر فركبته فنهضه فجعل يمسح الصم ويؤمل لدد وعظمت ياربيع فقام ودخل داره فاجلس بهذا ذلك على باب داره حتى أخرجهت جنازته . وكان سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد لهما يوتهما بالعقيق فلم يكونا بأتان المدينة بجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق وقال يوسف بن أسباط سمعت سفيان الثوري يقول : واثقه الذي لا إله إلا هو قد دخلت العزلة

أمر في الجسد ويقشر منه الجسد قال الله تعالى - تقشرون منه جلود الذين يغشونهم - وتارة يعظم وقسه ويتصوب أثره إلى فوق نحو الدماغ كالخبر للمغفل فيعظم وقع للتجدد الحادث فتندفق منه العين بالسمع وتارة يتصوب أثره إلى الروح فتصوم منه الروح موجبا يكاد يتحقق عنه نفاق القلب فيكون من ذلك الصباح والاضطراب وهنء كلها أحوال يجدها أربابها من أصحاب الحال وقد يحكيها بدلائل هوى النفس أرباب المجال . روى أن عمر رضي الله عنه كان ربما مر بآية في ورده فتخذه البيرة ويسقط ويترنم البيت اليوم واليومين حتى يمد ويحسب مرضا فالبحر يستجلب الرحمة من الله الكريم . روى زيد بن أسلم قال

وقال بشر بن عبد الله أهل من معرفة الناس فانك لاتدرى ما يكون يوم القيامة فان تسكن ضنفة كان من يعرفك قليلا ودخل بعض الأمراء على حاتم الأصم فقال له ألك حاجة ؟ قال نعم قال وما هي ؟ قال أن لاتراني ولا أراك ولا تعرفني وقال الرجل لسيل أريد أن أصحبك فقال إذا مات أحدنا فنم يصحب الآخر قال الله قال فليصحبه الآن وقيل للفضيل إن عليا ابنك يقول لوددت أتى في مكان أرى الناس ولا يرون فيكي الفضيل وقال يابوعلى ؟ ألا أنها قال لأراهم ولا يرون وقال الفضيل أيضا من سخافة عقل الرجل كثرة معرفة وقال ابن عباس رضى الله عنهما أفضل المجالس مجلس في قمر بيتك لاترى ولا ترى فيهذ أقاويل السائلين إلى المزملة .

( ذكر جميع السائلين إلى الخاطلة ووجه ضنفها )

احتج هؤلاء بقوله تعالى - ولاتكنوا كالكافرين تفرقوا واختلفوا - الآية وقوله تعالى - فألف بين قلوبهم - انتهى على الناس بالسلب للؤلف وهذا ضنيف لأن الراد به تفرق الآراء واختلف للذهاب في معاني كتاب الله وأصول الشريعة والراد بالألفة نزع الغوائل من الصدور وهي الأسباب الثرية لتفق الحركة للتصومات والمزملة لاتفاق ذلك واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « للؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يلف ولا يؤلف »<sup>(١)</sup> وهذا أيضا ضنيف لأنه إشارة إلى مذمة سوء الخلق التي تمتنع بسببها الألفة ولا يدخل تحتها الحسن الخلق الذي إن خالط ألف وألف ولكنه ترك الخاطلة اشتغالا بنفسه وطلبا للسلامة من غيره واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « من فارق الجماعة شرا فخلع ربة الاسلام من عنقه » وقال « من فارق الجماعة ثبات فحيتته جاهلية »<sup>(٢)</sup> وقوله صلى الله عليه وسلم « من شق عصا المسلمين والمسلمون في اسلام دامج فقد خلع ربة الاسلام من عنقه »<sup>(٣)</sup> وهذا ضنيف لأن الراد به الجماعة التي اتفقت آراؤهم على إمام بعقد البيعة فالخروج عليهم بنى وذلك مخالفة بالرأى وخروج عليهم وذلك محذور لاضطرار الخلق إلى إمام مطاع يجمع رأيهم ولا يكون ذلك إلا بالبيعة من الأكثر فالمخالفة فيها تشويش مشير لفتنة فليس في هذا تعرض للمزملة . واحتجوا بنبيه صلى الله عليه وسلم عن المهاجر فوق ثلاث إذ قال « من هجر أخاه فوق ثلاث ثبات دخل النار »<sup>(٤)</sup> وقال عليه السلام « لا يحمل لامرئ مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق يدخل الجنة »<sup>(٥)</sup> وقال « من هجر أخاه سنة فهو كسافك دم »<sup>(٦)</sup> قالوا والمزملة هجرة بالكلية وهذا ضنيف لأن الراد به التنب على الناس والهجاج فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة فلا يدخل فيه ترك المخاطلة أصلا من غير غضب مع أن المهاجر فوق ثلاث جائز في موضعين : أحدهما أن يرى فيه إصلاحا للمهجور في الزيادة . والثاني أن يرى لنفسه سلامة فيه والله وإن كان عاما فهو محمول على ما وراءه المؤمنين المخصوصين بدليل ما روى عن عائشة رضى الله عنها « أن النبي صلى الله عليه وسلم هجرها ذات الحجة

(١) حديث للؤمن من إلف مألوف الحديث تقدم في الباب الأول من آداب الصعبة (٢) حديث من ترك الجماعة ثبات فحيتته جاهلية مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم في الباب الخامس من كتاب الحلال والحرام (٣) حديث من شق عصا المسلمين والمسلمون في اسلام دامج فقد خلع ربة الاسلام الطبراني والخطابي في المزملة من حديث ابن عباس بسند جيد (٤) حديث من هجر أخاه فوق ثلاث ثبات دخل النار أبو داود من حديث أبي هريرة باسناد صحيح (٥) حديث لا يحمل لامرئ مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق بالصلح يدخل الجنة متفق عليه من حديث أنس دون قوله والسابق بالصلح زاد فيه الطبراني والثاني يبدأ بالصلح يسبق إلى الجنة (٦) حديث من هجر أخاه سنة فهو كسافك دمه أبو داود من حديث أبي خراش السلي واسمه حدر بن أبي حدر وإسناده صحيح .

قرأ أبي بن كعب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرقوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اغتصموا الصلوة عند الرقة فلها رحمة من الله تعالى » وروى أم كلثوم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا اقتسمت جلد العبد من خفية الله تخافت عنه القنوب كما تخافت عن الشجرة اليابسة ورقها وورد أيضا « إذا اقتسم الجلد من خفية الله حرمة الله تعالى على النار » وهذه جملة لاتسرك ولا اختلاف فيها إنما الاختلاف في استيعاب الأسماء بالأحوال وقد كثرت الأقوال في ذلك وتباينت الأحوال فمن منصرف بلحقه بالقسق ومن مولع به يشده بأنه واضح الحق ويتجاوزان في طرق الافراط والتفريط . قبل لأن الحسن بن سالم كيف تسكر الصالح وقد كان الجليدوسرى

والهزم وبعض صفر<sup>(١)</sup>» وروى عن عمر<sup>(٢)</sup> أنه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا وصعد إلى غرقة له وهي خزائنه فلبث تسما وعشرين يوما فلما نزل قيل له إنك كنت فيها تسما وعشرين فقال الشهر قد يكون تسما وعشرين<sup>(٣)</sup>» وروث عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال<sup>(٤)</sup> لا يجل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام إلا أن يكون ممن لا تؤمن بوائقه<sup>(٥)</sup> فهذا صريح في التخصيص وعلى هذا ينزل قول الحسن رحمه الله حيث قال : هجران الأحق قرابة إلى الله فإن ذلك بدوم إلى الموت إذ الحاقة لا ينتظر علاجها وذكر عند محمد بن عمر الواقدي رجل هجر رجلا حتى مات فقال هذا شيء قد تقدم فيه قوم : سعد بن أبي وقاص كان مهاجرا للعار بن ياسر حتى مات وعثمان بن عفان كان مهاجرا لميد الرحمن بن عوف وعائشة كانت مهاجرة لحفصة وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى ماتا وكل ذلك يعمل على رؤيتهم سلامتهم في المهاجرة . واحتجوا بما روى<sup>(٦)</sup> أن رجلا أتى الجبل ليتبذ فيه غنى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل أنت ولا أحد منكم لصبر أحدكم في بعض مواطن الإسلام خير له من عبادة أحدكم وحده أربعين عاما<sup>(٧)</sup>» والظاهر أن هذا إنما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه في ابتداء الإسلام بدليل ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال «غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفرنا ينشب فيه عينة طيبة الماء فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولقي أفضل ذلك حتى أذكره رسول الله ﷺ قال صلى الله عليه وسلم : لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله خير من صلته في أهله ستين عاما ألا تخبون أن يفر الله لكم وتدخلوا الجنة اغزوا في سبيل الله فإنه من قاتل في سبيل الله فوق ناقة أدخله الله الجنة<sup>(٨)</sup>» واحتجوا بما روى معاذ بن جبل<sup>(٩)</sup> قال «إن الشيطان ذئب الإنسان كذب النعم يأخذ القاصية والناحية والثاردة وإياكم والشعب عليكم بالعامه والجماعة والساجد<sup>(١٠)</sup>» وهذا إنما أراد به من اعتزل قبل تمام العلم وسبأى بيان ذلك وأن ذلك ينهى عنه إلا لفروضة .

( ذكر حجج المائلين إلى تفضيل العزلة )

احتجوا بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام - واعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعو ربى - الآية ثم قال تعالى - فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا - إشارة إلى أن ذلك يترك العزلة وهذا ضابط لأن مخالطة الكفار لا فائدة فيها إلا دعوتهم إلى الدين . وعند الألبان من إيجابهم فلا وجه إلا هجرهم وإنما الكلام في مخالطة السليين وما فيها من البركة

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم هجر عائشة ذا الحجة والهزم وبعض صفر . قلت : إنما هجر زينب هذه للذة كما رواه أبو داود من حديث عائشة وسكت عليه فهو عندنا صالح (٢) حديث عمر أنه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا الحديث متفق عليه (٣) حديث عائشة لا يجل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث إلا أن يكون ممن لا يؤمن بوائقه ابن عسدى وقال غريب اللقن والاستناد وحديث عائشة عند أبي داود دون الاستثناء بإسناد صحيح (٤) حديث أن رجلا أتى الجبل ليتبذ فيه غنى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل الحديث البيهقي من حديث عيسى بن سلامة قال ابن عبد البر يقولون إن حديثه مرسل وكذا ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٥) حديث أبي هريرة غزونا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرنا شعب فيه عينة طيبة الماء غزيرة فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب الحديث الترمذى وقال حسن صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم إلا أن الترمذى قال سبعين عاما (٦) حديث معاذ بن جبل الشيطان ذئب الإنسان كذب النعم يأخذ القاصية أحمد والطبراني ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعا .

السفلى وذو النون  
يسمون قال كيف  
أشكر الباع وقد أجازه  
وصحه من هو خير منى  
قد كان جعفر الطيار  
يسمع وإنما للسكر  
الدهو واللب في الباع  
وهذا قول صحيح .  
أخبرنا الشيخ طاهر بن  
أبي الفضل عن أبيه  
الحافظ القدسي قال أنا  
أبو القاسم الحسين بن  
محمد بن الحسن الخوافي  
قال أنا أبو محمد عبد الله  
ابن يوسف قال ثنا  
أبو بكر بن وثاب وقال ثنا  
عمرو بن الحرث قال ثنا  
الأوزاعي عن الزهري  
عن عروة عن عائشة  
رضي الله عنها « أن أبا  
بكر دخل عليها وعندها  
جلستان فتبينان  
وتضربان بدفين  
ورسول الله صلى الله  
عليه وسلم مبجى  
بشوه فاتبرهما أبو بكر  
فكثف رسول الله  
صلى الله عليه وسلم عن  
وجهه وقال : دعهما  
يأبأ بكرفاتها أيام عيدها

لما روى أنه قيل « يارسول الله الوضوء من جر حجر أحب إليك أو من هذه الطاهر التي يظهر منها الناس فقال يل من هذه الطاهر انماسا لبركة أيدي المسلمين (١) » وروى « أنه صلى الله عليه وسلم لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم يشرب منها فاذا الحجر المنيع في حياض الأدم وقد منه الناس بأيديهم وهم يتناولون منه ويشربون فاستقى منه وقال اسقوني فقال العباس إن هذا التبيذ شراب قد مثث وخبيث لا يأبدي أفلا آتيك شراب أنظف من هذا من جر بحرفي البيت فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس أخلص بركة أيدي المسلمين فخرّب منه (٢) » فإذا كيف يستدل بأعزال الكفار والأصنام على أعزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم واحتجوا أيضا بقول موسى عليه السلام - وإن لم تؤمنوا لي فاعزّلون - وأنه فرغ إلى العزلة عند اليأس منهم وقال تعالى في أصحاب الكهف - وإذا اعزّلهم وما يبدون إلا قافوا إلى الكهف ينشركم ربكم من رحمته - أمرهم بالعزلة « وقد اعزّل نبينا صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه بأعزالهم والمهجرة إلى أرض الحبشة (٣) » ثم تلاحقوا به إلى المدينة بعد أن أهل الله كلمته وهذا أيضا أعزال عن الكفار بعد اليأس منهم فانه صلى الله عليه وسلم لم يعزّل للمسلمين ولا من توقع إسلامه من الكفار وأهل الكهف لم يعزّل بعضهم بضاهم مؤمنون وإنما اعزّلوا الكفار وإنما النظر في العزلة من المسلمين واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عامر الجهني لما قال « يارسول الله ما لنا نتجاء ؟ قال ليسمك بيتك وأسكنك عليك لسانك وابتك على خطيئتك (٤) » وروى أنه قيل له صلى الله عليه وسلم « أي الناس أفضل ؟ قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله تعالى قيل ثم من ؟ قال رجل معزّل من شعب من الشعاب يبعد ربه ويدع الناس من شره (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحبّ العبد التي التي الحق (٦) » وفي الاحتجاج بهذه الأحاديث نظر فاما قوله لعبد الله بن عامر

(١) حديث قبله صلى الله عليه وسلم الوضوء من جر حجر أحب إليك أو من هذه الطاهر التي يظهر منها الناس فقال يل من هذه الطاهر الحديث الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر وفيه ضعف (٢) حديث لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم يشرب منها فاذا الحجر المنيع في حياض الأدم قد منه الناس بأيديهم الحديث وفيه قال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس رواه الأزرقي في تاريخ مكّ من حديث ابن عباس بسند ضعيف ومن رواية طائوس مرسل نحوه (٣) حديث أعزاله صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه بأعزالهم والمهجرة إلى الحبشة الحديث رواه موسى بن عقيب في الغزاري ومن طريقه في الباقى في الدلائل عن ابن شهاب مرسل ورواه ابن سعد في الطبقات من رواية ابن شهاب عن ابن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام مرسل أيضا وصله من رواية أبي سلمة الحضرمي عن ابن عباس إلا أن ابن سعد ذكر أن الشريكين حصروا بني هاشم في الشعب وذكر موسى بن عقيب أن أبا طالب جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومغازى موسى بن عقيب أصح للغزاري وذكر موسى بن عقيب أيضا أنه أمر أصحابه حين دخل الشعب بالخروج إلى أرض الحبشة ولأبي داود من حديث أبي موسى أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن ينطلق إلى أرض التجاني قال البيهقي وإسناده صحيح ولأحمد من حديث ابن مسعود يشاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى التجاني وروى ابن إسحق بإسناد جيد ومن طريقه البيهقي في الدلائل من حديث أم سلمة أن أرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاد الحديث (٤) حديث سأله عقيب بن عامر يارسول الله ما لنا نتجاء ؟ فقال ليسمك بيتك الحديث الترمذي من حديث عقيب وقال حسن (٥) حديث أي الناس أفضل فقال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قيل ثم من قال رجل معزّل الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري (٦) حديث إن الله يحبّ العبد التي التي الحق مسلم

وقالت عائشة رضى الله عنها « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستتر بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في السجد حتى أكون أنا أمام » قد ذكر الشيخ أبو طالب للسك رحمة الله ما يدل على تجويزه وتدل عن كثير من السلف صحابي وتابعي وغيرهم وقول الشيخ أبي طالب للسك يستبرأون فور عليه وكال حاله وعلمه بأحوال السلف ومكان ورعه وتجوّزه وتجريه الأصواب والأولى وقال في البيع حرام وحلال وشبهة فمن سمعه بنفس مشاهدة شهوة وعوى فهو حرام ومن سمعه بمقوله على مقعة مباح من جلبة أو زوجة كان شبهة لدخول اللهو فيؤمن سمعه بقلبه يشاهد معاني تدل على الدليل ويشهد طرافات الجليل فهو مباح وهذا

فلا يمكن تنزيهه إلا على ما عرفه صلى الله عليه وسلم بنور النبوة من حاله وأن لزوم البيت كان أليق به وأسلم له من المخالطة فانهم يأمر جميع الصحابة بذلك ورب شخص تكون سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد تكون سلامته في القعود في البيت وأن لا يخرج إلى الجهاد وذلك لا بدل على أن ترك الجهاد أفضل وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الذي يخالط الناس ويصبر على أذىهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذىهم » (١) وعلى هذا ينزل قوله عليه السلام « رجل معتزل بعيد ربه وبدع الناس من شره » فهذا إشارة إلى شر كثير بطبعه تتأذى الناس بمخالطته وقوله « إن الله يحب التقي الحق » إشارة إلى إشارته المحمود وتوقى الصيرة ، وذلك لا يتعلق بالعزلة فكأن من راهب معتزل تعرفه كافة الناس وكفى مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة فهذا تعرض لأمر لا يتعلق بالعزلة ، واحتجوا بما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « ألا أنبئكم بخير الناس قالوا بلى يا رسول الله فأشار يده نحو الغرب وقال رجل أخذ بستان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه ألا أنبئكم بخير الناس بعده وأشار يده نحو الحجاز وقال رجل في غنمه قيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويحرم حق الله في ماله اعتزل شرور الناس » (٢) فإذا ظهر أن هذه الأدلة لا شفاء فقامن الجانبين فلا بد من كشف النطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائها ومقاساة بعضها بالبعض ليعين الحق فيها .

(الباب الثاني : في فوائد العزلة وغوائها وكشف الحق في فضائلها)

اعلم أن اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة السكاح والعزوبة ، وقد ذكرنا أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص بحسب ما ضلوا من آفات السكاح وفوائده فكذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر أولا فوائد العزلة وهي تنقسم إلى فوئدة دينية ودنيوية والدينية تنقسم إلى ما يمتنع من تحصيل الطاعات في الخلوة والمواطبة على العبادة والفكر وتربية العلم وإلى ما يخلص من ارتكاب الناهي التي يتعرض للانسان لها بالمخالطة كالرياء والفتنة والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من جلساء السوء . وأما الدنيوية فتقسم إلى ما يمكن من التحصيل بالخلوة كتمكين المحترف في خلوته إلى ما يخلص من محذورات تعرض لها بالمخالطة كالنظر إلى زهرة الدنيا وإقبال الخلق عليها وطعمته للناس وطعم الناس فيه وانكشاف ستر مروءته بالمخالطة والتأذى بسوء خلق الجليس في مرأته أو سوء ظنه أو بغيته أو محاسناته والتأذى بقلقه وتشويه خلقته وإلى هذا ترجع جميع فوائد العزلة فلتحصرها في ست فوائد :

(الفائدة الأولى)

التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الحق والاشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى في أمر الدنيا والآخرة وملكوته السموات والأرض فان ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسرابة إليه ، ولهذا قال بعض الحكماء لا يمكن أحد من الخلوة إلا بالناسك بكتاب الله من حديث سعد بن أبي وقاص (١) حديث الذي يخالط الناس ولا يصبر على أذىهم الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر ولم يسم الترمذي الصحابي قال شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والطريق واحد (٢) حديث ألا أنبئكم بخير الناس قالوا بلى قال فأشار يده نحو الغرب وقال رجل أخذ بستان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه الحديث الطبراني من حديث أبي بصير لأنه قال نحو الشرق بدل الغرب وفيه ابن اسحق رواه بالعملة وللترمذي والنسائي نحوه مختصرا من حديث ابن عباس قال الترمذي حديث حسن .

(الباب الثاني : في فوائد العزلة وغوائها)

قول الشيخ أبي طالب السكي وهو الصحيح فإذا لا يطلق القول بمنعه وتحريمه والانكار على من يسمع كنفل القراء للزهدين البالغين في الانكار ولا يفسح فيه على الإطلاق كنفل بعض المشتهرين به المهملين شروطه وآدابهم للقيمين على الإصرار وتفصل الأمر فيه تفصيلا ونوصيه بالمهابة فيه تحريما وتعليلها فأما الهدف والشابة وان كان فيها في مذهب الشافعي فسحة فالأولى تركها والاختذ بالأحوط والخروج من الخلاف وأما غير ذلك فان كان من القاصدين في ذكر الجنة والتأثر والتشويق إلى دار القرار ووصفهم الملك الجبار وذكر العبادات والترغيب في الحيات فلا سبيل إلى الانكسار ومن ذلك القليل قصائد العزلة

تعالى وللتمسكون بكتاب الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله القدا كرون الله باقه عاشوا بذكر الله واتوا بذكر الله ولتوا الله بذكر الله ، ولاشك في أن هؤلاء تنعمهم المحاطة عن الفكر والذكر فالمرلة أولى بهم ، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم في ابتداء أمره يقبل في جبل حراء وينزل إليه حتى قوى في نور النبوة (١) فكان الخلق يعجبونه عن الله فكان يده مع الخلق وقبله مقبلا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر خليله ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن استغراق همه بالله فقال «لو كنت متخذنا خليلًا لأخذت أبا بكر خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله» (٢) ولن يسع الجوع بين محاطة الناس ظاهرا والاقبال على الله سرا إلا قوة النبوة فلا ينبغي أن يتوكل ضعيف بنفسه فقطع في ذلك ولا يمد أن تنهى درجة بعض الأولياء إليه ، فقد نقل عن الجليل أنه قال أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أني أكلمهم وهذا إنما يتيسر للسفر في حبب الله استغراقا لايق لغيره فيه متسع وذلك غير منكر في المشتهرين بحب الخلق من محاط الناس بيده وهو لا يدري مايقول ولا مايقال له لقرط عشته لحيوه به بل الذي دحاهم لم يشوش عليه أمرا من أمور دينه فقد يستغرقه الهم بحيث محاط الناس ولا يسمعون أصواتهم لشدة استغراقه وأمر الآخرة أعظم عند الغلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الأولى بالأكثرين الاستمانه بالمرلة ، ولذلك قيل لبعض الحكماء ما الذي أرادوا بالخلوة واختيار المرلة فقال يستدعون بذلك دوام الفسكرة وثبت العلوم في قلوبهم ليجوا حياة طيبة ويدفوقوا حلوة المرقة وقيل لبعض الرهبان ما أصبرك على الوحدة فقال ما أنا وحدي أنا جالس على شيء إذا حدثت أن أتبعني قرأت كتابه وإذا جئت أن أتابعه صليت وقيل لبعض الحكماء إلى أي شيء أفضى بكم الزهد والخلوة فقال إلى الأنس بالله وقال سفيان بن عيينة لقيت إبراهيم ابن آدم رحمه الله في بلاد الشام قتلته بإبراهيم تركت خراسان فقال ما نهأت بالعيش إلا ههنا أفر يدين من ضاحق في براني يقول موسوس أوحمل أوملاح وقيل لغزوان الرقشي هبك لاتضعك فما يمتك من جملة إخوانك قال إني أصيب راحة قلبي في مجالسة من عنده حاجتي وقيل للحسن بابا سيدهم رجل لم تزه قطجالا إلا وحده خلف سارية فقال الحسن إذا رأيتموه فأخبروني به فظفروا إليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي أخبرناك به وأشاروا إليه فمضى إليه الحسن وقال له يا عبد الله أراك قد حببت إليك المرلة فما يمتك من مجالسة الناس فقال أمر شغلني عن الناس قال فما يمتك أن تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس إليه فقال لأمر شغلني عن الناس وعن الحسن فقال له الحسن وما ذلك الشغل يرحمك الله فقال إني أصبح وأمسى بين نعمة وذنوب فرأيت أن أشغل نفسي بشكر الله تعالى على النعمة والاستغفار من الذنوب فقال له الحسن أنت يا عبد الله أفقه عندي من الحسن فالزم ما أنت عليه وقيل بينا أويس القرني جالس إذ أتته هرة بن حيان فقال له أويس ما جاء بك قال جئت لأنس بك فقال أويس ما كنت أرى أن أجد يعرف ربه فيأنس بغيره وقال الفضيل إذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت أخو برقي وإذا رأيت الصبح أدركني استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجيئني من شغلني عن ربي وقال عبد الله بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة قبله وكيف ذلك قال بتأجي الله في الدنيا ويجاوره في الآخرة وقال ذواتون المصري سرور المؤمنين ولذته في الخلوة بعبادة ربه وقال مالك بن دينار من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقات

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم في أول أمره يقبل في جبل حراء وينزل إليه متفق عليه من حديث عائشة نحوه فكان يغلو بنار حراء يتحدث فيه الحديث (٢) حديث لو كنت متخذنا خليلًا لأخذت أبا بكر خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله مسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

والهجاج في وصف  
الغزو والهجج مما يثير  
كامن الزعم من الغزى  
وساكن الشوق من  
الحاج وأما ما كان من  
ذكر التدود والحدود  
ووصف النساء فلا يليق  
بأهل الديانات الاجتناع  
لذلك وأما ما كان  
من ذكر الهجر والوصل  
والقطيعة والصد مما  
يقرب حمله على أمور  
الحق سبحانه وتعالى  
من تلون أحوال  
الريدين ودخول  
الآفات على الطالبين  
فمن مع ذلك وحدث  
عنده ندم على ما فات  
أو تجدد عنده عزم  
لما هو آت فكيف  
يكون سماعه وقد قيل  
إن بعض الواجد  
يقفان بالباع ويتقوى  
به على الطغ والوصال  
ويشتر عنه من الشوق  
ما يذهب عنه لخب  
الجوع فاذا استمع  
المبد إلى بيت من  
الشعر وقلبه حاضره  
كان يسمع الحادى

فقد دل علمه وعمى قلبه وصنع عمره . وقال ابن المبارك ما أحسن حال من انقطع إلى الله تعالى وبروى عن بعض الصالحين أنه قال بينما أنا أسير في بعض بلاد الشام إذا أنا بما يدخر من بعض تلك الجبال فلما نظرت إلى تنهى إلى أصل شجرة وقتر بها قتلت سبحانه الله تبخل على النظر إليك فقال يا هذا إنى أقت في هذا الجبل دهرًا طويلًا أعالج قلبي في الصبر عن الدنيا وأهملها فقال في ذلك تنهى وفيه عمرى فسألت الله تعالى أن لا يجعل حظي من أبهى في مجاهدة قلبي فسكنه الله عن الاضطراب وألفه الوحدة والافتراد فلما نظرت إليك خفت أن أتع في الأمر الأول فإليك عنى فإنى أعوذ من شرك رب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح وأغماه من طول اللسك في الدنيا ثم حول وجهه عنى ثم نقض يديه وقال إليك عنى يا دنيا لى فزنى وأهلك فزنى ثم قال سبحانه من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع إليه ما لم يفرق قلوبهم عن ذكر الجنان وعن المحور الحسان وجمع مهمهم في ذكره فلا شئ ألد عنهم من مناجاة ثم مضى وهو يقول قدوس قدوس فإذا في الخلوة أنسى بذكر الله واستكنار من معرفة الله وفي مثل ذلك قيل :

وإني لأستبشى وماني غشوة لعل خيالاً منك يلقى خيالاً  
وأخرج من بين الجالوس لعلنى أحدث عنك النفس بالرخال

ولذلك قال بعض الحكماء إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ ملاقة الناس ويطرده الوحشة عن نفسه بالكون معهم فلذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستبين بها على السكرة ويستخرج العلم والحكمة . وقد قيل الاستئناس بالناس من علامات الافلاس فلذا هذه قاعدة جزيئة ولكن في حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الفكر الأنس بالله أو بدوام الفكر التحقق في معرفة الله التجرد له أفضل من كل ما يتحقق في غاية العبادات ومغرة العلامات أن يموت الإنسان بما عارف بالله ولا عجب إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة إلا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط في كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة .

### ( القاعدة الثانية )

التخلص بالزلة عن الماعى التى يتعرض للانسان لما غالباً بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهى أربعة القية والنجمة والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومساورة الطبع من الأخلاق الإردية والأعمال الجنبية التى يوجبها الحرس على الدنيا . أما القية فلذا عرفت من كتاب آفات اللسان من ربح المملكات وجوها عرفت أن الخلوة عزها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها إلا الصديقون فإن عادة الناس كافة التضمض بأعراض الناس والتفكه بها والتقليل بمخالطتها وهى مطمئن ولذتهم وإليها يستروحون ومن حشمتهم في الخلوة فإن خالطتهم وواقفتهم أتمت وتمرست لسلطه الله تعالى وإن سكت كنت شريكاً ولستمع أحد الثنائين وإن أنكرت أبضوك وتركوا ذلك للفتاب واعتابوك فلا زادوا غية إلى غية وربما زادوا على القية وانهموا إلى الاستغفاف والتمتع . وأما الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهو من أصول الدين وهو واجب كما سيأتى بيانه في آخر هذا الربع ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فإن سكت عنى الله به وإن أنكر تعرض لأتواع من الضر إذ ربما يجره طلب الخلاص منها إلى معاصى أكبر مما نهى عنه ابتداء وفي الزلة خلاص من هذا فإن الأمر في إلهاله شديد والقيام به شاق . وقد قام أبو بكر رضى الله عنه خطيباً وقال وأبها الناس إنكم تفرمون هذه الآية - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اعتدبتهم - وإنكم تفتنونها في غير موضعها وإن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه .

أتوب إليك يا رحمن إنى  
أسأت وقد تضاعفت  
الذنوب

فأما من هو لى وحى  
زيارتها دنى لا أتوب  
فطاب قلبه لما يجده  
من قوة عزمه على  
الثبات في أمر الحق  
إلى المات يكون في  
معاذه هذا ذاكرة

تعالى . قال بعض  
أصحابنا سكتا نعرف  
مواعيد أصحابنا في  
ثلاثة أشياء عند  
اللسال وعند القشب  
وعند الباع . وقال  
الجند تزل الرحمة  
على هذه الطائفة في

ثلاثة مواضع عند  
الأكل لأنهم يأكلون  
عن ذقة عند المذاكرة  
لأنهم يتجاوزون في  
مقامات الصديقين  
وأحوال التبيين وعند  
الباع لأنهم يسمعون  
بوجد ويشبهون حقاً  
ومثل روم عن وجد  
الصوفية عند الباع  
فقال يتبهون للمانى  
التي تعرب عن غيرهم



أوشك أن يسمم الله بقاب<sup>(١)</sup> « وقد قال صلى الله عليه وسلم » إن الله ليسأل العبد حتى يقول له مامنك إذا رأيت للشكر في الدنيا أن تنكره فإذا لقن الله العبد حبه قال يارب رجوتك وخفت الناس<sup>(٢)</sup> » وهذا إذا خاف من ضرب أو أمر لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكلة وفيه خطر وفي العزة خلاص وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إثارة للغصومات وتحريك لتوائل الصدور كاقيل :  
وكم سفت في آثاركم من نصيحة وقد يستفيد البضعة للتصح

ومن جرب الأمر بالمعروف فاعلم عليه غالباً فإنه يكدر مائل يريد الإنسان أن يقيه فيوشك أن يسقط عليه فإذا سقط عليه يقول باليقين تركته ما لا تلم ولم وجد أعواناً أسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة لاستقام وأنت اليوم لا تجد أعواناً فدعهم وأنج نفسك . وأما الرياء فهو الداء الضال الذي يسر على الأبدال والأوتاد الاحتراز عن كل من خالط الناس داراً ومن دارهم راءهم ومن راءهم وقع فياوقه فيه وهلك كما هلكوا أو أقل ما يلزم فيه التفاق ذلك إن خالطت متعدين ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بفضا إليهما جميعاً وإن جالبتما كنت من شرائر الناس . وقال **عليه السلام** « تجدون من شرار الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه<sup>(٣)</sup> » وقال عليه السلام « إن من شر الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه<sup>(٤)</sup> » وأقل ما يجب في مخالطة الناس إظهار الشوق والبالغة فيه ولا تخلو ذلك هلك كذب إما في الأصل وإما في الزيادة وإظهار الشفقة بالسؤال عن الأحوال بقولك كيف أنت وكيف هلك وأنت في الباطن فارغ القلب من همومه وهذا فاق بعض قال سرى لودخل على أنع لي فوسم ليحيى يدي لدخوله لحديث أن أ كتب في جريدة الناقلين وكان الفضيل جالساً وحده في المسجد الحرام فجاء إليه أنعه فقال له ما جاء بك قال له لؤي أني يا أبا علي قال له والله بالمواساة أشبه هل تريد إلا أن تترنلى وأترن لي كذبتك لي وأنا كذب لك إما أن تخوم عني أو أقوم عك . وقال بعض العلماء أحباب الله عدا إلا أحب أن لا يشعر به ودخل طاوس على الخليفة هشام فقال كيف أنت يا هشام غضب عليه وقال لم تخاطبني بأمر المؤمنين فقال لأن جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك غشيت أن أكون كاذباً فمن أمكنه أن يجترز هذا الاحتراز فليخاطب الناس وإلا فليرض بآثبات اسمه في جريدة الناقلين فقد كان السلف يتلون ويحفظون في قولهم كيف أصبحت وكيف أصبحت وكيف أصبحت وكيف أصبحت وكيف أصبحت وكيف أصبحت قال الحسن بن علي قال قال حاتم الأصم لحامد القفاف كيف أنت في هلك قال سالم معاني فكره حاتم جوابه وقال يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجفوة كان إذا قيل لعيسى صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت قال أصبحت لأملك تقديم ما أرجو ولا أستطيع دفع ما أحاذر وأصبحت مرتجاً بعضي والخير كله في يدغري ولا تقير أقر منى وكان الرابع بن خنم إذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحت من صفاء مذهبين نستوي أرواقتنا وننتظر آجالنا وكان أبو الرداءة إذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحت بغير إن نبوت من النار وكان سفيان الثوري إذا قيل له كيف أصبحت يقول أصبحت أشكر ذا إلى ذا وأؤم ذا إلى ذا وأقر منى ذا إلى ذا وقيل لأويس الترمذي كيف أصبحت

(١) حديث أبي بكر إنك ترمون هذه الآية - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اعتديتم - وإنك لتضعونها في غير موضعها الحديث أصحاب السنن قال الترمذي حسن صحيح (٢) حديث ابن أبي شيبة الحديث إذا رأيت للشكر في الدنيا أن تنكره الحديث ابن ماجه من حديث أبي سعيد الحدرى بإسناد جيد (٣) حديث تجدون من شرار الناس ذا الوجهين متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث إن من شر الناس ذا الوجهين مسلم من حديث أبي هريرة وهو الذي قبله .

فيشير إليهم إلى  
فيتسمون بذلك من  
الفرح ويقع الحجاب  
لوقت فيعود ذلك  
الفرح بكاء فمنهم من  
يعزق ثيابه ومنهم من  
يسكن ومنهم من يصيح .  
أخبرنا أبو زرعة بإجازة  
عن ابن خلف بإجازة  
عن السلي قال سمعت  
أبا سهل محمد بن سليمان  
يقول للسمع بين  
استاروا نخل فالاستار  
بورث التلهب والتجلى  
بورث الزبد فالاستار  
يتولد منه حركات  
للريدين وهو محل  
الضعف والعجز والتجلى  
يتولد منه السكون  
لواصلين وهو محل  
الاستقامة والتحكين  
وكذلك محل الحضرة  
ليس فيه إلا التدبول  
نحت موارد الحياة قال  
الشيخ أبو عبد الرحمن  
السلي . سمعت جدي  
يقول للسمع ينبغي  
أن يستمع قبله وبعده  
ميتة ومن كان قلبه  
ميتاً وقصبة لا يعمل

أصبحت قال كيف يصبح رجل إذا أمسى لا يهري أنه يصبح وإذا أصبح لا يهري أنه يمسي . وقيل لما لك ابن دينار كيف أصبحت قال أصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد . وقيل لبعض الحكماء كيف أصبحت قال أصبحت لأرضي جاني لعماني ولا أغضب لربي . وقيل لحكيم كيف أصبحت قال أصبحت آكل رزق ربي وأطعم عدوه إبليس . وقيل لعماد بن واسع كيف أصبحت قال ما لك برجل يرع كل يوم إلى الآخرة مرحلة . وقيل لحامد اللفاف كيف أصبحت قال أصبحت أشتهي عافية يوم إلى الليل قيل له أنت في عافية في كل الأيام قال العافية يوم لا أعصى الله تعالى فيه . وقيل لرجل وهو يعود نفسه ما حاله فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبرا موحشا بلا مؤنس وينطلق إلى ملك عدل بلا حجة . وقيل لحنان بن أبي سنان ما حاله قال ما حال من يموت ثم يموت ثم يموت بحاسب . وقال ابن سيرين لرجل كيف حاله فقال وما حال من عليه خبائة درهم ديه وهو مبعول فدخل ابن سيرين منزله فأخرج له ألف درهم فدفنها إليه وقال خبائة اقض بها دينك وخبائة عد بها لي نفسك وعيالك ولم يكن عنده غيرها ثم قال والله لا أسأل أحدا عن حاله أبدا وإنما فعل ذلك لأنه خشي أن يكون سؤاله من غير اهتمام بأمره فيكون بذلك مرايا مناققا فقد كان سؤاله عن أمور الدين وأحوال القلب في معاملة الله وإن سألوها عن أمور الدنيا فمن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة وقال بعضهم إنني لأعرف أنوما كانوا لا يتلاقون ولو حكم أحدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه وأرى الآن أنوما يتلاقون ويشاءون حتى عن الدجاجة في البيت ولو أنبسط أحدهم لجة من مال صاحبه لمنعه فهل هذا لا يجرّد الرياء والنفاق وآية ذلك أنك ترى هذا يقول كيف أنت ويقول الآخر كيف أنت فالسائل لا ينتظر الجواب وللشئول يشتغل بالسؤال ولا يجيب وذلك لمعرفته بأن ذلك عن رياء وتكسلف ولعل القلوب لا تخفى عن صفاتها وأخادقها ألسنة تنطق بالسؤال . قال الحسن إنما كانوا يقولون السلام عليكم إذا سلمت والله القلوب وأما الآن فكيف أصبحت عاكف الله كيف أنت أصلحك الله فإن أخذنا بقولهم كانت بدعة لا كرامة فإن شاءوا غضبوا علينا وإن شاءوا لا وإنما قال ذلك لأن البداية بقولك كيف أصبحت بدعة وقال رجل لأبي بكر بن عياش كيف أصبحت فما أجابه وقال دعونا من هذه البدعة وقال إنما حدث هذا في زمان الطاعون الذي كان يدعى طاعون حمواس الشام من اللوث الذي كان الرجل يلقاه أخوه غدوة فيقول كيف أصبحت من الطاعون وبقائه عشية فيقول كيف أصبحت والقصد أن الالتفات في غالب العادات ليس بخلاص من أنواع من التصنع والرياء والنفاق وكل ذلك مذموم بعضه محظور وبعضه مكروه وفي المزالة الخلاص من ذلك فإن من لقي الحق ولم يخالفهم بأخلاقهم مقنونه واستمقلوه واغتاوبوه وتشرعوا لإبدائه فينجب دينهم فيه وينهب دينه ودينه في الانتقام منهم . وأما مسارقة الطبع مما يشاهده من أخلاق الناس وأعمالهم فهو أدهن نقابا تبته له المقادير فضلا عن المفاظين فلا يجالس الإنسان فاسقا مدة مع كونه منكرا عليه في باطنه إلا ولو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته لأدرك بينهما تفرقة في النفرة عن الفساد واستتغاله إذ يصير الفساد بكثرة الشاهدة هينا على الطبع فيستطو وقعه واستعظامه له وإنما الوازع عنه شدة وقعه في القلب فإذا صار مستصغرا بطول الشاهدة أوشك أن تتحل النفرة الوازع ويذهب الطبع لليل إليه أو لما دونه ومنها طالت مشاهدته للكبار من غير استحقاق الصنائع من نفسه ولذلك يزدرى الناظر إلى الأغنياء نعمة الله عليه فنؤثر مجالستهم في أن يستصغروا عنده وتؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما أتبع له من التوكل وكذلك النظر إلى الطغيين والعصاة هذا تأثيره في الطبع فمن بغض نظره على ملاحظة أحوال الصالحين والتأبين في العبادة والتزعة عن الدنيا فلا يزال ينظر إلى نفسه بين الاستغفار وإلى عبادته بين الاستغفار ومادام يرى نفسه

له الجمع وقيل في قوله تعالى - يزيد في الخلق ما يشاء - الصوت الحسن وقال عليه السلام « قد أعددتنا بالرجل الحسن - الصوت بالقرآن من صاحب قينة إلى قينته - قل عن الجنيذ قال : رأيت إبليس في النوم فقلت له هل تظفر من أصحابتا جنى أو تنال منهم شيئا فقال إنه يصير على شأهم ويظم على أن أصيب منهم شيئا إلا في وقتين قلت أي وقت قال وقت السباع وعند النظر فأنى أسترقي منهم فيه وأدخل عليهم به قال فكيف ترى لبعض الشايع فقال لو رأيته قلت له يا أحق من مع منه إذا مع ونظر إليه إذا نظر أترع أنت عليه شيئا أو تظفر جنى منه قلت صدقت . وروى عائشة رضى الله عنها قالت « كانت عندي

مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستقاما للاقتداء ومن نظر إلى الأحوال الدالة على أهل الزمان وإعراضهم عن الله وإقبالهم على الدنيا واعتيادهم العاصي استعظم أمر نفسه بأدنى رغبة في الخير يسادها في قلبه وذلك هو الملاك ويكنى في تفسير الطبع مجرد صانع الخير والشر فضلا عن مشاهدته وبهذه الدقة يعرف سر قوله **عليه السلام** «عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة (١)» وإنما الرحمة دخول الجنة وقادافا وليس ينزل عند الذكر عين ذلك ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرس على الاقتداء بهم والاستكفاف عما هو ملابس له من الصور والتصور ومبدأ الرحمة فعل الخير ومبدأ فعل الخير الرغبة ومبدأ الرغبة ذكر أحوال الصالحين فهذا معنى نزول الرحمة والفهم من نفوى هذا الكلام عند العلقن كالفهم من عكسه وهو أن عند ذكر القاسقين تنزل اللعنة لأن كثرة ذكرهم تهون على الطبع أمر العاصي واللعة هي البعد ومبدأ البعد من الله هو العاصي والإعراض عن الله بالإقبال على المخطوط المأجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه للشرع ومبدأ للعاصي سقوط تعلقها وتغاضبها عن القلب ومبدأ سقوط التعلق وقوع الأنس بها بكثرة السماع وإذا كان هذا حال ذكر الصالحين والقاسقين فما ظنك بمشاهدتهم بل قد صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال «مثل الجليس السوء كمثل الكير إن لم يحرقه بجره علق بك من رجمه (٢)» فكما أن البرق يعلق بالثوب ولا يشرب به فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشرب به وقال مثل الجليس الصالح مثل صاحب للسك إن لم يحب لك منه تجدد رجمه ولهذا أقول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لعتين : إحداهما أنها غيبة والثانية وهي أعظمهما أن حكايتها تهون على المستمعين أمر تلك الزلة وينسب من قولهم استعظمهم الإقدام عليها فيكون ذلك سببا لتبوين تلك اللصبة فانهما وقع فيها فاستكثر ذلك دفع الاستكثار وقال كيف يستعيد هذا منا وكنا مضطرون إلى مثله حتى العلماء والعباد ولو اعتقد أن مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يطاقه موفق معتبر لثق عليه الأقدام فكمن شخص يتكلم على الدنيا ويحرص على جمعها ويتهاكى على حب الرياسة وتزيينها ويهون على نفسه فيها ويرغم أن الصحابة رضي الله عنهم لم ينزهوا أنفسهم عن حب الرياسة وربما يشهد عليه بقتال على معاوية وغبن في نفسه أن ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة فهذا الاعتقاد خطأ يهون عليه أمر الرياسة ولو أزمها من العاصي والطبع اللثيم يميل إلى اتباع الهفوات والإعراض عن المستنات بل إلى تقدير الهفوة فما لا هفوة فيه لا تنزل على مقتضى الشهوة ليحلل به وهو من دقائق مكاييد الشيطان ولقد وصف الله الراغبين للشيطان فيها بقوله - الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - وضرب **عليه السلام** لذلك مثلا وقال «مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يعمل إلا بجزء ما يستمع كمثل رجل أتى راعيا فقال له يراعي أجري لي شاة من غنمك فقال اذهب فخذ خير شاة فيها فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم (٣)» وكل من يقتل هفوات الأئمة فهذا مثاله أيضا وما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته أن أكثر الناس إذا رأوا مسلما أفطر في نهار رمضان استبدعوا ذلك منه استبعادا بكاد يفضي إلى اعتقادهم كفره وقد يشاهدون

(١) حديث عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ليس له أصل في الحديث الرفوع وإنما هو قول سفيان ابن عيينة كذا رواه ابن الجوزي في مقدمة صفوة الصفوة (٢) حديث مثل الجالس السوء كمثل الكير الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث مثل الذي يسمع الحكمة ثم لا يعمل منها إلا شرا ما يسمع كمثل رجل أتى راعيا فقال يراعي أجري لي شاة من غنمك الحديث ابن ماجه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

جارية تسمى فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي على حلقها ثم دخل عمر فخرت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله ؟ فحدثه حديث الجارية فقال لا أبرح حتى أسمع ما سمع رسول الله فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسمته

وذكر الشيخ أبو طالب للسك قال كان لطاء جارتان تلحان وكان إخوانه يجتمعون إليهما وقال أودكنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمعن التاحين أعدهن للصوفة وهذا القول نقلته من قول الشيخ أبي طالب فقال لوعندي اجتناب ذلك هو الصواب وهو لا يسم إلا بشرط طهارة القلب وغض البصر والوقاف بشرط قوله تعالى :

من يخرج الصلوات عن أوقاتها ولا تنفر عنه طبعهم كغفرهم عن تأخير الصوم مع أن صلاة واحدة يفتنى تركها الكفر عند قوم وحز الرقية عند قوم وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه ولا سببه إلا أن الصلاة تكرر والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقها بالمشاهدة عن القلب ولذلك لو لبس القبيح ثوبا من حرير أو خافيا من ذهب أو شرب من إناء فضة استبدته النفس واشتد انكارها وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم إلا بما هو اغتياب فناس ولا يستبد منه ذلك والنية أشد من الزنا فكيف لا تكون أشد من لبس الحرير ولكن كثرة صام النية ومشاهدة للتناين أسقط وقها عن القلوب وهون على النفس أمرها فظن لهذه الدقائق وفر من الناس فراراك من الأسد لأنك لا تشاهد منهم إلا ما يزيد في حرصك على الدنيا وفطنتك عن الآخرة وهون عليك العصية ويضعف رغبتك في الطاعة فإن وجدت جليسا يذكر لك الله رؤيته وسيرته فأقره ولا تخاره واغتمه ولا تستخفه فاتها غنيمة الماقل وضالة المؤمن وتحقق أن المجلس الصالح خير من الوحدة وأن الوحدة خير من المجلس السوء ومهما فهمت هذه المعاني واحلظت طبعك والتفت إلى حال من أردت مخالطته لم يخف عليك أن الأولى التبايع عنه بالمرزة أو التقرب إليه بالخاطلة وإياك أن تحكم مطلقا على المرزة أو على الخاطلة بأن أحدهما أولى إذ كل مفصل فاطلاق القول فيه بلا أو ثم خلف من القول محض ولا حق في المفصل إلا التفصيل .

### (القائمة الثالثة)

(الخلاص من الفتن والحصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها)  
وقفا تخالو البلاد عن تصبات وفتن وخسومات فالمعتزل عنهم في سلامة منها قال عبد الله بن عمرو ابن العاص لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتن وصفها وقال « إذا رأيت الناس مرجحت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه قلت فيأت أمرني فقال لازم يتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة » (١) وروى أبو سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم قال « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن من شاق إلى شاق » (٢) وروى عبد الله بن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال « سيأتى على الناس زمان لا يسلم لدى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاق إلى شاق ومن جحر إلى جحر كالتلب الذي يروغ قبله ومق ذلك يارسول الله قال إذا لم تلت للعيشة إلا بمعاصي الله تعالى فإذا كان ذلك الزمان حلت الذنوبة قالوا وكيف ذلك يارسول الله وقد أمرت بالتزويج قال إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فإن لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته وولده فإن لم يكن فعلى يدي قرابته قالوا وكيف ذلك يارسول الله قال يبرونه بضييق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة » (٣) وهذا الحديث وإن كان في المرزة بالمرزة مفهومة منه إذ لا يستغنى التأهل عن العيشة والمخالطة ثم لا ينال العيشة إلا بمعصية الله تعالى ولست

— يعلم خاتمة الأعين وما تخفي الصدور وما هذا القول من الشيخ أبي طالب للكنى إلا مستغرب عجب والتزه عن مثل ذلك هو الصحيح . وفي الحديث في مدح داود عليه السلام أنه كان حسن الصوت بالنيابة على نفسه وبثلاوة الزبور حتى كان يجتمع الإنس والجن والطير لسبح صوته وكان يعمل من مجلسه آلاف من الجنائز . وقال عليه السلام في مدح أبي موسى الأشعري « لقد أعطى مزارا من مزامير آل داود » . وروى عنه عليه السلام أنه قال « إن من الشرر لحكمة » « ودخل رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده قوم يقرءون القرآن وقوم ينشدون الشعر فقال يارسول الله قرآن وشعر فقال من

- (١) حديث عبد الله بن عمرو بن العاص إذا رأيت الناس مرجحت عهودهم وخفت أماناتهم الحديث أبو داود والنسائي في اليوم والليلة بإسناد حسن (٢) حديث أبي سعيد الخدري يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن رواء البخاري . (٣) حديث ابن مسعود سيأتى على الناس زمان لا يسلم لدى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاق إلى شاق تقدم في النكاح .

أقول هذا أو أن ذلك الزمان فلقد كان هذا بأعصار قبل هذا العصر ولأجله قال سفيان والله لقد حلت الزلزلة . وقال ابن مسعود رضى الله عنه « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الفتنة وأيام المهرج قلت وما المهرج قال حين لا يأمن الرجل جلسبه قلت فم تأمرني إن أدركت ذلك الزمان قال كف نفسك ويدك وادخل دارك قال قلت يارسول الله أرأيت إن دخل على دارى قال فادخل بيتك قلت فإن دخل على بيتي قال فادخل مسجدك واضع هكذا وقبض على السكوع وقيل ربي الله حتى يموت (١) » وقال سعد لما دعى إلى الخروج أيام معاوية لا إلا أن تعطوني سيفا له عتيان بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فأقلته بالوؤمن فأفك عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على حجة يضاه فيبناهم كذلك يسبيرون إذ هاجت ريح محاجة فضلوا الطريق فالتبس عليهم فقال بعضهم الطريق ذات اليمين فأخذوا فيها فتأهوا وضلوا . وقال بعضهم ذات الشمال فأخذوا فيها فتأهوا وضلوا وأنشأ آخرون وتوقفوا حتى ذهب الريح وتبينت الطريق فسافروا فاعتزل سعد وجماعة معه فارقوا الفتن ولم يخاطبوا إلا بعد زوال الفتن . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه لما بلغه أن الحسن رضى الله عنه توجه إلى العراق فلحقه على مسيرة ثلاثة أيام فقال له أين تريد فقال العراق فإذا معه طوامير وكتب فقال ههنا كتبهم ويهتتم فقال لا تنتظر إلى كتبهم ولا تأتهم فأنى قال إنى أحدثك حديثا إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم بغيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا وإنك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يليها أحد منكم أبدا وماصرفها عنكم إلا للذي هو خير لكم فأنى أن يرجع فاعتقه ابن عمر وبكى وقال أستودعك الله من قتيل وأمسير (٢) وكان في الصحابة عشرة آلاف لما خف أيام الفتنة أكثر من أربعين رجلا وجلس طاوس في بيته قبله في ذلك فقال فساد الزمان وحيف الأمة ولما بنى عروة قصره بالعقيق وثمه قيل له لزمزت القصر وتركتم مسجد رسول الله ﷺ فقال رأيت مساجدكم لأهية وأساوقكم لأغية والفاحشة في نجاحكم عالية وفيها هناكما أتم فيه عافية فإذن الحذر من الحصومات ومشارات الفتن إحدى فوائد العزلة .

( الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس )

فاتهم يؤذونكم مرة بالقية ومرة بسوء الظن والتهمة ومرة بالافتراحات والأطباع الكاذبة التي يسر الوفاء بها وتارة بالنجاسة أو الكذب فرما يرون منك من الأعمال أو الأقوال ما يتلعب عقولهم كنهه فيتحذرون ذلك ذخيرة عندهم بدخرونها لوقت تظهر فيه فرصة للشر فإذا اعتزلتم استغثت من التحفظ عن جميع ذلك ، ولذلك قال بعض الحكماء لغريمه أعلمك بيتين خير من عشرة آلاف درهم قال ما هما قال : اخفض الصوت إن نطقت بليل والتفت بالتيار قبل اللقال ليس للقول رجسة حين يبدو بقبس يكون أو بجمال ولا شك أن من اختلط بالناس وشاركهم في أعمالهم لا ينفك من حاسد وعدو يسى الظن به ويؤمن أنه يستعمل ما داته ونصب الكيدية عليه وتدميس غائلة ورواه قال الناس مهما اشتد حرصهم على أمر يحسبون كل (١) حديث ابن مسعود ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أفتنة وأيام المهرج قلت وما المهرج قال حين لا يأمن الرجل جلسبه الحديث أبو داود مختصرا والخطابي في العزلة بتأمله وفي إسناده عند الخطابي انقطاع ووصله أبو داود بزيادة رجل اسمه سالم يحتاج إلى معرفته (٢) حديث ابن عمر أنه لما بلغه أن الحسين توجه إلى العراق لحقه على مسيرة ثلاثة أيام الحديث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم خير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة الطبراني مختصرا على المرفوع رواه في الأوسط بذكر قصة الحسين مختصرة ولم يقل على مسيرة ثلاثة أيام وكذا رواه البزار بنحوه وإسناده حسن .

هذامة ومن هذامة  
وأشد التابذة عند  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم آياته التي فيها :  
ولا خير في حلم إذا لم يكن له  
بوادى تحمى صفوه  
أن يكذرا  
ولا خير في أمر إذا لم  
يكن له  
حكم إذا ما ورد الأمر  
أسدرا  
قاله رسول الله صلى  
الله عليه وسلم  
« أحسنت يا أبا ليلى  
لا بغض الله فاك »  
فماش أكثر من مائة  
سنة وكان أحسن الناس  
ثمرا وكان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
يضع لسان منبرا في  
المسجد فيقوم على المنبر  
فأما بهجو الذين كانوا  
يهجون رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ويقول  
النبي صلى الله عليه  
وسلم « إن روح القدس  
مع حسان مادام بائع  
عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم » ورأى  
بعض الصالحين أبا

صبيحة عليهم الهدى واخذهم وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بشيهم إلا الحرص عليها قال النبي:

إذساء فعل للرء ساءت ظنونه . وصدق ما يتأده من توه  
وعادى عبيه يقول عداوته فأصبح في ليل من الشك مظلم

وقد قيل معاشره الأشرار تورث سوء الظن بالأبرار وأنواع الشر الذي يلقاه الانسان من معاشره وعن  
يختلط به كثيرة ولنا نطول بتفصيلها فبقا ذكرناه إشارة إلى اجتماعها وفي العزلة خلاص من جميعها  
وإلى هذا أشار الأكثر ممن اختار العزلة فقال أبو المرداء أخبر تلميذه بروتى مرفوعا وقال الشاعر:

من حمد الناس ولم يلهم ثم يلاهم ذم من محمد  
وصار بالوحدة مستأنسا يوحشه الأقرب والأبعد

وقال عمر رضي الله عنه في العزلة راحة من القرن السوء . وقيل لعبد الله بن الزبير ألا تأتي للدينة قال  
ما بقي فيها إلا حامدة نعمة أو فرح بقعة . وقال ابن الهالك كتب صاحبنا أمابند فان الناس كانوا دواء  
يتداوى به ضاروا داء لادوا له ففر منهم فرارك من الأسد وكان بعض الأعراب يلزم شجرا ويقول  
هو تدبير فيه ثلاث خصال إن مع من لم يتم على وجهه احتمل مني وإن عربت عليه  
لم يعض فسمع الرشيد ذلك فقال زهدني في الدنيا . وكان بعضهم قد قدم الفطار والتقارب قيل له في ذلك  
قال لم أراهم من وحدة ولا وعظ من قرب ولا جليسا أمتع من دقر . وقال الحسن رضي الله عنه أردت  
الحج فسمع ثبات الباني بذلك وكان أيضا من أولياء الله قال يلني أنك تريد الحج فأجبت أن أحبك  
قال له الحسن وبحك دعنا نتماثر بستر الله علينا إني أخاف أن تطعب فيري بضنا من بعض ماتات  
عليه وهذه إشارة إلى فائدة أخرى في العزلة وهو جلاء السرى الدين والروء والأخلاق والفرو سائر  
المورات وقد مدح الله سبحانه التستري فقال - يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف - وقال الشاعر:  
ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ولكن عار أن يزول التجل

ولا يخلو الانسان في دينه ودنياه وأخلاقه وأفعاله عن عورات الأولى في الدين والدنيا سترها ولا يتيق  
السلامة مع انكشافها . وقال أبو المرداء كان الناس ورقا لاشوك فيه فان الناس اليوم شوك لا ورق فيه  
وإذا كان هذا حكم زمانه وهو في أواخر القرن الأول فلا ينبغي أن يشك في أن الأخير شر . وقال  
سفيان بن عيينة قال لي سفيان الثوري في القطة في حياته وفي الليل بعد وفاته أقلل من معرفة الناس  
فإن التخلص منهم عسير ولا أحسب أني رأيت ما أكره إلا بمن عرف . وقال بعضهم جئت إلى مالك  
ابن دينار وهو قاعد وحده وإذا كلب قد وضع حنكه على ركبته فذهبت أطرده فقال دعه يا هذا هذا  
لا يضرك ولا يؤذي وهو خير من الجليس السوء . وقيل لبعضهم ما سملك لي أن تعزل الناس قال خشيت أن  
أسأب ديني وأشأمر وهذه إشارة إلى مسارقة الطبع من أخلاق القرن السوء . وقال أبو المرداء اتقوا  
الله واحذروا الناس فأنهم ما ركبوا ظهري إلا أدبروه ولا نظروا جوارحهم إلا أعقروه ولا قلب مؤمن إلا خربوه .  
وقال بعضهم أقلل المعارف فانه أسلم لديك وقلبك وأخف لسقوط الحقوق عنك لأنه كلما كثرت  
المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع . وقال بعضهم أنكر من تعرفوا لاتعرف إلى من لاتعرف .

(الفائدة الخامسة)

أن ينقطع طمع الناس عنك ونية طمعك عن الناس فأما اقتطاع طمع الناس عنك ففيه فوائد  
فإن رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال الزم باصلاح نفسه أولى ومن أعون الحقوق وأيسرها حضور  
الجنائز وعبادة المريض وحضور الولائم والاملاكات وفيها تنقيح الأوقات وتمريض النفس ثم قد  
تمرق عن بعضها المواقف وتستقبل فيها المآذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار فيقولون له فمت بحق .

العباس الخضر قال  
قلت له ما تقول في  
الباع الذي يختلف فيه  
أصحابا فقال هو الصفا  
الزلال لا يثبت عليه  
إلا أقدام الغنم . وقل  
عن محمد بن الهيثوري  
قال رأيت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم في  
النار قلت يا رسول  
الله هل تنصكر من  
هذا الباع شيئا ؟  
قال ما أنكره ولكن  
قل لهم فستحون  
قبله بجرأة القرآن  
وغنمون بسده  
بالقرآن قلت يا رسول  
الله إنهم يؤذون  
وينسبون فقال  
احتملهم يا أبا علي ثم  
أصحابك فكان محمد  
يختصر ويقول كاني  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم . وأما وجه  
الانكار فيه فهو أن  
يرى جماعة من الرعدين  
دخولاً في مبادئ الإرادة  
وغوسهم ما تمرت على  
صدق المجاهدة حتى  
يحدث عندهم علم بطور

فلان وقصرت في حقنا وبصير ذلك سبب عداوة قد قيل من لم يعد مريضا في وقت الميادة اشتبه موته خيفة من تحجبه إذا صح على تقصيره ومن عزم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خصص استوحشا وتميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه للتجرد له طول الليل والنهار فكيف من لم مهم يشغله في دين أوديا . قال عمرو بن الماس كثرة الأصدقاء كثرة الغرماء وقال ابن الرومي :

عدوك من صدقك مستفاد فلا تستكثر من الصحاب  
فان الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

وقال الشافعي رحمه الله أصل كل عداوة اضطباع المروء إلى اللثام وأما انقطاع طمعك عنهم فهو أيضا فائدة جزيلة فان من نظر إلى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وابنت بقوة الحرس طعمه ولا يرى إلا الحية في أكثر الأحوال فيتأذى بذلك ومهما اعتزل لم يشاهد وإذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولذلك قال الله تعالى - ولا تمد عينيك إلى ما متنا به أزواجا منهم - وقال صلى الله عليه وسلم « انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم <sup>(١)</sup> » وقال عون بن عبد الله كنت أجالس الأغنياء فلم أزل مغموما كنت أرى ثوبا أحسن من ثوبي وداية أفره من دايحي فجالت الفقراء فاسترحمت . وحكى أن الزني رحمه الله خرج من باب جامع القسطنطين وقد أقبل ابن عبد الحكم في موكبهم فبره ما رأى من حسن حاله وحسن هيئته فلا قوله تعالى - وجعلنا بسكم لبعض فتنة أصهبون - ثم قال بل أصبر وأرضى وكان فقيرا مرفا قالدي هو في بيته لا يبتلى بثقل هذه الفتنة فان من شاهد زينة الدنيا فلما إن يقوى دينه ويقيه فيصير فيحتاج إلى أن يتجرع مرارة الصبر وهو أمر من الصبر أو تبتعت رغبته فيحتاج إلى طلب الدنيا فهلك هلاكاً مؤبدا أما في الدنيا فيالطعم الذي يغيب في أكثر الأوقات فليس كل من يطلب الدنيا تيسر له وأما في الآخرة فيبثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب إليه ولذلك قال ابن الأعرابي :

إذا كان باب الدل من جانب الفنى سموت إلى العلياء من جانب الفقر  
أشار إلى أن الطمع يوجب في الحال ذلا .

#### ( الفائدة السادسة )

الخلاص من مشاهدة التلفاء والحق ومقاساة حقمهم وأخلاقهم فان رؤية التقبل هي العمى الأصغر قيل للأعمش م عشت عينك قال من النظر إلى التلفاء . وحكى أنه دخل عليه أبو خيفة فقال في الخبر « إن من سلب الله كرميته عوضه الله عنها ما هو خير منها <sup>(٢)</sup> » فما الذي عوضك فقال في معرض اللطافة عوضه الله عنها أنه كفا في رؤية التلفاء وأنت منهم . وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت إلى قول مرة فنفسي على وقال جالينوس لسلك شيء وحى الروح النظر إلى التلفاء . وقال الشافعي رحمه الله ما جالست تقبلا إلا وجدت الجانب الذي يليه من بدني كأنه أنقل على من الجانب الآخر . وهذه القوائد ماسوى الأولى متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها أيضا تتعلق بالدين فان الانسان مهما تأذى برؤية تقبل لم يأمن أن يتأذى بها وأن يستكرها هو صنع الله فإذا تأذى من غيره بنية أو سوء ظن أو محاسبة أو نية أو غير ذلك لم يصبر عن مكافأته وكل ذلك يجر إلى فساد الدين وفي المزملة سلامة عن جميع ذلك فليهم .

(١) حديث انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث من سلب الله كرميته عوضه الله عنها ما هو خير منها الطبراني بإسناد ضعيف من حديث جرير من سلب الله كرميته عوضه الله عنها الجنة ولهوا لحد نغوه من حديث أبي أمامة بسند حسن والبخاري من حديث أنس يقول الله تبارك وتعالى إذا ابتليت عبدي بحبيتي ثم صبر عوضته منها الجنة يريد عينيه .

صفات النفس وأحوال  
القلب حق تنضبط  
حركاتهم بقانون  
العلم ويعلمون ما لهم  
وعليهم مشتغلين به  
حكي أن ذا النون لما  
دخل شداد دخل عليه  
جماعة ومعهم قوتال  
فاستأذنه أن يقول  
شيئا فأذن له فأندس  
القول :

صغير هواك عذبي  
فكيف به إذا احتسكا  
وأنت جمعت من قلبي  
هوى قد كان مشتركا  
ماترى لمكتتب  
إذا ضحك الحق بكى  
فطاب قلبه وقام تواجدا  
وسقط على جبهته والدم  
يظفر من جبهته ولا يتع  
على الأرض ثم قام  
واحد منهم فنظر إليه  
ذو النون فقال انتي  
الذي يراك حين تقوم  
جلس الرجل وكان  
جلوسه لموضع صدفة  
وعله أنه غير كامل  
الحال غير صالح للقيام  
متواجدا فيقوم أحدم  
من غير تدبر وعلم في

## (آفات العزلة)

اعلم أن من القاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد بالاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك إلا بالمخاطلة فكل ما يستفاد من المخاطلة بثبوت بالعزلة وفوائده من آفات العزلة فانظر إلى فوائد المخاطلة والدوامى إليها ما هي وهي التعليم والتعلم والنفع والاستمتاع والتأديب والتأديب والاستئناس والابتناس ونيل الثواب وإثباته في القيام بالحقوقي واعتقاد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها فلفصل ذلك فاتها من فوائد المخاطلة وهي سبع :

## (الفائدة الأولى : التعلم والتعليم)

وقد ذكرنا فضلهما في كتاب العلم وهما أعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك إلا بالمخاطلة لأن العلوم كثيرة ومن بعضها مندوحة وبعضها ضروري في الدنيا فالحاج إلى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة وإن تعلم الفرض وكان لا يتأتى منه الخوض في العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة فليترك وإن كان يقدر على التبرز في علوم التبرع والعقل فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الحسار ولهذا قال النخعي وغيره فثقه ثم اعتزل ومن اعتزل قبل التعلم فهو في الأكثر مضرب أوقاته نوم أو فكر في هوس وغايته أن يستغرق الأوقات بأوراد يستوعبها ولا ينفك في أعماله بالدين والقلب عن أنواع من القروور يغيب سعيه ويبطل عمله بحيث لا يدري ولا ينفك اعتقاده في الله وصفاته عن أوهم يتوهمها وبأسها وعن خواطر فاسدة تغريه فيها فيكون في أكثر أحواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد فالعلم هو أصل الدين فلا يخفى في عزلة العوام والجهال أذى من لا يحسن العبادة في الخوفة ولا يعرف جميع ما يلزمه فيها فثالث النفس مثال مريض يحتاج إلى طبيب فليطلب بعالمه فالمرضى الجاهل إذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل أن يتعلم الطب تضاعف لاحتار مرضه فلا تليق العزلة إلا بالعلم وأما التعلم فبغيره ثواب عظيم مهما صحت نية العلم والتعلم ومهما كان القصد إقامة الجاه والاشتغال بالأبحاث والأبحاث فهو هلاك الدين وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم وحكم العالم في هذا الزمان أن يعتزل إن أراد سلامة دينه فإنه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه بل لا طالب إلا الكلام مزخرف يستعمل به العوام في معرض الوعظ أو الجدل معقد يتوصل به إلى إخماد الأقران ويتقرب به إلى السلطان ويستعمل في معرض النافسة والباطل وأقرب علم مرغوب فيه المذهب ولا يطلب غالبا إلا التوصل إلى التقدم على الأمتثال وتولي الولايات واجتناب الأموال فهو لا، كلهم يقتضى الدين والحزم الاعتزال عنهم فإن صودف طالب علم ومتقرب بالعلم إلى الله فأكثر السباكر الاعتزال عنه وكتبت العلم منه وهذا لا يصادف في بلدة كيرة أكثر من واحد أو اثنين إن صودف ولا ينبغي أن يغتر الإنسان بقوله سفيان ثعلبة العالم لغير آفتاب العلم أن يكون إلا أنه فان الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون إلى الله وانظر إلى أواخر أعمارهم أكثر من منهم واعتبرهم أنهم ماتوا وهم هلكت على طلب الدنيا ومتكالبون عليها أو راغبون عنها وزاهدون فيها وليس الخير كالمناينة . واعلم أن العلم الذي أشار إليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الأنبياء والصحابة فان فيها التخريف والتحذير وهو سبب لإثارة الخوف من الله فان يؤتمرن في الحوادث في الآلات ، وأما الكلام والفقهاء الجرد الذي يتعلق بفتاوى للمعاملات وفصل الخصومات الذهب منه والخلاف لا يرد الراغب فيه للدنيا إلى الله بل لا يزال متدافيا في حرصه إلى آخر عمره ولعل ما أودعته هذا الكتاب إن تعلمه للتعلم رغبة في الدنيا فيجوز أن يرخص فيه إذ يرجى أن ينزجر به في آخر عمره فانه مشغون بالتخوف بالله والترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف في الأحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف في كلام ولا في خلاف ولا في مذهب فلا ينبغي أن يخضع الإنسان نفسه فان القصر العلم

قيمه وذلك إذا سمع إيقاعا موزونا بسمع يؤدى ماسمه إلى طبع موزون فيتجرح كالطبع الوزون للصوت الوزون والايقاع الوزون وينسبل حجاب نفسه للتبسط بأبسط الطبع على وجه القلب ويستغفره النشاط الثبوت من الطبع فيقوم يرتض موزونا بمزوجا بتضع وهو محرم عند أهل الحق ويعجب ذلك طيبة القلب وما رأى وجه القلب وطيبته لله تعالى ولعمري هو طيبة القلب ولكن قلب ملون بلون النفس مبال إلى الهوى موافق للردى لا يبتدى إلى حسن التيقن الحركات ولا يعرف شروط صحة الارادات ولثل هذا الرافض قيل الرقص قص لأنه رقص مصدره الطبع غير مقترن بنية سالحة لاسبأ إذا انضاف



تفسيره أسعد حالا من الجاهل القور أو المتجاهل المتبون وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك أن يكون غرضه القبول والجاه وحظه تلذذ النفس في الحال باستثمار الأدل على الجاهل والتبج عليهم مآفة العلم الحياء<sup>(١)</sup> كما قال صلى الله عليه وسلم ، ولذلك حكى عن بشر أنه دفن سبعة عشر قطرا من كتب الأحاديث التي سمعها وكان لا يحدث ويقول إنى أشتى أن أحدث فلذلك لا أحدث ولو اشتريت أن لا أحدث لحديث وذلك قال حدثنا باب من أبواب الدنيا وإذا قال الرجل حدثنا فاعلم يقول أو سمعوا . وقالت رابعة المدوية لسفيان الثوري ، نعم الرجل أنت لولا رغبتك في الدنيا قال وقهاذا رغبت ؟ قالت : في الحديث ، ولذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج أو طلب الحديث أو اشتغل بالسفر قدر كن إلى الدنيا فهدأ آفات قد نهبا عليها في كتاب العلم والحزم والاحتراز بالمرلة وترك الاحتكار من الأصحاب ما يمكن بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب له إن كان عاقلا في مثل هذا الزمان أن يترك فقد صدق أبو سليمان الخطابي حيث قال مع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال إخوان العالانية أعداء السر إذا قولك مخلوق وإذا غبت عنهم سلقوك من أنك منهم كان عليك رقيا وإذا خرج كان عليك خطيا أهل ثقا ونجاسة وغل وخديعة فلا تفتربأجائهم عليك فأغرضهم العلم بل الجاه وللأول أن يتخذوك سلفا إلى أوطارهم وأغراضهم وحماراق حاجاتهم إن فصرت في غرض من أغراضهم كانوا أشد أعدائك ثم يمدون إليك ماله عليك ويرون حقا وجهدا لديك ويفرضون عليك أن تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم تضادى عدوهم وتنصر قريتهم وخادهم وولهم وتنهض لهم سفيا وقد كنت قريبا وتكون لهم تابعا خسيا ببدان كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل اعتزال العامة مروءة تامة فهذا معنى كلامه وإن خالف بعض ألقاظه وهو حق وصدق فانك ترى المدرسين في روق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة بمن يتردد إليهم فكأنه يهدى تحفه إليهم ويرى حقه وأجابه عليهم وربما لا يختلف إليهم ما يتكلم برزق له على الإدرار ثم إن للدرس لكسكين قديص عن القيام بذلك من ماله فلا يزال مترددا إلى أبواب السلاطين ويقاسى القل والشدائد مقاساة الدليل المهن حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يستترقه ويستخدمة ويعنته ويستنهله إلى أن يسلم إليه ما يقدره نعمة مستأفة من عنده عليه ثم يبقى في مقاساة القسمة على أصحابه إن سوى بينهم مقتى الميزون ونسبوه إلى الحق وقفة التميز والقصور عن درك مصارف الفضل والقيام بمقارير الحقوق بالعدل وإن قاوت بينهم سلفة السفهاء بالأسنة حداد وتاروا عليه ثوران الأساود والأساد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مطالبها يأخذون ويرقه عليهم في العمى والمجب أنه مع هذا البلاء كله يبقى نفسه بالأباطيل ويدلها بجمل القور ويقول لها لا تفترى عن صحبتك فاعلم أنت بما فعلت به مريدة وجه الله تعالى ومذبة شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونائشة علم دين الله وقائمة بكفاية طلاب العلم من عباد الله وأموال السلاطين لا ماله لها وهي مرصدة للمصالح وأى مصالحة أكبر من تكتير أهل العلم فيهم يظهر الدين ويتقوى أهله ولولم يكن ضحكة للشيطان لعلم بأدى تأمل أن فساد الزمان لأسببه لا كثره أمثال أولئك القتهاء الذين يأكلون ما يجودون ولا يميزون بين الحلال والحرام فخلعظم أعين الجاهل ويستجرون على العاصي باستجرائهم اقتداء بهم وانقفاء لأثارهم ولذلك قيل ما فسدت الرعية إلا بفساد اللوك وما فسدت اللوك إلا بفساد الصفا فعود بالله من القور والعمى فانه الداء الذي ليس له دواء .

(١) حديث آفة العلم الحياء المعروف مارواه مطيع في مسنده من حديث على بن أبي طالب بسند ضعيف آفة العلم النسيان وآفة الجلال الحياء .

إلى ذلك شوب حركاته  
بصرى الفاق بالتودد  
والقرب إلى بعض  
الحاضرين من غير  
نية بل بدلالة نشاط  
النفس من العاطفة  
وتهيل اليد والقدم  
وغير ذلك من الحركات  
التي لا يستمدتها من  
التصوفة إلا من ليس  
له من التصوف إلا  
مجرد زى وصورة أو  
يكون القول أمرد  
تجذب النفوس إلى  
النظر إليه وتستلذ ذلك  
وتضمر خواطر السوء  
أو يكون للنساء إشراف  
على الجمع وتراسل  
البواطن للملوءة من  
الهمى بسفارة الحركات  
والرقص وإظهار  
التواجد فيكون ذلك  
عين القسق الجامع على  
نغمه فأهل الواخير  
حينئذ أرجى حالهم  
يكون هذا ضميره  
وحركاته أنهم يرون  
فسقهم وهذا لا يراه  
ويرى عيافة لن لا يسلّم  
ذلك أقرى أحدا من

## (الفائدة الثانية التع والاعتصام)

أما الاعتصام بالناس فالكسب والعامة وذلك لاتباع لإدخالهاطة والمحتاج إليه مضطر إلى ترك العزلة فيقع في جهاد من الخاطلة إن طلب موافقة الشرع فيه كإدراكه في كتاب الكسب فإن كان معه مال لو اكتفى به قائما لأقمه فالعزلة أفضل له إذا استدت طرق المكاسب في الأكثر لإلزام العاصي إلا أن يكون غرضه الكسب للصدقة فإذا اكتسب من وجهه وتصدق به فهو أفضل من العزلة للاشتغال بالذلة وليس بأفضل من العزلة للاشتغال بالحق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولأمن الاتيان بكه الهمة على الله تعالى والتجرب بها لذكر الله أغنى من حصل له أنس بتأجاة الله عن كشف وبصرة لأعن أوهام وخيالات فاسدة . وأما النفع فهو أن ينفع الناس إما بماله أو بدينه فيقوم بمحتاجهم على سبيل الحسنة في النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لايتأت إلا بالخاطلة ومن قدر عليها مع القيام بعبود الشرع فهي أفضل من العزلة إن كان لا يشتغل بعزله إلا بتوافل الصلوات والأعمال البدنية وإن كان ممن افترق له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر أو فكر فذلك لايدل به غيره البتة .

## (الفائدة الثالثة التأديب والتأديب)

ونعني به الارتياض بمقامات الناس والمجاهدة في تحمل أقام كسر للنفس وقهر للشهوات وهي من الفوائد التي تستفاد بالخاطلة وهي أفضل من العزلة في حق من لم تهذب أخلاقه وتبذل لحدود الشرع شهواته ولهذا اتدب خدام الصوفية في الرابات فيباطون الناس بمخمتهم وأهل السوق للسؤال منهم كسرا لرعونة النفس واستمدادا من بركة دعاء الصوفية للتصرفين بهمهم إلى الله سبحانه وكان هذا هوالبدا في الأغصان الحالية والآن قدخالطته الأمراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كمالات سائر شعائر الدين فصار يطلب من التواضع بالحكمة التكبير بالاستعجاب والتدريج إلى جمع المال والاستظهار بكثرة الأتباع فإن كانت البتة هذه فالعزلة خير من ذلك ولو إلى القبر وإن كانت التفرقة النفس فهي خير من العزلة في حق المحتاج إلى الرياضة وذلك ما يحتاج إليه في بداية الإرادة فبعد حصول الارتياض ينبغي أن يفهم أن الدابة لا يطلب من رياضتها بل للراح منها أن تتخذ مركبا يقع به الراحل ويطوى على ظهره الطريق والبسند مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق الآخرة وفيها شهوات إن لم يكسرها جمحت به في الطريق فن اشتغل طول العمر بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد منها إلا الخلاص في الحال من عضها ورفسها ورمحها وهي لعمري فائدة مقصودة ولكن مثاها حاصل من البهمة البتة وإنما تراد الدابة لفائدة تحصل من حياتها فكذلك الخلاص من أم الشهوات في الحال يحصل بالزوم واللوت ولا ينبغي أن يقتنع به كالراهب الذي قيل له ياراهب فقال ما أماراهب إنما أنا كلب عقوق جحست نفسي حتى لأعقر الناس وهذا حسن بالإضافة إلى من يقرر الناس ولكن لا ينبغي أن يقتصر عليه فان من قتل نفسه أيضا لم يقرر الناس بل ينبغي أن ينشوف إلى الغاية المقصودة بها ومن فهم ذلك واهتدى إلى الطريق وقدر على السلوك استبان له أن العزلة أعون له من الخاطلة فأفضل لئلا هذا الشخص الخاطلة أولا والعزلة أخرا . وأما التأديب فأنما نعني به أن يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم فانه لايقدر على تهذيبهم إلا بمخالطتهم وحاله حال العلم وحكمه حكمه ويتطرق إليه من دقائق الآفات والزياء ما يتطرق إلى نشر العلم إلا أن يخاليل طلب الدنيا من المريدن الطالبين للارتياض أبعد منها من طلبة العلم ولذلك يرى فم قلة وفي طلبة العلم كثرة فينبغي أن يقبس ما يسر له من الخلو بما يسر له من الخاطلة وتهذيب القوم وإعمال أحدهما بالآخر وإثمر الأمل وذلك بدرك بدق

أهل الدابات يرضى بهذا ولا ينكره فمن هذا الوجه توجه للفكر الانكار وكان حقيقا بالاعتذار فكمن حركات موجبة للمقت ومن نهضات تذهب رونق الوقت فيكون إنكار السكر على المرید الطالب بتعنه عن مثل هذه الحركات وعذره من مثل هذه الخس وهذا إنكار صحيح وقد يرقص بعض الصادقين بإيقاع وورن من غير إظهار وجدو حال وجه نيته في ذلك أنهما يوافق بعض الفقهاء في الحركة فيتحرك بحركة موزونة غير مدع بها حال الوجودا يجعل حركته في طرف الباطل لأنها وإن لم تكن محرمة في حق الشرع ولكنها غير محلبة بحكم الحال فأنهى من اللهم فخصير حركاته ورتبته من قبل المباحات التي تجري عليه من الضحك

الاجتهاد ويختلف بالأحوال والأشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقاً بنى ولا إثبات .

#### ( الفائدة الرابعة : الاستئناس والإيناس )

وهو غرض من يحضر الولايم والدعوات ومواضع العاشرة والأنى وهذا يرجع إلى حفظ النفس في الحال وقد يكون ذلك على وجه حرام بمؤامنة من لا يجوز مؤانسته أو على وجه مباح وقد يستحب ذلك الأمر الدين وذلك فيمن يستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله في الدين كالأنس بالشايخ لللازمين لسمت التقوى وقد يتناقض بحظ النفس ويستحب إذا كان الغرض منه ترويع القلب لتيسير دواعي النشاط في العبادة فإن القلوب إذا أكرهت عمت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المجاملة أنس بروح القلب فهي أولى إذ الرفق في العبادة من حزم العبادة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يعزل حق محمداً » وهذا أمر لا يستغنى عنه فإن النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروح وفي شكليها لللازمة داعية للفرقة وهذا عن قوله عليه السلام « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق » والإيناس فيه برفق دأب للبتصيرين ولذلك قال ابن عباس لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس ، وقال مرة دخلت بلداً لا أنيس بها وهل يفيد الناس إلا الناس فلا يستغنى المعتزل إذا عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحدثه في اليوم والليلة ساعة فليجهد في طلب من لا يفيد عليه في ساعته تلك سائر ساعته قد قال صلى الله عليه وسلم « البره على دين خليله فلينظر أحدكم من جلال » وليرحم أن يكون حديثه عند اللقاء في أمور الدين وحكاية أحوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاعتناء إلى الرشد ففي ذلك متنفس ومتروح لنفس وفيه مجال رحب لكل مشغول بصلاح نفسه فانه لا تنقطع شكواه ولو عمر أعماراً طويلة والراعى عن نفسه مغرور قطعاً فهذا النوع من الاستئناس في بعض أوقات التهار ربما يكون أفضل من العزلة في حق بعض الأشخاص فليفتقد أحوال القلب وأحوال الجليس أو لا ثم ليجالس .

#### ( الفائدة الخامسة : في نيل الثواب وإنائه )

أما النيل فيحضور الجنائز وعبادة الرضى وحضور الميدين ، وأما حضور الجمعة فلا بد منه وحضور الجمعة في سائر الصلوات أيضاً لا رخصة في تركه إلا لحوف ضرر ظاهر يقام ما يوت من فضيلة الجمعة ويؤيد عليه وذلك لا يتفق إلا نادراً وكذلك في حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث إنه إدخال سرور على قلب مسلم . وأما إنائه فهو أن يفتح الباب لعوده الناس أو ليعزوفه للصاب أو يهنوه في التمس فانه يتلون بذلك ثواباً وكذلك إذا كان من السماء وأذن لهم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالخبكين سببا فيه فينبى أن يزن ثواب هذه المخالطات بأقائها التي ذكرناها وعند ذلك قد ترجع العزلة وقد ترجع المخالطة . قدحكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك إجابة الدعوات وعبادة الرضى وحضور الجنائز بل كانوا أحلاس يوتهم لا يخرجون إلا إلى الجمعة أو زيارة القبور وبعضهم يارق الأمصار وأنحاز إلى قلال الجبال تفرغ للعبادة وفراراً من الشواغل .

#### ( الفائدة السادسة )

من المخالطة التواضع فانه من أفضل التمامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة فقد روى في الاسراريات أن حكيماً من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصدفاً في الحكمة حتى ظن أنه قد نال عند الله منزلة فأوحى الله إلى نبيه قل فلان إنك قد ملأت الأرض ثقافاً وإنى لا أقبل من ثقافتك شيئاً قال فتخلى وانفرد في سرب تحت الأرض وقال الآن قد بلغت رضا ربى

(١) حديث إن الله لا يعزل حق محمداً تقدم (٢) حدث للره على دين خليله تقدم في آداب الصلحة .

والدعابة وملاعبة  
الأهل والولد ويدخل  
ذلك في باب الترويح  
للقلب وريحاً لذلك  
عبادة بحسن النية إذا  
نوى به استجمام النفس  
كأقل عن أذى الدرداء  
أنه قال لئن لأستجم  
نفسى بهي من الباطل  
ليكون ذلك عونا لى  
على الحق ولوضع  
الترويح كرهت الصلاة  
في أوقات ليستريح  
عمال الله وترتفع  
النفوس ببعض مآربها  
من ترك العمل  
وتستطيب أوطان الليل  
والأدى بتركيه  
المختلف وترتيب خلقه  
للتنوع بتنوع أصول  
خلقته وقد سبق شرحه  
في غير هذا الباب لأننى  
قواه بالصبر على الحق  
الصرف فيصكون  
التفصح في أمثال  
ما ذكرناه من الباع  
الذى ينزع إلى هو ما  
باطل يستعان به على  
الحق فإن الباع وإن لم  
يكن باطلا في حقيقة

فأوحى الله إلى نبيه قل له إنك لن تبلغ رضى حق تغالط الناس وتصبر على أذاهم فتخرج فدخل الأسواق وغالط الناس وجالسهم وواكلهم وأكل الطعام بينهم ومضى في الأسواق معهم فأوحى الله تعالى إلى نبيه الآن قد بلغ رضى فكف من منزل في بيته وباعته الكبر وباعته عن الحافل أثبت لا يورق ولا يندم وأمرى الترفع عن مخالطهم أرفع لهم وأبقى لطاوة ذكره بين الناس وقد منزل خيفة من أن تظهر مقامه لوخالط فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ البيت سترًا على مقامه إبقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبد من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر أو فكر وعلامة هؤلاء أنهم يحبون أن يزادوا ولا يحبون أن يزودوا ويغرون يقرب الدوام والسلاطين إليهم واجتماعهم على أيهم وطرقهم وتقبيلهم أيديهم على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذى يفيض إليه المخالطة وزيارة الناس لفيض إليه زيارتهم له كما حكى عنه الفضيل حيث قال وهل جنتي إلا لأنزى لك وتزنى لى . وعن حاتم الأصم أنه قال لأمر الذى زاره حاجق أن لأراك ولا ترائى فمن ليس مشغولاً مع نفسه بذكر الله فاعتزله عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس . لأن قلبه متجرد للالتفات إلى نظره إليه بين الوفاق والاحترام والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه : أحدها أن التواضع والمخالطة لاتنقص من منصب من هو متكبر بسلطه أودنيه إذ كان على رضى الله عنه يعمل الخير والملاحق في توبه وبده ويقول : لاتنقص الكامل من كماله . ماجز من تقع إلى عياله

وكان أبو هريرة وحذيفة وأبى وابن مسعود رضى الله عنهم يحملون حزم الحطب وجرب الدقيق على أكتافهم . وكان أبو هريرة يرضى الله عنه يقول وهو والى المدينة والحطب على رأسه طرقتوا لأمرهم « وكان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يشتري الثمن » فيحمله إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أعطنى أحمله فيقول له صاحبه الشئ أحق بحمله <sup>(١)</sup> » وكان الحسن بن على رضى الله عنه يجر بالسؤال وبين أيديهم كسر فيقولون : هلم إلى العداة يا ابن رسول الله فكان ينزل ويجلس على الطريق ويأكل معهم ويركب ويقول - إن الله لا يحب المتكبرين - الوجه الثانى أن الذى شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لأنه لو عرف الله حق العرفة علم أن الخلق لا ينتون عنه من الله شيئاً وأن ضرره ونقصه يبد الله ولا نافع ولا ضار سواء وأن من طلب رضا الناس ومحبته بسخط الله وسخط الله عليه وأسخط عليه الناس بل رضا الناس غاية لاتاتل رضا الله أولى بالطالب ولذلك قال الشافعى ليونس بن عبد الأعلى والله ما أقول لك إلا نصيحة إنه ليس إلى السلامة من الناس من سبيل فانظر ماذا يصلحك فافعله ولذلك قيل :

من راقب الناس مات غمًا وفاز بالجنة الجسور

ونظر سهل إلى رجل من أصحابه فقال له : اعلم كذا وكذا لئى أمره به فقال يا أستاذ لا أقدر عليه لأجل الناس فالتفت إلى أصحابه وقال لا ينال عبد حقيقة من هذا الأمر حتى يكون بأحد وصفين : عبد تسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا إلا خالقه وإن أحسدا لا يقدر على أن يضروه ولا ينفعه وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي بأى حال يرويه . وقال الشافعى رحمه الله ليس من أحد إلا ولا يحب ويغضب فإذا كان هكذا فكف مع أهل طاعة الله . وقيل للحسن يا أبا سعيد إن قومًا يعفرون مجاسك ليس بينهم إلا تتبع سقطات كلامك وتميتك بالسؤال فبسم وقال للقاتل هون على نفسك فأحدثت نفسى إسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت ومحدثت نفسى بالسلامة من الناس لأنى قد

(١) حديث كان يشتري الثمن » وبحمله إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أعطنى أحمله فيقول صاحب اللئاع أحق بحمله أبو يعلى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف في حمله السراويل الذى اشتراه .

الشرع لأن حد المباح ما استوى طرفاه واعتدل جانباه ولكنه باطل بالنسبة إلى الأحوال ورأيت في بعض كلام سهل بن عبد الله يقول في وصف الصادق يكون جهله مزيدا لنفسه وباطله مزيدا لخصه وديناه مزيدا لأخذه

ولهذا المعنى جيب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم التماس ليصون ذلك حفظ نفسه الشريفة للوهوب لها حظوظها للوفر عليها حقوقها لموضع طهارتها وقصصها فيكون ما هو نصيب الباطل الصرف في حق الغير من اللباحت القبوله برخصة الشرع الرودة بمنزلة الحال في حقه صلى الله عليه وسلم متما بسمة العبادات وقد ورد في فضيلة النكاح ما يدل على أنه عبادتهم وذلك

علت أن خالقهم ورازقهم ومحرمهم ومخيرهم لم يسلمهم . وقال موسى صلى الله عليه سلم : يا رب اجلس على ألسنة الناس فقال يا موسى هذا شيء لم أسطفه لنفسى فكيف أضفه لك وأوصى الله سبحانه وتعالى إلى عزير إن لم تطب نسا بأن أجعلك عليا في أئوام الماضين لم أكتبك عدنى من المتواضعين فاذن من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس وأقولهم فيه فهو في عناء حاضر في الدنيا - ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون - فاذن لا تستحب العزلة إلا لاستغرق الأوقات بربه ذكرا وفكرها وعبادة وعلم بحيث لو خاطله الناس لفاعت أوقاته وكثرت أكفاته ولتشوقت عليه عباداته فلهذه غوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي أن تتق فانها مهلكات في صور منجيات .

### (القائدة السابعة التجارب)

فانما استناد من المخالطة للخلق ومجاري أحوالهم والنقل العريزي ليس كافيا في مصلح الدارين والدنيا وإنما تنفدها التجربة وللممارسة ولا خير في عزلة من لم تحكك بالتجارب فالصبي إذا اعتزل بقى غمرا جاهلا بل ينبغي أن يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج إليه من التجارب ويكتفه ذلك ويحصل بقية التجارب ببيع الأحوال ولا يحتاج إلى المخالطة ومن أم التجارب أن يجرب نفسه وأخلاقه وصفاته بطنه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة فان كل جرب في الخلوة يسر وكل غشوب أو عقود أو حدود إذا خلا بنفسه لم يترحم منه خبئه وهذه الصفات مهلكات في أنفسها يجب إبطالها وقهرها ولا يكتفي تسكينها بالتقاعد عما يهركها فثالث القلب للشعور بهذه الحقائق مثال دمل مئلى بالصديد والدة وقد لا يحصى صاحبه بألمه مالم يتحرك أو يحسه غيره فان لم يكن له يد تمسه أو عين تبصر صورته ولم يكن معه من يهركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل في نفسه واعتقد تقدمه ولكن لوحركه محرك أو أصابه مشروط حجام لا خسر منه الصديد وفاروق ان الشيء المختبئ إذا جسى عن الارتساق فكذلك القلب للشعور بالحدود والجل والحسد والتضيق وسائر الأخلاق السيئة وإنما تنفجر منه خباياه إذا حرك وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتركبة القلوب يجربون أنفسهم فمن كان يشتغل في نفسه كبرا معى في إقامته حتى كان بعضهم يحمل قرية ماء على ظهره بين الناس أو حزمة حطب على رأسه ويتردد في الأسواق ليحرب نفسه بذلك فان غوائل النفس ومكائد الشيطان خفية قل من يفتطن لها ، وذلك حكى عن بعضهم أنه قال أعدت صلاة ثلاثين سنة مع أنى كنت أصليا في الصف الأول ولكن تخلفت يوما بمدر فواجبت موضعى في الصف الأول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسى تستشعر خجلة من نظر الناس إلى وقد سبقت إلى الصف الأول فقلت أن جميع صلاتى التى كنت أصليا كانت مشفوة بالرياء مخزوجة بلفظ نظر الناس إلى ورؤيتهم إياى في زمرة السابقين إلى الخير فالمخالطة لها فائدة ظاهرة عظيمة في استخراج الجباث وإظهارها وتلك قبل السرفيسر عن الأخلاق فانه نوع من المخالطة الدائمة وسنأت غوائل هذه الأمانى ودقاتها فدرج المهاسكات فان بالجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم بها يزكو العمل القليل ولولا ذلك ما فضل العلم على العمل إذ يستحيل أن يكون العلم بالصلاة ولا يراد إلا الصلاة أفضل من الصلاة فانما علم أن ما يراد لتبره فان ذلك الغير أشرف منه وقد نضى الشرع بتفضيل العلم على العباد حتى قال صلى الله عليه وسلم « فضل العلم على العباد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى »<sup>(١)</sup> ففى تفضيل العلم يرجع إلى ثلاثة أوجه : أحدها ما ذكرناه والثانى عموم المنفع لتمدى فائدته والعمل لا تمدى فائدته والثالث أن يراده العلم بالله وصفاته وأفعاله فذلك أفضل من كل عمل بل مقصود الأعمال صرف التوب عن الخلق إلى الخالق لتبث

(١) حديث فضل العلم على العباد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى خدم في العلم .

بعد الانصراف إليه لمعرفته ومحبة فالعمل وعلم العمل مرادان لهذا العلم وهذا العلم غاية الريدن والعمل كالمرط له وإليه الإشارة بقوله تعالى - إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه - فالكلم الطيب هو هذا العلم والعمل كالحال الرفع له إلى مقصده فيكون الرفع أفضل من الرفع وهذا كلام مقترض لا يليق بهذا الكلام . فلنرجع إلى المقصود فنقول : إذا عرفت فوائد العزلة وغوايها تعمقت أن الحكم عليها مطلقا بالتفضيل غيا وإثباتا خطأ بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص وحاله وإلى الخلق وحاله وإلى الباعث على مخالطته وإلى الفاتت بسبب مخالطته من هذه القوائد المذكورة ويقاس الفاتت بالحاصل فبعد ذلك يتبين الحق وينفع الأفضل وكلام الشافعي رحمه الله هو فصل الخطاب إذ قاله يونس الانهياض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء سوء فكأن بين التقيض والتبسط فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة وبخلاف ذلك بالأحوال وبملاحظة القوائد والآفات يتبين الأفضل هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وإنما هو إخبار كل واحد عن حالة خاصة هو فيها ولا يجوز أن يحكم بها على غيره المخالف له في الحال والفرق بين العالم والصوفي في ظاهر العلم يرجع إلى هذا وهو أن الصوفي لا يتكلم إلا عن حاله فلا يجرم تخلف أجوبته في المسائل والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر إلى حال نفسه فيكشف الحق فيه وذلك مما لا يختلف فيه فإن الحق واحد أبدا والقاصر عن الحق كثير لا يحصى ولذلك مثل الصوفية عن القفر فما من واحد إلا وأجاب بجواب غير جواب الآخر وكل ذلك حتى بالإضافة إلى حاله وليس يحق في نفسه إذ لا يكون إلا واحدا ولذلك قال أبو عبد الله الجلاء ، وقد مثل عن القفر فقال ضرب بكعب الحائط وقل رب الله فهو القفر . وقال الجنيد الفقير هو الذي لا يسأل أحدا ولا يارض وإن عورض سكت وقال سهل بن عبد الله الفقير الذي لا يسأل ولا يدرى وقال آخر هو أن لا يكون لك فان كان لك فلا يكون لك من حيث لم يكن لك وقال إبراهيم الحواشي هو ترك الشكوى وإظهار أثر البؤى وللقصود أنه لو سئل منهم مائة لمسمع منهم مائة جواب مختلة فما يتفق منها اثنان وذلك كله حق من وجه فانه خير كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم ثبت أحدهما لصاحبه قدما في التصوف أو يثنى عليه بل كل واحد منهم يدعى أنه الواصل إلى الحق والواقف عليه لأن أكثر ترددهم على مقتضى الأحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون إلا بأنفسهم ولا يلتفتون إلى غيرهم ونور العلم إذا أشرق أحاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف ومثال النظر هو لا مآرب من نظر قوم في أدلة الزوال بالنظر في الظل فقال بعضهم هو في الصيف قدما . وحكي عن آخر أنه نصف قدم وآخر يرد عليه وأنه في الشتاء سبعة أقدام . وحكي عن آخر أنه خمسة أقدام وآخر يرد عليه فهنا يشبه أجوبة الصوفية واختلافهم فإن كل واحد من هؤلاء أشير عن الظل الذي رآه يلد نفسه تصديق في قوله وأخطأ في تخطئه صاحبه إذ ظن أن العالم كله يلد أوهوميل يلد كما أن الصوفي لا يحكم على العالم إلا بما هو حال نفسه والعالم بالزوال هو الذي يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه بالبلاد فيغير بأحكام مختلفة في بلاد مختلفة ويقول في بعضها لا يبق ظل وفي بعضها يطول وفي بعضها يقصر فهذا ما أردنا أن نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة . فان قلت فمن أثر العزلة ورأها أفضل له وأسلم فما آدابها في العزلة فقول إنما يطول النظر في آداب المخالطة وقد كرنا في كتاب آداب الصبغة وأما آداب العزلة فلا تطول فينبغي لأعمزل أن ينوي بعزله كصف مشرقه عن الداس أولا ثم طلب السلامة من شر الأشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق السليدين ثالثا ثم التحرز بكنة الهمة للعبادة الله رابعا فهذه آداب نبهت لم يكن في سلوكه مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر

جاهل بالسنن والآثار وإما مقتر بما أتبع له من أعمال الأخبار وإما جامد الطبع لا ذوق له فيصير على الإنكار وكل واحد من هؤلاء الثلاثة يقابل بملوف يقبل ، أما الجاهل بالسنن والآثار فيعرف بما أسلفناه من حديث عائشة رضي الله عنها وبالأخبار الواردة في ذلك وفي حركة بعض التحريكين تعرف رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجبة في الرقص ونظر عائشة رضي الله عنها إليهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا إذا سلمت الحركة من السكره التي ذكرناها وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لملى رضى الله عنه أنت منى وأنا منك فيصير وقال لجنس أشبهت

خلقى وخلقى فجبل وقال  
 لزيد أنت أخوانا ومولانا  
 فجبل « وكان جبل  
 جعفر قصداً به حمزة  
 لما اختصم فيها على  
 وجعفر وزيد . وأما  
 النكر المرفور بما  
 أتبع له من أعمال  
 الأخيار فيقال تترك  
 إلى الله البعادية لتشل  
 جوارحك بها ولولانية  
 قلبك ما كان لعدل  
 جوارحك قدر فاعلم  
 الأعمال بالنيات ولكل  
 امرئ ما نوى والنية  
 لتترك إلى ربك خوفاً  
 أو رجاءاً فالساع من  
 الشعر بيتاً يأخذ منه  
 معنى يذكره ربه إما  
 فرحاً أو حزناً أو انكساراً  
 أو افتقاراً كيف يقبل  
 قلبه في أنواع ذلك  
 ذاكرة لربه ولو سمع  
 صوت طائر غاب له ذلك  
 الصوت وتفكر في قدرة  
 الله تعالى وتوحيته  
 حجرة الطائر وتسخيره  
 لحقه ومنشأ الصوت  
 وتأديته إلى الأصابع

ليجنى ثمرة العزلة ولينج الناس عن أن يكثروا غشياناً وزيارته فيشوش أكثر وقته وليكف عن  
 السؤال عن أخبارهم وعن الإصغاء إلى أراجيف اليأس وما الناس مشغولون به فإن كل ذلك يفرس  
 في القلب حتى يثبت في أثناء الصلاة أو الفكر من حيث لا يحسب فوقوع الأخبار في السمع كوقوع  
 البذر في الأرض فلا بد أن ينبت وتتفرع عروقه وأغصانه ويتداعى بعضها إلى بعض وأحد مهمات  
 العزلة قطع الوسواس الصارفة عن ذكر الله والأخبار يتابع الوسواس وأصولها ولينج باليسير من  
 العيشة وإلا اضطره التوسع إلى الناس واحتاج إلى مخالطتهم ولكن صبوراً على ما يلقاه من أذى  
 الجيران وليسد سمعه عن الإصغاء إلى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة أو قمع فيه بترك الخلطة فإن  
 كل ذلك يؤثر في القلب ولومدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لا بد أن يكون واقعاً عن سيرة إلى طريق  
 الآخرة فإن السير إما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور قلب وإما بالفكر في جلال الله وصفاته وأفضاله  
 ومسلوك موانه وأرضه وإما بالتأمل في دقائق الأعمال ومقتضيات القلوب وطلب طرق التحسن  
 منها وكل ذلك يستدعي الفراغ والإصغاء إلى جميع ذلك مما يشوش القلب في الحال وقد يتجدد ذكره  
 في دوام الذكر من حيث لا ينتظر ولكن له أهل صالحة أو جليس صالح لتسترع نفسه إليه في اليوم ساعة  
 من كد المواظبة فيه عون على بقية الساعات ولا يثم له الصبر في العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس  
 منهكون فيه ولا ينقطع طمعه إلا بقصر الأمل بأن لا يقدر لنفسه عمراً طويلاً بل يصبح على أنه لا يبقى  
 وبمضى على أنه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخى  
 الأجل وليكن كثير الذكر للوثة ووحدة القبر مهما شاق قلبه من الوحدة ولينتحق أن من لم يحصل  
 في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يؤنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت وأن من أنس بذكر  
 الله ومعرفته فلا يزال للوثة أنسه إذ لا يهيم للوثة حمل الأنس وللعرفة بل يبقى حيا بمعرفته وأنه  
 فرحاً بفضل الله عليه ورحمته كما قال الله تعالى في الشهداء - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله  
 أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله - وكل متجرد في جهاد نفسه  
 فهو شهيد مهما أدركه اللوث مقيلاً غير مدبر « فالجهاد من جاهد نفسه وهواه <sup>(١)</sup> » كما صرح به  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد الأكبر جهاد النفس كما قال بعض الصحابة رضى الله عنهم  
 رجسنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ينشون جهاد النفس .  
 ثم كتاب العزلة ويتلوه كتاب آداب السفر والحدقة وحده .

### ﴿ كتاب آداب السفر ﴾

وهو الكتاب السابع من ربيع العادات من كتب إحياء العلوم  
 (بسم الله الرحمن الرحيم)

الحدقة الذي فتح بصائر أوليائه بالحكم والعبر واستخلص منهم لمشاهدة عجائب منه في الحضر  
 والسفر فأصبحوا راضين بمجاري القدر مزهين بقوهم عن التفت إلى منزهات البصر إلا على سبيل  
 الاعتبار بما يسع في مسارح النظر ومجاري الفكر فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبعد  
 والحضر . والصلاة على محمد خير البشر وعلى آله وصحبه التفتين لأناره في الأخلاق والبر وسلم كثيراً .

(١) حديث المجاهد من جاهد نفسه وهواه الحاكم من حديث فضالة بن عبيد وصحبه دون قوله  
 وهواه وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصلوة .

( كتاب آداب السفر )

[أما بعد] فإن السفر وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه أو الوصول إلى مطلوب ومرعوب فيه والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن السفر والوطن إلى الصحارى والغلات وسفر بغير القلب عن أسفل السالطين إلى ملكوت السموات وأشرف السفين السفر الباطن فإن الواقع على الحالة التي نشأ عليها عقرب الولادة الجامد على ما تأنفه بالتلميذ من الآباء والأجداد لازم درجة القصور وقائع غربته النص ومبطل بتجمع فضاء - جنة عرضها السموات والأرض - ظلة السجن وضيق الحبس ولقد صدق القائل : ولم أر في عيوب الناس عيباً كنتص القادرين على التمام

إلا أن هذا السفر لما كان مقنعه في خطب حطير لم يستغن فيه عن دليل وخبر فانتضى غموض السبيل وقد الحفر والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندرس مسالكه فاقطع فيه الرفاق وخلا عن الطافين منزهاً عن الأرض - ظلة السجن وضيق الحبس ولقد صدق القائل : سبحانه بقوله - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وقوله تعالى - وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسهم آيات يصرون - وعلى العمود عن هذا السفر وقع الانكار بقوله تعالى - وإنكم لترون عليهم مصبين وبالحيل أفلاتقولون - ويقول سبحانه - وكأين من آية في السموات والأرض يرون عليها وهم معرضون - فمن يسر له هذا السفر لم يزل في سيرة منزهاً في جنة عرضها السموات والأرض وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن وهو السفر الذي لا يتقيد فيه للشاهل وللوارد ولا يضر فيه التزامه والوارد بل يزيد بكرة للسافرين غناؤه وتتضاعف عمراته وفوائده فضاءه دائماً غير ممنوعة وعمراته متزايدة غير مقطوعة إلا إذا بدا للسافر قرة في سفره ووقفة في حركته فإن الله لا يبرئ ما يجرم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا زاغوا أزاع الله قولهم وما الله بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون أنفسهم ومن لم يؤهل للجولان في هذا البدان والتطواف في متزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه في مدة مديدة فراخ ممدودة مغتنيها تجارة للدنيا أو ذخيرة للأخرة فإن كان مطبوعه العلم والدين أو الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكى سبيل الآخرة وكان له في سفره شروط وأداب إن أحملها كان من عمال الدنيا وأتباع الشيطان وإن واطب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعالم الآخرة ونحن نذكر آدابه وشروطه في بابين إن شاء الله تعالى . الباب الأول : في الآداب من أول التهوض إلى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائده وفي فضائله . الباب الثاني : في آداب السفر وأدلة القبله والأوقات .

( الباب الأول في الآداب من أول التهوض إلى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائده وفي فضائله :  
النصل الأول في فوائد السفر وفضله ونبته )

اعلم أن السفر نوع حركة ومخالطة وفيه فوائد وله آفات كاذكرناه في كتاب الصحة والعزلة والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب فإن للسافر إما أن يكون له مزيج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر إليه وإما أن يكون له مقصد ومطلب والهروب عنه إما أمر له نكاسة في الأمور الدنيوية كالطاعون والوباء إذا ظهر يهد أو خوف سببه فتنة أو خصومة أو غلاء سمر وهو إما عام كذا ذكرناه أو خاص كمن يقصد بأفية في بلدة فيهرب منها وإما أمر له نكاسة في الدين كمن ابتلى في بلدة بجاه وصال واتساع أنياب تصده عن التجرد في فيؤثر الغربة والحوال ويغيب السعة والجاه أو كمن يدعى إلى بدعة قهراً أو إلى ولاية عمل لا تهل مباشرة فيطلب القرار منه وأما المطلوب فهو إما دنيوي كالنساء والجاه أو ديني والدين إما علم وإما عمل والعلم إما علم من العلوم الدينية وإما علم بخلق

( الباب الأول في الآداب من أول التهوض إلى آخر الرجوع )

كان في جميع فلك  
السكر سبيحاً مقدماً  
فإذا سمع صوت آدمي  
وحضره مثل ذلك  
السكر امتلاً باطنه  
ذكراً وفكراً كيف  
يسكر ذلك . حكى  
بعض الصالحين قال  
كنت متكبلاً في جامع  
جدة على البحر فرأيت  
يوماً طائفة يقولون في  
جانب منه شيئاً  
فأنكرت ذلك فبلغني  
وقلت في بيت من بيوت  
الله تعالى يقولون  
الشعر فرأيت رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
في لثام تلك البلية وهو  
جالس في تلك الناحية  
وإلى جنبه أبو بكر  
وإذا أبو بكر يقول  
شيئاً من القول والنهي  
صلى الله عليه وسلم  
يستمع إليه ويضع يده  
على صدره كالواجد  
بذلك فقلت في نفسي  
ما كان ينبغي لي أن  
أنسرك على أولئك  
الذين كانوا يسمعون  
وهذا رسول الله



نفسه وصفاته على سبيل التجربة وإماعل بآيات الأرض ومجابتها كسفر ذى القرنين وطوافه في نواحي الأرض والعمل إما عادة وإما زيارة والمباداة هو الحج والعمرة والجهاد والزيارة أيضا من القربات وقد قصد بها مكان كسكة وللمدينة وبيت المقدس والتعود فإن الرباط بها قرابة وقد يقصد بها الأولياء والعلماء وهم إما موفى قزار يقومهم وإما أعيان فيترك مشاهدتهم ويستغاد من النظر إلى أحوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم فهذه هي أقسام الأسفار ويخرج من هذه القسمة أقسام . القسم الأول : السفر في طلب العلم وهو إما واجب وإما نفل وذلك بحسب كون العلم واجبا أو نفلًا وذلك العلم لإماعل بأمر دينه أو بأخلاقه في نفسه أو بآيات الله في أرضه وقد قال عليه السلام « من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع »<sup>(١)</sup> وفي خبر آخر « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة »<sup>(٢)</sup> وكان سيدي السبب يسافر الأيام في طلب الحديث الواحد . وقال الشيخ لوسافر رجل من الشام إلى أقصى الصين في كفة تدله على هدى أو تده عن ردى ما كان سفره ضامًا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرًا في حديث بانهم عن عبد الله بن أنيس الأنصاري يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صموا<sup>(٣)</sup> وكل من كور في العلم حصله من زمان الصحابة إلى زماننا هذا لم يحصل العلم إلا بالسفر وسافر لأجله وأما علمه بنفسه وأخلاقه فذلك أيضًا منهم فإن طريق الآخرة لا يمكن سلوكها إلا بتحصين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على أسرار باطنه وخبايا صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وإنما السفر هو الذي يسفر عن أخلاق الرجال وبه يخرج الله الحب في السموات والأرض وإنما معي السفر سفرًا لأنه يسفر عن الأخلاق ولذلك قال عمر رضي الله عنه للذي زكى عنده بعض اليهود هل يحبني في السفر الذي يستدل به على مكازم أخلاقه فقال لا فقال ما أراك تعرفه . وكان بشر يقول يامعشر القراء سيحوا تظيوا فإن للساء إذا ساج طاب وإذا طال مقامه في موضع قفر . وبالجملة فإن النفس في الوطن مع مواناة الأسباب لا تظهر خبايا أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات الممودة فإذا حملت غواء السفر وصرفت عن مألفاتها المعتادة واستجنت بمشاق القرية انكشفت غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بملاحيها وقد ذكرنا في كتاب النزلة فوائد المألفات والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتال مشاق . وأما آيات الله في أرضه ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر فيها قطع متجاوزات وفيها الجبال والبراري والبحار وأنواع الحيوان والنبات وما من شيء منسأ إلا هو شاهد لله بالوحدانية ومسيح له بلسان ذلك لا يدرك إلا من ألقى السمع وهو شهيد وأما المجاهدون والمجاهدون وللمفترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يصبرون ولا يصمدون لأنهم عن السمع معزولون وعن آيات ربهم محجوبون . يصلون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وما أريد بالسمع السمع الظاهر فالذين أريدوا به ما كانوا معزولين عنه وإنما أريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر إلا الأصوات ويشارك الإنسان فيه

(١) حديث من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع الترمذي من حديث أنس وقال حسن غريب (٢) حديث من سلك طريقا يلتمس فيه علما الحديث رواه مسلم وتقديم في الم (٣) حديث رجل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرًا في حديث بانهم عن عبد الله بن أنيس الأنصاري يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صموا وكل من كور في العلم حصله من زمان الصحابة إلى زماننا هذا لم يحصل العلم إلا بالسفر وسافر لأجله وأما علمه بنفسه وأخلاقه فذلك أيضًا منهم فإن طريق الآخرة لا يمكن سلوكها إلا بتحصين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على أسرار باطنه وخبايا صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وإنما السفر هو الذي يسفر عن أخلاق الرجال وبه يخرج الله الحب في السموات والأرض وإنما معي السفر سفرًا لأنه يسفر عن الأخلاق ولذلك قال عمر رضي الله عنه للذي زكى عنده بعض اليهود هل يحبني في السفر الذي يستدل به على مكازم أخلاقه فقال لا فقال ما أراك تعرفه . وكان بشر يقول يامعشر القراء سيحوا تظيوا فإن للساء إذا ساج طاب وإذا طال مقامه في موضع قفر . وبالجملة فإن النفس في الوطن مع مواناة الأسباب لا تظهر خبايا أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات الممودة فإذا حملت غواء السفر وصرفت عن مألفاتها المعتادة واستجنت بمشاق القرية انكشفت غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بملاحيها وقد ذكرنا في كتاب النزلة فوائد المألفات والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتال مشاق . وأما آيات الله في أرضه ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر فيها قطع متجاوزات وفيها الجبال والبراري والبحار وأنواع الحيوان والنبات وما من شيء منسأ إلا هو شاهد لله بالوحدانية ومسيح له بلسان ذلك لا يدرك إلا من ألقى السمع وهو شهيد وأما المجاهدون والمجاهدون وللمفترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يصبرون ولا يصمدون لأنهم عن السمع معزولون وعن آيات ربهم محجوبون . يصلون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وما أريد بالسمع السمع الظاهر فالذين أريدوا به ما كانوا معزولين عنه وإنما أريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر إلا الأصوات ويشارك الإنسان فيه

صل الله عليه وسلم  
يسمع وأبو بكر إلى  
جنبه يقول فالتفت  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وهو يقول هذا  
حق بحق أو حق من  
حق بل إذا كان  
ذلك الصوت من أحد  
يغشى بالنظر إليه  
الفتنة أو من امرأة غير  
محرم وإن وجد من  
الأذكى والأفكار  
ما ذكرنا فمحرم معاه  
لحوق الفتنة لا لجرد  
الصوت ولكن بحسب  
سماع الصوت حريم  
الفتنة ولكل حرام  
حريم ينسحب عليه  
حكم للنسوة الصلحة  
كاقبلة للشاب الصائم  
حيث جلست حريم  
حرام الوقوع وكالحلوة  
بالأجنبية وغير ذلك  
فصل هذا قد تقتضي  
للصلحة التمتع من الباع  
إذا علم حال السامع  
وما يؤديه إليه سماعه  
فيحصل للتمتع حريم  
الحرام هكذا وقد  
يشكر السلع جامد

سائر الحيوانات فأما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال الذي هو نطق وراء نطق اللسان يشبه قول القائل حكاية لسلام الوند والحائط قال الجدار للوند لم تنطق فقال سلم من بدقي ولم تركي ورائي الحجر الذي رآني وما من ذرة في السموات والأرض إلا ولها أنواع شهادات فله تعالى بالوحداية هي توحيدها وأنواع شهادات لسانها بالتدسهي تسبيحها - ولكن لا ينقشون تسبيحها - لأنهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر إلى فضاء سمع الباطن ومن ركاك لسان اللقال إلى فصاحة لسان الحال ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان سليمان عليه السلام مختصا بهم منطلق الطير ولما كان موسى عليه السلام مختصا بسمع كلام الله تعالى الذي يجب تحديسه عن مشابهة الحروف والأسماء ومن يسافر ليستغري هذه الشهادات من الأسطر للكتابة بالخطوط الإلهية على صفحات الجمادات لم يطل سفره بالدين بل يستغري في موضع ويخرج قلبه لتفتح بجمع ثقات التسبيحات من آحاد القدرات فإله ولتتردد في القلوب وله غنية في ملكوت السموات والقمر والنجوم بأمره مسخرات وهي إلى أيسار ذوي البصائر مسافرات في الشهر والسنة مررت به في دابة إلى الحركة على توالي الأوقات فمن الغرائب أن يدب في الطواف بأحد المساجد من أمريت السكبة أن تطوف به ومن الغرائب أن يطوف في أكناف الأرض من تطوف به أقطار السماء ثم دام للسافر مفترا إلى أن يصير عالم الملك والشهادة بالمرص الظاهر فهو بعد في القلز الأول من منازل السائرين إلى الله والسافرين إلى خضرته وكأنه متصف في باب الوطن لم يغض به للسير إلى منتهى الفضاء ولا سبب لطول اللقاع في هذا القلز إلا المحين والقصور ولذلك قال بعض أرباب القلوب إن الناس يقولون اخفوا أعينكم حتى تصروا وأنا أقول غمضوا أعينكم حتى تصروا وكل واحد من القولين حق لأن الأول خبر عن القلز الأول القريب من الوطن والثاني خبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطؤها إلا على طائر نفسه والمجازر إليها رعايته فيها بين ورعا يأخذ التوفيق بيده فيرشده إلى سواء السبيل والمالك يكون في الله هم الأكثر من ركاب هذه الطريق ولكن السائحون بنور التوفيق فازوا بالنعم والملك القيم وهم الذين سقطوا من أفق الحسن واعتبر هذا الملك بالملك الدنيا فانه قبل بالامانة إلى كثرة الخلق طلابه ومهما عظم المخلوب نزل لمساعدته الذي يهلك أكثر من الذي يملك ولا يتعدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظيم الخطر وطول التعب:

وإذا كانت النفوس كبارا      ثبتت في مرادها الأجسام

وما أودع الله العز والملك في الدين والدنيا إلا في حيز الخطر وقد يسمى الجبان المحين والقصور باسم الحزم والحذر كما قيل :

تري الجبناء أن الجبن حزم      وتلك خديعة الطبع الشيم

فهذا حكم السفر الظاهر إذا أريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الله في الأرض . فلنرجع إلى الفرض الذي كنا قصده ولنبين القسم الثاني : وهو أن يسافر لأجل العبادة إما للحج أو جهاد وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه وأعماله الظاهرة والباطنة في كتاب أسرار الحج ويدخل في جملة زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء وكل من يترك بعشادته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويمجوز شد الرجال لهذا الفرض ولا ينعن من هذا قوله عليه السلام «واتشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى» (١) لأن ذلك في المساجد قائما متناهية بعد هذه المساجد وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء

آتي سلة بن خلف وهو أمير مصر في حديث آخر وكلامه منقطع (١) حديث لاتشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد الحديث تقدم في الحج .

الطبع عديم الذوق  
فقال له : العين لا يلم  
لذة الواقع والكفوف  
ليس له بالجمال البارح  
استمتاع وغير الصاب  
لا ينسكهم بالامترجاع  
فإذا ينكره من محب  
ترى باطنه بالشوق  
والهبة ويرى انجاس  
روحه الطيارة في  
مضيق قصص النفس  
الأمانة يمر بروحه  
نسيم أنس الأوطان  
وتلوح له طالع جنود  
المرقان وهو بوجود  
النفس في دار القرية  
يتجرع كأس المجران  
يشن تحت أعباء المجاهدة  
ولا تحمل عنه سوانح  
لشاهدة وكما قطع  
منازل النفس بكثرة  
الأعمال لا يقرب من  
حكمة الوصول  
ولا يكشف له السبل  
من الحجاب فيترج  
بنفس الصعداء ويرتاح  
بالأخمس شد البرحاء  
ويقول مخاطبا للنفس  
والشيطان وهما اللذانان:  
أيا جيل لئمان باقه خلبا

وأصل الفضل وإن كان يتفاوت في الدرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجاتهم عند الله . وبالجملة زيارة الأحياء أولى من زيارة الأموات والقائمة من زيارة الأحياء طلب بركة الدعاء وبركة النظر إليهم فإن النظر إلى وجوه العلماء والصالحين عبادة وفيه أيضاً حركة للربة في الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم هذا سوى ما ينتظر من القوائد العلية السفانة من أنفاسهم وأفعالهم كيف وعمره زيارة الإخوان في الله فيه فضل كما ذكرناه في كتاب الصبغة وفي التوراة : سر أربعة أمياله زراً في الله . وأما البقاء فلامنى زيارته سوى الساجدة الثلاثة وسوى الثغور المرتبطة بها فالحدث ظاهري وأنه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاء إلا إلى الساجدة الثلاثة وقد ذكرنا فضائل الحرمين في كتاب الحج ، وبيت المقدس أيضاً فيه فضل كبير خرج ابن عمر من المدينة فاصدا بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم راجعاً من البلد إلى المدينة وقد سأله سليمان عليه السلام ربه عز وجل أن من قصد هذا المسجد لأيمته إلا الصلاة فيه أن لا تصرف نظرك عنه مادام مقبياً فيه حتى يخرج منه أن يخرج من ذلك يوم ولدته أمه فأعطاه الله ذلك . القسم الثالث : أن يكون السفر للهرب من سبب مشوش قد بين وذلك أيضاً حسن فالقارعا يطلق من سنن الأنبياء والمرسلين . ويجب المهرجته الولاية والجاه وكثرة الملائق والأسباب فإن كل ذلك يشوش فراغ القلب والدين لا يمل إلا بطلب فارغ عن غير الله فإن لم يمل فراغه بقدر فراغه تصور أن يشغل بالدين ولا تصور فراغ القلب في الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ولكن تصور تخفيفها وتقليلها وقد نجح الخفون وهلك المتقنون والحدف الذي لم يسلق النجاة بالفراغ النطاق عن جميع الأوزار والأعباء بل قبل الخف بفضله وعمله بسعة رحمة والخف هو الذي ليست الدنيا كرهه وذلك لا يتيسر في الوطن لمن اتسع جاحه وكثرت علاقته فلا يمل مقصوده إلا بالتأقربة والحول وقطع الملائق التي لا بد عنها حتى يروض نفسه مدة مدبرة ثم يارب يده الله بموته فيتم عليه بما يقوى به يتيقن ويطمئن به قلبه فيستوى عنده الحضر والسفر ويقارب عنده وجود الأسباب والملائق وعدمه فلا يصده شيء منها عما هو يصدده من ذكر الله وذلك على وجوده جدا بل الطالب على القلوب الضمف والقصور عن الاتساع للخلق والخائف وإنما يسمد بهذه القوة الأنبياء والأولياء والوصول إليهم بالكسب شديد وإن كان للاجتهاد والكسب فيها مدخل أيضاً ومثال تفاوت القوة الباطنة في كثافتها القوة الظاهرة في الأعضاء قرب رجل قوى ذي مرئى شديد الأعصاب محكم البنية يستغل بعمل ما مؤثره ألف رطل مثلاً فلو أراد الضعيف المريض أن ينال رتبته بعمارة الجمل والتدريج فيه قليلاً قليلاً لم يقدر عليه ولكن المارة والجهد يزيد في قوته زائداً وإن كان ذلك لا يلبثه درجته فلا يبنى أن يترك الجهد عند الرأس عن الرتبة العليا فإن ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال وقد كان من عادة السلف رضى الله عنهم مغارقة الوطن خيفة من الفتن وقال سفيان الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الحامل فكيف على الشنبرين هذا زمان رجل يتنقل من بلد إلى بلد كما عرف في موضع تحول إلى غيره وقال أبو نعيم رأيت سفيان الثوري وقد علق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره قتل في أين يا أبا عبد الله قال بلغني عن قرية فيها رخص أن أريد أن أقيم بها قتلته له وتفضل هذا قال نعم إذا بلغك أن قرية فيها رخص أن أقيم بها فانه أسلم لديك وأقل لحكم وهذا هرب من غلاء السعر وكان سري السقطي يقول للصوفية إذا خرج الشتاء قد خرج أذار وأوردت الأشجار وطاب الانتشار فانتشروا وقد كان الخواص لا يقيم يلد أكر من أربعين يوماً وكان من التوكلين وبرى الإقامة اعتقاداً على الأسباب قادحاً في التوكل وسيأتى أسرار الاعتقاد على الأسباب في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى . القسم الرابع : السفر هرباً عما يقدح في البدن كالطاعون أو في المال كغلاء السعر

نسب الصباغ إلى

نسيها

فان الصباغ إذا

ماقتست

على قلب حمزون تجلت

هوما

أجد ردها أوتفت

من حرارة

على كبد لم يبق إلا

صحبها

ألا إن أدواى بلبلى

قدمة

وأقل دام العاشقين

قدحها

وللنكر يقول هل

الحية إلا امتال الأمر

وهل يعرف غير هذا

وهل هناك إلا الخوف

من الله ويشكر الحية

الحاصلة التي تخمس

بالعلم الراسخين

والأبدال القريين ولما

تقرر في فهمه القاصر

أن الحية تستدعي

مثلاً وخيلاً وأجاساً

وأشكالاً أنكر حبة

القوم ولم يعلم أن القوم

بلغوا في رب الإيمان

إلى أتم من المحسوس

وجادوا من فرط

أو ما يجري مجراه ولا حرج في ذلك بل ربما يجب القرار في بعض الواضع وربما يستحب في صن بحسب وجوب ما يترتب عليه من الفوائد واستجابه ولكن يستثنى منه الطاعون فلا ينبغي أن ينز عنه لورود النهي فيه قال أسامة بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الوبع أو السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم » ثم بقي يمد في الأرض فيذهب الوباء وبأن الأخرى فمن سمع به في أرض فلا يمد من عليه ومن وقع بأرض وهو بها فلا يخرج منه القرار منه (١) وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ « إن فناء أمتي بالطن والطاعون قتل هذا الطعن قد عرفناه في الطاعون قال غدة كمنة البعير تأخذهم في مراتهم للسلم ليت منه شهيد والقيم عليه المذهب كالمرباط في سبيل الله والقار منه كالنار من الزحف (٢) » وعن مكحول عن أم أيمن قالت « أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه لا تشرك بالله شيئا وإن عذبت أو حرقت وأطع الله ورسوله وإن أمرك أن تخرج من كل شيء هو لك فاخرج منه ولا تشرك الصلاة عمدا فإن من ترك الصلاة عمدا قد برئت ذمة الله منه وديك والجرم فاتها مفتاح كل شر وديك والمصيبة فاتها تسخط الله ولا تخرج من الزحف وإن أصاب الناس موتان وأنت فيهم فابتغيهم أجمعين من طوك على أهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم أخفهم الله (٣) » فهذه الأحاديث تدل على أن القرار من الطاعون منهي عنه وكذلك القدوم عليه وسيأتي شرح ذلك في كتاب التوكل فهذه أقسام الأسفار وقد خرج منه أن السفر ينقسم إلى ممدوم وإلى عهود وإلى مباح والممدوم ينقسم إلى حرام كإتيان القيد وسفر العاق وإلى مكروه كالطروج من بلد الطاعون والممدود ينقسم إلى واجب كالطبع وطلب العلم الذي هو فرض على كل مسلم وإلى مندوب إليه كزيارة المساجد والبقاء ومشاهدة المدن والديار ولكن نيت الأجرة في جميع أسفاره وذلك ظاهر في الواجب وللندوب ومحال في المكروه والمطلوب . وأما الباع فرجعه إلى النية فهما كان قصده بطلب المال مثلا لتصف عن السؤال ورواية سائر الرواة على أهل البيت والديار والتصديق بما ينقل عن مبلغ الحاجة صار هذا الباع بهذه النية من أعمال الآخرة ولو خرج إلى الحج وبعثه الرياء والسمعة فخرج عن كونه من أعمال الآخرة لقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات (٤) » لقوله صلى الله عليه وسلم الأعمال بالنيات عام في الواجبات والمندوبات والباحات دون المخطورات فإن النية لا تؤثر في إخراجها عن صحتها من المخطورات وقد قال بعض السلف : إن الله تعالى قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون إلى مقاصدهم فيعطى كل واحد على قدر نيته فمن كانت نيته الدنيا أعطى منها وقص من آخرته أضافه وفرق عليه همه وكثر بالحرس والرغبة فظله ومن كانت نيته الآخرة أعطى من البصيرة والحكمة والفطنة وقص له من التذكرة والبركة بتدبر نيته وجمع له همه ودعت له اللاتعة واستغفرت له . وأما النظر في أن السفر هو الأفضل أو الإقامة فذلك يضاهي النظر في أن الأفضل هو العزلة أو الخلطة وقد ذكرنا هنا في كتاب العزلة فليتهم هذا أنه فإن السفر نوع خلطة مع زيادة تعب ومقنة تفريق الهم وتشتت القلب في حتى الأكثرين والأفضل في هذا ما هو الأعون على الدين ونهاية ثمر الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله تعالى

(١) حديث أسامة بن زيد إن هذا الوبع أو السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم الحديث متفق عليه واللفظ للسلم (٢) حديث عائشة إن فناء أمتي بالطن والطاعون الحديث رواه أحمد وابن عبد البر في التمهيد بإسناد جيد (٣) حديث أم أيمن أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أهله لا تشرك بالله شيئا وإن حرقت بالنار البيهقي وقال فيه إرسال (٤) حديث الأعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم .

المكتشف والبيان بالأرواح والنفس .  
 روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه ذكر غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأخيه من خلق السماء قالت الله قال من خلق الأرض قالت الله قال من خلق الجبال قالت الله قال من خلق النعم قالت الله فقال إني أسمع شأنا ويرى بنفسه من الجبل فتقطع » فالجبال الأزل الإلهي مكتشف للأرواح غير مكيف للعقل ولا مفسر فانهم لأن العقل موكل بحال الشهادة لا يهتدي من الله سبحانه إلا إلى مجرد الوجود ولا يتطرق إلى حرم الشهود التجلي في طي القباب المكتشف للأرواح بلاربيب وهذه رتبة من مطالعة الجمال رتبة خاصة وأعم منها من رتب المحبة والخمسة

دون العامة مطالعة  
جمال الكمال من  
الكبرياء والجلال  
والاستقلال بالنسب  
والنوال والصفات  
للنقمة إلى ما ظهر  
منها في الآباد ولازم  
الذات في الآزال فللكمال  
جمال لا يدرك بالحواس  
ولا يستبطن بالقياس  
وفي مطالعة ذلك الجمال  
أخذنا طائفة من المهيين  
خضوا بسجلى الصفات  
ولهم بحسب ذلك ذوق  
وشوق ووجد وصحاح  
والأولون منحوا قسطا  
من تجلى الذات فكان  
جدهم على قدر الوجود  
وصحاحهم على جدد  
الشهود . وحكى بعض  
لشايخ قال رأيت جماعة  
من يسعى على اللاء  
والهواء يسمعون  
البيع ويحسدون به  
ويتوكلون عنده .  
وقال بعضهم كما على  
أخواننا فجعل يتقلب  
على الماء بحر . ويحس  
حتى رجع إلى مكانه .

وتحصيل الأُنس بذكر الله تعالى والأُنس يحصل بدوام الذكر وللمرقة يحصل بدوام الفكر ومن لم ينم  
طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما والسفر هو اللين على التسلم على الابتداء والاقامة هي اللينة على العمل  
بالعلم في الابتاه . ولما السباحة في الأرض على الهوام فمن للشوشات للقلب إلى حق الأقواء فان السافر  
وما له لقل إلى الاماوى الله فلا يزال للسافر مشغول القلب بتارة بالخوف على نفسه وماله وتارة بفارقة  
ما الله واعتاده في إقامته وإن لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف إلى الخلق  
فأثرة يضعف قلبه بسبب الفقر وتارة يقوى باستحکام أسباب الطمع ثم الشغل بالحطو والترحال مشوش  
لجميع الأحوال ، فلا ينبغي أن يسافر المرء إلا في طاب علم أو مشاهدة شيخ يقتدى به في سيرته وتستفاد  
الرفقة في الحير من مشاهدته فان اشتغل بنفسه واستبصر واعتصم طريق الفكر أو العمل فالسكون  
أولى به لأن أكثر متسوفة هذه الأعصار لما حلت بواطنهم عن لطائف الأفكار ودقائق الأعمال ولم  
يحصل لهم أنس بالله تعالى وبذكره في الخلوة وكانوا بطلان غير محترفين ولا مشغولين قد أفلتوا البطالة  
واستغفوا العمل واستوعروا طريق الكسب واستأنوا جانب السؤال والكسب واستأنوا بوا الرباطات  
البنية لهم في البلاد واستخرجوا الحدم للتنسبين للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم وأديتهم من  
حيث لم يكن تصدهم من الخسمة إلا الرياء والسمة وانتشار الصيت واقتناص الأموال بطريق السؤال  
تعاليا بكثرة الأشباع فلم يكن لهم في الخاتحات حكم نافذ ولا تأديب للريدين نافع ولا حرج عليهم قاهر  
فلبسوا للزفات وتخذوا في الخاتحات منزعات وربما نلقفوا ألقاظا مزخرفة من أهل الطامات  
فينظرون إلى أنفسهم وقد تشبوا بالقوم في خرقهم وفي سياحتهم وفي لفظهم وفي عبارتهم وفي آداب ظاهرة  
من سيرتهم فيظنون بأنفسهم خيرا ويحسبون أنهم يحسنون صنعا ويمتدنون أن كل سوداء بكرة  
ويؤمنون أن الشاركة في الظاهر توجب السامعة في الخفايا وهيات لما أغزر حماقة من لا يميز بين  
الشحم والورم فهو لاء بضاه الله فان الله تعالى يبين للشاب القارغ ولم يحماهم على السباحة إلا للتياب  
والفراغ إلا من سافر ملجأ أو عمره في غير رياء ولا مصلحة أو سافر لمشاهدة شيخ يقتدى به في عمله  
وسيرته وقد دخلت البلاد عنه الآن والأمور الدينية كلها قد فسدت وضمت إلى التصوف فانه قد انحرف  
بالكلية وبطل لأن العلوم لم تدرس بعد والعالم وإن كان عالمه قائما فساد في سيرته لافي عمله فيبقى  
علما غير عامل بعلمه والعمل غير العلم وأما التصوف فهو عبارة عن تجرد القلب لله تعالى واستحقار  
ماسوى الله وحاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح ومهما فسد العمل فأت الأمر وفي أسفار هؤلاء  
نظر لقفاه من حيث إنه إلتاب لنفسه بلا فائدة وقد يقال إن ذلك ممنوع ولكن الصواب عندنا أن  
تحكم بالإباحة فان حظوظهم الفرج عن كرب البطالة مشاهدة البلاد المختلفة وهذه الحظوظ وان كانت  
خسيسة فنفس التحرركين لهذه الحظوظ أيضا خسيسة ولا بأس باتاب حيوان خسيس لحظ خسيس  
يليق به ويؤد إليه فهو التآذي والتلذذ والفتوى تقتضي تشييت العوام في الباحات التي لا تفرق ولا  
ضرر فالساعون في غير مهم في الدين والدنيا بل لحض الفرج في البلاد كالبهايم للتردة في الصحارى  
فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم يلبسوا إلى الخلق حالهم وإنما عصيتهم في التلبس  
والسؤال إلى اسم التصوف والأكل من الأوقاف التي وقفت على الصوفية لأن الصوفى عبارة عن  
رجل صالح عدل في دينه مع صفات أخر وراء الصلاح ومن أقل صفات أحوال هؤلاء أكلهم أموال  
السلطين وأكل الحرام من الكبار فلا تقيمه العدالة والصلاح ولو تصور صوفى فائق لتصور صوفى  
كافر وقي بهودى وكان الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفى عبارة عن عدل مخصوص  
لا يتصرف في دينه على القدر الذى يحصل به العدالة ، وكذلك من نظر إلى ظواهرهم ولم يعرف بواطنهم .

وأعظم من ماله على سبيل التقرب إلى الله تعالى حرم عليهم الأخذ وكان ما أكلوه سحتاً وأعنى به إذا كان المولى بحيث لو عرف بواطن أحوالهم ما أعطاهم فأخذ المال باظهار التصوف من غير انصاف بحقيقته كأخذه باظهار نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى ، ومن زعم أنه علوى وهو كاذب وأعطاه مسلم مالا لجه أهل البيت ولولم أنه كاذب لم يسلط شيئا فأخذه على ذلك حرام وكذلك الصوفى ولهذا احتزروا المتأطون عن الأكل بالدين فإن البالغ في الاحتياط لدينه لا ينفك في باطنه عن عورات لو انكشف للراغب في مواساته لفترت رغبته عن اللواصاة فلا جرم كانوا لا يشترطون شيئا بأنفسهم مخافة أن يساعوا لأجل دينهم فيكونوا قد أكلوا بالدين وكانوا يوكون من يشتري لهم ويشترون على الوكيل أن لا يظهر أنه لمن يشتري ثم إنما عمل أخذ ما يسلط لأجل الدين إذا كان الأخذ بحيث لو علم المولى من باطنه ما يسلط الله تعالى لم يقتض ذلك خورا في رأيه فيه والله اقل للصف يعلم من نفسه أن ذلك تمتع أو عزز وللرور الجاهل بنفسه أخرى بأن يكون جاهلا بأمر دينه فإن أقرب الأشياء إلى قلبه قلبه فإذا التبس عليه أمر قلبه فكيف ينكشف له غيره ومن عرف هذه الحقيقة فزمه لاهالة أن لا يأكل إلا من كسبه ليأمن من هذه القاتلة أو لا يأكل إلا من مال من يعلم قطعا أنه لو انكشف له عورات باطنه لم يمتنع ذلك عن مواساته فإن اضطر طالب الحلال ومريد طريق الآخرة إلى أخذ مال غيره فليصبر له ولو قيل إنك إن كنت تعطى لما تنمده في من الدين فلمست مستحقا لذلك ولو كشف الله تعالى سري لم تزل بين التزوير بل اعتقدت أنى شر الحلق أومن شرارهم فإن أعطاه مع ذلك فلأخذه فانه ربما يرضى منه هذه الحصة وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم استحقاقه لما يأخذ ولكن ههنا مكيدة لنفس بينة وعادة لظفطن لها وهو أنه قد يقول ذلك منظرا أنه متقبة بالمصالحين في ذمهم فوسهم واستخارهم لها ونظرم إليها بين الفت والازدراء فتكون صورة الكلام صورة التقص والازدراء وباطنه وروحه هو عين اللع والاطراء ، فكمن من ذام نفسه وهو لها مادم بين ذمه فدم النفس في الخلوة مع النفس هو الحمد وأما القم في اللع فهو عين الرياء إلا إذا أوردته إرادا يحصل للستمع يقينا بأنه مقترف للذنوب ومترف بها وذلك مما يمكن تفهمه بقرائن الأحوال ويمكن تلبسه بقرائن الأحوال والصادق بينه وبين الله تعالى يعلم أن مصادته لله عز وجل أو مصادته لنفسه محال فلا يتعدر عليه الاحتراز عن أمثال ذلك فهذا هو القول في أقسام السفر ونية السافر وفضيته .

( الفصل الثانى فى آداب السافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه وهى أحد عشر أدبا )

الأول أن يبدأ بالظالم وقضاء الديون وإعداد الثقة لمن تلمذه ثقته وبرد الودائع إن كانت عنده ولا يأخذ زاده في سفره ولا يدعى السفر من طيب الكلام وإطعام الطعام وإظهار مكارم الأخلاق في السفر فانه يخرج خيايا الباطن ومن ملح لصعبة السفر ملح لصعبة الحضر وقد يصلح في الحضر من لا يصلح في السفر ولذلك قيل إذا أتى على الرجل مالماله في الحضر ورزقناه في السفر فلا تشكوا في صلاحه والسفر من أسباب الضجر ومن أحسن خلقه في الضجر فهو الحسن الحلق ولا فئند مساعدة الأور على وفق القرض فلما يظهر سوء الحلق . وقد قيل ثلاثة لا يلامون على الضجر : الصائم والمرضى والمسافر . وتعام حسن خلق المسافر الإحسان إلى المسكاري ومعاونة الرقة بكل ممكن والرفق بكل منقطع بأن لا يجاوزه إلا بالاعانة يمر كروب أوزاد أو توقف لأجله وتعام ذلك مع الرقاء بمزاج ومطاطية في بعض الأوقات من غير غش ولا مصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشافة . الثانى : أن يختار رفيقا .

وقيل أن بعضهم كان يتقلب على النار عند السماع ولا يحس بها .  
وقيل أن بعض الصوفية ظهر منه وجد عند السماع فأخذ شمة فجعلها في عينه قال الناقل قربت من عينه أنظر فرأيت نارا أو نورا يخرج من عينه يرد نار الشمة . وحكى عن بعضهم أنه كان إذا وجد عند السماع ارتفع عن الأرض في الهواء أدعرا يرومى فيه . وقال الشيخ أبو طالب للكي رحمه الله في حكاياه إن أنكرنا البيع مجلا مطلقا غير مفيد مفصل يكون إنكارا على سبعين صدقا وإن كنا نعلم أن الانكار أقرب إلى قلوب القراء والتعبدين إلا أننا لا نعلم ذلك لأننا نعلم ما لا يعلمون وممننا عن السلف من الأصحاب والتابعين ما لا يسمعون وهذا قول الشيخ عن

ولا يخرج وحده فالرفيق ثم الطريق وليسكن رفيقه عن يمينه على الدين فيذكره إذا نسي وبينه وساعده إذا ذكره عن اليمين على دين خليله ولا يعرف الرجل إلا برفيقه وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن أن يسافر الرجل وحده (١) وقال الثلاثة نفر (٢) وقال أيضاً إذا كنتم ثلاثة في السفر فأمرؤا أحكمكم وكانوا يفعلون ذلك ويقولون هذا أمير تأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وليؤمروا أحسنهم أخلاقاً وأزرقهم بالأنصاف وأسرعهم إلى الابتزاز وطلب المواقفة وإنما يحتاج إلى الأمير لأن الآراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ولا نظام إلا في الوحدة ولا فساد إلا في الكثرة وإنما انتظم أمر العالم لأن مدبر الشكل واحد لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدنا جميعاً كان للدروا واحد انتظم أمر التديير وإذا كثرت الدرون فسدت الأمور في الحضر والسفر إلا أن مواطن الإقامة لا تخلو عن أمير عام كأمير البلد وأمير خاص كرب الدار وأما السفر فلا يتعين له أمير إلا بالتأخير فلماذا وجب التأخير ليجمع شتات الآراء على أمير أن لا ينظر إلا لمصلحة القوم وأن يجعل نفسه وقاية لهم كما فعل عن عبد الله المروزي أنه سمعه أبو علي الرباطي قال هل أن تسكون أنت الأمير أو أنا فقال بل أنت فلم يزل يعمل الزاد لنفسه ولأبي على نظره فأعطرت الساعات ليلة قيام عبد الله طول الليل على رأس رفيقه وفي يده كساء يمنع عن الطر فكم قال له عبد الله لا تفعل يقول ألم تعلم إن الأمارة مسلعة لي فلا تتحكم علي ولا ترجع عن قولك حتى قال أبو علي وددت أني مت ولم أقل له أنت الأمير ، فمكثنا يني أن يكون الأمير وقد قال صلى الله عليه وسلم « خير الأصحاب أربعة » (٤) ونخصص الأربعة من بين سائر الأعداد لا بد أن يكون له فائدة والذي يتضح فيه أن السافر لا يخلو عن رجل يحتاج إلى حفظه وعن حاجة يحتاج إلى التردد فيها ولو كانوا الثلاثة لكان للتردد في الحاجة اثنتان لكان الحافظ للرجل واحداً فلا يخلو أيضاً عن شريك الصدر قائد ولو تردد في الحاجة اثنتان لا يفي بالمقصود وما فوق الأربعة يزيد فلا يجمعهم رابطة واحدة فلا ينفذ بينهم الترافق لأن الخامس زيادة بعد الحاجة ومن يستغنى عنه لا تنصرف المهمة إليه فلا تتم المرافقة معه ثم في كثرة الرقاء فائدة للأمن من المخاوف ولكن الأربعة خير للرافقة الخاصة لا للرافقة العامة وكمن رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق لا يكتم ولا يغالط إلى آخر الطريق لاستخفاف عنه . الثالث : أن يودع رقاء الحضر والأهل والأصدقاء وليدع عند الدواع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم سمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنه من مكة إلى المدينة حرساً الله فلما أردت أن أفارقه شيعتي وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال لعنان إن الله تعالى إذا استودع شيئاً حفظه وإن استودع الله دينك وأمانتك وخواتم مملكك » (٥) وروى زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث النهي عن أن يسافر الرجل وحده أحمد من حديث ابن عمر بسند صحيح وهو عند البخاري بإسقاط لو يعلم الناس ما في الوحدة ماضى راكب بليل وحده (٢) حديث الثلاثة نفر رويته من حديث علي في وصيته الشهيرة وهو حديث موضوع والعروف الثلاثة ركب رواه أبو داود والترمذي وحسنه النسائي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٣) حديث إذا كنتم ثلاثة فأمرؤا أحكمكم الظرف من حديث ابن مسعود بإسناد حسن (٤) حديث كانوا يفعلون ذلك ويقولون هو أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم الابتزاز والحاكم عن عمر أنه قال إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمرؤا أحكمكم أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث حبر الأصحاب أربعة أبو داود والترمذي والحاكم من حديث ابن عباس قال الترمذي حسن عريب وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين (٦) حديث ابن عمر قال لعنان إن الله إذا

عليه الوافر بالنسب والآثار مع اجتهاده ونحريه الصواب ولكن تبسط لأهل الابتكار لسان الاعتذار وأوضح لهم الفرق بين صانع يؤثر وبين صانع يتكره وسمع الشبل قاتلاً يقول :

أسألك عن سلى فهل من مخبر  
يكون له علم بها أين تنزل

فزعق الشبل وقال لا والله في الدارين عنه مخبر . وقيل الوجه سر صفات الباطن كما أن الطاعة سر صفات الظاهر وصفات الباطن الأحوال والأخلاق . وقال أبو نصر السراج أهل السباع على ثلاث طبقات قوم يرجعون في سماعهم إلى مخاطبات الحق لهم فيها يسعون وقوم يرجعون فيها يسمعون إلى مخاطبات أحوالهم ومقامهم وأوقاتهم

أَنَّهُ قَالَ « إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ سَفَرًا فَلْيُؤَدِّهِ إِخْوَانُهُ أَنْ تَعَالَى جَعَلَ لَهُ فِي دَعَائِهِمُ الْبِرْكَ » (١) وَعَنْ  
عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِي عَن جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا وَدَعَ رَجُلًا قَالَ « زَوِّدْكَ  
اللَّهُ التَّوْبَى وَغَفِرْ ذَنْبَكَ وَجُودَكَ إِلَى الْخَيْرِ حَيْثُ تَوَجَّهْتَ » (٢) فَبِذَا دَعَا الْقَوْمَ لِلْمَعْلُومَةِ وَقَالَ مُوسَى بْنُ  
رِذَّانٍ أَتَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوْدَعَهُ لِسْفَرِ أَرْدَنَةَ قَالَ أَلَا عِلْمُكَ بِأَنْ إِخِي شَيْخًا عَلَيْهِ رَسُولُ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ الْوَدَاعِ قُلْتُ بَلَى قَالَ « أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ الَّذِي لَا تُضَيِّعُ وَدَاعَهُ » (٣) وَعَنْ  
أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ « إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا فَأَوْصِيْ بِمَا  
لَهُ فِي حِفْظِ اللَّهِ فِي كَفَنِهِ زَوِّدْكَ اللَّهُ التَّوْبَى وَغَفِرْ ذَنْبَكَ وَجُودَكَ الْخَيْرِ حَيْثُ كُنْتُ وَأُنْهَيْتُ » (٤) «  
شَكَ فِيهِ الرَّوْى . وَيُسَمَّى إِذَا اسْتَوْدِعَ اللَّهُ تَعَالَى مَخْلُوقًا أَنْ يَسْتَوْدِعَ الْجَمْعَ وَلَا يَخْصُ قَدْ رَوَى أَنَّ  
عَمْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَطْلِي النَّاسَ عَطَايَا إِذَا جَاءَهُ رَجُلٌ مَعَهُ ابْنٌ لِقَالَ لَهُ عَمْرُ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَبَّهَ  
بِأَحَدٍ مِنْ هَذَا بِكَ فَقَالَ الرَّجُلُ أَحَدْتُكَ عَنْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَمْرِهِ إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَخْرِجَ إِلَى سَفَرٍ وَأَمَّا  
سَاحِلٌ بِمَا قَالَتْ تَخْرُجُ وَتَدْعِي عَلَى هَذَا الْحَالِ قُلْتَ اسْتَوْدِعَ اللَّهُ مَا فِي بَيْتِكَ غَرِيبٌ ثُمَّ قَدِمْتَ فَأَذَاهُ  
قَدْ مَاتَ جَلَسْنَا نَحْنُ تَحْتُهَا نَارُ عَلَى قُرْبَاهَا قُلْتُ لِلْقَوْمِ مَا هَذَا النَّارُ قَالُوا هَذَا النَّارُ مِنْ قَبْرِ فَلَانَتْ نَارُهَا  
كُلَّ لَيْلَةٍ وَقُلْتُ وَاللَّهِ إِنِّي كَانَتْ لِحَاصِمَةً قَوْمًا فَأَخَذْتُ الْعُلُوقَ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ الْغُرَبَاءِ نَارُهَا سَاحِلٌ وَإِذَا هَذَا  
التَّلَامُ يَدْبُ قَبِيلِي إِلَى هُنَا وَدَيْتُكَ وَلَوْ كُنْتُ اسْتَوْدِعْتُ أَمَلُوجِدُنَا قَالُوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَمْ يَوْ  
أَشَبَّهُكَ مِنَ التَّرَابِ الْغُرَابِ . الرَّابِعُ : أَنْ يَطْلِي قَبْلَ سَفَرِهِ صَلَاةَ اسْتِخَارَةٍ كَمَا وَضَعَهَا فِي كِتَابِ  
الصَّلَاةِ وَفِي الْحَرْجِ يَطْلِي لِأَجْلِ السَّفَرِ قَدْ رَوَى أَنَّ بَنِي مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ « إِنِّي نَذَرْتُ سَفَرًا وَقَدْ كُنْتُ وَصِيْقًا إِلَى أَيِّ الثَّلَاثَةِ أَذْهَبُ إِلَى ابْنِ أَبِي هَاشِمٍ  
أَبِي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا اسْتَخْلَفَ عَيْدٌ فِي أَهْلِهِ مِنْ خَلِيفَةٍ أَحَبَّ إِلَيْ اللَّهِ مِنْ أَرْبَعِ رَكَاتٍ يُصَلِّينَ فِي بَيْتِهِ  
إِذَا عُدَّ عَلَيْهِ ثِيَابُ سَفَرِهِ يَمُرُّ فِيهَا بِغَاةِ الْكِتَابِ وَقُلُّهُوَ اللَّهُ أَحْمَدُ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ بِهِنَّ إِلَيْكَ  
فَاخْلُقْنِي بِهِنَّ فِي أَهْلِي وَمَالِي فَهِيَ خَلِيفَتِي فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَحِرْزُ حَوْلِ دَارِهِ حَتَّى رَجِعَ إِلَى أَهْلِهِ » (٥)

مرتبون بالصدق  
ومطايون بالصدق  
فبقيا يشيرون له من  
القراء وقوم هم القراء  
الجاردون الذين تطوعوا  
والعالمين ولم تسو  
فوقهم بحجة الدنيا  
والجوع والنسع فيه  
يسمعون لطيفاتهم  
ويؤتيهم بهم الساع  
فهم أقرب الناس إلى  
السلامة وأسلمهم من  
الفتنة وكل قلب ملوث  
عجب الدنيا فباعه  
ساع طبع وتكلف  
وسئل بعضهم عن  
التكلف في الساع فقال  
هو طار من بين

تتكلف في السمع  
الطلب جاء أو منفعة  
دنيوية وذلك تلبس  
وخيانة وتكلف فيه  
اطلب الحقيقة كن  
يطلب الوجد بالتواجد  
وهو بمنزلة التباكي  
الندوب إليه وقول  
القاتل إن هذه الهبة  
من الاجتماع بدعة  
يقال له إنما البدعة  
المهذورة للنوع منها

استودع شيئاً حفظه وأنى استودع الله دينك وأماناتك وخواتم عمالك للناس في اليوم واليلة ورواه أبو داود مختصراً وإسناده جيد (١) - حديث زيد بن أرقم إذا أراد أحدكم سفراً فليودع إخوانه فإن الله جاعل في دعائهم البركة الخراطفي في مكارم الأخلاق بإسند ضيف (٢) - حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - كان إذا ودع رجلاً قال زدوك الله التقوى الخراطفي في مكارم الأخلاق والهاميل في الدعاء وفيه ابن لهجة (٣) - حديث أبي هريرة استودعك الله الذي لاتضع ودائعهم ابن ماجه والنسائي في اليوم واليلة بإسناد حسن (٤) - حديث أنس في حفظ الله وفي كنفه زدوك الله التقوى الحديث تقدم في الملح في الباب الثاني (٥) - حديث أنس أن رجلاً قال إنى نذرت سفراً وقد كسبت وصيتي فأنى أنى الثلاثة أذهبى إلى أبي أنى أم إمرأتى فقال ما استخلف عبيد في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات الحديث الخراطفي في مكارم الأخلاق وفيه من لا يعرف .



والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحانه  
الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون فإذا استوت الدابة تحته فليقل - الحمد لله  
الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله - اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت السمان على  
الأموار . السادس : أن يرحل عن المنزل بكرة - روى جابر « أن النبي صلى الله عليه وسلم رحل يوم  
الخميس وهو يريد تبوك وقال « اللهم بارك لأمتي في بكورها »<sup>(١)</sup> ويستحب أن يبتدىء بالخروج  
يوم الخميس ، فقد روى عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال فلما كان رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يخرج إلى سفر في اليوم الخميس<sup>(٢)</sup> . وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لأمتي  
في بكورها يوم السبت » وكان ﷺ إذا بشره بشئ أول النهار<sup>(٣)</sup> . وروى أبو هريرة رضى الله  
عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها »<sup>(٤)</sup> وقال عبد الله بن عباس:  
إذا كان لك إلى رجل حاجة فاطلبه نهارا ولا تطلبه ليلا واطلبه بكرة فاني سمعت رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يقول « اللهم بارك لأمتي في بكورها »<sup>(٥)</sup> . ولا ينبغي أن يسافر بعد طلوع القمر من يوم  
الجمعة فيكون غاصبا بترك الجمعة واليوم منسوب إليها فكان أوله من أسباب وجوبها والتشيع للوداع  
مستحب وهوسه قال صلى الله عليه وسلم « لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فأكتفه على رحلة غداة  
أوروسة أحب إلى من الدنيا وما فيها »<sup>(٦)</sup> . السابع : أن لا ينزل حتى يحصى التبار فهي السنة ويكون  
أكسريه بالليل قال ﷺ « عليكم بالدجلة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار »<sup>(٧)</sup> ومهما  
أشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أظللن ورب  
التيابطين وما أظللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله  
وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه أصرف عن شرارهم فإذا زل المنزل فليقل فيه ركعتين  
ثم يقل اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه  
الليل فليقل أرض ربك الله أعوذ بالله من شرك ما فيك ومن شر ما فيك ومن شر ما فيك ومن شر ما فيك  
من شر كل أمم وأموذوجة وعقرب ومن شر ما كفى البلد ووالد وما ولد ولما سكن في الليل والنهار  
وهو السبع العليم ومهما علاشرا من الأرض في وقت السير فينبغي أن يقول : اللهم لك الشرف على  
كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما بط سبوح ومهما خاف الوحشة فسفره قال سبحانه للذك  
القدوس رب الملكوت والروح جللت السموات والجبروت . الثامن : أن يحتاط بالتأخير فلا يمشي

(١) حديث جابر أنه صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس يريد تبوك وقال اللهم بارك لأمتي في بكورها  
رواه الخرائطي ، وفي السنن الأربعة من حديث صخر العامري اللهم بارك لأمتي في بكورها قال  
الترمذي حديث حسن (٢) حديث كعب بن مالك فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج  
إلى سفر إلا يوم الخميس والسبت البزار مقتصر على يوم خميسها والخرائط مقتصر على يوم السبت  
وكلاهما ضعيف (٣) حديث كان إذا بشر سرية بشئ أول التبار الأربعة من حديث صخر العامري  
وحسنه الترمذي (٤) حديث أبي هريرة اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها ابن ماجه والخرائط  
في مكالم الأخلاق واللفظ له وقال ابن ماجه يوم الخميس وكلا الإسنادين ضعيف (٥) حديث ابن عباس  
إذا كانت لك إلى رجل حاجة فاطلبه إليه نهارا الحديث البزار والطبراني في الكبير والخرائط في  
مكالم الأخلاق واللفظ له وإسناده ضعيف (٦) حديث لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فأكتفه  
على رحلة غداة أوروسة أحب إلى من الدنيا وما فيها ابن ماجه بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس  
(٧) حديث عليكم بالدجلة الحديث تدمر في الباب الثاني من الحجج .

بدعة تزاحم سنة  
مأمور بها وما لم يكن  
هكذا فلا بأس به وهذا  
كالتيام الداخل لم يكن  
فكان في عادة العرب  
ترك ذلك حتى تخلص  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم كان يدخل  
ولا يقيم له وفي البلاد  
التي فيها هذا القيام لهم  
عادة إذا اعتمد ذلك  
لتطبيب القلوب  
والدعاة فلا بأس به لأن  
تركه يوحش القلوب  
ويوغر الصدور فيكون  
ذلك من قبيل الشرية  
الحسن  
لا يكون بدعة لا بأس  
بها لأنها تزاحم سنة  
بأثورة .

الباب الثالث  
والشرون في القول  
في السماع ردا وإنكارا  
قد ذكرنا وجه صحة  
السماع وما يليق منه  
بأهل الصدق وحيث  
كثرت الفتنة بطريقه  
وزالت الصحة فيه  
وتصدى لحرص عليه  
أقوام قلت أحمالهم

منفردا خارج القافلة لأنهم بائنهال أو ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم كان صلى الله عليه وسلم إذا نام في ابتداء الليل في السفر اقتصر ذراعيه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعيه نصبا وجعل رأسه في كتفه<sup>(١)</sup> والفرض من ذلك أن لا يستقل في النوم قطع الشمس وهو نام لا يدري فيكون مايقوته من الصلاة أفضل مما يطلبه بغيره ، والمستحب بالليل أن يتقارب الرقاع في الحراسة فإذا نام واحد حرص آخر<sup>(٢)</sup> فهذه السنة ومهما قصد عدو أو وسع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله وسورة الإخلاص والموذنين وليلق باسم الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله حسبي الله توكلت على الله ماشاء الله لا يأتى بالخيرات إلا الله ماشاء الله لا يصرف سوء إلا الله حسبي الله وكفى سمع لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولدون الله ملجأ - كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله أقوى عزيز - تحسنت بالله العظيم واستمنت بالحق القيوم الذى لا يموت اللهم احرسنا بعينك التى لاتامد واكفنا ببركتك الذى لا يرام اللهم احرسنا بقدرتك علينا فلا تهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإيمانك برأفة ورحمة إنك أنتم أرحم الراحمين . التاسع : أن يرفق بالدابة إن كان رابكا فلا يحملها مالا تطيق ولا يصرها في وجهها فإنه منتهى عنه ولا ينالم عليها فإنه يثقل بالنوم وتأذى به الدابة كان أهل الورع لا ينامون على العواب إلا غفوة ، وقال صلى الله عليه وسلم « لاتخذوا ظهور دوابكم كراسى<sup>(٣)</sup> » ويستحب أن ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك<sup>(٤)</sup> فيوسنة وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكرى بشرط أن لا ينزل ويوفى الأجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك حسنا إلى الدابة فيوضع في ميزان حسناته لافى ميزان حسنات السكارى ومن أدى بهيمة بضرب أو حمل مالا تطيق طوبى له يوم القيامة إذ فى كل كبد حراء أجر . قال أبو الدرداء رضى الله عنه ليعبر لعبد اللوت : أيتها البعير لا تخاضى إلى ربك فأتى لمالك أحملك فوق طائتك وفى التزول ساعة صدقتان : إحداهما تزويج الدابة والثانية إدخال السرور على قلب السكارى وفيه فائدة أخرى وهى رياضة البدن وتخريك الرجلين والحذر من خدر الأعضاء بطول الركوب وينبئ أن يفر مع السكارى ما يحمله عليها شيئا أو يهرسه عليه ويستأجر الدابة بعد صحيح لئلا يثور بينهما نزاع يؤذى القلب ويعمل على الزيادة فى الكلام فإلا يحمل فوق الشروط شيئا وإن خف فإن القليل يجر الكثير ومن علم حول الحمى يوشك أن يقع فيه . قال درجل لابن البارك وهو على دابة أحمل فى هذه الرقة إلى فلان فقال حتى أستأذن السكارى فأتى لم أشاره على هذه الرقة فأنظر كيف لم يأنف إلى قول الفقهاء إن هذا ما يتسامح فيه ولكن سلك طريق الورع . العاشر : ينبئ أن يستحب سنة أشياء قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ إذا سافر حمل معه خمسة أشياء : للرأة والمكحلة والمقراض والسواك والمشط<sup>(٥)</sup> وفى رواية أخرى عنها سنة أشياء : الرأة والقارورة والمقراض والسواك والمكحلة والمشط وقالت أم سعد الأنصارية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفرقه فى السفر الرأة والمكحلة<sup>(٦)</sup> وقال صهيب قال درجل صلى الله عليه وسلم

وقصدت أحوالهم وأصحبوا الاجتماع للساخ وزجج يتخذ للاجتماع طعام تطلب النفوس الاجتماع لذلك لارغبة للقلوب فى السماع كما كان من سر الصادقين فيصير السماع معلولا تركن إليه النفوس طلبا للشهوات واستعلاء لمواطن البهوات والغلات ويقطع ذلك على المرید طلب المزيد ويكون بطريقه تنضيق الأوقات وقفة الحظمن العبادات وتكون الرغبة فى الاجتماع طلبا لتناول الشهوة واسترواحا لأولى الطرب والبهوات والشررة ولا يخفى أن هذا الاجتماع مردود عند أهل الصدق . وكان يقال لا يصح السماع إلا لعارف مكين ولا يباح لمريد مبتدى . وقال الجليل رحمه الله تعالى إذا رأيت المرید يطلب السماع فأعلم أن

- (١) حديث كان إذا نام في ابتداء الليل في السفر اقتصر ذراعيه الحديث تقدم في الحجج (٢) حديث تناوب الرقاع في الحراسة تقدم في الحجج في الباب الثاني (٣) حديث لاتخذوا ظهور دوابكم كراسى تقدم في الباب الثالث من الحجج (٤) حديث التزول عن الدابة غدوة وعشية تقدم فيه (٥) حديث عائشة كان إذا سافر حمل معه خمسة أشياء للرأة والمكحلة والمقراض والسواك والمشط وفى رواية سنة أشياء الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى سننه والحراطى فى مكارم الأخلاق واللفظ له وطرقه كلها متفقة (٦) حديث أم سعد الأنصارية كان لا يفرقه فى السفر الرأة والمكحلة رواه الحراطى وإسناده ضعيف

عليكم بالآمد عند مضجكم فانه مما يزيد في البصر ويثبت الشعر <sup>(١)</sup> وروى انه كان يكتحل ثلاثا ثلاثا وفي رواية انه اكتحل للحنى ثلاثا ولليرى ثنتين <sup>(٢)</sup> وقد زاد الصوفية الركوة والحبل وقال بعض الصوفية اذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه وإغماره . هذا لما رآه من الاحتياط في طهارة الماء وغسل الثياب قال ركوة لحفظ الماء الطاهر والحبل لتجفيف الثوب للتسول ولزعم الماء من الآبار وكان الأولون يكتفون بالتييم وينون أنفسهم من همل الماء ولا يبالون بالوضوء من القدران ومن المياه ما لم يتقنوا نجاستها حتى توضع حجر رضى الله عنه من ماء في جرة نصرانية وكانوا يكتفون بالأرض والجبال من الحبل فيفرشون الثياب للتسولة عليها فهذه بدعة إلا أنها بدعة حسنة وإعنا البدعة الفسومة ماقتاد السنن الثابتة وأما ما يعين على الاحتياط في الدين فليستحسن وقد ذكرنا أحكام البالغة في الطهارات في كتاب الطهارة وأن التجرد لأسر الدين لا ينبغي أن يؤثر طريق الرخصة بل محتاط في الطهارة ما لم يمتنع ذلك عن عمل أفضل منه . وقيل كان الخواص من التوكلين وكان لإخارقه أربعة أشياء في السفر والحضر الركوة والحبل والابرة وبحبوحتها والقراش وكان يقول هذه ليست من الدنيا . الحادي عشر : في آداب الرجوع من السفر « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قتل من غزو أوجع وأحرمة وأغيره يكره على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير أيون تائبون عابدون ساجدون لرئيسنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده <sup>(٣)</sup> » وإذا أشرف على مدينته فليقل اللهم اجعل لنا قرارا وروزقا حسنا ثم يرسل إلى أهله من يشترى مقدمه كيلا يقدم عليهم بنته فيرى ما يكرهه ولا ينبغي له أن يطرهم ليلا <sup>(٤)</sup> فقد ورد النبي عنه ، وكان <sup>(٥)</sup> إذا قدم دخل المسجد أولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت <sup>(٦)</sup> وإذا دخل قال « توبيا توبيا لرئيسنا أوبا لا ينادر علينا حوبا <sup>(٧)</sup> » وينبغي أن يجعل لأهله بيتا وأقاربته تحفة من مطعم أو غيره في قدر مكانه فهو سنة قد روي أنه إن لم يجد شيئا فليضع في محلاته حجرا <sup>(٨)</sup> وكان هذا مبالغة في الاستحباب في هذه المسكرة لأن الأعين تمتد إلى القادم من السفر والقلوب تفرح به فيتأكد الاستحباب في تأكيد فرحهم وإظهار التفات القلوب في السفر إلى ذكرهم بما يستصحب في الطريق لهم فهذه جملة من الآداب الظاهرة . وأما الآداب الباطنة ففي الفصل الأول بيان جملة منها وجملة أن لا يسافر إلا إذا كان زيادة دينه في السفر ومهما وجد قلبه متضررا إلى نقصان فليقف وليصرف ولا ينبغي أن يجاوز همه منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه وينوي في دخول كل بلدة أن يرى شيوها ويجهتد أن يستفيد من كل واحد منهم أدبا أو كلمة لينفع بها لايحكي ذلك ويظهر أنه لقي المشايخ ولا يتيهم بيلة أكثر من أسبوع أو عشرة أيام إلا أن يأمر الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس في مدة الإقامة إلا المقراء الصادقين وإن كان قصد زيارة أخ فلا يزيد على ثلاثة أيام ففودح الضيافة

(١) حديث صيب عليكم بالآمد عند مضجكم فانه يزيد في البصر ويثبت الشعر الخراطمي في مكادم الأخلاق بسند ضعيف وهو عند الترمذي وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث ابن عباس وصححه ابن عبد البر وقال الخطابي صحيح الاسناد (٢) حديث كان يكتحل للحنى ثلاثا ولليرى ثنتين الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر بسند لين (٣) حديث كان إذا قتل من حج أو غزو أو غيره يكره الحديث تقدم في الحج (٤) حديث النبي عن طريق الأهل ليلا تقدم (٥) حديث كان إذا قدم من سفر دخل المسجد أولا وصلى ركعتين تقدم (٦) حديث كان إذا دخل قال توبيا توبيا لرئيسنا أوبا لا ينادر . حوبا ابن السني في اليوم والليلة والحاكم من حديث ابن عباس وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث اطرق أهله عند القدوم ولو بجبر الدارنطلي من حديث عائشة باسناد ضعيف .

فيه بقاء البطالة .  
وقيل إن الجند ترك  
البيع قبله له كنت  
تسمع فقال مع من  
قبل له تسع لفك  
فقال بمن لأنهم كانوا  
لا يسمعون إلا من  
أهل مع أهل فلما قد  
الاخوان ترك لما  
اختاروا البيع حيث  
اختاروه إلا بشروط  
وقيود وآداب يذكرون  
به الآخرة وريغون  
في الجنة ويعذرون  
من النار ويزداد  
به طلبهم وتحسن به  
أحوالهم ويشق لهم  
ذلك تخافا في بعض  
الأحاديث لأن يجعلوه  
دأبا ودينا حتى  
يتكروا لأجله الأوراد.  
وقد نزل عن الشافعي  
رضي الله عنه أنه قال  
في كتاب القضاء القضاء  
لهو مسكروه يشبه  
الباطل وقال من  
استكثر منه فهو  
سفيه رد شهادته .  
واخفق أصحاب الشافعي  
أن الرأفة غير المحرم

إلا إذا شق على أخيه مفارقتة وإذا قصد زيارة شيخ فلا يمك عنده أكثر من يوم وليلة ولا يشغل نفسه بالمشقة فإن ذلك يقطع برخصه وكما دخل لهذا لا يشتغل بشيء سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله فإن كان في بيته فلا يندق عليه بابه ولا يستأذن عليه إلى أن يخرج فإذا خرج تقدم إليه بأدب فسلم عليه ولا يتكلم بين يديه إلا أن يسأله فإن سأله أجاب بقدر السؤال ولا يسأله عن مسألة مالم يستأذن أولا وإذا كان في السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان وأضيائها ولا ذكر أصدقائه فيها وليذكر مشايخها وقراءها ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدتها في كل قرية وبلدة ولا يظهر حاجته إلا بقدر الضرورة ومع من يقدر على إزالتها ويلزم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره وإذا كره إنسان فليترك الذكر وليجبه مادام بعده ثم يرجع إلى ما كان عليه فإن تبرمت نفسه بالسفر أو بالأقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس وإذا تبرمت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي له أن يسافر تبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه في نقصان عما كان عليه في الحضر فليعلم أن سفره معلول وليرجع إذا لو كان لحق لظهر أمره . قال رجل لأبي عثمان للفرج خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة والغربة ذلة وليس للمؤمن أن يذل نفسه وأشار به إلى أن من ليس له في السفر زيادة دين فقد أذل نفسه وإلا فعز الدين لاينال إلا بذلة الغربة فليكن سفر اللريد من وطن هواء ومراده وطبعه حتى يمز في هذه الغربة ولا يذل فإن من اتبع هواء في سفره ذل لا محالة إما عاجلا وإما آجلا .

( الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تمله من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات )

اعلم أن المسافر يحتاج في أول سفره إلى أن يتزود لعدائه وآخرته أما زاد الدنيا فاطعاما والشراب وما يحتاج إليه من نفقة فإن خرج متوكلا من غير زاد فلا بأس به إذا كان سفره في قافلة أو بين قري متصلة وإن ركب البادية وحده أومع قوم لاطعام معهم والشراب فإن كان بمن يصير على الجوع أسبوعا أو عشرين مثلا أو يقدّر على أن يكتفي بالخشيش فله ذلك وإن لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجترار بالخشيش فخرجه من غير زاد معصية فانه ألقي نفسه إلى الهلكة ولهذا سرياني في كتاب التوكل وليس معنى التوكل التباعد عن الأسباب بالسكينة ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو والحبل ونزع اللاء من البئر ولو جب أن يصبر حتى يسخر الله له ملكا أو شخصا أخرجه يصب اللاء في فيه فإن كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل وهو آلة الوصول إلى الشراب فحمل عين للطعوم وللشروب حيث لا ينتظر له وجود أولى بأن لا يقدح فيه وستأتي حقيقة التوكل في موضعها فانه يتلبس إلا على المحققين من علماء الدين وأما زاد الأخرى فهو العلم الذي يحتاج إليه في طهارته وصومه وصلاته وعباداته فلا بد وأن يتزود منه إذا السفر تارة يخفف عنه أمور فيحتاج إلى معرفة القدر الذي يخففه السفر كالقصر والجوع والفطر وتارة يشدد عليه أمور كان مستغنيا عنها في الحضر كالعلم بالقبلة وأوقات الصلوات فانه في البلد يكتفي بغيره من محارب الماسجد وأذان المؤذنين وفي السفر قد يحتاج إلى أن يعرف نفسه فلاذن ما يغتفر إلى تمله ينقسم إلى قسمين :

( القسم الأول العلم برخص السفر )

والسفر يفيد في الطهارة رخصتين مسح الحفنين والتيمم وفي صلاة الفرض رخصتين القصر والجوع وفي النقل رخصتين أداؤه على الراحة وأداؤه ماشيا وفي الصوم رخصة واحدة وهي الفطر فهذه سبع

( الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تمله )

لا يجوز الاستماع إليها سواء كانت حرة أو مملوكة أو مكشوفة الوجه أو من وراء حجاب . ونقل عن الشافعي رضي الله عنه أنه كان يحسره الطعنة بالفضيب ويقول وضعه الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن وقال لأبأس بالقراءة بالالحان وتحسين الصوت بها بأي وجه كان . وعند مالك رضي الله عنه إذا اشترى جارية فوجدها مغنية فله أن يدها بهذا العيب وهو مذهب سائر أهل المدينة وهكذا مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وسباع التناء من الذنوب وما أباحه إلا لغير قليل من الفقهاء ومن أباحه من الفقهاء أيضا لم ير إعصانه في المساجد والبقاع الشريفة . وقيل في تحريم قوله تعالى - ومن الناس

رخص . الرخصة الأولى : السج على الخطين قال صفوان بن عسال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا مسافرين أو سفرا أن لا نزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن <sup>(١)</sup> فكل من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلاة ثم أحدث فله أن يمسح على خفه من وقت حدثه ثلاثة أيام ولياليهن إن كان مسافرا أو يوما وليلة إن كان مقبا ولكن بخمس شروط : الأول أن يكون اللبس بذلك الطهارة فلو غسل الرجل اليمنى وأدخلها في الخف ثم غسل اليسرى فأدخلها في الخف لم يجز له السج عند الشافعي رحمه الله حتى ينزع اليمنى ويعد لبسه . الثاني : أن يكون الخف قويا يمكن للشيء فيه ويجوز للسج على الخف وإن لم يكن متلاذزا العادة جارية بالتردد فيه في النزول لأن فيه قوة على الجلة بخلاف جورب الصوفية فإنه لا يجوز للسج عليه وكذا الجرموق الضيف . الثالث : أن لا يكون في موضع فرض الفسل خرق فان خرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز السج عليه وللشافعي قول تقديم إنه يجوز ما دام يستمسك على الرجل وهو مذهب مالك رضي الله عنه ولا بأس به لئس الحاجة إليه وتندر الحرز في السفر في كل وقت وللداس للنسج يجوز للسج عليها كان ساترا لا يبدو جرة القدم من خلاله وكذا الشقوق الذي يرد على محل الشق شرج لأن الحاجة تيسر إلى جميع ذلك فلا يستر إلا أن يكون ساترا إلى ما فوق السكبين كما كان فاما إذا ستر بعض ظهر القدم وستر الباقي باللفافة لم يجز للسج عليه . الرابع : أن لا ينزع الخف بعد السج عليه فنزع قال الأولى له استئناف الوضوء فان اقتصر على غسل القدمين جاز . الخامس : أن يمسح على الوضوء الهادي لحل فرض الفسل لاطى الداق وأقوله ما يسمى مسح على ظهر القدم من الخف وإذا مسح بثلاث أصابع أجزاءه الأولى أن يخرج من شبه الخلاف وأكده أن يمسح أعلاه وأسفله دفعة واحدة من غير تكرار <sup>(٢)</sup> كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه أن يبل الدين ويضع ردوس أصابع اليمنى من يده على ردوس أصابع اليمنى من رجله ويمسحه بأن يمر أصابعه إلى جهة نفسه ويضع ردوس أصابع يده اليسرى على عقه من أسفل الخف ويمرهما إلى رأس القدم . ومهما مسح مقبا ثم سافر أو مسافرا ثم أقام غلب حكم الإقامة فليقتصر على يوم وليلة وعدد الأيام الثلاثة محسوب من وقت حدثه بعد السج على الخف فلو لبس الخف في الحضر ومسح في الحضر ثم خرج وأحدث في السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلاثة أيام ولياليهن من وقت الزوال إلى الزوال من اليوم الرابع فاذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له أن يسلي إلا بعد غسل الرجلين فيسجل رجله ويمسح يديه ويصلي وقت الحدث ويستأنف الحساب من وقت الحدث ولو أحدث بعد لبس الخف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله أن يمسح ثلاثة أيام لأن العادة قد تقتضي اللبس قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث فأما إذا مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة التيميم ويستحب لكل من يريد لبس الخف في حضر أو سفرا أن ينسك الخف وينفض ما فيه حذر من حياء أو عقرب أو شوكه فقد روى عن أبي أمامة أنه قال دعا رسول الله ﷺ فلبس أحدهما فجاء غراب فاحتل الآخر ثم رمى به فخرج منه حبة فقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما <sup>(٣)</sup> .

(١) حديث صفوان بن عسال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا مسافرين أو سفرا أن لا نزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن الترمذي وصححه وابن ماجه والنسائي في الكبرى وابن خزيمة وابن حبان (٢) حديث مسحه صلى الله عليه وسلم على الخف وأسفله أبو داود والترمذي وضعفه وابن ماجه من حديث الثوري وهكذا وضعفه البخاري وأبو زرعة (٣) حديث أبي أمامة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما رواه الطبراني وفيه من لا يعرف .

من يشتري لهو الحديث - قال عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه الفناء والاستماع إليه . وقيل في قوله تعالى وأنت سامعون - أى مغنون رواه عكرمة عن عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما وهو الفناء بلغة حمير يقول أهل اليمن محمد فلان إذا غنى وقوله تعالى واستغفر من استظمت منهم بصوتك - قال مجاهد الفناء والزامير . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان إيلين أول من ناح وأول من تقى » وروى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إيتانيت عن صوتين فاجبرين صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة » وقد روى عن عثمان رضى الله عنه أنه

الرخصة الثانية : التيمم بالتراب بدلا عن الماء عند العذر وإنما يتعذر الماء بأن يكون بعيدا عن التزل بدلا لومئى إليه لم يلحقه غوث القافلة إن صاح أو استنثا وهو البعد الذي لا يتبادر أهل التزل في ترددهم قضاء الحاجة التردد إليه وكذا إن نزل على الماء عدو أو سبع فيجوز التيمم وإن كان للماء قربا وكذا إن احتاج إليه لمعطش أحد رفاقه فلا يجوز الوضوء ويلزمه بذله إما شمن أو غيره ممن ولو كان محتاج إليه لطبخ مرققة أو لحم أو لبيل كتبت مجعته به لم يجز له التيمم بل عليه أن يجترى بالقنيت اليابس ويترك تناول الرقة ومهما وهب له الماء وجب قبوله وإن وهب له ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من الفنة وإن بيع شمن للثل ثمنه الشراء وإن بيع بنين لم يلزمه فاذا لم يكن معه ماء وأراد أن يتيمم فأول ما يلزمه طلب الماء مهما جاوز الوصول إليه بالطلب وذلك بالتردد حوالى التزل وتفتيش الرجل وطلب البقايا من الأواني والظاهر فإن نسي الماء في رحله أوفى بشرا بالقرب منه لزمه إعادة الصلاة لتقصيره في الطلب وإن علم أنه سيجد الماء في آخر الوقت فالأولى أن يصلى بالتيمم في أول الوقت فإن العذر لا يوثق به وأول الوقت رضوان الله . تيمم ابن عمر رضى عنهما قليل له أن تيمم وجدران المدينة تنظر إليك ؟ فقال أو أبقى إلى أن أدخلها ومهما وجد الماء بعد الشروع في الصلاة لم يتطبل صلاته ولم يلزمه الوضوء وإذا وجد قبل الشروع في الصلاة لزمه الوضوء ومهما طلب لم يجد فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يثور منه غبار وليضرب عليه كفيه بعد ضم أصابعهما ضربة فيمسح بها وجهه ويضرب ضربة أخرى بعد نزع الخاتم ويخرج الأصابع ويمسح بها يديه إلى مرفقيه فإن لم يستوعب ضربة واحدة جميع يديه ضرب ضربة أخرى وكيفية التلطيف فيه ما ذكرناه في كتاب الطهارة فلا غنيمة ثم إذا صلى به فريضة واحدة فله أن يتنفل ماشاء بذلك التيمم وإن أراد الجمع بين فريضتين فله أن يعيد التيمم للصلاة الثانية فلا يصلى فريضتين إلا بتيممين ولا ينبغي أن يتيمم صلاة قبل دخول وقتها فإن فعل وجب عليه إعادة التيمم ولينو عند مسح الوجه استباحة الصلاة ولو وجد من الماء ما يكفي لبعض طهارته فليستعمله ثم ليتيمم بصدده تيمما تاما . الرخصة الثالثة في الصلاة المفروضة : القصر وله أن يقتصر في كل واحدة من الظهر والعصر والمساء على ركعتين ولكن بشرط ثلاثة : الأول : أن يؤدبها في أوقاتها فلا صارت قضاء فالأظهر لزوم الإتمام . الثاني : أن ينوى القصر فلا ينوى الإتمام لزمه الإتمام ولو شك في أنه نوى القصر أو الإتمام لزمه الإتمام . الثالث : أن لا يتدنى بغيره ولا بمسافر ممن فعل لزمه الإتمام بل إن شك في أن إمامه مقيم أو مسافر لزمه الإتمام وإن تيقن ببداه أنه مسافر لأن شمار المسافر لا تخفى فليكن متحققا عند اليقظة وإن شك في أن إمامه هل نوى القصر أم لا بعد أن عرف أنه مسافر لم يضره ذلك لأن النيات لا يطلع عليها وهذا كله إذا كان في سفر طويل مباح وحد السفر من جهة البداية والنهاية فيه إشكال فلابد من معرفته والسفر هو الانتقال من موضع الإقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذي لا يقصد موضعا معينا ولا يصير مسافرا ما لم يفرق عمران البلد ولا يشترط أن يجاوز خراب البلدة وبساتينها التي يخرج أهل البلدة إليها للتنزه وأما القرية فالمسافر منها ينبغي أن يجاوز البساتين المحيطة دون التي ليست بمحوضة ولو رجع المسافر إلى البلد لأخذ شيء نسيما بترخص أن كان ذلك وطنه ما لم يجاوز عمران وان لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص إذ صار مسافرا بالانزعاج والخروج منه . وأما نهاية السفر فبأحد أمور ثلاثة : الأول : الوصول إلى عمران من البلد الذي عزم على الإقامة به . الثاني : العزم على الإقامة ثلاثة أيام فصاعدا إما في بلد أو في صحراء . الثالث : صورة الإقامة وإن

قال ما غنيت ولا غنيت ولا مست ذكرى  
يعنى منذ يا رب رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
وروى عن عبد الله  
ابن مسعود رضى الله  
عنه أنه قال الفناء  
ينبت النفاق في القلب  
وروى أن ابن عمر  
رضى الله عنه مر  
عليه قوم وهم يحرمون  
وقيم رجل يتنى فقال  
ألا لا سمع الله لكم ألا  
لا سمع الله لكم  
وروى أن إنسانا سأل  
القاسم بن محمد عن  
الفناء فقال أهالك عنه  
وأكرهه لك قال  
أحرام هو ؟ قال انظر  
يا ابن أخي إذا ميز الله  
الحق والباطل في أيهما  
يجعل الفناء . وقال  
الفضيل بن عياض  
الفنافية الزنا وعن  
الضحاك الفناء مفسدة  
القلب مسخطة للرب  
وقال بعضهم : إياكم  
والفناء فإنه يزيد  
النسوة ويهزم الروة  
وإنه لينوب عن المحر

لمنعزم كما إذا أقام على موضع واحد ثلاثة أيام سوى يوم الدخول لم يكن له الترخس بعده وإن لم يعزم على الإقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم إنجازه ولكنه يتموق عليه ويتأخر فله أن يترخس وإن طالت اللدة على أقبس القولين لأنه مترجع قبله ومسافر عن الوطن بصورته ولا مبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع اتضاع القلب ولا فرق بين أن يكون هذا الشغل قتالا أو غيره ولا بين أن تطول اللدة أو تقصر ولا بين أن يتأخر الخروج لمطر لا يملأ بقاؤه ثلاثة أيام أو لتغيره إذ ترخص رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد (١) وظاهر الأمر أنه لو تمادى القتال لتمادى ترخصه إذ لا معنى للتقدير ثمانية عشر يوما والظاهر أن قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا هذا معنى القصر ، وأما معنى التطويل فهو أن يكون مرحلتين كل مرحلة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثلاثة أميال وكل ميل أربعة آلاف خطوة وكل خطوة ثلاثة أقدام ومعنى المياض أن لا يكون عاقا لو ألبه هاربا متجها ولا هاربا من مالكة ولا تكون للراة هاربة من زوجها ولا أن يكون من عليه الدين هاربا من السنتح مع اليسار ولا يكون متوجها في قطع طريق أو قتل إنسان أو طلب إدرار حرام من سلطان ظالم أو مسمى بالصادقين المسلمين . وبالجملة فلا يسافر الإنسان إلا في غرض والعرض هو المحرك فإن كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولو لا ذلك الغرض لكان لا يثبت لسفره فسفره معصية ولا يجوز فيه الترخس وأما الفسق في السفر يشرب الخمر وغيره فلا يقع الرخصة بذلك سفر ينهى الشرع عنه فلا يبين عليه بالرخصة ولو كان له باعثن أحدهما مباح والآخر محظور وكان بحيث لو لم يكن الباعث له المحظور لكان المباح مستقلا بتجريكه ولكن لا محالة يسافر لأجله فله الترخس والتسوية الطوافون في البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج لمشاهدة الباعث المختلفة في ترخصهم خلاف المختار أن لهم الترخس . الرخصة الرابعة : الجمع بين الظهر والمصر في وقتها وبين الغرب والمشاء في وقتها : فذلك أيضا جائز في كل سفر طويل مباح وفي جوازها في السفر القصير قولان ، ثم إن قدم المصر إلى الظهر فليكن الجمع بين الظهر والمصر في وقتها قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليقيم وعند الفراغ يقيم للمصر ويمجد التيمم أولا إن كان فرضه التيمم ولا يفرق بينهما بأكثر من تيمم وإقامة فإن قدم المصر لم يعز وإن نوى الجمع عند التحريم صلاة المصر جازع عند الزنى وله وجه في القياس إذ لا مستند لإيجاب تقديم التيمم بل الشرع جواز الجمع وهذا جمع وإنما الرخصة في المصر فتكنى التيمم فيها وأما الظهر فجاء على القانون ثم إذا فرغ من الصلاتين فينبغي أن يجمع بين سنن الصلاتين أما المصر فلا سنة بعدها ولكن السنة التي جد الظهر يصلها بعد الفراغ من المصر إما راكبا أو مقبلا لأنه لو سلمى رتبة الظهر قبل المصر لا تقطعت بالوالة وهي واجبة على وجه ولو أراد أن يقيم الأربع للسنة قبل الظهر والأربع للسنة قبل المصر فليجمع بينهما قبل الترضيئين فيصلي سنة الظهر أولا ثم سنة المصر ثم فريضة الظهر ثم فريضة المصر ثم سنة الظهر الركعتان الثانية بعد الغرض ولا ينبغي أن يهمل التوافل في السفر فإيفوته من ثوابها أكثر مما يناله من الرجحان لاسيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له أداءها على الراحة كي لا يتموق عن الرقة بسببها وإن أخر الظهر إلى المصر فيجزي على هذا الترتيب ولا يبالى بتوابع رتبة الظهر

(١) حديث قصره صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد أبو داود من حديث عمران بن حصين في قصة التفتح فأقام بمكة ثمانية عشر ليلة لا يسلي إلا ركعتين والبخاري من حديث ابن عباس أقام بمكة تسعة عشر يوما يقصر الصلاة ولأن داود سبعة عشر بتقديم الدين وفي رواية خمسة عشر .

ويقبل ما يغفل السكر وهذا الذي ذكره هذا القائل صحيح لأن الطبع للوزن يفتق بالقضاء والأوزان ويستحسن صاحب الطبع عند البيع ما لم يكن يستحسنه من الفرقة بالأصابع والتفتيق والرقص وتصدمة أقال تدل على سخافة العقل . وروى عن الحسن أنه قال : ليس الدف من سنة المسلمين . والذي قيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع الشمر لا يدل على إباحة الفناء فإن الشمر كلام منظوم وغيره كلام مشور فعنه حسن وقبحه قبيح وإنما يصير غناء بالألحان وإن أنصف النصف وتضكر في اجتماع أهل الزمان وقعود المعنى بدنه والشبب بشابته وتصور في نفسه هل وقع مثل

بعد العصر في الوقت الكسوف لأن ما له سبب لا يكره في هذا الوقت وكذلك يفعل في المغرب والعشاء وأوتر  
وإذا قدم أو أخر فبعد الفراغ من الفرض يشتغل بجميع الرواتب ويغتم الجميع بالوتر وإن خطر له ذكر  
الظهر قبل خروج وقته فليزعم على أداته مع العصر جمعا فهو نية الجمع لأنه إنما يخلو عن هذه النية إما  
بنية الترك أو بنية التأخير عن وقت العصر وذلك حرام والعزم عليه حرام وإن لم يتذكر الظهر حتى خرج  
وقته إما نوم أو شغل فله أن يؤدي الظهر مع العصر ولا يكون عاصيا لأن السفر كما يشتغل عن فعل الصلاة  
قد يشتغل عن ذكرها وعمل أن يقال إن الظهر إنما تقع أداء إذا عزم على فعله قبل خروج وقتها ولكن  
الأظهر أن وقت الظهر والعصر صار مشتركا في السفر بين الصلاتين ولذلك يجب على الحائض قضاء الظهر إذا  
طهرت قبل الغروب ولذا لا ينقضي أن لا تشترط للوالة ولا الترتيب بين الظهر والعصر عند تأخير الظهر أما  
إذا قدم العصر في الظهر لم يجز لأن ما بعد الفراغ من الظهر هو الذي جعل وقت العصر إذ يمدان يشتغل بالعصر  
من هو عازم على ترك الظهر أو على تأخيره وعذر للظهور بما جمع كذا السفر وترك الجمعة أيا من رخص  
السفر وهي متعلقة أيضا بفرائض الصلوات ولو نوى الإقامة بعد أن صلى العصر فأدرك وقت العصر في الحضر  
ففيه أداء العصر ومأمور أن يتركها بشرط أن يبقى الصدر إلى خروج وقت العصر . الرخصة  
الخامسة : التفلدرا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته أينما توجهت به دابته (١)  
وأوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراحلة وليس على التفلدرا الركب في الركوع والسجود إلا بالإيحاء  
وينبغي أن يعمل سجوده أخفض من ركوعه ولا يلزمه الانحناء إلى حديثه عرض به لخطر بسبب الدابة فإن  
كان في مرقد فليتم الركوع والسجود فانه قادر عليه . وأما استقبال القبلة فليجرب لافي ابتداء الصلاة  
ولا في دوامها ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة فليكن في جميع صلاته إمامة مستقبلا للقبلة أو متوجها  
في صوب الطريق لتكون له جهة يثبت فيها فلو حرف ذابته عن الطريق قصد ما بطلت صلاته إلا إذا  
حرفها إلى القبلة ولو حرفها ناسيا وقصر الزمان لم تبطل صلاته وإن طال فقيه خلاف وإن سمحت به  
الدابة فأعزمت لم تبطل صلاته لأن ذلك مما يكثر وقوعه وليس عليه سجود سهو إذا جماع غير منسوب  
إليه بخلاف ما لو حرف ناسيا فانه يسجد للسهو بالإيحاء . الرخصة السادسة : التفلدرا على جائر في السفر  
ويومي بالركوع والسجود ولا يتم للتشهد لأن ذلك يبطل فائدة الرخصة وحكمه حكم الركب لكن  
ينبغي أن يحرم بالصلاة مستقبلا للقبلة لأن الاعراف في لحظة لا عسر عليه في خلاف الركب فان  
في تحريف الدابة وإن كان النتان يده نوع عسر وربما تكرت الصلاة فيطول عليه ذلك ولا ينبغي  
أن يعنى في نجاسة رطبة عمدا فان فعل بطلت صلاته بخلاف ما لو طئت دابة الركاب نجاسة وليس  
عليه أن يشوش للشيء على نفسه بالاحتراز من النجاسات التي لا تخلو الطريق عنها غالبا وكل هارب  
من عدو أو سيل أو سبع فله أن يصلي الفريضة راكبا أو ناسيا كذا كرناه في التفلدرا . الرخصة السابعة :  
القطر وهو في الصوم قلم المسافر أن ينظر إلا إذا أصبح مقبلا ثم سافر فله أيام ذلك اليوم وإن أصبح  
مسافرا صاعما . ثم أقام فله الأيام . إن أقام مفطرا فليس عليه الإمساك بقية النهار وإن أصبح  
مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه بله أن ينظر إذا أراد الصوم أفضل من القطر والعصر أفضل من الأيام  
للخروج عن شبهة الخلاف ولأنه ليس في عهدة القضاء بخلاف للفلدرا فانه في عهدة القضاء وربما يتعدى  
عليه ذلك بالائق فيبقي في ذمته إلا إذا كان الصوم يضر به فالأفطار أفضل . فلهذا سيع رخص تتعلق  
بثلاث منها بالسفر الطويل وهي القطر والعصر والسجدة ثلاث أيام وتعلق الثنتان منها بالسفر طويلا كان أو قسيرا

هذا المجلس والهيئة  
بحضرة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
وهل استحضروا أقوالا  
وقصدوا مجتمعين  
لاستماعه لاشك بأنه  
يشكر ذلك من حال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وأصحابه  
ولو كان في ذلك فضيلة  
تطلبها أهلها فمن  
يشير بأنه فضيلة تطلب  
ويجتمع لها لم يحظ  
بدوق معرفة أحوال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وأصحابه  
والتابعين واستروح إلى  
استحسان بعض  
للتأخير ذلك وكثيرا  
ما ينقلب الناس في هذا  
ولهما احتج عليهم  
بالسلف للناشرين  
يخرجون بالتأخيرين  
وكان السلف أقرب إلى  
عهد رسول الله صلى  
الله عليه وسلم وهدبهم  
أشبه بهدي رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وكثير  
من الفقهاء يتسرع  
عد قراء القرآن

(١) حديث كان يصلي على راحلته أينما توجهت به دابته وأوتر على الراحلة متفق عليه  
من حديث ابن عمر .



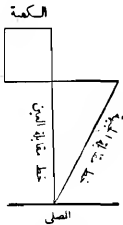
وهما سقوط الجمعة وسقوط القضاء عند أداء الصلاة بالتييم وأما صلاة النافلة ما فيها ركا فبها خلاف والأصح جوازها في القصر والجمع بين الصلاتين فيه خلاف والأظهر اختصاصها بالطول وأما صلاة القصر ركا وما فيها لخلاف فلا تتحقق بالسفر وكذا أكل الميتة وكذا أداء الصلاة في المال بالتييم عند نقد الماء بل يشترك فيها الحضر والسفر معها وجدت أسبابها . فان قلت فالعلم بهذه الرخص هل يجب على المسافر قبله قبل السفر أم يستحب له ذلك . فاعلم أنه إن كان عازما على ترك السجدة والقصر والجمع والقطر وترك التنفل ركا وما فيها لم يلزمه علم شروط الترخص في ذلك لأن الترخص ليس بواجب عليه ، وأما علم رخصة التييم فيلزمه لأن نقد الماء ليس إليه إلا أن يسافر على هاتين . نهر يوثق بماء أو يكون منه في الطريق عالم يقدر على استغاثته عند الحاجة فله أن يؤخر إلى وقت الحاجة أما إذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه ما يلزمه التعلم بالحالة . فان قلت : التييم يحتاج إليه لصلاة لم يدخل بمدونها فكيف يجب علم الطهارة لعدم الماء وبدل يجب ورعا لأجيب . فأقول : من بينه وبين الرخصة مسافة لا تقطع إلا في سنة فيلزمه قبل أشهر الحج ابتداء السفر ويلزمه تعلم التماسك بالحالة إذا كان يظن أنه لا يجد في الطريق من يتعلم منه لأن الأصل الحياة واستمرارها ولا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب وكل ما يتوقع وجوبه توقفا ظاهرا غالبا على الظن وله شرط لا يتوصل إليه إلا بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب فوجب تقديم تعلم الشرط بالحالة كعلم التماسك قبل وقت الحج وقبل مباشرة فلا يدخل إذن للمسافر أن ينسى السفر ما يتعلمه هذا القدر من علم التييم وإن كان عازما على سائر الرخص فله أن يتعلم أيضا القدر الذي ذكرناه من علم التييم وسائر الرخص فانه إذا لم يعلم القدر الجازم لرخصة السفر فكيف يمكنه الاضطرار عليه . فإن قلت إنه إن لم يتعلم كيفية التنفل ركا وما فيها ماذا يضرمه . فاجبت إن صلى أن تكون صلاته قلدة وهي غير واجبة فكيف يكون عليها واجبا . فأقول من الواجب أن لا يصل النفل على نعت الفساد فان لم يعلم الحدث والنجاسة وإلى غير القبلة ومن غير إتمام شروط الصلاة وأركانها حرام فله أن يتعلم ما يحترز عن النافلة الفاسدة حذرا عن الوقوع في المحذور فهذا بيان علم ما خفف عن المسافر في سفره .

( القسم الثاني ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر )

وهو علم القبلة والأوقات وذلك أيضا واجب في الحضر ولكن في الحضر من يكفيه من محراب منقذ عليه ينفيه عن طلب القبلة ومؤذن يراعى الوقت فيفيه عن طلب علم الوقت والمسافر قد تشبه عليه القبلة وقد يلبس عليه الوقت فلا بد له من العلم بأدلة القبلة والوايت أما أدلة القبلة فهي ثلاثة أقسام : أرضية كالاستدلال بالجبال والقرى والأنهار وهواية كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها وصياها ودبورها وحماوية وهي النجوم فأما الأرضية والمرواية فتختلف باختلاف البلاد فرب طريق في جبل مرتفع يعلم أنه على عين المستقبل أو مشاه أو ورواته أو قدامه فليعلم ذلك وليتهمه وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد فليتهم ذلك ولنا خبر على استقصاء ذلك إذ لكل بلد وإقليم حكم آخر وأما السبوية فأدلتها تنقسم إلى نهائية وإلى ليلية أما النهارية فالشمس فلا بد أن يراعى قبل الخروج من البلد أن الشمس عند الزوال أين تقع منه أي بين الحاجبين أو على العين اليمنى أو اليسرى أو تعبد إلى الجبين ميلا أكثر من ذلك فإن الشمس لاتدور في البلاد الشمالية هذه للواقع فإذا حفظ ذلك فلما عرف الزوال بدليله الذي سنذكره عرف القبلة به وكذلك يراعى مواقع الشمس منه وقت العصر فانه في هذين الوقتين يحتاج إلى القبلة بالضرورة وهذا أيضا لما كان مختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه وأما القبلة وقت القرب فاتها تدرج بموضع التروب وذلك بأن يحفظ أن الشمس تقرب عن عين المستقبل أو هي مائلة إلى وجهه أو قفاه وبالشفق أيضا تعرف القبلة للعشاء الأخيرة وبشرق الشمس تعرف القبلة .

بأشياء من غير علمه قال عبد الله بن عروة ابن الزبير قلت لحدث أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما وصفهم الله تعالى تسمع آيهم وتتشعر جلودهم قال قلت إن ناسا اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خروا أحدهم منشيا عليه قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وروى أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مر برجل من أهل العراق يساقط قال ما هذا ؟ قالوا إنه إذا قرئ عليه القرآن وضع ذكر الله تعالى سقط فقال ابن عمر رضي الله عنهما إنا لنخشى الله وما ننسقط إن الشيطان يسهل في جوف أحدهم ما هكذا كان يصنع

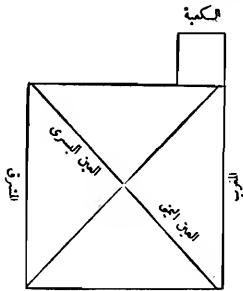
الصلاة الصبح وكأن الشمس تدل على القبلة في الصلوات الحسنى ولكن يختلف ذلك بالشتاء والصيف  
فإن الشارق والمغرب كثيرة وإن كانت محصورة في جهتين فلا بد من تعلم ذلك أيضاً ولكن قد يصل  
القرب والمشاء بعد غيوبة الشفق فلا يمكنه أن يستدل على القبلة به فلهذا أن يراعى موضع القطب  
وهو الكوكب الذي يقال له الجدى فإنه كوكب كاثبات لا تظهر حركته عن موضعه وذلك إما أن  
يكون على قفا المستقبل أو على منكبيه الأيمن من ظهره أو منكبه الأيسر في البلاد الشمالية من مكة  
وفي البلاد الجنوبية كالمين وما والاها فيقع في مقابلة المستقبل فيتم ذلك وما عرفه في بلد فليحول  
عليه في الطريق كله إلا إذا طال السفر فإن المسافة إذا بعدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب  
وموقع الشارق والمغرب إلا أن ينتهي في أثناء سفره إلى بلاد فينبغي أن يسأل أهل البصرة  
أو راقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك فهما تعلم هذه الأدلة  
فله أن يحول عليها فإن بان له أنه أخطأ من جهة القبلة إلى جهة أخرى من الجهات الأربع فينبغي  
أن يقضى وإن انحرف عن حقيقة محاذة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يترمه القضاء وقد أورد  
الفقهاء خلافاً في أن للطلوب جهة الكعبة أو عينا وأشكلى معنى ذلك على قوم إذ قالوا إن قلنا إن  
الطلوب العين ففي تصور هذا مع بعد الديار وإن قلنا إن للطلوب الجهة فالواقف في المسجد إن  
استقبل جهة الكعبة وهو خارج يدينه عن موازاة الكعبة لاختلاف في أنه لا تصح صلاته وقد  
طولوا في تأويل معنى الخلاف في الجهة والعين ولا بد أولاً من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة  
فمعنى مقابلة العين أن يقف موقفاً لو خرج خط مستقيم من بين عينيه إلى جدار الكعبة لاصط  
به وحصل من جانبي الخط زاويتان متساويتان وهذه صورته والخط الخارج من موقفه للصل  
بندر أنه خارج من بين عينيه فهذه صورة مقابلة العين :



وأما مقابلة الجهة فيجوز فيها أن يصل طرف الخط الخارج من بين العينين إلى الكعبة من غير أن  
يتساوى الزاويتان عن جهتي الخط بل لا يتساوى الزاويتان إلا إذا انتهى الخط إلى نقطة معينة هي  
واحدة فلو مد هذا الخط على الاستقامة إلى سائر النقط من بينها أو شمالها كانت إحدى الزاويتين  
أضيق فيخرج عن مقابلة العين ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة كما حط الذي كتبنا عليه مقابلة الجهة  
فانه لو قعد الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلاً لجهة الكعبة لا عينا وذلك لجهة  
ما بين عينيه خطين : وهما الواقف مستقبلاً لجهة خارجين من العينين فليفتق طرفاهما في داخل الرأس

أصحاب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم .  
وذكر عند ابن سيرين  
الذين يصرعون إذا  
قرئ القرآن فقال  
بيننا وبينهم أن يقعد  
واحد منهم على ظهر  
بيت بإسقاط رجله ثم  
يقرأ عليه القرآن من  
أوله إلى آخره فأنزله  
بنفسه فهو صادق وليس  
هذا القول منهم  
إنكاراً على الإطلاق  
إذ يتفق ذلك لبعض  
الصادقين ولكن  
للمصنع التوهم في حق  
الأكثرين فقد يكون  
ذلك من البعض تصنعا  
ورياء ويكون من  
البعض قصور علم  
ومخامرة جهل مزوج  
يهوى بل بأحدم يسير  
من الوجد فينبه  
بزيادات جهل أن ذلك  
يضر بدينه وقد  
لا يجهل أن ذلك  
من النفس ولكن  
النفس تسترق السمع  
استراقاً خفياً تخرج  
الوجد عن الحد الذي

بين العينين على زاوية قائمة فما يقع بين الخطين الخارجيين من العينين فهو داخل في الجهة وسعة ما بين الخطين تزايد بطول الخطين وبالإمداد عن الكعبة وهذه صورته :



الصلب

فإذا فهم معنى العين والجهة فأقول الذي يصح عندنا في الفتوى أن اللطوب الذين إن كانت الكعبة مما يمكن رؤيتها وإن كان محتاج إلى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها فيمكن استقبال الجهة . فأما طلب العين عند الشاهدة فجميع عليه وأما الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فبدل عليه الكتاب والسنة وفضل الصحابة رضي الله عنهم والقياس . أما الكتاب فقوله تعالى - وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره - أي نحوه ومن قابل جهة الكعبة يقال قد ولي وجهه شطرها . وأما السنة لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأهل المدينة « ما بين للربوب للشرق قبله <sup>(١)</sup> » والغرب يقع على عين أهل المدينة وللشرق على يسارهم فجعل رسول الله ﷺ جميع ما يقع بينهما قبله ومساحة الكعبة لاتباع ما بين الشرق والغرب وإنما يعني بذلك جهتها ، وروى هذا اللفظ أيضا عن عمر وابنه رضي الله عنهما . وأما فضل الصحابة رضي الله عنهم لما روى : أن أهل مسجد قباء كانوا في صلاة الصبح بالمدينة مستقبليين لبیت للقدس مستدبرين الكعبة لأن المدينة بينهما ، فقل لهم الآن قد حوَّلت القبلة إلى الكعبة فاستداروا في أثناء الصلاة من غير طلب دلالة <sup>(٢)</sup> ولم ينكر عليهم وسمى مسجدهم ذا القبلتين ومقابلة الذين من المدينة إلى مكة لا تعرف إلا بأداة هندسية بطول النظر فيها فكيف أدركوا ذلك على البديهة في أثناء الصلاة وفي ظلمة الليل ، وبدل أيضا من فعلهم أنهم بنوا المساجد حوالى مكة وفي سائر بلاد الاسلام ولم يحضروا قط مهتدسا عند تسوية المحارب ، ومقابلة العين لا تدرك إلا بدقيق النظر الهندسى . وأما القياس فهو أن الحاجة تسمى إلى الاستقبال وبناء المساجد في جميع أقطار الأرض ولا يمكن مقابلة العين إلا بعلوم هندسية لم يرد الشرع بالنظر فيها بل ربما يزجر عن التعمق في علمها

(١) حديث ما بين للشرق والغرب قبله الرمزى وصححه والنسائي وقال منكر وابن ماجه من حديث أبي هريرة (٢) حديث إن أهل قبا كانوا في صلاة الصبح مستقبليين لبیت للقدس قبل لم ألا إن القبلة قد حوَّلت إلى الكعبة فاستداروا الحديث مسلم من حديث أنس وانفقا عليه من حديث ابن عمر مع اختلاف .

ينبني أن يقف عليه  
وهذا يابن الصدق .  
قل أن موسى عليه  
السلام وعظ قومه  
فتفق رجل منهم فحمله  
فقبل لموسى عليه  
السلام قل لصاحب  
القبص لا يشق حمله  
وشرح قلبه . وأما  
إذا أضاف إلى الساجد  
أن يسبح من أمره  
فقد توجهت الفتنة  
وتعين على أهل البيانات  
انكار ذلك . قال قببة  
ابن الوليد كانوا  
يكرهون النظر إلى  
السلام الأمر الجليل .  
وقال عطاء كل نظرة  
يهواها القلب فلا خير  
فيها قال بعض التابعين  
ما أنا أخوف على الشاب  
الذائب من السبح  
الضارى خوفاً عليه  
من الغلام الأمر بعد  
إليه . وقال بعض  
التابعين أيضا الوظيفة  
على ثلاثة أصناف صنف  
ينظرون وصنف  
يسألون وصنف  
يعملون ذلك العمل

فكيف ينبنى أمر الشرع عليها فيجب الاكتفاء بالحاجة للضرورة . وأما دليل صحة الصورة التي صورناها وهو حصر جهات العالم في أربع جهات فقله عليه السلام في آداب قضاء الحاجة « لا تستقبلوا بها القبلة ولا تستدبروها ولكن شرفوا أو غربوا » (١) وقال هذا بالمدنية والشرق على يسار السبيل بها والمغرب على يمينه فتهي عن جهتين ورخص في جهتين ومجموع ذلك أربع جهات ولم يحظر يال أحد أن جهات العالم يمكن أن تفرض في ست أو سبع أو عشر وكيفما كان فما حكم الباقي بل الجهات ثبتت في الاعتقادات بناء على خلقه الانسان وليس له إلا أربع جهات قدام وخلف ويمين وشمال فكانت الجهات بالإضافة إلى الانسان في ظاهر النظر أربعة والشرع لا يبيح إلا مثل هذه الاعتقادات فظهر أن المطلوب الحجة وذلك بسهل أمر الاجتهاد فيها وتعلم بأدلة القبلية فأما مقابلة العين فلها تعرف بمعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستواء ومقدار درجات طولها وهو بعدها عن أول عمارة في الشرق ثم يعرف ذلك أيضا في موقف الصلوة في مقابل أحدهما بالآخر ويحتاج فيه إلى آليات وأسباب طوية والشرع غير مبني عليها قطعا فاذن القدر الذي لا بد من تعلمه من أدلة القبلة موقع للشرق والغرب في الزوال وموقع الشمس وقت العصر فهذا يسقط الوجوب . فان قلت فلو خرج المسافر من غير تعلم ذلك هل يصح . فأقول إن كان طريقه على قري متصلة فيها بحاربي أو كان معه في الطريق بصير بأدلة القبلة موقوف بعد الله وبصيرته ويتردد على تقليده فلا يصح وإن لم يكن معه شيء من ذلك عصى لأنه سيتعرض لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره . فان تعلم هذه الأدلة واستقيم عليه الأمر بنم مظل أو ترك التمسك ولم يجد في الطريق من يتقدمه فله أن يصل في الوقت على حسب حاله ثم عليه التمسك سواء أصاب أم أخطأ والأعمى ليس له إلا التقليد فقلد من يوثق يدينه وبصيرته إن كان مقلده مجتهدا في القبلة وإن كانت القبلة ظاهرة فله اعتقاد قول كل عدل غيره بذلك في حضر أو سفر وليس للأعمى ولا للجاهل أن يسافر في قافلة ليس فيها من يعرف أدلة القبلة حيث يحتاج إلى الاستدلال كالمسافر للعالم أن يشم بيلمه ليس فهاقيه عالم بتفصيل الشرع بل يفرمه الهجرة إلى حيث يجد من يلمه دينه وكذا إن لم يكن في البلد إلا قفيه فاسق فله الهجرة أيضا إذ لا يجوز له الاعتقاد خيالي الفاسق بل المدالة شرط لجواز قبول الفتوى كما في الرواية وإن كان معروفا بالفقه مستورا الحال في المدالة والفسق فله القبول مهما لم يجد من له عدالة ظاهرة لأن المسافر في البلاد لا يقدر أن يبحث عن عدالة الفقيه فان رآه لا يسأله للحريز أو ما يغيب عليه الأبريسم أو راكبا لفرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قوله فلا يطلب غيره وكذلك إذا رآه يأكل على مائدة سلطان أغلب ماله حرام أو يأخذ منه إدارا أو صلة من غير أن يعلم أن الذي يأخذ منه وجه حلال فشكل ذلك فسق فسدح في المدالفة عن منع قبول الفتوى والرواية والشهادة . وأما معرفة وقت الصلوات الخمس فلا بد منها . فوقت الظهر يدخل بالزوال فإن كل شخص لابد أن يقع في ابتداء النهار ظل مستطيل في جانب المغرب ثم لا يزال ينقص إلى وقت الزوال ثم يأخذ في الزيادة في جهة الشرق ولا يزال يزيد إلى الغروب فليتم للمسافر في موضع أو ليصحب غودا مستغيا وليعلم على رأس الظل ثم لينظر بعد ساعة فان رآه في النقصان فلم يدخل بعد وقت الظهر . وطريقه في معرفة ذلك أثبت بنظر في البلد وقت أذان المؤذن التمسك ظل قائمه فان كان مثلا ثلاثة أقدام بقدمه فهما صار كذلك في السفر وأخذ في الزيادة على فان زاد على ستة أقدام ونصفا بقدمه دخل وقت العصر إذ ظل كل شخص بقدمه ستة أقدام ونصف بالتقريب ثم ظل الزوال يزيد كل يوم إن كان سفره من أول الصيف وإن كان أول الشتاء فينقص كل يوم وأحسن ما يعرف به ظل الزوال والليالي فليستصحبه المسافر وليعلم اختلاف

(١) حديث لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرفوا أو غربوا متفق عليه من حديث أبي يوب.

قد تمسح على طائفة الصوفية اجتناب مثل هذه الجماعات وإتقاء مواضع التهم فان التصوف صدق كله وجد كله . يقول بعضهم التصوف كله جد فلا تخطوه بغيره من الهزل فهذه الآثار دلت على احتساب السماع وأخذ الحذر منه والباب الأول بما فيه دلي على جواز مشروطه وتزني عن المكراه التي ذكرناها وقد فصلنا القول وفرقا بين القصاص والفناء وغير ذلك . وكان جماعة من الصالحين لا يسمعون ومع ذلك لا يشكرون على من يسمع بنية حسنة ويراعى الأدب فيه . [ الباب الرابع والعشرون في القول في السماع ترصاه واستناده ] اعلم أن الوجه يشعر بسابقة فدفن لم يفقد لم يجد وإنما كان الفقد لمزاحة وجود البعد بوجود صفاته وبقاياه فهو محض عبدا

الطل به في كل وقت وإن عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان في السفري موضع ظهرت القبلة فيه بدليل آخر فيمكنه أن يعرف الوقت بالشمس بأن تصير بين عينه مثلا إن كانت كذلك في البلد . وأما وقت التهرب فيدخل بالفرط ولكن قد تعجب الجبال التهرب عنه فينبغي أن ينظر إلى جانب الشرق لهما ظهر سواد في الأفق مرتفع من الأرض قدر ربح قد تدخل وقت التهرب . وأما المشاء يعرف بشيوبة الشفق وهو الحمرة فإن كانت محبوبة عنه بجبال فيعرفه بظهور الكواكب الصغار وكثيرها فإن ذلك يكون بعد غيوبة الحمرة . وأما الصبح فينبغي في الأول مستطيل كذب السرحان فلا يحجب به إلى أن يتقضى زمان ثم يظهر ياض متعرض لا يمر إدراكه العين لظهوره فهذا أول الوقت قال **عنه** « ليس الصبح هكذا وجمع بين كفيه وإنما الصبح هكذا وضع إحدى سبائقيه على الأخرى **وفتحها** » وأشار به إلى أنه متعرض وقد يستدل عليه بالنازل وذلك تقرب لا تحقيق على الاعتقاد بل مشاهدة انتشار البياض عرضا لأن قوما ظنوا أن الصبح يطلع قبل الشمس بأربع منازل وهذا خطأ لأن ذلك هو الفجر الكاذب والذي ذكره المحققون أنه يقدم على الشمس منزلتين وهذا تقرب ولكن لا اعتاد عليه فإن بعض النازل تطلع متعرضة منحرفة فيقصر زمان طلوعها وبضها منتبهة فيطول زمان طلوعها ويختلف ذلك في البلاد اختلافا بطول ذكره ثم تصلح المنازل لأن يعلم بها قرب وقت الصبح وبسده فأما حقيقة أول الصبح فلا يمكن ضبطه بمنزتين أصلا وعلى الجملة فإذا بقيت أربع منازل إلى طلوع قرن الشمس بتقدير منزلة يتيقن أنه الصبح الكاذب وإذا بقي قرب من منزلتين يتحقق طلوع الصبح الصادق ويبقى بين الصبحين قدر ثلثي منزلة بالتقريب يشك في أنه من وقت الصبح الصادق أو الكاذب وهو مبدأ ظهور البياض وانتشاره فلا الساع عرضه فن وقت الشك ينبغي أن يترك الصائم المسحور ويقدم القائم الوتر عليه ولا يصل صلاة الصبح حتى تنقضي مدة الشك فإذا تحقق صلى ولو أراد مزيد أن يقدر على التحقيق وقتا معينيا بشر فيه متسحرا ونوم عتيقه ويصل الصبح متصلا به لمقدر على ذلك فليس معرفة ذلك في قوة البشر أصلا بل لا بد من مهلة للتوقف والشك ولا اعتاد إلا على الميان ولا اعتاد في البيان إلا على أن يصير الضوء منتشرا في الرض حتى تبدو مبادئ الصفرة وقد غلط في هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت وبدل عليه ما روى أبو عيسى الترمذي في جامعه بإسناده عن طلق بن عبيد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كلوا واشربوا ولا يهينكم الساطع الصعد وكلوا واشربوا حتى يطرأ لكم الأحمر » وهذا صريح في رعاية الحمرة قال أبو عيسى وفي الباب عن عدي بن حاتم وأبي ذرٍّ وممرة بن جندب وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا عند أهل العلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما كلوا واشربوا مادام الضوء ساطعا قال صاحب الترميزين أي مستطيل فإذا لا يبين أن يكون لإطالي ظهور الصفرة وكأنها مبادئ الحمرة وإنما يحتاج السافر إلى معرفة الأوقات لأنه قديار بالصلاة قبل الرحيل حتى لا يثقل عليه الزوال أو قبل النوم حتى يسرع فإن وطن نفسه على تأخير الصلاة إلى أن يفتن فتسمع نفسه بفوات

(١) حديث ليس الصبح هكذا وجمع كفه وإنما الصبح هكذا ووضع إحدى سبائقيه على الأخرى **وفتحها** وأشار به إلى أنه متعرض ابن ماجه من حديث ابن مسعود بإسناد صحيح مختصر دون الإشارة بالسكف والسبائتين ولأحمد من حديث طلق بن عبيد الله : ليس الفجر للمستطيل في الأفق لكنه انترض الأحمر وإسناده حسن (٢) حديث طلق بن عبيد الله كلوا واشربوا ولا يهينكم الساطع الصعد وكلوا واشربوا حتى يطرأ لكم الأحمر قال الصنف رواه أبو عيسى الترمذي في جامعه وقال حسن غريب وهو كاذب كرواه أبو داود أيضا .

لتحضر حرا ومن  
تخص حرا أفلت من  
شرك الوجد فترك  
الوجد يصطاد البقايا  
ووجود البقايا تختلف  
شوء من المطايا . قال  
الحصري رحمه الله  
مأذون حال من يحتاج  
إلى مزج زجعه  
قال وجد السباع في حق  
الحق كالوجد بالسباع  
في حق البطل من حيث  
النظر إلى انزعاجه  
وتأثير الباطن به وظهور  
أثره على الظاهر وتغييره  
لجيد من حال إلى  
حال وإنما يختلف الحال  
بين الحق والبطل أن  
البطل يجد لوجود  
هوى النفس والحق  
يجد لوجود إرادة  
القلب ولهذا قيل  
السباع لا يحدث في  
القلب شيئا وإنما  
يحركه مافي القلب فمن  
متعلق بباطنه شير الله  
بحركه السباع فيجد  
بالهوى ومن متعلق  
باطنه بمحبة الله يجد  
بالإرادة إرادة القلب

فضلة أول الوقت وينتجم كلفة الزول وكلفة تأخير النوم إلى التيقن استغنى عن نعم علم الأوقات فان للشكل أوائل الأوقات لا أوساطها .

### ( كتاب آداب السماع والوجد )

( وهو الكتاب الثامن من ربيع المادات من كتب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله الذي أحرق قلوب أوليائه بنار محبه . واسترق همهم وأرواحهم بالشوق إلى لقائه ومشاهدته . ووقسأ بصرهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرة . حتى أصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى . وأصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والله خبرى . فلم يروا في الكونين شيئا سواه . ولم يذكروا في الدارين إلا إياه . إن حننت لأبصارهم صورة عبرت إلى الصور بصائرهم . وإن قرعت أسماعهم نغمة سبقت إلى المحبوب سرائرهم . وإن ورد عليهم صوت مزجج أو مقلق أو مطرب أو محزن أو مسجع أو مشوق أو موهج لم يكن ارتعاجهم إلا إليه . ولا طربهم إلا به ولا فقههم إلا عليه . ولا حزنهم إلا به ولا شوقهم إلا إلى مآلديه . ولا انبئتهم إلا به ولا ترددهم إلا حوالبه . فنه سماعهم . وإليه استأنعهم . فقد أقفل عن غيره أبصارهم وأسماعهم . أولئك الذين اصطفاهم الله لولايته . واستخلصهم من بين أصفياهه وخاصته . والصلاة على محمد المبعوث برسائه وعلى آله وأصحابه أئمة الحق وقادته . وسلم كثيرا .

[أما بعد] فإن القلوب والسرائر . خزائن الأسرار ومعدن الجواهر . وقد طويت فيها جواهرها كاطلوت النار في الحديد والحجر . وأخفيت كآخى للاء تحت التراب والدر . ولا سبيل إلى استئارة خفاياها إلا بقواعد السماع . ولا منفذ إلى القلوب إلا من دهلج الأسماع . فالتفتحت للوزونة للستلثة تخرج مافيا . وتظهر محاسنها أو مساوئها . فلا يظهر من القلب عند التحريك إلا ما يحويه . كما لا يرشح الإناء إلا بما فيه . فالسماع للقلب عك صادق . ومياع ناقص . فلا يصل نفس السماع إليه . إلا وقد تحرك في مآهوا القلب عليه وإذا كانت القلوب بالطباع مطيعة للاستماع حتى أبدت بواردها مكانها . وكشفت بها عن مساوئها وأظهرت محاسنها . وجب شرح القول في السماع والوجد وبيان ما فيها من القوائد والآفات . وما يستحب فيها من الآداب والمياعات . وما ينطرق إليها من خلاف الملاء في أئها من المخطورات أو الباحات . ونحن نوضح ذلك في بابين . الباب الأول : في إباحة السماع . الباب الثاني : في آداب السماع وآثاره في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزرق وتزيق الثياب .

( الباب الأول . في ذكر اختلاف الملاء في إباحة السماع وكشف الحق فيه )

( بيان أقوال العلماء والتصوف في تحليه وعمره )

اعلم أن السماع هو أول الأمر ويشمر السماع حالة القلب تسمى الوجد ويشمر الوجد تحريك الأطراف بإمهره غير موزونة يسمى الاضطراب وإماموزونة تسمى التصفيق والرقص فليبدأ بحكم السماع وهو الأول وتنقل فيه الأقاويل العربة عن المذهب فيه ثم نذكر الدليل على إباحته ثم تردفه بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه ، فأما هل المذهب قد حكى القاضي أبو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وأبي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء ألقاظا يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه وقال الشافعي رحمه الله

( كتاب السماع والوجد )

( الباب الأول في ذكر اختلاف العلماء في إباحته )

فابطل محبوب  
حجاب النفس والمحق  
حبيب حبيب القلب  
وحبيب النفس حبيب  
أرضي تلقائي وحبيب  
القلب حبيب حماوى  
نوراني ومن لم يفقد  
بدولم التحقق بالشهود  
ولا ينشأ بأذيال الوجود  
فلا يسمع ولا يجد  
ومن هذه الطائفة قال  
بشبه الوجد نازم  
كل لا يفتن في قول  
ومر بمخاض الدينوري  
رحمه الله يوم فهم  
قوله فلا رأوه  
أسكوا فقال أرجعوا  
إلى ما كنتم فيه فأنه  
لوجعت ملاي الدنيا  
في أدنى ما ينالهم ولا  
شفي حتى ماني فالوجد  
صرخ الروح البتلى  
بالنفس تارة في حق  
البطل وبالقلب تارة  
في حق الحق فتأثر  
الوجد الروح والروحاني  
في حق الحق والبطل  
ويكون الوجد تارة  
من فهم الماني يظهر  
وعارة من مجرد التغات

في كتاب آداب القضاء إن الفناء هو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سيء زهد شهادته وقال القاضي أبو الطيب استناعه من للرأة التي ليست بحرم له لا يجوز عند أصحاب النافى رحمه الله بحال سواء كانت مكتوبة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال القاضي رضي الله عنه صاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سيء زهد شهادته وقال وحكي عن النافى أنه كان يكره القطعة بالقبض ويقول وضعت الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن وقال النافى رحمه الله ويكره من جهة الحر الملب بالزدر أكثر ما يكره الملب بغيره من اللامح ولا أحب الملب بالشرطي وأكره كل ما يلعب به الناس لأن الملب ليس من صفة أهل الدين ولا للزوجة . وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن الفناء وقال إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم ابن سعد وحده . وأما أبو حنيفة رضي الله عنه فإنه كان يكره ذلك ويجعل سماع الفناء من الذنوب وكذلك سائر أهل الكوفة : سفیان الثوري وحماد وإبراهيم والشمي وغيرهم . فهذا كله نقله القاضي أبو الطيب الطبري وهل أبو طالب الكشي إباحة السماع عن جماعة فقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والقيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال قذوف ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي بإحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا يتكلمون السماع في أفضل أيام السنة وهي الأيام المدودة التي أمر الله عباده فيها بذكره أيام التشريق ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا فأوردنا أبيامروان القاضي وله جوار يسمن الناس التاجين قد أعدمت للصوفية قال وكان لسماع جاريتان بلحان فكان إخوانه يستمعون إليهما قال وقيل لأبي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجليل وسرى السقطي وذو النون يستمعون قال وكيف أنكروا السماع وقد أجازوه وسمعه من هو خير مني فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وإنما أنكروا السماع واللب في السماع روى عن يحيى بن معاذ أنه قال قد كنا ثلاثة أشياء فإزهاها ولأزهاها زداد إلا الله حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الإخاء مع الوفاء ورأيت في بعض الكتب هذا حكيا بينه عن الحرث الهامسي وفيه ما يدل على تجوز السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشميره قال وكان ابن مجاهد لا يحب دعوة إلا أن يكون فيه سماع وحكي غير واحد أنه قال اجتماع دعوة ومعنا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر بن داود وابن مجاهد في نظرهم خفض سماع لجل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود في أن يسمع فقال ابن داود حدثني أبي عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان يكرهه وأنا على مذهب أبي فقال أبو القاسم ابن بنت منيع أما جدي أحمد ابن بنت منيع لحدثني عن صالح بن أحمد أن أباه كان يسمع قول ابن الحجازة فقال ابن مجاهد لابن داود دعني أنت من أبيك وقال لابن بنت منيع دعني أنت من جدك أي شيء قول يا أبا بكر فيمن أنشد بيت شعر أهو حرام قال ابن داود لا قال فإن كان حسن الصوت حرم عليه إنشاده قال لا قال فإن أنشد وطوله وقصره المدود ومد منه القصير أبحر من عليه قال نعم أقول شيطان واحد وكيف أقوى للشيطانين قال وكان أبو الحسن العمسلي الأسود من الأولياء يسمع وبوله عند السماع وصف فيه كتابا ورد فيه على منكره . وكذلك جماعة منهم صفوا في الرد على منكره . وحكي عن بعض الشيوخ أنه قال رأيت أبا العباس الحفص عليه السلام قلته ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدم العلماء . وحكي عن عماد الدينوري أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا قال ما أنكر منه شيئا ولكن قل لهم يستمعون قبله بالقرآن ويستمعون بعده بالقرآن . وحكي عن طاهر بن بلال

والألحان فما كان من  
قيل الثاني تشارك  
النفى الروح في السماع  
في حق البطل ويشارك  
القلب في حق الحق وما  
كان من قيل مجرد  
النفات تجرد الروح  
للسماع ولكن في حق  
البطل تسترق النفس  
السمع وفي حق الحق  
يسترق القلب السمع  
وجه استنقاذ الروح  
النفات أن العالم  
الرواحي يجمع الحسن  
والجمال ووجود  
التناسب في الأكواف  
مستحسن قولاً وفلاً  
وجود التناسب في  
الهياكل والصور  
ميراث الروحانية فهي  
سمع الروح النفات  
الذبيذ والألحان  
للتناسب تأثيره لوجود  
الجنسية ثم يتقيد ذلك  
بالترفع بمصالح علم  
الحكمة ورعاية الحدود  
للعبد عين المصلحة  
عاجلاً وآجلاً . ووجه  
آخر إنما يستنقذ الروح  
النفات لأن النفات بها

المحمداني الوراق وكان من أهل العلم أنه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون في جانب منه قولا ويستمعون فأنكرت ذلك فبقي وقت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وإذا أبو بكر يقول شيئا من القول والنبي ﷺ يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع وأبو بكر يقول فالتفت إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا حق بحق أو قال حق من حق أنا أكشفه وقال الجريد تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند الذكر لأنهم لا يتجاوزون إلا في مقامات الصديقين وعند البيع لأنهم يسمعون بوجود ويشهدون حقا وعن ابن جريج أنه كان يرخس في البيع فقبل له أن يؤتي يوم القيامة في حلة خستائك أو سيئاتك قال لا في الحسنة ولا في السيئات لأنه شبيه بالنعو وقال الله تعالى - لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم - هذا ما قل من الأقاويل ومن طلب الحق في التقليد فيها استقصى فعارضت عنده هذه الأقاويل فيبقى متجبرا أو ماثلا إلى بعض الأقاويل بالتشبيه وكل ذلك تصور بل ينبغي أن يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدراك الخطر والإباحة كاستدركه.

(بيان الدليل على إباحة البيع)

اعلم أن قول القائل البيع حرام مناه أن الله تعالى ياقبل عليه وهذا أمر لا يعرف بمجرد العقل بالسمع ومعرفة التشريعات محصورة في النسخ أو القياس على النصوص وأغنى بالنسخ ما أظهره صلى الله عليه وسلم بقوله أوفيه وبالقياس للمعنى لله يوم من أفاضه وأما له فإن لم يكن نص فيه ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بغيره وبقي فعلا لا حرج فيه كإثبات البياعات ولا يدل على تحريم البيع نص ولا قياس ويتضح ذلك في جوابنا عن أدلة المائلين إلى التحريم ومهماتهم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلكا كافيا في إثبات هذا الغرض لكن لسنتفح وتقول قد دل النص والقياس جميعا على إباحته . أما القياس فهو أن الغناء اجتمعت فيه ممان ينبغي أن يبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها فإن فيه مماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب فالوصف الأعم أنه صوت طيب ثم الطيب ينقسم إلى اللوزون وغيره واللوزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وصائر الحيوانات أما مماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب فلا ينبغي أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس أما القياس فهو أنه يرجع إلى تلذذ حاسة السمع بأدراك ما هو مخصوص به وللإنسان عقل وحس وحواس ولكل حاسة إدراك وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذذ للنظر في البصائر الجميلة كالخضرة واللؤلؤ الجاري والوجه الحسن وبالجملة سائر الألوان الجميلة وهي في مقابلة ما يكره من الألوان الكدرة القبيحة ولشم الروائح الطيبة وهي في مقابلة الرائحة المستبشرة ولللسان اللين والنومة واللاسهو وهي في مقابلة الحسونة والضراعة واللافتة للذة الطول والرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة فكذلك الأصوات للذكر بالسمع تنقسم إلى مسئلة أصوات العنادل والزماير ومستكره كنبق الجير وغيرها فأظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس وقادتها . وأما النص فيدل على إباحة مماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده به إذ قال - يزيد في الخلق ما يشاء - فقل هو الصوت الحسن وفي الحديث « ما بهت الله نبيا إلا حسن الصوت »<sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « لا أشد أذنا لرجل

نطق النفس مع الروح بالإيمان الحق إشارة ومرزا بين للتشافين وبين النفوس والأرواح تماشق أصلى ينزع ذلك إلى أنوثة النفس وذكرورة الروح والليل والتماشق بين الفكر والأقنى بالطبيعة واتع قال الله تعالى - وجعل منها زوجا ليسكن إليها - وفي قوله سبحانه منها إشارة بتلازم وتلاصق موجب للاتفاق والتماشق يستلذها والنفحات يستلذها الروح لأنها متناغة بين للتشافين وكما أن في عالم الحكمة كوتت حواء من آدم في عالم القدرة كوتت النفس من الروح الروحاني فهدا التآلف من هذا الأصل وذلك أن النفس روح حيواني تخشى بالقرب من الروح الروحاني وتجنسها بأن امتنازت من أرواح جنس الحيوان جبرف

(١) حديث ما بهت الله نبيا إلا حسن الصوت الترمذي في الشرائع عن قتادة وزاد قوله وكان نبيك



الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة لقيته <sup>(١)</sup> « وفي الحديث في معرض اللح لهادود عليه السلام « أنه كان حسن الصوت في النباح على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الناس والجن والوحوش والطير لسماع صوته وكان يحمل في جملته أربعمائة جنازة وما يقرب منها في الأوقات <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم في مدح أبي موسى الأشعري « لقد أعطى زمزما من مزامير آل داود <sup>(٣)</sup> » وقول الله تعالى - إن أنكر الأصوات لصوت الخير - يدل بنفسه على مدح الصوت الحسن ولو جاز أن يقال إنما أصبح ذلك بشرط أن يكون في القرآن لزمه أن يحرم سماع صوت الغنديل لأنه ليس من القرآن وإذا جاز سماع صوت غنفل لامع له فلم لا يجوز سماع صوت يغم منه الحكمة واللأني الصحيحة وإن من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث إنه طيب حسن : الفقرة الثانية النظر في الصوت الطيب للوزن فإن الوزن راء الحسن فكمن صوت حسن خارج عن الوزن وكمن صوت موزون غير مستطاب والأصوات للوزنة باعتبار خارجها ثلاثة فاتها إما أن تخرج من جاد كصوت الزمير والأوتار وضرب القضيبي والطبل وغيره وإما أن تخرج من حجرة حيوان وذلك الحيوان إما إنسان أو غيره كصوت النادل والقراري وذات السبع من الطيور فهي مع طيها موزونة متناسبة للطاق والمقاطع فذلك يستدل بها على الأصوات خارج الحيوانات وإما وضعت المزامير على أصوات الخناجر وهو تشبيه للصنعة بالحلقة وما من شيء توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره إلا وله مثال في الحلقة التي استأثر الله تعالى باختراعها فنه تعلم الصناعات وبه قصدوا الاقتداء وشرح ذلك بطول فباعت هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة فلا ذهاب إلى تحريم صوت الغنديل وسائر الطيور ولا فرق بين حجرة وحجرة ولا بين جاد وحيوان فينبغي أن يقاس على صوت الغنديل الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختيار الآدمي كالتي يخرج من حلقه أو من القضيبي والطبل والدف وغيره ولا يستثنى من هذه إلا للالهي والأوتار والزمير التي ورد الشرع بالتحريم منها <sup>(٤)</sup> لا لقتها إذ لو كان للقة قيس عليها كل ما يندب به الإنسان ولكن حرمت المحور واقتضت ضراوة الناس بها بالانفة في النظام عنها حتى انتهى الأمر في الابتداء إلى كسر الدنان لحرم معها ما هو شعار أهل الشرع وهي الأوتار والزمير فقط وكان تحريمها من حسن الوجه حسن الصوت وروينا متصلا في التيلانيات من رواية قتادة عن أنس والصاب الأول قاله الدارقطني ورواه ابن مردويه في التفسير من حديث أبي بن طالب وطرقة كلها ضيقة (١) حديث لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قيته تقدم في كتاب تلاوة القرآن (٢) حديث كان داود حسن الصوت في النباح على نفسه وفي تلاوة الزبور الحديث لم أجده له أصلا (٣) حديث لقد أوتي زمزما من مزامير آل داود قاله في مدح أبي موسى تقدم في تلاوة القرآن (٤) حديث التلع من اللأهي والأوتار والزمير البخاري من حديث أبي عامر أو أبي مالك الأشعري ليس كونه في أمق أقوام يستحلون الحز والحرير والمأزف صورته عند البخاري صورة التعليق ولذلك منعه ابن حزم ووصله أبو داود والاسماعيلي . والمأزف لللأهي قاله الجوهري ولأحمد من حديث أبي أمامة إن الله أمرني أن أحقق الزمير والسكارات يمي الرباط والمأزف وله من حديث قيس بن سعد بن عباد إن ربي حرم على الحز والسكوبة والفنين وله في حديث لأبي أمامة باستحلالهم المحور وضربهم بالدفوف وكلها ضيقة ولأبي الشيخ من حديث مكحول مرسل الاستماع إلى للأهي معصية الحديث ولأبي داود من حديث ابن عمر مع زمزما فوضع أصبعه على أذنيه قال أبو داود وهو منكبر .

القرب من الروح  
الروحاني فصار تها  
فذا كثر النفس من  
الروح الروحاني في عالم  
القدرة كصوت  
حواء من آدم في عالم  
الحكمة فهذا التألف  
والعاشق ونسبة  
الأوتار والدورة من  
ههنا ظهر وبهذا  
الطريق استطاعت  
الروح النفاذ لأنها  
مراسلات بين  
للتعاشقين ومكالة  
بينهما وقد قال القائل :  
تلك منا في الوجود  
عبودنا  
فنحن سكوت والهوى  
يتكلم  
فذا استلذذ الروح النعمة  
وجدت النفس العلو  
بالهوى وتحركت بها  
فيها لحود العارض  
ووجد القلب العلول  
بالارادة وتحرك بمافي  
لوجود العارض في  
الروح :  
شربنا وأهرقنا على  
الأرض جرعة  
وللأرض من كأس  
السكرام نصيب

قبل الاتباع كاحرمت الخلو بالاجنية لأنها مقدمة الجماع وحرم النظر إلى الفخذ لاتصاله بالسواكين وحرم قليل الخمر وإن كان لا يسكر لأنه يدعو إلى السكر ومانع حرام إلا أنه حرم بطفه وبحكم الحرمة ينسحب على حرمة ليكون صمغ الحرام ووقاية له وحظا ما ضاع حوله كالقاصي الله عليه وسلم « إن لكل ملك صمغ وإن صمغ الله حارمه »<sup>(١)</sup> فهي محرمة تبعا لتحريم الخمر ثلاث على : إحداهما أنها تدعو إلى شرب الخمر فإن اللذة الحاصلة بها إنما تتم بالخمر ولثل هذه العلة حرم قليل الخمر . الثانية أنها في حق قرب المهد بشرب الخمر تذكر مجالس الألس بالشرب فهي سبب التذكر والتذكر بسبب انبعاث الشوق وانبعاث الشوق إذا قوى فهو سبب الإقدام ولهذا العلة « نهى عن الانتباه في الزفت والحنم والتقيير »<sup>(٢)</sup> وهي الأواني التي كانت خصوصية بها لعنى هذا أن مشاهدة صورتها تذكرها وهذه العلة تفارق الأولى إذ ليس فيها اعتبار لذة في التذكر إذ لذة في رؤية القنينة وأواني الشرب لكن من حيث التذكر بها فإن كان السباع يذكر الشرب تذكرها يشوق إلى الخمر عند من ألف ذلك مع الشرب فهو منهى عن السباع لحصول هذه العلة فيه . الثالثة الاجتماع عليها لما أن صار من عادة أهل القسق فيمنع من التشبه بهم لأن من تشبه بهم فهو منهم وبهذه العلة نقول بترك السنة مهما صارت شمارة لأهل البدعة خوفا من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة الخثين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحبيص والغزو وبهذه العلة قولوا لاجتمع جماعة وزينوا مجلسا وأحضروا آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها الكنجين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسهم فيأخذون من الساق وشربون ويحيي بعضهم بعضا بكلماتهم للعادة بينهم حرم ذلك عليهم وإن كان للشروب مباحا في نفسه لأن في هذا تشبه بأهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشرطي الرأس قزعا في بلاد صار القباء فيها من لبس أهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيها وراه التبر لاعتقاد أهل الصلاح ذلك قيم فبهذه المعاني حرم الزمار العراق والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحبيص وشاهين الطبايين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب لأن كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق إليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها فبقى على أصل الاباحة قياسا على أصوات الطيور وغيرها بل أقول صمغ الأوتار ينحصر فيها على غير وزن متناسب مستطال حرام أيضا وبهذا يتبين أنه ليست العلة في تحريمها مجرد اللذة الطبية بل القياس تحليل الطيبات كلها إلا ما في تحليله فساد قال الله تعالى - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق - فهذه الأصوات لأخرم من حيث إنها أصوات موزونة وإنما تحرم بعارض آخر كما سيأتي في العوارض المحرمة . الدرجة الثالثة : الوزون والقيوم وهو الشعر وذلك لإخراجه إلا من حجرة الانسان فيقطع بإباحة ذلك لأنه ما زاد إلا كونه مفهوما والسلام للقيوم غير حرام والصوت الطيب الوزون غير حرام فإذا لم يحرم الآحاد فمن أين يحرم المجموع ثم ينظر في فهمه من أن كان فيه أمر محظور حرم شره ونظمه وحرم النطق به سواء كان بالألحان أو لم يكن والحق فيه ما قاله الشافعي رحمه الله إذ قال الشعر كلام حسنة حسن وبيعه قبيح ومهما جاز إنشاد الشعر بغير صوت والألحان جاز إنشاده مع الألحان فإن أفراد البباحات إذا أخذت كان ذلك المجموع مباحا

فخص للبطل أرض لباء قبله وقلب الحق أرض لباء روحه فالبالغ مبالغ الرجال والتجوهر للتجرد من أعراض الأحوال خلغ فعلى النفس والقلب بالوادي القدس وفي مقدمه صدق عند ملك مقدر استقر وعرس وأحرق بنور البمان أحرار الألحان ولم تصغ روحه إلى مناعة عاشقه لشغله بطلالة آثار محبوه فاهلهم للشائق لا يسمعه كشف ظلامه العاشق ومن هذا حاله لا يحرره السباع رأسا وإذا كانت الألحان لا تلتحق هذا الروح مع لطافة مناجاتها وحق لطيف مناجاتها كيف يابقه السباع بطريق فهم المعاني وهو أكتف ومن يصف عن حمل لطيف الاشارات كيف يتحمل تحمل أعباء المبارات وأقرب من هذا عبارة تقرب إلى

(١) حديث إن لكل ملك صمغ وإن صمغ الله حارمه تقدم في كتاب الحلال والحرام .

(٢) حديث النهي عن الانتباه في الحنم والزفت والتقيير متفق عليه من حديث ابن عباس .

ومهما انقم مباح لم يحرم إلا إذا تضمن المجموع عظورا لاتضمنه الآحاد ولا عظور ههنا وكيف  
يشكر لإنشاد الشعر وقد أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وقال عليه السلام « إن  
من الشعر لحكمة » وأنشدت عائشة رضي الله عنها :

الأنفهام : الوجود

يرد من الحق سبحانه

وتعالى ومن يريد الله

لا يتعجبا من عند الله

ومن صار في محل القرب

مستحقا به لا يلهيه ولا

يحركه ما ورد من عند

الله فالوارد من عند

الله مشعر يمد

والقريب واجد في

يصنع بالوارد والوجد

نار والقلب للواجد

ربه نور والنور الأنف

من النار والكثيف

غدير مسطر على

اللطيف فإدام الرجل

البالغ مستعرا على

جادة استقامته غدير

منحرف عن وجه

معهوده بنوازع

وجوده لا يدركه الوجد

بالسماع فإن دخل عليه

فتور أوعاقه قصور

بدحول الاتلاء عليه

من إلى الحسن يتألف

الحسن من تعاقب صور

الاتلاء أى يدخل

عليه وجود يدركه

الواجد لعود العبد

عند الاتلاء إلى حجاب

ذهب الدين يماش في أكافهم وبقيت في خلف كجد الأجر

وروى في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
المدينة وعك أبو بكر وبلاول رضي الله عنهما وكان بها وباء قتلت يا أبت كيف تحمك وبلاول كيف  
تحمك ؟ فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصعب في أهله ولولت أدنى من شرك نله

وكان بلاول إذا أفلست عنه الحمى يرفع فقيرته ويقول :

ألا ليت شمرى هل آيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه بجنة وهل يدون لى شامة وطفيل

قالت عائشة رضي الله عنها فأخبرت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم حبب إلينا  
المدينة كحبنا مكة أو أشد » وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد  
وهو يقول : هذا الجمال لاحمال خير هذا أبر ربنا وأطهر

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم مرة أخرى :

لاهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة (٢)

(١) حديث إنشاد الشعر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث أبي هريرة  
أن عمر مـ بن الخطاب وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظ إليه فقال قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك  
الحديث ، ولسم من حديث عائشة إنشاد حسان :

هجوتم محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذلك الجزء القصيدة

وإنشاد حسان أيضا :

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت محزوم ووالدك العبد

وللبخارى إنشاد ابن رواحة :

وفينا رسول الله يسلك كتابه إذا انتقى معروف من الفجر ساطع الأيام

(٢) حديث إن من الشعر لحكمة البخارى من حديث أبي بن كعب وتقدم في العلم

(٣) حديث عائشة في الصحيحين لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلاول

الحديث وفيه إنشاد أبي بكر :

كل امرئ مصعب في أهله ولولت أدنى من شرك نله

وإنشاد بلاول : ألا ليت شمرى هل آيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه بجنة وهل يدون لى شامة وطفيل

قلت : هو في الصحيحين كما ذكر المصنف لكن أصل الحديث والشعر عند البخارى فقط ليس عند

مسلم (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد وهو يقول :

هذا الجمال لاحمال خير هذا أبر ربنا وأطهر

وقال صلى الله عليه وسلم مرة أخرى :

اللهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

وهذه في الصحيحين وكان النبي صلى الله عليه وسلم يضع لسان منيرا في السجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافع أو فاجر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ولا أنشدته النابتة شعره قاله صلى الله عليه وسلم « لا يفيض الله ذاك » (٢) وقالت عائشة رضي الله عنها « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون عنده الأسماء وهو يتسمم » وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال « أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال إن كاد في شعره ليسم (٣) » وعن أنس رضي الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجدي له في السفر وإن أنجشة كان يجدي بالنساء والبراء بن مالك كان يجدي بالرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنجشة رويدك سوكك بالقوارير » (٤) ولزمزل الجدهاء وراء الجلال من عادة العرب في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة رضي الله عنهم وما هو إلا أشعار تؤدى بأصوات طيبة والأحان موزونة ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره بل ربما كانوا يلتسمون ذلك تارة لتحريك الجلال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز أن يحرم من حيث إنه كلام مفهوما مستلذا مودى قال للصف والبيتان في الصحيحين . قلت البيت الأول انقرده به البخاري في قصة المجبرة من رواية عروة مرسلًا وفي البيت الثاني أيضا إلا أنه قال الأجر بدل العيش تمل بشعر رجل من اللعين لم يسمي قال ابن شهاب ولم يلقنا في الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمل بيت شعرتام غير هذا البيت والبيت الثاني في الصحيحين من حديث أنس يرجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يقولون :

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فأنصر الأنصار وللهاجرة

وليس البيت الثاني موزونا وفي الصحيحين أيضا أنه قال في حفر الحندق بلفظ : قبارك في الأنصار والهاجرة . وفي رواية فاغفروني رواية تسلم فأكرم ولهما من حديث سهل بن سعد فاغفر للمهاجرين والأنصار (١) حديث كان يضع لسان منيرا في السجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافح الحديث البخاري تعليقا وأبو داود والترمذي والحاكم متصلا من حديث عائشة قال الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الإسناد وفي الصحيحين أنها قالت إنه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) حديث أنه قال للناطقة لا أنشد شعرا لا يفيض الله الغوى في معجم الصحابة وابن عبد البر في الاستيعاب بإسناد ضعيف من حديث النابتة واسمها قيس بن عباد قال أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم بلفظنا السباء مجدنا وجدودنا وإنا لرجو فوق ذلك مظهرا الأبيات ورواه البراز بلفظ : علونا العباد عفة وتكرما . الأبيات وفيه فقال أحسنت بأبالي لا يفيض الله ذاك ولحاكم من حديث خزيم بن أوس سمعت العباس يقول يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك فقال قل لا يفيض الله ذاك فقال العباس :

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يحضف الورق الأبيات

(٣) حديث عائشة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الأسماء وهو يتسمم الترمذي من حديث جابر بن سمرة وصححه ولم أقف عليه من حديث عائشة (٤) حديث الشريد أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه الحديث رواه مسلم (٥) حديث أنس كان يجدي له في السفر وإن أنجشة كان يجدي بالنساء وكان البراء بن مالك يجدي بالرجال الحديث أبو داود الطيالسي واتفق الشيخان منه على قصة أنجشة دون ذكر البراء بن مالك

القلب فمن هومع الحق  
إذا زل وقع في القلب  
ومن هومع القلب إذا  
زل وقع على النفس  
سمعت بعض مشايخنا  
يحكى عن بعضهم أنه  
وجد من الباع قفيل  
له أين حاله من هذا  
فقال دخل على داخل  
أوردني هذا للورد .

قال بعض أصحاب سهل  
صحت سهلا سنين  
مارأته تغير عند  
شيء . كان يسمعه من  
الذكر والفرقان فلما  
كان في آخر عمره قرئ  
عنده فاليوم لا يؤخذ  
منكم فدية - فارصد  
وكاد يقطع فأتاه عن  
ذلك قال ثم لحقني  
منصب وجمع مرتد الملك  
يومئذ الحق الرحمن -  
فاضطرب فساءه ابن سالم  
وكان صاحبه قال قد  
صفت قبيل له إن  
كان هذا من الضعف  
فما التوة قال القوة  
أن الكامل لا يرد  
عليه

بأصوات طيبة وألحان موزونة . الدرجة الزايلة : النظر فيه من حيث إنه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه فأقول قد تعالى سر في مناسبة للثبات للوزونة للأرواح حتى إنها لتؤثر فيها تأثيراً عجيباً فمن الأصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما يهيج ومنها ما يضحك ويضطرب ومنها ما يسترخى ومنها من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس ولا ينبغي أن يظن أن ذلك ليقهم معنى الشرح لهذا جار في الأوتار حتى قيل من لم يحركه الريح وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد الزواج ليس له علاج وكيف يكون ذلك لقيم المعنى وتأثيره مشاهد في الصبي في مهمه فانه يسكنه الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يحكيه إلى الإصغاء إليه والجل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثراً يستخف معه الأحمال الثقيلة ويستتصر لقوة نشاطه في جماعه للسافات الطويلة وينبت فيه من النشاط ما يكره ويوهه فتراها إذا طالت عليها البوادي واعتراها الإعياء والكلال تحت الحمل والأحمال إذا صمت ننادى الحداء تمد أعناقها وتضني إلى الحادي ناسبة آذانها وترفع في سيرها حتى تترزع عليها أحمالها وعاملها وربما تلفت أعشها من شدة السير وتقل الجمل وهي لا تستمر به لنشاطها فقد حكى أبو بكر محمد بن داود البهزوري للعرف بالرقى رضى الله عنه قال كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضاني رجل مهم وأدخلني خبائه فرأيت في الحياء عبداً أسود مقبداً مفيداً ورأيت جمالا قد ماتت بين يدي البيت وقد بقي منها جمل وهو ناضل ذابل كأنه ينزع روحه فقال لي اللام أنت ضيف ولك حق تشفع في إلى مولاي فانه مكرم لعفيه فلارده شفاعتك في هذا القدر فضاء بحل القيد عنى قال فلما أحضروا الطعام امتنت وقلت لا أكل ما لم أشفع في هذا العبد فقال إن هذا العبد قد أقررت وأهلك جميع مالي فقلت ماذا فعل قال إن له سوتا طيباً وإنى كنت أعجب من ظهور هذه الجمال فغلبها أحمالا ثقلا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة من طبع نفسته فلما حلت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد ولكن أنت ضيف فلكرما لك قد وهبت لك قال فأجبت أن أسمع صوته فلما أصبحنا أمره أن يجده على جمل يبتقى للماء من بش هناك فلما فرغ صوته هام ذلك الجمل وقطع جباله ووقفت أنا على وجهي لما أظن أنى صممت قطصوتا أظلمت فاذن تأثير السماع في القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحية زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجبال والطيور بل على جميع البهائم فان جميعها تتأثر بالنفثات للوزونة ولذلك كانت الطيور تفت على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلب لم يجز أن يحكم فيه مطلقاً بإباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص واختلاف طرق النفثات لحكمه حكم ما في القلب قال أبو سليمان السماع لا يعمل في القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما هو فيه فالترنم بالكلمات للسجدة للوزونة متعارف وموضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهي سبعة مواضع . الأول : غناء الحبيب فانهم أولاً يدورون في البلاد بالطلل والشاهدين والثناء وذلك بباخ لأنها أشعار نظمت في وصف الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وسائر للشاعر ووصف البادية وغيرها وأثر ذلك بهيج الشوق إلى حج بيت الله تعالى واشتغال بزياره إن كان ثم شوق حاصل أو استارة الشوق واجتلاب إن لم يكن حاملا وإذا كان الحج قرابة والشوق إليه محمودا كان التشويق إليه بكل ما يشوق محمودا وكما يجوز للواعظ أن ينظم كلامه في الوعظ وزينه بالسمج ويشوق الناس إلى الحج بوصف البيت والشاعر ووصف الثواب عليه جاز لغيره ذلك على نظم الشعر فإن الوزن إذا انضاف إلى السجع صار الكلام أوقع في القلب فإذا أضيف إليه صوت طيب وتفتت موزونة زاد وقته فإن أضيف إليه الطبل والشاهدين وحركات الإبتاع زاد التأثير وكل ذلك جائز مالم

يسلم بقوة حاله فلا يفسره الوارد . ومن هذا القبيل قول أبي بكر رضى الله عنه هكذا كما حق قست القلوب لما رأى الباكي يسكي عند قراءة القرآن وقوله قست أى تعلبت وأدمنت سماع القرآن وأقلت أنواره لما استغرته حتى تغير والواجد كالشرب ولهذا قال بسهم حالى قبل الصلاة كمالى في الصلاة إشارة منه إلى استمرار حال الشهود وهكذا في السماع كقبول السماع . وقد قال الجليل لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أنهم من فضل الوجد . ولما عن الشيخ حماد رحمه الله أنه كان يقول البكاء من بقاء الوجود وكل هذا يقرب البص من البص في الضى لمن عرف الإشارة فيه وفهم وهو عزيز الفهم عزيز الوجود . واعلم أن

يدخل فيه الزامير والأوتار التي من شعار الأشرار ، ثم إن قصده تشويق من لا يجوز له الخروج إلى الحج كالذي أَسَدَ طالع من نفسه ولم يأذن له أبواه في الخروج فهذا يحرم عليه الخروج فيحرم تشويقه إلى الحج بالسباع وبكل كلام يشوق إلى الخروج فإن التشويق إلى الحرام حرام وكذلك إن كانت الطريق غير آمنة وكان الهلاك غالبا لم يحز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق . الثاني : ما يستأبه الفزاة لتبرئ من الناس على الفزوة وذلك أيضا مباح كاللحاج ولكن ينبغي أن يخالف أشرارهم وطرق الحائهم أشرار الحجاج وطرق الحائهم لأن استأثاره داعية الفزوة بالتشجيع وتحريك البظ والنضب فيه على السكفار وتحسين الشجاعة واستحقار النفس والمال بالإضافة إليه بالأشعار للشجعة مثل قول المتنبي :  
فإن لا تمت تحت السيوف مكرما      تمت وتقام القل غير مكرم  
وقوله أيضا :

فيا يكن عند السباع  
مواجيد مختلفة فمنهم  
من يسكى خولا ومنهم  
من يسكى شوقا ومنهم  
من يسكى فرحا كما قال  
القاتل :

يرى الجبناء أن الجبين حزم      وتلك خديسة الطبع الشيم  
وأمثال ذلك وطرق الأوزان الشجعة تخالف الطرق الشوق وهذا أيضا مباح في وقت يباح فيه الفزوة ومندوب إليه في وقت يستحب فيه الفزوة ولكن في حق من يجوز له الخروج إلى الفزوة . الثالث : الرجزيات التي يستعملها الشجمان في قت القواء والفرس منها التشجيع للنفس وللأضراس وتحريك النشاط فيهم للقتال وفيه المنعج بالشجاعة والتجدة وذلك إذا كان بلفظ زريق وصوت طيب كان أوقع في النفس وذلك مباح في كل قتال مباح ومندوب في كل قتال مندوب ومحظور في قتال المسلمين وأهل الذمة وكل قتال محظور لأن تحريك الدواعي إلى المظهور محظور وذلك منقول عن شعبان الصحابة رضى الله عنهم كمل وخالفه رضى الله عنهما وغيرهما ولذلك قول ينبغي أن يمنع من الضرب بالشاهين في معسكر الفزاة فإن صوته مرقق يحزن بجلى عقدة الشجاعة ويضعف صرامة النفس ويشوق إلى الأهل والوطن ويورث التهور في القتال وكذا سائر الأصوات والألحان الرقة للقلب فالألحان للرقعة المزنة تباين الألحان الحركة الشجعة فمن قبل ذلك على قصد تغيير القلوب وتغيير الآراء عن القتال الواجب فهو عامس ومن قبله على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو ذلك مطيع . الرابع : أصوات النباحة ونهاتها وتأثيرها في تهيج الحزن والبكاء وملزمة السكابة والحزن فحزن : محمود ومنموم فأما للذموم فكالحزن على مفات قال الله تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم - والحزن على الأموات من هذا القبيل فإنه تسخط قضاء الله تعالى وتأسف على حال تدارك له فهذا الحزن لما كان منموماً تحريكه بالنباحة منموماً فلذلك ورد النهي الصريح عن النباحة (١) وأما الحزن المحمود فهو حزن الإنسان على قصيره في أمر دينه ، وبكائه على خطايه والبكاء والتباكى والحزن والنحازن على ذلك محمود وعليه بكاء آدم عليه السلام وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لأنه يثبت على التشهير للتدارك ولذلك كانت نباحة داود عليه السلام محمودة إذا كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب فقد كان عليه السلام يبكي ويبكى ويحزن حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نباحته وكان يفعل ذلك بألفاظه وألحانه وذلك محمود لأن القفى إلى الحمود محمود وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت أن يشد على الشر بألحانه الأشعار المزنة الرقة للقلب ولا أن يبكي ويبكيا ليتوصل به إلى تبكية غيره وإثارة حزنه . الخامس : السباع في أوقات السرور تأكيدا للسرور وتهيجا له وهو مباح إن كان ذلك السرور مباحا كالشفا في أيام العيد

منطق السرور على حق إن  
من عظم ما قدسرى أيا كان  
قال الشيخ أبو بكر  
الكتاني رحمه الله  
صواع العوام على  
متابعة الطبع وصواع  
للريدين رغبة ورهبة  
وصواع الأولياء رؤية  
الآلاء والنعما وصواع  
العارفين على الشهادة  
وصواع أهل الحقيقة على  
الكشف . والبيان  
ولكل واحد من  
هؤلاء مصدر ومقام .  
وقال أيضا لوارد ترد  
فصافد شكلا أو  
مواقفاى واردا صافد  
شكلا مزاجه وأى  
وارد صافد موقفا  
ساكنه وهنك كلها  
مواجيد أهل السباع  
وما ذكرناه حال من

(١) حديث النبي عن النباحة متفق عليه من حديث أم عطية أخذ علينا النبي صلى الله عليه وسلم في البيعة أن لا ننوح .

وفي المرس وفي وقت قدوم القاتب وفي وقت الويلة والمقبة وعند ولادة الولود وعند ختانه وعند حفظه القرآن العزى وكل ذلك مباح لأجل إظهار السرور به ووجه جوازه أن من الألحان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه ويدل على هذا من النقل إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ؛

طلع البدر علينا من ثبات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

فهذا إظهار السرور بقدومه صلى الله عليه وسلم وهو سرور محمود فإظهاره بالشكر والثناء والرقص والحركات أيضا محمود فقد نقل عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم جعلوا في سرور أسابهم (٢)

كما سيأتي في أحكام الرقص وهو جائز في قدوم كل قائم يجوز الفرح به وفي كل سبب مباح من أسباب السرور ويدل على هذه ما روى في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « قد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترى برداه وأنا أنظر إلى الحبيشة يلبون في السجد حتى أكون أنا الذي أسأله (٣) » فاقدر واقتدر الجارية الحديثة السن الحرس على الإبراء إشارة إلى طول مدة وقوفها. وروى البخاري وسلم أيضا في صحيحهما حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها « أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جارتان في أيام من تدفان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متشرب ثوبه فاشهرها أبو بكر رضي الله عنه فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : دعها يا أبا بكر فإنها أيام عيد » وقالت عائشة رضي الله عنها « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترى برداه وأنا أنظر إلى الحبيشة وهم يلبون في السجد فزجرهم عمر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أسأ يا بني أرفدة (٤) » يعني من الأمن ومن حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب بنحوه وفيه تبيان وتضربان (٥) وفي حديث أبي طاهر عن ابن وهب والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرى والحبيشة يلبون بحراهم فيسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسترى ثوبه أو برداه لكي أنظر إلى لبعيم ثم يقوم من أجل حتى أكون أنا الذي أنصرف (٦) »

(١) حديث إنشاد النساء عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

طلع البدر علينا من ثبات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

البقي في دلائل النبوة من حديث عائشة مضافا وليس فيه ذكر للدف والألحان (٧) حديث حبل جماعة من الصحابة في سرور أسابهم أبو داود من حديث علي وسيأتي في الباب الثاني (٨) حديث عائشة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترى برداه وأنا أنظر إلى الحبيشة يلبون في السجد الحديث هو كما ذكره الصنف أيضا في الصحيحين لكن قوله إنه فيها من رواية عقيل عن الزهري ليس كما ذكره أبو عبد الله البخاري كما ذكر وعندهما من رواية عمرو بن الحارث عنه (٩) حديث عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترى ثوبه وأنا أنظر إلى الحبيشة وهم يلبون في السجد فزجرهم عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أسأ يا بني أرفدة تقدم قبله بحديث دون زجر عمر لم إلى آخره فرواه مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله أسأ يا بني أرفدة بل قال دعهم يا عمر زاد النسائي فأما م بنو أرفدة ولها من حديث عائشة دونكم يا بني أرفدة وقد ذكره الصنف بعد هذا (١٠) حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب بنحوه وفيه تبيان ويضربان رؤسهم وهو عند البخاري من رواية الأوزاعي عن ابن شهاب (١١) حديث أبي طاهر عن ابن وهب والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرى والحبيشة يلبون بحراهم الحديث رواه مسلم أيضا .

ارتفع عن السماع وهذا الاختلاف منزل على اختلاف أقسام البكاء التي ذكرناها من الحرف والفرح وأعلاها بكاء الفرح بمثابة قائم يقدم على أهله بعد طول غيبته فسد رؤية الأهل يمكن من قوة الفرح وكثرة وفي البكاء رتبة أخرى أعز من هذه يمز ذكرها ويكثر فترها قصور الاقحام عن إدراكها فرجا يقابل ذكرها بالانستكار وغنى بالانستكار ولكن يفرها من وجدها قدما ووصولا أو فمها نظرا كثيرا ومثولا وهو بكاء الوجدان غير بكاء الفرح وحديث ذلك في بعض مواطن حتى اليقين ومن حتى اليقين في الدنيا للمامات بسيرة فيوجد البكاء في بعض مواطنه





وسائر أسباب الفرح وهو كل ما يجوز به الفرح شرعاً وبجواز الفرح بزيارة الإخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام أو كلام فربما يظن سطة السماع . السادس : سماع العشاق تحريكاً للشوق وتيسيراً للعشق وتولية للنفس فإن كان في مشاهدة المشوق فالشوق تأ كيد اللذة وإن كان مع الفارقة فالغرض تيسير الشوق والشوق وإن كان أما فيه نوع لذة إذا انضاف إليه رجاء الوصال فإن الرجاء لذيذ والياس مؤلم وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للنفس للرجو في هذا السماع تيسير العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء بالقدر في الوصال مع الاطباب في وصف حسن المحبوب وهذا حلل إن كان للشقاق إليه من يباح وصالحه كمن يشوق زوجته أو سيرته فيصنى إلى غنائها تتضاعف لذة في لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر والسماع الأذن وبهذه لطائف معاني الوصال والفرار القلب فترادف أسباب اللذة فهذه أنواع تنبع من جملة بركات الدنيا ومتاعها وما الحياة إلا لهو ولعب وهذا متوكل كذلك إن غضبت منه جارية أو حبل بينه وبينها بسبب من الأسباب فله أن يحرك بالسماع شوقه وأن يستريح به لذة رجاء الوصال فإن باعها أو طلقها حرم عليه ذلك بعده إذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء وأما من يشغل نفسه بصورة صبي أو امرأة لا يحل له النظر إليها وكان ينزل ما يسبح على ما تملأ في نفسه فهذا حرام لأنه يحرك الفكر في الأفعال المحظورة ومهيئ للداعية إلى ما لا يباح الوصول إليه وأكثر العشاق والسفهاء من الشباب في وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن إضرائه من ذلك وذلك ممنوع في حقهم لما قيم من الله الدفين للأمر يرجع إلى نفس السماع ولقد سئل حكيم عن العشق فقال دخان يصعد إلى دماغ الإنسان يزيله الجلاء ويبيحه السماع . السابع : سماع من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فلا ينظر إلى شيء إلا أركفه به سبحانه ولا يفرح به قارع إلا صمته أوفيه فالسماع في حقه مهيئ لشوقه ومؤكده لضعفه وجبه ومور زائد قلبه ومستخرج منه أحوالاً من المكاشفات وللأطراف لا يحيط بصفها يعرفها من ذاتها وينكرها من كل حصة عن ذوقها وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجداماً خبوا من الوجود والصادقة أي صادف من نفسه أحوالاً لم يكن صادفها قبل السماع ثم تكون تلك الأحوال أسباباً لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتقيه من الكدورات كاتني النار الجواهر العروضة عليها من الحب ثم يبعث الصفاء الحاصل بمشاهدات ومكاشفات وهي غاية لمطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها فالنفس إليها من جملة الكربات لأن جملة العاصي والباحات وحصول هذه الأحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى في مناجاة النفقات الموزونة للأرواح وتسخير الأرواح لها وتأثيرها بها شوقاً وفرحاً وحزناً وانبطاً وانقباضاً ومعرفة السبب في تأثر الأرواح بالأصوات من دقائق علوم المكاشفات والبلد الجاهل العاصي القلب المحروم عن لذة السماع تشجب من التذاد المستمع ووجده واضطراب حاله وتقولون تعجب البهيمة من لذة الوزينج وتعجب النين من لذة الباشرة وتعجب الصي من لذة الرياسة واتساع أسباب الجلاء وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وتعجب صمعه ولكل ذلك سبب واحد وهو أن اللذة نوع إدراك والادراك يستدعي مدركاً ويستدعي قوة مدركة فمن لم يستكمل قوة إدراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعم من قعد الشوق وكيف يدرك لذة الألمان من قعد السمع ولذة العقولات من قعد العقل وكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت إلى السمع يدرك بحاسة باطنة في القلب فمن قعدا عدم لامحالة لذته ولملك يقول كيف يتصور العشق حق الله تعالى حق يكون السماع محركاً له . فاعلم أن من عرف الله أحبه لأحالة ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته والمحبة إذا تأكدت سميت عشقاً فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة منطرة ولذلك قالت العرب إن محمداً قد عشق ربه لما رآه يتخلى

للممكن بنفس أطمانت  
واستارت وباينت  
طبيتها واستكسبت  
طمانيتها وأكبتها  
الروح معنى منه فيكون  
سماعه نوع تنبع للنفس  
كتمتعها بباحات  
الذات والشهوات لأن  
يأخذ السماع منه أو  
يزيد به أو يظهر عليه  
منه أثر فتكون النفس  
في ذلك بمثابة الطفل  
في حجر الوالد ففرحه  
في بعض الأوقات  
بمعنى ما يراه ومن  
هذا القبيل ما نقل أن  
أبا محمد الرازي كان  
يشغل أصحابه بالسماع  
ويتزلز عنهم ناحية  
بصلى فقد تطرق هذه  
النفقات مثل هذا  
الصلى فتدلى إليها  
النفس متمتعة بذلك  
فترداد مورد الروح  
من الأنس صفاء عند  
ذلك لبعد النفس عن  
الروح في غمتها فانها  
مع طمانيتها بوصف  
من الأجنبية بوضوحها  
وجلبتها وبدها توفّر

للعادة في جبل حراء . واعلم أن كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال والله تعالى جميل يحب الجمال ولكن الجمال إن كان يتناسب الخلقة وصفاء اللون أدرك حاسة البصر وإن كان الجمال بالجلال والعلوية وعلو الرتبة وحسن الصفات والأخلاق وإزادة الخيرات لسكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك حاسة القلب ولفظ الجمال قد يستعار أيضا فلما يقال إن فلانا حسن وجميل ولا تراد صورته وإنما معنى به أنه جميل الأخلاق محمود الصفات حسن السيرة حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة استحسانا لها كأن يحب الصورة الظاهرة وقد تنأى كد هذه الحبة قسمي عشقا وك من النعالة في حب أرباب المذاهب كالشافعي ومالك وأبي حنيفة رضي الله عنهم حتى يبدلوا أموالهم وأرواحهم في نصرتهم وموالاهم ويزيدوا على كل عاشق في القلوب والبالغة ومن الحب أن يقتل عشق شخص لتشاهد قط صورته أجيلا هو أم فيحب وهو الآن ميت ولكن لجلال صورته الباطنة وسيرته للرضية والخيرات الحاصلة من عمله لأهل الدين وغير ذلك من الحاصل ثم لا يقتل عشق من ترى الخيرات منه بل على التحديق من الأخير ولا جمال ولا محبوب في العالم إلا وهو حسنة من حسناته وأثر من آثار كرمه وغرقة من بحر جوده بل كل حسن وجمال في العالم أدرك بالقلوب والأبصار والأصماغ وسائر الحواس من مبتدا العالم إلى منقرضه ومن ذروة التراب إلى منتهى الترى فهو ذرة من خزائن قدرته ولحمة من أنوار حضرة فليت شعري كيف لا يقتل حب من هذا وصفه وكيف لا يتأذى عند العارفين بأوصافه جيمع يتجاوز حدا يكون إطلاق اسم المشق عليه ظلما في حقه لتصوره عن الأنبياء عن فرط محبة فيحبان من احتجب عن الظهور بشدة ظهوره واستتر عن الأبصار بإشراق نوره ولولا احتجابه بسميل حجابا من نوره لأحرقت سبحات وجهه أبصار اللاحظين لجمال حضرة ولولا أن ظهوره سبب خفاءه لبثت القول ودعشت القلوب وتحاذلت القوى وتنافرت الأعضاء ولوركت القلوب من المجاورة والحديد لأصبحت تحت مبادئ أنوار تجليه وكذا فأنى تطيق كنه نور الشمس أبصار الحافيش وسيأتى تحقيق هذه الإشارة في كتاب المحبة ويتضح أن محبة غير الله تعالى قصور وجه بل للتحقق بالمرعة لا يعرف غير الله تعالى إذ ليس في الوجود تحقيقا إلا الله وأفعاله ومن عرف الأنفال من حيث إنها أفعال لم يجاوز لمعرف الفاعل إلى غيره فمن عرف الشافعي مثلاً رحمه الله وعلمه وتصنيفه من حيث إنه تصنيفه لا من حيث إنه يفاض وجلد وحبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية فلقد عرفه ولم يجاوز معرفة الشافعي إلى غيره ولا جاوزت محبته إلى غيره فكل موجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وقوله وبدع أفعاله فمن عرف فنانا حيث صنع الله تعالى فرأى من الصنع صفات الصانع كأي من حسن التصنيف فضل الصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبته مقصورة على الله تعالى غير مجاوزة إلى سواه ومن حد هذا المشق أنه لا يتجلى الشركة وكل ماسوى هذا المشق فهو قابل للشركة إذ كل محبوب سواء بتصوره نظير إمامي في الوجود ولما في الامكان فأما هذا الجمال فلا يتصور له مان في الامكان ولا في الوجود فكان اسم المشق على حب غيره مجازا محضا لا حقيقة ، ثم الناقص القريب في قصانه من البهية قد لا يدرك من لحظة المشق إلا طلب الوصال الذي هو عبارة عن تماس ظواهر الأجسام وقضاء شهوة الواقع فثل هذا الحار يبنى أن لا يستعمل معه لحظة المشق والشوق والوصال والأنس بل بحب هذه الألفاظ والمان كأن يحب البهية الترجس والرجحان ونخمس بالقت والحشيش وأوراق الشبان لأن الألفاظ إنما يجوز إطلاقها في حق الله تعالى إذا لم تكن موهمة معنى يجب تفديس الله تعالى عنه والأوهام تختلف باختلاف الأنهام فليتبه لهذه الدقة في أمثال هذه الألفاظ بل لا يبعد أن ينشأ من مجرد السماع لصفات الله تعالى وجد غالب ينقطع بسببه باط القلب قد روى أبوه ربه رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أنسام الروح من الفسوح ويكون طروق الألمان سمعه في الصلاة غير محل بينه وبين حقيقة النجاة وفهم تنزيل الكلمات وتصل الأقسام إلى عملها غير مزاحمة ولا مزاحمة وذلك كله لسمعة شرح الصدر بالإيمان والله الحسن للثان ولهذا قبل السماع لقوم كالدواء ولقوم كالنساء ولقوم كالرؤوس ومن عود أقسام البكاء ماري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر أقر أفعال أقر عليك وعليك أنزل فقال أحب أن أسمع من غيري ففتح سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى - فكيف إذا جثا من كل أنية شهيد وجثا بك على هؤلاء شهيدا - فإذا عيانه تهلان . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل المجبر واستنقه ثم وضع

«أنه ذكر غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السباع قالت الله عز وجل قال من خلق الأرض قالت الله عز وجل قال من خلق الجبال قالت الله عز وجل قال من خلق القيم قالت الله عز وجل قال إني لأسمع شأنا ثم يرمي نفسه من الجبل فتقطع» وهكذا كأنه سمع ما دل على جلال الله تعالى وتعالى قدرته فطرب لذلك ووجد فرمى نفسه من الجبل وما أزلت الكتب إلا ليظهر ما بدكر الله تعالى قال بعضهم رأيت مكتوبا في الإنجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمركم فلم ترصوا أي شوقناكم بدكر الله تعالى فلم تفتشوا فهذا ما أردنا أن نذكره من أقسام السباع وبواطنه ومقتضياته وقد ظهر على القطع إباحته في بعض المواضع والتدب إليه في بعض المواضع . فان قلت فهل له حالة يحرم فيها . فأقول إنه يحرم بخمسة عوارض عارض في السمع وعارض في آفة الإجماع وعارض في نظم الصوت وعارض في نفس السمع أو في مواظبته وعارض في كون الشخص من عوام الخلق لأن أركان السباع هي السمع والشم والسمع وآلة الإجماع العارض الأول أن يكون السمع امرأة لا يخل النظر إليها وتخفى الفتنة من سماعها وفي معناها الصبي الأمرد الذي تخفى فتنته وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة وليس ذلك لأجل النساء بل لو كانت المرأة بحيث يفتن بسورتها في المحاورة من غير الحان فلا يجوز عاورتها وعادتها ولا سماع صوتها في القرآن أيضا وكذلك الصبي الذي تخاف فتنته . فان قلت فهل يقول إن ذلك حرام بكل حال حبا للباب أو لا يحرم في حيث تخاف الفتنة في حق من يخاف الفتنة . فأقول هذه مسألة محتملة من حيث الفتنة يتجاوزها أصلا أن أحدهما أن الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام سواء خفيت الفتنة أو لم تخف لأنها مظنة الفتنة في الجملة قضى الشرع بحسم الباب من غير التفات إلى الصور . والثاني أن النظر إلى الصبيان مباح إلا عند خوف الفتنة فلا يعلق الصبيان بالنساء في عموم الجسم بل يتبع فيه الحال وصوت المرأة دأثر بين هذين المصلين فإن قسناه على النظر إليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب ولكن بينهما فرق إذ الشهوة تدعو إلى النظر في أول هيئتها ولا تدعو إلى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة إلهامة كتحريك السماع بل هو أشد وصوت المرأة في غير الفناء ليس بمودة فلم تزل النساء في زمن الصحابة رضي الله عنهم يكلمن الرجال في السلام والاستفتاء والسؤال والشاورة وغير ذلك ولكن لفناء مزيد أثر في تحريك الشهوة قياس هذا على النظر إلى الصبيان أولى لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بستر الأصوات فينبغي أن يتبع مثار الفتنة ويقتصر التحريم عليه هذا هو الأنيس عندي ويتأيد بمحدث الجاريتين اللتين في بيت عائشة رضي الله عنها إذ يعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يسمع أصواتهما ولم يحترمه ولكن لم تكن الفتنة عوفاً عليه فلا ذلك لم يحترمه فاذن يختلف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل في كونه شابا وشيخا ولا يمد أن يختلف الأمر في مثل هذا بأحوال فانا نقول للشيخ أن يقبل زوجته وهو صائم وليس للشاب ذلك لأن القبلة تدعو إلى الوقوع في الصوم وهو محظور والسباع يدعو إلى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف ذلك أيضا بالأشخاص . العارض الثاني في الآفة بأن تكون من شمار أهل الشرع أو الجنتين وهي الزامير والأوتار وطبل الكوبة فهذه ثلاثة أنواع ممنوعة وماعدا ذلك يبقى على أصل الإباحة كالكافور وإن كان فيه الجلالج وكالطبل والشاهين والضرب بالقتيب وسائر الآلات . العارض الثالث في نظم الصوت وهو الشعر فإن كان فيه شيء من الحنا والتعشيق والمحبو أو ما هو كذب على الله تعالى وفي رسوله صلى الله عليه وسلم أو على الصحابة رضي الله عنهم كما ربه الروافض في هجاء الصحابة وغيرهم فسباع ذلك حرام بأحوال

(١) حديث أبي هريرة إن غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السباع قالت الله عز وجل قال من خلق الأرض قالت الله عز وجل قال من خلق الجبال قالت الله عز وجل قال من خلق القيم قالت الله عز وجل قال إني لأسمع شأنا ثم يرمي نفسه من الجبل فتقطع رواه ابن حبان .

شفتيه عليه طويلا  
يكنى وقال بأعمرها  
تسكب الصبرات  
وللممكن تعود إليه  
أقسام الكباء وفي ذلك  
فضيلة سألها النبي صلى  
الله عليه وسلم فقال  
« اللهم ارزقني عينين  
حطاليتين » ويكون  
الكباء في الله فيكون  
ويكون بالله هو الأثم  
لعوده إليه بوجود  
مستأنف موهوب له  
من الكريم للثان في  
مقام البقاء .

[ الباب الحاسم  
والشؤون في القول في  
السباع تأديا واعتناء ]  
ويتضمن هذا الباب  
آداب السباع وحكم  
التخريق وإشارات  
الشايع في ذلك وما في  
ذلك من السأور  
والمحدود . مبني  
التصوف على الصدق  
في سائر الأحوال وهو  
جد كله لا ينبغي  
لصادق أن يتمدد  
الحضور في جمع يكون  
فيه سماع إلا بعد أن

وغير الخان وللتسليم شريك لقائل وكذلك ما فيه وصف امرأة بينا فانه لا يجوز وصف المرأة بين  
بنى الرجال ، وأما هباء الكفار وأهل البدع فذلك جائز ، قد كان حسان بن ثابت رضي الله عنه  
يناضع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهاجى الكفار وأمره صلى الله عليه وسلم بذلك (١) فأما التسبب  
وهو التشبيه بوصف الحدود والأسلحة وحسن القامة وسائر أوصاف النساء فهذا فيه نظر ،  
والصحيح أنه لا يحرم نظمه وإنشاده بلحن وغير لحن وعلى التسليم أن لا يترفع على امرأة معينة فإن  
ترفعه فليترفع على من يحل له من زوجته وجاريته فإن ترفعه على أجنبية فهو العاصي بالتزليل وإجالة  
التكبر فيه ومن هذا وصفه فينبغي أن يجتنب السلعة رأساً لأن من غلب عليه عشق ترفع كل ما يسببه  
عليه سواء كان القفط مناسباً له أو لم يكن إلا ما من قفط إلا يمكن تزليله على سنان بطريق الاستشارة  
فألقى يثلب على قلبه حب الله تعالى يذكر بسواد الصدغ مثلاً طلبة الكفر وبشارة الحد نور الإيمان  
وبذكر الوصال لقاء الله تعالى ويذكر القرائق الحجاب عن الله تعالى فزمره للردودين وبذكر الرقيب  
لشوق الروح الوصال عوائق الدنيا وألقاها للشهوة ليلوم الأنس بالله تعالى ولا يحتاج في تزليل ذلك  
عليه إلى استنباط وتذكر ومهله بل تسبق للعاني التالية على القلب إلى نفسه مع القفط كما روى عن  
بعض الشيخوخ أنه مر في السوق فسمع واحداً يقول الحيار حشرة رجة قلبه الوجد فقتل عن ذلك  
قالوا إذا كان الحيار حشرة رجة فما قيمة الأشرار واجتاز بهمهم في السوق فسمع قائلاً يقولوا يستبرى  
قلبه الوجد قتل له على ماذا كان وجده قال سمعته كأنه يقول اسمع ترى حتى إن الجسد قد غلب  
عليه الوجد في الآيات المنظومة بلغة العرب فإن بعض حروفها يوازن الحروف السبعة فيفهم منها  
معان أخر أشد بهمهم : وما زارني في الليل إلا خيال • خواجه عليه رجل أجهى فقتل عن سبب  
وجده فقال إنه يقول ما زارني وهو كما يقول فإن لفظ زار يدل في السببية على الشرف على الهلاك  
فترى أنه يقول كلنا مشرفون على الهلاك فاستشعر عند ذلك خطر هلاك الآخرة والمحرق في حب  
الله تعالى وجده محب فهمه وفهمه محب تخليه وليس من شرط تخليه أن يوافق مراد الشاعر وقتله  
فهذا الوجد حق وصدق ومن استشعر خطر هلاك الآخرة لجدير بأن يشغول عليه عقله وتضطرب عليه  
أعضاؤه فاذن ليس في تغيير أعيان الألفاظ كبير فائدة بل الذي غلب عليه عشق مخلوق فينبغي أن يحترز  
من السلعة بأى لفظ كان والذي غلب عليه حب الله تعالى فلا تضره الألفاظ ولا تمنعه عن فهم المعاني  
اللطيفة للتلطع بمجاري همة الترفعة . العارض الرابع في التسليم : وهو أن تكون الشهوة غالبية  
عليه وكان في غرة الشباب وكانت هذه الصفة أغلب عليه من غيرها فالسلع حرام عليه سواء غلب  
على قلبه حب شخص معين أو لم يثلب فانه كثيراً ما كان لا يسمع وصف الصدغ والحد والقرائق والوصال  
إلا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة يتفخ الشيطان بها في قلبه فتشتعل فيه نار الشهوة  
وتحتمد بواعث الشر وذلك هو النصره لحرب الشيطان والتخذيل للعقل اللامع منه الذي هو حزب الله  
تعالى والقتال في القلب دائم بين جنود الشيطان وهي الشهوات وبين حزب الله تعالى وهو نور العقل  
إلا في قلب قد فقه أحد الجندين واستولى عليه بالكيفية وغالب القلوب الآن قد قصها جند الشيطان  
وغاب عليها فتحتاج حينئذ إلى أن تستأنف أسباب القتال لإزعاجها فكيف يجوز تكثير أسلحتها  
وتشجيع سبوقها وأستنها والسلعة مشحذ لأسلحة جند الشيطان في حق مثل هذا الشخص فليخرج  
مثل هذا عن مجمع السلعة فانه يستغربه . العارض الخامس أن يكون الشخص من عوام المخلق ولم  
(١) حديث أمره صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت بهجاء للشركيين متفق عليه من حديث البراء  
أنه صلى الله عليه وسلم قال لحسان اهجمهم وأهاجمهم وجبريل معك .

خلص التبعة له تعالى  
وتتوهم به مزيداً في  
إرادته وطلبه وغيره  
من ميل النفس لشيء  
من هواها ثم يقدم  
الاستشارة للجنود  
ويسأل الله تعالى إذا  
عزم البركة فيه وإذا  
خسر يلزم الصديق  
والوفاة يستكون  
الأطراف قال أبو بكر  
الكتاني رحمه الله  
للتسليم يجب أن يكون  
في سامعه غير مسترجع  
إليه بهيج منه السلعة  
وجدا أوشوقاً أو غلبة  
أو واردا والوارد عليه  
يغني عن كل حركة  
وسكون ويتق الصدق  
استدعاء الوجد  
ويجتنب الحركة فيه  
مهما أمكن سبب محضرة  
الشيخوخ . حكى أن  
شاباً كان يصحب الجليل  
رحم الله وكما مع  
شيئاً زعق وتغير وقاله  
يوماً إن ظهركم شيء  
بعد هذا فلا تصحب  
فكان بعد ذلك صبط  
نفسه وربما كان من



بحرام إلا إذا قصد به التحليك المحقق الذي منع الشرع منه . وأما قوله مكروه فيترك على بعض للواضع التي ذكرتها لك أو ينزل على التزيه فانه نص على إباحة لب الشطرنج وذكر آتى أنه كل لب وتعليق يدل عليه فانه قال ليس ذلك من عادة ذوى الدين وللروفة فهذا يدل على التزيه ورده الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمه أيضا بل قد تروى الشهادة بالأكل في السوق وما يخرج للروفة بل الحياكة بساحة وليست من صنائع ذوى الروفة وقد تروى شهادة المحترف بالحرفة الحسية فقليل يدل على أنه أراد بالكراهة التزيه وهذا هو الظن أيضا فيبر من كبار الأئمة وإن أرادوا التحريم لما ذكرناه من جهة عليهم .

( بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها )

احتجوا بقوله تعالى - ومن الذين يشتري هو الحديث - قال ابن مسعود والحسن البصري والنخعي رضي الله عنهم إن هو الحديث هو النساء . وروى عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال « إن الله تعالى حرم القينة وبهها ونهيا وتعليمها »<sup>(١)</sup> فقولوا أما القينة فالمراد بها الجارية التي تنزل الجارية في مجلس الشرب وقد ذكرنا أن غناء الأجنبية لله تعالى ومن يخاف عليهم القينة حرام ولا يقصدون بالقتلة إلا ما هو محظور فأما غناء الجارية لما لكها فلا يفيهم تحريمه من هذا الحديث بل لغير ما لكها سمعها عند عدم القينة بدليل ما روى في الصحيحين من غناء الجارية بين بيت عائشة رضي الله عنها وأما ما روى هو الحديث بالدين استبداله لبشله عن سبيل الله فهو حرام مذموم وليس الزنا فيه وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله تعالى وهو المراد في الآية ولو قرأ القرآن لبشله عن سبيل الله لكان حراما . حكى عن بعض الناقضين أنه كان يؤم الناس ولا يقرأ إلا سورة عيسى لما فيه من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمر يقننه ورأى أنه حراما لما فيه من الاضلال فلا ضلال بالشر والنساء أولى بالتحريم . واحتجوا بقوله تعالى - أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون - قال ابن عباس رضي الله عنهما هو النساء بلغة حمير يعني السمد فقول ينبغي أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضا لأن الآية تشتمل عليه فان قيل إن ذلك مخصوص بالضحك على السليلين لاسلامهم فهذا أيضا مخصوص بأشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين كما قال تعالى - والشعراء يقيمهم التعاون - وأراد به شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه . واحتجوا بما روى جابر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « كان إبليس أول من ناح وأول من تقى »<sup>(٢)</sup> فجمع بين الناحية والنساء . قلنا لا جرم كما استثنى منه نائحة داود عليه السلام ونائحة الذينين على خطايهم فكذلك يستثنى النساء الذي يراد به تحريك السرور والحزن والشوق حيث يباح تحريكه بل كما استثنى غناء الجارية يوم العيد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغاؤه عند قدومه عليه السلام بقولهن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

واحتجوا بما روى أبو أمامة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما عرف أحد صوته بقاء إلا بعت الله الله شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يسك »<sup>(٣)</sup> قلنا هو منزل على بعض أنواع النساء الذي قد نداء وهو الذي يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق

(١) حديث عائشة إن الله حرم القينة وبهها ونهيا وتعليمها الطبراني في الأوسط بإسناد ضعيف قال البيهقي ليس بخوف (٢) حديث جابر كان إبليس أول من ناح وأول من تقى لم أجده إلا أصلا من حديث جابر وذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرج له ولده في مسنده (٣) حديث أبي أمامة ما عرف أحد صوته بقاء الله شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يسك ابن أبي الدنيا في ذم اللامع والطرائف في الكبير وهو ضعيف .

والاغرار خيانة قال عليه السلام ومن غشنا فليس منا . ومنها أنه إذا كان مبطلا ويرى بين الصلاح فسوف يظهر منه بعد ذلك ما يفسد عقيدة للتعقد فيه فيفسد عقيدته في غيره عن نظن به الخير من أمثاله فيكون سببا إلى فساد العقيدة في أهل الصلاح ويدخل بذلك ضرر على الرجل الحسن الظن مع فساد عقيدته فيقطع عنه مدد الصالحين ويتشعب من هذا آفات كثيرة . يستر عليها من يستر عنها ومن أنه يعوج الحاضرين إلى موافقته في قيامه وقصوده فيكون متكلما مكفرا للناس يباطل ويكون في الجلع من يرى دور القراسة أنه مبطل ويحمل على نفسه الواقعة للجمع مداريا ويكثر شرح الذنوب في ذلك فليترك الله ربه ولا يتحرك إلا إذا

المخوفين فأما ما يحرك الشوق إلى الله أو السرور بالبعد أو حدوث الولد أو قدوم الغائب فهذا كله يضاد مراد الشيطان بدليل قصة الجاريتين والحبة والأخبار التي نقلناها من الصحاح والتلخيص في موضع واحد نحن في الإباحة ولتح في ألف موضع محتمل للتأويل ومحتمل للتزويل أما الفعل فلا تأويل له إذ ما حرم فعله إنما يحل بمرض الإكراه فقط وما أيسع فعله بحرم بمرض كثيرة حتى النيات والقصود . واحتجوا بما روى عتبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملأته لامرأته <sup>(١)</sup> » قلنا فقولوه باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة وقد يسلم ذلك على أن التلهي بالنظر إلى الحبة خارج عن هذه الثلاثة وليس بحرام بل يلحق بالمحذور غير المحذور قياسا كقولوه صلى الله عليه وسلم « لا يلح دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث فإنه يلحق به رابع وخامس <sup>(٢)</sup> » فكذلك ملاعبة امرأته لا فائدت له إلا التلذذ وفي هذا دليل على أن التفرج في البساتين وسماع أصوات الطيور وأنواع اللداعيات مما يلهو به الرجل لا يحرم عليه شيء منها وإن جاز وصفه بأنه باطل . واحتجوا بقول عثمان رضى الله عنه : ما تنبئت ولا مستذكرى يعنى مذ بايت به رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا فليكن التنبى والتذكر بالنبى حراما إن كان هذا دليل تحريم النساء فمن أين ثبت أن عثمان رضى الله عنه كان لا يترك إلا الحرام . واحتجوا بقول ابن مسعود رضى الله عنه النساء يثبت في القلب النفاق وزاد بعضهم كما يثبت للآل البقل <sup>(٣)</sup> ورفعه بعضهم إلى سول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير صحيح قالوا ومن أين عمر رضى الله عنه ما قوم محرمون وفيهم رجل يثنى فقال ألا لأمنع الله لك ألا لأمنع الله لك وعن نافع أنه قال كنت مع ابن عمر رضى الله عنه في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يانافع أسمع ذلك حتى قلت لا فأخرج أصبعيه وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع <sup>(٤)</sup> وقال الفضيل بن عياض رحمه الله النساء رقة الزنا وقال بعضهم النساء رائد من رواد الفجور وقال يزيد بن الوليد إياكم والنساء فإنه ينقص الحياء ويزيد الشهوة ويهدم الروة وإنه ينوب عن الحر ويملأ ما يفعله السكر فإن كنتم لا بد فاعلمين فجنوبه النساء فإن النساء داعية الزنا فتقول قول ابن مسعود رضى الله عنه يثبت النفاق أراد به في حق المتنى فإنه في حقه يثبت النفاق إذ غرضه كله أن يعرض نفسه على غيره ويروج صوته عليه ولا يزال ينافي ويتودد إلى الناس ليرغبوا في غناؤه وذلك أيضا لا يوجب تحريما فإن ليس الثياب الجلبه وركوب الحبل اللهاجة وسائر أنواع الزينة والتفاخر بالحرث والأناصم والزرع وغير ذلك يثبت في القلب النفاق والرياء ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصى فقط بل في الباحات التي هي موانع نظر الحلق أكثر تأثيرا ولذلك زل عمر رضى الله عنه عن فرس هليج تحته وقطع ذنبه لأنه استشعر في نفسه الحياء لحسن مطيته فهذا النفاق من الباحات وأما قول ابن عمر رضى الله عنه ما لا لأمنع الله لك فلا يدل على التحريم من

(١) حدث عتبة بن عامر كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملأته زوجته أمحباب السنن الأربعة وفيه اضطراب (٢) حديث لا يلح دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٣) حديث ابن مسعود النساء يثبت النفاق في القلب كما يثبت للماء البقل قال الصنف والرفوع غير صحيح لأن في إسناده من لم يسم رواه أبو داود وهو في رواية ابن العبد ليس في رواية الأثرؤلى ورواه البيهقي مرفوعا وموقوفا (٤) حديث نافع كنت وابن عمر في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه الحديث ورفعه أبو داود وقال هذا حديث منكر.

صارت حركته حركة المرتضى الذي لا يجد سبيلا إلى الاسكاد وكالما طس الذي لا يغير أن يردا العطسة وتكون حركته بثابة النفس الذي يدعو إليه داعية الطبع فقرأ قال السرى: شرط الواجد في زعفته أن يبلغ إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لا يشعر فيه بوجع وقد يقع هذا لبعض الواجدن نادرا وقد لا يبلغ الواجد هذه الرتبة من التوبة ولكن زعفته تخرج كالتنفس بنوع إرادة مجزوعة بالاضطرار فهذا الضبط من رعاية الحركات ورد الرغقات وهو في تحريك الثياب أكد فإن ذلك يكون إتلاف اللباس وإغراق الحال وهكذا روى الحرقه إلى الحادى لا يثبت أن يفعل إلا إذا حضرته نية بجنب فيها التكلف والمرادة

حيث إن غناه بل كانوا محرمين ولا يليق بهم الرفث وظهر له من مخالفتهم أن صاعهم لم يكن لوجد وشوق إلى زيارة بيت الله تعالى بل لجهد اللهو فأنكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالإضافة إلى حالهم وحال الإحرام وحكايات الأحوال تكثر فيها وجوه الاحتمال وأما وضه أصبغة في أذنيه فيأمره أنه لم يأمر ناضا بذلك ولا أنكر عليه صاعه وإنما فعل ذلك هو لأنه رأى أن يزدحمه في الحال وقلبه عن صوت ربما يحرك اللهو ويمنعه عن فسكر كان فيه أودكر هو أولى منه وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنه لم يمنع ابن عمر لا يدل أيضا على التحريم بل يدل على أن الأولى تركه ونحن نرى أن الأولى تركه في أكثر الأحوال بل أكثر مباحات الدنيا الأولى تركها إذا علم أن ذلك يؤثر في القلب قد خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة توب أي جهم إذ كانت عليه أعلام شغل قلبه (١) أقترى أن ذلك يدل على تحريم الأسلام على التوب فلهه صلى الله عليه وسلم كان في حالة كان صوت زمارة الراعي يشغله عن تلك الحالة فكشفه العلم عن الصلاة بل الحاجة إلى استكارة الأحوال الشريفة من القلب بحجة السباع قصور بالإضافة إلى من هو دائم الشهود للحق وإن كان كالا بالإضافة إلى غيره ولذلك قال الحصري ماذا أحمل بسباع ينقطع إدامات من يسع منه إشارة إلى أن السباع من الله تعالى هو الدائم بالأنبياء عليهم السلام على الدوام في لغة السمع والشهود فلا يحتاجون إلى التحريك بالحيلة . وأما قول الفضيل هورقة الزنا وكذلك ماعده من الإقاول القرية منه فهو منزل على صماع الفساق وللتفنين من الشبان ولو كان ذلك عاما لما سمع من الجاريتين في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما القياس فضاية ما يذكر فيه أن يقاس على الأوتار وقد سبق الفرق أوقال هو لم يلب وهو كذلك ولكن الدنيا كلها لم يلب . قال عمر رضي الله عنه زوجته إنما أنت لعبة في زاوية البيت وجميع اللابعة مع النساء لم إلا المرأة التي هي سبب وجود الولد وكذلك الزح الذي لافضحت فيه حلال قل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة كما سأتى تفصيله في كتاب آفات اللسان إن شاء الله (٢) وأي هو يزيد على لهو الحبشة والزنج في لهم وقد ثبت بالنص إباحته على أن أقول اللهو مروح القلب وخفف عنه أعباء الفكر والقلوب إذا أكرهت عحيث وترويحها إبانة لها على الجد فالواظب على التفتة مثلا يبتني أن يتعطل يوم الجمعة لأن عطلة يوم تبت على النشاط في سائر الأيام وللواظب على نوافل الصلوات في سائر الأوقات يبتني أن يتعطل في بعض الأوقات ولأجله كرهت الصلاة في بعض الأوقات فالعطلة موعنة على العمل واللهو معين على الجد ولا يصير على الجد الهضم والحق للرا لا تنفوس الأنبياء عليهم السلام فاللهو دواء القلب من داء الإغواء ولللال فينبغي أن يكون مباحا ولكن لا يبتني أن يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء فإذا اللهو على هذه النية يصير قرينة هذا في حق من لا يحرم السباع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليس له إلا البتة والاستراحة المحضة فينبغي أن يستحب له ذلك ليتوصل به إلى المقصود الذي ذكرناه ثم هذا يدل على نقصان عن ذروة السكالك فان السكالك هو الذي لا يحتاج أن يروح نفسه بشير الحق ولكن حسنات الأبرار سيئات القرين ومن أحاط بعلم علاج القلوب وجوه التلطيف بها لسياقتها إلى الحق علم قطعا أن ترويحها بأعمال هذه الأمور دواء نافع لا غنى عنه .

(الباب الثاني في آثار السباع وآدابها)

(١) حديث خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة توب أي جهم إذا كان عليه أعلام شغل قلبه تقدم في الصلاة (٢) حديث مزاحه صلى الله عليه وسلم بأقبي آفات اللسان كما قال للصف.

(الباب الثاني في آداب السباع وآثاره)

وإذا حفت النية فلا بأس باقائه الحرفة إلى الحادى قد روى عن كعب بن زهير أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وأنشده آياتا التي أولها:

بانت سعاد قلبي اليوم متبول

حق انتهى إلى قوله فيها:

إن الرسول لسيف يستناب به

مهند من سيف الله مسلول

قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنت قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله أنا كعب بن زهير فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه بردة كانت عليه فلما كان زمن معاوية بعث إلى كعب بن زهير بنا بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيرة آلاف فوجه إليه



اعلم أن أول درجة السباع هم السموع ونزله على رمي يقع للسموع ثم يشهرهم الواحد ويشر الواحد  
المركبة بالجوارح فيلظر في هذه المقامات الثلاثة . المقام الأول : في الفهم وهو يختلف باختلاف  
أحوال السموع . وللمسمع أربعة أحوال : إحداهما أن يكون سماع مجرد الطبع أى لاحظته في السماع  
إلا استلذاة الألفان والتغاث وهذا مباح وهو أخس رتب السماع إذ الإبل شريكه فيه وكذا  
سائر البهائم بل لا يستدعى هذا الدوق إلا الحياة فلكل حيوان نوع تلهذ بالأصوات الطيبة . الحالة  
الثانية أن يسمع بهم ولكن ينزله على صورة مخلوق إما معينا وإما غير معين وهو سماع الشباب  
وأرباب الشهوات ويكون تنزيههم للسموع على حسب شهواتهم ومقتضى أحوالهم وهذه الحالة أخس  
من أن تسكن فيها إلا بيان حسنها والنهي عنها . الحالة الثالثة أن ينزل ما يسمعه على أحوال نفسه  
في معاملته ثم تعالى وتقلب أحواله في التمكن مرة والتشمر أخرى وهذا سماع الربدن لاسيا  
البتدين فان الربد لا محالة مراداً هو مقصده ومقصده معرفة الله سبحانه وقاؤه والوصول إليه  
بطريق المشاهدة بالسّر وكشف الغطاء وله في مقصده طريق هو سالكه ومعاملات هو مشارعها  
وحالات تستقبله في معاملاته فادع مع ذكر عتاب أو خطاب أو قبول أو رد أو وصل أو هجر أو قرب  
أو بعد أو تلهف على فانت أو تمطش إلى منتظر أو شوق إلى واصل أو طمع أو بأس أو وحشة أو استئناس  
أو وقاب أو وعد أو تمض للهبد أو خوف فراق أو فرح بوصول أو ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب  
أو هوم العيوب أو ترادف الحشرات أو طول الفراق أو عدة الوصال أو غير ذلك مما يشتمل على وضعه  
الأشمار فلا بد أن يوافق بعضها حال الربد في طلبه فيجرب ذلك مجرى القبح الذى يورى زائد عليه  
فتشتمل به نيرانه ويتوقى به انبثاق الشوق وهيجانه ويهجم عليه بسية أحوال مخافة لعادته ويكون  
له مجال رحب في تنزيه الألفاظ على أحواله وليس على السموع مراعاة نراه الشاعر من كلامه بل  
لكل كلام رجوع ولكل ذى فهم في اقتباس المعنى منه حظوظ ولتشرّب لهذه النزليات والقهوم  
أشقة كي لا يظن الجاهل أن السموع لأيات فيها ذكر القم والحد والصدغ وإنما بهم منها ظواهرها  
ولا حاجة بنا إلى ذكر كيفية فهم المعاني من الآيات في حكايات أهل السماع ما يكشف عن ذلك  
قد حكى أن بعضهم سمع قاتلاً يقول :

قال الرسول غدا تزور رقتل تعقل ما تقول

فاستغفر المحن والقول وتواجد وجعل يكرر ذلك ويجعل مكان التاء نونا فيقول : قال الرسول غدا  
تزرور . حتى غشى عليه من شدة الفرح والفرحة والسرور فلما أفاق سئل عن وجدته من كان ؟ قال  
ذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل يوم جمعة مرة » (١)  
وحكى الرقى عن ابن الدراج أنه قال : كنت أنا وابن القوطى مارين على دجلة بين البصرة والأبلة  
فإذا بقصر حسن له منظره وعليه رجل بين يديه جارية تقي وتقول :

كل يوم تسفلون غير هذا بك أحسن

فإذا شاب حسن تحت النظرة ويدهم ركوة وعليه مرقمة . يسمع فقال بإجابة بالله وبجاءة مولاد  
إلا أعدت على هذا البيت فأعادت فكأن الشاب يقول هذا والله تلون مع الحق في حالي فتبوق  
شبهة ومات . قال : قلنا قد استغلنا فرض فوقفنا فقال صاحب القصر للجارية أنت حرة لوجه الله تعالى

(١) حديث إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل جمعة الترمذى وابن ماجه من حديث أبي هريرة  
وفيه عبد الحميد بن حبيب بن أبي الشترين مختلف فيه وقال الترمذى لا ينفقه إلا من هذا الوجه  
قال وقد روى سويد بن عمرو عن الأوزاعي شيئا من هذا .

ما كنت لأوتر ثوب  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أمدا فضا  
مات كعب بن معاوية  
إلى أولاده بشرى  
ألفا وأخذ البردة وهي  
البردة الباقية عند  
الامام الناصر لدين الله

اليوم عادت بركته على  
أيامه الزاهرة . وللصوفة

آداب يتعاهدونها  
ورعايتها حسن الأديب

في الصحة والعاشرة  
وكثير من السلف لم

يكونوا يتمدنون ذلك  
ولكن كل شيء

استحسنوه وتواطوا  
عليه ولا ينكره الشرع

لأوجه لا لئكار فيه  
فمن ذلك أن أحدهم إذا

تحرك في السماع  
فوقمت منه خرقة

أو نازله وجد ورى  
عمامته إلى الحامى

فالتحسن عدم  
موافقة الحاضرين له

في كشف الرأس إذا  
كان ذلك من مقدّم

وشيوخ وإن كان ذلك  
من الشبان في حضرة

قال ثم إن أهل البصرة خرجوا فصاروا عليه فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر أشهدكم أن كل شيء على سبيل الله وكل جوارى أحرار وهذا القصر للسبيل قال ثم رمى بتيابه واتزر بإزاره وارتمى بأخر وصر على وجهه والناس ينظرون إليه حتى غاب عن أعينهم وهم يسعون فلم يسمع له بعد خبر والمقصود أن هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى ومعرفة مجزؤه عن الثبوت على حسن الأدب في العاملة وتأسفه على تخطب قلبه وميله عن ستن الحق فلما قرع صممه ما يوافق حاله سمعه من الله تعالى كأنه يخاطبه ويقول له :

كل يوم تسألون غير هذا بك أحسن

ومن كان سماعه من الله تعالى وعلى الله وفيه فينبغي أن يكون قد أحكم قانون العلم في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وإلا خطر له من السباع في حق الله تعالى ما يستحيل عليه ويكثر به فني سماع للريد للبسدى خطر إلا إذا لم يتزل ما يسمع إلا على حاله من حيث لا يتلقى بومف الله تعالى . ومثال الخطأ فيه هذا البيت بينه فلو سمعه في نفسه وهو يخاطب به ربه عز وجل فيضيف التلويح إلى الله تعالى فيكثر وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير مزجج بتحقيق وقد يكون عن جهل ساقه إليه نوع من التحقيق وهو أن يرى تخطب أحوال قلبه بل تخطب أحوال سائر العالم من الله وهو حق فانه تارة يسط قلبه وتارة يقبضه وتارة يتورع وتارة يطلعه وتارة يقبضه وتارة يلبثه وتارة يشته على طاعته ويقويه عليها وتارة ينسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله تعالى ومن يصدر منه أحوال مختلفة في أوقات متقاربة قد يقال له في العادة إنه ذو بداو وإنه متلون ولعل الشاعر لم يرد به إلا نسبة محبوه إلى التلون في قوله ورده وتحريره وإبداه وهذا هو الذي فسح هذا كذلك في حق الله تعالى كثر محض بل يبغي أن يعلم أنسبجانه وتعالى يولن ولا يتلون ويضير ولا يتنير بخلاف عباده وذلك العلم يحصل للريد باعتقاد تخليدي إيماني وحصل للمعارف البصير يتقين كسفي حقيق وذلك من أعاجيب أوصاف الربوبية وهو القليل من غير تقيير ولا يتصور ذلك إلا في حق الله تعالى بل كل مغير سواء فلا يغيره مالم يتنير ومن أرباب الوجد من ينسب عليه حال مثل السكر للدش فيطابق لسانه بالكتاب مع الله تعالى ويستنكر اقتباره للقلوب وتقسمة للأحوال الشرقة على تفاوت فانه المستنق لقلوب الصديقين والبعيد لقلوب المجاهدين وللفرورين فلا مانع لما أعطى ولا معطى لمانع ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدم ولا أمد الأنبياء عليهم السلام بتوقيفه ونور هدايته لوسيلة ساقية ولكنه قال - ولقد سبقت كلنا لمبادنا للرسولين - وقال عز وجل - ولكن حتى القول متى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - وقال تعالى - إن الذين سبقتم لمنا الحسنى أولئك عنها مبعدون - فان خطر يالك أنهم اختلفت السابقة وهم في رقة العبودية مشتركون نوديت من سرادقات الجلال لا يمازجحد الأدب - فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون - ولم يمر تأدب اللسان والظاهر بما يتدر عليه إلا أكثرون فأما تأدب السر عن إشماع الاستبصار بهذا الاختلاف الظاهر في التفریب والإيجاد والإشعاع والإصعاد مع بقاء السعادة والشقاوة أبد الأباد فلا يقوى عليه إلا العلماء الراسخون في العلم ولهذا قال الحضرة عليه السلام بالمثل عن السباع في النام إنه الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء لأنه محرك لأسرار القلوب ومكنها وبشوق لها تشوش السكر للدش الذي يكاد يحل عقدة الأدب عن السر إلا بمن عصمه الله تعالى بنور هدايته ولطيف عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا نجوئنا من هذا السباع رأساً برأس في هذا القرن من السباع خطر يزيد على خطر السباع المحرك للشهوة فان غاية ذلك مصيبة وغاية الخطأ هنا كثر .

الشيوع فليس على

الشيوع موافقة

الشبان في ذلك

وينسحب حكم الشيوع

على بقية الحاضرين في

ترك اللواقعة للشبان

فاذا سكتوا عن السباع

رد الواحد إلى خرقته

وبواقعه الحاضرون

برفع العالم ثم رد هامل

الدروس في الحال

للموافقة والخرقة إذا

رديت إلى الحادى حى

للحادى إذا قصد

إعطائه إيها وإن لم

يصد إعطائها للحادى

قتل على لحادى لأن

المحرك هو منه صدر

للو جازى الخرفة .

وقال بعضهم لى جميع

والحادى واحد منهم

لأن المحرك قول

الحادى مع ركة الجمع

في إحداه الوجيد

وإحداه الوجيد

لا يتناصر عن قول

القائد فيكون الحادى

واحدا منهما في ذلك .

روى أن رسول الله

سلى الله عليه وسلم قال

واعلم أن القيم قد يختلف بأحوال السمع قبل الوجد على مستمين لبث واحد وأحدها مصيب في القيم والآخر غلطى، أو كلاهما مصيبان وقد فهمنا معنيين مختلفين متضادين ولكنه بالإضافة إلى اختلاف أحوالهما لا يتناقض كل حكم عن عتبة الغلام أنه سمع رجلا يقول :

سبحان جبار البيا إن الحبب لى عنا

قال صدقت وسمعه رجل آخر قال كذبت فقال بعض ذوى البصائر أصابا جميعا وهو الحق والتصديق كلام محب غير ممكن من الزاد بل مصادوم مع الصد والمجرى ، والشك كذب كلام مستأنس الحب مستلذ لما يقاميه بسبب فرط حبه غير متأثر به أو كلام محب غير مصادوم عن مراده في الحال ولا مستشعر بخطر الصد في السأل وذلك لاستيلاء الرءاء وحسن الظن على قلبه باختلاف هذه الأحوال مختلف القيم . وحكى عن أبي القاسم بن مروان ، وكان قد صحب أبى عبد الحراز رحمه الله وترك حضور الباع سنين كثيرة فغضر دعوة وفيها إنسان يقول :

واقف في لقاء عطشا ن ولكن ليس يسقى

قام القوم وتواجدوا فلما سكنوا سألهم عن معنى ما وقع لهم من البيت فأشاروا إلى التعلش إلى الأحوال الشريفة والحرمات من مع حضور أسبابها فلم يقره ذلك فقالوا له لماذا عندك فيه فقال أن يكون في وسط الأحوال ويكرم بالكرامات ولا يسطى منها ذرة وهذه إشارة إلى إيجاب حقيقة وراء الأحوال والكرامات والأحوال سوابقها والكرامات تسبق في مبادئها والحقيقة بعد لم يقع الوصول إليها ولا فرق بين الناعى الذى فهمه وبين ما ذكره إلا في تفاوت رتبة التعلش إليه فان المحروم عن الأحوال الشريفة أولا يتعلش إليها فان مكن منها تتعلش إلى ما وراءها فليس بين اللينين اختلاف في القيم بل الاختلاف بين الرتبين . وكان الشبل رحمه الله كثير ما يتواجد على هذا البيت :  
ودادكم هجرس وجبكم قلى ووصلكم مرمم وسلمكم حرب

وهذا البيت يمكن معاه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل وأظهرها ن فيهم هذا في الخلق بل في الدنيا بأسرها بل في كل ما سوى الله تعالى فان الدنيا مكررة خداعة قتالة لأربابها معادية لهم في الباطن ومظهرة صورة الود « لما امتلأت منها دار حيرة إلا امتلأت عيرة » (١) « كما ورد في الجروكا قال التلمي في وصف الدنيا :

تنع عن الدنيا فلا تخطنها ولا تخطن قتالة من تراكح  
فليس في مرجسوها يخوفها ومكروها إما تأملت راجع  
لقد قال فيها الواضون فأثروا وعندي لها وصف لمرى صالح  
سلاف قصارها زعاف ومركب شه إذا استدلته فهو جابح  
وشخص جيل يؤثر الناس حسنه ولكن له أسرار سوء قباح

والناعى الثانى : أن يتزله على نفسه في حق الله تعالى فانه إذا تفكر فمرفته جهل إذا قدروا الله حق قدره وطاعته رياء إذا لاقى الله حق قناته وجبه معلول إذ لا يبع شهوة من شهواته في حبه ومن أراد الله به خيرا يصبر بعبود نفسه فبى مصداق هذا البيت في نفسه وإن كان على الرتبة بالإضافة إلى القائلين وتلك قال صلى الله عليه وسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (٢) وقال عليه الصلاة والسلام « إني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة » (٣) « وإنما كان استغفاره عن أحوال

(١) حديث مائة امتلات دار منها حيرة إلا امتلأت عيرة ابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبى كثير مرسل (٢) حديث لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك رواه مسلم وقد تقدم (٣) حديث إني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة تقدم في الباب الثانى من الأذكار .

يوم بد • من وصف  
بمكان كذا فيه كذا  
ومن قتل فله كذا ومن  
أسرفه كذا • فتسارع  
الشبان وأقام الشيوخ  
والجوع عند الرايات  
فطاف الله على اللين  
طلب الشبان أن يصل  
ذلك لهم قال الشيوخ  
كنا ظهرا لكم وردنا  
فلا تفهروا بالثام  
دوننا فأنزل الله تعالى  
- يستولك عن  
الأغفال قل الأخالف  
والرسول - قسم  
النبي صلى الله عليه وسلم  
بينهم بالسوية . وقيل  
إذا كان القول من  
القوم يصل كواحد  
منهم وإذا لم يكن من  
القوم لما كان له قيمة  
يؤثر به وما كان من  
خرق الفقراء يضم  
بينهم . وقيل إذا كان  
القول أجيرا فليس له  
منها شيء وإن كان  
متبرعا يؤثر بذلك وكل  
هذا إذا لم يكن هناك  
شيخ يحكم فاما إذا  
كان هناك شيخ يهاب

ويمثل أمره فالشيخ يحكم في ذلك بما يرى قد تختلف الأحوال في ذلك وللشيخ اجتهاد فيمثل ما يرى فلا اعتراض لأحد عليه وإن فداها بسن المحبين أو بعض الحاضرين فرضي القول والقوم بما رضوا به وعاد كل واحد منهم إلى خرقته فلا بأس بذلك وإذا أصر واحد على الإتيان بما خرج منه لية له في ذلك يؤثر بخرقته الحادى وأما تخريق الحرفة المبروجة التي ميزها واحد صادق عن علية سلبت اختياره كطيلة النفس فمن يتعمد إسماكه فتهب في خرقتها وتخرقها التبرك بالحرفة لأن الوجد أثر من آثار فضل الحق وتخرق الحرفة أثر من آثار الوجد فصارت الحرفة متأثرة بأثرين من منها أن تسمى بالنفوس

هي درجات بعد بالإضافة إلى ما بعدها وإن كانت قريبا بالإضافة إلى ما قبلها فلا قرب إلا وبقى وراءه قرب لا يابته لإسبيل السلوك إلى الله تعالى غير متناه والوصول إلى أقصى درجات القرب محال وللشيخ الثالث أن ينظر في مبادئ أحواله فيرتضها ثم ينظر في عواقبها فيزدربها لاطلاعه على خطايا التورور فيها فيرى ذلك من الله تعالى فيستمتع البيت في حق الله تعالى شكابة من القضاء والقدر وهذا أكثر كاستيق يانه وما من بيت إلا ويمكن تنزيهه على معان وذلك بقدر غزارة علم للسمع بصفا قلبه . الحالة الرابعة : صماع من جاوز الأحوال والمقامات فبرز عن فهم ماسوى الله تعالى حتى غرب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها وكان كالمدهوش الغائص في بحر عين الشهود الذى يضاهى حاله حال النسوة اللاتي قطنن أيديهن في مشاهدة جمال يوسف عليه السلام حتى دهشن وسقط إحساسهن وعن مثل هذه الحالة تبر الصوفية بأنه قدفى عن نفسه ومهما فنى عن نفسه فهو عن غيره أنفى فساكنه فنى عن كل شئ . إلا عن الواحد للشهود وفى أيضا عن الشهود فان القلب أيضا إذا التفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مشاهد قد غفل عن الشهود فالمستبر بالمرئى لا التفات له في حال استغراقه إلى رؤيته ولا إلى عينه التي بهاروته ولا إلى قلبه الذى به لذته فالسكران لا خبر له من سكره والتلذذ لا خبر له من التذاه وإنما خبره من التلذذ به فقط ومثاله العلم بالشيء . فانه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشئ فالعالم بالشيء مهماور عليه العلم بالعلم بالشيء كان معرضا عن الشئ . ومثل هذه الحالة قد تظن في حق الخلق وقطرا أيضا في حق الخالق ولكنها في الغالب تكون كالبرق الخاطف الذى لا يثبت ولا يدوم وإن دام لم تطفئه القوة البشرية فربما اضطرب تحت أعبائه اضطرابا تهلك به نفسه كما روى عن أبي الحسن النورى أنه حضر مجلسا فسمع هذا البيت :

مازلت أنزل من ودادك مزللا تحير الألباب عند نزوله

فقام وتواجد وهام على وجهه فوقع في أجمة نصب قد قطع وبيت أصوله مثل السوف فصار يمدونها وبعبه البيت إلى العذاة والدم يخرج من رجله حتى ورمت قدماه وساقه وعاش بعد ذلك أياما ومات رحمه الله فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد فهى أعلى الدرجات لأن السماع على الأحوال نازل عن درجات السكال وهى متميزة بصفات البشرية وهو نوع تصور وإنما السكال أن يغنى بالكيفية عن نفسه وأحواله أعنى أنه ينشأه فلا يلقى له التفات إليها كما لم يكن للنسوة التفات إلى الأيدي والسكالين فيسمع لله بالله وفي الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال وأخذ بصفا التوحيد وتحقق بحض الاخلاص فلم يبق فيه منه شئ . أصلا بل خدت بالكيفية بشرية وفى التفاته إلى صفات البشرية رأسا ولست أعنى بنشأه فناء جسده بل فناء قلبه ولست أعنى بالقلب اللحم والدم بل سر لطيفه إلى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذى هو من أمر الله عز وجل عرفها من عرفها وجهها من جهلها ولذلك السر وجود وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فاذا حضر فيه غيره فساكنه لا وجود إلا للحاضر ومثاله المرأة المجلوة ليد ليس لها نور في نفسها بل لونها لون الحاضرها وكذلك الرجاجة فانها تحكى لون قرارها ولونها لون الحاضرها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ولونها هويته الاستعداد لقبول الألوان ويعرب عن هذه الحقيقة أعنى سر القلب بالإضافة إلى ما يحضر فيه قول الشاعر :

رق الزجاج ورفق الحجر فقتشها فقتش كل الأمر

فساكنها خمر ولا قدح وساكنها قدح ولا خمر

وهذا مقام من مقامات علوم السكاشفة منه نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد ، وقال أنا الحق

وحوله يبدن كلام التصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت أو تدرعها بها أو حولها فيها على ما اختلف فيه عباراتهم وهو غلط محض يضاغى غلط من يحكم على الرأى بصورة الحجة إذ ظن فيها لون الحجة من مقابلها وإذا كان هذا غير لائق بعلم العامة فلنرجع إلى الترض قد ذكرنا خاوت العرجات في فهم السموات . التام الثاني : بعد التهم والتزليل الوجد . ولتأس كلام طويل في حقيقة الوجد اعنى الصوفية والحكماء الناظرين في وجهه مناسبة السباع للأرواح فلنقتل من أنوالم الفاظهم لتكشف عن الحقيقة فيه أما الصوفية فقد قال ذو النون المصري رحمه الله في السباع إنه وارد حق جاء بزيج القلوب إلى الحق فمن أسنى إليه بحق تخفى ومن أسنى إليه بنفس زندق فكأنه هجر عن الوجد بازعاج القلوب إلى الحق وهو الذي يحمد عند ورود وارد السباع اذسمى السباع وارد حق . وقال أبو الحسن الدراج عبيرا عما وجده في السباع الوجد عبارة عما يوجد عند السباع وقال جال في السباع في ميادين البها فأوجدني وجود الحق عند العطاء فسقاني بكأس الصفاء فأدركت به منازل الرضاء وأخرجني إلى رياض الثرة والقضاء . وقال الشبل رحمه الله : السباع طاهر فته وباطنه عبرة فمن عرف الاشارة حل له استماع المبارة وإلا قد استدعى الفتنة وتعرض لليلة وقال بعضهم السباع غذاء الأرواح لأهل للرفة لأنه وصف يندق عن مائر الأعمال ويدرك رقة الطبع لرقته وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند أهله وقال عمرو بن عثمان السكي لا يقع على كيفية الوجد عبارة لأنه سرائه عند عباده المؤمنين المؤمنين وقال بعضهم الوجد مكاشفات من الحق وقال أبو سعيد بن الأعرابي الوجد رغب الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة القلب ومحادثة السر وإيناس للفقود وهو فائوك من حيث أنتوا قال أيضا الوجد أول درجات المحصول وهو ميراث التصديق بالقلب فلما ذاقوه وسقط في قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب وقال أيضا الذي يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق باللائق والأسباب لأن النفس محبوبة بأسبابها فإذا انقطعت الأسباب وخلص الفكر وصحا القلب وارتق وصفا ونجت الوعظ فيه وحل من اللججات في محل قريب وخوطب ومع الخطاب بأذن واعية وقلب شاهد وسر ظاهر فشاهد ما كان منه خاليا فذلك هو الوجد لأنه قد وجدما كان معدوما عنده وقال أيضا الوجد ما يكون عند ذكر مزيج أو خوف مقلق أو توييح على زلة أو محادثة بلطفية أو إشارة إلى فائنة أو شوق إلى غائب أو أسف على فائت أو ندم على ماض أو استجلاب إلى حال أو داع إلى واجب أو مناجاة بسرهوم مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والنيب بالنيب والسر بالسر واستخراج ماك بما عليك مما سبق لسمي فيه فيكتب ذلك لك بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر إذا كان هو البديني . بالنم والتولى وإليه يرجع الأمر كله فهذا ظاهر علم الوجد أو الوجد الصوفية من هذا الجنس في الوجد كثيرة . وأما الحكماء فقال بعضهم في القلب فضيلة شريفة لا تقدر قوة النطق على اخراجها باللفظ فأخرجتها النفس بالألحان فلما ظهرت سررت وطربت إليها فاستموا من النفس وتناجوا ودعوا مناجاة الطواهر وقال بعضهم نتائج السباع استنباض الحاجز من الرأى واستجلاب المازب من الأفكار وحدة الكمال من الأنفهام والآراء حتى يثوب ما عرّب ويهض ما جهز ويصفو ما كدر ويمرّح كل رأى ونية فيصيب ولا يخطئ . وبأى ولا يخطئ . وقال آخر كأن الفكر يطرّق العلم إلى العلوم فالعلم يطرّق القلب إلى العلم الروحاني . وقال بعضهم وقد سئل عن سبب حركة الأطراف بالطبع على وزن الألحان والابتغاط فقال ذلك عشق عقل والعاشق العقل لا يحتاج إلى أن يناغى معشوقه بالناطق الجري بل يناغيه ويناجيه بالتبسم واللفظ والحركة اللطيفة بالحجاب والجنن والاشارة وهذه نواطق أجمع إلا أنهار روحانية وأما العاشق الهيجي فإنه يستعمل النطق الجري ليعبر به

وترك على الردوس  
إسكارا واعازا :  
تصوع أرواح نجده  
من نيابهم  
يوم القدوم قرب  
المهد بالمهدار  
كان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يستقبل  
النيب ويستبرك به  
ويقول حدث عهد  
بره فافترقة للرفة  
حديثه المهد فحكم  
المهرجة أن تخرق على  
الحاضرين وحكم  
ما يتبعها من الحرق  
الصالح أن يحكم فيها  
الشيخ إن خصص  
بشيء منها يرضى الفقراء  
فهو ذلك وإن خرقها  
خرقا فله ذلك ولا يخال  
هذا فخرط وسرف  
فان الحرة الصغيرة  
يشتغ بها في موضعها  
عند الحاجات  
كالكبيرة . وروى  
عن أمير المؤمنين على  
ابن أبي طالب رضي الله  
عنه أنه قال : أهدى  
لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم حرة حرر

عن عمرة ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الزائف . وقال آحر من حزن فليسمع الألمان فان النفس إذا دخلها الحزن خمد نورها وإذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها فيظهر الحزن بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفاته وقائه من النفس والدنس . والأقاييل للقررة في السباع والوجد كثيرة ولأمعنى الاستنكار من إيرادها فلنشغل بنفهم للنفى الذى الوجد عبارة عنه فنقول إنه عبارة عن حالة يشمرها السباع وهو وارد حق جديد عقب السباع يجده السمع من نفسه وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين فإنها إما أن ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتنبيهات وإما أن ترجع إلى تغييرات وأحوال ليست من العلوم بل هي كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والأسف والندم والبسطة والقبض وهذه الأحوال يهيجها السباع ويقويها فان منصف بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر أو تسكينه أو تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته أو يطرأ أو يسكن عن النظر والطق والحركة على خلاف عادته لم يسم جيدا وإن ظهر على الظاهر سمي جيدا إما ضعيفا وإما قويا بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه قد يقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الواجد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك وإلى معنى الأول أشار أبو سعيد بن الأعرابي حيث قال في الوجد إنه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يعد أن يكون السباع سببا لكشفه لم يكن مكشوفاً قبله فإن الكشف يحصل بأسباب منها التنبيه والسباع منه ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها وانداكها فان إدراكها نوع علم يفيد إيضاح أمور لم تكن معلومة قبل الورد ومنها صفاء القلب والسباع يؤثر في تصفية القلب والصفاء بسبب الكشف ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السباع فيقوى به على مشاهدة ما كان تقصر عنه قبل ذلك قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة أسرار اللكوكة كما أن عمل البعير حمل الأثقال بواسطة هذه الأسباب يكون سببا للكشف بل القلب إذا صفا ربما يمثل له الحق في صورة مشاهدة أو في لفظ منظوم يقرع سمعه يبرر عنه بصوت الهاتف إذا كان في القنطرة والرؤيا إذا كان في المنام وذلك جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم اللامعة وذلك كما روى عن محمد ابن مسروق البغدادي أنه قال خرجت ليلة في أيام جهائي وأنا نشوان وكنت أغنى هذا البيت :

بطور سيناء كرم ما مررت به إلا تعجبت ممن يضرب للماه

فسمعت قائلا يقول :

وفى جهنم ماء ما تجرعه خاق فأقبى له في الجوف أمعاء

قال فكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم والعبادة ، فأنظر كيف أثر الشفاء في تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقته الحق في صفة جهنم في لفظ مفهوم موزون وقرع ذلك سمعه الظاهر . وروى عن مسلم العباداني أنه قال قدم علينا مرة صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الأسوارى فزولوا على الساحل قال فبأيت لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم إليه فجاءوا فلما وضعت الطعام بين أيديهم إذا بخائل يقول رافضا صوته هذا البيت :

وتلهك عن دار الخلود مطاعم ولذة تقس غيبا غير نافع

قال فصاح عتبة الغلام صيحة وخر متساعلا وبقي القوم فرضت الطعام وماذاقوا وافقهته لقمة ، وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب فيشاهد أيضا بالبرص مرة الحفر عليه السلام فانه يشتمل لأرباب القلوب بصور مختلفة وفي مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة لأنبياء عليهم السلام إما على حقيقة صورتها

فأرسل بها إلى عرجت فيها فقال لي ما كنت لأكره لنفسي شيئا أراضه لك فشفقتها بين النساء خراها وفي رواية أتيتها فقلت ما أصنع بها ألبسها قال ولو لكن اجعلها خرا بين الفواطم أراد فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفي هذه الرواية أن الهدية كانت حلة مكفوفة بحرر وهذا وجه في السنة لتزريق الثوب وجهه خرقا . حكى أن الفقهاء والصوفية يسيرون اجتماعا في دعوة فومت الحرقه وكان شيخ الفقهاء الشيخ أبو محمد الجويني وشيخ الصوفية الشيخ أبا القاسم القشيري قسمت الحرقه على عاداتهم فالتفت الشيخ أبو محمد إلى بعض النعماء وقال سرا هذاسرف وإسائة للمال فسمع أبو القاسم

وإما على مثال يحكي صورتها بعض الهاكة وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام مرتين في صورته وأخبر عنه بأنه سد الأفي (١) وهو المراد بقوله تعالى - عليه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفقي الأعلى - إلى آخر هذه الآيات وفي مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الاطلاع على صفات القلوب وقد يعبر عن ذلك الاطلاع بالنفوس ولذلك قال **عليه السلام** « انقوا فراصة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » (٢) وقد حكى أن رجلاً من الجوس كان يدور على المسلمين ويقول ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « انقوا فراصة المؤمن » فكان يذكره تفسيره فلا يقنع ذلك حتى انتهى إلى بعض الشايخ من الصوفية فأخبره فقال له معناه أن تطلع انظر إلى الله على وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه وأسلم وقال الآن عرفت أنك مؤمن وأن إيمانك حق . وكأحكي عن إبراهيم الخواص قال كنت ينفذ في جماعة من الفقهاء في الجامع فأقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه فقلت لأصحابي يقع أنه يهودي نسكهم كهو ذلك فنرجعت وخرج الشاب ثم رجع إليهم وقال أي شيء قال الشيخ في فاحتشموه فألج عليهم فقالوا له قال إنك يهودي قال جئنا في وأكب على يدي وقيل رأس وأسلم وقال نجدي كتبنا أن الصديق لا تخفي فراصة قتلنا أمتنح المسلمين فأنما قتلنا إن كان فيه صديق في هذه الطائفة لأنهم يقولون حديثه سبحانه ويقرءون كلامه فليست عليكم فلما أطلع على الشيخ وندرس في علت أنه صديق قال وصار الشاب من كبار الصوفية وإلى مثل هذا الكشف الإشارة بقوله عليه السلام « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » (٣) وإيمانهم بالشياطين على القلوب إذا كانت مشحونة بالصفات الدنوية فإنها مرسى الشيطان وجنده ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاه لم يظن الشيطان حول قلبه وإليه الإشارة بقوله تعالى - لإعبادك منهم المخلصين - وبقوله تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - والسماع حسب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء وعلى هذا يدل ما روي أن ذا النون المصري رحمه الله دخل بغداد فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم قوال فاستأذنوه أن يقول لهم شيئاً فأذن لهم في ذلك فأشأ يقول :

صغير هواك عذيتي فكيف به إذا احتسك وأنت جمعت في قلبي  
هوى قد كان مشتركاً أما ترى لمكتئب إذا ضحك الحلى بكى

فقام ذو النون وسقط على وجهه ، ثم قام رجل آخر فقال ذو النون الذي يراك حين تقوم تجلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلعا من ذي النون في قلبه أنه متكلف متواجد فصرفه أن الذي يراك حين يقوم يجلس وهو الحميم في قيامه لغير الله تعالى ولو كان الرجل صادقا لجالس ، فإذا قد رجع حاصل الوجد إلى مكشافتة إلى حالات . وإعلم أن كل واحد منهما ينقسم إلى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقته وإلى ما لا يمكن العبارة عنه أصلاً ولعلك تتعبد حالة أو علماً لا تلم حقيقة ولا يمكن التعبير عنه عن حقيقته فلا تتعبد ذلك فأنك تجد في أحوالك القوية لذلك شواهد . أما الدوام من قلبه تعرض عليه ، شئان متشابهان في الصورة ويدرك الفقيه بنوقه أن بينهما فرقا في الحس وإذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير وإن كان من أضعف الناس فيدرك بنوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه وإدراك الفرق علم يصادف في قلبه بالذوق ولا يشك في أن لوقوعه في قلبه سببا وله عند الله تعالى حقيقة ولا يمكنه الأخبار عنه لا قصور في لسانه بل لدة المعنى في نفسه عن أن تناله العبارة وهذا مما قد تظن به

- (١) حديث رأى جبريل عليه السلام مرتين في صورته فأخبر أنه سد الأفي منق عليه من حديث عائشة
- (٢) حديث انقوا فراصة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى الترمذي من حديث أبي سبيد وقال حديث غريب (٣) حديث لولا أن الشياطين يحومون على بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء تقدم في الصوم .

القشيري ولم يقل شيئاً  
حق فرغت القصة ثم  
استدعى الخادم وقال  
انظر في الجع من مع  
سجادة خرق اثني بها  
لجاءه . بسجادة ثم  
أحضر رجلاً من أهل  
الحبرة فقال هذه  
السجادة بك تشتري  
في الزاد قال دينار قال  
ولو كانت قطعة واحدة  
كم تساوى قال نصف  
دينار ثم التفت إلى  
الشيخ أبي محمد وقال  
هذا لا يسمى أصاعة  
لللال والحرقه للمزقة  
تسم على جميع  
الحاضرين من كان  
من الجنس أو من غير  
الجنس إذا كان حسن  
الظن بالقوم متقدماً  
للتبرك بالحرقة .  
روى طيارق بن  
شهاب أن أهل البصرة  
غزوا نهانداً وأمدم  
أهل الكوفة وعلى  
أهل الكوفة عمار بن  
ياسر فظفروا وأراد  
أهل البصرة أن  
لا يسموا لأهل

الواظبون على النظر في المشكلات . وأما الحال فكأن من إنسان يدرك في قلبه في الوقت الذي يصبح فيه قبضا أو بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر إنسان في شيء فيؤثر في نفسه أثرا فينبى ذلك السبب ويبقى الأثر في نفسه وهو محسوس به وقد تكون الحالة التي يحسها سرورا ثابت في نفسه بنفسه كره في سبب موجب للسرور أو حزنا فينبى للتفكير فيه ويحس بالأثر عليه وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة منصفة عن المقصود بل ذوق الشعر الوزون والفرق بينه وبين غير الوزون يختص ببعض الناس دون بعض وهي حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها أعني التفرقة بين الوزون والزحف فلا يمكن التعبير عنها بما يتضح مقصوده به لمن لا ذوق له وفي النفس أحوال غريبة هذا وصفها بل المعاني المشهورة من الحوف والحزن والسرور إنما تحصل في السماع عن غنا مفهوم ، وأما الأوتار وسائر النضجات التي ليست بمفهومة فأنها تؤثر في النفس تأثيرا عجميا ولا يمكن التعبير عن محاسن تلك الآثار وقد يعبر عنها بالشوق ولكن شوقه لا يعرف صاحبه للشتاق إليه فهو عجيب والذي اضطرب قلبه بسباع الأوتار أو الشاهين وما أشبه ليس يدري إلى ماذا يشتاق ويجد في نفسه حالة كأنها تتقاضى أمرا ليس يدري ماهو حتى يقع ذلك للوالم ومن لا يلبس على قلبه لاجب آدمي ولا حب الله تعالى وهذا له سر وهو أن كل شوق قلبه ركنان : أحدهما شدة الشقاق وهو نوع مناسبة مع الشقاق إليه . والثاني معرفة الشقاق إليه ومعرفة صورة الوصول إليه فإن وجدت الصفة التي بها الشوق ووجد العالم بصورة الشقاق إليه كان الأمر ظاهرا وإن لم يوجد العلم بالمشقاق ووجدت الصفة للشوق وحركت قلبك الصفة واشتعلت نارها أوردت ذلك دهشة وحرارة لا يحالقولو نشأ آدمي وحده بحيث لم ير صورة النساء ولا عرف صورة الواقع ثم راقى الخلم وغلبت عليه الشهوة لكن يحس من نفسه بار الشهوة ولكن لا يدري أنه يشتاق إلى الواقع لأنه ليس يدري صورة الواقع ولا يعرف صورة النساء فكذلك في نفس الآدمي مناسبة مع العالم الأعلى والذلات التي وعد بها في سدرة التنهى والفراديس العلى إلا أنه لم يتخيل من هذه الأمور إلا الصفات والأصناف كالتي سمع لفظ الواقع واسم النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في الرأفة ليعرف بالتقاسية فالسباع يحرك منه الشوق والجمل للفرط والاشتغال بالدنيا قد أنساه نفسه وأنساه ربه وأنساه مستقره الذي إليه حبه واشتياقه الطبع فيفتاحه قلبه أمرا ليس يدري ماهو فدهش ويتعجب ويضطرب ويصكون كالتنق الذي لا يعرف طريق الخلاص فهذا وأمثاله من الأحوال التي لا يدرك تمام حقائقها ولا يمكن التصف بها أن يمر عنها قد ظهر انقسام الوجد إلى ما يمكن إظهاره وإلى ما لا يمكن إظهاره . واعلم أيضا أن الوجد ينقسم إلى هاجم وإلى متكلف وبسمى التواجد وهذا التواجد للتكلف فنه مذموم وهو الذي يقصد به الرأفة وإظهار الأحوال الشريفة مع الإفلاس منها ومنه ماهو محمود وهو التوصل إلى استمداء الأحوال الشريفة وكنايتها واجتلابها بالحيلة فإن التسكف مدخلا في جلب الأحوال الشريفة ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن أن يتباكى ويتحازن <sup>(١)</sup> فإن ههنا الأحوال قد تسكف مباديها ثم تحقق أو أخرها وكيف لا يكون التسكف سببا في أن يسير للتسكف في الآخرة طبعيا وكل من يتعلم القرآن أو لا يحفظه تسكفا ويقرؤه تسكفا مع تمام التأمل وإحضار الذهن ثم يصير ذلك دينا لسان مطردا حتى يجري به لسانه في الصلاة وغيرها وهو غافل فيقرأ تمام السورة وتوثر نفسه إليه بعد انتهائه إلى آخرها ويبلغ أنه قرأها في حال غفلة وكذلك الكاتب يكتب في الابتداء بمجدد بدو ثم

الكوفة من النعمة شيئا فقال رجل من بني تميم لعمار أبيها الأجسع تريد أن تشاركنا في غنائنا فكتب إلى عمر بذلك فكتب عمر رضى الله عنه أن النعمة لمن شهد الوفاة وذهب بهضم إلى أن المجرع من المحرق ينقسم على الجلع وما كان من ذلك صحيحا يعطى للقول . واستدل بما روى عن أبي قتادة قال لما وضعت الحرب أوزارها يوم حنين وفرغنا من أقوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل قبلا فله سلبه » وهذا له وجه في الحرفة الصحيحة فأما المجرعة فكيفها اسهام الحاضرين والقسمه لهم ودخل على الجميع وقت القسمه من لم يكن حاضرا قسمه . روى أبو موسى الأشعري رضى الله

(١) حديث البكاء عند قراءة القرآن فإن لم تبكوا فبها كوا ، تقدم في تلاوة القرآن في الباب الثاني .



تتمر على الكتابة يده فبصر الكتب له طبعاً فيكتب أوراها كثيرة وهو مستغرق القلب بفكر آخر فيجميع ما تحتمله النفس والجوارح من الصفات لاسيلاً إلى اكتسابه إلا بالتكلف والتصنع أولاً ثم يصير بالعادة طبعاً وهو الراد يقول بعضهم : العادة طبيعة خامسة . فكذلك الأحوال الشريفة لا يبنى أن يقع اليأس منها عند قتلها بل يبنى أن يتكلف اجتلابها بالباع وغيره فلقد شوهد في العادات من اشتى أن يشق شخصاً ولم يكن يشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويدم النظر إليه ويرقرقر نفسه الأوصاف المحبوبة والأخلاق المحمودة فيه حتى شقه ورسخ ذلك في قلبه رسوخاً خرج عن حد اختياره فاشتبهى بعد ذلك الخلاص منه فلم يتخلص فكذلك حب الله تعالى والشوق إلى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الأحوال الشريفة إذا قضاها الانسان فيبنى أن يتكلف اجتلابها بمجالة الموصوفين بها ومشاهدة أحوالهم ونحوين صفاتهم في النفس وبالجوارح معهم في السماع والبداء والتضرع إلى الله تعالى في أن يرزقه تلك الحالة بأن يبسر له أسبابها . ومن أسبابها السماع ومجالسة الصالحين والخائفين والحسين والشتاقين والحاشدين فمن جالس شخصاً سرت إليه صفاته من حيث لا يدري وبدل على إمكان تحصيل الحب وغيره من الأحوال بالأسباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم ارزقني حبك . حب من أحبك . وحب من يقربني إلى حبك » (١) قد فرغ عليه السلام إلى الدعاء في طلب الحب فهذا بيان انقسام الوجد إلى مكشفات وإلى أحوال وإقسامه إلى ما يمكن الانصاف عنه وإلى ما لا يمكن وإقسامه إلى التكشف وإلى الطبوع . فان قلت : فما بال هؤلاء لا يظهر وجدهم عند سماع القرآن وهو كلام الله ويظهر عند الغناء وهو كلام الشعراء فلو كان ذلك حقاً من لطف الله تعالى ولم يكن باطلاً من غرور الشيطان لكان القرآن أولى به من الغناء فنقول : الوجد الحق هو ما ينشأ من فرط حب الله تعالى وصدق إرادته والشوق إلى لقائه وذلك يهيج بسماع القرآن أيضاً وإنما الذي لا يهيج بسماع القرآن حب الحق وعشق الخلق وبدل على ذلك قوله تعالى - ألا بذكر الله تطمئن القلوب - وقوله تعالى - مثاني تقشعرت منه جلود الذين يغشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله - وكل ما يوجد عقيب السماع بسبب السماع في النفس فهو وجد فالطمأنينة والافتقار والخشية ولين القلب كل ذلك وجد وقد قال الله تعالى - إنما للؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - وقال تعالى - لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خائفاً متصدعاً من خشية الله - فالوجل والخشوع وجد من قبل الأحوال وإن لم يكن من قبل المكشفات ولكن قد يصير سبباً للمكشفات والتنبيهات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « زينوا القرآن بأصواتكم » (٢) وقال لأنبي موسى الأشعري « لقد أوتى مزاراً من مزامير آل داود عليه السلام » (٣) . وأما الحكايات الدالة على أن أرباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن فكثيرة فقله صلى الله عليه وسلم « شيتني هود وأخواني » (٤) خبر عن الوجد فان الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد . وروى أن ابن مسعود رضى الله عنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النساء فلما انتهى إلى قوله تعالى - فكيف إذا جثنا من كل أمة بشهيد

(١) حديث اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك الحديث تقدم في الدعوات (٢) حديث زينوا القرآن بأصواتكم تقدم في تلاوة القرآن (٣) حديث لقد أوتى مزاراً من مزامير آل داود قلّه لأنبي موسى تقدم فيه (٤) حديث شيتني هود وأخواني الترمذي من حديث أبي حنيفة وله وإلحاقاً من حديث ابن عباس نحوه قال الترمذي حسن وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري

تعالى عنه قال لما قدسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خير ثلاث فأسهم لنا ولم يسهم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا وبكره للقوم حضور غير الجنس عديم في السماع كتره لا ذوق له من ذلك فينكر ما لا ينكر أو صاحب دنيا يحوج إلى السدارة والتكلف أو متكلف للوجد يشوش الوقت على الحاضرين فيواجه أخباراً أبوزرعاً طاهر عن والده أبي الفضل الحافظ القدسي قال أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الله المظفرى برخص قال أخبرنا أبو علي الفضل بن منصور بن نصر الكاغدي السمرقندي بإجازة قال حدثنا الهيثم بن كليب قال أخبرنا أبو بكر عمار بن اسحق قال ثامر بن عامر عن شعبة عن

وجئنا بك على هؤلاء شهيدا - قال حسبك وكانت عيناه تنمرفان بالسموع (١) وفي رواية آية عليه السلام قرأ هذه الآية أدركني عنده - إن لدينا أنسكلا وجعيا وطعاما ذا غصة وعذابا أليما - فصق (٢) وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قرأ - إن تعذبهم فاعذبهم عذابك - فبكى (٣) وكان عليه السلام إذا مرر بأية رخصتها واستبشر (٤) والاستبشار وجد وقد أنقذت أقال على أهل الوجد بالقرآن فقال تعالى - وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق - وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز للرمل (٥) وأما ما نقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين فكثير : فمنهم من صفق ومنهم من بكى ومنهم من غشى عليه ومنهم من مات في غشيته وروى أن زرارة بن أوفى وكان من التابعين كان يؤم الناس بالرقعة قرأ - فاذا قرأ في الناقور - فصق ومات في محرابه رحمه الله وضع عمر رضي الله عنه رجلا يقرأ - إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع - فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فعمل إلى بيته فلم يزل مريضا في بيته شهرا وأبو جرير من التابعين قرأ عليه صالح القرى فشقي ومات وسمع الشافعي رحمه الله قارئ يقرأ - هذا يوم لا يؤذونكم ولا يؤذونكم فيقتدون - فغشى عليه وسمع على ابن الفضل قارئ يقرأ - يوم يقوم الناس لرب العالمين - فسقط مغشيا عليه فقال الفضيل شكر الله لك ما قد علمه منك وكذلك نقل عن جماعة منهم وكذلك الصوفية قد كان الشبلي في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف إمامه قرأ الإمام - ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك - فزفر الشبلي زعقة ظن الناس أنه قد طارت روحه واحمر وجهه وارتمت فراشه وكان يقوم بثقل هذا مخاطبا لأحباب يردد ذلك سراوا - وقال الجنيب دخلت على سري السقطي فرأيت بين يديه رجلا قد غشى عليه فقال لي هذا رجل قدم مع آية من القرآن فغشى عليه فقلت أقروا عليه تلك الآية ببينا قرئت فأدق فقال من أين قلت هذا فقلت رأيت يعقوب عليه السلام كان غما من أجل مخلوق فيمخلوق أبصر ولو كان غما من أجل الحق ما أبصر فيمخلوق فاستحسن ذلك ويشير إلى ما قاله الجنيب قول الشاعر:

وكأن شربت على لغة وأخرى تداوى منها بها

وقال بعض الصوفية كنت أقرأ ليلة هذه الآية - كل نفس ذائقة الموت - فبجئت أرددها فإذا هائف يهتف في كم تردد هذه الآية قد قلت أربعة من الجن مارفوا ردهوسهم إلى السباء منخلقوا - وقال أبو علي النعازي للشبلي : ربما تطرق سمى آية من كتاب الله تعالى فتجذبني إلى الإعراس عن الدنيا ثم أرحم إلى أحوالي وإلى الناس فلا أبقى على ذلك فقال ما طرقت سمك من القرآن فاجذبك به إليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك وإذا ردك إلى نفسك فهو شفقة منه عليك فإنه لا يصلح لك إلا التبري من الحول والقوة في التوجه إليه - وسمع رجل من أهل التصوف قارئ يقرأ - يا أيها الناس

(١) حديث إن ابن مسعود قرأ عليه فدا انتهى إلى قوله - فكيف إذا جئنا من كل أمية بشيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا - قال حسبك الحديث متفق عليه من حديثه (٢) حديث أنه قرئ عنده - إن لدينا أنسكلا وجعيا وطعاما ذا غصة وعذابا أليما - فصق (٣) حديث الكامل والبيهقي في الشعب من طريقه من حديث أبي حرب بن أبي الأسود مرسل (٤) حديث أنه قرأ - إن تعذبهم فاعذبهم عذابك - فبكى - مسلم من حديث عبد الله بن عمرو (٥) حديث كان إذا مر بآية رخصتها دعا واستبشر تقدم في تلاوة القرآن دون قوله واستبشر (٥) حديث أنه كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز للرمل أبو داود والنسائي والترمذي في التمهال من حديث عبد الله ابن الشخير وقد تقدم .

عبد العزيز بن هبيب عن أنس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا رسول الله إن قراء أمك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمائة عام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل فيكم من يشتدنا قال بدوي نعم يا رسول الله قال هات فأنشأ

الأعرابي : قد لست حية الموى كبدى

فلا طبيب لها ولا راق إلا الجيب الذي شفت به

فنهده قيق وتر يال

فتواجد رسول الله

صلى الله عليه وسلم

وتواجد الأصحاب معه

حتى سقط رداؤه عن

منكبهم فلما فرغوا أوى

كل واحد منهم إلى

مكانه قال معاوية بن

أبي سفيان ما أحسن

الطشة ارجى إلى ربك راضية مرضية - فاستأدها من القارى - وكل كم أقول لها ارجى وليست ترجع وتواجد وزعق زعقة فخرجت روحه - وصمع بكربن ماذا قارنا يقرأ - وأنذرهم يوم الآفة - الآية فاضطرب ثم صاح ارحم من أنذرتي ولم يقبل إليك بعد الانذار بطاعتك ثم غشي عليه وكان إبراهيم ابن آدم رحمه الله إذا سمع أحدا يقرأ - إذا الباء انشقت - اضطربت أوصاله حتى كان يرتعد وعن محمد بن صبيح قال كان رجل ينقل في الفرات ثم به رجل على الشاطئ - يقرأ - وامتاوا اليوم أيها المجرمون - فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات . وذكر أن سلمان الفارسي أبصر شابا يقرأ فاتى على آية فاتشمر جلده فأحبه سلمان وقدمه فسأل عنه فقيل له إنه مريض فأناه بموده فلذا هو في اللوت قال يا عبد الله : أرايت تلك التشميرة التي كانت في فاتها أتفتى في أحسن صورة فأخبرتني أن الله قد غفر لي بها كل ذنب . وبالجملة لا يخفى صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن فإن كان القرآن لا يؤثر في أسلافه - مثله كمثل الذي ينطق بما لا يسع إلا دعاء - ونداء صم بك عمي فهم لا يمتنون - بل صاحب القلب تؤثر فيه الكلمة من الحكمة بسعيا قال جعفر الحلي دخل رجل من أهل خراسان على الجليلي وعنده جماعة فقال للجليلي متى يستوى عند العبد حامده وذامه فقال بعض الشيوخ إذا دخل البيهستان وقيد بعيد قال للجليلي ليس هذا من شأنك ثم أقبل على الرجل وقال إذا تحقق أنه مخلوق فشق الرجل شقة ومات . فان قلت فان كان سماع القرآن مفيدا للوجد فدلهم بجمعهم على سماع النساء من القوالين دون القاريين فكان ينبغي أن يكون اجتنابهم وتواجدهم في خلق القراء لاحق للثنين وكان ينبغي أن يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قارى - لا قول فإن كلام الله تعالى أفضل من النساء لاهلها . فاعلم أن النساء أشد تهيجا للوجد من القرآن من سيرة أوجه . الوجه الأول : أن جميع آيات القرآن لاتناسب حال السمع ولا تصلح لتهمة وتزيلة على ما هو ملائمه بل فمن استولى عليه حزن أو شوق أو ندم فن أن يناسب حاله قوله تعالى - يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين - وقوله تعالى - والذين يرمون المحصنات - وكذلك جميع الآيات التي فيها بيان أحكام للرباث والطلاق والحدود وغيرها وإنما المحرك لما في القلب ما يناسبه والآيات إنما يضنها الشراء إعرابا بها عن أحوال القلب فلا يحتاج في فهم الحال منها إلى تكلف ثم من يستولى عليه حالة غالبية قاهرة لا ترق فيه متمسا لغيرها ومعه يتقظ وذلك ثابت يفتظن به للمعان البعيدة من الألفاظ قد يخرج وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى - يوصيكم الله في أولادكم - حالة اللوت الموحى إلى الوصية وأن كل إنسان لابد أن يخاف ماله وولده وما محبوبه من الدنيا فيترك أحد المحبوبين للثاني ويهجرهما جميعا فينقلب عليه الحوف والجزع أو يسمع ذكر الله في قوله - يوصيكم الله في أولادكم - فيدهش بمجرد الاسم عما قبله وبعده أو يخطر له رحمة الله على عباده وشفقته بأن تولى قسم ووارثهم بنفسه نظرا لهم في حياتهم وموتهم فيقول نظرا لأولادنا يدمومتا فلنشك بأننا نخطر لنا فيبيع منه حال الرجاء وبورته ذلك استبشارا وسرورا أو يخطر له من قوله تعالى - للذكر مثل حظ الأنثيين - تفضيل الذكر بكونه رجلا على الأنثى وأن الفضل في الآخرة لرجال لانهم تجارة ولا يبيع عن ذكر الله ، وأن من ألهاه غير الله تعالى عن الله تعالى فهو من الإنثى لان الرجال محققا فيخشي أن يحب أو يؤخر في نعيم الآخرة كما أخبرت الأنثى أموال الدنيا فأما هذا فقد عجزك الوجد ولكن في هوسان : أحدهما حالة غالبية مستفزة قاهرة والآخر غلبت بليغ ويتقظ بالغ كمثل التثنية بالأمور القريبة على المعاني البعيدة وذلك بما يميز فلاجل ذلك يفرغ إلى النساء الذي هو ألهة مناسبة للأحوال حتى يتسارع هيجانها . وروى أن أبا الحسن النوري كان مع جماعة

ليكم يارسلو الله فقال  
مبا معاوية ليس بكريم  
من لم يهتز عند سماع  
ذكر الحبيب ثم قسم  
رداه رسول الله صلى  
الله عليه وسلم على من  
حاضرهم بأربابته تطمة  
فهذا الحديث أوردناه  
بمسندا كما  
وجدناه وقد تسلم  
في حتمه أصحاب الحديث  
وما وجدنا شيئا نقل  
عن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يشاكل  
وجد أهل الزمان  
وسماعهم واجتماعهم  
وهيتهم إلا هذا وما  
أحسنه من حجة  
للمصوفية وأهل الزمان  
في سماعهم وتزقيهم  
الحرق وقسمتها أن  
لوصح والفقاهم وغال  
سرى أنه غير صحيح  
ولم أجد فيه ذوق  
اجتماع النبي صلى الله  
عليه وسلم مع أصحابه  
وما كانوا يستمدونه  
على ما بلغنا في هذا  
الحديث وأبى القلب  
بقوله والله أعلم  
بذلك .

في دعوى جرى بينهم مسألة في العلم وألحسين ساكت ثم رفع رأسه وأندم:

رب ورقاء هتوف في الضمى ذات شجو صدحت في قان  
ذكرت إلها ودعها سالحا وبكت حزنا فهاجت حزني  
فصكائي ربما أرفها وبكاهها ربما أرفني  
وقد أشكو لها أفهمها ولقد تشكو لها غهمي  
غير أنى بالجوى أعرفها وهي أيضا بالجوى تعرفني

قال لما بقي أحد من القوم لإقام وتواجد ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه وإن كان العلم جدواحقا . الوجه الثاني : أن القرآن محفوظ للأكثرين ومتكرر على الأسماع والقلوب وكما سمع أو لا عظم أثره في القلوب وفي الكرة الثانية ينصف أثره وفي الثالثة يكاد يسقط أثره ولو كلف صاحب الوجد الغالب أن يحضر وجده على بيت واحد على الدوام فيمرات متقاربة في الزمان في يوم أو أسبوع لم يمكنه ذلك ولو أبدل بيت آخر لتحدد له أثر في قلبه وإن كان معربا عن عين ذلك المعنى ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالإضافة إلى الأول يحرك النفس وإن كان المعنى واحد ولو ليس بقدر القاري على أن يقرأ قرآنا غريبا في كل وقت ودعوة فإن القرآن محصور لا يمكن القراءة عليه وكله محفوظ متكرر وإلى ما ذكرناه أشار الصديق رضي الله عنه حيث رأى الأعراب يقدمون فيسمعون القرآن ويكونون فقال كئنا كما كنتم ولكن قست قلوبنا ولا تظن أن قلب الصديق رضي الله عنه كان أقوى من قلوب الأبلاب من العرب وأنه كان أقل عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم ولكن التكرار على قلبه اتقى للرون عليه وقلة التأثير به لما حصل له من الأثر بكثرة استماعه إذ حال في العادات أن يسمع السامع آية لم يسمعها قبل فيك ثم يدوم على بكائه عليها عشرين سنة ثم يرددها ويسكن ولا يغرق الأول الآخر إلا في كونه غريبا جديدا ولكل جديد لذة ولكل طارئ صدمة ومع كل مألوف أنس يناقض الصدمة ولذا هم عمر رضي الله عنه أن ينع الناس من كثرة الطواف وقال قد خشيت أن يشاهون الناس بهذا البيت أي يأنسوا به ومن قدم حاجا فرأى البيت أولا بهن وزعق وربما غشى عليه إذ وقع عليه بصره وقد بقيت بكته شهرا ولا يحسن من ذلك بأثر فإذا التقى بقدر على الآيات الغريبة في كل وقت ولا يقدر في كل وقت على آية غريبة . الوجه الثالث : أن الوزن الكلام بدوق الشعر تأثيرا في النفس فليس الصوت للوزن الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون وإنما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات ولو زحف المعنى البيت الذي يشده أوطن فيه أو مال على حدثك الطريقة في الحسن لاضطرب قلب السميع وبطل وجده وسماعه ونفسيه لعدم المناسبة وإذا نثر الطبع اضطرب القلب وتوشق بالوزن إذن مؤثر فذلك طاب الشعر . الوجه الرابع : أن الشعر للوزن يختلف تأثيره في النفس بالألحان التي تسمى الطرق والمستأنات وإنما اختلاف تلك الطرق بمد القصور وقصر المدود والوقف في أثناء الكلمات والقطع والوصل في بعضها وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القرآن إلا التلاوة كما أزيل قصره ومدته والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام أم تكروه وإذا رتل القرآن كما أزيل سقط عنه الأثر الذي سببه وزن الألحان وهو سبب مستقل بالتأثير وإن لم يكن مفهومها كالأوتار والزمزم والشاهين وسائر الأصوات التي لا نهيم . الوجه الخامس : أن الألحان للوزنة تضد وتؤكد بأصوات وأصوات أخر موزونة خارج الخلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره لأن الوجد الضعيف لا يستثار إلا بسبب قوى وإنما يقوى بمجموع هذه الأسباب ولكل واحد منها حظ في التأثير وواجب أن يسان القرآن عن مثل هذه القرائن لأن صورتها عند عامة الخلق

[ الباب السادس

والشعرون في خاصة

الأربعين في الس

يتأهدها السوفية ]

ليس مطلوب القوم

من الأربعين شيئا

مخصوصا لا يطلبونه في

غيرها ولكن لما

طرقهم مخالقات حكم

الأوقات أحوا تخيد

هوقت بالأربعين

رجاء أن ينسحب حكم

الأربعين على جميع

زمانهم فيكونوا في

جميع أوقاتهم كهم

في الأربعين على أن

الأربعين خست بالذكر

في قول رسول الله صلى

الله عليه وسلم « من

أخلص لله أربعين

صباحا ظهرت ينابيع

الحكمة من قلبه على

لسانه » وقد ضمن الله

تعالى الأربعين بالذكر

في قصة موسى عليه

السلام وأمره بتخصيص

الأربعين بمزيد مبتل

قال الله تعالى « وواعدنا

موسى ثلاثين ليلة

وأعماها بشر قم

سورة البه والبه والقرآن جد كله عند كافة الخلق فلا يجوز أن يخرج بالحق المحض ما هو لعند العامة وصورة سورة البه عند الخاصين كانوا لا ينظرون إليها من حيث إنها لم يبينى أن يقر القرآن فلا يخرج على شوارع الطرق بل في مجلس ساكن ولا في حال الجانية ولا على غير طهارة ولا بعد على الواه بحق حرمة القرآن في كل حال إلا الرقابون لأحوالهم فيعدل إلى التناء الذي لا يستحق هذه الرقابة وللراعاة ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع قراءة القرآن ليقال العرس وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الدف في العرس وقال «أظهروا التكلع ولو بضرب التبريل» (١) أو يلفظ هذا معناه وذلك جائز مع الشمر دون القرآن ولذلك لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يثنى فسمع إحداهن تقول وفيما نهدن ما في غد . على وجه التناء قال صلى الله عليه وسلم «دعى هذا وقول ما كنت تقولين» (٢) وهذه شهادة بالبوة فزجرها عنها ووردها إلى التناء الذي هو لمؤان هذا جد محض فلا يقرن بصورة البه فإذا تيسر بسببه تقوية الأسباب التي بها يصير السماع محركاً للقلب فواجب في الاحترام المدول إلى التناء عن القرآن كأوجب على تلك الجارية المدول عن شهادة البوة إلى التناء . الوجه السادس : أن التنى قد يفتى بيت لا يوافق حال السامع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعى غيره فليس كل كلام موافق لكل حال فلا يجتمعوا في الدعوات على القارئ فيما يقرأ آية لا توافي حاله إذ القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف الأحوال ، فآيات الرحمة شفاء الحائف وآيات العذاب شفاء للثور والأمين وتفصيل ذلك مما يطول فإذا لا يؤمن أن لا يوافق للثور الحال وتكرهه النفس فيعرض به لحظر كراهة كلام الله تعالى من حيث لا يجد سبيلاً إلى دفعه فلا احترار على خطر ذلك حرم بالغ وحتم واجب إذ لا يجد الخلاص عنه إلا بتزيله على وفق حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله تعالى إلا على ما أراد الله تعالى . وأما قول الشاعر فيجوز تنزيهه على غير مراده فيه خطر التكره أو الخطر التأويل الخطأ لموافقة الحال فيجب توقير كلام الله وصيائه عن ذلك ، وهذا ما يتقدم على في عل انصراف الشيوخ إلى سماع التناء عن سماع القرآن . وههنا وجه سابع ذكره أبو نصر السراج الطوسي في الاعتذار عن ذلك فقال : القرآن كلام الله وصفة من صفاته وهو حق لا يطيقه البشرية لأنه غير مخلوق فلا تطيق الصفات المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدت وهدت وتحررت والألحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة المخلوقات لأنسبة الحقوق والشعر نسبته نسبة المخلوط فإذا علت الألحان والأموات بما في الآيات من الاشارات واللطائف شاكل بعضها بعضاً كان أقرب إلى المخلوط وأخفى إلى القلوب لساناً كلفة الخلق فإدامت البشرية قيمة ونحن بصفتنا وحفظنا ننتم بالفتات الشجية والأموات الطيبة فإنبساطنا لمشاهدة بقاء هذه المخلوقات إلى القوائد الأولى من انبساطنا إلى كلام الله تعالى الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدأ وإليه يعود هذا حاصل للتصود من كلامه واعتقاده . وقد حكى عن أبي الحسن الدراج أنه قال : قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد للزيارة والسلام عليه فلما دخلت الرى كنت أسأل عنه فكل من سأله عنه قال أبش تعمل بذلك الزندقي فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف ثم قلت في نفسي قد جبت هذا الطريق كله فلا أفل من أن أراه فلم أزل أسأل عنه حتى دخلت عليه في مسجد وهو قاعد في المهراب وبين يديه رجل ويده مصحف وهو يقرأ فإذا هو شيخ بهي حسن الوجه واللحية فسلمت عليه فأقبل على وقال (١) حديث الأمر بضرب الدف في العرس تقدم في التسكاح (٢) حديث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يثنى الحديث البخاري من حديثها وقد تخدم في التسكاح .

مقات ربه أربسين  
ليه - وذلك أن موسى  
عليه السلام وعد بنى  
إسرائيل وهم يصرون  
الله تعالى إذا أهلك  
عدوهم واستقدمهم من  
أيديهم بأنهم يكتب  
من عند الله تعالى فيه  
تبيان الحلال والحرام  
والحدود والأحكام فلما  
فعل الله ذلك وأهلك  
فرعون ، سأل موسى  
ربه الكتاب فأمره  
الله تعالى أن يصوم  
ثلاثين يوماً وهو  
ذو القعدة فلما تمت  
الثلاثون ليه أنكر  
خوفه فقتلوك بهود  
خربوب قتلت  
للائكة كنانتم من  
فيك رائحة السك  
فقدته بالسواك  
فأمره الله تعالى أن  
يصوم عشرة أيام من  
ذى الحجة وقال  
أما علمت أن خوف  
فم العالم طيب عندى  
من ربح السك ولم  
يكن صوم موسى عليه  
السلام ترك الطام

من أين أتيت قلت من بباد قال وما الذي جاء بك قلت قصدتك للسلام عليك قال لو أن في بعض هذه البلدان قال لك إنسان أتم عندنا حتى نشتري لك داراً أو جارية أو كان يشتدك ذلك عن الجملى قلت ما امتحنى الله بشئ من ذلك ولو امتحنى ما كنت أهدى كيف أكون ثم قال لى أحسن أن تقول شيئاً قلت نعم قال هات فأنشأت أقول :

وأنتك بنى دائماً في قطيعي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما بيني  
كأن بك واليت أفضل قولكم ألا ليتنا كنا إذ البيت لا بنى

قال فأطبق للصحف ولم يزل يكي حتى ابتلت لحية وابتل ثوبه حتى رحته من كثرة بكائه ثم قال يا بنى تلوم أهل الري يقولون يوسف زنديق هذا أنا من صلاة النداء أقرأ في للصحف لم تخطر من عيني قطرة وقد قامت القيامة على هذين البيتين فإذا القلوب وإن كانت محترقة في حب الله تعالى فإن البيت الغريب يهيج منها مالا يهيج تلاوة القرآن ، وذلك لوزن الشروم ما كنهه للطباع ولكونه مشاكلاً للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر ، وأما القرآن فنظمه خارج عن أساليب الكلام ومنهجه وهو لذلك معجز لا يدخل في قوة البشر لعدم ما كنهه لطبعه . وروى أن إسرائيل أسأذ ذى النون المصري دخل عليه رجل فرأه وهو يشك في الأرض بأبعيه ويترنم بيت قتاده لمحسن أن تترنم بى قال لا قال فأنت بلا قلب أشاره إلى أن من له قلب وعرف طباعه علم أنه تحركه الآيات والنعما تحريكاً لا يصادف في غيرها فيشكل طريق التحريك إما بصوت نفسه أو غيره . وقد ذكرنا حكم القام الأول في فهم السموع ونزله وحكم القام الثانى في الوجد الذى يصادف في القلب ، فلنذكر الآن أثر الوجد أعم ما يترشح منه إلى الظاهر من صفة وبكاء وحركة وتزريق ثوب وغيره . فنقول :

( القام الثالث من السباع )

نذكر فيه آداب السباع ظاهراً وباطناً وما محمد من آثار الوجد وما يبدى ، فأما الآداب فهى خمس جل الأول : مراعاة الزمان والمكان والآخران . قال الجند : السباع يحتاج إلى ثلاثة أشياء والأفلا تسع الزمان والمكان والآخران ومناه أن الاشتغال به في وقت حضور طعام أو خضام أو صلاة أو صاف من الصوارف مع اضطراب القلب لافائدة فيه فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعى حاله فراغ القلب له . وأما المكان فقد يكون شارعاً مطروفاً أو موضعاً كره الصورة أو فيه سبب يشغل القلب فيجنب ذلك . وأما الآخران فسيب أنه إذا حضر غير الجنس من منكر السباع مزهد الظاهر منفس من لطائف القلوب كان مستغفلاً في المجلس واشتغل القلب به وكذلك إذا حضر منكر من أهل الدنيا يحتاج إلى مراقبته وإلى مراعاته أو منكف متواجداً من أهل التصوف برأى الوجود والقرص وتزريق الثياب فكل ذلك مشوشات ترك السباع عند هذه الشروط أولى في هذه الشروط نظر للسمع . الأدب الثانى : هو نظر الحاضرين أن الشيخ إذا كان حوله مريدون يفرهم السباع فلا يبنى أن يسمع في حضورهم فإن مع قلبناهم يشغل آخر والريد الذى يستفرم بالسباع أحد ثلاثة أقامه درجة هو الذى لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السباع فاشتغاله بالسباع اشتغال بما لا ينع به فانه ليس من أهل اللهو فيلهم ولا من أهل الذوق فيتم بذوق السباع ، فليشتغل بذكر أو خدمة وإلا فهو تضييع لزمانه . الثانى : هو الذى له ذوق السباع ولكن فيه يقين المخلوط والاشتغال إلى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكسر بعد انكساراً تومن غوائه فرما يهيج السباع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصدّه عن الاستكمال . الثالث : أن يكون قد انكسرت شهوته وأمنت فائلته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى ولكن لم يحكم

بالله وأكله بالليل بل طوى الأربعين من غير أكل فدل على أن خلو المعدة من الطعام أصل كبير في الباب حتى احتاج موسى إلى ذلك مستنداً لمسألة الله تعالى والصلو والدينونة في قلوب للتقطين إلى الله تعالى ضرب من المسألة ومن اطعم إلى الله أربعين يوماً عملاً متاهداً شبه غفلة للمعدة شغل الله عليه العلوم الدينية كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك غير أن تعيين الأربعين من لفظة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أمر الله تعالى موسى عليه السلام بذلك والتحديد بالأربعين لحكمة فيه ولا يطلع أحد على حقيقة ذلك إلا الأنبياء إذا عرفهم الحق ذلك أو من خصه الله تعالى بتعرض ذلك من غير

ظاهر العلم ولم يعرف أسماء الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل فاذا فتح له باب السباع نزل السموع في حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر التي هي كفر أعظم من تقع السباع . قال سهل رحمه الله : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل فلا يصلح السباع لكل هذا ولأن قلبه بدمعوت بحب الدنيا وحب المصداق والثناء ولأن يسمع لأجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشتهل ذلك عن عبادته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه فالسباع مزلة قدم بحب حفظ الصفاء عنه قال الجليل : رأيت إبليس في النوم قتل له هل تظفر على أصابعه يا جدي قال نعم في وقتين وقت السباع ووقت النظر فاني أدخل عليهم به قال بعض الشيوخ لورأيت أنا قتل له ما أحقك من سمعته إذا سمع ونظر إليه إذا نظر كيف تظفر به قال الجليل صدقت . الأدب الثالث : أن يكون معنيا إلى ما يقول القائل حاضر القلب قليل الالتفات إلى الجوانب متحرزا عن النظر إلى وجوه المستعجب وما يظن عليهم من أحوال الوجد مشتتلا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله تعالى له من رحمته في سره متحفظا عن حركة تشوش على أصحابه فلوهم بل يكون ساكن للظاهر هادئ الأطراف متحفظا عن التجنن والتأويل ويجلس مطرقا رأسه كجولسه في فكر مستغرق لقلبه متأسسا عن التصديق والقرص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والبراءة ساكنا عن النطق في أثناء القول بكل ما يفتح له بد فان غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فوفيه معذور غير ملام ومهما رجع إليه الاختيار فليعد إلى هدوئه وسكونه ولا يبنى أن يستدعيه حياء من أن يخال انقطع وجهه على القرب ولأنه يواجه خطا من أن يقال هو قاض القلب عديم الصفاء والرفق . حكى أن شابا كان يصحب الجليل فكان إذا سمع شيئا من الذكر يزقني فقال له الجليل يوما إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحني فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يخطر من كل شجرة منه قطرة ماء ولا يزقني فحكى أنه اختنق يوما لشدة ضبطه لنفسه فشق شققة فاشتق قلبه وتلفت نفسه . وروى أن موسى عليه السلام قص في بني إسرائيل ففرق واحد منهم ثوبه أوقعه فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل له مزيل قلبك ولا تخزق ثوبك قال أبو القاسم الصرابي لأبي عمرو بن عبيد أنا أقول إذا اجتمع التوهم فيكون معهم قوال فيك شر من أن تغتاب ثلاثين سنة أو نحو ذلك . فان قلت الأفضل هو الذي لا يحركه السباع ولا يؤثر في ظاهره أو والذي يظهر عليه ، فاعلم أن عدم الظهور تارة يكون لشدة الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح فهو وكالات تارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الأحوال كلها فلا يتبين له السباع مزيد تأثير وهو غاية السكبان فان صاحب الوجد في غالب الأحوال لا يدوم وجهه فهو في وجود دائم فهو الرابط للحق وللإلزام لعين الشهود فهذا لا يتغيره طوارق الأحوال ولا يبعد أن تكون الإشارة بقول الصديق رضي الله عنه كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا معناه قومت قلوبنا واشتدت فصارَتْ تطبق ملازمة الوجد في كل الأحوال فتحن في صباغ معاني القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديدا في حقنا طارئا علينا حتى نتأثر به فاذا قوة الوجد تحرك قوة العقل والتماثل فتنشط الظاهر وقد يبلب أهدأ الأخرى ما لشدة قوته ولما ضعف ما يقابله ويكون التقصان والكمال بحسب ذلك فلا تطلق أن الذي يضطرب نفسه على الأرض أنهم وجدوا من الساكنين باضطرابه بلرب ساكن أنهم وجدوا من المضطرب قد كان الجليل يتحرك في السباع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقبل له في ذلك فقال - ونرى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر " السحاب صنع الله الذي أنتم كل شيء " - إشارة إلى أن القلب مضطرب جاثلي للسكرات

الأنبياء ويوحى في سر ذلك معنى والله أعلم وذلك أن الله تعالى لما أراد بتكوين آدم من تراب قدر التحنن بهذا القدر من العدد كأورد خربة آدم يده أربعين صباحا فكان آدم لما كان مستسلحا لصارة الدارين وأمر الله تعالى منه حمارة الدنيا كما أراد منه حمارة الجنة كونه من القرب تركيا يناسب عالم الحكمة والشهادة وهذه الدار الدنيا وما كانت حمارة الدنيا تأتي منه وهو غير مخلوق من أجزاء أرضية سفلية بحسب قانون الحكمة فمن التراب كونه وأربعين صباحا فخر طيبته ليعبد بالتحنن أربعين صباحا بأربعين حجابا من الحضرة الإلهية كل حجاب هو معنى مودع فيه يصلح به لصارة الدنيا ويتوق به عن الحضرة الإلهية





فالأكثر يكون عن لهُ ولو لم يلهو به صورة اللب واللبو في عين الناس فينبئ أن يجنبه القنيد به  
 ثلاثين في عين الناس فيترك الاعتداء به . وأما تجزئ الشيا بـ فلا رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن  
 الاختيار ولا يمد أن يلب الوجد بحيث يترق ثوبه وهو لا يدري لقلبة سكر الوجد عليه أو يدري  
 ولكن يكون كالضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه وتكون صورته صورة السكره إذ يكون له  
 في الحركة أو التجزئ منتفىض فيضطر إليه اضطرار للرص إلى الأئين ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه  
 مع أنه فعل اختاري فليس كل فعل حصوله بالإرادة يقدر الانسان على تركه فالتنفس فعل يحصل بالإرادة  
 ولو كلف الانسان أن يمسك النفس ساعة لا يضطر من باطنه إلى أن يجتر النفس فكذلك الرقة  
 وتجزئ الشيا قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم قد ذكر عند السرى حديث الوجد الحاد  
 القالب فقال نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري فروجعه فيه واستيعد أن ينتهي إلى هذا الحد فأصر  
 عليه ولم يرجع ومعناه أنه في بعض الأحوال قد ينتهي إلى هذا الحد في بعض الأشخاص . فان قلت فاقول  
 في تجزئ الصوفية الشيا الجديدة بعد سكون الوجد والفرار من السبع فاتهم بمزقونها قطعا صفارا  
 وبزقونها على القوم ويسمونها الحرقه . فاعلم أن ذلك مباح إذا قطع قطعا مربعا تصلح لترقيق الشيا  
 والسجادات فان السكر باس تجزئ حتى يخط منه القميص ولا يكون ذلك تضييما لأنه تجزئ لفرض  
 وكذلك ترقيق الشيا لا يمكن إلا بالقطع الصفار وذلك مقصود والفرقة على الجميع ليم ذلك الخبر  
 مقصود مباح ولكل مالك أن يقطع كبراسه مائة قطعة ويبسطها لمائة مسكين ولكن ينبغي أن تكون  
 القطع بحيث يمكن أن ينفع بها في الرقاق وإنما منعا في السبع التجزئ للفسد للشيا الذي يهلك بفسه  
 بحيث لا يبق متعاقبه فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار . الأدب الخامس : موافقة القوم في القيام  
 إذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف أو قام باختيار من غير إظهار وجد وقامت له  
 الجماعة فلا بد من الموافقة فذلك من آداب الصعبة وكذلك إن جرت عادة طائفة بتحية العامة على  
 موافقة صاحب الوجد إذا سقطت حماته أو دخل الشيا إذا سقط عنه ثوبه بالتجزيق فالموافقة في هذه  
 الأمور من حسن الصبر والشرة إذا خلفتة موحشة ولكل قوم رسم ولا بد من مخالفة الناس بأخلاقهم (١)  
 كأورد في الخبر لاسيا إذا كانت أخلاقا فيها حسن الشرة والجمالة وتطبيب القلب بالمساعدة وقول  
 القائل إن ذلك بدعة لم يكن في المساعدة فليس كل ما يحكم بإباحته متفولا عن المساعدة رضى الله عنهم  
 وإنما الهدوء لارتكاب بدعة تراغم سنة مأثورة ولم ينقل الشيء عن شيء من هذا والقيام عند الدخول  
 للدخول لم يكن من عادة العرب بل كان المساعدة رضى الله عنهم لا يقومون لرسول الله ﷺ في بعض  
 الأحوال (٢) كأرواه أنس رضى الله عنه ولكن إذا لم يثبت فيه شيء فلم يترى به بأس في البلاد التي جرت  
 العادة فيها بأكرام الداخل بالقيام فإن التصود منه الاحترام والاكرام وتطبيب القلب به وكذلك سائر  
 أنواع المساعدة إذا قصد بها تطبيب القلب واصطلح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها بل الأحسن  
 المساعدة لإفلاها ورد فيه شيء لا يقبل التأويل ومن الأدب أن لا يقوم للرص مع القوم إن كان يستنقل  
 رقصه ولا يشوش عليهم أو حالهم إذا الرص من غير إظهار التواجد مباح والتواجد هو الذي يلوح للجمع  
 منه أثر التكلف ومن يقوم عن صدق لاستنقله الطباع قلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب  
 محك لاصدق والتكلف . مثل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال سمعت قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا

(١) حديث مخالفة الناس بأخلاقهم الحاكم من حديث أبي ذر خاتوا الناس بأخلاقهم الحديث قال  
 صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث كانوا لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض  
 الأحوال كما رواه أنس تقدم في آداب الصعبة .

النفس وحديثها  
 ما ظهرت العلوم الهلجية  
 لأن حديث النفس  
 وعاء وجودي قبول  
 الأنوار وما للقلب في  
 ذاته لقبول العلم شيء  
 وقول رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم وظهرت  
 بتاييس الحكمة من  
 قلبه على لسانه وأشار  
 إلى القلب باعتبار أن  
 للقلب وجهها إلى النفس  
 باعتبار توجهه إلى عالم  
 الشهادة وله وجه إلى  
 الروح باعتبار توجهه  
 إلى عالم الغيب فيستمد  
 القلب العلوم للكونة  
 في النفس وعرجها  
 إلى اللسان الذي هو  
 ترجمان فظهر العلوم  
 من القلب لأنها متأصلة  
 فيه فالقلب والروح  
 مراتب من قرب اللهم  
 سبحانه وتعالى فوق  
 رب العالمين فالقيد  
 باقتطاعه إلى الله تعالى  
 واعتزال الناس يقطع  
 مسافات وجوده  
 ويستنبط من معدن  
 نفسه جواهر العلوم

أشكالا غير أمداد . فإن قلت فما بال الطبايع تنفر عن الرقص ويسبق إلى الأوهام أنه باطل وهو مخالف للدين فلا يراه ذوج في الدين إلا وينكره . فاعلم أن الجدل لا يزيد على جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى الحبشة يزفون في المسجد وما أنكره لما كان في وقت لا تقي به وهو العبد ومن شخص لا تقي به وهم الحبشة نعم نفرة الطبايع عنه لأنه يرى غالباً مقرنا باللهو واللعب واللهو واللعب مباح ولكن العوام من التزويج والحبشة ومن أشبههم وهو مكروه للدين بالنسبة لأنه لا يقي بهم وما كره لكونه غير لا تقي بمصطفى للنسب فلا يجوز أن يوصف بالتحريم من قال فقيرا شيئا فأعطاه رغيفا كان ذلك طاعة مستحسنة ولو سأل ملكاً فأعطاه رغيفا أو رغيفين لكان ذلك منكراً عند الناس كافة ومكتوباً في تواريخ الأخبار من جملة مساويه وبسيره أعتابه وأشياعه ومع هذا فلا يجوز أن يقال ما فعله حرام لأنه من حيث إنه أعطى غنياً الفقير حسن ومن حيث إنه بالإضافة إلى منصبه كالنعم كالنعم بالإضافة إلى الفقير مستحب فكذلك الرقص وما جرى مجراه من اللباحات ومباحات العوام سيئات الأبرار وحسنات الأبرار سيئات القريين ولكن هذا من حيث الالتفات إلى الناس وأما إذا نظر إليه في نفسه وجب الحكم بأنه هو في نفسه لا يحرم فيه والله أعلم فقد خرج من جملة التفصيل السابق أن السباع قد يكون حراماً محضاً وقد يكون مباحاً وقد يكون مكروهاً وقد يكون مستحباً ألامحرام فهو لا أكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السباع منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة وأما السكر وهو لمن ينزله على صورة الخلوقين ولكنه يتخذ عادة له في أكثر الأوقات على سبيل القبول وأما الباح فهو لمن لاحظ له منه إلا التقليد بالصوت الحسن وأما للسبب فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ولم يحرك السباع منه إلا الصفات الممودة والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله .

### ﴿ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴾

وهو الكتاب التاسع من ربيع العادات الثاني من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يستفتح الكتب إلا بجمعه . ولا تستفتح التزم إلا بواسطة كرمه ورفده . والصلوة على سيد الأنبياء محمد رسوله وعبد . وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده . [أما بعد] فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القلب الأعظم في الدين . وهو اللهم الذي ابتعث الله النبيين أجمعين . ولوطى بساطه وأهل علمه وعمله تمتعت النبوة والتمتع بالديانة وعمت الفترة وقت الصلاة وشاعت الجلالة واستقرى الفساد واتسع الحرق وخرت البلاد . وهلك العباد . ولم يشعروا . الهلاك إلا يوم الناد . وقد كان الذي خفنا أن يكون . فإنا نقولنا إلى إجماع . إذ قد ندرس من هذا القلب عمله وعلمه . وأعني بالكلية حقيقته ورحمه . فاستولت على القلوب مهادنة الخلق وأمنت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم . وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم . فمن سمى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة بما متكلاً بعملاً أو مثقلاً لتفنيدها مجدداً لهذه السنة الدائرة ناهضاً بأعبائها ومتشعراً في إحيائها كان مستأثراً من بين الخلق بأحياء سنة أقصى الزمان إلى إيمانها . ومستبداً بقرية تضائل درجات القرب دون ذروتها . وما نحن نشرح علمه في أربعة أبواب . الباب الأول : في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقضيلته . الباب الثاني : في أركانه وشروطه . الباب الثالث : في مجاريه ويان

وقد ورد في الخبر  
« الناس معادن كعادن  
الذهب والفضة خيارهم  
في الجاهلية خيارهم في  
الاسلام إذا قهوا »  
ففي كل يوم باخله  
في العمل لله يكشف  
طبق من الطبايع  
التراب الجلية للبدنة  
عن الله تعالى إلى أن  
يكشف باستكمال  
الأربعين أربعين طبق  
في كل يوم طبق من  
أطباق حجاب آية  
هذه الصلوة علامة  
تأثره بالأربعين ووفاته  
بشروط الاخلاص أن  
يزهد بعد الأربعين في  
الدنيا ويتجافى عن  
دار القربى وينيب إلى  
دار المآل لأن الزهد  
في الدنيا من ضرورة  
ظهور الحكمة ومن  
لم يزهد في الدنيا  
ما ظفر بالحكمة ومن  
لم يظفر بالحكمة بعد  
الأربعين تبين أنه قد  
أخل بالشروط ولم  
يخلص لله تعالى ومن  
لم يخلص لله ما عبيد

( كتاب الأمر بالمعروف )

النسكرا للالوفقي العادات . الباب الرابع : في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

( الباب الأول : في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وفضيلته والذمة في إجماله وإيضاحه )

ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة إليه الآيات والأخبار والآثار . أما الآيات :  
 قوله تعالى - ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم  
 المفلحون - ففي الآية بيان الإيجاب فإن قوله تعالى ولتكن أمة وظاهر الأمر الإيجاب وفيه بيان أن  
 الفلاح منوط به أحصر وقال وأولئك هم المفلحون وفيه بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين وأنه إذا  
 قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين إذ لم يقل كونوا كلكم أمراء بالمعروف بل قال ولتكن منكم  
 أمة فإذا مهما قام به واحد أو جماعة سقط المخرج عن الآخرين واختص الفلاح بالتأخيرين به للبائسين  
 وإن تواعد منه خلق أجمعون هم المخرج كافة القادرين عليه لا محالة وقال تعالى - ليسوا سواد من أهل  
 الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون  
 بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين - فلم يشهد لهم الصلاح بمجرد  
 الإيمان بالله واليوم الآخر حق أنصاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال تعالى - وللمؤمنون  
 وللؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة - قد نمت  
 للؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فالدعي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر  
 خارج عن هؤلاء المؤمنين للتوحيين في هذه الآية ، وقال تعالى - لمن الدين كفروا من غير أن يسلط  
 لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه  
 لبئس ما كانوا يعملون - وهذا غاية التشديد إذ علل استحقاقهم لعنة بتركهم النهي عن المنكر وقال  
 وجل - كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر سو هذا يدل على فضيلة الأمر  
 بالمعروف والنهي عن المنكر إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس وقال تعالى - فما نسوا  
 ما ذكرنا وما بعثنا الذين ينهون عن السيئ وأخذنا الذين ظلموا بذيئ يسيس ما كانوا يفعلون - فبين  
 أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن السيئ ويدل ذلك على الوجوب أيضا . وقال تعالى - الذين إن كنتم  
 في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر - قرن ذلك بالصلاة  
 والزكاة في نعت الصالحين وللمؤمنين وقال تعالى - وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم  
 والعدوان وهو أمر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب  
 الامكان وقال تعالى - لولا نهيهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا  
 يصنون - فبين أنهم أئموا بترك النهي وقال تعالى - فلو لا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون  
 عن الفساد في الأرض - الآية فبين أنه أهلك جميعهم لإقليتهم كانوا ينهون عن الفساد وقال تعالى  
 - يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء مثلوا على أنفسكم أو الذين الأقربين - وذلك هو  
 الأمر بالمعروف للناس والذين الأقربين وقال تعالى - لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف  
 أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما - وقال تعالى  
 - وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحو بينهما الآية والإصلاح نهى عن البغي وإعادة إلى الطاعة  
 فان لم يفعل فقد أمر الله تعالى بتثاقه فقال - قاتلوا التي تبغى حق نبي إلى أمر الله وذلك هو النهي عن  
 المنكر . وأما الأخبار : ففيها ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال في خطبة خطبها :

( الباب الأول في وجوب الأمر بالمعروف )

الله لأن الله تعالى  
 أمرنا بالاخلاص كما  
 أمرنا بالعدل فقال  
 تعالى - وما أمروا إلا  
 ليعبدوا الله مخلصين له  
 الدين- أخبرنا الشيخ  
 طاهر بن أبي الفضل  
 إجازة قال أنا أبو بكر  
 أحمد بن خلف إجازة  
 قال أنا أبو عبد الرحمن  
 السلي قال أنا  
 أبو منصور الضبي قال  
 ثنا محمد بن أشرس  
 قال ثنا حسن بن  
 عبد الله قال ثنا إبراهيم  
 ابن طهمان عن عاصم  
 عن زر عن صفوان  
 ابن عسال رضي الله  
 عنه عن النبي صلى الله  
 عليه وسلم قال - إذا  
 كان يوم القيامة يجيء  
 الإخلاص والشرك  
 يجتوان بين يدي الرب  
 من وجل ، فيقول  
 الرب للإخلاص انطلق  
 أنت وأهلك إلى الجنة  
 ويقول للشرك انطلق  
 أنت وأهلك إلى النار  
 وهذا الاستناد قال  
 السلي سمعت علي بن

أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم (١) لا يضركم من ضل إذا هتدتم - وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن قوم عملوا بالمعاصي وفهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعباد من عنده » وروى عن أبي ثعلبة الحاشي « أنسأ رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى - لا يضركم من ضل إذا هتدتم (٢) - قال يا أيها ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فإذا رأيت شعا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه فليكن بنفسك ودمع عنك العوام إن من وراءكم فتنا قطع الليل الظلم للتمسك فيها بمنال الذي آثم عليه أجز خسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال لا بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعرانا ولا تجدون عليه أعرانا » وسئل ابن مسعود رضى الله عنه عن تفسير هذه الآية فقال إن هذا ليس زمانا إنما اليوم مقبولة ولكن قد أوشك أن يأتي زمانها تأمرن بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولن فلا يقبل منكم حينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا هتدتم - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم (٣) » معناه تسمع مطايعهم من أعين الأشرار فلا يخافونهم - وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس إن الله يقول لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أعمل البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في محر جلى ، وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في محر جلى (٥) » وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « إن الله تعالى ليسأل العبد مامنتك إذ رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن الله العبد حجة قال رب وقتك بك وفرقت من الناس (٦) » وقال ﷺ « إياكم والجولوس على الطرقات قالوا ما لنا بما نحن على محالنا تحدث فيها قال إذا أبيتكم إلا ذلك فأعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق قال غش البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « كلام ابن آدم كله عليه لاله إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو ذكر الله تعالى (٨) »

(١) حديث أبي بكر أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم - الحديث أصحاب السنن وتقدم في الزلة (٢) حديث أبي ثعلبة أنسأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى - لا يضركم من ضل إذا هتدتم - الحديث أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه (٣) حديث لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم البزار من حديث عمر بن الخطاب والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف والترمذي من حديث حذيفة نحوه إلا أنه قال أو ليوشكن الله يمت عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم قال هذا حديث حسن (٤) حديث يا أيها الناس إن الله سبحانه يقول لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم أحمد والبيهقي من حديث عائشة بنفظ مروا وأنهما وهو عند ابن ماجه دون عزوه إلى كلام الله تعالى وفي إسناده لين (٥) حديث ما أعمل البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في محر جلى - ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس مقتصرًا على الشطر الأول من حديث جابر بسند ضعيف وأما الشطر الأخير فرواه على ابن مبيد في كتاب الطاعة والعصية من رواية يحيى بن عطاء مرسلا أو معضلا ولا أدرى من يحيى ابن عطاء (٦) حديث إن الله تعالى ليسأل العبد ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره الحديث ابن ماجه وقد تقدم (٧) حديث إياكم والجولوس على الطرقات الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد (٨) حديث كل كلام ابن آدم كله عليه لاله إلا أمرا بمعروف الحديث تقدم في العلم .

سعيد وسأله عن الاخلاص ماهو قال سمعت إبراهيم التقي وسأله عن الاخلاص ماهو قال سمعت محمد ابن جعفر الحصف وعأته عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد ابن يشار عن الاخلاص ماهو قال سألت أبا يعقوب التروطي عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد بن غسان عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد بن علي المجيسى عن الاخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ماهو قال سألت الحسن عن الاخلاص ماهو قال سألت حذيفة عن الاخلاص ماهو قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ماهو قال سألت جبريل عليه السلام عن الاخلاص ماهو قال سألت رب العزة عن الاخلاص



ومن غاب عنها فأحبها فكنهها (١) » ومعنى الحديث أن حضرة الحاجة أوتيت حجاباً ذلك بين يديه فأما الحضور فقد امتنع بدليل الحديث الأول . وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بعث الله عز وجل نبياً إلا وله حوارى » فيكتب النبي بين أظهرهم ما شاء الله تعالى يسلم فيهم بكتاب الله وبأمره حتى إذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وبسنة نبيه فإذا اقرضوا كان من يدهم قوم يركبون رؤوس النابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فإذا رأيت ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم يده فإن لم يستطع فليسانه فإن لم يستطع فليقلبه وليس وراء ذلك إسلام (٢) » وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان أهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم أربعة حريشكروا ما يعملون فقام أحدهم فقال إنكم تعملون كذا وكذا فبصل بيناهم وبخبرهم فبشيع ما صنعون فبصلوا يردون عليه ولا يرعون عن أمثالهم فبشيع فسبوه وقاتلهم ففصلوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني وقاتلتهم فقتلوني ثم ذهب ثم قام الآخر قاتلهم فلم يطيعوه فسبوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني ولو قاتلتهم لقتلوني ثم ذهب ثم قام الثالث قاتلهم فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لقتلوني ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم إني لو نهيتهم لصنوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لقتلوني ثم ذهب رضي الله عنه كان الرابع أذاهم مثله وقليل فيكم مثله ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما « قيل يا رسول الله أهلك القرية وفيها الصالحون ؟ قال : نعم قيل يا رسول الله قال بها ومنهم وسكوتهم في معاصي الله تعالى (٣) » وقال جابر ابن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصى الله تبارك وتعالى إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها فقال يارب إن فيهم عبيد فلا تأم بصك طرقه عين قال ألقها عليه وعليهم فان وجهه لم يشمرق ساعة قط (٤) » وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفاً عملهم عمل الأنبياء قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يعضون فقه ولا يأمرهم بالمعروف ولا ينهون عن المنكر (٥) » وعن عروة عن أبيه قال : قال موسى صلى الله عليه وسلم : يارب أي عبادك أحب إليك قال الذي يشترع إلى هوى كما يشترع النسر إلى هواه والذي يكلف ببادئ الصالحين كما يكلف الصبي بالئدى والذي يضرب إذا أتت حماسى كما يضرب القرنفه فان النمر إذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس أم كثروا وهذا يدل على فضيلة الحسنة مع عدة الخوف وقال أبو بكر التفاري

(١) حديث أبي هريرة من حضر مصيبة فكرها فكنهها غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكنهها حضرها رواه ابن عدى وفيه يحيى بن أبي سليمان قال البخاري مشرر الحديث (٢) حديث ابن مسعود ما بعث الله عز وجل نبياً إلا وله حوارى الحديث روى مسلم نحوه (٣) حديث ابن عباس قيل يا رسول الله أهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل يا رسول الله قال بها ومنهم وسكوتهم عن معاصي الله الزلل والطرائق بسند ضعيف (٤) حديث جابر أوصى الله إلى ملك من الملائكة أن ألقب مدينة كذا وكذا على أهلها قال فقال يارب إن فيهم عبيد فلا تأم الحديث الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب وضمه وقال المحفوظ من قول مالك بن دينار (٥) حديث عائشة عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفاً عملهم عمل الأنبياء لم ألق عليه مرفوعاً وروى ابن أبي الدنيا وبوالشيخ عن إبراهيم بن عمر الصنعاني أوصى الله إلى يوشع بن نون إلى مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم قال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال إنهم لم يعضوا لعضي فساكنوا يؤاكلونهم ويشاربونهم

وتجذب النفس إلى ذلك وهذا أمر أو كل وأدلى على كمال الاستعداد . وقد روى من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك فيما حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب أملا . قال أخبرنا الحافظ أبو القاسم اسمعيل ابن أحمد القرطبي قال أنا جعفر بن الحسكاه لكنا قال أنا أبو عبد الله الصنعاني قال أنا أبو البتوى قال أنا اسمعيل بن الرزاق عن معمر قال أخبرني الزهرى عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت « أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه « يا رسول الله هل من جهاد غير قتال للشركين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا بكر إن الله تعالى مجاهد في الأرض أفضل من الشهداء أحياء مرزوقين يحشون على الأرض يباهي الله بهم ملائكة السماء ويزين لهم الجنة كما زينت أمثلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ومن هم ؟ قال الأمرون بالمعروف والنهي عن المنكر والمحبون في الله وللشعوب في الله ثم قال والذي نفسي بيده إن العبد منهم ليكون في العرفة فوق الرفقات فوق غرف الشهداء لفرقة منها ثلثمائة ألف باب من الأياقوت والزمرد الأخضر على كل باب نور وإن الرجل منهم لزوج بثلاثة آلاف حوراء فاصرات الطرف مع كال الثفت إلى واحدة من فطر إليها تقول له أئذ كر يوم كذا وكذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر كما نظرت إلى واحدة منهن ذكرت له مقاماً أمر فيه بمرفوع ونهى فيه عن منكر <sup>(١)</sup> » وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت « يا رسول الله أي الشهادة أكرم على الله عز وجل قال الرجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهى عن المنكر قتله فان لم يقتله فان القتل لا يجري عليه بعد ذلك وإن عاش ما عاش <sup>(٢)</sup> » وقال الحسن البصري رحمه الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل شهادة أمي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهى عن المنكر قتله على ذلك فذلك الشهيد منزلة في الجنة بين حمزة وجعفر <sup>(٣)</sup> » وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بشي القوم قوم لا يأمرن بالباطل وبشي القوم قوم لا يأمرن بالمعروف والنهي عن المنكر أوليسلطان الله عليكم سلطاناً ظالماً لا يجل كيدهم في إلحادهم صيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستصرون فلا تصرون وتستفرون فلا تفرون لكم . وسئل حذيفة رضي الله عنه عن ميت الأحياء قال الذي لا ينكر المنكر يده ولا يلسانه ولا يلقاه . وقال مالك بن دينار كان حبر من أحبار بني إسرائيل يشي الرجال والنساء منزله ينظرون ويدكرهم أيام الله عز وجل فرأى بشي يبه يوما وقد غمز بعض النساء فقال مهلا يا بني مهلا وسقط من سريره فاقطع نخاعه وأسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيب فأوحى الله تعالى إلى نبي زمانه أن أخبر فلانا الخبر أني لا أخرج من ملبك صدقاً أبداً أما كان من غضبك لي إلا أن قلت مهلا يا بني مهلا وقال حذيفة يا بني يا الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم

(١) حديث أبي ذر قال أبو بكر يا رسول الله هل من جهاد غير قتال للشركين قال نعم يا أبا بكر إن الله تعالى مجاهد في الأرض أفضل من الشهداء فذكر الحديث وفيه فقال هم الأمرون بالمعروف والنهي عن المنكر الحديث بطوله أم أقصاه على أصل وهو منكر <sup>(٢)</sup> حديث أبي عبيدة قلت يا رسول الله أي الشهادة أكرم على الله قال رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهى عن المنكر قتله الحديث البزار مقتصراً على هذا دون قوله فان لم يقتله إلى آخره وهذه الزيادة منكورة وفيه أبو الحسن غير مشهور لا يعرف <sup>(٣)</sup> حديث الحسن البصري مرسل أفضل شهادة أمي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهى عن المنكر قتله على ذلك فذلك الشهيد منزلة في الجنة بين حمزة وجعفر لم أره من حديث الحسن وللحاكم في المستدرک وصحح إسناده من حديث جابر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهى قتله <sup>(٤)</sup> حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يا بني يا قوم لا يأمرن بالباطل وبشي القوم قوم لا يأمرن بالمعروف والنهي عن المنكر رواه أبو الشيخ ابن جابر من حديث جابر بن عبد الله وأما حديث عمر فأما إله أبو منصور الحديث في الباب ورواه على ابن عبد في كتاب الطاعة والسياسة من حديث الحسن مرسل .

يأتي حراء فيفتح  
فيه البالي ذوات البد  
ويتزود لذلك ثم يرجع  
إلى خديجة فيزود  
لثلبها حتى جاءه الحق  
وهو في غار حراء فجاءه  
الملك فيه فقال اقرأ  
قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ما أنا  
بجاري فأخذني فغطني  
حتى بلغ من الجهد ثم  
أرسلني فقال اقرأ قلت  
ما أنا بجاري فأخذني  
فغطني الثانية حتى بلغ  
من الجهد ثم أرسلني  
قال اقرأ قلت ما أنا  
بجاري فأخذني فغطني  
الثالثة حتى بلغ من  
الجهد ثم أرسلني فقال  
اقرأ باسم ربك الذي  
خلق خلق الإنسان  
من علق حتى بلغ ما لم  
يسلم فرجع بها رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
زجف بوادعه حتى  
دخل على خديجة قال  
زملوني زملوني فزملوه  
حتى ذهب عنه الروع  
قال خديجة مالي  
وأخبرها الخبر فقال

وبيناهم وأوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون عليه السلام إن هلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأبيار قال إنهم لم يفضوا للنضى وواكلوهم وشاربوهم وقال بلال بن سعد : إن المصيبة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أعلنت ولم تغير أشرت بالعامية ، وقال كعب الأجيال لأبي مسلم الخولاني كيف منزلتك من قومك ؟ قال حسنة . ذل كعب إن التوراة تقول غير ذلك . قال وما تقول ؟ قال تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال صدقت التوراة وكذب أبو مسلم ، وكان عبداً في عمر رضي الله عنهما يأتي العمال ثم قدم عنهم فقبله لوائيتهم فلمهم يمدون في أنفسهم فقال أرحب إن تسكتم أن يروا أن الذي بي غير الذي بي وإن سكنت رهبت أن آثم وهذا يدل على أن من هجر عن الأمر بالمعروف فله أن يمد عن ذلك للومع ويستتر عنه حتى لا يجري بمشده منه ، وقال طي بن أبي طالب رضي الله عنه أول ما تلقون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بالسيف ثم الجهاد بقلوبكم فإذا لم يعرف القلب للمعروف ولم يسكر المنكر نكس جفيل أعلاه أسفله . وقال سهل بن عبد الله رحمه الله إنما عبد عمل في شيء من دينه بما أمر به أو نهى عنه وتعلق به عند فساد الأمور وتنكرها وتشوش الزمان فهو من قد قام لله في زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، معناه أنه إذا لم يقدر إلا على نفسه فقام بها وأتكر أحوال الغير قبله قد جاءه بمنهاو الغاية في حقته ، وقبل الفضل الأتأمر ونهى ؟ فقال إن قوماً أمروا ونهوا فكفروا وذلك أنهم لم يصبروا على ما أمروا ، وقبل الثوري الأتأمر بالمعروف ونهى عن المنكر قال إذا انشق البحر فمن يقدر أن يسكره فقد ظهر بهذه الأدلة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وأن فرضه لا يسقط مع القدرة لإقيام قائم به فلذلك الآن شروطه وشروط وجوبه .

( الباب الثاني في أركان الأمر بالمعروف وشروطه )

اعلم أن الأركان في الحسبة التي هي عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب فهذه أربعة أركان ولكل واحد منها شروط .

( الركن الأول المحتسب )

وله شروط وهو أن يكون مكلفاً مسلماً قادراً فيخرج منه المجنون والصبي والكافر والمأجور ويدخل فيه أحاد الرعايا وإن لم يكونوا مأذونين ويدخل فيه الناسق والرقيق والمرأة ، فلذلك كرهه اشتراط ما اشتراطناه ووجه اطراح ما اطرحناه . أما الشرط الأول : وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فإن غير المكلف لا يلزمه أمر أو ما ذكرناه أردنا به شرط الوجوب فأما إمكان الفعل وجواز فإلزامي لا العقل حتى إن الصبي الزاهق للبلوغ للمعز وإن لم يكن مكلفاً فله إنكار المنكر وله أن يريق الحجر ويكرس الملاهي وإذا فعل ذلك نال به ثواباً ولم يكن لأحد منعه من حيث إنه ليس بمكلف فإن هذه قرينة وهو من أهلها كالصلاة والإمامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك أفتتاه للعبد وأحاد الرعية نعم في المنع بالفعل وإبطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الإيمان كقتل الشرك وإبطال أسبابه وسلب أسلحته فإن للصبي أن يفعل ذلك حيث لا يستغربه فالنعم من الفسق كالتعمير من الكفر . وأما الشرط الثاني : وهو الإيمان فلا يخفى وجه اشتراطه لأن هذا نصرة للدين فكيف يكون من أهله من هو جاحد لأصل الدين وعدو له . وأما الشرط الثالث : وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للناسق أن يحتسب ، وربما استدلووا فيه بالسكر الوارد على من يأمر بما لا يفضله مثل قوله تعالى - أتأمرون الناس بالبر وهمون أنفسهم -

( الباب الثاني في أركان الأمر بالمعروف وشروطه )

قد خشيت على عقل  
فقات كلا جبري فوالله  
ما غزيتك الله أبداً  
إنك لتصل الرحم  
وتصدق الحديث  
وتعمل الكل وتكسب  
للمدوم وتقرى الضيف  
وتعين على نوائب الحق  
ثم انطلقت به خديجة  
رضي الله عنها حتى أتته  
به ورقة بن نوفل  
وكان أمراً تصبر في  
الجاهلية وكان يكتب  
الكتاب العبراني  
فيكتب من الإنجيل  
بالعبرانية ما شاء الله أن  
يكتب وكان شيخاً  
كبيراً قد غمى فقالت  
له خديجة يا عم اسمع  
من ابن أخيك فقال  
ورقة يا ابن أخي ماذا  
ترى فأخبره الخبر  
رضول الله صلى الله  
عليه وسلم فقال لرسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
هذا هو التاموس  
الذي أزل على موسى  
يا ليتني فيها جذماً ليتني  
أكون جازاً يخرجك  
قومك فقال رسول الله



وقوله تعالى - كرمقائد الله أن تقولوا مالا تفعلون - وبما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «مرت ليلة أسرى بي يقوم تعرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من أنتم قالوا كنا نأمر بالخير ولا نأثم ونهت عن الشر» ونأثبه (١) «وبما روى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى صلى الله عليه وسلم عظم نضك فان اعطت فمظ الناس ولا فاستحي مني، وربما استدلوا من طريق القياس بأن هداية الغير فرع للاهتمام، وكذلك تقوم الغير فرع للاستقامة والإصلاح زكاة عن نصاب الصالح فمن ليس بصالح في نفسه فكيف يصلح غيره، ومن يستقيم الظل والعود أعوج وكل ما ذكره خيالات وإنما الحق أن الفاسق أن محتسب وبرهانه هو أن تقول هل يشترط في الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوما عن المعاصي كلها فان شرط ذلك فهو خرق للاجماع ثم حسم لباب الاحتساب إذ لا عصمة للصحابة فضلا عن ذنوبهم والأنبياء عليهم السلام قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقرآن العزيز دال على نسبة آدم عليه السلام إلى العصية وكذا جماعة من الأنبياء، ولهذا قال سعيد بن جبير: إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من لا يكون فيه شيء لم يأمر أحد بشيء فأعجب مالكا ذلك من سعيد ابن جبير وإن زعموا أن ذلك لا يشترط عن الصائغ حتى يجوز للإمام الحرير أن يمنع من أن تأمر وتنهى الحرير فتقول: وهل للشارب الحر أن ينزل الكفار ويحتسب عليهم بالنهي عن الكفر قالوا لا، فخرجوا الاجماع إذ جنود السليبي أنزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الحرير وطالم الأيتام ولم ينعوا من القزوي لافي عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده فان قالوا نعم فتقول: شارب الخمر هل له للنع من القتل أم لا فان قالوا لا قلنا الفرق بينه وبين لايس الحرير إذ جعله للنع من الخمر والقتل كغيره بالنسبة إلى الشراب كالشراب بالنسبة إلى ليس الحرير فلا فرق، وإن قالوا نعم فصلوا الأمر فيه بأن كل مقدم على شيء فلا يمنع عن مثله ولا عما دونه وإنما يمنع عما فوقه فهذا تحك فانه كما لا يبعد أن يمنع الشارب من الزنا والقتل فمن أين يبعد أن يمنع الزاني من الشراب بل من أين يبعد أن يشرب ويمنع غناه وخدومه من الشراب ويقول يجب على الانتهاء والتهى فمن أين يلزم من العصيان بأحدهما أن أعصى الله تعالى بالثاني وإذا كان التهي واجبا على فمن أين يسقط وجوبه باقداي إذ يستحيل أن يقال يجب التهي عن شرب الخمر عليه ما لم يشرب فإذا شرب سقط عنه التهي. فان قيل فيلزم على هذا أن يقول القائل الواجب على الوضوء والصلاة فأن توضع وإن لم أصل وأتسحر وإن لم أصم لأن المستحب على السحور والصوم جميعا ولكن يقال أحدهما مرتبط على الآخر فكذلك تقوم الغير مرتبط على تنوعه نفسه فليبدأ بنفسه ثم بمن يقول. والجواب أن التسحر يراد الصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحبا وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير وإصلاح الغير لا يراد لإصلاح النفس ولا إصلاح النفس لإصلاح الغير فالقول يرتب أحدهما على الآخر تحك، وأما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم أن من توضع ولم يصل كان مؤثما أمر الوضوء وكان عقابه أقل من عقاب من ترك الصلاة والوضوء جميعا فليكن من ترك التهي والانتهاء أكثر عقابه عن نهيه ولم ينته كيف الوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكمه دون الصلاة. وأما الحسية فليست شرطا في الانتهاء والاتباع فلا مشابهة بينهما. فان قيل فيلزم على هذا أن يقال إذا زنى الرجل بامرأة وهي مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فأخذ الرجل محتسب في أثناء الزنا ويقول أنت مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير محرم وما أنا غير محرم لك فاسترى وجهك فهذا احتساب شنيع يستكره قلب كل عاقل ويستنمته كل طبع سليم. فالجواب أن الحق قد يكون شنيعا وأن الباطل قد يكون مستحبا للطباع والتبع

(١) حديث مرت ليلة أسرى بي يقوم تعرض شفاههم بمقاريض من نار الحديث تقدم في العلم.

صلى الله عليه وسلم  
أوحى جبرئيل عليه السلام  
نم إنه لم يأت أحد قط  
بما جئت به إلا عودي  
وأودى وإن يدركني  
يومك أنصرك نصرا  
مؤزرا - وحدث جابر  
ابن عبد الله رضى الله  
عنه قال سمعت رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
وهو يحدث عن قرة  
الوحي فقال في حديثه  
«فينا أنا أمشي سمعت  
صوتا من السماء فرضت  
رأسي فاذا الملك الذي  
جاءني بجرا جالس  
على كرسى بين السماء  
والأرض فجئت منه  
ربعا فرجت قلت  
زملوني زملوني  
فدثوني فأنزل الله  
تعالى - يا أيها المدثر  
فأنذر - إلى سائر الرجز  
فأهجر - وقد مثل أن  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ذهب مرارا  
كي يرد نفسه من  
شواهاه الجبال فكانا  
واقفة ذروة جبل لكي  
يلقى نفسه متبدي له

الدليل دون خرة الأوامر والحالات فانا قول قولها في تلك الحالة لا نكتفي بجهك واجب أو مباح أو حرام فإن علم إنعواجب فهو الفرض لأن الكشفية والتهى عن الصبية حتى وإن قلتم إنعواجب فإذن له أن يقول ما هو مباح فامضى قولكم ليس فالفاسق الحسبة وإن قلتم إنعواجب فقول كان هذا واجبا فمن أين حرم ما قد علم على الفاسق ومن التزم أن يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب حرام آخر أو ما خرة الطباع عنه واستنكارها له فهو لسببين : أحدهما أنه ترك الأمر واعتزل بما هو مهم وكما أن الطباع تنفر عن ترك الله إلى ما لا ينفى تنفر عن ترك الأمر والاعتزال بالمهم كما تنفر عن ترك الله عن تناول طعام منصوب وهو مواظب على الربا وكما تنفر عن تصاون عن القية وشهد بالزور لأن الشهادة بالزور أغش وأفسد من القية التي هي إخبار عن كائن يصدق فيه الخبر وهذا الاستبعاد في النفوس لا يدل على أن ترك النية ليس بواجب وأنه لو اغتاب أو أكل لقتل من حرام لم تزد بذلك عقوبته فكذلك ضرره في الآخرة من مصيئته أكثر من ضرره من مصيئة غيره فاشتغاله عن الأقل بالأكثر مستنكر في الطبع من حيث إنه ترك الأكثر لامن حيث يعتاق بالأقل فمن غلب فرسه ولبام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك القرس فترك طلب اللجام فاشتغل بالانكار عليه وترك الأمر بما دونه فكذلك حبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل على أن حسبه من حيث إنها حبة مستنكرة . الثاني أن الحسبة تارة تكون بالتهى بالوعظ وتارة بالتهى بالقرع ولا يتبع وعظ من لا يعظ أولا ونحن قول من علم أن قوله لا يقبل في الحسبة لعم الناس يفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ إذا قاله في وعظه فالتسقي يؤثر في إسقاط فائدة كلامه ثم إذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام فأما إذا كانت الحسبة بالنص فالمراد منها القهر ونحوه القهر أن يكون بالفضل والجهة جميعا وإذا كان فاسقا فان قهر بالفضل قد قهر بالحسبة إذ يتوجه عليه أن يقال له فأتيت مقدم عليه فتفر الطباع عن قهره بالفضل مع كونه مقهورا بالحسبة وذلك لا يخرج القهر عن كونه حقا كما أن من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل أبدا وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن السلم عن كونه حقا فنرجع من هذا أن الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ بل من يعرف نفسه لأنه لا يعظ وإذا لم يكن عليه ذلك وعلم أنه ينفى إلى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فقول ليس لذلك أيضا فارجع الكلام إلى أن أحد نوعي الاحتساب وهو الوعظ لا يثبت بالفسق وسارت العدالة مشروطة فيه وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حرج في التماسق في إراقة الخمر وكسر اللامى وغيرها إذا قدر وهذا غاية الانصاف والكشف في الشبهة وأما الآيات التي استدلوها بها فهو انكار عليهم من حيث تركهم المعروف لامن حيث أمرهم ولكن أمرهم دل على قوة عليهم وعقاب العالم أهمل لأنه لا عذر له مع قوة علمه وقوله تعالى - لم تقولون مالا تعلمون - المراد به الوعد الكذب وقوله من وجل - وتسون أضحك - إنكار من حيث إنهم نسوا أنفسهم لامن حيث إنهم أمروا وغيرهم ولكن ذكر أمر التبر استدلالا به على علمهم وتأكيذا للجهة عليهم وقوله يا ابن مريم عطف نفسك الحديث هو في الحسبة بالوعظ وقد سلمنا أن وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف نفسه ثم قوله فاستحي من لا يدل على تحريم وعظ التصير بل مناه استحي من فلا ترك الأمر وتشتغل بالمهم كما يقال أحفظ أباك ثم جارك وإلا فاستحي . فان قيل فيجب للكافر الذي أن يحسب على السلم إذا رآه يترك قول لا تزن حق في نفسه فمحال أن يكون حراما عليه بل ينبغي أن يكون مباحا

جبرائيل عليه السلام فقال يا محمد إنك لرسول الله حقا فيمكن لذلك جأشوا إذا طالت عليه فترة الوحي عاد مثل ذلك فينبى له جبريل فيقول له مثل ذلك فهذه الأخبار للنبوة عت بداه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الأصل في إظهار الشايع الحلو للريدين والطالعين فاتهم إذا أخلوا أنه تعالى في خلواتهم يشغ الله عليهم ما يؤنسهم خلواتهم موصيا من الله إليهم عما تركوا لأجله ثم خلوة القوم مستمرة وإنما الأمر بسوء واستكثارها له أثر ظاهر في ظهور مبادئ بشائر الحق سبحانه وتعالى وسنوح مواهبه السنية .

[الباب السابع والخمسون في ذكر فتح الأرمينية وقد غلط في طريق الحلو والأرمينية]

قوم وحرفوا الكلم  
عن مواضع ودخل  
عليهم الشيطان  
وتح عليهم بابا  
من المرور ودخلوا  
الحلوة على غير أصل  
مستقيم من تأدية حق  
الحلوة بالاخلاص  
ومعوا أن الشايخ  
والصوفية كانت لهم  
خوات وظهرت لهم  
وقائع وكشفوا إضراب  
وعجائب فدخلوا الحلوة  
لطلب ذلك وهذا عين  
الاعتلال وحسن  
الضلال وإنما القوم  
اختاروا الحلوة  
والوحدة لسلامة الدين  
وتفقد أحوال النفس  
وإخلاص العمل لله  
تعالى . قل عن أبي  
عمرو الأنماطي أنه قال  
لن يصفوا لقل فهم  
الأخير إلا بإحكامه  
ما يجب عليه من  
إصلاح الحال الأول  
وللواطن التي ينبغي أن  
يسرف منها أمر إذا هو  
أم منتقم فله أن  
يطلب مواضع الحلوة

أو واجبا . قلنا الكافر إن منع المسلم بفعله فهو تساط عليه فيمنع من حيث إنه تساط وما جعل  
الله للكافرين على المؤمنين سبيلا . وأما مجرد قوله لاتزن فليس بمحرم عليه من حيث إنه نهى  
عن الزنا ولكن من حيث إنه إظهار دالة الاحتكام على السلم وفيه إذلال للمحتكم عليه والناقد  
يستحق الإذلال ولكن لا من الكافر الذي هو أولى بالإذلال منه فهذا وجه منتزعا إليه من الحسبة  
ولا قلنا نقول إن الكافر يعاقب بسبب قوله لاتزن من حيث إنه نهى بل نقول إنه إذ لم يزل  
لاتزن يماثل عليه إندأنا خطاب الكافر بفروع الدين وفيه نظر استوفيتاه في التفقيها ولا يليق  
بفرضا الآن . الشرط الرابع : كونه مأذونا من جهة الإمام والوالى قد شرط قوم هذا الشرط ولم  
يثبتوا لاحكام من الرعية الحسبة وهذا الاختراط فاسد فان الآيات والأخبار التي أوردناها تدل على  
أن كل من رأى منكرا فسكت عليه عصي إذ يجب نهيه أينما رآه وكيفما رآه على العموم فالخصيص  
بشرط التفويض من الإمام تحكم لأصله والسبب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الأمر  
بالمعروف مالم يخرج الإمام للصوم وهو الإمام الحق عندهم وهؤلاء أخصى رتبة من أن يكلموا بل  
جوابهم أن يقال لهم إذا جاءوا إلى القضاء طالبين لحقوقهم في دماءهم وأموالهم إن نصرتكم أمر  
بالمعروف واستخراج حقوقكم من أيدي من ظلمكم نهى عن النكر وطلبكم لحقكم من جملة  
العروف وما هذا زمان التي عن الظلم وطلب الحقوق لأن الإمام الحق يهد لم يخرج . فان قيل في  
الأمر بالمعروف إثبات سلطة وولاية واحتكام على المهكوم عليه وقلنا لم يثبت للكافر على المسلم  
كونه حقا فينهى أن لا يثبت لاحكام الرعية إلا بتفويض من الولي وصاحب الأمر . فنقول أما الكافر  
فشروع لما فيه من السلطة وعز الاحتكام والكافر ذليل فلا يستحق أن ينال عز التحكم على السلم  
وأما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والعرف وما فيه من عز السلطة والاحتكام لا يجوز  
إلى تفويض كسر التلم والتعريف إلا خلاف في أن تعريف التحريم والإيجاب لمن هو جاهل  
ومقدم على النكر بجهله لا يحتاج إلى إذن والى وفيه عز الإرشاد وعلى العرف ذل التجهيل وذلك  
يكفي فيه مجرد الدين وكذلك التي . وشرح القول في هذا أن الحسبة لها خمس مراتب كما سيأتى  
أولها التعريف . والثاني الوعظ بالكلام اللطيف . والثالث السب والتوبيخ ولست أعنى بالسب الفحش  
بل أن يقول لجاهل بأحق أو أخاف الله وما يجري هذا المجرى . والرابع التلم بالقهر بطريق البشارة  
كسر للامهى وإزاحة الفخر واختطاف الثوب الحرير من لابه واستلاب الثوب المنصوب منه ورده  
على صاحبه . والخامس التخويف والتهديد بالضرب ومباشرة الضربه على منع محامو عليه كالواظب  
على النية والقذف فان سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد  
يجوز إلى استعانة وجمع أعوان من الجانبين ويجز ذلك إلى قال وسائر الراتب لا يخفى وجه استغنائها  
عن إذن الإمام إلا للرتبة الخامسة فان فيها نظرا سيأتى أما التعريف والوعظ فكيف يحتاج إلى  
إذن الإمام . وأما التجهيل والتعجب والنسبة إلى الفسق وقلة الخوف من الله وما يجري مجراه فهو كلام  
صدق والصدق مستحق بل أفضل الدرجات كلمة حق عند إمام جائر (١) كأورد في الحديث فإذا جاز  
الحكم على الإمام على مراغمته فكيف يحتاج إلى إذنه وكذلك كسر للامهى وإزاحة المحور فانه  
تماطى ما يبرف كونه حقا من غير اجتهد فلم يغتر إلى الإمام وأما جمع الأعوان وشهر الأسلحة  
فذلك قد يجز إلى فتنة عامة فقيه نظر سيأتى واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاية

(١) حديث أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث  
أبي سعيد الخدري .

قاطع باجماعهم على الاستئذان عن التوبيخ بل كل من أمر بمعروف فإن كان الوالي راضياً به فذلك وإن كان ساعطاه فستخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج إلى إذنه في الانكار عليه ويدل على ذلك عادة السلف في الانكار على الأئمة كما روي أن مروان بن الحكم خطب قبل صلاة العيد فقال له رجل إنما الخطبة بعد الصلاة فقال له مروان اترك ذلك فإلآن أبو سعيد أما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم «من رأى منكم منكراً فلينتهزه يده فإن لم يستطع فليستهن فإن لم يستطع فليقله وذلك أضف الإمان» (١) فقد كانوا يفعلوا من هذه العمومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج إلى إذنهم وروى أن الهدي لما قدم مكة لبث بها ما شاء الله فلما أخذ في الطواف نهي الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فلبه بردائه ثم هزم وقال له انظر ما صنع من جعلك بهذا البيت أحق بمن أمته من البعد حتى إذا صار عنده حلت بينه وبينه وقد قال الله تعالى - سواء المالك فيه والباد - من جعل لك هذا فخط في وجهه وكان يصره لأن من مواليهم قال عبد الله بن مرزوق: «قال نعم فأخذ نعيه» به إلى بغداد ففكره أن يصاحبه عقوبة ينتفع بها عليه في السائمة فجعله في إسطبل الدواب ليسوس الدواب وضوا إليه فرسا عوضاً سيء الخلق ليقره الفرس فلين الله تعالى له الفرس قال ثم صروه إلى بيت وأغلق عليه وأخذ الهدي المفتاح عنده فإذا هو قد خرج بعد ثلاث إلى البستان يأكل البقل فأودن به للهدى فقال له من أخرجك فقال الذي حبسني فضج الهدي وصاح وقال ما تخاف أن أتذكك فرغ عبد الله إليه رأسه يضحك وهو يقول لو كنت تملك حياة أوهوتاً فما زال يحسبوا حتى مات الهدي ثم خلوا عنه فرجع إلى مكة قال وكان قد جعل على نفسه نذراً إن خلصه الله من أيديهم أن ينحر مائة بدنة فكان يميل في ذلك حتى نحرها . وروى عن حبان بن عبد الله قال نزه هرون الرشيد بالدوين وممجرل من بني هاشم وهو سليمان بن أبي جعفر فقال له هرون قد كانت لك جارية تنفي فحسن فبعثا بها قال فبعثت فنتت فلم يحمد غناها فقال لها ما شأنك قالت ليس هذا عودي فقال للخادم جئنا بوجدها قال فبعاه بالمود فوافق شيخاً بليط النوى قال الطريق يا شيخ فرغ الشيخ رأسه فرأى المود فأخذه من الخادم فضرب به الأرض فأخذه الخادم وذهب به إلى صاحب الربع فقال احتفظ بهذا فإنه طلبة أمير المؤمنين قال له صاحب الربع ليس يبيد أجد من هذا فكيف يكون طلبة أمير المؤمنين فقال له اسمع ما أقول لك ثم دخل على هرون فقال إن مروى على شيخ بليط النوى قتلت له الطريق فرغ رأسه فرأى المود فأخذه فضرب به الأرض ففكره فاستشاط هرون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن أبي جعفر ما هذا الضرب يا أمير المؤمنين إيهت إلى صاحب الربع يضرب عنقه ويرم به في الدجلة فقال لا ولكن نبت إليه ونناظره أولاً فبعاه الرسول قال أحب أمير المؤمنين فقال نعم قال أركب قال لا فبعاه عيسى حتى وقف على باب القصر فقبل هرون قد جاءه الشيخ فقال لندما أرى شيء ترون نرفع ماقدامنا من الشكر حتى يدخل هذا الشيخ أو نهم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا له نهم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر أملىع فقالوا إلى مجلس ليس فيه منكر ثم أمر بالشيخ فأدخل وفيه الكسبي الذي فيه النوى فقال له الخادم أخرج هذا من مكان وأدخل على أمير المؤمنين فقال من هذا عشان الجيلة قال نحن نمشك قال لا حاجة لي في عشانك قال هرون للخادم أي شيء تريد مني قال في كهنوت قلته اطرحه وأدخل على أمير المؤمنين (١) حدث إن مروان خطب قبل الصلاة في العيد الحديث وفيه حديث أبي سعيد مرفوعاً من رأى منكراً الحديث رواه مسلم .

لكي لا يمارسه شاعل  
فبند عليه ما يريد .  
أبنا طاهر بن أبي  
الفضل إجازة عن أبي  
بكر بن خلف إجازة قال  
أبنا أبو عبد الرحمن  
قال سمعت أبا عبد الرحمن  
يقول من اختار الحلو  
على الصعبة فبني أن  
يكون خالياً من جميع  
الأفكار إلا ذكر رب  
عز وجل وخالياً من  
جميع الرادات إلا مراد  
ربه وخالياً من مطالب  
النفس من جميع  
الأسباب فإن لم يكن  
بهذه الصفة فإن خلوته  
توصه في فتنة أولية .  
أخبرنا أبو زرعة إجازة  
قال أنا أبو بكر إجازة  
قال أنا أبو عبد الرحمن  
قال سمعت منصوراً  
يقول سمعت محمد بن  
حامد يقول جاء رجل  
إلى زيارة أبي بكر  
الوراق وقال له أوصني  
فقال وجدت خير الدنيا  
والآخرة في الحلو والقلة  
ووجدت شرها في  
الكثرة والاختلاط

قال دعه لا يطرحه قال فدخل وسلم وجلس فقال له هرون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال وأنى شيء صنعت وجعل هرون يستحي أن يقول كسرت عودي فلما أكثر عليه قال إني صمت أباك وأجدادك يقرءون هذه الآية على النبي - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وأنا رأيت منكرا فغيرته فقال فغيره فوافقه ما قال إلا هذا فلما خرج أعطى الخليفة رجلا بدرة وقال اتبع الشيخ فإن رأيته يقول قلت لأمر المؤمنين وقال لي فلا تطعه شيئا وإن رأيته أحدا فاعطه البدره ، فلما خرج من القصر إذا هو بنواة في الأرض قد غاصت فجعل يسألها ولم يكلم أحدا فقال له يقول لك أمير المؤمنين خلفه البدره فقال قل لأمر المؤمنين ردها من حيث أخذها ، وبروى أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على النواة التي يسأل قلعها من الأرض وهو يقول : أرى الدنيا لمن هي في يديه هموما كلها كثرت لديه تنهين للكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه إذا استغثت عن شيء فدفعه وخذ مانت محتاج إليه

وعن سفیان الثوري رحمه الله قال حج المهدي سنة ست وستين ومائة فرأيت برى جمره العقبة والناس يخطبون عينا وشمالا للسياط فوقت فقلت يا حسن الوجه حدثنا أين عن وائل عن قدامة ابن عبد الله الكلبي قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم برى الجمره يوم النحر على جبل لا ضرب ولا طرد ولا جله ولا إليك إليك (١) وها أنت يخطب الناس بين يديك عينا وشمالا فقال لرجل من هذا قال سفیان الثوري قبال يسافين لو كان التصور ما احتملك على هذا فقال لو أخبرك التصور بما لقي لقصرت عما أنت فيه قال فقبله إنه قال قال يا حسن الوجه ولم يقل لك يا أمير المؤمنين فقال إطلوبه فطلب سفیان فاختفى . وقد روى عن المأمون أنه بلغه أن رجلا عتسبا بتى في الناس بأمرهم بالمعروف ونهائم عن المنكر ولم يكن مأمورا من عنده بذلك فأمر بأن يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له إنه بلغني أنك رأيت نفسك أهلا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير أن تأمر أن تأمر وكان المأمون جالسا على كرسي ينظر في كتاب أو قصة فأغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر به فقال له المهدي أرفع قدمك عن أسماء الله تعالى ثم قل ما شئت فلم يفهم المأمون مراده فقال ماذا تقول حتى أخافه ثلاثا فلم يفهم فقال إما رفعت أو أدنيت لي حق أرفع فظفر المأمون تحت قدمه فرأى الكتاب فأخذه وقبلة وحجل ثم نادى وقال لم تأمر بالمعروف ونهيت عن المنكر فقلت لكم إني أهلك البيت ونحن الذين قال الله تعالى فيهم - الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرؤا بالمعروف ونهوا عن المنكر - فقال صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والفنكن غير أننا أعوانك وأولياؤك فيه ولا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى - وللمؤمنون وللمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرؤا بالمعروف والنهي عن المنكر - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» (٢) وقد مكنت في الأرض وهذا كتاب الله وسنة رسوله فإن أعدت لها شكرت لمن أعانك لحرمتهما وإن استكبرت عنهما ولم تنقذ لما تركت منهما

(١) حديث قدامة بن عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم برى الجمره يوم النحر على جبل لا ضرب ولا طرد ولا جله ولا إليك إليك الترمذي وقال حسن صحيح والنسائي وابن ماجه وأما قوله في أوله إن الثوري قال حج المهدي سنة ست وستين فليس يصحیح فان الثوري توفي سنة إحدى وستين (٢) حديث المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا متفق عليه من حديث أبي موسى وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة .

فان الذي إليه أمرك ويده عزك وذلك قد شرط أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا قتل الآن ما شئت فأعجب المؤمن بكلامه وسر به وقال مثلك يجوز له أن يأمر بالمعروف فأمض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأيا فاستمر الرجل على ذلك في سياق هذه الحكايات بيان الدليل على الاستثناء عن الأدب. فان قيل أفتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والبعد على الولي والزوجة على الزوج والتبذير على الأستاذ والرعية على الولي مطلقا كما ثبت للوالد على الولد والبعد على البعد والزوج على الزوجة والأستاذ على التبذير والسلطان على الرعية أو بينهما فرق . فاعلم أن الذي نراه أنه ثبت أصل الولاية ولكن بينهما فرق في التفصيل ولنفرض ذلك في الولد مع الوالد فنقول قدرتنا للحسبة خمس مراتب ولولد الحسبة بالترتيب الأولين وهما التعريف ثم الوعظ والنصح باللفظ وليس له الحسبة بالسب والتنصيف والتهديد ولا مباشرة الضرب وهما الرتبةان الأخريان وهل له الحسبة بالربة الثالثة حيث تؤدي إلى أذى الوالد وسخطه هذا فيه نظره هو بأن يكسر مثلا عود ويريق حمرة ويحل الحيوط عن ثيابه للنسوة من الحرير ويرد إلى اللالك ما يجده في بيته من لال الحرام الذي غصبه أو سرقه أو أخذه عن إدرار رزق من ضريبة السليين إذا كان صاحبه معينا ويطل الصور للنفوسة على حيطانه وللنفوسة في خشب بيته ويكسر أواني الذهب والفضة فان فعله في هذه الأمور ليس يتعلق بذات الأب بخلاف الضرب والسب ولكن الوالد يتأذى به ويسخط بسببه إلا أن فعل الولد حق وسخط الأب منشؤه حبه للباطل والهرام والأظهر في القياس أنه ثبت للولد ذلك بل يلزمه أن يفعل ذلك ولا يعمد أن ينظر فيه إلى تقيح النكر وإلى مقدار الأذى والسخط فان كان النكر فاحشا وسخطا عليه قريبا كإفاعة خر من البيت غصبه فذلك ظاهر وإن كان النكر قريبا والسخط شديدا كالمكانة له آتية من بلور أو زجاج على صورة حيوان وفي غيرها خسران مال كثير فهذا مما يشتد فيه الضرب وليس تجرى هذه للصبي بحري الحر وغيره فهذا كله مجال النظر . فان قيل ومن أين قلتم ليس له الحسبة بالتنصيف والضرب والارهاق إلى ترك الباطل الأمر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد عاما من غير تخصيص وأما التي عن التأنيب والإبذاء فقد ورد وهو خاص فيها لا يتعلق بارتكاب النكرات فنقول قد ورد في حق الأب على الخصوص ما يوجب الاستثناء من العموم إذ لا خلاف في أن الجلال ليس له أن يقتل أباه في الزنا وحده ولاه أن يباشر إقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل أبيه الكافر بل يقطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له أن يؤذيه في مقامه . وقد ورد في ذلك أخبار وثبت بعضها بالإجماع<sup>(١)</sup> فإذا لم يجز له إيذاؤه بمقوبة هي حق على جناة فلا يجوز له إيذاؤه بمقوبة هي منع عن جناة مستقبلية متوقفة بل أولى وهذا الترتيب أيضا ينبغي أن يجري في البعد والزوجة مع السيد والزوج نعمتا قربان من الولد في لزوم الحق وإن كان ملكا لم يجز أن كسمن ملك التسكين ولكن في الخبر أنه ولو جاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها<sup>(٢)</sup> وهذا يدل على أن كمال حق أيضا وأما الرعية مع السلطان فالأمر فيها أشد من الولد فليس لها مع إلا التعريف والنصح فأما الربة الثالثة فيها نظرم من حيث إن المجهوم على أخذ الأموال من خزائنه ودها إلى الملاك وعلى تحليل الحيوط من ثيابه الحرير وكسر آتية الخمر في بيته يكاد يفضي إلى خرق هيئته وإسقاط حشمته وذلك محظور ورد النبي عنه كإورد النبي عن السكوت على النكر<sup>(٣)</sup> فقد تمارض فيه أيضا عذوران والأمريه موكول

عليه وسلم ينتج صفاء في النفس يستبان به على اكتساب علوم الرضاة مما يقتضيه به القلاصة والمهرون خدم الله تعالى وكما أكثر من ذلك بعد عن الله ولا يزال للقلب على ذلك يستغويه الشيطان بما يكتب من السلام الرباطية أوجبا قد يترأى له من مدق الحائط وغير ذلك حتى يركن إليه الزكون التام ويظن أنه فاز بالقصود ولا يعلم أن هذا الفن من الفائدة غدير ممنوع من التصاري والبراهمة وليس هو المقصود من الخلوة ببول بعضهم إن الحق يريد منك الاستقامة وأنت تطلب الكرامة وقد ينتج على الصادقين شيء من خوارق العادات وصدق القرامسة ويبين ما سيحدث في المستقبل وقد لا ينجح عليهم ذلك بولا ينجح

(١) الأخبار الواردة في أن الجلال ليس له أن يجلد أباه في الزنا ولا أن يباشر إقامة الحد عليه ولا يباشر قتل أبيه الكافر وأنه لو قطع يده لم يلزمه القصاص ثم قال وثبت بعضها بالإجماع . قلت : لم أجده في الإحدى لا يناد الوالد بالولد رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي فيه اضطراب (٢) حديث لوجاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها تقدم في النكاح (٣) حديث النبي عن الإنكار

في حالم عدم ذلك  
وإنما يفتح في حالم  
الأعراف عن حد  
الاستقامة فما يفتح  
من ذلك على الصادقين  
يسير سببا لمزيد إيمانهم  
والداعي لهم إلى صدق  
المجاهدة والمعاملة  
والزهد في الدنيا  
والتخلق بالأخلاق  
الحيدة وما يفتح من  
ذلك على من ليس  
تحت سياسة الشرع  
يصير سببا لمزيد بعده  
وغروره وحقاقه  
واستطاعة على الناس  
وازدراءه بالخلق ولا  
يزال به حتى يخلص رقة  
الاسلام عن عنقه  
ويتصحر الحدود  
والأحكام والحلال  
والحرام ويظن أن  
للقصود من العبادات  
ذكر الله تعالى ويترك  
شأنه الرسول صلى الله  
عليه وسلم ثم يتدرج  
من ذلك إلى تلحد  
وتزندق نموظاؤه من  
الفضائل وقد يلوح  
لأقوال خبالات

إلى اجتباب منشؤه النظر في تفاضل النكر ومقدار ما يستعظم من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك بما  
لا يمكن ضبطه وأما التليد والأستاذ فالأمر فيما بينهما أخف لأن المحترم هو الأستاذ للتبديل على من حيث  
الدين والحرمة لعالم لا يعمل ببعده فله أن يمايله بموجب عمله الذي تعلمه منه . وروى أنه مثل الحسن عن  
الولد كيف محسوب على والده فقال يعظم ما يفضى فان غضب سكت عنه . الشرط الخامس : كونه قادرا  
ولا يخفى أن العاجز ليس عليه حصة إلا بقلبه إذ كل من أحب الله بكرة معاصيه وينسكها . وقال ابن  
مسعود رضي الله عنه جاهدوا الكفار بأيديكم فإن استطعتموا إلا أن تكفروا في وجوههم فاقصوا .  
واعلم أنه لا يفتى سقوط الوجوب على العجز الحسي بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله فذلك في معنى  
العجز وكذلك إذا لم يخف مكروها ولكن علم أن إنكاره لا ينفع فليفتى إلى معنيين : أحدهما عدم إفاضة  
الإنكار امتناعا والآخر خوف مكروه . ومحصل من اعتبار العجزين أربعة أحوال أحدها أن يجتمع للعتيان  
بأن يعلم أنه لا ينفع كلامه ويضرب إن تكلم فلا تجب عليه الحسبة بل ربما تحرم في بعض المواضع ثم يولمه  
أن لا يحضر مواضع النكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج إلا الحاجة مهمة أو واجب ولا يولمه  
مقارنة تلك البلدة والهجرة إلا إذا كان يهوى إلى الفساد أو يعمل على مساعدة السلاطين في الظلم والنكرات  
فتلزمه الهجرة إن قدر على إقامته إلا أن لا يكون عن ذرا في حق من يقدر على الحرب من الأكره . الحالة  
الثانية أن يبقى للعتيان جميعا بأن يعلم أن النكر زول وقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الإنكار  
وهذه هي القدرة المطلقة . الحالة الثالثة أن يعلم أنه لا يفيد إنكاره لكنه لا يخاف مكروها فلا تجب عليه  
الحسبة لعدم قاعدتها ولكن تستحب لأظهار شعائر الاسلام وتذكير الناس بأمر الدين . الحالة الرابعة  
عكس هذه وهو أن يعلم أنه يصاب بمكروه ولكن يتطلل للنكر بفعله كما يقدر على أن يرى زجاجة الفاسق  
بحجر فيكسرها ويرى الحجر أو يضرب العود الذي في يده ضربة مخنقة فيكسره في الحال ويتعطل  
عليه هذا النكر ولكن يعلم أنه يرجع إليه فيضرب رأسه فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو  
مستحب ويدل عليه الخبر الذي أوردناه في فضل كلمة حق عند إمام جائر ولا شك في أن ذلك مظنة  
الخوف . ويدل عليه أيضا ما روى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى أنه قال سمعت من بعض  
الحلفاء كلاما فأردت أن أنكر عليه وعلت أني أقول ولم بمنع القتل ولكن كان في ملأ من الناس  
نغشيت أن يتبرئ للخلق فأقلت من غير إخلاص في الفعل . فان قيل فامعنى قوله تعالى - ولا  
تلقوا بأيديكم إلى التهلكة - قلنا لا خلاف في أن السلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار ويقاتل  
وإن علم أنه يقتل وهذا ربما يظن أنه مخالف لموجب الآية وليس كذلك فقد قال ابن عباس رضي الله  
عنهما ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة في طاعة الله تعالى أي من يفعل ذلك فقد أهلك نفسه . وقال البراء بن  
عازب التهلكة هو أن يذنب الذنب ثم يقول لا يتأبى على ، وقال أبو عبيدة هو أن يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا  
حتى يهلك وإذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يقتل جاز أيضا له ذلك في الحسبة ولكن لو علم أنه لا تكايفلجموه  
على الكفار كالأعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم آية التهلكة وإنما  
جاز له الإقدام إذا علم أنه يقتل إلى أن يقتل أو علم أنه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جراته واعتقاده  
في سائر السليين فله اللبالة وجهم للشهادة في سبيل الله فتكسر بذلك شوكتهم فكذلك يجوز  
على السلطان جهرة بحيث يؤدي إلى خرق هيبة الحاكم في المستدرك من حديث عياض بن غنم  
الأشعري من كانت عنده نصيحة لدى سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذ يده فيخلع به فان  
قبلها قبلها ولا إكراه قد أدى الذي عليه والذي له قال صحيح الاستناد ولترمذى وحسنه من حديث  
أبي بكره من أهان سلطان الله في الأرض أهان الله في الأرض .

للمحتسب بل يستحب له أن يعرض نفسه للضرب والقتل إذا كان لحسبته تأثير في رفع المنكر أو في كراهة الناس أو في تقوية قلوب أهل الدين وأما إن رأى فساقاً متغلباً وعنده سيف وبه دقح وعلم أنه لو أنكر عليه ل ضرب القديح وضرب رقبته فهذا مما لا يرى للحسبة فيه وجهاً وهو عين الهلاك فان المطلوب أن يؤثر في الدين أثرًا وبديده بنفسه فأما تريض النفس للهلاك من غير أثر فلا وجه له بل ينبغي أن يكون حراماً وإنما يستحب له الانكار إذا قدر على إبطال المنكر أو ظهر له فائدة ذلك بشرط أن يقتصر للسكره عليه فإن علم أنه يضرب معه غيره من أصحابه أو أقاربه أو رفاقه فلا يجوز له الحسبة بل يحرم لأنه يحجز عن دفع المنكر إلا بأن يقضي ذلك إلى منكر آخر وليس ذلك من القدرة في شيء بل لو علم أنه لو احتسب لبطل ذلك المنكر ولكن كان ذلك سبباً لمنكر آخر يعاطاه غير المحتسب عليه فلا يصلح له الانكار على الأظهر لأن المقصود عدمنا كبر الشرع مطلقاً لا من زبده أو عمرو وذلك بأن يكون مثلاً للانسان شراب حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه وعلم أنه لو أراقه لشراب صاحبه أخرج أو شرب أو ألداه أخرج لإعوازم الشراب الحلال فلا معنى لارادة ذلك ويحتمل أن يقال إنه يريق ذلك فيكون هو مبطلًا لمنكر أو ما شرب أخرج فهو اللوم فيه والمحتسب غير قادر على منع من ذلك المنكر وقد ذهب إلى هذا ذاهبون وليس يبيد فان هذه مسائل قديمة لا يمكن فيها الحكم إلا بالظن ولا يبعد أن يفرق بين درجات المنكر الكبير والمنكر الذي تقتضي إليه الحسبة والتشهير فإنه إذا كان يذبح شاة لغيره ليأكلها وعلم أنه لو منعه من ذلك لبيع إنساناً وأكله فلا معنى لهذه الحسبة ثم لو كان منعه من ذبح إنسان أو قطع طرفه بجعله على أخذ ماله ذلك له وجه فمنه دقاتي واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله وهذه الدقائق قول : العاصي ينبغي له أن لا يحتسب إلا في الجلبات العلوية كشراب الخمر والزنا وترك الصلاة فأما ما يعلم كونه مصيبة بالإضافة إلى ما يطيع به من الأفعال فيفتقر فيه إلى الاجتهاد فالعاصي إن خاض فيه كان مافسده أكثر مما يصلحه وعن هذا يتأكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة إلا بتعيين الوالي إذ ربما ينتدب لها من ليس أهلاً لها لقصور معرفته أو قصور ديانتة فيؤدي ذلك إلى وجوه من الخلل وسيأتي كشف القطاء عن ذلك إن شاء الله فأن قيل وجبت أطلاق العلم بأثر يصيه مكرهه أو أنه لا يفيد حسبته فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه . قلنا : الظن القالب على هذه الأبواب في معنى العلم وإنما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم إذ يرجح العلم البقيني على الظن ويفرق بين العلم والظن في مواضع أخرى وهو أنه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطاً أنه لا يفيد فإن كان غالب ظنه أنه لا يفيد ولكن يحتمل أن يفيد هو مع ذلك لا يتوقع مكرهه فقد اختلفوا في وجوبه والأظهر وجوبه إذ لا ضرر فيه وجدواه متوقعة وعموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتضي الوجوب بكل حال ونحن إنما نستقي عنه بطريق التخصيص ما إذا علم أنه لا فائدة فيه إما بالاجماع أو بقياس ظاهر وهو الأمر ليس برادله بل بالمأمور فإذا علم اليأس عنه فلا فائدة فيه فأما إذا لم يكن بأس فينبغي أن لا يسقط الوجوب فان قيل فالسكره الذي توقع إصابته إن لم يكن متيقناً ولا معلوماً ببالغ الظن ولكن كان مشكوكاً فيه أو كان غالب ظنه أنه لا يصاب بمكرهه ولكن احتمال أن يصاب بمكرهه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب إلا عند اليقين بأنه لا يصاب بمكرهه أم يجب في كل حال إلا إذا غلب على ظنه أنه يصاب بمكرهه قلنا إن غلب على الظن أنه يصاب لم يجب وإن غلب أنه لا يصاب وجب بمجرد التجوز لا يسقط الوجوب فان ذلك يمكن في كل حاسبة وإن شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر فيحتمل أن يقال الأصل الوجوب بحكم المومات وإنما يسقط بمكرهه والسكره هو الذي يظن أو يعلم حتى يكون متوقفاً وهذا هو الأظهر ويحتمل أن يقال إنه إنما يجب عليه إذا علم أنه لا ضرر فيه عليه أو ظن أنه لا ضرر عليه

يظنونها وقائع وشبهونها بوقائع للشيخ من غير علم بحقيقة ذلك فن أراد تحقيق ذلك فلم ين أن العبد إذا أخلص لله وأحسن نيته وقصد في الخلوة أربعين يوماً أو أكثر ففهم من يباشر باطنه صفو اليقين ويرفع الحجاب عن قلبه ويصير كما قال قائده : رأى قاي ربي ، وقد يصل إلى هذا القام نارة أحياء الأوقات بالصالحات وكشف الجوارح ووزع الأدوار من الصلاة والتلاوة والذكر على الأوقات وتارة يادته الحق لموضع صدقه وقوة استعداده بمباداة من غير عمل وجد منه وتارة يجهد ذلك بملزمة ذكر واحد من الأذكار لأنه لا يزال يردد ذلك الذكر وقوله وتكون عبادته الصلوات



والأول أصح نظرا إلى قضية العمومات الموجبة للأمر بالمعروف فإن قيل فالمتوقع للمكروه يختلف  
بالجبن والجراءة فالجبان الضيف القلب يرى البعد قريبا حتى كأنه يشاهده ويرتاع منه وللتهور الشجاع  
يعد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن الأمل حتى إنه لا يصدق به إلا بعد وقوعه ضل ماذا  
التعويل . قلنا التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والزواج فإن الجبن مرض وهوضف في القلب  
سببه قصور في القوة وتغريب والتهور إفراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان  
وإنما السكالم في الاعتدال الذي يبرع به بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة عن نقصان  
العقل وتارة عن خلل في الزواج بتغريب أو إفراط فإن من اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجراءة قد  
لا يتفطن لمدارك الشر فيكون سبب جرمه جهله وقد لا يتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه  
جهله وقد يكون علما بحكم التجربة وللمارسة بمداخل الشر ودوافعه ولكن يعمل الشر البعيد فتخذه  
وتحليل قوته في الاندفاع بسبب ضعف قلبه ما يغفله الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع فلا التفات  
إلى الطرفين وعلى الجبان أن يتكافأ بإزالة الجبن بإزالة علته وعلته جهل أو ضعف وزول الجهل بالتجربة  
وزول الضعف بعمارة القبل الخوف منه تسكنا حتى يصير معادا إذ التبتدئ في النظرة والوعظ  
مثلا قد يجنب عنه طبعه لضعفه فاذا مارس واعتاد فأزعه الضعف فان صار ذلك ضروريا غير قابل للزوال  
بحكم اختيار الضعف على القلب فحكم ذلك الضعف يتبع حاله فيعذر كجاءد الرضى عن التقاعد عن  
بعض الواجبات ولذلك قد نقول على رأى لا يجب ركوب البحر لأجل حجة الاسلام على من شأب عليه  
الجبن في ركوب البحر ويجب على من لا يحظم خوفه منه فكذلك الأمر في وجوب الحسبة . فإن قيل  
المكروه المتوقع ماحده فان الانسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان التهنّب  
عليه في حقه بالنسبة وامان ضربه بالمعروف إلا ويتوقع منه نوع من الأذى وقد يكون منه أن  
يسعى إلى سلطان أو يتدفع فيه في مجلس يضرر بقدره فيه فاحذر للمكروه الذي يقطع الرجوب به .  
قلنا هذا أيضا فيه نظر فامان وصورته منتشرة وبجارية كثيرة ولكنا نجتهد في ضم نثره وحصر أقسامه  
فقول المكروه ترضى للطلوب ومطالب الخلق في الدنيا ترجع إلى أربعة أمور : أما في النفس فالعلم  
وأما في البدن فالصحة والسلامة . وأما في المال فالثروة . وأما في قلوب الناس فقيام الجاه ، فاذا اطلوب  
العلم والصحة والثروة والجاه ومعنى الجاه ملك قلوب الناس كأن معنى الثروة ملك الدراهم لأن قلوب  
الناس وسيلة إلى الأغراض كأن ملك الدراهم وسيلة إلى بلوغ الأغراض وسبب تحقيق معنى  
الجاه وسبب ميل الطبع إليه في ريع الهلكت وكل واحدة من هذه الأربعة يطلبها الانسان لنفسه  
ولأقاربه والمختصين به ويكره في هذه الأربعة أمران أحدهما زوال ما هو حاصل موجود والآخر  
امتناع ما هو منتظر مفقود أى اندفاع ما يتوقع وجوده فلا ضرر إلا في فوات حاصل وزواله أو تمويق  
منتظر فان النظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله ففوات إمكانه كأنه فوات  
حصوله فرفع للمكروه إلى تسمين أحدهما خوف امتناع للانتظر وهذا لا يبنى أن يكون مرصفا  
ترك الأمر بالمعروف أصلا . ولذكر مثاله في اللطاب الأربعة . أما العلم فمثاله ترك الحسبة على من  
يخص بأستاذة خوفا من أن يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه . وأما الصحة فتركه الانكار  
على الطبيب الذى يدخل عليه مثلا وهو لا يلبس حريرا خوفا من أن يتأخر عنه فيمتنع بسببه  
صحته المنتظرة . وأما المال فتركه الحسبة على السلطان وأصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة  
من أن يقطع إدارته المستقبل بترك مواساته . وأما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع  
منه نصرة وجهها في المستقبل خيفة من أن لا يحصل له الجاه أو خيفة من أن يقبح حاله

الجبن بسببها الرابطة  
فحسب وسائر أوقاته  
مشغولة بالذكر الواحد  
لا يتخللها شور ولا  
يوجد منه قصور ولا  
يزال يردد ذلك الذكر  
ملتزما به حتى في طريق  
الوضوء وساعة الأكل  
لا يفر عنه . واختار  
جماعة من الشايخ من  
الذكر كلمة لا إله إلا الله  
وهذه الكلمة لها  
خاصية في تنوير الباطن  
وجمع العلم إذا دام  
عليها صادق مخلص  
وهو من مواهب الحق  
لهذه الأمانة وفيها خاصة  
لهذه الأمة فيها حدثنا  
شيخنا ضياء الدين  
إسلام قال أنا  
أبو القاسم الدمشقي  
الحافظ قال أنا  
عبد الكريم بن  
الحسين قال أنا  
عبد الوهاب الدمشقي  
قال أنا محمد بن خريم  
قال ثنا هشام بن  
عمار قال ثنا الوليد  
ابن مسلم قال أنا  
عبد الرحمن بن زيد

عند السلطان الذي يتوقع منه ولاية وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة لأن هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررا مجاز وإنما الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يتحقق من هذا شيء إلا ما ندعو إليه الحاجة ويكون في فوائده محذور يزيد على محذور السكوت على التلصص إذا كان محتاجا إلى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم أن في تأخر مشقة الضيق به وطول المرض وقد يغضى إلى الموت وأعين بالظن الذي يجوز بمثله ترك استعمال الماء والعدول إلى التيمم فإذا انتهى إلى هذا الحد لم يعد أن يرضخ في ترك الحسبة وأما في العلم فمثل أن يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد إلا مملعا واحدا ولا قدرة على الرحلة إلى غيره وعلم أن الاحتساب عليه قادر على أن يسد عليه طريق الوصول إليه لكون العالم مطيعا له أو مستمعا لقوله ، فإذا الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على التلصص محذور ولا يبعد أن يرجع أحدهما ويغتفل ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة إلى العلم لتعلقه بمهمات الدين وأما في المال فكمن يسجد عن الكسب والسؤال وليس هو قوي النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه وانقرض في تحصيله إلى طلب ائدار حرام أو مات جوعا فهذا أيضا إذا اشتد الأمر فيه لم يعد أن يرضخ له في السكوت . وأما الجاه فهو أن يؤذيه شرير ولا يبدى سبيل إلى دفع شره إلا بإجاء يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل إليه إلا بواسطة شخص يلبس الحرير أو يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن واسطة وسيلة له فيمتنع عليه حصول الجاه ويدوم بسببه أذى الشرير فهذه الأمور كلها إذا ظهرت وقويت لم يعد استنساؤها ولكن الأمر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستقضي فيها قلبه وزن أحد المذهبين بالأخرى ويرجع بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع فإن رجح بموجب الدين سمى سكوته مداراة وإن رجح بموجب الهوى سمى سكوته مداهنة وهذا أمر باطن لا يطلع عليه إلا بنظر دقيق ولكن النافذ يصير فحق على كل متدين فيه أن يرأف قلبه ويعلم أن الله مطلع على باعته وصارفه أنه الدين أو الهوى ويستجد كل شيء ما عملت من سوء أو خير محضرا عند الله ولوفى فلة خاطر أو فلة ناظر من غير ظلم وجور فما انتظام للعيد . وأما القسم الثاني وهو فوات الحاصل فهو مكروه ومعتبر في جواز السكوت في الأمور الأربعة إلا العلم فإن فوائده غير مخوف إلا بتقصيره عنه وإلا فلا يقدر أحد على سلب العلم من غيره وإن قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال وهذا أحد أسباب شرف العلم فانه يدم في الدنيا ويدوم ثوابه في الآخرة فلا انقطاع له أبد الآباد . وأما الصحة والسلامة فتواتهما بالضرب فكل من علم أنه يضرب ضربا مؤلما يتأذى به إلى الحسبة لم ينزله الحسبة وإن كان يحسب عليه ذلك كما سبق وإذا فهم هذا في الإيلام بالضرب فهو في المرح والقطع والقتل أظهر . وأما الثروة فهو بأن يلم أنه تيب داره وخرب بيته وتسلب ثيابه فهذا أيضا يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستيجاب إذا بأس بأن يندى دينه بدنياء ولكل واحد من الضرب والتهب حد في القلة لا يكثر به كالحبة في المال واللطمة الخفيفة ألها في الضرب وحد في الكثرة يتبين اعتباره ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين أن يجتهد في ذلك ويرجع جانب الدين ما أسكن . وأما الجاه فقواته بأن يضرب ضربا غير مؤلم أو يسب على ملا من الناس أو يطرح منديله في رقبته ويدار به في البلد أو يسود وجهه ويطاف به وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو قاطع في الجاه ومؤلم للقلب وهذا له درجات فالصواب أن يقسم إلى ما جبر عنه بسقوط المروءة كالطواف به في البلد حاسرا حافيا فهذا يرضخ له في السكوت لأن المروءة مأمور بحفظها في الشرع وهذا مؤلم للقلب ألما يزيد على ألم ضربات متعددة وعلى فوات درجتهما قليلة فهذه درجة . الثانية ما جبر عنه بالجاهل الحسب وعلو الرتبة فإن الخروج في ثياب فاخرة تحمّل وكذلك الركوب بالخيول

عن أبيه أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال : رب أنشئ عن هذه الأمة المرحومة قال أمة محمد عليه الصلاة والسلام علماء أضياف أضياف حكام أضياف أضياف رضون مسي بالقليل من العطاء وأرضي منهم باليسير من العمل وأدخلكم الجنة بلا إله إلا الله يا عيسى هم أكثر سكان الجنة لأنهم لم يزلوا من قوم قط بلا إله إلا الله كما ذلت ألسنتهم ولم يزلوا رقاب قوم قط السجود كذلت رقابهم . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال إن هذه الآية مكتوبة في السوراة يا أيها النبي إننا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا المؤمنين وكفرا للمؤمنين أنت عبيد ورسول ميثاك التوكل ليس بخط ولا غليظ ولا صاحب في الأسواق

فلو علم أنه لو احتسب لكلف الشيء في السوق في ثياب لا يتباد هو متلها أو كلف الشيء راجلا وعادته الركوب فهذا من جملة اللزاي وليست للواظبة على حفظها محبودة وحفظها الروء محمود فلا ينبغي أن يستعطف وجوب الحسبة بمثل هذا القدر وفي معنى هذا ما لو خاف أن يتعرض له بالاسان إما في حضرة به بالتجهيل والتجهميق والنسبة إلى الرياء والبهتان وإما في غيبته بأشياء القبية فهذا لا يسقط الوجوب إذ ليس فيه إلا زوال فضلات الجاهة التي ليس إليها كبير حاجة ولو تركت الحسبة بلوم لأثم أو باغتيال فاسق أو شتمه وتوقيفه أو سقوط اللزلة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلا إذ لا تنفك الحسبة عنه إلا إذا كان للسكره والنية وعلم أنه لو أنكر لم يترك عن الكتاب ولكن أضافه إليه وأدخله معه في النية تحرم هذه الحسبة لأنها سبب زيادة الصبية وإن علم أنه يترك تلك النية ويتصر على غيبته فلا تجب عليه الحسبة لأن غيبته أيضا مصيبة في حق الكتاب ولكن يستحب له ذلك ليقضي عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الإتيار وقد دلت العمومات على تأكد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنها فلا يجازى إلا ما عظم في الدين خطره والمال والنفس والمروءة قد تظهر في الشرع خطرهما فأما زاي الجاه والحسبة ودرجات التجمل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطره . وأما امتناعه لحوف شيء من هذه المكاريه في حق أولاده وأقاربه فهو في حقه دونه لأن تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره ومن وجه الدين هو فوقه لأن له أن يباح في حقوق نفسه وليس له المساحة في حق غيره فإذا ينبغي أن يتمتع فانه إن كان ما يؤتى من حقوقهم بفوت على طريق المصيبة كالضرب والتهيب فليس له هذه الحسبة لأنه دفع منكر يرضى إلى منكر وإن كان يؤتى لا بطريق المصيبة فهو إيذاء للسلم أيضا وليس له ذلك إلا بإصرام فإذا كان يؤدي ذلك إلى أدى قومه فليتركه وذلك كالأزهد الذي له أقارب أغنياء فانه لا يخاف على ماله إن احتسب على السلطان ولكنه يقصد أقاربه اتقانا منه بواسطة فإذا كان يتعدى الأذى من حسبه إلى أقاربه وجيرانه فليتركها فإن إيذاء المسلمين محذور كما أن السكوت على السكر محذور ثم إن كان لا يتألمه أدى في مال أو نفس ولكن يتألمه الأذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات في تفاقمها ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدره في العرض . فان قيل فله قصد الإنسان قطع طرف من نفسه وكان لا يتمتع عنه إلا بقتال ربما يؤدي إلى قتله فهل يقاتل عليه فانه قاتل يقاتل فهو محال لأنه اهلاك نفس خوفا من اهلاك طرف وفي اهلاك النفس اهلاك الطرف أيضا . قلنا يمتنع عنه ويقال له إذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل العرض حمى سبيل المنكر والمصيبة وقتله في الحسبة ليس بمصيبة وقطع طرف نفسه مصيبة وذلك كقطع الصائل على مال مسلم بما يأتي على قتله فانه جائز لا على معنى أننا نغدي درهما من مال مسلم بروح مسلم فان ذلك محال ولكن قصد لأخذ مال المسلمين مصيبة وقتله في الدفع عن المصيبة ليس بمصيبة وإنما المقصود دفع المصاحي . فان قيل فلو علمنا أنه لو خلا بنفسه لقطع طرف نفسه فبئس أن تقتله في الحال حسب باب المصيبة . قلنا ذلك لا يسلم فبئس ولا يجوز سفك دمه بغيره مصيبة ولكننا إذا رأينا في حال مباشرة القطع دفناه فان قاتلنا قاتلنا . ولم ينال بما يأتي على روحه فإذا المصيبة لها ثلاثة أحوال : إحداهما أن تكون متصرفة بالقوة على ما تصرم منها أحد أو تميز وهو إلى الولا ولا إلى الآحاد . الثانية أن تكون المصيبة راهنة وصاحبها مباشر لها كلبس الحرير وأما سكه العود والخرق فباطل هذه المصيبة واجب بكل ما يمكن مالم تؤد إلى مصيبة أخفى منها أو شتمها وذلك يثبت للأحاد والبيعة الثالثة أن يكون المنكر متوقفا كالأذى يستند بكس المجلس وتزيينه وجمع الراحين لشرب الخمر وبدل من يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه إذ ربما يسوق عنه عائق فلا يثبت للأحاد سلطنة على العازم على الشرب

ولا يجزى بالسبب البينة  
ولكن يفو ويصنع  
لأن أفضه حتى تمام  
به الله للموجة بأن  
يقولوا لا إله إلا الله  
ويشتوا أعينا عما  
آذا ما صحوا فلو باغلفا  
فلا يزال اليد في خلوته  
ورد هذه التكملة على  
لسانهم موافاة القلب  
حق قصير السكعة  
متأصفي في القلب  
مزية لحديث النفس  
ينوب منها في القلب  
عن حديث النفس  
فاذا استوت السكعة  
وسهلت على اللسان  
يشترها القلب فلو  
سكت اللسان لم يسكت  
القلب ثم تجوهر في  
القلب وبجوهرها  
يستكن نور اليقين  
في القلب حتى إذا ذهب  
صورة الكلمة من  
اللسان والقلب لا يزال  
نورها متجوهرها ويتخذ  
الذكر مع رؤية  
عظمة المذكور سبحانه  
وتعالى وصير الذكر  
حيث ذكر القات

إلا بطريق الوعظ والصبح تأملاً بالتعنيف والقرب فلا يجوز للأحد وللإسلاط أن إذا كانت تلك المعية غلت منه بالمادة المستمرة وقد أقدم على السبب المؤدى إليها ولم يبق لحصول الحسبة إلا ما ليس له فيه إلا الانتظار وذلك كوقوف الأحداث على أبواب حمامات النساء للنظر إليهن عند الدخول والخروج فاتهم وإن لم يمشقوا الطريق لسعته فتجوز الحسبة عليهم بأقنعتهم من الوضع ومنعهم عن الوقوف بالتعنيف والضرب وكان تحقيق هذا إذا بحث عنه يرجع إلى أن هذا الوقوف في نفسه معصية وإن كان مقصد العاصي وراءه كما أن الخلوة بالأجنبية في نفسها معصية لأنها مظنة وقوع الحسبة وتحصيل مظنة الحسبة معصية ونفى بالمظنة ما يتعرض للانسان به لوقوع المعصية غالباً بحيث لا يقدر على الانكشاف عنها فإذا هو على التحقيق حسبة على معصية راحة لاطل معصية منتظرة .

### (الركن الثاني للحسبة ما فيه الحسبة)

وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للتحسب بغير تجسس معلوم كونه منكراً بغير اجتihad فلهذه أربعة شروط فليبحث عنها . الأول : كونه منكراً ونفى به أن يكون محدث الوقوع في الشرع وعدلتنا عن لفظ المعصية إلى هذا لأن المنكر أعم من المعصية إذ من رأى صبياً أو مجنوناً يشرب الخمر فعليه أن يريق خمره وعتمه وكذا إن رأى مجنوناً رزى بمجنونة أو بهيمة فعليه أن يعمه منه وليس ذلك لتناحش صورة الفحل وظهوره بين الناس بل لوصاف هذا المنكر في خلوة لوجب المنع منه وهذا لا يسمى معصية في حق المجنون إذ معصية لاعاصي بها محال لفظ المنكر أدل عليه وأعم من لفظ المعصية وقد أدرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تخص الحسبة بالكبار بل كشف المورة في الحام والخلوة بالأجنبية واتباع النظر للنساء الأجنبية كل ذلك من الصغائر ويجب التنبه عنها وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظرياً في كتاب التوبة . الشرط الثاني : أن يكون موجوداً في الحال وهو احتراز أيضاً عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فإن ذلك ليس إلى الأحاد وقد افترض المنكر واحتراز عما يسجد في ثاني الحال كن يعلم بقرينة حاله أنه عازم على التبر في ليلته فلا حسبة عليه إلا بالوعظ وإن أنكر عزمه عليه لم يجز وعظه أيضاً فإن فيه إساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على ما عزم عليه لما علق وليتبه للدقيقة التي ذكرناها وهو أن الخلوة بالأجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه . الشرط الثالث : أن يكون المتكسر ظاهراً للتحسب بغير تجسس : فكل من ستر معصية في داره وأغلق بابها لا يجوز أن يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف فيه مشهورة وقد أوردناها في كتاب آداب الصبغة وكذلك ما روي أن عمر رضي الله عنه تسلف في دار رجل فرآه على حالة مكروهة فأنكر عليه فقال يأمر المؤمنين أن كنتأنا قد عصيت الله من وجه واحد فأتت قد عصيته من ثلاثة أوجه فقال وما هي ؟ فقال قد قال الله تعالى ولا تجسسوا - وقد تجسست - وقال تعالى - وأتوا البيوت من أبوابها - وقد سورت من السطح . وقال - لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسألوا أهلها - وما سلمت فتركه عمر وشرط عليه التوبة ولذلك شاور عمر الصحابة رضي الله عنهم وهو على المنبر وسألم عن الإمام إذا عاهد نفسه منكراً فهل له إقامة الحد فيه ؟ فأشار على رضي الله عنه بأن ذلك منوط ببدلين فلا يكفي فيه واحد وقد أوردنا هذه الأخبار في بيان حق المسلم من كتاب آداب الصبغة فلا نبيدها فإن قلت فما حدة الظهور والاستتار . فاعلم أن من أغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه لتعرف المعصية إلا أن يظهر في الدار ظهوراً يعرفه من هو خارج الدار كما هو المألوف والمألوف إذا رغب بحيث جاز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر المألهي وكذا

وهذا الذكر هو للشاهدة والمكاشفة والمباينة أي ذكر الدات بتجوهر نور الذكر وهذا هو للقص الأتقى من الخلوة وقد يحصل هذان الخلوة لا يذكر الكلمة بل بتلاوة القرآن إذا أكثر من التلاوة واجتهد في مواظاة القلب مع اللسان حتى تجرى التلاوة على اللسان ويقوم معنى الكلام مقام حديث النفس فيدخل على العبد سهوة في التلاوة والصلاة ويتور الباطن بتلك السهولة في التلاوة والصلاة ويتجوهر نور الكلام في القلب ويكون منه أيضاً ذكر الدات ويجمع نور الكلام

إذا ارتفعت أصوات السكاري بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمي أهل الشوارع فهذا إظهار موجب للحسية فاذن إنما يدرك مع غلغل الحيطان صوتاً ورأحة فإذا طاحت روائح الحجر فإن احتمل أن يكون ذلك من الجوار المحترمة فلا يجوز قصدها بالإرافة وإن علم بقرينة الحال أنها طاحت لتعاطبهم الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحبس وقد تستر قارورة الحجر في السك وتحت الدليل وكذلك للاله فإذا رأى قاسق وتحت ذيله سم لم يجوز أن يكشف عنه ما يظهر بسلامة خاصة فإن فسدت لا يدل على أن الذي منه مخر إذا القاسق محتاج أيضاً إلى الحلق وغيره فلا يجوز أن يستدل باخفائه وأنه لو كان حلالاً أخافه لأن الأغراض في الإخفاء مما تستكر وإن كانت الرائحة فاقحة فهذا محل النظر والظاهر أن له الاحتساب لأن هذه علامة تخيد الظن والظن كالمعلم في أمثال هذه الأمور وكذلك العود ربما يعرف بشكله إذا كان الثوب الساتر له رقياً فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالاته فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد أمرنا بأن نستمر الله وتسكر على من أبدي لنا صفته والإبداء له درجات فآخرة يبدو لنا بحاسة السمع وآخرة بحاسة الشم وآخرة بحاسة البصر وآخرة بحاسة اللمس ولا يمكن أن نخفى ذلك بحاسة البصر بل للراد العالم وهذه الحواس أيضاً تخيد العلم فاذن إنما يجوز أن يكرس ما تحت الثوب إذا علم أنه حر وليس له أن يقول أنا أعلم ما فيه فإن هذا نجس ومعنى التجسس طلب الأمارات للرقعة فالأمارات الرقعة إن حصلت وأورثت للرقعة جاز العمل بمقتضاها فأما طلب الأمارات للرقعة فلا رخصة فيه أصلاً. الشرط الرابع أن يكون كونه منكراً معلوماً بغير اجتihad فكل ما هو في محل الاجتهاد فالحسية فيه فليس للحنف أن ينسكروا على الشافعي أكله الضب والضبج ومتروك التسمية ولا للشافعي أن ينسكروا على الحنفى شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناولهم ميراث ذوى الأرحام وجلوته في دار أخذها بشعة الجوار إلى غير ذلك من مجاري الاجتهاد ثم لو رأى الشافعي شافياً يجرى التمييز ويحكم بلاولى وطأ زوجته فهذا في محل النظر والأظهر أن له الحسية والانسكار إذ لم يشهد أحد من المصلين إلى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتihad غيره ولا أن الله أذى اجتihadه في التقليد إلى شخص رآه أفضل العلماء أن له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب أطيبها عنه بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فاذن مخالفته للقلد متفق على كونه منكراً بين المصلين وهو عاص لمخالفة إلا أنه يلزم من هذا أمر أغضض منه وهو أنه يجوز للحنفي أن يترضى على الشافعي إذا نسكس فيروى بأن يقول له الفصل في نفسه حق ولكن لا في حقك فأنت مبطل بالأقدام عليه مع اعتقادك أن السوابب مذهب الشافعي ومخالفة ما هو سوابب عندك معصية في حقك وإن كانت سوابب عند الله وكذلك الشافعي يحسب على الحنفى إذا شاركه في أكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له إما أن تعتقد أن الشافعي أولى بالاتباع ثم تقدم عليه أولاً فتعد ذلك فلا تقدم عليه لأنه على خلاف معتقدك ثم ينجر هذا إلى أمر آخر من المحسوسات وهو أن يجمع الأحم مثلاً أمراً على قصد الزنا وعلم المختص أن هذه امرته زوجه أو غيره إيهافى صفته ولكنه ليس يدرى ويحجز عن تعريفه ذلك لخصمه أو لكونه غير عارف بلفظه فهو في الأقدام مع اعتقاده أنها أجنبية عاص ومما يقب عليه في الدار الآخرة فينبى أن يمنحها عنه مع أنها زوجته وهو يبعد من حيث إنه حلال في علم القريب من حيث إنه حرام عليه بحكم غلظه ولا شك في أنه لو علق طلاق زوجته على صفة في قلب المختص مثلاً من مشيئة أو غضب أو غير موقوفة وجدت الصفة في قلبه ويحجز عن تعريف ذلك ولكن وقوع الطلاق في الباطن فإذا رآه يجمعها فله التمتع أغنى الناس لأن ذلك زنا إلا أن الزاني غير عالم بالمختص عالم بأنها طاقته مثلاً ولا يكونهما غير عاصين لجهلها بما يوجد الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكراً ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون

في القلب مع مطالعة  
عظمة التكلم سبحانه  
وقال وبدون هذه  
للحسية ما يفتح على  
العبد من العلوم  
الإلهامية القدسية وإلى  
حين بلوغ العبد هذا  
البلغ من حقيقة الذكر  
والآخرة إذا صفا بطله  
قد يقب في الذكر من  
كمال أنه وحلاوة  
ذكره حتى يتحقق في  
غيبته في الذكر بالنام  
وقد تتجلى له الحقائق  
في لبسة الخيال أولاً  
كما تنكشف الحقائق  
لثانم في لبسة الخيال  
كن رأى في المنام أنه  
قتل حبة فيقول له  
المبرنظف والمعدوظففره  
بالسدو هو كشف  
كاشفه الحق تعالى به  
وهذا الظفر روح  
مجرد صاغ ملك الرؤيا  
له جسدا لهذا الروح

وقديتنا لا يمنع منه فإذا كان يمنع مجاهو منكرو عند اقوالهم لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو عاصي بل منظر الجهل فيهم من عكس هذا أن يقال الما ليس ينكر عند الله إنما هو منكرو عند الفاعل لجهله لا يمنع منه وهذا هو الأظهر والمعم عند الله ، فتحصل من هذا أن الحنفى لا يترضى على الشافعى في النكاح بل لا يرى أن الشافعى يترضى على الشافعى فيه لكون المترضى عليه منكرا بائنا الحسب والمهتنب عليه وهذه مسائل قديمة دقيقة والاحتمالات فيها متعارضة وإنما أقنينا فيها بحسب ما ترجع عندنا في الحال ولنا قطع خطأ ترجيح المخالف فيها إن رأى أنه لا يجرى الاحتساب إلا في معلوم على القطع وقد ذهب إليه مذهبهم وقالوا لاحسبة إلا في مثل الحر والحرزير وما يقطع يكون حراما ولكن الأجيح عندنا أن الاجتهاد يؤثر في حق المجتهد إذ يعطاه البعد أن يجتهد في القبة ويترف بظهور القبة عنده في جهة بالاحتمالات الخفية ثم يستدبرها ولا يمنع منه لأجل ظن غيره لأن الاستدبار هو الصواب ورأى من يرى أنه يجوز لكل مقلدان يختار من المذهب ما أراد غير معتد به ولله لا يصح ذهاب ذهاب إليه أصلا فهذا مذهب لا يثبت وإن ثبت فلا يعتد به . فان قلت إذا كان لا يترضى على الحنفى في النكاح بل لا يرى أنه حق فينبى أن لا يترضى على المذنب في قوله إن الله لا يرى وقوله وإن الحر من الله والشر ليس من الله وقوله كلامه مخلوق ولا طم الحشوى في قوله إن الله تعالى جسم وله صورة وإنه مستقر على العرش بل لا ينبى أن يترضى على القسطنطيني في قوله الأجساد لا يثبت وإتباعه النفس لأن هؤلاء أعدى اجتهادهم إلى ما قالوه وموم يظنون أن ذلك هو الحق . فان قلت بطلان مذهب هؤلاء ظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح أصا طاهر وكاتبه بظواهر النصوص أن الله تعالى يرى بالمعزى ينكرها بالتأويل فكذلك ثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفى كسب النكاح بل لا يرى وسلة شعبة الجوار ونظائرهما . فاعلم أن للسائل تقسم إلى ما يتصور أنه يعل فيه كل عهده مصيب وهى أحكام الأفعال في الحل والحرمه وذلك هو الذى لا يترضى على المجتهدين فيه إذ ليس خطأهم قطعا بل لنا وإلى ما لا يتصور أن يكون الصيب فيه إلا واحد كسب الرؤية والقدر وقدم الكلام ونفى الصورة والجسمه والاستقرار عن الله تعالى فهذا مما يعلم خطأ المخطئ فيه قطعا ولا يبقى لحطه الذى هو جمل عيش وجهان البدع كلها ينبى أن تحسم أبوابها وتنحصر على البدعين بدعهم وإن اعتقدوا أنها الحق كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وإن كانوا يعتقدون أن ذلك حق لأن خطايم معلوم على القطع بخلاف المخطئ في مظان الاجتهاد . فان قلت فهما اعترضت على القدري في قوله الشر ليس من الله اعترض عليك القدري أيضا في قولك الشر من الله وكذلك في قولك : إن الله يرى وفي سائر المسائل إذ البدع حق عند نفسه والحق مبتدع عند البدع وكل يدعى أنه حق وينكر كونه مبتدعا فكيف يتم الاحتساب . فاعلم أن الأجل هذا التعارض هول ينظر إلى البلدة التى فيها أظهرت تلك البدعة فإن كانت البدعة فرية والناس كلهم على السنة فلمهم الحسبة عليه بغير إذن السلطان وإن اقسم أهل البلد إلى أهل البدعة وأهل السنة وكان في الاعتراض تحريك فتنة بالقائمة فليس للأحد الحسبة في المذهب إلا بنصب السلطان فإذا رأى السلطان رأى الحق ونصره وأذن لواحد أن يزجر البدعة عن إظهار البدعة كان له ذلك وليس قهره فان ما يكون باذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة الآحاد فيقابل الأمر فيه وعلى الجملة فالحسبة في البدعة أهم من الحسبة في كل التنكرات ولكن ينبى أن يراعى فيها هذا التفصيل الذى ذكرناه كيلا يتقابل الأمر فيها ولا يتجر إلى تحريك الفتنة بل لو أذن السلطان مطلقا في منع كل من يصرح بأن القرآن مخلوق أو أن الله لا يرى أو أنه مستقر على العرش مما له وأغير ذلك من البدع لتسلط الأحاد على النعم منه ولم يتقابل الأمر فيه وإنما يتقابل عند عدم إذن السلطان قط .

من خيال الحسبة فالروح الذى هو كشف النظر أخبار الحق وليمة الخيال الذى هو بمثابة الجسد مثال انبث من قس الرأى في التام من استصحاب القوة الوهية والخيالية من القطة فيتألف روح كشف النظر مع جسد مثال الحسبة فافتقر إلى التعبير إذ لو كشف بالحقيقة التى هى روح النظر من غير هذا المثال الذى هو بمثابة الجسد ما احتاج إلى التعبير فكان يرى النظر ويصح النظر وقد يتجرده الخيال باستصحاب الخيال والوهم من القطة في التام من غير حقيقة فيكون التام أمتن أحلام لا يبر وقد يتجرده

## (الركن الثالث : الحتسب عليه)

وشرطه أن يكون بصفة صبر العقل المتنوع منه في حقه منكرا أو قائل ما يكفي في ذلك أن يكون إنسانا ولا يشترط كونه مكلفا إذ بينا أن الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وإركان قبل البلوغ ولا يشترط كونه نبيزا إذ بينا أن المجنون لو كان زني بمجنونة أو بآثي بهيمة لوجب منه منة نعم من الأفعال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره . ولكننا لسنا نلتفت إلى اختلاف التفاصيل فإن ذلك أيضا مما يختلف فيه القوم والسافر والريض والصحيح وغرضنا الإشارة إلى الصفة التي بها نبينا توجه أصل الإنكار عليه لا ما بها نبينا للتفاصيل . فإن قلت فاكفف بكونه حيوانا ولا تشترط كونه إنسانا فإن البهيمة لو كانت تفسد زرا لا تسان لكانت نخمها منه كاتنوع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة . فاعلم أن تسمية ذلك حسيبة لا وجه لها إذ الحسيبة عبارة عن النع عن منكر لحق الله صيانة للمنعوع عن مفارقة المنكر ومنع المجنون عن الزنا وإتيان البهيمة لحق الله وكذا منع الصبي عن شرب الخمر والانسان إذا أنلف زرع غيره منع من الحقيق : أحدها حق الله تعالى فإن فعله محبة والثاني حق الملقف عليه فهما علتان تنصل إحداهما عن الأخرى فلو قطع طرف غير ما بذته قد جردت المحبة وسقط حق الملقف عليه ناذنه فنثبت الحسيبة والنعم بإحدى العلتين والبهيمة إذا أنلفت فقد عدمت المحبة ولكن يثبت للنعم بإحدى العلتين ولكن فيه دققة وهو أن لنا قصدا خارج البهيمة منع البهيمة بل حفظ المال مسلم إذ البهيمة لو أكلت ميتة أو شربت من إناء فيه خمر أو ماء مشوب بغير لم تمنعها منه بل يجوز إطعام كلاب الصيد الجيف والميتات ولكن مال المسلم إذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا حفظ المال بل لو قصت جرة لسان من علو وتحتها قارورة لغيره قد دفع الجرة لحفظ القارورة لا لنزع الجرة من السقوط فانا لا قصد منع الجرة وحراسها من أن تصير كاسرة للقارورة ونمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبي لأحياته لبهيمة المأثية أو الخمر المشروب بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر ونزولها له من حيث إنه إنسان محترم بهذه لطائف دققة لا يتفطن لها إلا المحققون فلا ينبغي أن يفتل عنها ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر إذ قد يتردد في منعهما من ليس الحرير وغير ذلك ويستعرض لما نثير إليه في الباب الثالث . فإن قلت فسل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع إنسان فهل يجب عليه إخراجها وكل من رأى مال المسلم أشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه . فإن قلت إن ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي إلى أن يصير الإنسان مسخرا لغيره طول عمره وإن قلتم لا يجب فلهي الاحتساب على من نصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير . فنقول : هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه أن نقول مهما قدر على حفظه من الضياع من غير أن يثاله تعب في بدنه أو ضرر إن ماله أو نقصان في جاهه وجب عليه ذلك فذلك التقدير واجب في حقوق المسلم بل هو أقل درجات الحقوق والأداة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة وهذا أقل درجاتها وهو أولى بالإيجاب من رد السلام فإن الأدنى في هذا أكثر من الأدنى في ترك رد السلام بل لا خوف في أن مال الإنسان إذا كان ضييع ينظم ظام وكان عنده شهادة أو توكيها لارجع الحق إليه وجب عليه ذلك وعسى بكتان الشهادة في معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لأمر على الدافع فيه فأما إن كان عليه تعب أو ضرر في مال أوجاه لم يلزمه ذلك لأن حقه مرعى في منفعة بدنه وماله واجهه كحق غيره فلا يلزمه أن يبدى غيره بنفسه نعم الإيثار مستحب وتغنيم المصاعب لأجل المسلمين قربة فأما إيجها فلا فاذن إن كان يتبع بإخراج البهائم عن الزرع يلزمه السعي في ذلك ولكن إذا كان لا يتعب بتبنيه صاحب الزرع من نومه أو بأعلامه يلزمه ذلك فاهل تعريفه وتنبيهه كأهله تعريف القاضي بالشهادة وذلك لأخضة فيه ولا يمكن أن يراعى فيه الأقل والأكثر حتى يقال

لصاحب الحلوة الخيال  
اللبث من ذاته من  
غير أن يكون وعاء  
لحقيقة فلا يبقى على  
ذلك ولا يلتفت إليه  
فليس ذلك واقعة وإنما  
هو خيال فأما إذا غاب  
الصادق فيه ذكر الله  
تعالى حتى يشيب عن  
المحسوس بحيث لو  
دخل عليه داخل من  
الناس لا يعلم به لينته  
في الذكر فندد ذلك قد  
ينبت في الابتداء من  
تسبه مثال وخيال  
ينفع فيه روح  
الكشف فإذا عاين  
غيبته فلما يأتيه خبره  
من باطنه موهبة من  
الله تعالى ولما بشره  
له شيئا كما يبر للمبر  
النائم ويكون ذلك  
واقعة لأنه كشف  
حقيقة في لبسة مثال  
وشرط صحة الواقعة

إن كان لا يصح من منفعة في مدة اشتغاله بأجراح البهائم إلا قدر درهم مثلا وصاحب الزرع يفتنه مال كثير فيترجم جانبته لأن الدرهم الذي له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الألف حفظ الألف ولا يصيل المصير إلى ذلك فأما إذا كان قوات المال بطريق هومعية كان نصب أو قتل عبد مملوك فليس بهذا يجب المنع وإن كان فيه تب ما لأن للقصور حق الشرع والفرض دفع العصية وعلى الإنسان أن يتب نفسه في دفع العاصي كما عليه أن يتب نفسه في ترك العاصي والعاصي كلها في تركها تب وإنما الطاعة كلها ترجع إلى مخالفة النفس وهي غاية التتب ثم لا يلزم احتمال كل ضرر بل الفصل فيه كما ذكرناه من درجات المهدورات التي تخافها المحاسب وقد اختلف الفقهاء في مثلين تقر بان من غرضنا إحداها أن الالتقاط هل هو واجب والنقطة ضامة واللتقط مانع من الضياع وساع في الحفظ والحق فيه عندنا أن فصل ويقال إن كانت اللقطة في مواضع لو تركها فيه لتضع بل يلتقطها من يعرفها أو تركها كالوكان في مسجد أو رباط يتعين من بدخله وكلهم أمان فلا يلزم الالتقاط وإن كانت في مضربة نظر فإن كان عليه تب في حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج إلى علف وإصطبل فلا يلزم ذلك لأنه إنما يجب الالتقاط لحق المالك وحقه بسبب كونه إنسانا محترما وللتلصص أيضا إنسان وله حق في أن لا يتب لأجل غيره كما لا يتب غيره لأجله فإن كانت ذهباً أو ثوبا أو شيئا لأضرار عليه فيه إلا مجرد تب التعريف فهذا ينبغي أن يكون في محل الوجهين فقال يقول التعريف والقيام بشرطه فيه تب فلا سبيل إلى إفرامه ذلك إلا أن يتبرع فيلتزم طلبا للثواب وقالا يقول : إن هذا القدر من التتب مستغفر بالإضافة إلى مراعاة حقوق المسلمين فيتلزم هذا منزلة تب الشاهد في حضور مجلس الحكم فانه لا يلزم السفر إلى بلدة أخرى إلا أن يتبرع به فإذا كان مجلس القاضي في جواره لزمه الحضور وكان التتب بهذه الخطوات لا يعد تبعا في غرض إقامة الشهادة وأداء الأمانة وإن كان في الطرف الآخر من البلد وأجوج إلى الحضور في المواجهة وشدة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظران الضرر الذي يبال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في أنه لا يبال به وطرف في الكثرة لا يشك في أنه لا يلزم احتماله ووسط يتجاهله الطرفان ويكون أمدا في محل الشبهة والنظر وهي من الشبهات الزمنية التي ليس في مقدور البشر إزالتها إذ لأعلة نمرق بين أجزائها التقابلية ولكن لننقي نظرها لنفسه وبدع ما يريه إلى ما لا يريه ، فهذا نهاية الكشف عن هذا الأصل .

#### (الركن الرابع : نفس الاحساب)

وله درجات وآداب أما الدرجات فأولها التعرف ثم التعريف ثم التنبه ثم السبب والتعريف ثم التنبه باليد ثم التهديد بالضرب ثم إتياع الضرب وتحقيقه ثم نشر السلاح ثم الاستعظام فيه بالأعوان وجمع الجنود . أما الدرجة الأولى وهي التعرف ونعني به طلب المعرفة بجريان السكر وذلك منهى عنه وهو التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي أن يترقى السمع على دار غيره أو يسمع صوت الأتار والآن يستفتش ليدرك راحة آخر ولأن نفس مافي توبه ليعرف شكل الزمار ولأن يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره نعم لو أخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بأن فلان يشرب الخمر في داره أو بأن في داره خرا أعده للشرب فله إذ ذاك أن يدخل داره ولا يلزم الاستئذان ويكون تخطي ملكه بالدخول للتوصل إلى دفع السكر كسر رأسه بالضرب للمنع مهما احتاج إليه وإن أخبره عدلان أو عدل واحد وبالجملة كل من تقبل روايته لاشهادته في جواز الهجوم على داره بقوله لم فيه نظر واحتمال الأولى أن ينتج لأن له حقا في أن لا يتخطى داره بغير إذنه ولا يستحق حق السلم عما ثبت عليه حقه إلا بشاهدين فهذا أولى ما يجمل مردا فيه . وقد قيل إنه كان نفي حاتم إسماعيل السمر لما عاينت أحسن من إداعة ما ظننت.

الإخلاص في الذكر أولا  
ثم الاستغراق في الذكر  
ثانيا وعلامة ذلك  
الزهد في الدنيا وملازمة  
التقوى لأن الله جملة  
بما يكشف به في واقعة  
مورد الحكماء والحكمة  
تحكم بالزهد والتقوى  
وقد يتجرّد للذاكر  
الحقائق من غير لبسة  
المثال فيكون ذلك  
كشفاً وإخباراً من الله  
تعالى بإياه ويكون ذلك  
تارة بالروية وتارة  
بالسمع ومديس من  
باطنه وقد يطرّق ذلك  
من الهواء لا من باطنه  
كالهوائف يعلم بذلك  
أمرا يريد الله إحداها  
ه أو لغيره فيكون  
إخبار الله بإياه بذلك  
مزبدا ليقينه أو يرى  
في التام حقيقة الشيء .  
خل عن بعضهم أنه  
آتي جبراب في قسح



الدرجة الثانية : التعريف فان النكر قد يقدم عليه التقدم بجهله وإذ اعرف أنه متذكر تركه كالوادی يصل ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم أن ذلك لجهله بأن هذه ليست بصلاة ولورضى بأن لا يكون مصليا ترك أصل الصلاة فيجب تعريفه بالاطف من غير عنف وذلك لأن ضمن التعريف نسبة إلى الجهل والحق والتجديد إبداء وقلم يرضى الإنسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمور لاسيما بالشروع ولذلك ترى الذي يظلم عليه الغضب كيف يضبط إذاذبه على الخطأ والجهل وكيف يجتهد في جملة الحق بعد معرفته خيفة من أن تتكشف عورة جهله والظلم أحرم على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية ، لأن الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السوءاتين يرجع إلى صورة البدن والنفس أشرف من البدن وقبحها أشد من قبح البدن ثم هو غير ملوم عليه لأنه خلق لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا في اختياره إزالته وتحسينه والجهل قبح يمكن إزالته وتبديله بحسن العلم فذلك ينظم تأمل الإنسان بظهور جهله ويظم إتيانه في نفسه بملء ثم لفته عند ظهور جمال علمه لتبره وإذا كان التعريف كشفا للمورة مؤذيا للقلب فلا بد وأن يعلم دفع أذاه بلطف الرفق فنقول له إن الإنسان لا يولد عالما ولقد كنا أيضا جاهلين بأمور الصلاة فقلنا العلماء ولعل قربتنا خالية عن أهل العلم أو علمنا متعسر في شرح الصلاة وإيضاحها إنما شرط الصلاة الطمأنينة في الركوع والسجود وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء فان إيذاء السلم حرام محذور كما أن تضرره على النكر محذور وليس من العقلاء من يسئل السلم باللهم أو بالبول ومن اجتبى محذور السمكوت على النكر واستبدل عنه محذور الإيذاء للسلم من الاستثناء عنه فقد غسل الله بالبول على التحقيق ، وأما إذا وقعت على خطأ في غير أمر الدين فلا ينبغي أن ترده عليه فانه يستفيد من علمه ويصلح عدواً إلا إذا علمت أنه يضمن ذلك عزز جدا . الدرجة الثالثة : التي نعوذ والنصح والتخويف بالله تعالى وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكرا أو فيمن أصر عليه بعد أن عرف كونه منكرا كالأدي بواظب على الشرب أو على الظلم أو على اغتيايب للسلمين أو ما يجري مجراه فينبئ أن يعظ ويخوف بالله تعالى وتورد عليه الأخبار الواردة بالعيد في ذلك وتحكي له سيرة السلف وعبادة التقيين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر إليه نظر الترحم عليه ويرى إقدامه على الصبة معصية على نفسه إذ السلوك كنفس واحدة ، وهنا آفة عظيمة يبنى أن يتوفاها فانها مهلكة ، وهي أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذله غيره بالجهل فربما يقصد بالتعريف الإذلال وإظهار التميز بصرف العلم وإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل فان كان الباعث هذا فهذا النكر أقيح في نفسه من النكر الذي يترضى عليه ، ومثال هذا المحتسب مثال من غلبت عليه من النار باحراق نفسه وهو غاية الجهل ، وهذه مذلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان يشل بجهله كل إنسان إلا من عرفه الله عبود نفسه وقبح بصيرته بنور هدايته فان في الاحتكام على التعريف للنفس عظيمة من وجهين : أحدهما من جهة دالة العلم والآخر من جهة دالة الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع إلى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الحفية الداعية إلى الشترك الخفى وله حكم وميعار يبنى أن يتبين المحتسب به نفسه وهو أن يكون امتناع ذلك الإنسان عن النكر نفسه أو باحتساب غيره أحب إليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحجة شاقة عليه تقبله على نفسه وهو د أن يكفى بغيره فلا يحتسب فان باعته هو الدين وإن كان اتماط ذلك العاصي وعظه وإن جازاه بزجره أحب إليه من اتماطه ويعط غيره فاهو إلا متبع هو نفسه ويتوسل إلى إظهار جاه نفسه بواسطة حسبه فليق الله تعالى وليحتسب أولا على نفسه وعند هذا يقال ما قبل لمبى عليه السلام

فوضعه من يده وقال قد حدثت في العالم حدث ولا أشرب هذا دون أن أعلم ماهو فأنكشف له أن قوما دخلوا مكة ولوا فيها . وحكى عن أبي سليمان الحارثي قال كنت راكبا حمارا لي يوما وكان يؤذيه القباب فيطأطأ رأسه فكنت أضرب رأسه بخشبة كانت في يدي فرفع الحمار رأسه إلى وقال اضرب فانك على رأسك تضرب قبله يا أبا سليمان وقع لك ذلك أو سمعته فقال سمعته يقول كما سمعته . وحكى عن أحمد بن عطاء الوردباري قال كان لي مذهب في أمر الطهارة فكنت لقة من اللبالي أستعصي إلى أن مضى ثلث الليل

يا ابن مريم عظم نفسك فان المظت فقط الناس والافلاحتى منى ، وقبل لداود الطاق رحمه الله : رأيت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر فقال أخاف عليه السوط قال إنه يتوى عليه قال أخاف عليه السيف قال إنه يتوى عليه قال أخاف عليه الهاء الدفين وهو العجب .  
 الدرجة الرابعة : السب والتشفي بالقول القالب الحشن وذلك يعدل إليه عند العجز عن اللع بالالطف وظهر مبادئ الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول إبراهيم عليه السلام - أفلكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون - ولما نفى بالسب القبح بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدماته ولا الكذب بل أن يخاطبه بما فيه عملا بعد من جملة المعش كقوله يا فاسق يا أحق يا جاهل لا تخاف الله وكقوله يا سوادى ياغى وما يجرى هذا الجرى فان كل فاسق فهو أحق وجاهل ولو لا حقه لما عصى الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو أحق والكيس من شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسكاسة حيث قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها ونفى على الله »<sup>(١)</sup> وهذه الرتبة أديان : أحدها أن لا يقدم عليها إلا بعد الضرورة والعجز عن اللطف . والثانى أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل عملا يحتاج إليه بل يقتصر على قدر الحاجة فان علم أن خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزجره فلا ينبغي أن يطلقه بل يقتصر على إظهار الغضب والاستعجال له والازدراء عمله لأجل معصيته وإن علم أنه لو نكض ضرب ولوا كفه وأظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الإنكار بالقلب بل يلزمه أن يقطب وجهه ويظهر الإنكار له . الدرجة الخامسة : التخيير باليد وذلك ككسر اللامى وإزافة الحجر وخلع الحرير من رأسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير وإخراجه من الدار للصوبة بالجر برجله وإخراجه من المسجد إذا كان جالسا وهو جنب وما يجرى مجراه ويتصور ذلك فى بعض المعاصى دون بعض ، فأما معاصى اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس المعاصى وجوارحه الباطنة ، وفي هذه الدرجة أديان : أحدها أن لا يباشر بيده التغيير ما لم يجز عن تكليف الحشوب عليه ذلك فإذا أمكنه أن يكلفه الله فى الخروج عن الأرض المقصودة فلا ينبغي أن يدفعه أو يجره وإذا قدر عن أن يكلفه إزافة الحجر وكسر اللامى وحل دروز توب الحرير فلا ينبغي أن يباشر ذلك بنفسه فان فى الوقوف على حد الكسر نوع عسر فإذا لم يتعاط بنفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لاجرح عليه فى فعله . الثانى أن يقتصر على طريق التغيير على القدر المحتاج إليه وهو أن لا يأخذ بعينيه فى الإخراج ولا يرجه إذا قدر على جره بيده فان زيادة الأذى فيه مستغنى عنه وأن لا يمزق توب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يحرق اللامى والصليب الذى أظهره النصارى بل يظلم صلاحيتها للفساد بالكسر وحد الكسر أن يصير إلى حالة تحتاج إلى استئاف إصلاحه إلى تمس يدوى تعب الاستئاف من الحشوب ابتداء وفى إزافة الجوار يتوق كسر الأذى إن وجد إليه سبيلا فان لم يقدر عليها إلا بأن يرى ظروفا يحجره ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الحجر إذ صار حالاً بينه وبين الوصول إلى إزافة الحجر ولو ستر الحجر بيده لكننا نقصد بدنه بالجرح والضرب لتوصل إلى إزافة الحجر فافان لا تزيد حرمة ملكه فى الظروف على حرمة نفسه ولو كان الحجر فى قوارىض رقيقة الروس ولو اشتغل بارتقاها طال الزمان وأدركه المساق ومنعوه فله كسرهما فهذا عذر وإن كان لا يحذر ظفر الصاق به ومنعهم ولكن كان يضيع فى زمانه وتمتعل عليه أمثاله أنه أن يكسرها فليس عليه أن يضيع منفعته بدنه وغرضه من أمثاله

ولم يبطقنى تضجرت  
 فبكيت وقلت يارب  
 العفو سمعت صوتا ولم  
 أر أحدا يقول  
 يا أبا عبد الله العفو فى  
 العلم وقد يكشف الله  
 تعالى عبده بآيات  
 وكرامات تربية للعبد  
 وتبوية لبقينه وإيتانه  
 قيل كان عند جعفر  
 الخدى رحمه الله فص  
 له قبة وكان يوما من  
 الأيام راكباً فى السارية  
 فى دجلة فهم أن يعطى  
 السلاح فطاعة وحل  
 الحرقه فوق العصى فى  
 الدجلة وكان عنده  
 دعاء للضالة محروب كان  
 يدعوه فوجد المعنى  
 فى وسط أوراق كان  
 يتصفحها والدعاء هو  
 أن يقول يا جامع الناس  
 ليوم لا ريب فيه اجمع  
 على ضائعى . وممت  
 شيخنا بهمدان حكى

(١) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذى وقال حسن وابن ماجة من حديث شداد بن أوس .

لأجل ظروف المحروم كانت الأراقة منيرة بلا كسر فكسره لزمه الضمان . فان قلت فهلا جاز  
الكسر لأجل الضرر وهلا جاز الجربا لرجل في الأخراج عن الأرض للتسوية ليكون ذلك أبلغ في الضرر .  
فاعلم أن الضرر إنما يكون عن المستقبل والمقوية تكون على الماضي والدفع على الحاضر الراهن وليس  
إلى أحاد الرعية إلا الدفع وهو إعدام للسكر فإزاد على قدر الإعدام فهو إعاقة على جريمة سابعة  
أو زجر عن لاحق وذلك إلى الولاة إلى الرعية . نعم الوالي له أن يفعل ذلك إذا رأى الصلح فيه . وأقول  
له أن يأمر بكسر الظروف التي فيها المحور زجرا وقد فعل ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
تأكيذا للزجر (١) ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة إلى الزجر والقطام عديبة فإذا رأى الوالي  
باجتهاد مثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك وإذا كان هذا منوطا بنوع اجتihad دقيق لم يكن ذلك لأحاد  
الرعية . فان قلت : فليجزر للسلطان زجر الناس عن المعاصي بآلاف أموالهم وتخريب دورهم التي فيها  
يسربون ويصون وإحراق أموالهم التي بها يتوصلون إلى المعاصي . فاعلم أن ذلك لو ورد الشرع به لم  
يكن خارجا عن سنن الصالح ولكن لا ينتمى الصالح بل تتبع قبرا وكسر ظروف المحر قد ثبت عند  
عدة الحاجة وتركه بمد ذلك لهدم عدة الحاجة لا يكون نسخا بل الحسب بزل ووال العبد يعود بدورها  
وإنما جاز ذلك للامام بحكم الاتباع ومنعنا أحاد الرعية من تخلف وجه الاجتهاد فيه بل قد ولو أقرت  
المحور أو لا يجوز كسر الأواني بدها وإنما جاز كسرها بما لا يضرها فإذا خلت عنها فهو إتلاف مال إلا أن  
تكون ضاربة بالخطر لتصلح إلى الإله فكن القفل للثقل عن العصر الأول كان مقرونا بمعتين : أحدهما  
شدة الحاجة إلى الزجر والآخرية الظروف للخطر التي هي مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لا سبيل  
إلى حذفها ومعنى ثالث وهو صدوره عن رأى صاحب الأمر ليه بشدة الحاجة إلى الزجر وهو أيضا  
مؤثر لا سبيل إلى إلتائه فهذه تصرفات دقيقة تهيئ غناج المحتسب لاحتالة إلى معرفتها . الدرجة السادسة  
التهديد والتخوف كقوله مع عنك هذا أو لا كسر رأسك أو لأضربن رقبتك أو لأمرن بك  
وما أشبه وهذا ينبغي أن يقدم على تحقيق الضرب إذا أمكن تهديحه والأدب في هذه الرتبة أن لا يهدده  
بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لأنهن دارك أو لأضربن ولدك أو لأسيين زوجتك وما يجري مجرى هذا بل  
ذلك إن قاله عن عزم فهو حرام وإن قاله من غير عزم فهو كذب ثم إذا تعرض لوعيده بالضرب  
والاستخفاف فله العزم عليه إلى حد معلوم يقتضيه الحال وله أن يزيد في الوعيد على ما هو في عزمه الباطن  
إذا علم أن ذلك ينفعه ويردعه وليس ذلك من الكذب المهدور بل البالغة في مثل ذلك معادة وهو معنى  
مبالغة الرجل في إصلاحه بين شخصين وتأليفه بين الضربين وذلك ما قد رخص فيه للعاقبة وهذا في معناه  
فإن القصد به إصلاح ذلك الشخص وإلى هذا المعنى أشار بعض الناس أنه لا يقيس من الله أن يتوعد بمالا يعمل  
لأن الخلف في الوعيد كرم وإنما يقيس أن يعد بمالا يعمل وهذا غير مرضي عندنا فإن الكلام القديم  
لا ينطبق إلى الخلف وعدا كان أو وعيدا وإنما يتصور هذا في حق العباد وهو كذلك إذ الخلف في الوعيد  
ليس بحرام . الدرجة السابعة : بإشارة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس في شمشير سلاح وذلك  
جائز للاحتساب بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع فإذا اندفع السكر فبني أن يكف  
والقاضي قد يرقى من ثبت عليه الحق إلى الأداء بالحسب فان أمر المحبوس وعلم القاضي قدرته

(١) حديث تكسير الظروف التي فيها المحور في زمنه صلى الله عليه وسلم الترمذي من حديث أبي  
طلحة أنه قال : يا بني الله إني اشتريت خرا لأيتام قال أهرق المحر وأكسر الدنان وفيه  
بث بن أبي سليم والأصح رواية السدي عن يحيى بن عباد عن أنس أن أبا طلحة كان عسدي  
قاله الترمذي .

شخص أنه كوشف في  
بعض خلواته بوله له  
في جيون كاد يسقط  
في الثامن الشينة قال  
فجرته فلم يسقط  
وكان هذا الشخص  
بنواحي همدان وولمه  
بجيون فلما قدم الولد  
أخبر أنه كاد يسقط في  
الماء فسمع صوت والده  
فلم يسقط . وقال عمر  
رضي الله عنه بإسارية  
الجليل على النهر بالمدينة  
وسارية بها وند فأخذ  
سارية نحو الجبل وظهر  
بالعدو قليل لسارية  
كيف علت ذلك فقال  
صمت صوت عمر وهو  
يقول بإسارية الجبل .  
سئل ابن سالم وكان قد  
قال للإيمان أربعة  
أركان ركن منه  
الإيمان بالقدره وركن  
منه الإيمان بالنسكة  
وركن منه التبري من

على أداء الحق وكونه معانداً فله أن يلزمه الأداء بالضرب على التدريج كاحتياج إليه وكذلك المحتسب برعى التدريج فإن احتاج إلى شهر سلاح وكان يقدر على دفع النكر بشهر السلاح وبالجرح فله أن يتطاعى ذلك ما لم يترقته كالوقص فاسق مثلاً على امرأة أو كان يضرب بجزم مع وبينه وبين المحتسب نهر حائل أو جدار مانع فيأخذ قوسه ويقول له خلّ عنها أولأمرينك فإن لم تخلّ عنها فله أن برى ويبني أن لا يقصد القتل بل الساق والقعدوما أشبه وراعى فيه التدريج وكذلك يسلب سيفه ويقول أترك هذا النكر أولأمرينك فكل ذلك دفع للفكر ودفعه واجب بكل يمكن ولا فرق في ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله وما يتعلق بالأميين. وقالت المذلة لا يتعلق بالأميين فلا حصة فيه إلا بالكلام أو بالضرب ولكن للإمام لا للأحد. المرحلة الثامنة : أن لا يقدر عليه بنفسه واحتياج فيه إلى أعوان بشهرون السلاح وربما يستمد القاسق أيضاً بأعوانه ويؤدى ذلك إلى أن يتقابل الصفان ويتقاتلا فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه إلى إذن الإمام فقال قائلون لا يستقلّ أحماد الرحبة بذلك لأنه يؤدى إلى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد. وقال آخرون لا يحتاج إلى الإذن وهو الأقيس لأنه إذا جاز للأحد الأمر بالمعروف وأوائل درجاته نجر إلى توان والتواني إلى ثوالت وقد يتسبى لامحالة إلى التضارب والتضارب بدعو إلى التمازج فلا ينبغي أن يالئ بلوازم الأمر بالمعروف ومنتهى تحييد الجنود في رضا الله ودفع معاصيه ونحن نجوز للأحد من الفزاة أن يجتمعوا ويقاتلوا من أرادوا من فرق الكفار فما لأهل الكفر فكذلك قم أهل الساد جائز لأن الكافر لا بأس بقتله والسلم إن قتل فهو شهيد فكذلك القاسق الناشئ من فقهه لا بأس بقتله والمحتسب الحق إن قتل مظلوما فهو شهيد. وعلى الجملة فإنها الأمر إلى هذا من التوادى الحسية فلا يبيح قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله أن يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبفسه وأبعوانه فالسلة إذن محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الحسية فلنذكر آدابها وأهالها للوفى .

## ( آداب المحتسب )

قد ذكرنا تفاصيل الآداب في آحاد الدلائل جاثون ذكر الآن جملة ما صادرها فنقول جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب: العلم والورع وحسن الخلق . أما العلم فليعلم مواقع الحسب ومحدودها ومجاهاها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه . والورع ليردعه عن مخالفة معلوم فما كل من علم عمل بهله بل برى يعلم أنه مسرف في الحسبة وزائد على الحد للأذون فيه شرعا ولكن يجعله عليه عرض من الأغراض وليسكن كلامه وعظه مقبولا فإن القاسق يهزأ به إذا احتسب ويورث ذلك جرأة عليه . وأما حسن الخلق فليتمكن من به اللطف والرفق وهو أصل الباب وأسبابه العلم والورع لا يكفيان فيه فإن الضرب إذا حاج لم يكف مجرد العلم والورع في فقه ما لم يكن في الطبع قبوله بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والضمب وبه يصير المحتسب على ما أصابه في دين الله وإلا فإذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه يتم أو ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاهل الاسم فهذه الصفات الثلاث بها تصير الحسبة من القربات وبها تندفع التسكرات وإن قدمت لم يدفع التسكر بل ربما كانت الحسبة أيضاً منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن النكر إلا روى فيها يأمر به رفيق فيها يسهى عنه حليم فيها يأمر به حليم فم يسهى عنه قهيه فيها يأمر به قهيه فيها يسهى عنه (١) وهذا يدل على أنه لا يشترط (١) حديث لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن النكر إلا روى فيها يأمر به رفيق فيها يسهى عنه الحديث

الحول والقوة وركن منه الاسانة بالله عز وجل في جميع الأعيان قبله فمضى قولك الإيمان بالقدرة قال هو أن تؤمن ولا تسكر أن يكون له عيب بالهريق قائما على يمينه ويكون من كرامة الله له أن يسطع من القوة ما ينقلب من يمينه على يساره فيكون بالمعرب تؤمن بمجسواز ذلك وكونه وحكى لى قدير أنه كان يحكم وأرجف على شخص يفتاد أنه قد مات فكشفت الله بالرجل وهو راكب يمشى في سوق بغداد فأخسبر إخوانه أن الشخص لم يمت وكان كذلك حتى ذكر لى هذا الشخص أنه فى تلك الحالة اتى كوشف بالشخص راكبا قال

أن يكون فيها مطلقا بل فيها يأمر به ويهيئ عنه وكذا الحلم . ول الحسن البصري رحمه الله تعالى :  
إذا كنت ممن يأمر بالمعروف فيمكن من أخذ الناس به وإلا هلك . وقد قيل :

لا تلم لزم على نفسه وأنت منسوب إلى مثله  
من لم شيئا وآتى مثله فأنما يزرى على عقله

ولنا نفي بهذا أن الأمر بالمعروف يصير منحوبا بالفسق ولكن يفسط أثره عن القلوب بظهور نفسه للناس . فقد روى عن أنس رضي الله عنه قال « قلنا يا رسول الله لأنأمر بالمعروف حتى نصل به كله ولا نهي عن المنكر حتى نجتبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله وانتهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله »<sup>(١)</sup> « وأوصى بعض السلف بنيه فقال إن أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مسيئ الأذى ، فاذن من آداب الحسبة تطويع النفس على الصبر ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالأمر بالمعروف فقال حاكيا عن لقمان - يا بني أتم الصلاة وأمر بالمعروف واته عن المنكر واصبر على ما أوصاك - .

ومن الآداب تخليل الملائق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلاق حتى تزول عنه اللذات . فقد روى عن بعض السابغ أنه كان له سنور وكان يأخذ من صباب في جواره كل يوم شيئا من هذا الأذن هذه كلها تنقية اليقين ومن منع صرف اليقين لاجابة له إلى شيء من هذا فكل هذه السمكيات دون ما ذكرناه من تجوهر الذكر في القلب ووجوده ذكر الذات فإن تلك الحكمة فيها تنقية للربدين ونزيرة السالكين ليزدادوا به يقينا يجذبون به إلى مراغسة النفوس والسو عن ملاذ الدنيا ويستعش منههم بذلك ما كن عزمهم

ولنا نفي بهذا أن الأمر بالمعروف يصير منحوبا بالفسق ولكن يفسط أثره عن القلوب بظهور نفسه للناس . فقد روى عن أنس رضي الله عنه قال « قلنا يا رسول الله لأنأمر بالمعروف حتى نصل به كله ولا نهي عن المنكر حتى نجتبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله وانتهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله »<sup>(١)</sup> « وأوصى بعض السلف بنيه فقال إن أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مسيئ الأذى ، فاذن من آداب الحسبة تطويع النفس على الصبر ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالأمر بالمعروف فقال حاكيا عن لقمان - يا بني أتم الصلاة وأمر بالمعروف واته عن المنكر واصبر على ما أوصاك - .

ومن الآداب تخليل الملائق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلاق حتى تزول عنه اللذات . فقد روى عن بعض السابغ أنه كان له سنور وكان يأخذ من صباب في جواره كل يوم شيئا من هذا الأذن هذه كلها تنقية اليقين ومن منع صرف اليقين لاجابة له إلى شيء من هذا فكل هذه السمكيات دون ما ذكرناه من تجوهر الذكر في القلب ووجوده ذكر الذات فإن تلك الحكمة فيها تنقية للربدين ونزيرة السالكين ليزدادوا به يقينا يجذبون به إلى مراغسة النفوس والسو عن ملاذ الدنيا ويستعش منههم بذلك ما كن عزمهم

له قولنا لينا لله يذكرك أوغنى - فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالأنبياء صلوات الله عليهم . فقد روى أبو أمامة « أن غلاما شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا بني الله أنأذن لي في الزنا فأصاح الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم قربوه أدن فدنا حتى جلس بين يديه فقال النبي صلى الله عليه وسلم والسلام أعملأملك » فقال لا، جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لأعمالهم أعملأملك » قال لا، جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم أعملأملك »<sup>(٢)</sup> « وزاد ابن عوف حتى ذكر العموا والخاله وهو يقول في كل واحد ، لاجلني الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس لا يحبونه ولا جيبا في حديثهما أعني ابن عوف والرواي الآخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال « اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحسن فرجه » فلم يكن شيء أبغض إلي يمينه يعني من الزنا وقيل الفضيل بن عياض رحمه الله : إن سليمان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال الفضيل

لم أجده هكذا وللبهي في الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من أمر بمعروف فليكن أمر بمعروف (١) حديث أنس قلنا يا رسول الله لأنأمر بالمعروف حتى نصل به كله ولا نهي عن المنكر حتى نجتبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله وانتهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله الطبراني في المعجم الصغير والأوسط وبيه عبد القدوس بن حبيب أجملوا على تركه .

(٢) حديث أبي أمامة أن شابا قال يا رسول الله أنأذن لي في الزنا فأصاح الناس به الحديث رواه أحمد بإسناد جديد

ما أخذهم إلا دون حقه ثم خلاه وعذله ووجه فقال سفيان يابا على إن لم تكن من الصالحين فانا لنحب الصالحين . وقال حماد بن سلمة : إن صلة بن أشيم مر عليه رجل قد أسبل إزاره فهم أسما به أن يأخذوه بشدة قال دعوني أنا أكفيكم فقال يابن أخى إن لى لك حاجة قال وما حاجتك يا عم ؟ قال أحب أن ترفع من إزارك قال نعم وكرامة فرفع إزاره قال لأسبابلو أخذوه بشدة فقال لا ولا كرامة وشتمكم . وقال محمد بن زكريا القلابي : شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله وإذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس يضربونه فنظر إليه ابن عائشة فصره فقال الناس اتجوا عن ابن أخى ثم قال لى يابن أخى فاستغى الغلام فجاء إليه فضمه إلى نفسه ثم قال له امض معى ففى ممة حتى صار إلى منزله فأدخله الدار وقال لبس غلاما بينه عندك فإذا أفاق من سكره فأعلم بما كان منه ولا تدعه يصرف حتى تأبني به فلما أفاق ذكر له ما جرى فاستباحت منه وبكى وهم بالانصراف فقال الغلام قد أمر أن تأتبه فأدخله عليه قال له أما لتحببت لنفسك أما لتحببت لفرقك أمارى من ولدك ؟ فائق الله واتزع مما أنت فيه فيكى الغلام منكسرا راسه ثم رفع رأسه وقال عاهدت الله تعالى عهدا يسألنى عنه يوم القيامة أتى لأعود لثرب النبيذ واللى . مما كنت فيه وأنا نائب قال ادن منى قبل رأسه وقال أحسنت يابن . فكان الغلام بعد ذلك يلومه ويكب عنه الحديث وكان ذلك يركه رفته ثم قال : إن الناس يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر ويكون معروفهم منكرا فليكم بالرفق فى جميع أموركم تتالون به ما تطلبون . وعن الفتح بن شخرف قال : تعلق رجل بأمرأة أو تمرش لها ويده سكين لا يدنو منه أحد إلا عقره وكان الرجل شديد البدين فبينما الناس كذلك والمرأة تصيح فى يده إذ مر جسر بن الحرث فدنا منه وحك كفه بكف الرجل فوق الرجل على الأرض ومضى جسر فدنا من الرجل وهو يترشع عرقا كثيرا ومضت المرأة لحالها فسالوه ما حالك ؟ قال ما أدرى ولكن حاكنى شيخ وقال لى إن الله عز وجل ناظر إليك وإلى ما تامل فضفت قوله قدامى وهبته هبة شديدة ولا أدرى من ذلك الرجل ؟ فقالوا له هو جسر بن الحرث قال واسمائه كيف ينظر لى بعد اليوم وحكم الرجل من يومه ومات يوم السابع ، فكذلك كانت عادة أهل الدين فى الحسبة وقد قلنا فيها آثارا وأخبارا فى باب البغض فى الله والحب فى الله من كتاب آداب الحسبة فلا نطول بالاعادة فهذا تمام النظر فى درجات الحسبة وآدابها والله الوفق بكرمه والحمد لله على جميع نعمه .

(الباب الثالث فى المنكرات المألوفة فى العادات)

فتشير إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها إذ لا مطمع فى حصرها واستقصائها . فمن ذلك :

(منكرات الساجد)

اعلم أن المنكرات تنقسم إلى مكروهة وإلى محظورة فإذا قلنا هذان منكر مكروه فاعلم أن للنعم منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بجرام إلا إذا لم يعلم الفاعل أنه مكروه فيجب ذكره له لأن السكره حكم فى الشرع يجب تبليغه لى من لا يعرفه وإذا قلنا منكر محظور قلنا منكر مطلقا فترد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا . فما يشاهد كثيرا فى الساجد إساءة الصلاة بترك الطمأنينة فى الركوع والسجود وهو منكسر مبطل للصلاة بنص الحديث فيجب التنبه لى منه لا يعد الحنفى الذى يعتقد أن ذلك لا يمنع صحة الصلاة إذ لا يمنع التنبه لى منه ومن رأى ساجدا فى صلاته فسكت عليه فهو شريكه هكذا ورد به الأثر وفى الخبر ما يدل عليه إذ ورد فى التبريد أن السمع شريك القائل (١)

رجاله رجال الصريح . (الباب الثالث فى المنكرات المألوفة)

(١) حديث الثقات والسمع شريكان فى الإثم تقدم فى الصوم .

لصداهم الأوقات بالقربات فيترجون بذلك وبروقن لطرفة من كوشف بصرف اليقين من ذلك لى كان أن غسه أسرع إجابة وأسهل ابتداء وأهم استمداد والأولون استلبن بذلك منهم ما استوعروا واستكشف منهم ما استروا وقد لا يمنع صور ذلك الرهايين والبراهمة ممن هو غير منتهج سبل الهدى وراكب طريق الردى لى يكون ذلك فى حقهم مكررا واستندراجا لى يستحسنوا حلهم يستفروا فى مقار الطرد والبدإ بقاء لهم فيها أراد الله منهم من الصم والضلال والردى والويل حتى لا يستر السالك يسير شىء يغتن به ويسلم أنه

وكذلك كل ما يقدس في صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لا يراها أو اعتراف عن القبلة بسبب ظلام أو غمي فكل ذلك نجس الحسية فيه . ومنها قراءة القرآن بالعين بحسب الله عليه ويجب تلقين الصبيح فان كان السكف في السجدة يضيغ أكثر أوقاته في أمثال ذلك ويشتمل به عن التطوع والله كره فليستغل به فان هذا أفضل من ذكره وتطوعه لأن هذا فرض وهي قرينة تمدى فائدتها فهي أفضل من نافعة تقتصر عليه فائدتها وإن كان ذلك عنقه عن الوراثة مثلا أو عن السكب الذي هو طمعة فان كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجزله ترك الحسية لطلب زيادة الدنيا وإن احتاج إلى السكب لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لجزءه والذي يكثر اللحن في القرآن إن كان قادرا على التعلم فليستغنى عن القراءة قبل التعلم فانه عاص به وإن كان لا يطاوعه اللسان فان كان أكثر ما يقرأه لخلاف تركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها وإن كان الأكثر صحيحا وليس بقدر على التسوية فلا بأس له أن يقرأ ولكن ينبغي أن يخفف به الصوت حتى لا يسمع غيره ولتمه سرا منه أيضا وجه ولكن إذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له أن يقرأه وحده فليست أرى به بأسا والله أعلم . ومنها ترسل المؤمنين في الأذان وتطويلهم بعد كلاته وانحرافهم عن صواب القبلة بجميع الصدر في المصلين أو انفراد كل واحد منهم بأذان ولكن من غير توقف إلى انقطاع أذان الآخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الأذان لتداخل الأصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريضها فان صدرت عن معرفة فيستحب التمس منها والحسية فيها وكذلك إذا كان للسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي أن ينع من الأذان بعد الصبح فذلك مشوش للصوم والصلاة على الناس إلا إذا عرف أنه يؤذن قبل الصبح حتى لا يول على أذانه في صلاة وترك سجود أو كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح . ومن المكروهات أيضا تكثير الأذان مرة بعد أخرى بعد طلوع الفجر في مسجد واحد في أوقات متعاقبة متتالية إما من واحد أو جماعة فانه لفائدة فيه إذ لم يبق في السجدة تأم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى يثبه غيره فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف . ومنها أن يكون الخطيب لابسا ثوبا أسود يثلب عليه الإبريسم أو عسكا سيف مذهب فهو فاسق والانكار عليه واجب وأما مجرد السواد فليس بتركوه لكنه ليس بمحبوب إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البين ومن قال إنه مكروه وبدعة أراد به أنه لم يكن معهودا في العصر الأول لكن إذا لم يرد فيه شيء فلا ينبغي أن يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك للأحباب . ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة بالقصاص إن كان يكذب في أخباره فهو فاسق والانكار عليه واجب وكذا الواعظ للبتع بحسب منتهى ولا يجوز حضور مجلسه لإلحاح قصد إظهار الرد عليه إمالا لكافة إن قدر عليه أو لبعض الحاضرين حوالة فان لم يقدر فلا يجوز صماع البدعة قال الله تعالى لنبيه - فأعرض عن حق يخوضوا في حديث غيره - ومهما كان كلامه مائلا إلى الإرجاء ونجاسة الناس على المصاحف ، وكان الناس يزدادون بكلامه جراءة ويعفو الله وبرحمته وتوقا يزيد بسببه رجائهم على خوفهم فهو منكر ويجب منعه عنه لأن فساد ذلك عظيم بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك أليق وأقرب بطباع الخلق فاتهم إلى الخوف أحوج وإنما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضي الله عنه لو نادى مناد يوم القيامة ليدخل النار كل الناس إلا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نادى مناد ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلا واحدا لحقت أن أكون أنا ذلك الرجل ومهما كان الواعظ شامرا بمنزلة ففساد في ثيابه وهيبته كثير الأسماء والأشعار والحركات وقد حضرت مجلسه النساء فهذا منكر يجب للتع منه فان الفساد فيه أكثر من الصلاح وبين ذلك منه برائن أحواله

لو مشى على الماء والهواء لا ينضم ذلك حتى يؤدي حق التقوى والزهدة فأما من تموم بخيال أو وقع بحال ولم يحكم أساس خلوته بالاخلاص يدخل الخلوة بالزور ويدخل بالفرور فيرفض العبادات ويستحضرها ويطلب الله تعالى لذة للعامة وتذهب عن قلبه هبة الشريعة ويفتضح في الدنيا والآخرة فليعلم الصادق أن القصود من الخلوة التقرب إلى الله تعالى بسيرة الأوقات وكشف الجوارح عن المكروهات فيصلح لقوم من أرباب الخلوة إدراك الأوراد وتوحيدها على الأوقات ويصلح لقوم ملازمة ذكر واحد

بل لا يبنى أى سلم الوعط إلا لمن ظاهره الورع وهيبته السكينة والوقار وزيه زى الصالحين وإفلا يزاد الناس إلا أعاديا فى الضلال ويجب أن يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فإن ذلك أيضا مظنة الفساد والعادات تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النساء من حضور الساجد للصلوات ومحال الذكر إذا شئتم القتة بين قد منتهين عائشة رضى الله عنها قيل لها : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مامتنع من الجماعات فقلت لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثت بعده لمنهم (١) وأما اجتياز الرؤية فى المسجد مسترة فلا تمنع منه إلا أن الأول أن لا تتخذ للسجد مجازا أصلا وقراءة القرآن بين يدي الوعاط مع التعديد والألحان على وجه يضرب نظم القرآن ويجاوز حد التنزيل منكر مكروه شديد الكراهة أنكره جماعة من السلف . ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الأدوية والأطعمة والتبويضات وكتياف السؤال وقراءتهم القرآن وإنشادهم الأشعار وما جرى مجراه فهذه الأشياء منها ما هو حرم لكونه تلبسا وكذبا كالكذابين من طريقة الأطباء وكأهل الشبهة والتلبسات وكذا أرباب التبويضات فى الأغلب يتوصلون إلى يها بتلبسات على الصبيان والسوداء فهذا حرام فى المسجد وخارج المسجد ويجب النع منه بل كل يبع فيه كذب وتلبس وإفشاء عيب على الشترى فهو حرام . ومنها ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الأدوية والكسب والأطعمة فهذه فى المسجد أيضا لا يحرم إلا بمرض وهو أن يضيق المحل على السليل ويشرب عليهم صلاتهم فإن لم يكن شئ من ذلك فليس يحرم والأولى تركه ولكن شرط إباحتها أن يمرى فى أوقات نادرة وأيام معدودة فإن أخذ السجد ذكنا على الفور حرم ذلك ومنع منه فى الباحات ما يباح بشرط القلة فإن كثر صار صغيرة كما أن من الغنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الإصرار فإن كان القليل من هذا الوضع بابه لحيفته أن ينجر إلى الكثير فليمنع منه وليكن هذا للتع إلى الوالى أو إلى القيم بمصالح المسجد من قبل الوالى لأنه لا يدرك ذلك بالاجتهاد وليس للأحد للتع ما هو مباح فى نفسه لحوفه أن ذلك يكثر . ومنها دخول الجاني والصبيان والسكران فى المسجد ولا بأس بدخول الصبي للمسجد إذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب فى المسجد ولا السكوت على ليه إلا إذا أخذ للمسجد ملعبا وصار ذلك متعادا فيجب النع منه فهذا ما عمل قلبه دون كثيره ، ودليل حل قلبه ما روى فى الصحيحين « أن رسول الله ﷺ وقف لأجل عائشة رضى الله عنها حتى نظرت إلى الحبيسة يزفون ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد فى المسجد » ولا شك فى أن الحبيسة لو أخذوا للمسجد ملعبا لمنعوا منه ولم رد ذلك على التدبر والقلة متكررا حتى نظرا ليه بل أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبصرهم عائشة تطيبا لقلبا إذا قال « دونكم يا بنى أرودة » كما نقلناه فى كتاب البيع . وأما الجاني فلا بأس بدخولهم المسجد إلا أن غشى ثوبهم له أو شتمهم ونظفهم ما هو لحق أو قاطعهم لما هو منكر فى صورته ككشف العورة وغيره . وأما المجنون الهادى الساكن الذى قد علم بالعادة سكونه وسكوته فلا يجب إخراجه من المسجد والسكران فى معنى المجنون فإن خيف منه القذف أغشى التى أو الألباء باللسان وجب إخراجه وكذا لو كان مضطرب العقل فاته بخاف ذلك منه وإن كان قد شرب ولم يسكر والرائحة منه نفوح فهو منكر مكروه شديد الكراهة وكيف لا ، ومن أكل الثوم والبصل (٢) قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حضور الساجد ولكن جعل ذلك على الكراهة والأمر فى الحر أشد . فإن قال قائل يبنى أن يضرب السكران ومخرج من المسجد زجرا . فلنا لا ، بل يبنى أن يلزم القعود فى المسجد ويدعى إليه ويؤمر بترك التراب مهما كان فى الحال عاقلا

ويصلح قوم دوا  
لرافقة ويصلح قوم  
الاستفال من الفكر  
إلى الأوراد وقوم  
الاستفال من الأوراد  
إلى الفكر ومعرفة  
مقابر ذلك يفسد  
الحسب للشيخ الطالع  
على اختلاف الأوضاع  
وتتوابع مع نصحه  
للأمة وشفته على  
الكافة يريد المزيد  
لأنه غير مبتلى  
بهموى نفسه عجا  
للاستتباع ومن كان  
عجا للاستتباع فإ  
يُسده مثل هذا أكثر  
عما يصلحه .

### (الباب الثامن)

والشؤون فى كيفية  
الدخول فى الأربسية  
روى أن داود عليه  
السلام ابتلى بالحبيسة  
خرقه ساجدا أربعين  
يوما ولبه حتى أنه

(١) حديث عائشة لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثت أى النساء من بعده لمعن الساجد  
منفى عليه (٢) هذا الحديث لم يخرج العراق ود خرجه الشارح عن البخارى ومسلم وغيرهما .



فأما ضربه للرجل فليس ذلك إلى الآحاد بل هو إلى الولاية وذلك عند إقراره أو شهادته شاهدين فأما لجرده الرائحة فلا ، نعم إذا كان ينشئ بين الناس متبلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه في المسجد وغير المسجد معناه عن إظهار أثر السكر فإن إظهار أثر الفاحشة فاحشة والمعاصي يجب تركها وبعد الفصل يجب سترها وستر آثارها فإن كان مستترا مخفيا لأثره فلا يجوز أن يتجسس عليه والرائحة قد تنفوح من غير شرب بالجلوس في موضع الحر وبوصوله إلى التيم دون الابتلاع فلا ينبغي أن يبول عليه .

### ( منكرات الأسواق )

من المنكرات المعتادة في الأسواق السكذب في الرابحة وإخفاء العيب فمن قال اشتريت هذه السلعة مثلا بشرة وأربع فيها كذا وكان كاذبا فهو فاسق وعلى من عرف ذلك أن يحجر للمشتري بكذبه فإن سكت مراعاة لقلب البائع كان شريكا له في الحيانة وعصى بسكوته وكذا إذا علم به عيبا فيلزمه أن يبيعه للمشتري عليه . وإذا كان راضيا بضياع مال أخيه للسلم وهو حرام وكذا التفاوت في القدر والكيل والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه أو دفعه إلى الوالي حتى يغيره . ومنها ترك الإيجاب والقبول والاكتفاء بالمعاطة ولكن ذلك في محل الاجتهاد فلا ينكر إلا على من اعتد وجوبه وكذا في الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الانكار فيها فانها مفسدة للعقود وكذا في الروايات كلها وهي غالبية وكذا سائر التصرفات الفاسدة . ومنها بيع للالهى وبيع أشكال الحيوانات الصورة في أيام العيد لأجل الصبيان فذلك يجب كسرها والتع من بيعها كاللاهى وكذلك بيع الأواني للتخذه من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير وقلائد الذهب والحرير أعني التي لا تصلح إلا للرجال أو يعلل بمادة البلد أنه لا يلبسها إلا الرجال فكل ذلك منكر محظور وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة للصورة التي يلبس على الناس بقصاتها وابتذالها ويزعم أنها جديدة فهذا الفعل حرام والتع منه واجب وكذلك تلبس بغير ثياب الحرير بالرقع وما يؤدي إلى الالتباس وكذلك جميع أنواع العقود الوذية إلى التلبس وتلك بطول إحصاءه . فليست بما ذكرناه ما لم تذكره .

### ( منكرات الشوارع )

فمن المنكرات المعتادة فيها وضع الاسطوانات وبناء الدكاك المتصلة بالبنية الملوكة وغرس الأشجار وإخراج الرواشن والأجنحة ووضع الحطب وأعمال الجيوب والأطعمة على الطرق فكل ذلك منكر إن كان يؤدي إلى تضيق الطرق واستفراغ لارة وإن لم يؤدي إلى ضرر أصلا لسهة الطريق فلا يمنع منه . نعم يجوز وضع الحطب وأعمال الأطعمة على الطريق في القدر الذي ينقل إلى البيوت فإن ذلك يشترك في الحاجة إليه السكافة ولا يمكن التعم منه وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق ويتجسس المجتازين منكر يجب التعم منه إلا بقدر حاجة الزول والركوب وهذا لأن الشوارع مشتركة للنفعة وليس لأحد أن يختص بها إلا بقدر الحاجة والمرعى هو الحاجة التي ترد الشوارع لأجلها في المعتادة دون سائر الحاجات . وضبا سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يترق ثياب الناس فذلك منكر إن أمكن شدعا وضما بحيث لا يترق أو أمكن المدول بها إلى موضع واسع وإلا فلا منع إذ حاجة أهل البلد تنس إلى ذلك نعم لا تترك ملقاة على الشوارع إلا بقدر مودة النقل ، وكذلك تحميل الدواب من الأحمال لا تطبقه منكر يجب منع الملاك منه . وكذلك ذبح القصاب إذا كان يدبح في الطريق حذاء باب الحانوت وبلوث الطريق بالدم فإنه منكر يمنع منه بل حقه أن يتخذ في مكانه مذبحا فإن في ذلك تضيقا بالطريق وإضرارا بالناس بسبب ترشيش النجاسة وبسبب استفقار الطباع للقاذورات وكذلك طرح القمامة

الغفران من ربه وقد  
تقرر أن الوحدة  
والعزلة سلاك الأمر  
ومتسك أرباب  
الصدق فمن استمرت  
أوقاته على ذلك فجميع  
عمر مخلوة وهو الأسلم  
لدينه فإن لم يتيسره  
ذلك وكان يشتكى  
بنفسه أو لأمته بالأهل  
والأولاد ثانيا فليصل  
لنفسه من ذلك نصيا .  
قل عن سفیان  
الثوري فيأمرى أحمد  
إن حرب عن خالد بن  
زيد عن أنه قال كان  
يقال ما أخلص عيقل  
أربعين صباحا إلا أنبت  
الله سبحانه الحكمة  
في قلبه وزهده الله  
في الدنيا ورغبه  
في الآخرة وبصره داء  
الدنيا ودواها فبتجاهد  
العبد نفسه في كل سنة

على جود الطارق وتبديده شور البطيخ ، أورش الماء بحيث يخشى منه التزاق والتعثر كل ذلك من المنكرات وكذلك إرسال الماء من لليازب المخرجة من الحائط في الطريق الضيقة فإن ذلك ينجس الثياب وأيضاً الطريق فلا يجمع منه في الطرق الواسعة إذا المدول عنه يمكن فأما ترك مياه المطر والأحوال والتلوج في الطرق من غير كسح فذلك منكر ولكن ليس يختص به شخص معين إلا التلج الذي يختص بطرحه على الطريق واحد والماء الذي يجمع على الطريق من مزاب معين فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق وإن كان من المطر فذلك حسيبة عامة فعلى الولاء تنكيف الناس القيام بها وليس للأحاديث إلا الوعظ فقط وكذلك إذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذي الناس فيجب منه منه وإن كان لا يؤذي إلا بتجسس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه وإن كان يضيئ الطريق يسط ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه من أن ينالم على الطريق أو يقعد قوداً يضيئ الطريق فكلية أولى بالمنع .

### (منكرات الحمامات)

منها الصور التي تكون على باب الحمام أو داخل الحمام يجب إزالتها على كل من يدخلها إن قدر فإن كان الموضع مرتفعاً لاتصل إليه يده فلا يجوز له الدخول إلا لضرورة فيلجأ إلى حمام آخر فإن مشاهدة المنكر غير جائزة وبكيفية أن يشوه وجهها ويطل به صورته ولا يمنع من صور الأشجار وسائر النقوش سوى صورة الحيوان . ومنها كشف العورات والنظر إليها ومن جعلها كشف الدلائك عن القعد ومانعت السرة لتنتبه الوسخ بل من جعلها ادخال اليد تحت الإزار فإن مس عورة الغير حرام كالنظر إليها . ومنها الانبطاح على الوجه بين يدي الدلائك لتتميز الأفضاء والأعجاز فهذا مكروه إن كان مع حائل ولكن لا يكون محظوراً إذ لم يخش من حركة الشهوة وكذلك كشف العورة للحجاء القسمن في القواش فإن المرأة لا يجوز لها أن تكشف بدن اللذمية في الحمام فكيف يجوز لها كشف العورات للرجال . ومنها غسل اليد والأواني النجسة في المياه القليلة وغسل الإزار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل فإنه منجس للماء إلا على مذهب مالك فلا يجوز الانكسار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وإن اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك إلا بطريق الالتماس والطف وهو أن يقول له إننا نحتاج أن نسل اليد أولاً ثم نغمسها في الماء . وأما أنت فمستثنى عن إيقاد وتفويت الطهارة على وما يجري مجرى هذا فإن مظان الاجتهاد لا يمكن الحسيبة فيها التهر . ومنها أن يكون في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها حجارة مسلا مزلة يزلق عليها الغافلون فهذا منكر ويجب قلمه وإزالته وينكر على الحمامي إحماله فإنه يفضي إلى السقطة وقد تؤدي السقطة إلى انكسار عضو أو إخلاله وكذلك ترك الصدر والسايون الزنقي على أرض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق به إنسان وانكسر عضو من أعضائه وكان ذلك في موضع لا يظهر فيه بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان مزد بين الذي تركه وبين الحمامي إذ حقه تنظيف الحمام والوجه إعجاب الضمان على تاركه في اليوم الأول وعلى الحمامي في اليوم الثاني إعادة تنظيف الحمام كل يوم متادة الرجوع في مواقيت إعادة التنظيف إلى العادات فليعتبر بها وفي الحمام أمور آخر مكروهة ذكرناها في كتاب الطهارة فلتنظر هناك .

### (منكرات الضيافة)

فنهافرش الحرير للرجال فهو حرام وكذلك تبخير البخور في محجرة فضة أو ذهب أو الثراب أو استئمان ما الورود في أواني الفضة أو ما رؤوسها من فضة . ومنها إسدال الستور وعليها الصور . ومنها صماع الأوتار أو صماع القينات . ومنها اجتهاع النساء على السطوح للنظر إلى الرجال مهما كان في الرجال

مرة وأما للربيد الطاب إذا أراد أن يدخل الحنوة فأكل الأمر في ذلك أن يتجرد من الدنيا ويخرج كل ما علكه ويقتل غسلا كاملاً بعد الاحتياط للثوب وللصلى بالنظافة والطهارة وصلّى الركنين ويؤبى إلى الله تعالى من ذنوبه يكاء وقصره واستكبانة وختنح ويسوى بين السريرة العلانية ولا ينطوى على غل وغش وحقد وحسد وخيانة ثم يهدى في موضع خلوته ولا يخرج إلا لصلاة الجمعة وصلاة الجماعة فترك المحافظة على صلاة الجماعة غلط وخطأ فان وجد تفرقة في خروجيه يكون له شخص يصل معه جماعة

شباب يخاف الفتنة منهم فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن هجر عن تغييره لزمه الخروج ولم يجر له الجلوس فلا رخصة له في الجلوس في مشاهدة المنكرات وأما الصور التي على الخارق والزراعي الفروشة فليس منكرًا وكذلك على الأطباق والقصاص لا ألوانى النخذه على شكل الصور قد تكون رؤوس بعض المجامر على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه وفي المسكحة الصغيرة من الفضة خلاف وقد خرج أحمد بن حنبل عن الضيافة بسببها ومهما كان الطعام حرامًا أو كان للوضع منصوبًا أو كانت الثياب الفروجة حرامًا فهو من أشد المنكرات فإن كان فيها من يتماطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور إلا لعل حضور مجالس الشرب وإن كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق في حالة مباشرته للفسق وإنما النظر في مجالسته بعد ذلك وأنه هل يجب بنفسه في الله ومقاطعة كما ذكرناه في باب الحب والبغض في الله وكذلك إن كان فيهم من يلبس الحرير أو خاتم الذهب فهو فاسق فلا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فإن كان التوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح أن ذلك منكر ويجب نزع عنه إن كان مجرمًا لمصوم قوله عليه السلام «هذان حرام على ذكور أمي»<sup>(١)</sup> وكما يجب منع الصبي من شرب الخمر لاسكوته مكلفًا ولكن لأنه يأنس به فإذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة الزين بالحرر تغلب عليه إذا اعتاده فيكون ذلك بقدر الفساد يندر في صدره فتنب منه شعرة من الشهوة راسخة يسر قلبها بعد البلوغ أما الصبي الذي لا يميز فيصنف معنى التحريم في حقه ولا يغلو عن احتمال العلم عند الله فيه والجنون في معنى الصبي الذي لا يميز ثم يحل الزين بالذهب والحرر للفناء من غير إسراف ولا يرى رخصة في تنقيب أذن الصبية لأجل تعليق حلق الذهب فيها فإن هذا جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز إلا حاجة مهمة كالصدق والحجامة والحان والزين بالحلق فيغفرهم بل في التبريط بتلغته على الأذن وفي الحان وفي السورة كفاية عنه فهذا وإن كان متعديًا فهو حرام والتنع منه واجب الاستنجار عليه غير صحيح والأجرة الأخذوة عليه حرام إلا أن يثبت من جهة النقل فيه رخصة ولم يسلنا إلى الآن فيه رخصة. ومنها أن يكون في الضيافة مبتدع يتكلم في بدته فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد فإن كان لا يقدر عليه لم يجر فإن كان لا يتكلم في بدته فيجوز الحضور مع إظهار السكراة عليه والإعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله وإن كان فيها مضحك بالحكايات وأنواع التواذر فإن كان مضحك بالفحش والكذب لم يجر الحضور وعند الحضور يجب الانكار عليه وإن كان ذلك مزح لا كذب فيه ولا خفص فهو مباح أعنى ما قيل منه فأما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى أنه كذب ولا يقصده التلبس فليس من جملة المنكرات كقول الإنسان مثلاً طوبى اليوم مائة مرة وأعدت عليك الكلام ألف مرة وما يجري مجراه مما يمل أنه ليس يقصده التحقيق فذلك لا يحد في العدالة ولا ترد الشهادة به وسيأتى أحد الزماع الباطل والكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربيع المهلكات. ومنها الإسراف في الطعام والبناء فهو منكر كقول المال منكرات: أحدها الإساءة والآخر الإسراف فالإساءة تخويف مال بلا فائدة يعتد بها كإحراق الثوب وتزويقه وهدم البناء من غير غرض وإلقاء المال في البحر وفي منتهى صرف المال إلى الناعمة والمطرب وفي أنواع القساد لأنها فوائدهم حرة شرعًا فصارت كالمدمرة وأما الإسراف فقد يطلق لإرادة صرف المال إلى الناعمة والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف إلى الباحات في جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة تختلف بالإحوال فتقول لمن لم يملك إلا مائة دينار مثلاً يرمي عياله وأولاده

(١) حديث هذان حرامان على ذكور أمي أبوداود والنسائي وابن ماجه من حديث علي وقد تقدم في الباب الرابع من آداب الأسفل.

في خلوة ولا يبين أن  
يرضى بالصلاة منفردا  
أبنة فترك الجماعة  
عشى عليه آفات وقد  
رأينا من يتشوش  
عنه في خلوة ولعل  
ذلك بشؤم إصراره  
على ترك صلاة الجماعة  
غير أنه يبين أن يخرج  
من خلوة لصلاة  
الجماعة وهو ذكر لا يفر  
عن الذكر ولا يكثر  
إرسال الطرف إلى  
ما يرى ولا يسنى إلى  
ما يسمع لأن القسوة  
الحافظة والتخية كالح  
بتنفس بكل مرئ  
وسموع فيكثر بذلك  
الوسواس وحديث  
النفس والحال ومجتهد  
أن يحضر الجماعة حيث  
يذكر مع الامام تكبيرة  
الاحرام فأفاسد الامام  
وانصرف ينصرف إلى  
خلوته ويتوقى في خروجه

ولا معيشة لهم سواء فأتفق الجميع في ولبة فهو مسرف يجب منه منه أن تعالى - ولا يسهلها كل البسط  
فتقدم ملوما محسورا - نزل هذا في رجل المدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئا ليهاله فطلب النفقة  
فلم يقدر على شيء وقال تعالى - ولا تبذر تبذرا إن للبذرين كا وإخوان الشياطين - وكذلك قال عز  
وجل - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا - فمن يسرف هذا الاسراف يشكر عليه ويجب على  
القاضي أن يحجز عليه إلا إذا كان الرجل وحده وكان له قوة في التوكل فليس له أن يتصدق بجميع ماله وكذلك  
في أبواب البر ومن له عيال أو كان عاجزا عن التوكل فليس له أن يتصدق بجميع ماله وكذلك  
لو صرف جميع ماله إلى تقوى حيطانه وتزوين بنيانه فهو أيضا إسراف محرم وفصل ذلك بمن له مال  
كثير ليس بحرام لأن التزوين من الأغراض الصحيحة ولم نزل المساجد تزين وتنقش أبوابها وسقوفها مع  
أن تقش الباب والسقف لأفائدة فيه إلا مجرد الزينة فكذلك الدور وكذلك القول في التجميل بالياب  
والأطعمة فذلك مباح في جنبه ويصير إسرافا باعتبار حال الرجل وثرته وأمثال هذه الشكرات  
كثيرة لا يمكن حصرها قس بهذه الشكرات الجامع وبمجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس  
الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الأسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه أو عذور . واستقصاء  
جميع الشكرات يستدعي استيعاب جميع تفاصيل الشرع أصولها وفروعها فلتقتصر على هذا القدر منها.

## (الشكرات العامة)

اعلم أن كل قاعد في بيته أثنا كان فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن  
إرشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد  
فكيف في القرى والبوادي ومنهم الأعراب والأكراد والتركمانية وسائر أمتاف الحلق وواجب أن  
يكون في كل مسجد وحلة من البلد قبه يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية واجب على كل قبه فرغ  
من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية أن يخرج إلى من يجاور بلده من أهل المواد ومن العرب  
والأكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ويستصحبهم نفسه زادا يأكله ولا يأكل من أطعمتهم  
فإن أكثرها منصوب فإن قام بهذا الأمر واحد سقط الحرج عن الآخرين وإلا عجز الحرج السكاة أجمعين  
أما العالم فلتقتصره في الخروج وأما الجاهل فلتقتصره في ترك التعلم وكل عاى عرف شروط الصلاة  
فلمبه أن يعرف غيره وإلا فهو شريك في الإثم ومعلوم أن الانسان لا يولد عالما بالشرع وإنما يجب  
التبليغ على أهل العلم فكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم به ولو لم يعرف الاثم على الفقهاء أشد لأن  
قدرتهم فيه أظهر وهو صناعتهم أليق ، لأن المحترفين لو تركوا حرفة لم يطلعت المايش فهم قد تغلبوا  
أمرا لا بد منه في صلاح الحلق وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ماله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فإن العلماء هم ورثة الأنبياء وليس للانسان أن يقعد في بيته ولا يخرج إلى المسجد لأنه يرى الناس  
لا يحسنون الصلاة إذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والتبلي وكذا كل من يتقن أن في  
السوق منسكرا يجري على الدوام أوفى وقت بيته وهو قادر على تقديره فلا يجوز له أن يسقط ذلك عن  
نفسه بالعمود في البيت بل يلزمه الخروج فان كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو حرجز عن مشاهدته ويقدر  
على البض لزمه الخروج لأن حروجه إذا كان لأجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدته ما لا يقدر  
عليه وإنما ينفع المحذور لمشاهدة المنكر من غير عرض صحيح فحق على كل مسلم أن يبد بنفسه فيصلحها  
بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك أهل بيته ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه ثم إلى  
أهل محلته ثم إلى أهل بلده ثم إلى أهل السواد المكثف ببلده ثم إلى أهل البوادي من الأكراد والعرب  
وغيرهم وهكذا إلى أقصى العالم فإن قام به الأدنى سقط عن الأبعد وإلا حرج به على كل قادر عليه قريبا

استجداء نظر الحلق  
إليه وعلمهم بحلوه  
في خلوته فقد قيل  
لا تطمع في للزلة عند  
الله وأنت تريد للزلة  
عند الناس وهذا أصل  
يتهدد به كثير من  
الأعمال إذا أهمل  
وينصلح به كثير من  
الأحوال إذا اعتبر  
ويكون في خلوته جاءلا  
وقته شيئا واحدا  
موهوبا فإدامة فعل  
الرضا بما لا واذكرا  
أو صلاة أو مراقبة  
وأى وقت فتر عن  
هذه الأنعام ينأى فان  
أراد تعيين أعداد من  
الركعات ومن التلاوة  
والذكر أتى بذلك شيئا  
فشيئا وإن أراد أن  
يكون بحكم الوقت  
يستند أخف ما على قلبه  
من هذه الأنعام فإذا  
فتر عن ذلك ينأى وإن

كان أو بعيدا ولا يسقط الجراح مادام يبق على وجه الأرض جاهد ففرض من فروض دينه وهو قادر على أن يسمي إليه نفسه أو غيره فبقوله فرضه وهذا دخل شاغل لمن به أمر دينه بنفسه عن تجزئة الأوقات في التفرجات النادرة والتسقي في دقائق الصلوات التي هي من فروض الكليات ولا يتقدم على هذا إلا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه .

### ( الباب الرابع في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر )

قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وأنه أوله الترضع وتوحيه والوعظ وتثنيته التشنيع في القول ورأيه للتحق بالحق على الحق بالمعروف والضرب والجزاء من جملة ذلك مع السلاطين الرعيان الأوليان وما التحريف والوعظ وأما التحق بالحق فليس ذلك لقاد الرعية مع السلطان فإن ذلك بحركة الفتنة ويوجب الشر ويكون ما يتوهم منه من المفسد أكثر ، وأما التشنيع في الأول كقولنا : يا ظالمين لا تخافوا الله وما يجري مجراه فذلك إن كان بحركة فتنة يتهدى شرها إلى غيره لم يجز وإن كان لاخفاف إلا على نفسه فهو جائز بل خندوب إلى فقد كان من عادة السلف التبرع بالأخطار والصريح بالانكار من غير مبالاة بجلالة الوجه والتعرض لأنواع المذابح لهم بأن ذلك شهادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى إمام فأمرهم ونهاهم في ذات الفضل فقتله على ذلك (١) » وقال علي عليه السلام : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر (٢) » ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « قرآن من حديث لا تأخذه في الله لومة لائم وترك قوله الحق ماله من صديق (٣) » ولما علم الفضليون في الدين أن أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وأن صاحب ذلك إذا قتل فهو شهيد كالوردية الأخيار قسموا على ذلك فمواظبين أنقسم على الملائكة ومعتلين أنواع المذابح وصار بين عليه في ذات الله تعالى ومعتبين لما ينزلونه من مهجهم عند الله وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما حل علماء السلف . وقد أوردنا جملة ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام ونقتصر الآن على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية الانكار عليهم . فلما ماروى من إنكار أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أبا بكر قريش حين تصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء وذلك ماروى عن عروة رضي الله عنه قال : قلت لبيد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته فقال حشرهم وقد اجتمع أشرفهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل منه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق بيننا وبيننا وجعنا وبسب آلهتنا وقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا قبيحا من ذلك إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل ينسى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفة بالبيت فصار بهم غمزة يبيض القول من حديث قال وما قرن من حديث قال أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم .

### ( الباب الرابع في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر )

(١) حديث خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى إمام فأمرهم ونهاهم في ذات الفضل فقتله على ذلك الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الإسناد وتقدم في الباب قبله (٢) حديث أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر تقدم (٣) حديث وصفه صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب بأنه قرن من حديث لا تأخذه في الله لومة لائم تركه الحق ماله من صديق الترمذي بسند ضعيف مقتصر على آخر الحديث من حديث على رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا تركه الحق وماله من صديق وأما أول الحديث فرواه الطبراني إلى عمر قال لكعب الأحبار كيف تجد نبي قال أجد نذرك قرنا من حديث قال وما قرن من حديث قال أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم .

أراد أن يبقى في سجود واحد أو ركوع واحد أو ركعة واحدة أو ركعتين سابعة أو ساعتين فله ويلزم في خلوته إدامة الوضوء ولا ينلم إلا عن غلبة بعد أن يدفع النوم عن نفسه مرات فيكون حسدا غفلة ليله ونهاره وإذا كان ذا ذكرا للكلية لا إله إلا الله وشتمت النفس الله كرا بالسان يقولها بقلبه من غير حركة اللسان ، وقد قال سهل ابن عبد الله : إذا قلت لا إله إلا الله من الكعبة وانظر إلى قدم الحق فأنتبه وأبطل مأمواه وليعلم أن الأمر كالسلسلة يدعى حلقة حلقة فليكن دأب التظيم بغل الرضا وأما قوت من في الأربينية

قال ففرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بشلها ففرفت ذلك في وجهه عليه السلام ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بشلها حتى وقف ثم قال اسمعون يا بشر قريش : أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالبرق قال فأطرق القوم حتى مامتهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع حتى إن أشدتم فيه وطأه قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه يقول انصرف يا أبا القاسم راهدا فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الند اجتمعوا في الحجر وأنا معهم قال بعضهم لبعض ذكرت ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا بدأكم بما تكرهون تركتموه فبيتاهم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فؤبوا إليه وثية رجل واحد فأحاطوا به يقولون : أنت الذي هول كذا أنت الذي هول كذا لما كان قديهم من عيب آلهم ودينهم قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا الذي أقول ذلك قال فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجامع رداءه قال وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول وهو يكي ويلك أنتهون رجلا أن يقول رب الله قال ثم انصرفوا عنه وإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه <sup>(١)</sup> وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال « ينار رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء السكبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلفق ثوبه في عنقه فغضب خفا عديدا فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أنتهون رجلا أن يقول رب الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم <sup>(٢)</sup> » وروى أن معاوية رضي الله عنه حبس السقاء فقام إليه أبو مسلم الخولاني فقال له يا معاوية إنه ليس من كذك ولا من كذا أيك ولا من كذا فغضب فقال له معاوية وزل عن التبر وقال لهم مكانكم ، وغاب عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال إن أباسم كفى بكلام أغضبني وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والضب من الشيطان والضب من الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليغسل <sup>(٣)</sup> » وإني دخلت فافتسلت وصدق أبو مسلم أنه ليس من كذا ولا من كذا إني فلهوا إلى عطائكم . وروى عن ضبة بن حصن المزني قال كان علينا أبو موسى الأشعري أميرا بالصرة فكان إذا خطبنا حمدا وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وأنشأ يدعو لعمر رضي الله عنه قال فطافني ذلك من قمته إليه فقلت له أين أنت من صاحبه فضله عليه فصنع ذلك فجمعنا ثم كتب إلى عمر يشكوني يقول إن ضبة بن حصن المزني يعرضني في خطبي فكنت إليه عمر أن أخصه إلى قال فأخصني إليه فقدمت ففرضت عليه الباب فخرج إلى قال من أنت قلت أنا ضبة فقال لي لأمراجا ولا أهلا قلت أما للرحب فمن أهلا فأهل فلا أهلا لي ولا مال فإذا استحللت يا عمر إشخاصي من مصري بلا ذنب أدبته ولا شيء أتيته فقال ما الذي شجر بينك وبين عاملي قال قلت الآن أخبرك به إنه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ يدعو لك فطافني ذلك من قمته إليه فقلت له أين أنت من صاحبه فضله عليه فصنع ذلك فجمعنا ثم كتب إليك يشكوني قال فاندفع عمر رضي الله عنه باكا وهو يقول أنت والله أوفق منه وأرشد فهل أنت غافر لي ذنبي يغفر الله لك قال قلت غفر الله لك يا أمير المؤمنين قال

(١) حديث عروة قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأكانت تظهر من عداوته الحديث بطوله البخاري مختصرا وابن جبان بنامة (٢) حديث عبد الله بن عمرو بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء السكبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رواه البخاري (٣) حديث معاوية الغضب من الشيطان الحديث وفي أوله قصة أبو نعيم في الحلية وفيه من لا أعرفه .

والخولة فالأولى أن  
يختن بالحبز والم  
ويتناول كل ليقترطلا  
واحدا بالبداعي  
يتناول بهند المشاء  
الآخرة وإن قسمه  
نصفين يأكل أول  
الليل نصف وطلو وآخر  
الليل نصف وطلو ويكون  
ذلك أخف للمعدة  
وأعون على قيام الليل  
وإحيائه بالسكر  
والصلاة وإن أراد  
تأخير فطوره إلى  
البحر فليصل وإن  
لم يصبر على ترك الآدام  
يتناول الآدام وإن  
كان الآدام شيئا يقوم  
مقام الحبز ينقص من  
الحبز بقدر ذلك وإن  
أراد التقلل من هذا  
القدر أيضا ينقص كل  
ليلة دون القصة بحيث  
يتهي ظله في الشر  
الأخير من الأربعين

ثم اندفع باكياً وهو يقول والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بيلته ويومه قلت نعم قال أما ليلة ذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتمه أبو بكر فبعل يمشى مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا أبا بكر ما أعرف هذا من أملاك قتال يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا أتمن عليك قال فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليك على أطراف أصابعه حتى خفيت لها رأى أبو بكر أنها قد خفيت حمله على ناقته وجعل يشتد به حتى أتى فم النار فأنزله ، ثم قال والذي بك الحرق لا تدخله حتى أدخله فان كان فيه شيء يزلني قبلك قال فدخل فلم يرفه عيشا فعمله فأدخله وكان في النار خرق فيه حبات وأفاع فألقه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منه شيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه وجلسن يضربن أبا بكر في قدميه وجعلت دموعه تتحد على خديه من ألم ما يجد ورسول الله ﷺ يقول يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه والطمأنينة لأبي بكر فهذه ليلته ، وأما يومه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب قتال بعضهم نصلى ولا نركب فأنيت لا آله نصحا قلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس وارتقمهم فقال لي أجبنا في الجاهلية غوار في الإسلام فإذا أنالهم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي فوالت لومنون عقلا كانوا يملكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلتهم عليه قال قاتلتنا عليه فكان والله رشيد الأثر فهذا يومه ثم كتب إلى أبي موسى يومه (١) . وعن الأصمعي قال دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الأمراء من كل بطن وذلك بمكة في وقت حبه في خلافته فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فصاحده بالسأرة والحق في أولاد المهاجرين والأنصار فانك بهم جلست هذا المجلس والحق الله في أهل الثغور فانهم حسن السليمن وتفقد أمور السليمن فانك وحدك للسؤل عنهم واتق الله فيمن على بابك فلا تنقل عنهم ولا تعلق بابك دونهم فقال له أجل أفضل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا أبا محمد إنا كنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتنا أنت ؟ فقال مالي إلى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك : هذا أويك الشرف . وقد روى أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فإذا مر بك رجس فأدخله على ليحدثني فوقف الحاجب على الباب مدة فر به عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه فقال له يا شيخ أدخل إلى أمير المؤمنين فانه أمر بذلك فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فغضب الوليد على حاجبه وقال له ويلك أمرتك أن تدخلني رجلا يحدثني ويسامرن فأدخلني رجلا لم يرش أن يسمن بالاسم الذي اختاره لي الله فقال له حاجبه ما مر بي

إلى نصف رطل وإن قوى قسح النفس نصف رطل من أول الأربعين وشم يسرا كل ليلة بالتدريج حتى يهود قطوره إلى ربع رطل في العشر الأخير . وقد اتفق متناخ الصوفية على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء: قلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام والاعتزال عن الناس وقد جعل للجوع وقتان : أحدهما آخر الأربع والعشرين ساعة فيكون من الرطل لكل ساعتين أوقية بأكلة واحدة يعملها بعد الشاء الآخرة أو يقسمها أكتنن كما ذكرنا والوقت الآخر على رأس اثنتين وسبعين ساعة فيكون الطي

أحد غيره ثم قال لعطاء اجلس لم أقبل عليه بعدله فكان فيا حدثه عطاء أن قال له بلغنا أن في جهنم واديا يقال هبيب أعد الله لكل إمام جائر في حكمه فمضى الوليد من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة باب المجلس فوقع على قفاه إلى جوف المجلس منشيا عليه فقال عمر لعطاء قتل أمير المؤمنين قبض عطاء على فزع عمر بن عبد العزيز فمزقه عجزه شديدة وقال يا عمر إن الأمر جد بعد ثم قم عطاء وانصرف فلما عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن قال مكثت سنة أجد أم عجزته في ذراعي . وكان ابن أبي حنيفة يوصف بالقل والأدب فدخل على عبد الله بن مروان فقال له عبد الله تكلم بكلم بكلم أنكم وقد علمت أن كل كلام تكلم به للتكلم عليكم . إلا ما كان لله فيكي عبد الله ثم قال ير حك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون قال الرجل يا أمير المؤمنين إن الناس في القيامة لا يتبعون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها إلا من أَرْضى الله بسخط نفسه فيكي عبد الله ثم قال لا جرم لأجل هذه الكلمات مثالا نصيبني ماعش ، وروى عن ابن عائشة أن الحجاج دعا بها البصرة وقها الكوفة فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري رحمه الله آخر من دخل قال الحجاج مرحبا بيا سيدنا إلى " تم دعا بكرسى فوضع إلى جنب سريره فقدم عليه فيصالح الحجاج ذا كرنا ويسأله إذ ذكر على بن أبي طالب رضي الله عنه فقال منه وثلاثا منه مقاربة له وفرقا من شره والحسن ساكت غاض على إلهامه قال يا أبا سعيد مالي لراك ساكتا قال ماعشيت أن أقول قال أخبري رايك في أي تراب قال سمعت الله جل ذكره يقول - وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لعل من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم - فلي من هدى الله من أهل الإيمان فأقول ابن عم علي عليه السلام وخته على ابنته وأحب الناس إليه وما صاحب سوابق مبارك سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها وأقول إن كانت لعل هاته فله حسبه والله ما أجد فيه قولا أعد من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السر برمضا فدخل بيتا خلفه وخرجنا . قال عامر الشعبي فأخذت بيد الحسن فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره قال إلك على يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة أتيت شيطانا من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه وبحك يا عامر هلا أتيت إن مثلت صدقت أو مكنت فقلت قال عامر يا أبا سعيد قد قلت وأنا أعلم ما بها قال الحسن فذاك أعظم في الحجة عليك وأشد في التبعة قال وبش الحجاج إلى الحسن فقال دخل على قال أنت الذي تقول قاطم الله فتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال مملكك في هذا قال ما أخذ الله على الصلاه من التواقيع - ليبينه للناس ولا يكتونه - قال بإسن أمسك عليك لسانك وإياك أن يبان عنك ما أكره فأقرق بين رأسك وجسدك . وحكى أن حطيطا الزيات جى به إلى الحجاج فلما دخل عليه قال أنت حطيط قال نعم قال سأل عمابدا لك فاني عاهدت الله عند التقام على ثلاث خصال إن سئلت لأصدق وإن ابتليت لأصبرن وإن عوفيت لأشكرن قال فأتقول في قال أقول إنك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتمتلك المظنة قال فأتقول في أمير المؤمنين عبد الله بن مروان أقول إنه أعظم جرما منك وإنما أنت خطيئة من خطايا قال فقال الحجاج ضموا عليه العذاب قال فأتته به العذاب إلى أن شقق له العصب ثم جعوا على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبه قصبه حتى انتحلوا لحمه فأصعوه يقول شيئا قال فقبل للحجاج إياه في آخر رمق قال أخرجوه فارسوا به في الدوق قال جعفر فأتيته أنا وصاحب له فقلنا له حطيط ألك حاجة قال شرية ماء فأتوه بشرية ثم مات وكان ابن ثمان عشرة سنة رحمه الله عليه . وروى أن عمر بن هبيرة دعا فغها أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل

لبنين والانصار في الليلة الثالثة ويكون لكل يوم ولية ثلث رطل وربع هذين الوقتين وقت وهوان يغفر من كل ليلتين ليله ويكون لكل يوم ولية نصف رطل وهذا يعني أن يغفر إذا لم يتبع ذلك عليه سامة وضمرنا وقت انشراح في الذكر والمأمة فإذا وجد شيئا من ذلك فليغفر كل ليله وبأكل الرطل في الوقتين أو الوقت الواحد فانفس إذا أخذت بالانظار من كل ليلتين ليله تزداد إلى الانظار كل ليله تنفس وإن موحت بالانظار كل ليله لا تنفع بالرطل وتطليب الآدام والشهوات وقس على هذا فهي أن أطعمت



للمدينة وأهل الشام وقرأهم فجعل يسلّمهم وجعل يكلمهم باسم الشهي فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده منه علما ثم أقبل على الحسن البصري فسأله ثم قال ها هذان هذان رجل أهل الكوفة يعني الشهي وهذا رجل أهل البصرة يعني الحسن فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلّا بالشهي والحسن فأقبل على الشهي فقال يا أبا عمرو إني أمين أمير المؤمنين على العراق وعاهله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية وزعم حقهم فأنا أحب حفظهم وتهدم ما يصلحهم مع النصيحة لهم وقد يلقى عن الصابة من أهل الديار الأمر أجد عليهم فيه فأقبض طائفة من عطاياهم فأضعه في بيت المال ومن نبي أن أرده عليهم فيبلغ أمير المؤمنين أني قد قبضت على ذلك النحو فيكتب إلي أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا إيفاد كتابه وإني أنا رجل مأمور على الطاعة فقول لي في هذا بئمة وفي أضبعه من الأمور والتيغ فيها على ماذا كرت قال الشهي : قلت أسمع الله الأمير إني السلطان والله عظمي وصيبي قال فسر بنو لي وأهبيج به ورأيت البصري في وجهه وقال فله الحمد ثم أقبل على الحسن فقال ما هو يا أبا سعيد قال قد سمعت قول الأمير يقول إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعاهله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية وزعم حقهم والنصيحة لهم والتهدم لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك أن تعطيهم بالنصيحة وإني سمعت عبد الرحمن بن مرة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استرعى رعية فلم يعطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة <sup>(١)</sup> ويقول إني ربما قبضت من عطاياهم إرادة صلاحهم وإمصالهم وأن رجعوا إلي طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين أني قبضتها في ذلك النحو فيكتب إلي أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا إيفاد كتابه وحق الله أن أزم من حق أمير المؤمنين والله أحق أن أطاع ولا طاعة لغيري في بصية الخالق فأعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فان وجدته موافقا لكتاب الله نقضه وإن وجدته مخالفا لكتاب الله فابنده يا ابن هيرة اتق الله فانه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يريك من سرريك ويخرجك من سعة نصرك إلى ضيق يترك قدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتخدم على ربك وتزول على عملك يا ابن هيرة إن الله لينتك من يزيد وإن يزيد لا يمتك من الله وإن أمر الله فوق كل أمر وإنه لإطاعة في حصية الله وإني أحذرك بأسماء الهدى لا يرد عن القوم المهجرين ، قال ابن هيرة إربع على ظمك أيها الشيخ وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين فان أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل ، وإني أؤله الله تعالى ماؤله من أمر هذه الأمة لعله به وما يعله من فضله وتبينه فقال الحسن يا ابن هيرة الحساب من وراءك سوط بسوط وغضب بغضب ووقع بالمرصاد يا ابن هيرة إنك أن تلقى من يصح لك في دينك ويعطيك على أمر آخرتك خير من أن تلقى رجلا يترك عنيك فقام ابن هيرة وقد برى وجهه وتبرأ له وقال الشهي قتل يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفة وصلته فقال إليك غنى يا عمر قال فخرجت إلى الحسن التحف والطرف وكانت له للزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لما أدى إليه وكنا أهلا أن يفعل ذلك بنا فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء إلا مثل الفرس العربي بين القارفر وما شهدنا مشهدا إلا برز علينا وقال فله عز وجل وقتنا مقارنة لهم قال عامر الشهي وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحياه . ودخل محمد ابن واسع على بلال بن أبي بردة فقال له ما تقول في القدر ؟ فقال جيرانك أهل القبور تنفكر فيهم

(١) حديث الحسن عن عبد الرحمن بن مرة من استرعى رعية فلم يعطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة رواه البغوي في معجم الصحابة بإسناد لين وقد اشق عليه الشيخان بنحوه من رواية الحسن عن معقل بن يسار .

طمعت وإن أقمعت  
قمت . وقد كان يصهم  
ينقص كل ليلة حتى رد  
النفس إلى أقل قوتها  
ومن الصالحين من  
كان يبر القوت بنوي  
التمر وينقص كل ليلة  
نواة ومنهم من كان  
يسير بحد رطب  
وينقص كل ليلة جند  
نشاف المود . ومنهم  
من كان ينقص كل  
ليلة ربع سبع الرغيف  
حتى ينفي الرغيف في  
شهر ومنهم من كان  
يؤخر الأكل ولا يعمل  
في هليل القوت ولكن  
يعمل في تأخير  
البتدرج حتى تتدرج  
ليلة في ليلة وقد فعل  
ذلك طائفة حتى انتهى  
طهم إلى سبعة أيام  
وعشرة أيام وخمسة  
عشر يوما إلى الأربعين  
وقد قيل لسبل بن

فإن فيهم شغلا عن القدر . وعن الشافعي رضي الله عنه قال حدثني حمى محمد بن علي قال إني لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور وفيه ابن أبي ذؤيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال فأتى القناريون فشكوا إلى أبي جعفر شيئا من أمر الحسن بن زيد فقال الحسن بن أمير المؤمنين صل عنهم ابن أبي ذؤيب قال فسأله فقال ما تقول فيهم يابن أبي ذؤيب فقال أشهد أنهم أهل خطم في أعراض الناس كثير والأذى لهم ، فقال أبو جعفر : قد سمعت قال القناريون بأمر أمير المؤمنين صل عن الحسن بن زيد قال يابن أبي ذؤيب ما تقول في الحسن بن زيد فقال أشهد عليه أنه يحكم بيني الحق ويبيع هواه فقال قد سمعت بأحسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح ، فقال أمير المؤمنين أسأله عن نفسك قال ما تقول في قال تعفي بأمر المؤمنين قال أسأله : بالله ألا تخبرني ذل تسألني بالله كأنك لا تصرف نفسك قال والله تخبرني قال أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير أهله وأشهد أن الظلم يابك فاش قال فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب فقبض عليه ثم قال له أما والله لو لآتي جالي ههنا لأخذت فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك قال قال ابن أبي ذؤيب بأمر المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذ الحق وقبض بالسوية وأخذوا بأخاه فارس والروم وأصغروا آذانهم قال غلبي أبو جعفر فقبضه وغلبي سبيته وقالوا لله لولا أني أعلم أنك صادق لقتلتك ، قال ابن أبي ذؤيب والله بأمر المؤمنين إني لأصعقك من ابنك للهدى قال فلبثنا أن ابن أبي ذؤيب لما أنصرف من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا أبا الحرث قد سررت ما خاطبت به هذا الجبار ولكن سادني قولك له ابنك للهدى فقال يتفراغ لك يا أبا عبد الله كنا مهدي كنا كان في للهدى . وعن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بث إلى أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتنيته فها وصلت إليه ولسنت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال لي ما الذي أبغاك عنا يا أوزاعي قال قلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين قال أريد الأخذ عنكم والاتباس منكم قال فقلت فانظر يا أمير المؤمنين أن لا يجهل شيئا مما أقول لك قال وكيف أجعله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت إليك وأقمتك له قال قلت أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح لي الريح وأهوى بيده إلى السيف فاتممه المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة (١) فطابت نفسي وابسطت في الكلام ، فقلت يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني عبد جئت موعظة من الله في دينه فاتمها نعمة من الله سبقت إليه فإن قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثمها وزداد بها سيئها عليه (٢) » يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن ياسر قال قال رسول الله ﷺ « إني والله مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة (٣) » يا أمير المؤمنين من كره الحق قد كره الله إني اللهو الحق المبين إني الذي لين فلوب أمستكم لكم حين ولاكم أمورهم فترابكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم

(١) حديث الأوزاعي مع المنصور وموعظته له وذكر فيها عشر أقايد مرفوعة والقصة بعينها رواها ابن أبي الدنيا في كتاب مواعظ الخلفاء . ورويناها في مشيخة يوسف بن كامل الخفاف ومشيخة ابن طبرزد وفي إسنادهما أحمد بن عبيد بن ناصح قال ابن عدي يحدثنا بغيره وهو عندي من أهل الصدق وقد رأيت سرمد الأحاديث المذكورة في الموعظة لنذكر هل لبسها طريق غير هذا الطريق وليعرف صحابي كل حديث أو كونه مرسلًا فاولها (٢) حديث عطية بن بشر إني عبد جئت موعظة من الله في دينه فاتمها نعمة من الله الحديث ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء (٣) حديث عطية بن ياسر إني والله مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة ابن أبي الدنيا فيه وإبن عدي في الكامل في ترجمة أحمد بن عبيد

عبد الله هذا الذي يأكل في كل أربعين وأكثر أسكلة ابن يذهب لطلب الجوع عنه قال بطله المنور . وقد سألت بعض الصالحين عن ذلك فذكر لي كلاما بباردة دلت على أنه يجد فرحاً به ينطق معه لطلب الجوع وهذا في الحق واقع أن الشخص يطره فرح وقد كان جامعاً فيذهب عنه الجوع وهكذا في طرق الخوف يقيم ذلك ومن فعل ذلك ودرج نفسه في شيء . وهذه الأقسام التي ذكرناها لا يؤثر ذلك في نقصان عقله واضطراب جسمه إذا سكن في حماية الصدق والإخلاص وإنيما يغني في ذلك وفي دوام الذكر على من لا يخلص فتعالى .

رودوا رحبا مواسيا لهم بنفسه في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس لحقيق بك أن تقوم له فيهم بالحق وأن تكون بالقسط له فيهم قائما ولعوراتهم سارا لاتعلق عليك دوتهم الأبواب ولا تنعم دوتهم الحجاب تبتجج بالعمة عندهم وتبتش بما أصابهم من سوء يأمر المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم أحمرهم وأسودهم مسلمهم وكفارهم وكلهم عليك نصيب من العدل فكيف بك إذا أنبت منهم فقام وراءه فقام وليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلها عليه أو ظلمة سقاها إليه يأمر المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن ربيع قال كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له يا محمد ماهذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا (١) فكيف بمن شقق أستارهم وصفك دماهم وخرب ديارهم وأجلامهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه يأمر المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرايا لم يتعمده فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله لم يستك جبارا ولا متكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الأعرايا فقال اقتص مني فقال الأعرايا قد أحلك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أنبت على نفسي فعدا له (٢) يأمر المؤمنين رضى نفسك لنفسك وخذنها الأمان من ربك وارغب في جنة عرضها السموات والأرض التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم «لقد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا وما فيها» (٣) يأمر المؤمنين إن الملك لو قى لمن قبلك لم يسل إليك وكذا لا يلقى لك كالمين لغيرك يأمر المؤمنين أندري سماه في تأويل هذه الآية عن جدك - ما لهذا الكتاب لا يعاد صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها - قال الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الألسن يأمر المؤمنين بلغني أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لومات سخة على شاطئ القرات ضيعة لحشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلا وهو على بساطك يأمر المؤمنين أندري سماه في تأويل هذه الآية عن جدك - يادادو إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله - قال الله تعالى في الزبور : يادادو إذا فعد الحصان بين يديك فكان لك في أحدها هوى فلا تتيمين في نفسك أن يكون الحق له فيفعل على صاحبه فأعوك عن نبوتى ثم لا تكون خليفة ولا كرامة يادادو إنما جعلت رسلى إلى عبادى رعا كراء الأبل لهمم بالرعاية ورقتهم بالسياسة ليحبروا الكبير ويدلوا الحزبل على الكلا . وآلاء . يأمر المؤمنين إنك قد بليت بأمر لوعرض على السموات

(١) حديث عروة بن ربيع كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين الحديث ابن أبي الدنيا فيه وهو مرسل وعروة ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٢) حديث حبيب بن مسلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرايا لم يتعمده الحديث ابن أبي الدنيا فيه ، وروى أبو داود والنسائي من حديث عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتص من نفسه وللحاكم من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه طعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خاصرة أسيد بن حضير ، فقال أوجعتي قال اقتص الحديث قال صحيح الإسناد (٣) حديث لقيد قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها ابن أبي الدنيا من رواية الأوزاعي مضاف لم يذكر استناده ورواه البخاري من حديث أنس بلطف القاب .

وقد قيل حد الجوع أن لا يميز بين الحيز وغيره مما يؤكل ومضى عيت النفس الحيز فليس بجائع وهذا المعنى قد يوجد في آخر الحديث بعد ثلاثة أيام وهذا جوع الصديقين وطلب الغذاء عند ذلك يكون ضرورة لقوام الجسد والقيام براض العبودية ويكون هذا حجة الضرورة لمن لا يجتهد في التقليل بالتدريج فأمان درج نفسه في ذلك قد يصبر على أكثر من ذلك إلى الأربعين كما ذكرنا وقد قال بعضهم حد الجوع أن يرق فاذا لم يقع اللباب على رزاقه يدل هذا على خلو المعدة من الدسم وصفاء الزقاق كالماء الذي لا يقصده اللباب . روى أن سفيان

والأرض والجيال لأين أن يحمله وأعفقت منه يأمر المؤمنين حتى يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن حمزة الأنصاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقبا قال له : ما منك من الخروج إلى عمك ؟ أنا علمت أن كنت على أجرة المجاهد في سبيل الله قال لا لا وكيف ذلك ؟ قال إنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من وال يلى شيئا من أمور الناس إلا آتى به يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه لا يشكها إلا عمله فيوقف على جسر من النار

ينقض به ذلك الجسر استفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يهاد فيجاس فان كان حسنا نجا بإحسانه وإن كان سيئا أخرق به ذلك الجسر فيبوي به إلى النار سبعين خريفا (١) وقال له عمر رضي الله عنه عن حمت هذا ؟ قال من أبي ذر وسلمان فأرسل إليهما فمرسما فقالا من سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وأما عمر من يتولا بما فيها قال أبو ذر رضي الله عنه من سلت الله أمه وأصلق خداه بالأرض ، قال فأخذ للديل فوضه على وجهه ثم بكى وانتصب حتى أبكى ثم قلت يأمر المؤمنين قد سألت جدك العباس النبي صلى الله عليه وسلم إمارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبي عليه السلام : يا عباس يا عمر النبي قضى تحبها خير من إمارة لأخصيا (٢) و نسيعة منه لسه وعفقت عليه وأخبره أنه لا يخفى عنه من الله شيئا إلا أوحى الله إليه وأندو عشرتين الأقرين - قال : يا عباس وإصفيته همى النبي وإفاطمة بنت محمد إلى لست أخفى عنكم من الله شيئا إن لي حملي ولكم حملكم (٣) وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا أخفى أمر الناس إلا خضف النعل أربب القعد لا يطلع منه على حورة ولا يخاف منه على حرة ولا تأخذنه في الله لومة لائم . وقال الأمراء أربعة : فأمر قوى ظلف نفسه وماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة ، وأمر فيه ضف ظلف نفسه وأرتع عمله استغفوه في شغاهلاك إلا أن رحمه الله ، وأمر ظلف عمله وأرتع نفسه فذلك الحطمة الذي قاله فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « شر الرعاة الحطمة فهو المالك وحده » (٤) وأمر أرتع نفسه وماله فليكنوا جميعا وقد بلغني يأمر المؤمنين أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال : أتيك حين أمر الله أن ترفع يدي عن الناس على التراب تسر ليوم القيامة قال له يا جبريل صف لي النار قال إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احترت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يخفى جمرها ولا يطفأ لها والقي بئسك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعا ولو أن ثوبا من شرابها صب في مياه الأرض جميعا لقتل من ذاقه

(١) حديث عبد الرحمن بن عمر أن عمر استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة الحديث وفيه مرفوعا ما من وال يلى شيئا من أمور الناس إلا آتى الله يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه الحديث ابن أبي الدنيا فيه من هذا الوجه ورواه الطبراني من رواية سويد بن عبد العزيز عن يسار بن أبي الحكم عن أبي وال قال أن عمر استعمل بشر بن عاصم فذكر أخضر منه وأن بشرا صمه من النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر فيه سلمان (٢) حديث يا عباس يا عمر النبي قضى تحبها خير من إمارة لأخصيا ابن أبي الدنيا هكذا معبلا بشر بإسناد ورواه البيهقي من حديث جابر متصلا من رواية ابن السكندر مرسلا وقال هذا هو المظبوط مرسل (٣) حديث يا عباس وإصفيته وإفاطمة لا أخفى عنكم من الله شيئا لي عمل ولكم عملكم ابن أبي الدنيا هكذا معبلا دون إسناد ورواه البخاري من حديث أبي هريرة متصلا دون قوله لي عمل ولكم عملكم (٤) حديث شر الرعاة الحطمة رواه مسلم من حديث عائذ ابن عمر الزني متصلا وهو عند ابن أبي الدنيا عن الأوزاعي معصلا كما ذكره المصنف.

التوري فإبراهيم بن آدم رضي الله عنهما كانا بطوان ثلاثا ثلاثا . وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه بطوى حنا . وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بطوى سبعة أيام . واشتهر خالد بن سعيد ابن عبد الله المعروف بسمويه رحمه الله وكان صاحب أحد الأسود الدبشوري أنه كان بطوى أربعين يوما وأقصى ما بلغ في هذا المعنى من الطي رجل أدر كنا زمانه وما رأيت كان في أبهر يقال له الزاهد خلفه . كان يأكل في كل شهر لوزة . ولم نسمع أنه بلغ في هذه الأمة أحد بالطي والتدريج إلى هذا الحد . وكان في أول أمره على ما حكى بقصى القوت

ولو أن ذراعاً من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعاً لذابت وما استقلت ولو أن رجلاً أدخل النار ثم أخرج منها لثأل الأرض من ثقل ريعه وتشويه خلقه وعظمه فيكس النبي صلى الله عليه وسلم ويكس جبريل عليه السلام ليكاته فقال أنبيك يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبداً شكوراً ولم يكس جبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وجهه ؟ قال أخاف أن أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت فهو الذي منعتني من استكالي على منزلي عند ربى فأكون قد آمنت منك ولم يزل يكره فلم يزالا يكره حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد إن الله قد آتاكم أن تصبياه فعبداً وفضل محمد على سائر الأنبياء كفضل جبريل على سائر المرسلين (١) وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : اللهم إن كنت تعلم أنى أبألى إذا قدم الحصان بين يدي على من مال الحق من قرب أو بعيد فلا تمنى طرفة عين يا أمير المؤمنين إن أشد الشدة القيام لله بحقه وإن أكرم الكرم عند الله التقوى وإنه من طلب الرزق بطاعة الله رضى الله وأعزه ومن طلبه بمصبة الله أذله الله ووضعه ، فهذه نصيحتي إليك والسلام عليك . ثم نهضت فقال لي إلى أين ؟ قلت إلى الوالد والوطن فإذا أمير المؤمنين إن شاء قل ذلك وشكرت لك نصيحتك وقتلتها والله الوفاء للغير والدين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسي ونعم الوكيل فلا تخفى من مطالعتك لى بثل هذا فانك للقول القول غير التهم في الصيحة . قلت أضل إن شاء الله . قال محمد بن مصعب : فأمر له بمال يستعين به على خروجه في قبيله وقال أنا في غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتي بمرض موت الدنيا وعرفنا التصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك . وعن ابن الهاجر قال قدم أمير المؤمنين النصور مكة شرفها الله حاجاً فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلى ولا يعلم به فإذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فيصلى بالناس فتخرج ذات ليلة حين أشرق فبينما هو يطوف إذ سمع رجلاً عند اللترزم وهو يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البنى والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فأسرع النصور في مشيه حتى ملا سامه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إليه فدعا فأثامه الرسول وقاله أجب أمير المؤمنين فصل ركعتين واسئل الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له للتصور ما هذا الذي سمعتك تقول من ظهور البنى والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فقلت فوالله لقد حشوت سامي ما أمرضني وأقناني ؟ فقال يا أمير المؤمنين إنى أمنتنى على نفي أنبأك بالأمور من أمورها وإلا انصرت على نفسي فيها لى شغل شاغل فقال له أنت آمن على شكك فقال الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح ما ظهر من البنى والفساد في الأرض أنت قال وعحك وكيف يدخلنى الطمع والصغراء والبغضاء في يدي والحلو والحامض في قبضتي قال وهل دخل أحداً من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين إن الله تعالى استرعاك أمور السليين وأمورهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجبس والأجر وأبواباً من الحديد وحجة معهم الباطل ثم سجت نفسك فيها منهم وبميت عمالك في جمع الأموال وجبايتها وأخذت وزراء وأعاوناً طلبة إن نسيتم لم يذكروك وإن ذكرت لم يعينوك وقوتهم على ظلم الناس بالأموال والسكران والسلاح وأمرت بأن يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان ثم صيرتهم ولأمراً بصل النكاح ولا للهرق ولا الجامع ولا العارى ولا الضعيف ولا الفقير ولا أحد إلا لوله في هذا المال حتى

(١) حديث بلغني أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال آتيتك حين أمر الله بتأخير النار وضعت على النار لتعزموهم القيامة الحديث أطوله ابن أبي الدنيا فيه هكذا معضلاً بغير إسناد .

بشأن العود ثم طوى  
حتى انتهى إلى اللوزة في  
الأربعين ثم إنه قد  
يسلك هذا الطريق  
جميع من الصادقين وقد  
يسلك غير الصادق هذا  
لوجود هوى مستكن  
في باطنه يهون عليه  
ترك الأكل إذا كان  
له استراحة فنظر الحاق  
وهذا عين التفات نموذج  
بالقمن ذلك والصادق  
ربما يقدر على الطي  
إذا لم يعلم بحاله أحد  
وربما تخفف عزيمته  
في ذلك إذا علم بأنه  
يطوى فإن صدقه في  
الطي ونظره إلى من  
يطوى لأجله يهون  
عليه الطي فإذا علم به  
أشد تخفف عزيمته في  
ذلك وهذا علامة  
الصادق فهما أنيس  
في نفسه أنه يحب أن  
يرى بسين التفلل

فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يحببوا عنك  
 نجى الأموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فإنا لا نخونه وقد سخر لنا فاعترضوا على أن لا يصل  
 إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا إلا أقصوه  
 حتى تسقط مملكته ويصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك وعندهم أعظمهم الناس وهابهم وكان أول  
 من صانهم عمالك بالهدايا والأموال ليتقوا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة  
 من رعيتك ليتالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلات بلاد الله بالطمع بنياناً وفساداً وصار هؤلاء  
 القوم شركاءك في سلطانتك وأنت غافل فإن جاء مظلّم حبل بينه وبين الدخول إليك وإن أراد  
 رفع صوته أو قصته إليك عند ظهورك وجسدك قد نهبت عن ذلك ووقفت للناس رجلاً ينظر في  
 مظالمهم فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألوأ صاحب الظلم أن لا يرغ مظلمته وإن كانت للمظلم  
 به حرمة وإجابة لم يكن كما يريد خوفاً منهم فلا يزال الظالم يختلف إليهم ويلوذ به وبشكوه  
 ويستثبت وهو يدفعه ويمتل عليه فإذا جهدوا خرج وظهروا صرخ بين يديك فيضرب ضرباً  
 مبرحاً ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر ولا تتحرك ولا تغير فأبى الاسلام وأهله على هذا وقد  
 كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينهى إليهم الظلوم إلا رفعت ظلامته إليهم فينصف ولقد كان الرجل  
 يأتي من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطنتهم فينادي أهل الاسلام بقتلهم مالك مالك فيرفعون  
 مظلمته إلى سلطنتهم فينصف ولقد كنت يأمر المؤمنين أسافر إلى أرض الصين وبها ملك قدّمها  
 مرة وقد ذهب صمم ملكهم فجعل يسكن فقال له رداؤه مالك تبكي لا بكتك عيناك فقال أما إني  
 لست أبكي على الصلوة التي يزلي في ولكن أبكي لظلمهم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قال أما إني  
 كان قد ذهب سمى فإن يصري لم يذهب نادوا في الناس ألا لا يلبس ثوباً أحمر إلا مظلوم مكان  
 يركب التيل ويظوف طرفي النهار هل يرى مظلوماً فينصفه هذا يأمر المؤمنين مشرك بالله قد غلبت  
 رأفته بالشركين ورفقه على شيء نفسه في ملكه وأنت مؤمن بالله وابن عم بني الله لتفليح رأفتك  
 بالمسلمين ورتقت على شيء نفسك فإنك لا تجمع الأموال إلا الواحد من ثلاثة إن قلت أجمعها لولدي  
 فقد أراك الله عيرا في الطفل الصغير يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مال ومامن مال إلا ودونه  
 يد شجعة تحويه فإذا زال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه ولست الذي تخطي  
 بل الله يعطي من يشاء وإن قلت أجمع المال لأشيد سلطاني فقد أراك أغيرا فيمن كان قبلك ما أغنى عنهم  
 ما جمعه من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والصلاح والكرام وما ضرز ولداً إليك ما كنتم  
 فيه من قلة الجدة والضعف حين أراد الله بكم ما أراد وإن قلت أجمع المال لطلب غاية أي جسم من الغاية  
 التي أنت فيها والله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح يأمر المؤمنين هل تعاقب من  
 عداك من رعيتك بأشد من القتل قال لا ، قال فكيف تصنع بالملك الذي خولك الله وما أنت عليه  
 من ملك الدنيا وهو تعالى لا يصاب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخوف في العذاب الآليم وهو  
 الذي يرى منك ما عداك عليك وأمرته جوارحك فإذا تقول إذا انتزع الملك الحق المين ملك الدنيا  
 من يدك ودعاك إلى الحساب هل ينفي عنك عذبه شيء مما كنت فيه مما شجعت عليه من ملك الدنيا  
 فيكفي المنصور بركا شديداً حتى عجب وأرفع صوته ثم قال يا ليتني لم أخاق ولم أذك شيئاً ثم قال كيف احتياي  
 فيما حول فيه ولمار من الناس إلا خائفاً قال يأمر المؤمنين عليك بالأئمة الأعلام المرشدين قال ومن هم ؟  
 قال العلماء قال ودرهمي قال هر بومانك عفاة أن نعملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك  
 ولكن أفتح الأبواب وسهل الحجاب واتصّر للمظلوم من الظلم وامنع المظالم وخذ الناس بمأحل وطاب

عليهم شيء فإن فيه  
 شائبة النفاق ومن  
 يطوى في يومه الله  
 تعالى فرحاً في باطنه  
 ينسبه الطعام وقد  
 لا ينسب الطعام ولكن  
 امتلاء قلبه بالأنوار  
 بجوى جاذب الروح  
 الروحاني فيجذب إلى  
 مركزه ويستقره من  
 العالم الروحاني وينير  
 بذلك عن أرض  
 الشهوة الفسادية وأما  
 أثر جاذب الروح إذا  
 تخلف عنه جاذب  
 النفس عند كمال  
 طمأنينتها وانكسار  
 أنوار الروح عليها  
 بواسطة القلب للستير  
 فأجل من جذب  
 للناطيس للعديد إذ  
 للناطيس يجذب  
 الحديدي روح في الحديد  
 مشاكلاً للناطيس  
 فيجذب بنسبة الجنية

واقسمه بالحق والعدل وأناضامن على أن من هرب منك أن يأتيك فيعاولك على صلاح أمرك ورعيته  
 فقال النصور : اللهم وحق أن أحمل بما قاله هذا الرجل وجاء للؤذون أسلوا عليه وأقيمت الصلاة فخرج  
 ضلي بهم ثم قال لهمسى عليك بالرجل إن لم تأتني به لأضرب عنقك واغناط عليه فيظا شديدا فخرج  
 الحرمسى يطلب الرجل فيبينا هو يطفو فإذا هو بالرجل يصلى في بعض الشعاب قصد حتى صلى ثم قال إذا  
 الرجل أستمعني الله قال بلى قال أمأمره قال بلى قال فانطلق مسمى إلى الأمير قد آلى أن يقتلني لم آتته  
 بك قال ليس لي إلى ذلك من سبيل قال يقتلني قال لا قال كيف قال تحسن تقرأ قال لا فأخرج من  
 مزود كان معه رقاً مكتوباً فيه شيء فقال خذ فاجعله في جيبك فإن فيه دواء الفرج قال ومادها الفرج  
 قال لا يرزقه إلا الشهداء قلت رحمك الله قد أحسنت إلى فإن رأيت أن تخبرني بهذا الدواء وماضيه قال من  
 دعا به مساء وصباحا همت ذنوبه ودام سروره ومجيت خطابه واستجيب دعاؤه وبسط له في رزقه  
 وأعطى أمه وأعين على عدوه وكتب بعد الله صديقاً ولا عوت إلا شهيداً حول اللهم كما لطفت بعظمتك  
 دون اللطفاء وعلوت بمظنك على العطاء وعلت ماحت أرضك كلكم بما فوق عرشك وكانت  
 وسواس الصدور كاللانية عندك وعلاية القول كالسر في علك واقاد كل شيء لظمتك وخضع  
 كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك أجل لي من كل شيء أسبغت فيه فرجا  
 وهزجا اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك في قبيح عملي أطمعني أن أسألك  
 ما لا أستجبه عما قصرت فيه أدعوك وأنا وأسألك مستأنسا وإنك الحسن إلى وأنا اللئى إلى قسى  
 فبأبى وبينك تتود إلى نعمتك وأبيض إليك بالمعاصي ولكن الثقة بك جعلت لي الجراءة عليك  
 قد بفضلك وإحسانك على إليك أتت التواب الرحيم قال فأخذته فصرته في جيبى ثم لم يكن لي غير  
 أمير المؤمنين دخلت فسلمت عليه فرفع رأه فنظر إلى وتبسم ثم قال وبعسن السحر قتل لا والله  
 يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمري مع الشيخ فقال هات الرق الذي أعطاك ثم جعل يبكي وقال قد  
 تجوت وأمر بنسخه وأعطاني عشرة آلاف درهم ثم قال أمأمره قتل لا قال ذلك الحضر عليه السلام .  
 وعن أبي عمران الجوني قال لما ولي هرون الريد الخلافة زاره الملاء فهنوه بما صار إليه من أمر الخلافة  
 ففتح بيوت الأموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالسى الملاء والزهاد وكان يظهر  
 التسك والتعفف وكان مؤاخيا لسفيان بن سعيد بن النضر الثوري قدما فنهجه سفيان ولم يزد فاشتاق  
 هرون إلى زيارته ليخلوه ويحدثه فلم يزد ولم يعبأ بموعظه ولا بما صار إليه فاشتد ذلك على هرون  
 فشكبه إليه كتابا يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون الريد أمير المؤمنين إلى  
 أخيه سفيان بن سعيد بن النضر أما بعد يا أخي قد علمت أن الله تبارك وتعالى وأخى بين المؤمنين وبجعل  
 ذلك فيه وله واعلم أي قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حيلك ولم أقطع منها ودك وإنني منطوكل على  
 أفضل الحية والارادة ولولا هذه القلادة التي قلدها الله لأنتيك ولوحبوا لما أجداك في قلبي من الهبة  
 واعلم يا أبا عبد الله أنه ما بيني من إخوانك أحد إلا وقد زارني وهنأني بما صرت إليه وقد تحت  
 بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسى وقرت به عيني وإنني استبأناك فلم  
 تأتني وقد كتبت إليك كتابا شوقا مني إليك شديدا وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاءه من فضل المؤمنين  
 وزيارته ومواصلة فاذا ورد عليك كتابي فالجعل العجل ، فلما كتب الكتاب التفت إلى من عنده فاذا  
 كلهم يرفون سفيان الثوري وخشوته فقال على رجل من الباب فأدخل عليه رجل يقال له  
 جباد الطائي قال يا أبا عبد خذ كتابي هذا فانطلق به إلى الكوفة فاذا دخلها فسل عن قبيلة بني  
 ثور ثم سل عن سفيان الثوري فاذا رأته فالتق كتابي هذا إليه وع بسمك وقلك جميع ما يقول

الحاجة فاذا تجست  
 النفس بمكس نور  
 الروح الواسل إليها  
 بواسطة القلب يصير  
 في النفس روح  
 استمدتها القلب من  
 الروح وأدلهما إلى  
 النفس فتجلب الروح  
 النفس بمجنية الروح  
 الحادثة فيها فيزدرى  
 الألعمة الدنيوية  
 والشهوات الحيوانية  
 ويتحقق عنده قول  
 رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم « أبيت  
 عند رب يطمس  
 ويسقى » ولا يخدر  
 على ما وصفناه لإعبد  
 نصير أعماله وأقواله  
 وسائر أحواله ضرورة  
 فيتناول من الطعام  
 أيضا ضرورة ولو  
 تكلم مثلا بكلمة  
 من غير ضرورة  
 التهب فيه نار الجحيم

فأعص عليه دقي أهره وجليه تخبرني به فأخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القيلة فأرشد إليه إسماعيل عن سفيان قيل له هو في المسجد قال عباد فأقبلت إلى المسجد فما رأيته قام فأما وقال أهو ذبا لله السميع الدليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرُق إلا غير قال عباد فوقت الكلمة في قلبي فخرجت فما رأيته زلت يباب المسجد فلم يزل ولم يكن وقت صلاة فربطت غرسي يباب المسجد ودخلت فإذا جلساء قوم قد نكسوا رءوسهم كأنهم لموص قد ورد عليهم الساطن فهم خائفون من عقوبته فسلبت لها رفع أحدى إلى رأسه وردوا السلام على رموس الأصابع فبقيت واثقا لما منهم أحد يمرض على الجلوس وقد علاني من هيبته الرعدة ونددت عيني إليهم قلت إن الصلي هوسفيان فرميت بالكتاب إليه فلما رأى الكتاب ارتعد وجماعته منه كأنه حية عرمت له في عماره فركع وسجد ورجل وأدخل يده في كفه ولها بعباته وأخذ قلبه يده ثم رماء إلى من كان خلفه وقال يأخذ بسنكم يرقوه فاني أستغفر الله أن أسئله عما يده قال عباد فأخذ بهضم خلفه كأنه خائف من ثم حية تنهض ثم فزع وقرأه وأقبل سفيان يتسم بسم للتعجب فلما فرغ من قرأته قال اقبلوه واكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه قبله يا أبا عبد الله إنه خليفة فلو كنت إبلى في قرطاس نقي فقال اكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتبه من حلال فسوف يجرى به وإن كان اكتبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبق شيء منه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا قيل له ما كتب قال اكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم من العبد للذئب سفيان بن سعيد بن اللند التوري إلى العبد للزور بالآمال هرون الرشيد الذي سلب حلاوة الإيمان . أما بعد فاني قد كتبت إليك أعرفك أتى قد صرمت جملك وقطعت وذك وقلت موصطك فأنك قد جسطني شاهد عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأثقت في غير حق وأخذت في غير حكم ثم رضى ما ضللت وأنت تاء عني حتى كتبت إلى تصدي على نفسك إما نبي قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسؤدي الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى ياهرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضام هل رضى بفعلك المؤلفة قلوبهم والمالون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل أم رضى بذلك حملة القرآن وأهل العلم والأرامل والأيتام أم هل رضى بذلك خلق من رعيك قد ياهرون مترك وأعد للسئلة جوابا وللإلاء جليبا واعلم أنك ستف بين يدي الحكم العدل قد رزمت في نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهدي ولذيذ القرآن وبجالة الأخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالما للظالمين إماما ياهرون قدت على السرير ولست الحرر وأديلت سترادون بأك وتشرعت بالحجة رب العالمين ثم أهدمت أجنالك الظلمة دون بأك وسترك بظنون الناس ولا ينصون يشربون الخمر ويضربون من يشربها ويترنون ويحسدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس فكيف بك ياهرون غدا إذا نادى للنادي من قبل الله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أين الظلمة وأعوان الظلمة قدمت بين يدي الله تعالى ويداك مفلوتان إلى عنقك لا يفسكنهما إلا عدلك وإضافتك والظالمون حورك وأنت لهم سابق وإمام إلى النار ، كأي بك ياهرون وقد أخذت بضييق الحق ووردت للساق وأنت ترى حسنتك في ميزان غيرك وسيئاتك غيرك في ميزانك زيادة عن سيئاتك بلا على بلاه وظلمة فوق ظلمة فأحفظ بوصيقي وانظ بعو ظلي التي وعظمتك بها . واعلم أتى قد نصحتك وما أجيبت لك في النصيحة فأنق الله ياهرون في رعيك واحفظ عمدا صلي الله عليه وسلم في أمته وأحسن الخلافة عليهم واعلم أن هذا الأمر لو بقي لعرك لم يصل إليك وهو صائر إلى غيرك وكذا الدنيا تنتقل

الباب الحفام بالثار  
لأن النفس الراقدة  
تستعيط بكل ما يوقظها  
وإذا استيقظت  
نزعته إلى هواها فالعبد  
للرأه بهذا إذا نطق  
لسياسة النفس ووزق  
الم سبل عليه  
التي وتداركته  
للوعة من الله تعالى  
لاسا إن كوشف  
بني من اللع الالهية .  
وقد حكى قير أنه  
اشد به الجوع وكان  
لايطاب ولا يتسبب  
قال فلما انتهى جوعى  
إلى القاية بعد أيام  
فتح الله على بفتاحة  
قال فتناولت الفتاحة  
وقصدت أكلها فلما  
كسرتها كوشفت  
بحوراء نظرت إليها  
غيب كسرهما حدث  
عندي من الفرح  
بذلك ما استنبت



بأهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا فنه ومنهم من خسر دنياه وآخرته وإن أحببت يا هرود  
 عن خبر دنياه وآخرته فإياك إياك أن تكتسب لي كتابا بعد هذا فلا أجيبك عنه والسلام . قال عبد  
 فألقى لي الكتاب منشورا غير مطبوع ولا عنقود فأخذته وأقبلت إلى سوق الكوفة وقد قست للوعنة  
 من قلبي فدأبت يا أهل الكوفة فأجابوني قلت لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله إلى الله فأتوا  
 إلى بالله ناير والدرام قلت لأحاجة لي في السال ولكن جبة صوف خشنه وعباءة قطوانية قال فأقبلت  
 بذلك وزعت ما كان لي من اللباس لقدى كنت ألبسه مع أمير المؤمنين وأقبلت أتود البرزون وعليه  
 السلاح لقدى كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هرود خافيا راجلا فنهز أي من كان على باب الخليفة  
 ثم استؤذن لي فلما دخلت عليه وبصر بي على تلك الحالة قام وقصدهم فلم أعصا وجعل يلطم رأسه ووجهه  
 ويدعو بالويل والجزن ويقول انتفع الرسول وخاب الرسل مالى ولقد نيا مالى وللك زول عن سريرا  
 ثم ألتبت الكتاب إليه منشورا كما دفع لي فأقبل هرود يقرؤه ودموعه تتحد من عينيه ويقرأ  
 ويصيح قال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين لقد اجتأ عليك سفيان فلو وجهت إليهما فقلت يا عبد  
 وضيت عليه الحسن كنت نجهل عبرة لغيره قال هرود : أتركوا يا عبد الله النور ومن غرتموه  
 والشي من أهلكتموه وإن سفيان أمة وحده فأتركوا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان إلى  
 جنب هرود يقرؤه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى لي فاقدم  
 عليه غدا من عمله فانه عليه بحاسب وبه مجازي . والله ولي التوفيق . وعن عبد الله بن مهران قال  
 حج الرشيد فوافي الكوفة فأقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلوا ليهنوني فبين  
 خرج بالكسافو السفيان يؤذونه ويولعون به إذ أقبلت هوداج هرود فكيف السفيان عن الروع  
 به فلما جاء هرود نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هرود السجاف يده عن وجهه قال  
 ليك يا بهلول قال يا أمير المؤمنين : حدثنا أين بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت النبي  
 صلى الله عليه وسلم منصورا من عرفة على ناقه له صيابة لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك<sup>(١)</sup> وتم احضرك  
 في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك قال فيكي هرود حتى سقطت دموعه على  
 الأرض ثم قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله مالا وجمالا فأنق من ماله  
 وعنف في جماله كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار قال أحسنت يا بهلول ودفع له جأزة . قال  
 اردد الجأزة إلى من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها قال يا بهلول فإن كان عليك دين فخذناه قال يا أمير المؤمنين  
 هؤلاء أهل القم بالكوفة فمتوا فرون قد اجتمعت أراؤهم أن قضاء الدين بالله بن لا يجوز قال يا بهلول فنعرض  
 عليك ما يقوتك أو يقيمك قال فرغ بهلول رأسه إلى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله  
 فحال أن يذكرك ويشتاق قال فأقبل هرود السجاف ومضى . وعن أبي اللباس الهامسي عن صالح  
 ابن اللامون قال دخلت على الحارث الهامسي رحمه الله فقلت له : يا أبا عبد الله هل حاسبت نفسك قال كان  
 هذا مرة قلت له فاليوم قال أكنم حالي إني لأقرأ آية من كتاب الله تعالى فأضن بها أن تسمعها فأتى  
 ولولا أن يثني فيها فرح ما أعلنت بها ولقد كنت لية قاعدا في هراي فإذا أنا بفتي حسن الوجع طيب  
 الرائحة فسلم لي ثم قد بين يدي قلت له من أنت قال أنا واحد من الساجين أقصد التجديد في  
 محاريبهم ولا أرى لك اجتهدا فأنى سىء عملك قال قلت له كتمان الصواب واستجلاب الفوائد قال

(١) حديث قدامة بن عبد الله العامري رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منصورا عن عرفة على ناقه  
 له صيابة لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه دون قوله منصورا  
 من عرفة وإنما قالوا يرى الجرة وهو الصواب وقد تقدم في الباب الثاني .

عن الطعام أياما  
 وذكر لي أن الهوداء  
 خرجت من وسط  
 التضحية والامعان  
 بالقدرة ركن من  
 أركان الامعان فلم  
 ولا تسكر . وقال  
 سهل بن عبد الله  
 رحمه الله من طوى  
 أربعين يوما ظهرت له  
 القدرة من اللكوت  
 وكان يقال : لا زهد  
 اليد حقيقة الزهد  
 الذي لا مشقة فيه  
 إلا بمشاهدة قدرة  
 من اللكوت . وقال  
 الشيخ أبو طالب  
 للكي رحمه الله :  
 عرفنا من طوى  
 أربعين يوما برياضة  
 النفس في تأخير  
 القوت وكان يؤخر  
 فطره كل ليلة إلى  
 نصف سبع اليك  
 حتى يطوى ليلة

فصاح وقال ما علمت أن أحدا بين جنبي الشرق والغرب هذه صفته قال الحرف فأردت أن أزيد عليه قتلته لما علمت أن أهل القلوب يخفون أحوالهم ويكتمون أسرارهم ويسألون الله كتمان ذلك عليهم فمن أين تعرفهم قال فصاح صيحة غشى عليه منها فسكت عندي يومين لا يقول ثم أقام وقد أحدث في ثيابه طعنت إزالة علقه فأخرجت له ثوبا جديدا وقلت له هذا كفتي قد تركت ما غنسل وأعد صلاتك فقال هات الماء فاغسل وصلي ثم التحف الثوب وخرج فقلت له أين تريد قال لي قم معي فلم يزل يمشي حتى دخل على المأمون فسلم عليه وقال يا ظالم إن لم أقل لك يا ظالم أسفرتك من تقصير فيك أماتني الله تعالى فيما قد ملكك وتكلم بكلام كثير ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب فأقبل عليه المأمون وقال من أنت قال أنا رجل من السياحين فسكت فيما حمل الصديقون قبلي فلم أجد نفسي فيه حفا فطعنت بموعظتك لعل أحققهم قال فأمر بضرب عنقه فأخرج وأنا قاعد على الباب ملفوفا في ذلك الثوب ومناد ينادي من ولي هذا فلأخذه قال الحرف فاختبأت عنه فأخذه أقوام غريباء فدفعوه وكنت معهم لا أعلمهم بحاله فالتفت في مسجد بالمقابر حزونا على الفقد فطعنني عينا فذا هو بين وصاف ثم أرحس منهن وهو يقول يا حارث أنت والله من السكاكين الذين يخفون أحوالهم ويطلبون ربهم قلت وما فعلوا قال الساعة بلقونك فظنرت إلى جراحك بكان فقلت من أنت قالوا السكاكين أحوالهم حرك هذا الفتى كلامك له فلم يكن في قلبه مما وصفته شيء فخرج للأمر والتبى وأن الله تعالى أنزله معنا وغضب لبعده . وعن أحمد بن إبراهيم القرني قال كان أبو الحسين النوري جلاليل الفضول لا يزال عما لا يمينه ولا يفتش عما لا يحتاج إليه وكان إذا رأى منكرا غيره ولو كان فيه نلقة فزل ذات يوم إلى مشرعة تعرف بمشرعة النجابين يظهر للصلاة إذ رأى زورقا فيه ثلاثون دامتوب عليها القار لطف فقرأه وانسكبه لأنه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئا يعبر عنه بلطف فقال للملاح إرش في هذه الدنان قال وإيش عليك امض في شغلك فلما سمع النوري من للملاح هذا القول زادته طشا إلى معرفته فقال أحب أن تخبرني إيش في هذه الدنان قال وإيش عليك أنت والله صوفي فضولي هذا خير المعتضد يريد أن يتم به مجلسه فقال النوري وهذا خير قال نعم قال أحب أن تعطني ذلك الدر الذي فاعتناظ للملاح عليه وقال لعلاه أعطه حتى أنظر ما يصنع فلما صارت الدر في يده صعد إلى الزورق ولم يزل يسكرها دنا دنا حتى أتى على آخرها إلا دنا واحد ولاح بسيفتي إلى أن ركب صاحب الجسر وهو يوهذ ابن بشر أفلح قبض على النوري وأشخصه إلى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس في أنه سيفته قال أبو الحسين فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد ويده عمود قبله فلما رأيته قال من أنت قلت عتسب قال ومن ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الأمامة ولا في الحسبة يا أمير المؤمنين قال فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلى وقال ما الذي حركك على ما صنعت ؟ فقلت بشفقة مني عليك إذ بسطت يدي إلى صرف مكروه عنك فقصرت عنه قال فأطرق منكسرا في كلامي ثم رفع رأسه إلى وقال كيف تخلص هذا الدين الواحد من جملة الدنان فقلت في تخلفه علة أخبرني يا أمير المؤمنين إن أذن فقال هات خبرني فقلت يا أمير المؤمنين إني أقبلت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه في ذلك وغمر قلبي شاهد الاحلال للحق وخوف المطالبة فتابت هبة الخلق عني فأقدمت عليها بهذه الحال إلى أن صرت إلى هذا الدين فاستشعرت نفسي كبيرا على أني آذمت على منك فتمت ولو أقدمت عليه بالحال الأول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم يأبال فقال المعتضد اذهب فقد أطلقنا يدك غير ما أحببت أن تغيره من المنكر . قال أبو الحسين فقلت يا أمير المؤمنين بض إلى التبريد لأني كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير عن شرطي فقال المعتضد ما حاجتك فقلت يا أمير المؤمنين تأمر يا أخا بني أسلم

في نصف شهر  
في طيوس الأربعين  
في سنة وأربسة  
أشهر فتدبرج الأيام  
والأبالي حتى يكون  
الأربعين بمنزلة يوم  
واحد . وذكر لي أن  
الذي فعل ذلك ظهرت  
له آيات من للكموت  
وكشف بعماق قدرة  
من الجبروت تجلي الله  
بهماله كيف شاء . واعلم  
أن هذا الذي من المظي  
والثقل لو أنه عين  
الفضيلة ما فات أحدا  
من الأنبياء ولكان  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يبلغ من ذلك إلى  
أنقى غايته ولا شك  
أن ذلك فضيلة لا تنكر  
ولكن لا تنحصر  
مواهب الحق تعالى في  
ذلك فقد يكون من  
بأكل كل يوم أفضل  
من يطوي أربعين

فأمرله بذلك وخرج إلى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفاً من أن يسأله أحد حاجة يسألها المتعذر فأقام بالبصرة إلى أن توفي المتعذر ثم رجع إلى بغداد فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الأمر المعروف والهي عن السكر وقلة مبالغتهم بسطوة السلاطين لكنهم انكسروا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة فلما أخلاصوا لله النية أثم كلهم في القلوب القاسية فليتها وأزال قساوتها وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجدوا ولوصدوا وقصدوا حق العلم لأقلعوا قصاد الرعايا بفساد اللؤلؤ وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل فكيف على اللؤلؤ والأكابر والله للسمعان على كل حال .

### (كتاب آداب الميشة وأخلاق النبوة)

(وهو الكتاب العاشر من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتيبه وأدب نبيه محمداً ﷺ فأحسن تأديبه ، وزكى أوصافه وأخلاقه ثم أخذ منه فيه وحبيه ، ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه ، وحرم عن التخلق بأخلاقه من أراد تحييه . وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيراً . أما بعد : فإن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والأعمال نتيجة الأخلاق والآداب رشح المعارف وسرائر القلوب هي ، غارس الأفعال ومناجها وأنبوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر قزنها وتجليها وتبدل المحاسن مكارها ومسأوها ومن لم يفتح قلبه لم تخشع جوارحه ومن لم يكن صدره مشكاة الأنوار الإلهية لم يفيض على ظاهره جمال الآداب النبوية ولقد كنت عزمت أن أتمم ربيع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب الميشة لئلا يشق على طالبي استخراجها من جميع هذه الكتب ثم رأيت كل كتاب من ربيع العادات قد أتى على جملة من الآداب فاستقلت تكريرها وإعادة فان طلب الإعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة العادات فرأيت أن أقصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه المأثورة عنه بالإسناد فأسردها مجموعة فضلاً عن محذوفة الأسانيد ليجمع فيه مع جميع الآداب تجديد الإيمان وتأكيد مشاهدته أخلاقه الكريمة التي شهد آحادها على القطع بأنه أكرم خلق الله تعالى وأعلام رتبة وأجلهم قدراً فكيف مجموعة ثم أضيف إلى ذكر أخلاقه ذكر بعض ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الأخبار ليكون ذلك معرباً عن مكارم الأخلاق والشيم ومنزعة عن آذان الجاحدين لنبوته صلب الصمم والله تعالى ولى التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين في الأخلاق والأحوال وسائر معالم الدين فإنه دليل المتحيرين وعيب دعوة المضطربين ولتذكرفه أولاً بيان أن آداب الله تعالى إلهام بالقرآن ثم بيان جوامع من محاسن أخلاقه ثم بيان جملة من آدابه وأخلاقه ثم بيان كلامه وضحه ثم بيان أخلاقه وآدابه في الطعام ثم بيان أخلاقه وآدابه في اللباس ثم بيان غفوه مع القدرة ثم بيان إخفافه عما كان يكره ثم بيان سخاوته وجوده ثم بيان شجاعته وبأسه ثم بيان تواضعه ثم بيان صورته وخلقته ثم بيان جوامع معجزاته وآياته صلى الله عليه وسلم .

(كتاب آداب الميشة وأخلاق النبوة)

يوماً وقد يكون من لا يكافئ غيره من معاني القدرة أفضل من يكافئها إذا كاشفه الله بصرف للرفة فالقدرة ثم من القادر ومن أهل قرب القادر لا يستغرب ولا يستعجب شيئاً من القدرة ويرى القدرة تتجلى له من سجد أجزاء علم الحكمة فإذا أخلص العبد لله تعالى أربيعين يوماً واجتهد في ضبط أحواله بشيء من الأنواع التي ذكرنا من العمل والتسكير والقوت وغير ذلك تعود بركة تلك الأربيعين على جميع أوقاته وساعاته وهو طريق حسن اعتمد طائفة من الصالحين وكان جماعة من الصالحين يخافون

( بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن )

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال عن الله تعالى أن يريه مجلس الآداب ومكارم الأخلاق فكان يقول في دعائه « اللهم حسن خلقى وخلقى »<sup>(١)</sup> ويقول « اللهم جنبني منكرات الأخلاق »<sup>(٢)</sup> فاستجاب الله تعالى دعاه وفاء بقوله عز وجل - ادعوني استجب لكم - فأنزل عليه القرآن وأدبه به فكان خلقه القرآن . قال سعد بن هشام دخلت على عائشة رضى الله عنها وعن أبيها فسألتها عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت أماخرا القرآن قلت لى قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن<sup>(٣)</sup> وإعاده به القرآن يمثل قوله تعالى - خذ الصفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - وقوله - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وقوله - وأمر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور - وقوله - ولن تبرهنن إن ذلك لمن عزم الأمور - وقوله - فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين - وقوله - وليفوضوا ولا ينجسوا أن يفر الله لكم - وقوله - ادفع بالحق هى أحسن فلما الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - وقوله - والسكطين التيق والعافين عن الناس والله يحب المحسنين - وقوله - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا - ولما كبرت رابعته وشج يوم أحد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول كيف بلغ قوم خضبوا وجهي بدمهم وهو يدعوم إلى ربهم<sup>(٤)</sup> فأنزل الله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - تأديبا له على ذلك وأمثال هذه التأديبات في القرآن لا تحصر وهو عليه السلام للتصود الأول بالتأديب والتهديب ثمته بشرق التور على كافة الخلق فانه أدب بالقرآن وأدب بالخلق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « بشت لأنتم مكارم الأخلاق »<sup>(٥)</sup> ثم رغب الخلق فى محاسن الأخلاق بما أوردناه فى كتاب رياضته النفس وتهذيب الأخلاق فلأنصده ثم لما أكل الله تعالى خلقه أثنى عليه فقال تعالى - وإنك لمل خلق عظيم - فسبحان ما أعظم شأنه وأتم امتنانه ثم انظر إلى عجب لطفه وعظيم فضله كيف أعطى ثم أثنى فهو الذى زينه بالخلق الكريم ثم أضاف إليه ذلك فقال - وإنك لمل خلق عظيم - ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للخلق أن الله يحب مكارم الأخلاق وينفخ سفاسفها<sup>(٦)</sup> قال على رضى الله عنه يا عبيبا لرجل مسلم بعثته أخوه للسل فى حاجة فلا يرى نفسه للغير أهلا فلا يكون لارجوتوا ولا يخشى عقابا لقد كان يبنى له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق فاتها مما يدل على سبيل النجاة فقال له رجل أمتعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وما هو خير منه لما أتى بسبايا طيى وقتت جارية فى السبي قالت يا محمد

للأربعين ذا القعدة وعشرى ليلة وهى أربعون موسى عليه السلام . أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إجازة قال أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خرون إجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن على الجوهري إجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس قال أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن محمد بن الحسن بن الحسين بن الحسن بن الروزى قال شاعده الله بن المبارك قال أنا أبو معاوية الضرير قال أنا الحلجاء عن كحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أخلص قلبه تعالى العبادة أربعين يوما ظهرت يتابع الحكمة من قلبه على لسانه .

- (١) حديث كان يقول فى دعائه اللهم حسن خلقى وخلقى أحمد من حديث ابن مسعود ومن حديث عائشة ولفظها اللهم أحسن خلقى فأحسن خلقى وإسناده جيد وحديث ابن مسعود رواه جب
- (٢) حديث اللهم جنبني منكرات الأخلاق ت وحسنه وك وصححه واللفظ له من حديث قطبة ابن مالك وقال ت اللهم إني أعوذ بك (٣) حديث سعد بن هشام دخلت على عائشة فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن رواه مسلم وروى الحاكم قوله إنها لمخرجاه (٤) حديث كسرت رابعته صلى الله عليه وسلم يوم أحد الحديث ت نزوله ليس لك من الأمر شيء - من حديث أنس وذكره ع تعلقا (٥) حديث بشت لأنتم مكارم الأخلاق أحمد وك هق من حديث أبي هريرة قال الحاكم صحيح على شرطه وقد تقدم فى آداب الصحبة (٦) حديث إن الله يحب معالى الأخلاق وينفخ سفاسفها هق من حديث سهل بن سعد متصلا ومن رواه بطلمة ابن عبيدة بن كرز مرصلا ورجعها هق .

## [ الباب التاسع

والعشرون في أخلاق

الصوفية وتشرح الحلق

الصوفية وأقر الناس

حظا في الاقتصاد

رسول الله صلى الله

عليه وسلم وأخبرهم

بإحياه سنته والتخلق

بأخلاق رسول الله

صلى الله عليه وسلم من

حسن الاقتصاد وإحياء

سنته على ما أخبرنا

الشيخ العالم شفاء

الدين شيخ الاسلام

أبو أحمد عبد الوهاب

ابن علي قال أنا أبو الفتح

عبد الملك بن أبي

القاسم المروى قال

أنا أبو نصر عبد العزيز

ابن حمد الترياقى قال

أنا أبو محمد عبد الجبار

ابن محمد الجراسى قال

أنا أبو العباس محمد بن

أحمد المحمدي قال أنا

أبو عيسى محمد بن

إن رأيت أن تخل عني ولا تشمت بي أحياء العرب فاني بنت سيد قومي وإن أنى كان يحمى الدمار  
ويكف العاني ويشبع الجائع ويعظم الطعام وينفى السلام ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنه حاتم  
الطائي فقال صلى الله عليه وسلم بإجارية هذه صفة المؤمن حق لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا  
عنها فان أباهما كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق قيام أبو بردة بن نيار فقال  
يا رسول الله الله يحب مكارم الأخلاق فقال الذي نفي يده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق (١)  
وعن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال وإن الله حنف الاسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال (٢)  
ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الضيفة ولين الجانب وبذل اللزوف وإطعام الطعام وإنشاء السلام  
وعيادة المريض السلم برأكان أوفاجرا وتشجيع جائزة السلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان  
أو كافرا وتوقير ذي الشئبة للسلم وإجابة الطعام والدعاء عليه والعفو والإصلاح بين الناس والمجود  
والكرم والسباحة والابتداء بالسلم وكظم النغيظ والعفو عن الناس واجتناب ما حرمة الاسلام من  
الاهو والباطل والقناء والمازف كلها وكل ذي ور وكل ذي دخل والقيمة والكذب والبهل والشح  
والجفاء والسكر والحذبة والنجمة وسوء ذات البين وقطيعة الأرحام وسوء الحلق والتكبر والفخر  
والاخيال والاستمالة والبخس والتحقش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبيس والدعوان والظلم .  
قال أنس رضي الله عنه فلم يبع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها ولم يبع غشا أو فدا عيا أو  
قال شيئا إلا حذرناه ونهانا عنه (٣) ويكنى من ذلك كله هذه الآية - إن الله يأمر بالعدل والإحسان -  
وقال معاذ أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا معاذ أوصيك بأثقاء الله وصدق الحديث  
والوفاء بالهدد وأداء الأمانة وترك الحيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام  
وحسن العمل وقصر الأمل وزوم الإيمان والتفقه في القرآن وحسب الآخرة والجبرع من الحساب  
وخضن الجناح وانهلك أن تسب كعبا أو تكذب صادقا أو تطيع أمما أو تعصى إماما عادلا أو  
تسد أرضا أو تصيك بأثقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وأن تحب لكل ذنب توبة السرا السر  
والعلاية بالملاينة (٤) فهكذا آداب عباد الله ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب .  
( بيان جملة من محاسن أخلاقه التي جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار )  
فقال كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس (٥)

(١) حديث على قوله وبجبار رجل مسلم بجته أخوه السلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا الحديث  
وفيه مرفوعا لما أنى بسيا باطلي وقتت جارية في السي فثابت بإجماع إن رأيت أن تخل عني الحديث  
ت الحكيم في نوادر الأصول باسناد فيه ضعف (٢) حديث معاذ حنف الاسلام بمكارم الأخلاق  
ومحاسن الأعمال الحديث بطوله لم أقف له على أصل وبني عنه حديث معاذ الآتي بعده بحديث  
(٣) حديث أنس لم يبع صلى الله عليه وسلم نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها لم أقف له  
على إسناد وهو صحيح من حيث الواقع (٤) حديث يا معاذ أوصيك بأثقاء الله وصدق الحديث بونيم  
في الحلية وهو في الزهد وقد تقدم في آداب الصبة (٥) حديث كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس  
أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عبد الرحمن بن أنس كان  
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحلم الناس الحديث وهو مرسل . وروى أبو حاتم بن حبان من  
حديث عبد الله بن سلام في قصة إسلام زيد بن شعث من أخبار اليهود وقول زيد لعمر بن الخطاب  
يا عمر كل عائلات النبوة قد عرقتا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين  
لم أخبرهما عن يسبق حلمه جهه ولا تزيمه شدة الجهل عليه إلا حلما قد اخترت بهما الحديث .

وأشجع الناس (١) وأعدل الناس (٢) وأعطف الناس لم تمس يده قط بدمارة لا يملك رقبها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه (٣) وكان أسخى الناس (٤) لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل شيء لم يجد من يبطيه وفجاء الليل لم يأو إلى منزله حتى يثراً منه إلى من يحتاج إليه (٥) لا يأخذ مما آتاه الله إلى قوت عامه قط من أيسر ما يجد من النحر والشعر ويضع سائر ذلك في سبيل الله (٦) لا يستل شيئاً إلا أعطاه (٧) ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء (٨) وكان يخفض الثعل ويرقع الثوب ويحرم من مهنة أهله (٩)

(١) حديث أنه كان أشجع الناس متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث كان أعدل الناس ت في الشاهل من حديث علي بن أبي طالب في الحديث الطويل في صفته صلى الله عليه وسلم لا يتصرعن الحق ولا يجاوزوه وفيه قد وسع الناس بسطه وخلقه ضارلهم أبوا صاراو عنده في الحق سواء الحديث وفيه من لم يسم (٣) حديث كان أعف الناس لم تمس يده قط بدمارة لا يملك رقبها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم له الشيخان من حديث عائشة مامست بد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة لإمرأة علكها (٤) حديث كان يرفق أسخى الناس الطبراني في الأوسط من حديث أنس فضلت على الناس بأربع بالسخاء والشجاعة الحديث ورجاله ثقات وقال صاحب البزكان إنه منكر وفي الصحيحين من حديثه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس واتفقا عليه من حديث ابن عباس وتقدم في الزكاة (٥) حديث كان لا يبيت عنده دينار ولا درهم قط وإن فضل لم يجرم بسطه وفجاء الليل لم يأو إلى منزله حتى يثراً منه إلى من يحتاج إليه من حديث بلال في حديث طويل فيه أهدى صاحب فذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركائب عليهن كسوة وطعام وبيع بلال لذلك ووافاه دينه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد وحده وفيه قال فضل شيء قلت نعم ديناران قال انظر أن تريحي منهما فقلت بدخلت على أحد من أهلي حتى تريحي منهما فلم يأت أحد فبات في المسجد حتى أصبح وظل في المسجد اليوم الثاني حتى إذا كان في آخر النهار جاء راكباً فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما حتى إذا ضل السمة دعاني فقال ما فعل الذي قبلك قلت قد أزعجتك الله منه فكبر وحده فحفا من أن يدركه الموت وعنده ذلك ثم اتبعته حتى جاء أزواجه الحديث وللبخاري من حديث عقبة ابن الحارث ذكرت وأنا في الصلاة فسكرت أن يمسى ويبيت عندي فأمرت بقسمته ولأن عبيد في غريمه من حديث الحسن بن محمد مرسلان لا يقبل ملا عنده ولا يبيت (٦) حديث كان لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه قط من أيسر ما يجد من النحر والشعر ويضع سائر ذلك في سبيل الله متفق عليه بنحوه من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم في الزكاة (٧) حديث كان لا يستل شيئاً إلا أعطاه الطيالسي والدارمي من حديث سهل بن سعد وللبخاري من حديثه في الرجل الذي سأله الشعلة قبيل له سأله إياها وقدمت أنه لا يرسلها الحديث وللم من حديث أنس ماسئل في الإسلام شيئاً إلا أعطاه وفي الصحيحين من حديث جابر ماسئل شيئاً قط فقال لا (٨) حديث أنه كان يؤثر عما ادخر ليعاها حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام هذا معلوم ويدل عليه ما روت ن من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة بنشرين صاعاً من طعام أخذته لأهله وقال ه ثلاثين صاعاً من شعر وإسناده جيد وخ من حديث عائشة توفي ودرعه مرهونة عند يهودي ثلاثين وفي رواية هق ثلاثين صاعاً من شعر (٩) حديث وكان صلى الله عليه وسلم يخفض الثعل ويرقع الثوب ويحرم من مهنة أهله أحمد من حديث عائشة كان يخفض ثعل ويحيط ثوبه ويسمل في بته كما يمدل أحدكم في بته ورجاله رجال الصحيح ورواه أبو الشيخ لم يلفظ ويرقع الثوب وللبخاري من حديث عائشة كان

عيسى بن سورة  
الترمذي قال ثنا مسلم  
ابن حاتم الأنصاري  
البرقي قال ثنا محمد  
ابن عبد الله الأنصاري  
عن أبيه عن علي  
ابن زيد عن سعيد بن  
الليث قال قال أنس  
ابن مالك رضي الله  
عنه قال لي رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
« يا بني إن قدرت أن  
تصبح وتمسي وليس  
في قلبك غش لأحد  
فافعل » ثم قال : يا بني  
وذلك من سقى ومن  
أحيا سقى قد أحيا  
ومن أحيانا كان معي  
في الجنة » فالصوفية  
أحيوا سنة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
لأنهم وقفوا في بدايتهم  
لرعاية أنواله وفي وسط  
حالمه اتقدوا بأعماله  
فأنجزهم ذلك أن يحقوا



مرة من الجوع<sup>(١)</sup> ومما يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال وإن وجد ثرا دون خبز<sup>(٢)</sup> وإن وجد شواء أكله وإن وجد خبزاً أو شعيراً أكله وإن وجد حلواً أو عسلاً أكله وإن وجد لبناً دون خبز أكتفى به وإن وجد بطيخاً أو رطباً أكله ، لا يأكل مشكناً<sup>(٣)</sup> ولا طيخاً وإن كان عليه باطن قديمه<sup>(٤)</sup> لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية<sup>(٥)</sup> حتى لقي الله تعالى إشاراً على نفسه لا تقرا ولا تجلأ<sup>(٦)</sup> يحجب الولية ويعود المرضي<sup>(٧)</sup> ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس<sup>(٨)</sup>

(١) حديث كان يحصب الجبر على بطنه من الجوع مثق عليه من حديث جابر في قصة حفر الخندق وفيه فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم شد على بطنه حجراً وأغرب حب فقال في صحبه إنما هو الجبر بضم الحاء وآخره زاي جمع حجرة وليس يتابع على ذلك ورد على ذلك مارواه ت من حديث أبي طلحة شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفضنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين ورجله كلهم ثبات (٢) حديث كان يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال إن وجد ثرا دون خبز أكله وإن وجد خبزاً أو شعيراً أكله وإن وجد حلواً أو عسلاً أكله وإن وجد لبناً دون خبز أكتفى به وإن وجد بطيخاً أو رطباً أكله انتهى . هذا كله معروف من أخلاقه ففي ت من حديث أم هانئ دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعندك شيء ؟ قلت لا لا خبز بابس وخل قال هات الحديث ، وقال حسن غريب وفي كتاب التيمال لأبي الحسن بن الضحاک بن القرى من رواية الأوزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالي ما ردت به الجوع وهذا معضل ولسلم من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أهله الأدم قالوا ما عندنا إلا خل فتابعه الحديث وله من حديث أنس أبت متعياً يأكل تمرات وت وصحه من حديث أم سلمة أنها قربت إليه جنباً مشوا فأكل منه الحديث وللشيخين من حديث عائشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً خبز بر حتى مضى لسبيله لفظه وفي رواية له ما شبع من خبز شعير يومين متتابعين وت وصحه وه من حديث ابن عباس كان أكثر خبزم الشعير وللشيخين من حديث عائشة كان يحب الحلواء والعدل ولهما من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب لبناً فذا بماء فضمض ون من حديث عائشة كان يأكل الرطب بالبطيخ وإسناده صحيح (٣) حديث أنه كان لا يأكل مشكناً تقدم في آداب الأكل في الباب الأول (٤) حديث أنه كان لا يأكل على خوان تقدم في الباب المذكور (٥) حديث كان منديله باطن قدمه لا أعرفه من فعله وإنما للمروء فيه مارواه ه من حديث جابر كان زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قليلاً ما يجد الطعام فإذا وجدناه لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وقد تقدم في الطهارة (٦) حديث لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تقدم في جملة الأحداث التي قبله ثلاثة أحاديث (٧) حديث كان يحجب الولية هذا معروف وتقدم قوله لودعيت إلى كرام ألتجيت وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس أنه كان الرجل من أهل الموالي ليدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف الليل لي خبز الشعير فيجيب وإسناده ضيف (٨) حديث كان يعود المريض ويشهد الجنائز ت وصنفه وه ك وصحه من حديث أنس ورواه ك من حديث سهل بن حنيف ، وقال صحيح الإسناد وفي الصحيحين عدة أحاديث من عيادته للمرضى وشهوده للجنائز (٩) حديث كان يمشي وحده بين أعدائه بلا حارس ت من حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجرس حتى تزل هذه الآية - والله يصمك من الناس - فاخرج رأسه من القبة فقال انصرفوا فقد عصمت الله قال ت غريب وقال ك صحيح الإسناد .

كبير وعلم غامض ما طلعت بذلك إلا بما خصه الله تعالى به من ركة الوحي النبوي وصحة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيصه إياها بكلمة خذوا شطر دينكم من هذه الخبراء وذلك أن النفوس مجبولة على غرائز وطباع هي من لوازمها وضرورتها خلقت من تراب ولها بحسب ذلك طبع وخلقت من ماء ولها بحسب ذلك طبع وهكذا من حمائمون ومن صلصال كالفخار وبحسب تلك الأصول التي هي مبادئ تكوينها استغذت صفات من البهيمة والبيعية والشرطانية وإلى صفات الشيطنة في الإنسان إشارة بقوله تعالى - من



أشد الناس تواضعا وأسكنهم في غير كبر <sup>(١)</sup> وأبلغهم في غير تطويل <sup>(٢)</sup> وأحسنهم بشرا <sup>(٣)</sup> لايحوله شيء من أمور الدنيا <sup>(٤)</sup> ويلبس ما وجد ثمة ومرة بردجرة يانبا ومرة جبة صوف ما وجد من اللباس <sup>(٥)</sup> وخاتمته فضة <sup>(٦)</sup> يلبسه في خصره الأبيض <sup>(٧)</sup> والأيسر <sup>(٨)</sup> يردف خلفه عيده أو غيره <sup>(٩)</sup> يركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بصيرا ومرة بفضة شهيا ومرة حملا ومرة بمشي

(١) حديث كان أشد الناس تواضعا وأسكنهم من غير كبر أبو الحسن بن الضحاك في التاجل من حديث أبي سعيد الخدري في صفته صلى الله عليه وسلم حين للؤنة لئن الخلق كريم الطبيعة جميل الماشية طليق الوجه إلى أن قال متواضع في غير ذلة وفيه دائب الاطراق واستانه ضئيف وفي الأحاديث الصحيحة الدالة على شدة تواضعه غنية عنه منها عند ن من حديث ابن أبي أوفى كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة وللشيخين الحديث وقد تقدم وعند أبي داود من حديث البراء بن مسعود وجلسنا كأن على رؤوسنا الطير الحديث ولأصحاب السنن من حديث أسامة بن شريك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير (٢) حديث كان أبلغ الناس من غير تطويل خ م من حديث عائشة كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه ولهما من حديثنا لم يكن يسرد الحديث كسر دمك قلعه خ ووصله م زادت ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه فيفصل يحفظه من جلس إليه وله في التاجل من حديث ابن أبي هالة يتكلم بجموع الكلم فصل لافضل ولا يتقصير (٣) حديث كان أحسنهم بشرا ت في التاجل من حديث بن أبي طالب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق الحديث وله في الجامع من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا كان أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غريب قلت وفيه ابن لبيعة (٤) حديث كان لايحوله شيء من أمور الدنيا أحمد من حديث عائشة ما أعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا وما أعجبه أحد قط إلا ذوقني وفي لفظ له ما أعجب النبي صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها ذوقتي وفيه ابن لبيعة (٥) حديث كان يلبس ما وجد من اللباس ما وجد ثمة ومرة جبة صوف ما وجد من اللباس خ م من حديث سهل بن سعد جاءت امرأة يردة . قال سهل هل تدرؤن ما البردة هي الشمة منسوج في حاشيتها وفيه فخرج إلينا وانها لإزاره الحديث ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في شمة قد عقد عليها فيه الأصوص بن حكيم يختلف فيه وللشيخين من حديث أنس كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلبسها الحبرة ولهما من حديث الثوري بن شعبة وعليه جبة من صوف (٦) حديث خاتمته فضة متفق عليه من حديث أنس أخذ خاتمته من فضة (٧) حديث لبسه الخاتم في خصره الأبيض م من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة في يمينه ولليخاري من حديث فاني لأرى يرفقه في خصره (٨) حديث تحمته في الأيسر م من حديث أنس كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في هذه وأشار إلى الخصر من يده اليسرى (٩) حديث إردافه خلفه عيده أو غيره أردف صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد من عرفة كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس ومن حديث أسامة وأردفه مرة أخرى على حمار وهو في الصحيحين أيضا من حديث أسامة وهو مولاه وابن مولاه وأردف الفضل بن عباس من الزدقة وهو في الصحيحين أيضا من حديث أسامة ومن حديث ابن عباس والفضل بن عباس وأردف معاذ بن جبل وابن عمر وغيرهم من الصحابة .

صلصال كالصغار لدخول النار في الفخار وقد قال الله تعالى - وخلق الجنان من مارج من نار والله تعالى بخفي لطفه وعظيم عنايته نزع نصيب الشيطان من رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ورد في حديث حلبة ابنة الحرث أنها قالت في حديث طويل فينا نحن خلف يوتنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع أن له من الرضاة في بهم لنا جاءنا أخوه يشتد فقال ذلك أحسن القرشي قد جاءه رجلا عليها ثياب يابض فأضجعه فشقاً بطنه فخرجت أنا وأبوه نشدت نحوه فتجده قائما منتقما لونه فاعتقه أبوه ، وقال أي بني ما شئت لك ؟ قال

راجلا حافيا بلرداء ولا حمامة ولا قلنسوة يسود الرضى في أقصى المدينة<sup>(١)</sup> يحب الطيب ويكره الرائحة الردئية<sup>(٢)</sup> ويجالس الفقراء<sup>(٣)</sup> ويؤاكل للساكنين<sup>(٤)</sup> ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر<sup>(٥)</sup> يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم<sup>(٦)</sup> لا يغفوى أحد<sup>(٧)</sup>

(١) حديث كان يركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بقلنسوة ومرة حمرا ومرة برباط ومرة حافيا بلرداء ولا حمامة ولا قلنسوة يسود الرضى في أقصى المدينة في الصحيحين من حديث أنس ركوبه صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة وسلم من حديث جابر بن سمرة ركبوا الفرس عراحين انصرف من جازة ابن الدحداح والمسلم من حديث سهل بن سعد كان لثي يربط فرس يقال له: الحليف ولهمان حديث ابن عباس طاف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على بعير ولهمان حديث البراء رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على بقلته البيضاء يوم حنين ولهمان حديث أسامة أن صلى الله عليه وسلم ركب على حمار على إكاف الحديث ولها من حديث ابن عمر كان يأتي قبا راكبوا ما يشاء والمسلم من حديثه في عيادته صلى الله عليه وسلم لسمد بن عباد ققام وقتنا معه ونحن بضعة عشر ماعليا نعال ولا خفاف ولا لائس ولا قمص نخس في السباغ الحديث (٢) حديث كان يحب الطيب والرائحة الطيبة ويكره الرائحة الردئية من حديث أنس جيب إلى النساء والطيب وذلك من حديث عائشة أنها صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف فلبسها فلما عرق وجد ريح الصوف فخلعها وكان حبيبه الريح الطيبة لفظا له وقال صحب على شرط الشيخين ولا بن عدي من حديث عائشة كان يكره أن يوجد منه إلا ريح طيبة (٣) حديث كان يجالس الفقراء من حديث أبي سعيد جالس في عصابة من ضفاد الهاجر بن وإن يسمهم ليستر بسا من الرعى الحديث وفيه فجلس رسول الله ﷺ وسطنا ليعدل بنفسه الحديث وهو من حديث حبيب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا الحديث في نزول قوله تعالى ولا تظنوا الذين يدعون ربهم - إسنادا حسن (٤) حديث مؤاكلته للساكنين من حديث أبي هريرة قال وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا على أحد إذا أتته صدقة بث بها إليهم ولم يتناولوها وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها (٥) حديث كان يكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم ت في التماثل من حديث علي الطويل في صفته صلى الله عليه وسلم وكان من سيرته إظهار أهل الفضل بأذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين وفيه يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم الحديث ولطبراني من حديث جرير في قصة إسلامه فأثني إلى كسائه ثم أقبل على أصحابه ثم قال إذا جاءكم كريم قوم فاكروهم وإسناده جيد ورواه من حديث معبد بن خالد الأنصاري عن أبيه نحوه وقال صحيح الاسناد (٦) حديث كان يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم من حديث ابن عباس كان يجلس إليهم إجلال الوالد والوالدة وله من حديث سعد بن أبي وقاص أنه أخرج عمه العباس وغيره من المسجد قال له العباس نخرجنا ونحن عصبك وعمومتك وتكن علينا فقال ما أنا بأخركم وأسكنه ولكن الله أخرجكم وأسكنه قال في الأول صحيح الاسناد وسكت عن الثاني وفيه مسلم اللآني ضعيف فأثر عليا لفضله بتقديم إسلامه وشهوده بدرا والله أعلم وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد لا يتيقن في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر (٧) حديث كان لا يجمع على أحد دت في التماثل و ن في اليوم والليلة من حديث أنس كان قفا بواجه رجلا بجي يكرهه وفيه ضعف وللشيخين من حديث أبي هريرة أن رجلا استأذن عليه صلى الله عليه وسلم فقال بشي أخو المشيرة فدا دخل لأن له القول الحديث .

جاء في رجالان عليها ثياب يبيض فأنجماني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم ردها كما كان فرجنا به معنا فقال أبوه بأحلية لقد خشيت أن يكون ابن هذا قد أصيب انطلق بنا فلزده إلى أهله قيل أن يظهر به ما نتخوف قالت فاحملناه فلم نترع أمه إلا وقد قدما به عليها قالت ما ردكا قد كنتا عليه حرصين قلنا لا والله لا نضير إلا أن الله عز وجل قد أدى عنا وقضينا الذي كان علينا وقلنا نخشى الألف والاحداث نرده إلى أهله قالت ما ذاك بكما فصدقاني شائكا فقدمنا حتى أخبرناها خبره فقالت خشيتا عليه الشيطان

يقبل معدرة المنذر إليه (١) يمزح ولا يقول إلا حفا (٢) يصحك من غير فقهة (٣) يرى اللعب الباح فلا يكره (٤) يسابق أهله (٥) وترفع الأصوات عليه فيصبر (٦) وكان له قلاح وغنم يتقوت هو وأهله من الباتيا (٧) وكان له عبيد وإمام لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس (٨) ولا يعض له وقت في غير عمل قد تعالى أو فيها لا بد منه من صلاح نفسه (٩) يخرج إلى بساتين أصحابه (١٠)

(١) حديث يقبل معدرة المنذر إليه متفق عليه من حديث كعب بن مالك في قصة الثلاثة الذين خلفوا وفيه طلق المحققون يشتدرون إليه قبل منهم علانيتهم الحديث (٢) حديث يمزح ولا يقول إلا حفا أحمد من حديث أبي هريرة وهو عندنا بلفظ قالوا إنك تداعبنا قال إني ولا أقول إلا حفا وقال حسن (٣) حديث يصحك من غير فقهة الشيخان من حديث عائشة ماريأت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا حتى أرى لمواته إنما كان يتسم وت من حديث عبد الله بن الحارث ابن جزء ما كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبسما قال صحيح غريب وفيه في السائل في حديث هند بن أبي هالة جل ضحكك التبسم (٤) حديث يرى اللعب الباح ولا يكرهه الشيخان من حديث عائشة في لعب الحبشة بين يديه في المسجد وقال لهم دونكم يا بني أرفقوه وقد تقدم في كتاب الباح (٥) حديث مساقته صلى الله عليه وسلم أهله دون في الكبرى وه من حديث عائشة في مساقته لها وتقدم في الباب الثالث من النكاح (٦) حديث ترفع الأصوات عنده فيصبر من حديث عبد الله بن الزبير قدم ركب من بني نعيم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القعاقع بن معبد وقال عمر بن أبي بكر أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت إلا خلافا وقال عمر ما أردت خلافاك قاترا حتى أرفضت أصواتها قزلت - يا أيها الذين آمنوا لا تفسحوا بين يدي الله ورسوله - (٧) حديث وكان له قلاح وغنم يتقوت هو وأهله من الباتيا محمد بن سعد في الطبقات من حديث أم سلمة كان عيشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبث أوقات أكثر عيشنا كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قلاح بالغابة الحديث وفي رواية له كانت لنا أغز مسيح فكان الراعي يبلغ بين مرة إلى ومرة أحدا وروح بين علينا وكانت قلاح بذي الحبل فؤوب إلينا ألباتيا بالليل الحديث وفي إسنادنا محمد بن عمر الواقدي ضيف في الحديث وفي الصحيحين من حديث سلمة بن الأكوع كانت قلاح رسول الله ﷺ ترمي بذي قرد الحديث ولأبي داود من حديث لقيط بن صبرة لنا غنم مائة لا تريد أن تزيد فإذا ولد الراعي همة دغنا مكناها شاة الحديث (٨) حديث كان له عبيد وإمام فلا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس محمد بن سعد في الطبقات من حديث سلمى قالت كان خدم النبي صلى الله عليه وسلم أنا وخضره ورضوى وميمونة بنت سعد أعتقن كلهن وإسناده ضيف وروى أيضا أن أبا بكر بن حزم كتب إلى عمر بن عبد العزيز بأسماء خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر بركة أم أيمن وزيد بن حارثة وأبا كبشة وأنسة وشقران وسفينة ونزوان ورباحا وسبارا وأبارافع وأبادوية ورافعا أعتقهم كلهم وفضالة ومدمحا وكركرة وروى أبو بكر بن الضحاك في السائل من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد ضيف كان صلى الله عليه وسلم يأكل مع خادمه وم من حديث أبي اليسر الطعوم مما تأكلون والبسوم مما تلبسون الحديث (٩) حديث لا يعض له وقت في غير عمل قد تعالى أو فيها لا بد منه من صلاح نفسه ت في السائل من حديث علي بن أبي طالب كان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ بينه وبين الناس فرد ذلك بالخاصة على العامة الحديث (١٠) حديث يخرج إلى بساتين أصحابه تقدم في الباب الثالث من آداب الأكل خروجه صلى الله عليه وسلم إلى بسنان أبي الهيثم بن النبهان وأبي أيوب الأنصاري وغيرهما.

كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وإنه لكن لا يني هذا شأن ألا أخبرك ما خبره قلنا بل قالت حلت به لما حملت حلاقا أخف منه قالت فرأيت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور قد أضاء ما بقصور الشام ثم وقع حين ولدته ووقعا لم يقمه الولود متمدا على يديه راضا رأسه إلى السماء فدعاه عنكما فبعد أن طهر الله روحه من نصيب الشيطان بقيت النفس الزكية النبوية على حد نفوس البشر لها ظهور بصفات وأخلاق بشافة على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليه وسلم رحمة الخلق لوجود أمهات تلك الصفات في نفوس الأمة بجزء من الظلة

لا يحضر مسكينا فقره وزماته ولا يهاب ملكا للملك يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستويا (١) قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة الثابتة وهو أي لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجبل والصحارى في قهر وفي رعاية التمس لآب له ولا أم فله الله تعالى جميع حاسن الأخلاق والطرق الحسنة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والقوز في الآخرة والبطقة والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول (٢) . وهذا الله لطافته في أمره والتأسي به في نه آيين يارب العالمين .

( بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه )

عما رواه أبو الجعترى قالوا ما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من المؤمنين بشيعة لإجلها كفارة ورحمة (٣) وما لمن امرأة قط ولا خادما بلية (٤) وقيل له وهو في القتال لو سلمهم يرسلهم الله

(١) حديث لا يحضر مسكينا فقره وزماته ولا يهاب ملكا للملك يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء واحدا ع من حديث سهل بن سعد مر " رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقولون في هذا ؟ قالوا حري إن خطب أن ينكح الحديث وفيه فر " رجل من قراء المسلمين قال ما تقولون في هذا ؟ قالوا حري إن خطب أن لا ينكح الحديث وفيه هذا خير من ملء الأرض مثل هذا وم من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقصر والنجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل (٧) حديث قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة الثابتة وهو أي لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجبل والصحارى وفي قهر وفي رعاية التمس لآب له ولا أم فله الله جميع حاسن الأخلاق والطرق الحسنة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والقوز في الآخرة والبطقة والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول هذا كله معروف معلوم فروى ت في التباين من حديث ابن أبي طالب في حديثه الطويل في صفته وكان من سيرته في جزء الأمة إشار أهل الفضل بأذنه وقسمه الحديث وفيه فسأله عن سيرته في جلسائه فقال كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب الحديث وفيه كان يحزن لسانه إلا فبا يمينه وفيه قد ترك نفسه من ثلاث من اللراء والإكثار وما لا يمينه الحديث وقد تقدم بضمه وروى ابن مردويه من حديث ابن عباس في قوله - وما كنت تلو من قبله من كتاب ولا خطه يمينك - قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب وقد تقدم في العلم والبخارى من حديث ابن عباس قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فأقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام - قد خسر الدين قتلا وأولادهم سفها بغير علم - وم وجب من حديث أم سلمة في قصة هجرة الحبشة أن جفرا قال للنجاشي أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نصيد الأنعام ونأكل للينة الحديث ولأحمد من حديث أبي بن كعب أن نبي صحرا ابن عشرين وأشهر فلذا كلام فوق رأس الحديث وع من حديث أبي هريرة كنت أرفعها أمي التمس على قرابيط لأهل مكة ولأن يلى وجب من حديث حليمه إنما نرجوا أكرامة الرضاة من وواله اللود وكان يتبا الحديث وتضم حديث بنت بمكارم الأخلاق (٣) حديث ما من أحد من المؤمنين إلا جعلها الله كفارة ورحمة متفق عليه من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه فأى المؤمنين لمتة شنته جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقرية . وفي رواية فاجعلها زكاة ورحمة وفي رواية فاجعلها له كفارة وقرية وفي رواية فاجعل ذلك كفارة له يوم القيامة (٤) حديث ما من امرأة ولا خادما قط للوروف ماضرب مكان لمن كا هو متفق عليه من حديث عائشة والبخارى من حديث أنس لم يكن يخافها ولا لمانا وسبأ الحديث الذي يده فيه هذا المعنى .

غابوت حال رسول الله

صلى الله عليه وسلم

وحال الأمة فاستمدت

تلك الصفات للبقاء

يظهرها في رسول الله

صلى الله عليه وسلم

ينزل الآيات المحكمات

بإزائها قسما ناديا

من الله لئيبه رحمة

خاصة له وطامة للأمة

موزعة بنزول الآيات

على الآباء والأوقات

عند ظهور الصفات

قال الله تعالى - وقالوا

لولا نزل عليه القرآن

جملة واحدة كذلك

لثبت به فؤادك

ورتلناه ترتيلا -

وتثبيت الفؤاد بد

اضطرابه بحركة النفس

يظهر الصفات

لارتباط بين القلب

والنفس وعند كل

اضطراب آية متضمنة

لخلق صالح سقى إما

قال هـ إنما بشت رحمة ولم أبش لعنا<sup>(١)</sup> وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له<sup>(٢)</sup> وما ضرب يده أحدا قط إلا أن يضرب به في سبيل الله تعالى وما انتقم من شيء صنع إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله وما خبر بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك<sup>(٣)</sup> وما كان يأتيه أحد حر أو عبدا وأمة إلا قام معه في حاجته<sup>(٤)</sup> وقال أنس رضي الله عنه والذي بته بالحق ما قال في شيء قط كرهه لمضله ولا لمضى نساؤه إلا قال دعوه إنما كان هذا يكتبنا وقد<sup>(٥)</sup> قالوا وما عاب رسول الله ﷺ مضجعا إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرش له اضطجع على الأرض<sup>(٦)</sup> وقد وصفه الله تعالى في التوراة قبل أن يشته في السطر الأول قال محمد رسول الله عيسى المختار لافظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسبئية السيئ ولكن ينفو ويصنع ، مولاه بركة وهجرته بطابة وملكه بالشام يأثر على وسطه هو ومن ممدعا لله القرآن والعلم يومنا على أطرافه وكذلك نفيه في الانجيل وكان خلقه أن يبدأ من قية السلام<sup>(٧)</sup> ومن قومه الحاجة صابره حتى يكون هو للتصرف<sup>(٨)</sup> وما أخذ أحد يده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر<sup>(٩)</sup>

(١) حديث إنما بشت رحمة ولم أبش لعنا م من حديث أبي هريرة (٢) حديث كان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له الشيخان من حديث أبي هريرة قالوا يارسول الله إن دوسا قد كفرت وأبت فاعلم عليهم قيل هل كنت دوس قال اللهم اهد دوسا واثبتهم (٣) حديث ما ضرب يده أحدا قط إلا أن يضرب في سبيل الله وما انتقم من شيء صنع إليه إلا أن تنتهك حرمة الله الحديث متفق عليه من حديث عائشة مع اختلاف وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة (٤) حديث ما كان يأتيه أحد حر أو عبدا أو أمة إلا قام معه في حاجته مع تلميحات من حديث أنس إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ يد رسول الله ﷺ فتطوق به حيث شاءت ووصله هـ وقال فابزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة في حاجتها وقد تقدم أيشان من حديث ابن أبي أوفى ولا يأتيه ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والسكين حتى يقضى لهما حاجتهما (هـ) حديث أنس والذي بته بالحق ما قال في شيء قط كرهه لمضله ولا لمضى نساؤه إلا قال دعوه إنما كان هذا يكتبنا وقد<sup>(٥)</sup> قالوا وما عاب رسول الله ﷺ مضجعا إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرش له اضطجع على الأرض ، لم أجده بهذا اللفظ والمعروف ما عاب طعاما وبؤخذ من عموم حديث علي بن أبي طالب ليس يغط إلى أن قال ولا عاب رءاءة في التماثل والطيران وأبو نعيم في دلائل النبوة ووروى ابن أبي عاصم في كتاب السنن حديث أنس ما علمه عاب شيئا قط وفي الصحيحين من حديث عمر اضطجاعة على حصير وتوصحه من حديث ابن مسعود تام على حصير قام وقد أثر في جنبه الحديث (٧) حديث كان من خلقه أن يبدأ من قية السلام في التماثل من حديث هند بن أبي هالة (٨) حديث ومن قومه الحاجة صابره حتى يكون هو للتصرف الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث علي بن أبي طالب وهو من حديث أنس كان إذا لاقى الرجل يكلمه لم يصرف وجهه حتى يكون هو للتصرف ورواه ت نحوه وقال غريب (٩) حديث وما أخذ أحد يده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر هـ من حديث أنس الذي قبله كان إذا استقبل الرجل فصاحه لا يزع يده من يده حتى يكون الرجل يزع لفظت وقال غريب .

وكان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ يمدفنا بكه ثم شد قبضته عليها<sup>(١)</sup> وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله<sup>(٢)</sup> وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة ؟ فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته<sup>(٣)</sup> وكان أكثر جلوسه أن ينصب سابقه جديا ويمسك يديه عليهما شبه الحبوة<sup>(٤)</sup> ولم يكن يبرف مجلسه من مجلس أصحابه<sup>(٥)</sup> لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس<sup>(٦)</sup> وما روى قط ما إذا رجليه بين أصحابه حتى لا يضيئ بهما على أحد إلا لأن يكون للسان واسما لا يضيئ فيه وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة<sup>(٧)</sup> وكان يكره من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه<sup>(٨)</sup> وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يقبل<sup>(٩)</sup> وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه<sup>(١٠)</sup> حتى يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة

معنى قوله عليه السلام  
« إنما أنسى لأسن »  
فظهر صفات نفسه  
الشريفة وقت استئصال  
الآيات لتأديب نفوس  
الامة وتهذيبها رحمة  
في حقهم حتى تذكر  
قوسهم وتعرف  
أخلاقهم قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
« الأخلاق عزيمة  
عند الله تعالى فإذا أراد  
الله تعالى بعبده خيرا  
منحه منها خلقا » وقال  
صلى الله عليه وسلم  
« إنما يشت لأسم  
مكلام الأخلاق » .  
وروى عنه صلى الله  
عليه وسلم « إن الله  
تعالى مائة وثلاثة عشر

(١) حديث كان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ يمدفنا بكه ثم شد قبضته فمن حديث أبي ذر وسأله رجل من عزة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصالحكم إذا لقبتموه قال ما لقبته قط إلا صالفت الحديث ، وفيه الرجل الذي من عزة ولم يسم وجماع البيهقي في الأدب عبد الله وروينا في علوم الحديث للحاكم من حديث أبي هريرة قال شريك يدي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وهو عندم بلفظ أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي (٢) حديث كان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله عز وجل ت في التباين من حديث علي في حديثه الطويل في صفته وقال علي ذكر بالتبزين (٣) حديث كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته لم أجد له أصلا (٤) حديث كان أكثر جلوسه أن ينصب سابقه جديا ويمسك يديه عليهما شبه الحبوة د ت في التباين من حديث أبي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتج يديه وإسناده ضعيف والبخاري من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقاء الكعبة محتجا يديه (٥) حديث إنه لم يكن يبرف مجلسه من مجلس أصحابه د من حديث أبي هريرة وأبي ذر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهراني أصحابه فيجى التريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل الحديث (٦) حديث إنه حينما انتهى به المجلس جلس ت في التباين في حديث علي الطويل (٧) حديث ما روى قط ما إذا رجليه بين أصحابه حتى يضيئ بهما على أحد إلا لأن يكون للسان واسما لا يضيئ فيه الدار قطني في غرائب مالك من حديث أنس وقال باطل وهو لم يقدم ركبته بين يدي جلس له زاد ابن ماجه قط وسنده ضعيف (٨) حديث كان يكره من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه ك وصح إسناده من حديث أنس . دخل جرير بن عبد الله على النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فأخذ برذته فألقاه عليه فقال اجلس عليا يا جرير الحديث وفيه فإذا أناكم كرم قوم فأكرموه وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الضجة والطبراني في الكبير من حديث جرير فألقى إلى كساء ولأن نعيم في الحلية فبسط إلى رداءه (٩) حديث كان يؤثر الداخل بالوسادة التي تكون تحته الحديث تقدم في الباب الثالث من آداب الضجة (١٠) حديث ما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ووجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة ت في التباين من حديث علي الطويل وفيه يعطى كل جلسائه نصيبه لا يحب جلوسه أن أحدا أكرم عليه منه وفيه مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة

دل الله تعالى - فبأمره من الله التي لم ولو كنت فظا غليظ القلب لاتنصوا من حولك - ولقد كان يدعو أصحابه بكنام إكراما لهم واسمائه لقولهم (١) ويكنى من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به (٢) ويكنى أيضا النساء اللاتي هن الأولاد واللاتي لم يلدن يبتدىء لمن السكى (٣) ويكنى الصبيان فيسماين به (٤) قلوبهم وكان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا (٥) وكان أرفأ الناس بالناس وخير الناس للناس وأشفق الناس للناس (٦) ولم تكن ترفع في مجلسه الأصوات (٧) وكان إذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم ومحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ثم يقول لعنهن جبريل عليه السلام (٨) .

( بيان كلامه وضحه صلى الله عليه وسلم )

كان صلى الله عليه وسلم أفصح الناس منطلقا وأحلام كلاما ويقول (٩) :

(١) حديث كان يدعو أصحابه بكنام إكراما لهم واسمائه لقولهم في الصحيحين في قصة القار من حديث أبي بكر يابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وللحاكم من حديث ابن عباس أنه قال لعمر يابا خصص أبصر وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر إنه لأول يوم كنانى فيه أبى خصص وقال صحيح على شرط من وفى الصحيحين أنه قال لعلى قم يابا تراب وللحاكم من حديث رافعة بن مالك أن أباحسن وجد نصفا في بطنه تخلفت عليه يريد عليا ولأبى على الموصل من حديث سعد ابن أبى وقاص فقال من هذا أبو إسحاق قلت نعم وللحاكم من حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم كناه أبا عبد الرحمن ولم يولد له (٢) حديث كان يكنى من لم يكن له كنية وكان يدعى بما كناه به من حديث أنس قال كنانى النبي صلى الله عليه وسلم يتقلد كنت اختلها يبنى أبا حمزة قال حديث غريب وه أن عمر قال لمصعب بن مالك تسكنى وليس لك ولد قال كنانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يابى يحيى والطبرانى من حديث أبى بكره تدلت بكثرة من الطائف قال لى النبي صلى الله عليه وسلم فأنت أبو بكره (٣) حديث كان يكنى النساء اللاتي هن الأولاد واللاتي لم يلدن يبتدىء لمن السكى ك من حديث أم أيمن في قصة شربها بول النبي صلى الله عليه وسلم فقال يأم أيمن قومي إلى تلك الفخارة الحديث وه من حديث عائشة أنها قالت للنبي ﷺ كل أزواجك كنيته غيرى قال فانت أم عبد الله وخ من حديث أم خالد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يأم خالد هذا سناء وكانت صغيرة وفيه مولى للزبير لم يسم ولأبى داود بإسناد صحيح أنها قالت يارسول الله كل سواحي لمن كنى قال فاكتنى بانبك عبدالله بن الزبير (٤) حديث كان يكنى الصبيان فى الصحيحين من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخ له صغير يابا عمير ما فعل الصغير (٥) حديث كان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا هذا من اللوم ويدل عليه إخباره صلى الله عليه وسلم أن بنى آدم خيرهم بطى القصب سريع الذى رواه من حديث أبى سعيد الخدرى وقال حديث حسن وهو صلى الله عليه وسلم خير بنى آدم وسيدهم وكان ﷺ لا ينضب لنفسه ولا ينصرف لها روات فى الثمائل من حديث هناد بن أبي هالة (٦) حديث كان أرفأ الناس بالناس وخير الناس للناس وأشفق الناس للناس هذا من اللوم وروينا فى الجزء الأول من فوائد أبى السدحاس من حديث على فى قصة النبي صلى الله عليه وسلم كان أرحم الناس بالناس الحديث بطوله (٧) حديث لم تكن ترفع في مجلسه الأصوات فى الثمائل من حديث على الطويل (٨) حديث كان إذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم ومحمدك الحديث أخرجه النسائى فى اليوم والليلة وك فى الاستدرك من حديث رافع بن خديج وتقدم فى الأذكار والدعوات (٩) حديث كان أفصح الناس منطلقا وأحلام كلاما أبو الحسن بن الضحاك فى كتاب الثمائل وابن الجوزى

خلقاً من آتاه واحدا  
منها دخل الجنة  
تقدرها وتحديدها  
لا يكون إلا يوحى  
سماوى لمسل ونبي  
والله تعالى أبرز إلى  
الخلق أسماء منبئة  
عن صفاته سبحانه  
وتعالى وما أظهرها  
لهم إلا ليدعوا إليها  
ولولأن الله تعالى أودع  
فى القوس البشرية  
التخلق بهذه الأخلاق  
ما أبرزها لهم دعوة  
لهم إليها بخصى رحمته  
من يشاء ولا يمد  
والله أعلم أن قول  
عائشة رضى الله عنها  
كان خلقه القرآن فيه  
رمز لماضى ولما

أنا أفصح العرب <sup>(١)</sup> وإن أهل الجنة يشكون فيها بلغة محمد صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> وكان زور السلام صحيح المقالة إذا نطق ليس بهذار وكان كلامه كخرزات نظمن <sup>(٣)</sup> قالت عائشة رضي الله عنها كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا كان كلامه زرا وأتم تثرون الكلام ثرا <sup>(٤)</sup> قالوا وكان أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وسكان مع الإعجاز يجمع كل ما أراد <sup>(٥)</sup> وكان يشكم بجوامع الكلم لافضل ولا تقصير كأنه يتبع بشفه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه وبهيه <sup>(٦)</sup> وكان جهير الصوت أحسن الناس نعمة <sup>(٧)</sup> وكان طويل السكوت لا يشكم في غير حاجة <sup>(٨)</sup>

في الوفاء بإسناد ضعيف من حديث بريدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفصح العرب وكان يشكم بالكلام لا يدرون ما هو حتى يجرم <sup>(١)</sup> حديث أنا أفصح العرب الطبراني في الكبير من حديث أنى سعيد الحدرى أنا أعرب العرب وإسناده ضعيف و ك من حديث عمر قال قات يارسول الله ما بالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا الحديث . وفي كتاب الرد والعدل للطنطاين في الدنيا في حديث مرسل أن أعرابيا قال للبي صلى الله عليه وسلم ما رأيت أفصح منك <sup>(٢)</sup> حديث إن أهل الجنة يشكون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم ك من حديث ابن عباس وصححه كلام أهل الجنة عربى <sup>(٣)</sup> حديث كان زور الكلام صحيح المقالة إذا نطق ليس بهذار وكان كلامه خرزات النظم الطبراني من حديث أم معبد وكان منطق خرزات نظم يتحدرن حلو للطق لازر ولا هذر وقد تقدم وسأني من حديث عائشة بسده كان إذا تكلم تكلم زرا وفي الصحيحين من حديث عائشة كان يحدثنا حديثا لودعه العاد لأحصاء <sup>(٤)</sup> حديث عائشة كان لا يسرد كسردكم هذا كان كلامه زرا وأتم تثرونه ثرا اتفق الشيخان على أول الحديث وأما الجملتان الأخيرتان فرواه الحلى في فوائده بإسناد منقطع <sup>(٥)</sup> حديث كان أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وكان مع الإعجاز يجمع كل ما أراد عبد بن حميد من حديث عمر بسند منقطع والدارقطني من حديث ابن عباس بإسناد جيد أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصارا وشرطه الأول متفق عليه كإسنادي قال خ يلغى في جوامع الكلم أن الله جمع له الأمور الكثيرة في الأمر الواحد والأمريين ونحو ذلك وللحاكم من حديث عمر المتقدم كانت لغة إسماعيل قد درست لجاء بها جبريل لحفظها <sup>(٦)</sup> حديث كان يشكم بجوامع الكلم لافضل ولا تقصير كلام يتبع بشفه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه وبهيه ت في السهال من حديث هند بن أبي هالة وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة بشت بجوامع الكلم ولأبي داود من حديث جابر كان في كلام النبي صلى الله عليه وسلم تريل أو ترسيل وفيه شيء لم يسم وله ولترمدى من حديث عائشة كان كلام النبي صلى الله عليه وسلم كلاما فضلا بينهم كل من سمعه وقال ت يحفظه من جلس إليه وقال ت في اليوم واليلة يحفظه من سمعه وإسناده حسن <sup>(٧)</sup> حديث كان جهير الصوت أحسن الناس نعمة ت ن في الكبرى من حديث صفوان بن عسال قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر بيننا نحن عنده إذ ناداه أعرابي بصوته له جهورى يا محمد فأجابته رسول الله صلى الله عليه وسلم على نحو من صوته هاؤم الحديث . وقال أحمد في مسنده وأجابه نحو ما تكلم به الحديث وقد يؤخذ من هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان جهورى الصوت ولم يكن يرفسه دائما وقد يقال لم يكن جهورى الصوت وإنما رفع صوته رفقا بالأعرابي حتى لا يكون صوته أرفع من صوته وهو الظاهر وللتبيين من حديث البراء ماصمت أحدا أحسن صوتا منه <sup>(٨)</sup> حديث كان طويل السكوت لا يشكم في غير حاجة ت في السهال من حديث هند بن أبي هالة .

نقى إلى الأخلاق  
الربانية فاحتشمت  
من الحضرة الإلهية  
أن تقول متخلقا  
بخلق الله تعالى  
فصبرت عن الذى بقلوبها  
كان خلقه القرآن  
استحياء من سبجات  
الجلال وسرا للعال  
بطلب للقال وهذا  
من وفور عليها وكال  
أدبها وبين قوله تعالى  
- ولقد آتيناك سميا  
من اللتان والقرآن  
العظيم - وبين قوله  
- وإنك لمن خلق عظيم -  
مناسبة مشعرة بقول  
عائشة رضي الله عنها  
كان خلقه القرآن .  
قال الجنيدي رحمه الله



ولا يقول للشكر ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق (١) ويرض عن تكلم بغير جميل (٢) وبكى عما اضطره الكلام إليه مما يكره (٣) وكان إذا سكنت تكلم جساؤه ولا يتنازع عنده (٤) في الحديث يعط بالجد والصيحة (٥) ويقول لا تضربوا القرآن بضه يعض فانه أنزل على وجوه (٦) وكان أكثر الناس تبسا وضحا في وجوه أصحابه مما تعجبوا به وخطا لنفسه بهم (٧) ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه (٨) وكان ضحك أصحابه عنده التبس اقتداء به وتوقيرا له (٩) قالوا ولقد جاءه أعرابي يوما وهو عليه السلام متغير اللون ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا لا تفضل بالأعرابي فانا ننكر لونه فقال دعوني فوالذي بيته بالحق نبيا لأدعه حتى يتبس فقال يا رسول الله بلغنا أن السبع يني الدجال يأتي الناس بالترديد وقد هلكوا جوعا أفتري بي بأبي أنت وأمي أن أكف عن ترديده تنفعا ونزها حتى أهلك هزالا أم أضرب في ترديده حتى إذا تضلعت شعا آمنت بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يفتيك الله بما ينبي للؤمنين (١٠) قالوا وكان

(١) حديث لا يقول للشكر ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق د من حديث عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فتهنى قريش وقالوا تكتب كل شيء ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال أكتب فوالذي نفسى بيده ما يخرج منه إلا حق رواه ك ومعه (٢) حديث يرض عن تكلم بغير جميل ت في التماثل من حديث علي الطويل يتناول عما لا يشتهي الحديث (٣) حديث يكني عما اضطره الكلام مما يكره فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لامرأه رفاعه حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك رواه غ من حديث عائشة ومن ذلك ما اتفقا عليه من حديثها في المرأة التي سألت عن الاغتسال من الحوض خذى فرصة ممسكة فتعطى بها الحديث (٤) حديث كان إذا سكنت تكلم جساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث ت في التماثل في حديث علي الطويل (٥) حديث يعط بالجد والصيحة م من حديث جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب أحمرت عيناه وتلاصوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صدحكم ومساكم الحديث (٦) حديث لا تضربوا القرآن بضه يعض وأنه أنزل على وجوه الطيراني من حديث عبد الله بن عمرو واستاد حسن إن القرآن يصدق بضه بضه فلا تكذبوا بضه يعض وفرواية للهروي في ذم الكلام إن القرآن لم ينزل لتضربوا بضه يعض وفي رواية له أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بضه يعض وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف (٧) حديث كان أكثر الناس تبسا وضحا في وجوه أصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخطا لنفسه بهم ت من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا أكثر تبسا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيحين من حديث جرير ولا رآني إلا تبسم وت في التماثل من حديث علي يضحك مما تضحكون منه ويتعجب مما تعجبون منه وم من حديث جابر بن سمرة كانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبس (٨) حديث ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود في قصة آخر من نخرج من النار وفي قصة الجبر الذي قال إن الله يضع السموات على أمسج ومن حديث أبي هريرة في قصة الجامع في رمضان وغير ذلك (٩) حديث كان ضحك أصحابه عنده التبس اقتداء به وتوقيرا له ت في التماثل من حديث هند بن أبي هالة في أثناء حديث الطويل جل ضحك التبس (١٠) حديث جاءه أعرابي يوما وهو متغير ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا لا تفضل بالأعرابي فانا ننكر لونه فقال دعوني والذي بيته بالحق نبي لا أدعه حتى يتبس فقال

كان خلقه عظما لأنه لم يكن له همة سوى الله تعالى وقال الواسطي رحمه الله لأنه جاد بالكونين عوضا عن الحق وقيل لأنه عليه السلام عاثر الخلق خلقه وبأنهم بقله وهذا ما قاله بعضهم في معنى الصوف: الصوف الخلق مع الخلق والصدق مع الحق وقيل عظم خلقه حيث صغرت الأكوان في عينه بمشاهدته كونه وقيل سمى خلقه عظما لاجتماع مكارم الأخلاق فيه . وقد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته إلى

من أكثر الناس تبسبا وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يحط بحطبة عظة (١) وكان إذا سر ورضي فهو أحسن الناس رضا فان وعظ وعظ مجد وإن غضب وليس ينضب إلا لله لم يتم لغضبه شيء وكذلك كان في أموره كلها (٢) وكان إذا نزل به الأمر فوض الأمر إلى الله وتبرأ من الحلول والقوة واستنزل الهدى فيقول : اللهم أرني الحق حقا فأتبعه وأرني المنكر منكرا وأرزقني اجتنابه وأعذني من أن يشبته على فأتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم (٣).

### ( بيان أخلاقه وآدابه في الطعام )

كان صلى الله عليه وسلم يأكل ما وجد (٤) وكان أحب الطعام إليه ما كان على صنف (٥) والصف يارسول الله بلغنا أن السبع الدجال يأتي الناس بالتريد وقد هلكوا جوعا الحديث وهو حديث منكر لم أقفله على أصل ويرده قوله صلى الله عليه وسلم في حديث للفترة بن شعبة اتفق عليه حين سأله أنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك وفي رواية لمسلم أنهم يقولون إن معه جبلا من خبز ولحم الحديث ثم في حديث حذيفة وأبي سمعود المتفق عليهما إن معه ماء ونارا الحديث (٦) حديث كان من أكثر الناس تبسبا وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه القرآن أويذكر الساعة أو يحط بحطبة عظة تقدم حديث عبد الله بن الحارث مارأيت أحدا أكثر تبسبا منه ولطبراني في معكم الأخلق من حديث جابر كان إذا نزل عليه الوحي قلت نذر قوم فإذا سرى عنه فأكثر الناس ضحكا الحديث ولأحمد من حديث علي أوالزبير كان يحط فيذكر بألم الله حتى يعرف ذلك في وجهه وكأنه نذر قوم يصيحهم الأمر غدوة وكان إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتم ضاحكا حتى يرفع عنه ورواه أبو يعلى من حديث الزبير من غير شك وللعالم من حديث جابر كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وهو عند مسلم بافظ كان إذا خطب (٧) حديث كان إذا سر ورضي فهو أحسن الناس رضا وإن وعظ وعظ مجد وإن غضب ولا يغضب إلا لله لم يتم لغضبه شيء وكذلك كان في أموره كلها أبو الشيخ بن حبان في كتاب أخلاق النبي ﷺ من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف غضبه ورضاه بوجهه كان إذا رضى فأنانا تلاحك الجدر وجهه وإنشده ضعيف والراد به الرأفة موضع في الشمس فبى ضوءها على الجدار وللشيخين من حديث كعب بن مالك قال وهو يريق وجهه من السرور وفيه وكان إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قر وكان يعرف ذلك منه الحديث وم كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه الحديث وقد تقدم وت في الشائل في حديث هذين أي هالة لا تغضب الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يتم لغضبه شيء حتى يتصره ولا يغضب لنفسه ولا يتصر لها وقد تقدم (٨) حديث كان يقول اللهم أرني الحق حقا فأتبعه وأرني المنكر منكرا وأرزقني اجتنابه وأعذني من أن يشبته على فأتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم أقفأوله على أصل ، وروى السنن في الدعوات من حديث أنس هرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول : اللهم إنك أسألتنا من أنفسنا ما لا نملكك إلا بك فأعطانا منها ما يرضيك عنا وم من حديث عائشة فيما كان يفتح به صلاته من الليل اهدني لما اختلف فيه إلى آخر الحديث .

### ( بيان أخلاقه وآدابه في الطعام )

(٤) حديث كان يأكل ما وجد تقدم (٥) حديث كان أحب الطعام إليه ما كان على صنف

حسن الخلق في حديث أخبرنا به الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي قال أنا الفتح المروزي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجبراحي قال أنا أبو العباس الميوسني قال أنا أبو عيسى الحافظ الترمذي قال حدثنا أحمد بن الحسين ابن خراش قال حدثنا حبان بن هلال قال حدثنا مبارك بن فضالة قال حدثني عبد الله ابن سعيد عن محمد بن للنكدر عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن

من أجمع إلى وأمرهم  
من جلس يوم القيامة  
أحكم أخلاقاً وإن  
أضخم إلى وأبدم  
من جلس يوم القيامة  
الثرارون للتشدقون  
التفهون قالوا يا رسول  
الله علنا الثرارون  
وللتشدقون فما  
التفهون ؟ قال  
التكبرون والثرارو  
للكار من الحديث  
والشدة للثقل  
على الناس في الكلام  
الحق الواسطى رحمه الله  
القل الطيبين أن  
لاغصام ولا غصام  
وقال أيضاً ربك أنى  
خلق عظيم لوجدناك  
ملاة الطامة على

أى كثرت عليه الأيدي أبو يعل والطبراني في الأوسط وابن عدى في الكامل من حديث جابر بن حسن أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي ولأن يعل من حديث أنس لم يجمع له غذا أو عشاء خبز ولم لا يعل إلا صنف وإسناده ضيف (١) حديث كان إذا وضعت المائدة قال باسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة . أما التسمية فرواهان من رواية من خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرب إليه طعاما يقول باسم الله الحديث وإسناده صحيح وأما بقية الحديث فمر أجده (٢) حديث كان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وقدميه كما يفعل للصلى إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول إنا نأخذ أكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد . عبد الرزاق في الصنف من رواية أيوب مضل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل احتضن وقال أكل كما يأكل العبد الحديث وروى ابن الصالح في التناقل من حديث أنس بسند ضيف كان إذا قعد ليل الطعام استوفى على ركبتيه اليسرى وأقام اليمنى ثم قال إنا نأخذ أكل كما يأكل العبد وأصل كما يفعل العبد روى أبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم بسند حسن من حديث أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجثو على ركبتيه وكان لا يشكر وأورده في صفة أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقارن من حديث ابن عمر إنا نأخذ أكل كما يأكل العبد ولأن يعل من حديث عائشة أكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وسندها ضيف (٣) حديث كان لا يأكل الحار ويقول إنه غير ذي بركة وإن الله لم يعطنا نار البيهقي من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم يوما بطعام سخن فقال ما دخل يطلي طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم ولأحمد بإسناد جيد والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث حوالة بنت قيس وقدمت له حريرة فوضع يده فيها فوجد حرها فقبضها لفظ الطبراني والبيهقي وقال أحمد فأحرقت أصابعه فقال حسن والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة أنه أبردو الطعام فإن الله الحار غير ذي بركة وله في وفي الصغير من حديث أبي جصفة تخور فرغ به منها وقال إن الله لم يعطنا نارا ولأحمد بضميف (٤) حديث كان يأكل ما عليه أبو الشيخ بن حبان من حديث عائشة وفي إسناده رجل لم يسم وعماه في روايته له وكذلك البيهقي في روايته في الشعب عبد بن القاسم نسب سفيان الثوري وقال البيهقي تخوره عبيد هذا وقد رماه ابن معين بالكذب ولأبو الشيخ من حديث عبد الله بن جعفر نحوه (٥) حديث أكله بأصابعه الثلاث من حديث كعب بن مالك (٦) حديث استماتته لرابية رويته في التيلانيات من حديث عامر بن ربيعة وفيه القاسم بن عبد الله العمري هالك وفي مصنف أبي أن شيعة من رواية الزهري مرسلان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل بالخص (٧) حديث لم يأكل بأصبعين ويقول إن ذلك أكلة الشيطان الدار قطنى في الأفراد من حديث ابن عباس بإسناد ضيف لا تأكل بأصبع فإنه أكل اللؤلؤ ولا تأكل بأصبعين فإنه أكل الشياطين الحديث.

تأخذ مع الحطة إذا طحنت فتقليه على السمن والصل في البرمة ثم نسوطة حتى ينضج فيأتي كاتري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا الطعام طيب <sup>(١)</sup> وكان يأكل خبز الشعير غير منخول <sup>(٢)</sup> وكان يأكل القثاء بالربط <sup>(٣)</sup> وبالملح <sup>(٤)</sup> وكان أحب القواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب <sup>(٥)</sup> وكان يأكل البطيخ بالخبز والسكر <sup>(٦)</sup> وربما أكله بالربط <sup>(٧)</sup> ويستمن باليدن جيما وأكل يوما الربط في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره <sup>(٨)</sup> فررت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تاصحل من كفه اليسرى وهو يأكل يمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة <sup>(٩)</sup> وكان ربما أكل العنب

(١) حديث جاءه عثمان بن عفان بالقولنج الحديث قلت للعروف أن الذي صنعه عثمان الخبيص روله البيهقي في الشعب من حديث لث بن أبي سليم قال إن أول من خبيص الخبيص عثمان بن عفان قدمت عليه غير عمل النبي والصل الحديث. وقال هذا منقطع وروى الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن سلام أقبل عثمان ومعه راحلة عليها غرارتان وفيه فاذا دقي ومن غسل وفيه ثم قال لأصحابه كلوا هذا الذي تسميه فارس الخبيص وأما خبر القولنج فرواه باسناده ضعيف من حديث ابن عباس قال أول ما سمعنا بالقولنج أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أمك خضع عليهم الأرض وغاض عليهم من الدنيا حتى إنهم ليا تكون القولنج قال النبي صلى الله عليه وسلم وما القولنج قال غلطون السمن والصل جيما قال ابن الجوزي في الموضوعات هذا حديث باطل لأصله (٢) حديث كان يأكل خبز الشعير غير منخول البخاري من حديث سهل بن سعد (٣) حديث كان يأكل القثاء بالربط متفق عليه من حديث عبد الله بن جعفر (٤) حديث كان يأكل القثاء بالملح أبو الشيخ من حديث عائشة وفيه يحيى بن هاشم كذب ابن معين وغيره ورواه ابن عدى وفيه عباد ابن كثير متروك (٥) حديث كان أحب الفاكهة الرطبة إليه البطيخ والعنب أبو نعيم في الطب النبوي من رواية أمية بن زيد العبسي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب من الفاكهة العنب والبطيخ وروى أبو الشيخ وابن عدى في الكامل والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث أنس كان يأخذ الربط يمينه والبطيخ يساره وبأكل الربط بالبطيخ وكان أحب الفاكهة إليه وفيه يوسف ابن عطية الصغار مجمع على ضعفه وروى ابن عدى من حديث عائشة كان أحب الفاكهة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الربط والبطيخ وله من حديث آخرها فان خير الفاكهة العنب ولا كلامها ضعيف (٦) حديث كان يأكل البطيخ بالخبز والسكر أما كذا البطيخ بالخبز فلم أره وإنما وجدت كذا العنب بالخبز فما رواه ابن عدى من حديث عائشة مرفوعا عليكم بالمرامة قيل يا رسول الله ما المرامة قال أكل الخبز مع العنب فان خير الفاكهة العنب وخير الطعام الخبز وإسناده ضعيف وأما كذا البطيخ بالسكر فان أريد بالسكر نوع من التمر والربط مشهور فهو الحديث الآتي بمدونه وإن أريد به السكر الذي هو الطبرزد فلم أره أصلا إلا في حديث منكر مضل رواه أبو عمر النوفلي في كتاب البطيخ من رواية محمد بن طي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل بطيخا بكرو وفيه موسى بن إبراهيم الروزي كذب يحيى بن معين (٧) حديث أكل البطيخ بالربط بن من حديث عائشة وحسنه وه من حديث سهل بن سعد كان يأكل الربط بالبطيخ وهو عند الدارمي بلقظ البطيخ بالربط (٨) حديث استماتته باليدن جيما فاأكل يوما الربط في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فررت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تاصحل من كفه اليسرى وهو يأكل يمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة أما استماتته يديه جيما فرواه أحمد من حديث عبد الله بن جعفر قال آخر ما رأيت من رسول الله ﷺ في إحدى يديه رطبات وفي الأخرى قثاء يأكل من هذه وبعض من هذه وتقدم حديث أنس في أكله يديه قيل

سرك وقال أيضا لأنك قلت فثوب ما أسديت إليك من نيمي أحسن مما قبله غيرك من الأنبياء والرسل. وقال الحسين لأنه لم يؤثر فيك جفاء الخلق مع مطاملة الحق وقيل الخلق العظيم لباس التقوى والتخلق بأخلاق الله تعالى إذ لم يبق للأعواس عنده خطر. وقال بعضهم قوله تعالى ولو نتوكل علينا بئس الأتوكل لأخذنا منه باليمين - آم لا ميث حيث قالوا ناك أخضره وإذا أخضره أغفله وحبه وقوله لأخذنا آم لأن فيه فاء في قوله هذا القائل

خرطاً يرى رؤاؤه على لحته تكثر **الؤلؤ** (١) وكان أكثر طعامه اللحم والتمر (٢) وكان يجمع اللبن بالتمر ويسمها **الطين** (٣) وكان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد في السبع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يعطيني كل يوم قمل (٤) وكان يأكل التريد باللحم والقرع (٥) وكان يحب القرع ويقول إنها شجرة أخرى يونس عليه السلام (٦) قالت عائشة رضي الله عنها وكان يقول «باعتشة إذا طيختم قدراً فأكثروا فيها من الدباء فانه يشد قلب الحزين» (٧) وكان يأكل لحم الطير الذي يصاد (٨) وكان لا يتبعه ولا يسيده ويجب أن يصاده ويؤتي به فيأكله (٩) وكان إذا أكل اللحم لم يطأطى رأسه إليه ورفضه إلى يمينه ورفضه إلى يمينه انتهاشاً (١٠) وكان يأكل الحبز والسمن (١١)

هذا ثلاثة أحاديث وأما قصته مع الشاة فرويها في فوائده أي بكر الشافعي من حديث أنس بإسناد ضعيف (١) حديث ربما أكل الغيب خرطاً الحديث ابن عدي في الكامل من حديث العباس والعقيل في الضعفاء من حديث ابن عباس هكذا مختصراً وكلاهما ضعيف (٢) حديث كان أكثر طعامه اللحم والتمر (٣) من حديث عائشة توفي رسول الله ﷺ وقد شجنا من الأسودين التمر واللبن (٤) حديث كان يجمع اللبن بالتمر ويسمها **الطين** أحمد بن حنبل في مسنده وأبو يعقوب بن أبي خالده عن أبيه قال دخلت على رجل وهو يجمع لبناً بالتمر وقال ادن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها **الطين** ورجاله قاتلوا إيهامه لاضرر (٥) حديث كان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد في السبع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يعطيني كل يوم قمل أبو الشيخ من رواية ابن سحمان قال سمعت من علمائنا يقولون كان أحب الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم الحديث وت في الثابتين من حديث جابر أنما النبي صلى الله عليه وسلم في منزلنا قد فجعنا له شاة فقال كأنهم فعلوا أنا نحب اللحم وإسناده صحيح و ه من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم (٥) حديث كان يأكل التريد باللحم والقرع م من حديث أنس (٦) حديث كان يحب القرع ويقول إنها شجرة أخرى يونس ن ه من حديث أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب القرع وقال ن الدباء وهو عند م بلفظ تعجبه وروي ابن مردويه في تكميله من حديث أبي هريرة في قصة يونس فلفظته في أصل شجرة وهي الدباء (٧) حديث باعائشة إذا طيختم قدراً فأكثروا فيها من الدباء فانها تشد قلب الحزين ورواه في فوائده أي بكر الشافعي (٨) حديث كان يأكل لحم الطير الذي يصاد ت من حديث أنس قال كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير قال اللهم ائتني بأحب الخلق إليك يأكل مني هذا الطير فجاء على فأكل معه قال حديث غريب قلت وله طرق كلها ضعيفة ، وروي دت واستتر به من حديث سفيان قال أكلت مع النبي صلى الله عليه وسلم لحم حباري (٩) حديث كان لا يتبعه ولا يسيده ويجب أن يصاد له فيؤتي به فيأكله قلت هذا هو الظاهر من أحواله فقد قال من تبع الصيد غفل رواه د ت من حديث ابن عباس وقال حسن غريب وأما حديث صفوان بن أمية عند الطبراني فقد كانت قبله رجل سلكهم يصاد ويطلب الصيد فهو ضعيف (١٠) حديث كان إذا أكل اللحم لم يطأطى رأسه إليه ورفضه إلى يمينه ورفضه إلى يمينه انتهاشاً (١١) حديث كان يأكل الحبز والسمن متفق عليه من حديث أنس في قصة طويلة فيها فانت بذلك الحبز فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقت وعصرت أم سلمة عكة فأدتمته الحديث وفيه ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ه فصنعت فيها شيئاً من سمن ولا يصح و د ه من

نظر فيما قال إن كان في ذلك فناء ففي قوله وإنك فناء وهو فناء بعد فناء والبقاء أتم من الفناء وهذا أليق بنصيب الرساء لأن الفناء إنما عز لما حمة وجود منموم فإذا تزج للنفوس من الوجود وتبدلت النفوس فأى عزة تبقى في الفناء فيكون حضوره بالله لا ينسه فأى حجة تبقى هنالك . وقيل من أول الخلق العظيم فقد أوى أعظم القمامات لأن لقمامات ارتباطاً عاماً والخلق يرتبط بالتموت والصفات . وقال الجنيذ اجتمع

وكان يحب من الشاة الدراع والكشف ، ومن القدر الدباء ومن الصباغ الحل ومن التمر المجوة <sup>(١)</sup> ودعا في الصبوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والبهر <sup>(٢)</sup> وكان يحب من البقول الهندباء والبادروج والبقلة الحفقاء التي يقال لها الرحلة <sup>(٣)</sup> وكان يكره الكيتين لكناهما من البقول وكان لا يأكل من الشاة سبعا : الله ذكر والأشئين والثلاثة وللرارة والقدر والحيا والنم ، ويكره ذلك <sup>(٤)</sup> وكان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا السكرات <sup>(٥)</sup> وما دم طعاما قط لكن إن أعجبني أكله وإن كرهه تركه وإن عاف لم يفضه إلى غيره <sup>(٦)</sup> وكان يحاف الضب والطحال ولا يجرهما <sup>(٧)</sup>

حدث ابن عمر وددت أن عندي خبزة يضاه من برٍّ حمراء ملبقة بسمن الحديث قال د منكر .  
(١) حديث كان يحب من الشاة الدراع والكشف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الحل ومن التمر المجوة وروى الشيخان من حديث أبي هريرة قال وضعت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قطعة من ترديد ولم تناول الدراع وكانت أحب الشاة إليه الحديث . وروى أبو الشيخ من حديث ابن عباس كان أحب اللحم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الكشف وإسناده ضعيف ومن حديث أبي هريرة ولم يكن يصبه من الشاة إلا الكشف وتقدم حديث أنس كان يحب الدباء قبل هذا بسة أحاديث ولأن الشيخ من حديث أنس كان أحب الطعام إليه الدباء وله من حديث ابن عباس باسناد ضعيف كان أحب الصباغ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحل وله من حديث أنس كان أحب التمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المجوة .  
(٢) حديث دعاني الصبوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسر الحر البزار والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن الأسود قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد سدوس فأهديتنا له تمرا وفيه حتى ذكرنا ثم أهلنا هذا الجذافي فقال يارك الله في الجذافي وحديثه خرج هذا منها الحديث قال أبو موسى اللدين قيل هو تمر أحمر وثبت هـ من حديث أبي هريرة الصبوة من الجنة وهي شفاء من السم وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص من تصبغ سبع تمرات من مجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر (٣) حديث كان يحب من البقول الهندباء والبادروج والبقلة الحفقاء التي يقال لها الرحلة أبو نعيم في الطب النبوي من حديث ابن عباس عليكم بالهندباء فانه مايوم إلا وعطر عليه قطرة من قطر الجنة وله من حديث الحسن بن علي وأنس بن مالك نحوه وكلها ضعيفة وأما البادروج فلم أجد فيه حديثا وأما الرحلة فروى أبو نعيم من رواية ثور قال مررت النبي صلى الله عليه وسلم بالرحلة وفي رحله قرحة فداواها بها فبرئت فقال رسول الله ﷺ يارك الله أنبت حيث شئت فانت شفاء من سبعين داء أداته الصداق وهذا مرسل ضعيف (٤) حديث كان يكره الكيتين لكناهما من البقول ورواه في جزء من حديث أبي بكر محمد بن عبيد الله بن الشخير من حديث ابن عباس باسناد ضعيف فيه أبو سعيد الحسن بن علي المدوني أحد الكذابين (٥) حديث كان لا يأكل من الشاة : القير والاشئين والثلاثة والرارة والقدر والحيا والنم ، ابن عدي وموطأ . بقية البيهقي من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ورواه البيهقي من رواية مجاهد مرسل (٦) حديث كان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا السكرات ماله في الوطأ عن الزهري عن سلمان بن يسار مرسل ووصله الدارقطني في غرائب مالك عن الزهري عن أنس وفي الصحيحين من حديث جابر أني بقدر فيه خضرات من بقل فوجد لها ريحا الحديث وفيه قال فاني أتأجني من لانتأجي ولمسلم من حديث أنس في قصة بعثه إليه بطعام فيه ثوم فلم يأكل منه وقال إنني أكرهه من أجل ريحه (٧) حديث مادم طعاما قط لكن إن أعجبني أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يفضه إلى غيره تقدم أول الحديث وفي الصحيحين . من حديث ابن عمر في قصة الضب فقال كاوا فانه ليس بمرام ولا بأس به ولكنه ليس من طعام موسى (٨) حديث كان يحاف الضب والطحال ولا يجرهما

فيه أربعة أعْيَام :  
السَّخَاءُ وَالْأَفْتَةُ  
والتَّصَبُّعُ وَالشَّفَقَةُ .  
وَالْإِبْنُ عَطَاءُ : الْحَلَقُ  
الْقَطِيمُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ  
اخْتِيَارٌ وَيَكُونَ تَحْتَ  
الْحَكْمِ مَعَ فَنَاءِ النَّفْسِ  
وَقَاءِ تَأَلُّفَاتِ . وَقَالَ  
أَبُو سَيْدٍ الْقُرَشِيُّ :  
الْعَظِيمُ هُوَ اللَّهُ وَمِنْ  
أَخْلَاقِهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ  
وَالصَّفْعُ وَالْفُجُو  
وَالْإِحْسَانُ لَا تَرَى إِلَى  
قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِنْ  
لَهُ مَالَةٌ وَبَضْعَةٌ عَشْرُ  
خَلْقًا مِنْ أَنْ يُوَادَّ  
مِنْهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ فَلَمَّا  
خُلِقَ بِأَخْلَاقِ اللَّهِ  
تَمَالَى وَجَدَ التَّنَائُفَ عَلَيْهِ  
بِقَوْلِهِ - وَإِنَّكَ لَمَلِي

وكان يلقق بأصابه الصخرة ويقول آخر الطعام أكثر بركة <sup>(١)</sup> وكان يلقق بأصابه من الطعام حتى نحر <sup>(٢)</sup> وكان لا يمسح يده بالتبديل حتى يلقق بأصابه واحدة واحدة ويقول إنه لا يدري في أي الطعام البركة <sup>(٣)</sup> وإذا فرغ قال الحمد لله اللهم لك الحمد أطعمت فأشبعت وسقيت فأرويت لك الحمد غير مكثور ولا مودع ولا مستنقى عنه <sup>(٤)</sup> وكان إذا أكل الحزب واللحم خاصة غسل يديه غسلًا جيدًا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه <sup>(٥)</sup> وكان يشرب في ثلاث دفعات وله فيها ثلاث تسميات وفي أواخرها ثلاث تحميدات <sup>(٦)</sup> وكان يمسح اللسان بماء ولا يمسح <sup>(٧)</sup> وكان يدفع فضل سورة إلى من على يمينه <sup>(٨)</sup> فإن كان من على يساره أجل رتبة قال للذي على يمينه السنة أن تعطى فإن أحببت آثرهم <sup>(٩)</sup> وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ <sup>(١٠)</sup> وكان لا يتنفس في الإناء بل ينحرف عنه <sup>(١١)</sup> وأتى بإناء فيه

أما الضب في الصبحين عن ابن عباس لم يكن بأرض قوي فأجدني أعافه ولهمان حديث ابن عمر أحلت لنا ميتتان ودمان وفيه أما الهمان فالكبد والطحال والبيهي موقوف على زيد بن ثابت إنى لا كل الطحال وما إلى إلنه حاجة إلا يعلم أهلى أنه لا بأس به <sup>(١)</sup> حديث كان يلقق الصخرة ويقول آخر الطعام أكثر بركة البيهي في شعب الإيمان من حديث جابر في حديث قال فيه ولا ترفع القصعة حتى تلتحق أو تلتحق فإن آخر الطعام فيه البركة وم من حديث أنس أمرنا أن نسلت الصخرة وقال إن أحدكم لا يدري أي طعامه يبارك له فيه <sup>(٢)</sup> حديث كان يلقق بأصابه من الطعام حتى نحر <sup>(٣)</sup> م من حديث كعب بن مالك دون قوله حتى نحر فلم أقف له على أصل <sup>(٤)</sup> حديث كان لا يمسح يده بالتبديل حتى يلقق بأصابه واحدة واحدة ويقول إنه لا يدري في أي أصابه البركة م من حديث كعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يمسح يده حتى يلقق وله من حديث جابر إذا فرغ يلقق بأصابه فانه لا يدري في أي طعامه تكون البركة والبيهي في الشعب من حديثه لا يمسح أحدكم يده بالتبديل حتى يلقق يده فإن الرجل لا يدري في أي طعامه يبارك له فيه <sup>(٥)</sup> حديث وإذا فرغ قال اللهم لك الحمد أطعمت وأشبعت وسقيت وأرويت لك الحمد غير مكثور ولا مودع ولا مستنقى عنه الطبراني من حديث الحرث بن الحارث بسند ضعيف ولبخاري من حديث أنى أمانة كان إذا فرغ من طعامه قال الحمد لله الذى كفانا وآوانا غير مكفى ولا مكفور وقال مرة الحمد لله ربنا غير مكفى ولا مودع ولا مستنقى عنه ربنا <sup>(٥)</sup> حديث كان إذا أكل الحزب واللحم خاصة غسل يديه غسلًا جيدًا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه أبو يعلى من حديث ابن عمر باستاد ضعيف من أكل من هذه اللحوم شيئًا فليقلل يده من ربح وضره لا يؤذى من حذاه <sup>(٦)</sup> حديث كان يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي آخرها ثلاث تحميدات الطبراني في الأوسط من حديث أنى هريرة ورجاله ثقات وم من حديث أنس كان إذا شرب تنفس ثلاثا <sup>(٧)</sup> حديث كان يمس اللسان بماء ولا يمسح عبا البقوى والطبراني وابن عدى وابن قانع وابن مندو وأبو نعيم في الصحابة من حديث بهز كان يستاك عرضا وشرب بماء والطبراني من حديث أم سلمة كان لا ييب ولا يلى الشيخ من حديث سيمونة لا ييب ولا يلبث وكلها ضيفة <sup>(٨)</sup> حديث كان يدفع فضل سورة إلى من عن يمينه متفق عليه من حديث أنس <sup>(٩)</sup> حديث استنذنه من على يمينه إذا كان على يساره أجل رتبة متفق عليه من حديث سهل بن سعد <sup>(١٠)</sup> حديث شربه بنفس واحد أبو الشيخ من حديث زيد بن أرقم باستاد ضعيف وللحاکم من حديث أنى قتادة وصححه إذا شرب أحدكم فليشرب بنفس واحد ولعل تاويل هذين الحديثين على ترك التنفس في الإناء وإنشاء علم <sup>(١١)</sup> حديث كان لا يتنفس في الإناء حتى ينحرف عنه ك من حديث أبي هريرة وأبو يتنفس أحدكم في الإناء إذا شرب منه ولكن إذا أراد أن يتنفس فليؤخره عنه ثم ليتنفس

خلق عظيم - وقيل عظم خلقك لأنك لم ترض بالأخلاق وسرت ولم تسكن إلى الموت حتى وصلت إلى الذات . وقيل لما ثبت محمد عليه الصلاة والسلام إلى الحجاز حجرة بها عن القدرات والشهوات وآفاده في الرقبوا الجفوة فهاضفا بذلك عن دنس الأخلاق قال له - وإنك لمل خلق عظيم - . وأخبرنا الشيخ الصالح أبو زهرة ابن الحافظ أن الفضل محمد بن طاهر القدسي عن أبيه قال أنا أبو محمد الليثي قال أنا أبو محمد

عسل ولين فأني أن يشربه وقال شريتان في شربة وإدامان في إناء واحد<sup>(١)</sup> ثم قال صلى الله عليه وسلم « لأحرمة ولكني أكره القشر والحساب بفضل الدنيا عدا أحب التواضع فإن من تواضع لله رفاه الله » وكان في بيته أهدى حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يشتهي عليهم إن أطعموه أكل وما أعطوه قبل وما سقوه شرب<sup>(٢)</sup> وكان ربما قام فأخذ مايا كل بنفسه أو يهرب<sup>(٣)</sup>.

### ( بيان آدابه وأخلاقه في اللباس )

كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أوجبة أو غير ذلك<sup>(٤)</sup> وكان يسيبه الثياب الخضر<sup>(٥)</sup> وكان أكثر لبسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم

وقال حديث صحيح الإسناد (١) حديث أني إثناء فيه عسل وما فأني أن يشربه وقال شريتان في شربة وإدامان في إناء واحد الحديث الزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله شريتان في شربة إلى آخره وسنده ضعيف (٢) حديث كان في بيته أهدى حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يشتهي عليهم إن أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب الشيطان من حديث أني سعيد كان أهدى حياء من العذراء في خدرها الحديث وقد تقدم وأما كونه كان لا يسألهم طعاما فإنه أراد أن طعام بيته من حديث عائشة أنه قال ذات يوم يا عائشة هل عندكم شيء ؟ قالت قلت ما عندنا شيء الحديث وفيه خطأ رجع قلت أهديت لنا هدية قال ما هو قلت حيس قال هاتيه وفي رواية قريه وفي رواية للنسائي أصبح عندكم شيء تطعمينه ولأني داود هل عندكم طعام وت أعذك غداء وفي الصحيحين من حديث عائشة فدعا بطعام فأني تجر وأدم من أدم البيت قال أأمره على النار فيها لم الحديث وفي رواية لم لو صنعت لنا من هذا اللحم الحديث فليس في قصة بريرة إلا الاستفهام والرما والحكمة فيه بيان الحكم لا التشهي والله أعلم . ولشيوخ من حديث أم الفضل أنها أرسلت إليه بندها لبن وهو واقف على بيمره فشربه ولأني داود من حديث أم هانئ فجمعت الوليدة إناؤه فيه شراب فتناوله فشرب منه وإسناده حسن (٣) حديث وكان ربما قام فأخذ مايا كل أو يشرب بنفسه د من حديث أم النذر بنت قيس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب ومعه على - وعلى ناقه - ولنا دوال معلقة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منها الحديث وإسناده حسن والترمذي وصححه وابن ماجه من حديث كبشة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب من في قربة معلقة فأما الحديث .

### ( بيان أخلاقه وآدابه في اللباس )

(٤) حديث كان يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أوجبة أو غير ذلك الشيطان من حديث عائشة أنها أخرجت إزارا مما يصنع باليمن وكساء من هذه اللبدة فقالت في مذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية إزارا غليظا ولها من حديث أنس كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه رداء يجري غليظ الحاشية الحديث لفظ مسلم وقال خ برد تجرأ وه بسند ضعيف من حديث ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قميصا قصيرا يدين والطول وودت وحسنه ون من حديث أم سلمة كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص ولأني داود من حديث أسماء بنت زيد كانت يد قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرغ وفيه شرب حوشب مختلف فيه وتقدم قبل هذا الحديث الجبة والشملة والخبرة (٥) حديث كان أكثر لبسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم ه ك من حديث ابن عباس خيرا بكم البياض فألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم قال ك صحيح الإسناد وله أصحاب السنن من حديث مرة عليكم هذه الثياب البياض فلبسوها

عبد الله بن يوسف قال  
أنا أبو سعيد بن الأعرابي  
قال ثنا جعفر بن  
الحجاج الرقي قال أنا  
أيوب بن محمد الزمان  
قال حدثني الوليد قال  
حدثني ثابت عن يزيد  
عن الأوزاعي عن  
الزهري عن عروة عن  
عائشة رضي الله عنها  
قالت : كان نبي الله صلى  
الله عليه وسلم يقول  
« مكالم الأخلاق  
عشرة تكون في  
الرجل ولا تكون في  
إبته وتكون في الإبن  
ولا تكون في أبيه  
وتكون في العبد ولا  
تكون في سيده  
يقسمها الله تعالى لمن



وكان بلبس القباء المحشو للحرب وغير الحرب <sup>(١)</sup> وكان له قباء سندس قبابه تحسن خضرته على ياض لونه <sup>(٢)</sup> وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق <sup>(٣)</sup> وكان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار في الصلاة وغيرها <sup>(٤)</sup> وكانت له ملعقة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها <sup>(٥)</sup> وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره <sup>(٦)</sup> وكان له كساء ملبد بلبسه ويقول إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد <sup>(٧)</sup>

أحياناً وكفتموا فيها موتاً كم لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وقال ت حسن صحيح <sup>(٨)</sup> حدث كان بلبس القباء المحشو للحرب وغير المحشو الشيخان من حديث السور بن عخرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه أقمية من دياح مزرر بالذهب الحديث وليس في طرق الحديث لبسها إلا في طريق عليهما قال فخرج وعليه قباء من دياح مزرر بالذهب الحديث وم من حديث جابر لبس النبي صلى الله عليه وسلم يوماً قباء من دياح أهدى له ثم زعه الحديث <sup>(٩)</sup> حدث كان له قباء سندس فيلبسه الحديث أحمد من حديث أنس أن أكيدر دومة أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم جبة سندس أو دياح قبل أن ينهي عن الحرب فلبسها والحديث في الصحيحين وليس فيه أنه لبسها وقال فيه وكان ينهي عن الحرب وعندت وصححه ن أنه لبسها ولكنه قال بجبة دياح منسوجة فيها الذهب <sup>(١٠)</sup> حدث كان ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق أبو الفضل محمد بن طاهر في كتاب منقوشة التصوف من حديث عبد الله بن بسر كانت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم إزاره فوق الكعبين وقميصه فوق ذلك ورداؤه فوق ذلك وإسناده ضعيف ولا يصححه من حديث ابن عباس كان بلبس قميصاً فوق الكعبين الحديث وهو عنده بالفظ قصيرا قصير اليدن والطول وعندها وت في الثائيل من رواية الأشعث قال سمعت عمر بن الخطاب يقول عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يزاره إلى نصف ساقه ورواه ن وحسب الصحابي عبيد بن خالد واسم عمه الأشعث وهم بيت الأسود ولا يعرف الإزاره كان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار في الصلاة وغيرها <sup>(١١)</sup> حدث في الثائيل من رواية معاوية بن قرة بن إياس عن أبيه قال أتيت النبي ﷺ في رهط من مزينة وبإسناده وإن قميصه مطلق الأزرار واللبيق من رواية زيد بن أسلم قال رأيت ابن عمر يصلي محلولاً إزاره فقلت له عن ذلك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلع وفي العلل للترمذي أنه سأل عن هذا الحديث فقال أنا في هذا الشيخ كان حديثه موضوع يعني زهير بن محمد راويه عن زيد بن أسلم قلت ثابته عليه الوليد بن مسلم عن زيد رواه ابن خزيمة في صحيحه والطبراني من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي محتجباً محلل الأزرار <sup>(١٢)</sup> حدث كان له ملعقة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها د من حديث قيلة بنت عخرمة قلت رأيت النبي ﷺ وعليه أعمال ملائكة كانت زعفران قال ت لانعرفه إلا من عبد الله بن حسان قلت ورواته متفقون ود من حديث قيس بن سعد فاعشلت ثناله أن سعد ملعقة مصبوغة زعفران أو ورس فاشتعل بها الحديث ورجاله ثقات <sup>(١٣)</sup> حدث ربما لبس الكساء وحده لبس عليه غيره ه وابن خزيمة ثابت بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في بيعة الأشبل وعليه كساء متلف به الحديث وفي رواية البزار في كساء <sup>(١٤)</sup> حدث كان له كساء ملبد بلبسه ويقول أنا عبد ألبس كما يلبس العبد الشيخان من رواية أبي بردة قال أخرجت إلينا عائشة كساء ملبدا وإزارا غليظا قالت في هذين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبغاري من حديث عمر إنما أنا عبد ولبيد الرزاق في الصنف من رواية أيوب السخيتان مرفوعا معناه إنما أنا عبد أكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وتقدم من حديث أنس وابن عمر وعائشة متصلا .

أراد به السعادة : صدق الحديث وصدق اليأس وأن لا يشبع جاره وصاحبه جاثمان وإعطاء السائل والكفاة بالصنائع وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتذم للصاحب وإقراء الضيف ورأسهن الحياء . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال « تقوى الله وحسن الخلق » وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار قال : التمر والفرح يكون هذا التمر غم فوات الحظوظ المأجلة لأن ذلك

وكان له ثوبان بلجته خاصة سوى ثيابه غير البلجة<sup>(١)</sup> وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره وبمذه طريفة بين كتيبه<sup>(٢)</sup> وربما أمّ به الناس على الجنائز<sup>(٣)</sup> وربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتصقا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ<sup>(٤)</sup> وكان ربما صلى بالليل في الإزار ويرتدى ببعض الثوب مما يلي هديه ويلقى البقية على بعض نسائه فبصل كذلك<sup>(٥)</sup> ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلة بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الأسود فقال كسوته مارأيت شيئا قط كان أحسن من يداك على سواده<sup>(٦)</sup> وقال أنس وربما رأيته يصلي بنا الظهر في ثملة عاقدا بين طرفيه<sup>(٧)</sup> وكان يتختم<sup>(٨)</sup> وربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشيء<sup>(٩)</sup>

(١) حديث كان له ثوبان بلجته خاصة الحديث الطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف زاد فاذا انصرف طويناها إلى مثله وورده حديث عائشة عند ابن ماجه مارأيت سبب أحدا ولا يطوي له ثوب (٢) حديث ربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره فقد طريفة بين كتيبه الشيخان من حديث عمر في حديث اعتزاله أهله فاذا عليه إزاره وليس عليه غيره وللبخاري من رواية محمد بن السكندر صلى بنا جابر في إزار قد عنده من قبل قلعه وثيابه موضوع على الشجب وفي رواية له وهو صلى في ثوب ملتصقا به ورداه موضوع وفيه رأي النبي صلى الله عليه وسلم يصلي هكذا (٣) حديث ربما أمّ به الناس على الجنائز لم أتف عليه (٤) حديث ربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتصقا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ أبو يعلى بإسناده حسن من حديث معاوية قال دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في ثوب واحد فقلت بأمر حبيبة أبصلي النبي صلى الله عليه وسلم في الثوب الواحد قالت نعم وهو الذي كان فيه ما كان تمنى الجماع ورواه الطبراني في الأوسط (٥) حديث ربما كان يصلي بالليل ويرتدى ببعض الثوب مما يلي هديه ويلقى البقية على بعض نسائه د من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في ثوب بعضه علىّ ولمس كان يصلي من الليل وأنا حاضن وعلىّ مرط بعضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وللطبراني في الأوسط من حديث أبي عبد الرحمن حاضن عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة يصليان في ثوب واحد نصفه على النبي صلى الله عليه وسلم ونصفه على عائشة وسنده ضعيف (٦) حديث كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلة بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الحديث لم أتف عليه من حديث أم سلمة وسلم من حديث عائشة خرج النبي صلى الله عليه وسلم وعليه مرط مرحل أسود ولأبي داود و ن صنعت للنبي صلى الله عليه وسلم برة سوداء من صوف فلبسها الحديث وزاد فيه ابن سعد في الطبقات فذكرت ياض النبي صلى الله عليه وسلم وسوادها ورواه ك بافظجة وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث أنس ربما رأيته يصلي بنا الظهر في ثملة عاقدا بين طرفيه البزار وأبو يعلى بافظ صلى ثوب واحد وقد خالف بين طرفيه والبزار خرج في مرضه الذي مات فيه مرتديا ثوب فطن فضلى بالناس وإسناده صحيح و ه من حديث عبادة بن الصامت صلى في ثملة قد عقد عليها وفي كامل ابن عدى قد عقد عليها هكذا وأشار سفيان إلى لقاء وفي جزء النظر بفقدها في عنقه ما عليه غيرها وإسناده ضعيف (٨) حديث كان يتختم الشيخان من حديث ابن عمر وأنس (٩) حديث ربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشيء عد من حديث وائلة بسند ضعيف كان إذا أراد الحاجة أوثق في خاتمه خيطا وزاد الحارث ابن أبي أسامة في مسنده من حديث ابن عمر لذكره به وسنده ضعيف .

بعضه من القشظ والتضجر وفيه الاعتراض على الله تعالى وعدم الرضا بالقضاء ويكون الفرح للشار إليه الفرح بالمحظوظ العاجلة للمنع منه بقوله تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - وهو الفرح الذي قال الله تعالى - إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يعجب الفرحين - لما رأى مفاعله تنوء بالصعبة أولى القوة فأما الفرح بالأقسام الأخروية فمحمود ينافس فيه قال الله تعالى - قل

وكان يغم به على الكعب ويقول الحاتم على الكتاب خير من التهمة (١) وكان يلبس القلانس تحت العمام ويغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يمسى إليها (٢) وربما لم تكن العمامة فيشد الصابغة على رأسه وعلى جبهته (٣) وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على فرما طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم أنا كم على السحاب (٤) وكان إذا لبس ثوبا لبسه من قبل يمينه (٥) ويقول الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي وأجمل به في الناس (٦) وإذا نزع ثوبه أخرجه من يساره (٧) وكان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول لمن مسلم يكسو مسلما من حل ثيابه لا يكسو إلا لله إلا كان في ضبان الله وحرزه وخيره ما أواراه حيواتنا (٨)

(١) حديث كان يغم به على الكعب ويقول الحاتم على الكتاب خير من التهمة الشيخان من حديث أنس لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم قالوا إنهم لا يقرءون إلا كتابا عنتموا فما أخذ خاتما من فتنة الحديث ون في الثمال من حديث ابن عمر أخذ خاتما من فتنة كان يغم به ولا يلبسه وسنده صحيح وأما قوله الحاتم على الكتاب خير من التهمة فلم أقف له على أصل (٢) حديث كان يلبس القلانس تحت العمام ويغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يمسى إليها الطبراني وأبو الشيخ والبيهقي في شعب الإيمان من حديث عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قلنسوة يضاء ولأبي الشيخ من حديث ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثه قلانس: قلنسوة يضاء مضربة وقلنسوة بردجيرة وقلنسوة ذات أذان يلبسها في السفر فرجا وضما بين يديه إذا صلى وإسنادهما ضعيف ولأبي داود ون من حديث ركانة فرق ما بيننا وبين للتركين العمام على القلانس قال ن غريب وليس إسناده بالقائم (٣) حديث ربما لم تكن العمامة فيشد الصابغة على رأسه وعلى جبهته من حديث ابن عباس صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم للبر وقد صعد رأسه بصبغة وصما الحديث (٤) حديث كانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على فرما طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم أنا كم على في السحاب ابن عدى وأبو الشيخ من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده وهو مرسل ضعيف جدا ولا ينعم في دلائل النبوة من حديث عمر في أثناء حديث عمامته السحاب الحديث (٥) حديث كان إذا لبس ثوبا يلبسه من قبل يمينه ن من حديث أبي هريرة ورجاله رجال الصحيح وقد اختلف في رفعه (٦) حديث الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي وأجمل به في الناس ن وقال غريب وه ك وصحه من حديث عمر بن الخطاب (٧) حديث كان إذا نزع ثوبه خرج من يساره أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان إذا لبس شيئا من الثياب بدأ بالأيمن وإذا نزع بدأ بالأيسر وله من حديث أنس كان إذا ارتدى أو ترجل أو اتسل بدأ بيمينه وإذا خلع بدأ بيساره وسندهما ضعيف وهو في الاتساع في الصحيحين من حديث أبي هريرة من قوله لا من فعله [١] حديث كان له ثوب لجمعة خاصة الحديث تقدم قريبا بلفظ نوبين (٨) حديث كان إذا لمس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما الحديث ك في الاستدرك والبيهقي في الشعب من حديث عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما دعا بتيابه فلبسها فلما بلغ تراقيه قال الحمد لله الذي كساني ما أجمل به في حياي وأوارى به عورتي ثم قال ما من مسلم يلبس ثوبا جديدا الحديث دون ذكر تصدقه صلى الله عليه وسلم بتيابه وهو عند ن ه د ون ذكر لبس النبي صلى الله عليه وسلم ثيابه وهو أصح وقد تقدم قال البيهقي وهو غير قوي .

[١] قول الرازي: حديث كان له ثوب الخ، ليس هذا الحديث بنسختنا فله بنسخة العراقي .

يفضل الله ورحمته  
فيذلك فليفرحوا -  
وفسر عبد الله بن  
البارك حسن الخلق  
قتال هو بسط الوجه  
وبذل للمروءة وكف  
الأذى والصوفية  
نقوسهم بالمكابدات  
والمجاهدات حتى أجابت  
إلى تحسين الأخلاق  
وكم من نفس نجيب  
إلى الأعمال ولا نجيب  
إلى الأخلاق فنقوس  
العباد أجابت إلى  
الأعمال وجمعت  
عن الأخلاق ونقوس  
الزهاد أجابت إلى  
بسن الأخلاق دون  
العباد ونقوس  
الصوفية أجابت إلى

وكان له فراش من آدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وعبر وأخوه (١) وكانت له عبادة غرض له حيثما تنقل ثنى طاقين تحته (٢) وكان ينام على الحسبر ليس تحته شيء غيره (٣) وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته الغباب واسم سيفه الذي يشده به الحروب والفقار وكان له سيف يقال له الخنم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضب وكانت قبضة سيفه حملا بالفضة (٤) وكان يلبس النطقة من الأدم فيها ثلاث حلل من فضة (٥) وكان اسم قوسه الكسوم وجبته الكافور (٦) وكان اسم ناقته القسواء وهي التي يقال لها الضياء واسم بقلته الداليل

(١) حديث كان له فراش من آدم حشوه ليف الحديث متفق عليه من حديث عائشة مقتصر على هذا دون ذكر عرضه وطوله ولأبي الشيخ من حديث أم سلمة كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم نحو ما يوضع الإنسان في قبره وفيه من لم يسم (٢) حديث كانت له عبادة غرض له حيثما تنقل غرض طاقين تحته ابن سعد في الطبقات وأبو الشيخ من حديث عائشة دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة مثنية الحديث ولأبي سعيد عنها أنها كانت غرض النبي صلى الله عليه وسلم عبادة باتين الحديث وكلاهما لا يصح وت في التمهال من حديث خصة وسئل ما كان فراشه قالت مسح ثنية تنتين فينام عليه الحديث وهو منقطع (٣) حديث كان ينام على الحسبر ليس تحته شيء غيره متفق عليه من حديث عمر في قصة اعتزال النبي صلى الله عليه وسلم نسائه (٤) حديث كان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته الغباب واسم سيفه الذي يشده به الحروب والفقار وكان له سيف يقال له الخنم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضب وكان قبضة سيفه حملا بالفضة الطبراني من حديث ابن عباس كان لرسول الله ﷺ سيف قائمته من فضة وقيمته من فضة وكان يسمى ذا الفقار وكانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجبل وكانت له درع موشحة بنحاس تسمى ذات الفضول وكانت له حربة تسمى النبعة وكانت له جبن تسمى الدفن وكان له ترس أبيض يسمى موجزا وكان له فرس آدم يسمى السكب وكان له سرج يسمى المباح للآخر وكان له بقة شبيهة يقال لها الداليل وكانت له ناقه تسمى القسواء وكان له حمار يسمى بفور وكان له بساط يسمى السكر وكانت له عنزة تسمى النمر وكانت له ركوة تسمى الصادر وكانت له مرآة تسمى المرآة وكان له مفراش يسمى الجامع وكان له قصب شوحط يسمى المشوق وفيه على بن غررة المشقق نسب إلى وضع الحديث ورواه ابن عدي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء تسمى القباب ورواه أبو الشيخ من حديث الحسن مرسلًا وله من حديث علي بن أبي طالب كان اسم سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار ت ه من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم تنقل سيفه ذا الفقار يوم بدر وله من حديث علي في أثناء حديث وسيفه ذو الفقار وهو ضعيف ولابن سعد في الطبقات من رواية مروان بن أبي سعيد بن الحلي مرسلًا قال أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قينقار ثلاثة أسياف: سيف قلبي وسيف يدي وبارا وسيف يدي الخنم وكان عنده بعد ذلك الخنم ورسوب وأصاها من القلبي وفي سننه الواقدي وذكر ابن أبي خيثمة في تاريخه أنه يقال إنه ﷺ قدم المدينة ومعه سيفان يقال لأحدهما الضب وشبهه بدرًا ولأبي داود وت وقال حسن ون وقال منكر من حديث أنس كانت قبضة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فضة (٥) حديث كان يلبس النطقة من الأدم فيها ثلاث حلل من فضة لم أقف له على أصل ولابن سعد في الطبقات وأبي الشيخ من رواية محمد بن علي بن الحسن مرسلًا كان في درع النبي صلى الله عليه وسلم حلتان من فضة (٦) حديث كان اسم قوسه الكسوم وجبته الكافور لم أجد

الأخلاق الكريمة كلها أخبرنا الشيخ أبو زرعة إجازة عن أبي بكر ابن خلف إجازة عن السلمي قال سمعت حسين بن أحمد بن جعفر يقول سمعت أبا بكر السكتاني يقول الصوف زاد عليك بالخلق زاد عليك بالنصف فالبلاد أجابت قوسهم إلى الأعمال لهم يسلكون بنور الاسلام والزهاد أجابت قوسهم إلى بسن الأخلاق لكونهم سلكوا بنور الإيمان والصوفية أهل القرب سلكوا بنور الاحسان قلنا بآثر يواظن أهل

وكان اسم حمارة ينفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة<sup>(١)</sup> وكان له مطهرة من غبار يتوضأ فيها ويشرب منها<sup>(٢)</sup> فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يذوقون عنه فاذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم ويتنشقون بذلك البركة.

### (بيان عنوه صلى الله عليه وسلم مع القدرة)

كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس<sup>(٣)</sup> وأرغمهم في الفؤ مع القدرة حتى أتى قتلاً من ذهب وفضة قسمها بين أصحابه قام رجل من أهل البادية قال « يا محمد والله لئن أمرتك أن تعدل فأراك تعدل فقال ويحك فمن يعدل عليك بدي فلما ولي قال ردوه على ربودا<sup>(٤)</sup> » روى جابر « أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبض للناس يوم خيبر من فضة في ثوب بلال قال له رجل يا رسول الله اعدل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويحك فمن يعدل إذا ما عدل قد خبت إذن وخسرت إن كنت لا تعدل قام عمر قال ألا أضرب عنقه فانه منافق فقال معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي<sup>(٥)</sup> » وكان رسول الله ﷺ في حرب فزادوا من المسلمين غرة فجهاد رجل حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال من يمتك مني قال الله قال فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال من يمتك مني قال كن خير أخذ قال قل أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله قال لاغير أني لأقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك غلى سبيله فجهاد أصحابه قال جشك من عند خير الناس<sup>(٦)</sup> وروى أنس « أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة سمومة ليأكل منها فقبض بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألهما عن ذلك قالت أردت ذلك فقال

له أصلاً وقد تقدم في حديث ابن عباس أنه كانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجبع وقال ابن أبي خيثمة في تاريخه: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من سلاح بني قينقاع ثلاثة قسي: قوس اسمها الرواح وقوس شوحط تدعى البيضاء وقوس صفراء تدعى الصفراء من سبع (١) حديث كان اسم ناقته القواء وهي التي يقال لها الضياء واسم بقلته الدليل واسم حمارة ينفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة تقدم بسنه من حديث ابن عباس عند الطبراني والبخاري من حديث أنس كان لقبي صلى الله عليه وسلم ناقته قال لها الضياء والمسلم من حديث جابر في حجة الوداع ثم ركب القواء ولك من حديث علي: ناقته القواء وبقلته دليل وحمارة غفر الحديث وروى عنه في فوائد ابن الدحداح قال حمارة ينفور وفيه شاته بركة وخ من حديث معاذ كنت ردفت النبي صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له غفر ولاين سعد في الطبقات من رواية إبراهيم بن عبد الله من ولد عتبة بن غزوان كانت مناع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنم سباعاً: حمورة وزمزم وسقيا وركة ورشة وإهلال وأطراف وفي سننه الواقدي وله من رواية مكحول مرسلات كانت بمثابة تسمى قر<sup>(٢)</sup> حديث كانت له مطهرة من غبار يتوضأ فيها ويشرب منها الحديث لم أتف له على أصل.

### (بيان عنوه مع القدرة)

(٣) حديث كان أحلم الناس تقدم (٤) حديث أتى قتلاً من ذهب وفضة قسمها بين أصحابه الحديث أبو الشيخ من حديث ابن عمر باسناد جيد (٥) حديث جابر أنه كان يقبض للناس يوم خيبر من فضة في ثوب بلال فقال له رجل يا بني الله اعدل الحديث رواه (٦) حديث كان في حرب فرؤى في المسلمين غرة فجهاد رجل حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف الحديث متفق عليه من حديث جابر بنحوه وهو في مسند أحمد أقرب إلى لفظ المصنف وصحى الرجل غورث بن الحارث.

القرب والصوفية نور  
اليقين وتأمل في  
بواطنهم ذلك اصلح  
القلب بكل أرجائه  
وجوانبه لأن القلب  
يشع بسنه بنور  
الاسلام وبسنة بنور  
الايمان وكله بنور  
الاحسان والايقان فاذا  
ايض القلب وتور  
انمكس نوره على  
النفس والقلب وجه  
إلى النفس ووجه إلى  
الروح والنفس وجه  
إلى القلب ووجه إلى  
الطبع والفرقة والقلب  
إذ لم يبيض كله لم  
يتوجه إلى الروح بكلمه  
ويكون ذا وجهين  
وجه إلى الروح ووجه

ما كان الله ليلسطك على ذلك قالوا أفلا تقتلها فقال لا <sup>(١)</sup> وسحره رجل من اليهود فأخبره جبريل عليه أفضل الصلاة والسلام بذلك حتى استخرجه وحل الصد فوجد ذلك خفة وما ذكر ذلك اليهودي ولا أظهره عليه <sup>(٢)</sup> وقال على رضى الله عنه <sup>(٣)</sup> بئس رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا واليرير وللقداد قال انطلقوا حتى تأتوا روضة خلع فإن بها غصية معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى أتينا روضة خلع قلنا أخرجى الكتاب قالت مامى من كتاب قلنا لتخرجن الكتاب ولتزعن الثياب فأخرجته من غصصها فأثينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخرم أمرا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بإحاط بهما هذا قال يا رسول الله لا تعجل على إتي كنت أمرا ملصقا في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم فأجبت إذ فاتني ذلك من النسب منهم أن أخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم أقبل ذلك كفر ولا رغبة بالكفر بعد الإسلام ولا ارتدادا عن ديني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه صدقكم قال عمر رضى الله عنه دعني أضرب عنق هذا المنافق قال صلى الله عليه وسلم إنه شديد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد أطلع على أهل بدر قال المحمدا ما شئتم فقد غفرت لكم <sup>(٤)</sup> . وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قصة قتال رجل من الأنصار هذه قصة ما أريد بها وجه الله فقد ذكر ذلك لاني صلى الله عليه وسلم فاحر وجهه وقال: رحم الله أخى موسى قد أودى بأكثر من هذا فصر <sup>(٥)</sup> . وكان صلى الله عليه وسلم يقول لا يلقى أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر <sup>(٦)</sup> .

(يان إغشاهه صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه <sup>(٧)</sup> وكان إذا اشتد وجهه أكثر من مس لحية السكرعة <sup>(٨)</sup> وكان لا يشانه أحدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه سفرة فكرهها فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لوقم لهذا أن يدع هذه <sup>(٩)</sup> يعني السفرة ، وبال أعرابي في السجد بعضرتة فبه له الصحابة فقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنس أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة الحديث رواه وهو عندنا من حديث أبي هريرة (٢) حديث سحره رجل من اليهود فأخبره جبريل بذلك حتى استخرجه الحديث بنسناد صحيح من حديث زيد بن أرقم وقصة سحره في الصحيحين من حديث عائشة لفظ آخر (٣) حديث على بئس رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا واليرير وللقداد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خلع الحديث متفق عليه (٤) حديث قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قصة قتال رجل من الأنصار هذه قصة ما أريد بها وجه الله الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث لا يلقى أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر دسمن حديث ابن مسعود وقال غريب من هذا الوجه .

(يان إغشاهه صلى الله عليه وسلم عما يكرهه)

(٦) حديث كان رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف رضاه وغضبه بوجهه الحديث وقد تقدم . (٧) حديث كان إذا اشتد وجهه أكثر من مس لحية السكرعة الحديث وقد تقدم أبو الشيخ من حديث عائشة بنسناد حسن (٨) حديث كان لا يشانه أحدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه سفرة فكرهها فلم يقل شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لوقم لهذا أن يدع هذه يعني السفرة دت في المائل ون في اليوم والآلة من حديث أنس وإسناده ضعيف .

إلى النفس فاذا ابيض كله توجه إلى الروح بكفه فيناركه مدد الروح ويزداد إشراقا وتورا وكما انجذب القلب إلى الروح انجذب النفس إلى القلب وكلما انجذب توجهت إلى القلب بوجهها الذي يليه وتورا النفس لتوجهها إلى القلب بوجهها الذي يلي القلب وعلامته تنورها طمأنينتها قال الله تعالى - يا أيها

«لا تزرموه» أى لاتعظموا عليه الرسول ثم قال له إن هذه للساجد لاتصالح لشيء من القدر والبول والجلد» (١) وفي رواية قربوا ولا تفروا وجاءه أعرابي يوما يطلب منه شيئا فأعطاه صلى الله عليه وسلم ثم قال له أحسنت إليك قال الأعرابي لا ولا أجملت قال فنضب للسكون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى الأعرابي وزاده عيثا ثم قال أحسنت إليك قال نعم جزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إنك قلت ماقلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك فان أحببت قل بين أيديهم ماقلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان الغد أو العشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى كذا قال فقال الأعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم: إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقه شردت عليه فاتبها الناس فلم يزدوها إلا أقورا فتأداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فاني أرفق بها وأعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قدام الأرض فردها هيونا هيونا حتى جاءت واستأخت وشهد عليها رحلها واستوى عليها وإنى لو تركتك حيث قال الرجل ما قال قتلتكموه دخل النار» (٢)

(بيان سحاوته وجوده صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأسخم وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يملك شيئا (٣) وكان على رضى الله عنه إذا وصف إلى صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس وكفا وأوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة من رآه يدهبه عليه ومن خاطبه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله (٤) وما سئل عن شيء قط على الإسلام إلا أعطاه (٥) وإن رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنا سدت مابين جبلين فرجع إلى قومه وقال أسلموا فان محمدا يبطي عطاءه من لا يخشى الفاقة ومما مثل شيئا قط فقال لا (٦) وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضها على حصير ثم قام إليها قسمها لها رد سائلا حتى فرغ منها (٧) وجاءه رجل فسأله

(١) حديث بال أعرابي في المسجد بحضرته فقال صلى الله عليه وسلم لا تزرموه الحديث متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث جاء أعرابي يوما يطلب منه شيئا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أحسنت إليك قال الأعرابي لا ولا أجملت الحديث بطوله البزار وأبو الشيخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف . (بيان سحاوته وجوده صلى الله عليه وسلم)

(٣) حديث كان أجود الناس وأسخم في شهر رمضان كالريح المرسلة الشيخان من حديث أنس كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأجود الناس ولها من حديث ابن عباس كان أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان وفيه فاذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة (٤) حديث كان على إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس وكفا وأجرأ الناس صدرا الحديث رواه ت وقال ليس إسناده متصل (٥) حديث ما مثل شيئا قط على الإسلام إلا أعطاه الحديث متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث ما مثل شيئا قط فقال لا متفق عليه من حديث جابر (٧) حديث حمل إليه تسعون ألف درهم فوضها على حصير ثم قام إليها قسمها لها رد سائلا حتى فرغ منها أبو الحسن ابن الضحاك في التتائل من حديث الحسن مرسل أن رسول الله ﷺ قدم عليه مال من البحرين فمأثون ألقا لم يقدم عليه مال أكثر منه لم يسأله يومئذ أحدا إلا أعطاه ولم يمنع سائلا ولم يبط ساكنا فقال له عباس الحديث ولليخارى تمليقا من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين وكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه لما كان يرى أحدا إلا أعطاه

النفس الطمعة ارجى  
الى ربك راضية  
مرضى تسو تورو جها  
الذى على القلب بثابة  
نورانية أحد وجهي  
الصف لا ككتاب  
الورانية من اللؤلؤ  
وبقاء شيء من الظلة  
على النفس لنسبة  
وجهها الذى على  
القرينة والطبع كبقاء  
ظاهر الصدق على  
ضرب من السكر  
والنقصان عاقلها  
لنورانية باطنه وإذا

فقال ماعندي شيء ولكن اتبع على فاذا جاءنا شيء قضينا فقال عمر يا رسول الله ما كلكتك الله ما لا تقدر عليه ففكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل أتتقى ولا تخش من ذي العرش إقلالا تبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف السرور في وجهه (١) ولما قفل من حين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة غطفت رداءه فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه الضاء نهارا لقسمتها بينكم ثم لا تجدون غيلا ولا كذبا ولا جيانا (٢)

( بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم )

كان صلى الله عليه وسلم أعجب الناس وأشجعهم (٣) قال صلى الله عليه وسلم لقد رأيته يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا (٤) وقال أيضا كنا إذا حمر البأس ولقي القوم اتقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه (٥) قيل وكان صلى الله عليه وسلم قليل الكلام قليل الحديث فاذا أمر الناس بالقتال تشمر وكان من أشد الناس بأسا (٦) وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب يقربه من العدو (٧) وقال عمر ابن الخطاب حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كنية إلا كان أول من يضرب (٨) وقالوا كان قوى البطش (٩) ولما غشي للشركون زل عن بقلته فجعل يقول : أنا الذي لا كذب أنا ابن عبد المطلب فما روى يومئذ أحد كان أشد منه (١٠)

إذ جاءه البأس الحديث ووصله عمر بن محمد البحري في صحيحه (١) حديث جاءه رجل فسأله فقال ماعندي شيء ولكن اتبع على فاذا جاءنا شيء قضينا فقال عمر يا رسول الله ما كلكتك الله الحديث ت في الشائل من حديث عمر وفيه موسى بن علقمة القروي لم يروه غير ابنه هرون (٢) حديث لما قفل من حين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة غطفت رداءه الحديث خ من حديث جابر بن مطعم .

( بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم )

(٣) حديث كان أعجب الناس وأشجعهم الدارمي من حديث ابن عمر بسند صحيح ما رأيت أعجب ولا أجود ولا أشجع ولا أرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولشيعته من حديث أنس كان أشجع الناس وأحسن الناس الحديث (٤) حديث على لقد رأيته يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم الحديث أبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم بساند جيد (٥) حديث على أيضا كنا إذا حمر البأس ولقي القوم اتقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بساند صحيح ولمسلم نحوه من حديث البراء (٦) حديث كان قليل الكلام قليل الحديث فاذا أمر بالقتال تشمر الحديث أبو الشيخ من حديث سعد بن عباد الخالجي مرسل (٧) حديث كان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب الحديث م من حديث البراء والله إذا حمر الوطيس تنق به وإن الشجاع منا الذي يحاذي به (٨) حديث عمر ابن الخطاب حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كنية إلا كان أول من يضرب أبو الشيخ أيضا وفيه من لم أعرفه (٩) حديث كان قوى البطش أبو الشيخ أيضا من رواية أبي جعفر مضافا ولطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن عمرو أعطيت قوة أربعين في البطش والجماع وسنده ضعيف (١٠) حديث لما غشي للشركون زل فجعل يقول : أنا الذي لا كذب . الحديث متفق عليه من حديث البراء دون قوله فما روى أحد يومئذ أحد منه وهذه الزيادة لأبي الشيخ وله من حديث على في قصة بدر وكان من أشد الناس يومئذ بأسا

تور أحد وجهي  
النفس لجأت إلى تحسين  
الأخلاق وتبديل  
التموت وقلبك حى  
الأبدال أبدا والسر  
الأكر في ذلك أن قلب  
الصوفي بدوام الإقبال  
على الله ودوام الذكر  
بالقلب واللسان يرتقى  
إلى ذكر الله وتوسيع  
حينئذ بنبأ العرش  
فالعرش قلب الكائنات  
في عالم الخلق والحكمة  
والقلب عرش في عالم  
الأمر والقدرة . قال



(بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا في علو منصبه (١) قال ابن عامر رأيته يرى الجرة على ناقة شبيهة لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك (٢) وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف (٣) وكان يمود للريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك (٤) ويخفف النمل ويرقع القوب وكان يصنع في يمتعه أهله في حاجتهم (٥) وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك (٦) وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم (٧) وأتى صلى الله عليه وسلم برجل فأرعد من هيئته فقال له هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد (٨) وكان يجلس بين أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتي القريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل عنه حتى طلبوا إليه أن يجلس جلوسا يعرفه القريب فينوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه (٩) وقالت له عائشة رضي الله عنها كل جلوسى الله فذلك مستكنا فانه أهون عليك قال فألقى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض ثم قال بل أكل كما يأكل البسد وأجلس كما يجلس البسد (١٠) وكان لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى خلق الله تعالى (١١) وكان لا يدعو أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال ليك (١٢) وكان إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم وإن تكلموا في الدنيا تحدث معهم رقا بهم وتواضعا لهم (١٣) وكانوا يتناشدون الشعرين يده

(بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم)

(١) حديث كان أشد الناس تواضعا في علو منصبه أبو الحسن بن الضحاك في التباين من حديث أبي سعيد الخدري في حديث طويل في صفته قال فيه تواضع في غير منة وإسناده ضعيف (٢) حديث قال ابن عامر رأيته يرى الجرة على ناقة شبيهة لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك (٣) ن ه من حديث قدامة ابن عبد الله بن عمار قال ت حسن صحيح وفي كتاب أبي الشيخ قدامة بن عبد الله بن عامر كاذره للصف (٤) حديث كان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف متفق عليه من حديث أسامة بن زيد (٥) حديث كان يمود للريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك وتضعفه ولا وصح إسناده من حديث أنس وتقدم متقطعا (٦) حديث كان يخفف النمل ويرقع القوب ويصنع في بيته مع أهله في حاجته هو في للسند من حديث عائشة وقد تقدم في أوائل آداب العيشة (٧) حديث كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم متفق عليه من حديث أنس وتقدم في آداب الصبة (٨) حديث أتى برجل فأرعد من هيئته فقال هون الله عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد ك من حديث جرير وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث كان يجلس مع أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتي القريب فلا يدري أيهم هو الحديث د ن من حديث أبي هريرة وأبي ذر وقد تقدم (١٠) حديث قالت عائشة كل جلوسى الله فذلك مستكنا فانه أهون عليك الحديث أبو الشيخ من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عنها بسند ضعيف (١١) حديث كان صلى الله عليه وسلم لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى أتى الله عن حديث أنس وتقدم في آداب الأكل (١٢) حديث وكان يقول لا يدعو أحد من أصحابه ولا من غيرهم إلا قال ليك أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة وفيه حسين بن علوان منهم بالكذب ولطبراني في الكبير بإسناد جيد من حديث محمد بن حاطب في أثناء حديث أن أمة قالت يارسول الله فقال ليك وسعدك الحديث (١٣) حديث كان صلى الله عليه وسلم إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى

سهل بن عبد الله  
التستري القلب كالعرش  
والصدر كالكرسي  
وقد ورد عن الله تعالى  
« لا يسئ أرضي ولا  
سمائي ويسئ قلب  
عبي للؤمن » فلذا  
اكتحل القلب بنور  
ذكر القاد و صار  
بحرا مواجا من نبات  
القرب جرى في جداول  
أخلاق النفس صفاء  
النور والصفات  
وتحقق التخلق بأخلاق  
الله تعالى . حكى عن

أحياناً وبذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فينبس هو إذا ضحكوا ولا يجرم إلا عن حرام (١) :

( بيان صورته وخلقته صلى الله عليه وسلم )

كان من صفه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير للتردد بل كان ينسب إلى الربة إذا مشى وحده ، ومع ذلك فلم يكن بمشابه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فرقا نسب إلى الطول ونسب هو عليه السلام إلى الربة ويقول صلى الله عليه وسلم « جعل الحبر كله في الربة (٢) » وأما لونه فقد كان أزهر اللون ولم يكن بالأدم ولا بالشديد البياض والأزهر هو الأبيض الناصع الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الألوان ، ونعت عمه أبو طالب قال :

وأبيض يستقي القمام بوجهه ثمال النيام عصمة للأرامل (٣)

ونعت بعضهم بأنه مشرب بحمرة فقالوا إنما كان للشراب منه بلرة مظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة والأزهر الصافي عن الحمرة مانت الثياب منه وكان عرقه يتلطف في وجهه كالؤلؤ ألب من السلك الأذفر وأما شعره فقد كان رجل الشعر حنس ليس بالسيط ولا الجمد القطط وكان إذا مشطه بالسيط يأتي كأنه حلك الرمل وقيل كان شعره يضرب منكبيه وأكثر الرواية أنه كان إلى شعبة أذنيه وربما جعله غداثر أربعا تخرج كل أذن من بين غدريين وربما جعل شعره على أذنيه فيبدو سوائه تلالفاً وكان شيعة في الرأس واللحية سبع عشرة شعرة مازاد على ذلك وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس

أمر الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم الحديث ت في التنازل من حديث زيد بن ثابت دون ذكر الشراب وفيه سليمان بن خازمة نضر عنه الوليد بن أبي الوليد وذكره ابن حبان في الثقات (١) حديث كانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحياناً وبذكرون أشياء من أمر الجاهلية الحديث م من حديث جابر بن سمرة دون قوله ولا يجرم إلا عن حرام .

( بيان صورته صلى الله عليه وسلم )

(٢) حديث كان من صفه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير للتردد الحديث بطوله أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة بزيادة وقصان دون شعر أبي طالب الآتي ودون قوله وربما جعل شعره على أذنيه فيبدو سوائه تلالفاً ودون قوله وربما كان واسع الجبهة إلى قوله وكان سهل الحديث وفيه صبيح بن عبد الله الفرغاني منكر الحديث قاله الخطيب في الصحيحين من حديث البراء له شعر يبلغ شعبة أذنيه و د ث وحسنه ه ه من حديث أم هانئ قم إلى مكذوله أربع غداثر و ت من حديث علي في صفته صلى الله عليه وسلم أدعج العينين أهدب الأضفار الحديث وقال ليس بإسناده متصل وله في التنازل من حديث ابن أبي هالة أزهر اللون واسع الجبين أزعج الحاجب سوانع في غير قرن بينهما عرق يدور الغضب أقر العينين له نور يعلمو بحمته من لم يتأمله أشم كثر الأعبة سهل الحديث ضليح التميم مقلج الأسنان الحديث (٣) حديث نعت عمه أبو طالب قال :

وأبيض يستقي القمام بوجهه ثمال النيام عصمة للأرامل

ذكره ابن إسحاق في السيرة وفيه للسند عن عائشة أنها تمثلت بهذا البيت وأبو بكر يقضى قال أبو بكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه على بن زيد بن جعدان يختلف فيه وخ تعليقا من حديث ابن عمر ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستقي فما ينزل حتى يمشي كل ميزاب فأنتده وقد وصله بإسناد صحيح

الشيخ أبي طي  
الفارمزي أنه حكى  
عن شيخه أبي القاسم  
البركاني أنه قال إن  
الأصماء التمسعة  
والقسيم نصير أو صافا  
لعبد السالك وهو بعد  
في السلوك غير واصل  
ويكون الشيخ عن  
بهذا أن العبد يأخذ  
من كل اسم وصف يلائم  
ضفف حال البشر  
وقصوره مثل أن يأخذ  
من اسم الله تعالى  
الرحيم معنى من الرحمة

وجها وأنورهم لم يصفه وأصف إلهيته بالقبريل واليد وكان يرى رضاه وغبته في وجهه لصفاء بشرته وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث يقول :

أمين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

وكافى الله عليه وسلم واسع طيبة أريج الحاجبين صابغهما وكان أبلغ ما بين الحاجبين كأن ما بينهما الفضة المخلصة وكانت عيناه بجلاوين أدمجتهما فكان في عينيه تخرج من حمرة وكان أهدب الأفصار حتى تتكاد تلتبس من كثرتها وكان أرق العينين : أي مستوى الأنف وكان مفلج الأسنان : أي متفرقا وكان إذا أقر ضاحكا أقر عن مثل منا البرق إذا تلاحا وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم ، وكان سهل الخدين صلبها ليس بالطويل الوجه ولا للسكائم كك اللحية وكان يفي لحيته ويأخذ من عاربه وكان أحسن عباد الله عقلا لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر ما ظهر من خلقه لنفسه والرياح فسكانه إربق فضة مغرب ذهابها يتلاحا في بياض الفضة وفي حمرة القصب ، وكان صلى

الله عليه وسلم عريض الصدر لا يبدو لحم بعض بدنه بضاً كالمرآة في استوائها وكالتفر في بياضه موصول ما بين لبته وسرته بشعر متقاد كالضبيب لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره وكانت له عكن تتوكل يغطي الأزار منها واحد ويظهر اثنان ، وكان عظيم للتكبير أشعرها ضخم الكراديس : أي رموس العظام من للتكبير وللرقيقين والوركيين وكان واسع الظهر ما بين كفيه خاتم التوبة وهو مما يلي منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تقرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من حرف فرس وكان على الصددين والقرعنين طويل الزند رجب الزاحنين سائل الأطراف كأن أصابعه قضبان القضة كفه ألين من الحر كأن كفه كف عطار طيبا مسحا بطيب أولم يمسها بياضه الصانع فيظل يومه يمد رجبها ويضع يده على رأس الصبي فيرف من بين الصبيان يربحها على رأسه وكان على ما تحت الأزار من القفذين والساق وكان متدل الخلق في السمن بدن في آخر زمانه وكان له مناسكا يكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السمن . وأما مشيه صلى الله عليه وسلم فكان يمشي كأنما يتشعل من صخر وينعمر من صلب يخطو تكفيا ويمشي المويبي يبر تبخر والمويبي تقارب الخطا وكان عليه الصلاة والسلام يقول « أنا أشبه الناس بأبي صلى الله عليه وسلم وكان أبي إبراهيم صلى الله عليه وسلم أشبه الناس بي خلقا وخلقا » وكان يقول « إن لي عند ربى عشرة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الناصر الذي يحوي الله في الكفر وأنا العاقب الذي ليس بيده أحد وأنا الحاشر عشر الله العباد على قدرى وأنا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول اللامع والتقى قيت الناس جميعا وأنا ثم » (١) قال أبو الجحترى : والتمم الكامل الجامع ، والله أعلم .

(١) حديث إن لي عند ربى عشرة أسماء الحديث ابن عدى من حديث على وجار وأسامة بن زيد وابن عباس وعائشة بإسناد ضعيف وله ولأبي نعم في الدلائل من حديث أبي الطفيل لي عند ربى عشرة أسماء قال أبو الطفيل حفظت منها ثمانية فذكرها زيادة وقص وذكر سيف بن وهب أن أبا جعفر قال إن الأسمين طه ويس وإسناده ضعيف وفي الصحيحين من حديث جبير بن مطعم على أسماء أنا أحمد وأنا محمد وأنا الحاشر وأنا الناصر وأنا العاقب وسلم من حديث أبي موسى والتقى ونبي التوبة ونبي الرحمة ولأحمد من حديث حذيفة بن اللاحم وسنده صحيح .

على قدر قصور البحر  
وكل إشارات الشايع  
في الأسماء والصفات  
التي هي أهم علومهم  
على هذا الفن والتفسير  
وكل من توم بذلك شيئا  
من الحسول ترتقى  
والأحد وقد أوصى  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم معاذ  
بوصية جامعة لمحاسن  
الأخلاق فقال له وإمامنا  
أوصيك بتقوى الله  
وسد الحديث والوفاء  
بالعهد وأداء الأمانة

## ( بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه )

اعلم أن من شاهد أحواله صلى الله عليه وسلم وأمنى إلى سماع أخباره للشفعة على أخلاقه وأفضاله وأحواله وعادته وسجاياه وسياسة لأصناف الخلق وهدايته إلى منبسطهم وتأنفه أصناف الخلق وقوده بإمام إلى طاعته مع يمنحك من محال أجوبته في مضائق الأسئلة وبدائع تديراته في مصالح الخلق ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهرات الشرع الذي يسير الفقهاء والقلاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم لم يبق له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك إلا بالاستعداد من تأييد سماوي وقوة الهيبة وأن ذلك كله لا يتصور لكذب ولا ملبس بل كانت صفاته وأحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى إن العربي القح كان يراه فيقول : والله ما هذا وجه كذاب فكان يشبهه بالصدق بمجرد صفاته فكيف من شاهد أخلاقه ومارس أحواله في جميع مصادره وموارده وإنما أوردنا بعض أخلاقه لنعرف محاسن الأخلاق وليتبه لصدقه عليه الصلاة والسلام وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله إذ أتاه الله جميع ذلك وهو رجل أحمى لم يمارس العلم ولم يتطالع الكتب ولم يقرأ قط في طلب عالم ولم يزل بين أظهر الجبال من الأعراب يتبعه ضعيفاً مستضعفاً فمن أين حصل له محاسن الأخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلاً فقط دون غيره من العالمين فضلاً عن معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي ومن أين قوة البشر الاستقلال بذلك فلم يكن له إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يترب فيه محصل ، فلنذكر من جعلها ما استفاضت به الأخبار واشتملت عليه الكتب الصحيحة إشارة إلى مجامعها من غير تطويل غلبة التفصيل فقد خرق الله العادة على بديع مرة ، إذ شق له القمر بمكة لما سأله قريش آية (١) وأطمع النفر الكثير في منزل جابر (٢) وفي منزل أبي طلحة ويوم الخندق (٣) ومرة أطمع ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق (٤) وهو من أولاد اللزد فوق النود ومرة أكثر من ثمانين رجلاً من أقرص شعير حملها أنس في يده (٥) ومرة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشر في بداهة فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم (٦) ونبع الماء من بين أصابعه عليه السلام فشرب أهل العسكر كلهم وهم عطاش وتوضوا من قمع صغير ساق عن أن يسقط عليه السلام يده فيه (٧)

## ( بيان معجزاته )

- (١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عباس وأنس (٢) حديث إطعام النفر الكثير في منزل جابر متفق عليه من حديثه (٣) حديث إطعامه النفر الكثير في منزل أبي طلحة متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث إطعامه ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق الإصحاعيل في صحيحه ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة من حديث جابر وفيه أنهم كانوا ثمانمائة أو ثلاثمائة وهو عندنا دون ذكر العدد وفي رواية أبي نعيم في دلائل النبوة وهم ألف (٥) حديث إطعامه أكثر من ثمانين رجلاً من أقرص شعير حملها أنس في يده من حديث أنس وفيه حتى فعل ذلك ثمانين رجلاً ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤراً وفي رواية لأبي نعيم في الدلائل حتى أكل منه بشع وعنانون رجلاً وهو متفق عليه بلشظ والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً (٦) حديث إطعامه أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشر في بداهة الحديث البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن إسحاق: حدثنا سعيد بن ميناء عن ابنة بشر بن سعد وإسناده جيد (٧) حديث نبع الماء من بين أصابعه قسرب أهل العسكر وهم عطاش وتوضوا الحديث متفق عليه

وترك الحيانة وحفظ  
الجوار ورحمة النبي  
ولين الكلام وبذل  
السلام وحسن العدل  
وتصبر الأمل ولزوم  
الإيمان والتفقه في  
القرآن وحب الآخرة  
والجزع من الحساب  
وخفض الجناح وإيلاء  
أن تسب حلياً أو  
تكذب صادقة أو تطمع  
أنما أو تسمى إماماً  
عادلاً أو تفسد أرضاً  
أوصيك باتقاء الله عند  
كل حبر وشجر ومدر

وأهراق عليه السلام وضوؤه في عين تبوك ولا ماء فيها ، ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشت بالماء ففرب من عين تبوك أهل الجبش وم ألف حق رووا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسة وتسعون لم يكن فيها قبل ذلك ماء <sup>(١)</sup> وأمر عليه السلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزود أربعاً لقرا كب من تحركان في اجتماعه كربة البعير وهو موضع بروكة فزودهم كلهم منه وبقي منه فعبسه <sup>(٢)</sup> ورى الجيش قبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - <sup>(٣)</sup> وأبطل الله تعالى الكهانة بمجته <sup>(٤)</sup> فدميت وكانت ظاهرة موجودة <sup>(٥)</sup> وحن الجفج الذي كان يخطب إليه لما عمل له التبر حتى سمع منه جميع أصحابه مثل صوت الأبل فضمه إليه فمكن <sup>(٦)</sup> ودعا البرود إلى نقي الوت وأخبرهم بأنهم لا يتحنونه فحبل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه <sup>(٧)</sup> وهذا مذكور في سورة يقرأ بها في جميع جوامع الاسلام من شرق الأرض إلى غربها يوم الجمعة جهرا تملظا للآية التي فيها وأخبر عليه السلام بالديوب وأبذر عثمان بأن تصبیه بلوى بهدا الجملة <sup>(٨)</sup> وبأن عمارا تقتله الفئة الباغية <sup>(٩)</sup> وأن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمين <sup>(١٠)</sup>

من حديث أنس في ذكر الوضوء فقط ولأبي نعيم من حديثه خرج إلى قبا فأتى من بعض يوتهم بقدر صغير وفيه ن قال لهم إلى التراب قال أنس يصر عني نبع الماء من بين أصابعه ولم يرد القدر حق رووا منه وإسناده جيد وللإزار واللفظ له والطبراني الكبير من حديث ابن عباس كان في سفر فشكا أصحابه العطش فقال اتوني بماء فأتوه بأناء فيه ماء فوضع يده في الماء فجلس الماء ينبع من بين أصابعه الحديث <sup>(١)</sup> حديث إهرافه وضوؤه في عين تبوك ولا ماء فيها ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشت بالماء الحديث م من حديث معاذ بقصة عين تبوك ومن حديث سلمة بن الأكوع بقصة عين الحديبية وفيه فاما دعا وإما يبق فيها فجاثا الحديث وللبخاري من حديث البراء أنه توضأ وبه فيها وفي الحديثين معا أنهم كانوا أربعة عشر مائة وكذا عند مخ من حديث البراء وكذلك عندهما من حديث جابر ، وقال البيهقي إنه الأصح ولهما من حديثه أيضا ألف وخمسة مائة والمسلم من حديث ابن أبي أوفى ألف وثلاثمائة <sup>(٢)</sup> حديث أمر عمر أن يزود أربعاً لقرا كب من تحركان كربة البعير الحديث أحمد من حديث النعمان بن مقرن وحديث دكين بن سعيد إسنادين صحيحين وأصل حديث دكين عند أبي داود مختصراً من غير بيان لعدد م <sup>(٣)</sup> حديث رمية الجيش قبضة من تراب فعميت عيونهم الحديث م من حديث سلمة بن الأكوع دون ذكر نزول الآية فرواه ابن مردويه في تفسيره من حديث جابر وابن عباس <sup>(٤)</sup> حديث إبطال الكهانة بمجته الخرافة من حديث مرداس بن قيس الدوسي قال حضرت النبي صلى الله عليه وسلم وذكرت عنده الكهانة وما كان من تغيرها عند مغزجه الحديث ولأبي نعيم في الدلائل من حديث ابن عباس في استراق الجن السمع فيلقونه على أوليائهم فلما بحث محمد صلى الله عليه وسلم دحروا بالجوم وأصله عند مخ بغير هذا السياق <sup>(٥)</sup> حديث حين الجدع من حديث جابر وسئل بن سعد <sup>(٦)</sup> حديث دعا اليهود إلى نقي الوت وأخبرهم بأنهم لا يتحنونه الحديث مخ من حديث ابن عباس لو أن اليهود دنوا الوت لما اتوا الحديث وللبيهقي في الدلائل من حديث ابن عباس لا يقولها رجل منكم إلا غص برقعة فعميت مكانه فأبوا أن يملوا الحديث وإسناده ضيف <sup>(٧)</sup> حديث إخباره بأن عثمان تصبیه بلوى بهدا الجملة متفق عليه من حديث أبي مرسى الأعمري <sup>(٨)</sup> حديث إخباره بأن عمارا تقتله الفئة الباغية م من حديث أبي قتادة وأم سلمة ومخ من حديث أبي سعيد <sup>(٩)</sup> حديث إخباره أن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمين مخ من حديث أبي بكر .

وأن تحدث لكل ذنب  
توبة السر بالسر  
والعلانية بالعلانية  
بذلك أدب الله عباده  
ودعاهم إلى مكارم  
الأخلاق ومحاسن  
الآداب . وروى معاذ  
أيضا عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال  
حفت الاسلام بمكارم  
الأخلاق ومحاسن  
الآداب . أخبرنا الشيخ  
العالم ضياء الدين  
عبد الوهاب بن علي  
باسناده المتقدم إلى

وأخبر عليه السلام عن رجل قاتل في سبيل الله آمنه أهل النار<sup>(١)</sup> فظهر ذلك بأن ذلك الرجل قتل نفسه وهذه كلها أشياء إلهية لا تعرف ألبتة بشيء من وجوه تقدمت للمعرفة إلا بتجويم ولا بكشف ولا بخطط ولا بجزر لكن بإعلام الله تعالى له ووحيه إليه ، وإتيه سرقة بن مالك فساخت قدما فرسه في الأرض وأتيه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس وأندره بأن سيوضع في ذراعيه سوارا كسرى<sup>(٢)</sup> فكان كذلك وأخبر بمقتل الأسود العنسي الكذاب ليلته وهو يستعاضه الجين وأخبر بمن قتله<sup>(٣)</sup> وخرج على مائة من قریش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه<sup>(٤)</sup> وشكا إليه البعير بحضرة أصحابه وتذلل له<sup>(٥)</sup> وقال لذئب من أصحابه مجتمعين أحدهم في النار حرسه مثل أحد فماتوا كلهم في استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتدا<sup>(٦)</sup> وقال لأخريين منهم آخرهم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في النار فاحترق فيها فمات<sup>(٧)</sup> ودعا شجرتين فأثناهما واجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا وكان عليه السلام نحو الربعة فاذا مشى مع الطوال طالم<sup>(٨)</sup> ودعا عليه السلام النصارى إلى الباهلة فامتنوا فمرفهم صلى الله عليه وسلم أنهم إن فعلوا ذلك هلكوا فملوا صحة قوله فامتنوا<sup>(٩)</sup> وأثناه عامر بن الطفيل بن مالك وأريد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتسكاهم عازمين على قتله عليه السلام فحبل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلكا عامر بقدة وهلك<sup>(١٠)</sup> بدى صاعقة أمقرته<sup>(١١)</sup> وأخبر عليه السلام

(١) حديث إخباره عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار متفق عليه من حديث أبي هريرة وسهل بن سعد (٢) حديث اتباع سرقة بن مالك له في قصة الهجرة فساخت قدما فرسه في الأرض الحديث متفق عليه من حديث أبي بكر الصديق (٣) حديث إخباره بمقتل الأسود العنسي ليلته وهو يستعاضه الجين ومن قتله وهو مذكور في السير والذي فيه روى الدليل وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة بينا أنا نائم رأيت في بدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهم فأقوا حتى إلى النمام أن افترقا ففتنهما فطارا فتناولهما كذا بين يخرجان بعدى فكان أحدهما العنسي صاحب صنعة الحديث (٤) حديث خرج على مائة من قریش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه ابن مردويه بسند ضيف من حديث ابن عباس وليس فيه أنهم كانوا مائة وكذلك رواه ابن اسحاق من حديث محمد بن كعب القرظي مرسل (٥) حديث شكا إليه البعير وتذلل له من حديث عبد الله بن جعفر في أثناء حديث وفيه فانه شكا إلى إنك تبعه وتدينه وأول الحديث عند من ذكر قصة البعير (٦) حديث قال لذئب من أصحابه أحدهم حرسه في النار مثل أحد الحديث ذكره الدارقطني في المؤلف والمختلف من حديث أبي هريرة بغير إسناد في ترجمة جالال بن عفره وهو الذي رتدوه بالجهم وذكره عبد الله بن ماجة وسبقه إلى ذلك الواقدي والدارقطني والأول أصح وأكثر كما ذكره الدارقطني وابن ماجة واصله الطبراني من حديث رافع بن خديج بلقط أحد هؤلاء النفر في الدارقطني الواقدي عن عبد الله ابن نوح متروك (٧) حديث قال لأخريين منهم آخرهم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في النار فاحترق فيها فمات الطبراني والبيهقي في الدلائل من حديث ابن محذورة وفي رواية البيهقي أن آخرهم موتا حارسه بن جندب لم يذكر أنه احترق ورواه البيهقي من حديث أبي هريرة نحوه ورواه ثقات وقال ابن عبد البر إنه سقط في قدر مخلوة ماء حارا فمات وروى ذلك بأسناد متصل إلا أن فيه داود بن المغيرة قد ضعفه الجمهور (٨) حديث دعا شجرتين فأثناهما واجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا أحمد من حديث علي بن مرة بسند صحيح (٩) حديث دعا النصارى إلى الباهلة وأخبر إن فعلوا ذلك هلكوا فامتنوا مع من حديث ابن عباس في أثناء حديث ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجوا لا يجدون مالا ولا أهلا (١٠) حديث أثناه عامر بن الطفيل بن مالك وأريد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتسكاهم عازمين على قتله

الترمذي رحمه الله قال أنا أبو صيرب قال حدثنا قيس بن الليث عن مطرف عن عطاء عن أم البرداء عن أبي البرداء قال سمعت النبي عليه السلام يقول « ما من شيء يوضع في اللوزان أثقل من حسن الحق وإن صاحب حسن الحق يبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة » وقد كان من

أنه يقتل أبي بن خلف الجحشي غدته يوم أحد خدشا لطيفا فكانت سنته فيه <sup>(١)</sup> وأطعم عليه الصلاة والسلام السم فمات الذي أكله معه وعاش هو صلى الله عليه وسلم بعده أربع سنين وكله الذراع السموم <sup>(٢)</sup> وأخبر عليه السلام يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع <sup>(٣)</sup> وأنذر عليه السلام بأن طوائف من أمته يفترون في البحر فكان كذلك <sup>(٤)</sup> وزويت له الأرض فأرى مشارقتها ومغارها وأخبر بأن ملك أمته سيبلغ مازوى له منها فكان كذلك فقد بلغ ملكهم من أول الترقى من بلاد الترك إلى آخر للفرس من بحر الأندلس وبلاد البربر ولم يسموا في الجنوب ولا في الشمال كأخبر صلى الله عليه وسلم سواء بدواء <sup>(٥)</sup> وأخبر فاطمة ابنته رضى الله عنها بأنها أول أهله لحاقا به <sup>(٦)</sup> فكان كذلك وأخبر نساءه بأن أطولهن بدا أسرع لحاقا به فكانت زينب بنت جحش الأسدية أطولهن بدا بالصدقة أولهن حاقا بدرضى الله عنها <sup>(٧)</sup> ومسح ضرع شاة حائل لابن لها فدرت <sup>(٨)</sup> وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود رضى الله عنه وقيل ذلك مرة أخرى في خيمة أم معبد الخزاعية وتدرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها عليه السلام يده فكانت أصم عينية وأحسها <sup>(٩)</sup> وتقل في عين على رضى الله عنه وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبسته بالراية <sup>(١٠)</sup> وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم <sup>(١١)</sup> وأصابت رجل بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم فمسحها بيده فبرأت من حينها <sup>(١٢)</sup> وقيل زاد جيش كان معه عليه السلام فقط بجميع ما في فاجتمع شيء يسير جدا فدعا فيه بالبركة تم أمرهم فأخذوا قلم يبيعون

لحبل بينهما وبين ذلك الحديث طب في الأوسط والأكر من حديث ابن عباس بطوله يستدلون <sup>(١)</sup> حديث إخباره أنه يقتل أبي بن خلف الجحشي غدته يوم أحد خدشا لطيفا فكانت سنته فيه البقي في دلائل النبوة من رواية سعيد بن المسيب ومن رواية عروة بن الزبير مرسل <sup>(٢)</sup> حديث إتمام السلم فمات الذي أكله معه وعاش هو بعده أربع سنين وكله الذراع السموم د من حديث جابر في رواية له رسالة أن الذي مات بشر بن البراء وفي الصحيحين من حديث أنس أن اليهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسومة فأكل منها الحديث وفيه لما زلت أعرقها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> حديث إخباره صلى الله عليه وسلم يوم بدر بمصارع صناديد قريش الحديث م من حديث عمر بن الخطاب <sup>(٤)</sup> حديث إخباره بأن طوائف من أمته يفترون في البحر فكان كذلك متفق عليه من حديث أم حرام <sup>(٥)</sup> حديث زويت له الأرض مشارقتها ومغارها وأخبر بأن ملك أمته سيبلغ مازوى له منها الحديث م من حديث عائشة وفاطمة أيضا <sup>(٦)</sup> حديث إخباره فاطمة أنها أول أهله لحاقا به متفق عليه من حديث عائشة وفاطمة أيضا <sup>(٧)</sup> حديث أخبر نساءه أن أطولهن بدا أسرع لحاقا به فكانت زينب الحديث م من حديث عائشة وفي الصحيحين أن سودة كانت أولهن لحوقا به قال ابن الجوزي وهذا غلط من بعض الرواة بلا شك <sup>(٨)</sup> حديث مسح ضرع شاة حائل لابن لها فدرت فكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود أحمد من حديث ابن مسعود بإسناد جيد <sup>(٩)</sup> حديث تدرت من حديث قتادة بن النعمان وهو الذي سقطت عينية في رواية للبيهقي أنه كان يدر وفي رواية أبي نعيم أنه كان يأخذ وفي إسناده اضطراب وكذا رواه البيهقي فيمن حديث أبي سعيد الخدري <sup>(١٠)</sup> حديث تقل في عين على وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبسته بالراية متفق عليه من حديث علي ومن حديث سهل بن سعد أيضا <sup>(١١)</sup> حديث كانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه م من حديث ابن مسعود <sup>(١٢)</sup> حديث أصابت رجل بعض أصحابه فمسحها بيده فبرأت من حينها م في قصة قتلى أبي رافع .

أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان أسنى الناس لا بيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل ولم يجد من عطيه ، وبأنه الليل لا يؤدى إلى منزله حتى يبرأ منه ولا يناله من الدنيا وأكثر قوت عامه من أيسر ما يجد من الخير والشعر وضع ماعدا ذلك في سبيل الله لا يستل شيئا إلا يعطى

في العسكر إلا على من ذلك<sup>(١)</sup> وحكى الحكم بن العاص بن وائل [١] مشيته عليه السلام مستهزأ فقال صلى الله عليه وسلم كذا فكأن فلم يزل يرتقى حتى مات<sup>(٢)</sup> وخطب عليه السلام امرأة قتاله أبوها إن بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال عليه السلام فلننكح كذا<sup>(٣)</sup> فبرست وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر إلى غير ذلك من آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم وإنما اقتصرنا على التفتيش ومن يسترب في انخراق العادة من يده وزعم أن أحادهذه الواقعة لم تنقل تواترا بل التواتر هو القرآن قطع كمن يسترب في شجاعة على رضى الله عنه وسخاوة حاتم الطائي ومعلوم أن أحادوقتهم غير متواترة ولكن مجموع الوقائع يورث علما ضروريا ثم لا يتماهى في تواتر القرآن وهي المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لى معجزة باقية سواء صلوات إذ إلهى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلاء الخلق وفصحاء العرب وجزيرة العرب حيث لا لاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهجتهم وكان بنادى بين أظهرهم أن بأنوا بئله أو بشر سور مثله أو بسورة من مثله إن شكوا فيه وقال لهم - قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا - وقال ذلك تمييزا لهم فجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذرايرهم لى وما استطاعوا أن يمارسوا ولا أن يقدحوا في جزائهم - حسن ثم انتشر ذلك بعده في أقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر وقد اقرض اليوم قريب من ثلثمائة سنة فلم يقدر أحد على معارسته فأعظم شباوة من ينظر في أحواله ثم في أقواله ثم في أفعاله ثم في أخلاقه ثم في معجزاته ثم في استتدار شرعه إلى الآن ثم في انتشاره في أقطار العالم ثم في إذعان ملوك الأرض له في عصره وجد عصره مع ضعفه ويسته يتمسارى جد ذلك في صدقه وما أعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبه في كل ماورد وصدر ففسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به في الأخلاق والأفعال والأحوال والأقوال عنه وسعة جوده . ثم كتاب آداب العبادة وأخلاق النبوة بحمد الله وعونه ومنه وكرمه ، ويتوله كتاب شرح محائب القلب من ربح الهلكات إن شاء الله تعالى .

ثم يسود إلى قوت عامه فيؤثر منه حق وبماحتاج قبل انقضاء العام . وكان يحصف التمل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله ويقطع اللحم معين . وكان أشد الناس حياء وأكثرم تواضعا فضلات الرحمن عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

(١) حديث قل زاد جيش كان معه قدما بما بقي فاجتمع شيء يسير فدعا فيه بالبركة الحديث متفق عليه من حديث سلمة بن الأكوع (٢) حديث حكى الحكم بن العاص مشيته مستهزأ به فقال فكذلك كن الحديث البيهقي في الدلائل من حديث هناد بن خديج صححه إسناده جديولا كما في المستدرک من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر نحوه ولم يسم الحكم وقال صحيح الاسناد . [٢] حديث يد طلحة لما أزال ما كان بها من شلل أصابها يوم أحد حين مسح يده من حديث جابر لما كان يوم أحد وفيه قتال طلحة قتال الأحد عشر حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال حس وليس فيه أنه مسحها ولبيخري من حديث قيس رأيت يد طلحة شلاء بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد (٣) حديث خطب امرأة قتال أبوها إن بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال فلننكح كذا فبرست المرأة ذكرها ابن الجوزي في التاتيع ومهاجرة بنت الحرث ابن عوف الزنى وتبعه على ذلك الدمياطي في جزء له في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصح ذلك .

[١] قوله الحكم بن العاص بن وائل هكذا في النسخ وصوابه كما في الشارح الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس [٢] قول العمري حديث يد طلحة الخ لم يكن بدختنا ولا بنسخة الشارح وأنبشاه بما للأصل فليتنظر .

[ قد تم بحون الله وحسن توفيقه طبع : الجزء الثاني من كتاب إحياء علوم الدين وبابه : الجزء الثالث إن شاء الله تعالى . وأوله كتاب شرح محائب القلب ]



## ضمرب الجزء الثانى

من كتاب إحياء علوم الدين لحجة الإمام الغزالى

صفحة

صفحة

### ٦٢ ﴿كتاب آداب الكسب والمعيش﴾

وهو الكتاب الثالث من ربيع العادات  
٦٣ (الباب الأول فى فصل الكسب والحلأ عليه)  
٦٦ (الباب الثانى فى علم الكسب بطريق البيع الخ)  
ويان شروط الشرع فى صحة هذه التصرفات  
التي هى مدار الكسب فى الشرع )

(النقد) الأول البيع

٧٠ (النقد) الثانى عقد الربا

٧١ (النقد) الثالث السلم

٧٢ (النقد) الرابع الإجارة

٧٣ (النقد) الخامس القراض

(النقد) السادس الشركة

٧٤ (الباب الثالث فى بيان العدل واجتناب الظلم

فى العامة )

القسم الأول فى بيان ضرره وهو أنواع

٧٦ القسم الثانى ما يخص ضرره للمعامل

٨٠ (الباب الرابع فى الاحسان فى العامة )

٨٤ (الباب الخامس فى شقة التاجر على دينه

فما يخص ويم آخرته )

### ٨٩ ﴿كتاب الحلال والحرام﴾

وهو الكتاب الرابع من ربيع العادات

(الباب الأول فى فضيلة الحلال ومذمة

الحرام ويان أصناف الحلال ودرجاته

وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه )

فضيلة الحلال ومذمة الحرام

٩٣ أصناف الحلال ومداخله

القسم الأول الحرام لصفة فى بينه الخ

٩٤ القسم الثانى ما يحرم لخلق فى جهة إبتات

اليد عليه

### ٢ ﴿كتاب آداب الأكل﴾

وهو الأول من ربيع العادات

٣ (الباب الأول فى لابد للنفر دمنه وهو ثلاثة

أقسام: قسم قبل الأكل ، وقسم مع الأكل ،

وقسم بعد الفراغ منه

القسم الأول فى الآداب التى تتقدم على

الأكل وهى سبعة

• القسم الثانى فى آداب حالة الأكل

٦ القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام

٧ (الباب الثانى فى يزيد بسبب الاجتماع

والمشاركة فى الأكل وهى سبعة )

٨ (الباب الثالث فى آداب تقديم الطعام إلى

الإخوان الزرئين )

١٢ (الباب الرابع فى آداب الضيافة )

١٩ فصل يجمع آداباً ومنهاى طيبة وشريعة متفرقة

### ٢١ ﴿كتاب آداب النكاح﴾

وهو الكتاب الثانى من ربيع العادات

٢٢ (الباب الأول فى الترغيب فى النكاح

والترغيب عنه )

الترغيب فى النكاح

٢٤ مجاء فى الترغيب عن النكاح

٢٥ آفات النكاح وفوائده

٣٧ (الباب الثانى فى إبراى حالة المقدم من أحوال

للرأة وشروط العقد )

٤٣ (الباب الثالث فى آداب العائنة وما يجرى

فى دوام النكاح والنظر فى ط الزوج

وفى ط الزوجة )

٥٨ القسم الثانى من هذا الباب النظر فى

حقوق الزوج عليها

صفحة	صفحة
١٥٥ (الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها)	٩٥ درجات الحلال والحرام
١٥٩ بيان معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا	٩٦ أمثلة للدرجات الأربع في الورع وشواهد
١٦٤ بيان البغض في الله	٩٩ (الباب الثاني في مراتب الشرات ومشاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام)
١٦٦ بيان مراتب الدين يفتنون في الله وكيفية معاملتهم	١٠٠ للثار الأول الشك في السبب الحلال والمحرم
١٦٨ بيان الصفات المشروطة فيمن يختار صحبتته	١٠٣ للثار الثاني للشبهة شك منتهو الاختلاط
١٧٠ (الباب الثاني في حقوق الأخوة والصحة)	١١٠ للثار الثالث للشبهة أن يتصل بالسبب الحلال محبة
١٧١ الحق الأول في اللال	١١٥ للثار الرابع الاختلاف في الأدلة
١٧٢ الحق الثاني في الاعانة بالنفس الخ	١١٨ (الباب الثالث في البحث والسؤال والمجوب والإجمال ومطائنها)
١٧٤ الحق الثالث في اللسان بالسكوت الخ	١٢٠ للثار الأول أحوال المالك
١٧٨ الحق الرابع على اللسان بالنطق	١٢١ للثار الثاني ما يستند الشك فيه إلى سبب المالك لا في حال المالك
١٨١ الحق الخامس الدعوى عن الزلات والمفوعات	١٢٧ (الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية وفيه نظران)
١٨٣ الحق السادس الدعاء للأخ في حياته الخ	النظر الأول في كيفية التميز والإخراج
١٨٤ الحق السابع الوفاء والإخلاص	١٢٩ النظر الثاني في المصرف
١٨٦ الحق الثامن التخفيف وترك التكليف الخ	١٣٣ (الباب الخامس في إدارات السلاطين وصلاتهم وما يحمل منها وما يحرم وفيه نظران)
١٨٩ (خاتمة) لهذا الباب نذكر فيها جملة الخ	١٣٤ النظر الأول في جهات الدخول لاساطان
١٩٠ (الباب الثالث في حق السلم والرحم والجوار والملك وكيفية العاشرة مع من يدل بهذه الأسباب)	١٣٨ النظر الثاني من هذا الباب في قدر بالمأخوذ وصفة الآخذ
١٩١ حقوق للسلم	١٤٠ (الباب السادس فيما يحمل من عاطلة السلاطين الظلمة ومجرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والإكرام لهم)
٢١١ حقوق الجوار	١٥١ (الباب السابع في مسائل متفرقة يكثر منس الحاجة إليها وقد سئل عنها في الفتاوى)
٢١٥ حقوق الأقارب والرحم	١٥٤ (كتاب آداب الألفة والأخوة)
٢١٦ حقوق الوالدين والولد	والاصبحو العاشرة مع أصناف الخلق وهو
٢١٩ حقوق المملوك	الكتاب الخامس من ربيع العادات الثاني وفيه ثلاثة أبواب
٢٢١ (كتاب آداب العزلة)	
وهو الكتاب السادس من ربيع العادات وفيه بابان	
٢٢٢ (الباب الأول في نقل الداهب والآصول وذكر حجج القريتين في ذلك)	
٢٢٣ ذكر حجج الماثنين إلى الخاطلة ووجهه منقها	
٢٢٤ ذكر حجج الماثنين إلى تفضيل العزلة	

صفحة	صفحة
٢٦٦ (كتاب آداب السماع والوجد)	٢٢٦ (الباب الثانى في فوائد العزلة وتوغلانها وكشف الحق في فضلها)
وهو الكتاب الثامن من ربيع العادات وفيه بابان : الباب الأول في ذكر اختلاف العلماء في إباحة السماع وكشف الحق فيه .	٢٢٨ القائمة الأولى للترغيع لعبادة والفكر الخ القائمة الثانية للتخلص بالعزلة عن العالمى الذى يتعرض للانسان لها الخ
بيان أقوال العلماء والتصوفة في تحليله ونحريمه	٢٣٢ القائمة الثالثة للخلاص من الفتن والحسومات وصيانة الدين والنفس الخ
٢٦٨ بيان الدليل على إباحة السماع	٢٣٣ القائمة الرابعة للخلاص من شر الناس
٢٨٢ بيان حجج القائلين بتحريم السماع والمجواب عنها	٢٣٤ القائمة الخامسة أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس
٢٨٤ (الباب الثانى في آداب السماع وآدابه وفيه مقامات ثلاث )	٢٣٥ القائمة السادسة للخلاص من مشاهدة الفناء والحق ومقاساة حقيقتهم وأخلاقيهم الخ
٢٨٥ القيام الأول في القهم	٢٣٦ آفات العزلة للبيئة على فوات فوائد المحاطة السبعة الآية
٢٨٩ القيام الثانى بعد القهم والتزليل للوجد	القائمة الأولى للتعليم والتعلم
٢٩٨ للقيام الثالث من السماع نذكر فيه آداب السماع ظاهرا وباطنا الخ	٢٣٨ القائمة الثانية النفع والانتفاع
٣٠٢ (كتاب الأمر بالمعروف)	القائمة الثالثة التأديب والتأدب
والتهى عن النكر وهو الكتاب التاسع من ربيع العادات الثانى وفيه أربعة أبواب	٢٣٩ القائمة الرابعة الاستئناس والإيناس
٣٠٣ (الباب الأول في وجوب الأمر بالمعروف والتهى عن النكر وفضيلته وللذمة في إجماله وإيضاحه)	القائمة الخامسة فضل الثواب وإنائه
٣٠٨ (الباب الثانى في أركان الأمر بالمعروف وشروطه ، وأركانه أربعة)	القائمة السادسة من فوائد المحاطة التواضع
الركن الأول المحتسب	٢٤١ القائمة السابعة التجارب
٣٢٠ الركن الثانى للحمية ما فيه الحسبة	٢٤٣ (كتاب آداب السفر)
٣٢٣ الركن الثالث المحتسب عليه	وهو الكتاب السابع من ربيع العادات وفيه بابان
٣٢٤ الركن الرابع نفس الاحتساب	٢٤٤ (الباب الأول في الآداب من أول التهوض إلى آخر الرجوع وفيه ثمانية السفر وقائده وفيه فصلان )
(باب آداب المحتسب)	الفصل الأول في فوائد السفر وفضله ونيته
٣٣٠ (الباب الثالث في المنكرات المألوفة في العادات)	٢٥٠ الفصل الثانى في آداب المسافرين أول نهوضه إلى آخر رجوعه وهي أحد عشر أدبا
منكرات للساجد	٢٥٦ (الباب الثانى فيما لا بد للمسافر من تملكه من رخص السفر وأدلة القيلة والأوقات الخ)
٣٣٣ منكرات الأسواق	القسم الأول العلم برخص السفر
منكرات الشوارع	٢٦١ القسم الثانى ما يتجدد من الوظيفة الخ

صفحة	صفحة
٣٦٠ يان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه	٣٣٤ منكرات الحمامات
٣٦٣ يان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم	منكرات الضيافة
٣٦٦ يان أخلاقه وآدابه فى الطعام	٣٣٦ للسكرات العامة
٣٧٢ يان أخلاقه وآدابه فى اللباس	٣٣٧ ( الباب الرابع فى أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونههم عن المنكر )
٣٧٧ يان عفوه صلى الله عليه وسلم مع القدرة	٣٥١ ( كتاب آداب الميمنة وأخلاق النبوة )
٣٧٨ يان إغضائه صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه	وهو الكتاب العاشر من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين
٣٧٩ يان سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم	٣٥٢ يان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن
٣٨٠ يان شجاعته صلى الله عليه وسلم	٣٥٣ يان جملة من محاسن أخلاقه التى جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار
٣٨١ يان تواضعه صلى الله عليه وسلم	
٣٨٢ يان صورته وخلفته صلى الله عليه وسلم	
٣٨٤ يان معجزاته وآياته الدالة على صدقه	

فهرس بقية عوارف المعارف للسهروردي الذى بالمهامش

صفحة	صفحة
١٧٢ ( الباب العشرون فى ذكر من يأكل من القروح )	٢ ( الباب التاسع فى ذكر من اتسمى بالى الصوفية وليس منهم )
١٩٥ ( الباب الحادى والعشرون فى شرح حال المتجرد ولتأهل من الصوفية وصحة مقاصدهم )	١٣ ( الباب العاشر فى شرح رتبة للشبكة )
٢٢٠ ( الباب الثانى والعشرون فى القول فى السماع رداً وإنكاراً )	٣٤ ( الباب الحادى عشر فى شرح حال الخادم ومن يشبه به )
٢٥٣ ( الباب الثالث والعشرون فى القول فى السماع رداً وإنكاراً )	٤٢ ( الباب الثانى عشر فى شرح خرقه الصوفية )
٢٦٤ ( الباب الرابع والعشرون فى القول فى السماع ترفها واستثناء )	٦٢ ( الباب الثالث عشر فى فضيلة سكان الرباط )
٢٧٩ ( الباب الخامس والعشرون فى القول فى السماع تأديبا واعتناء )	٧٠ ( الباب الرابع عشر فى مشابهة أهل الرباط بأهل الصفة )
٢٩٦ ( الباب السادس والعشرون فى خاصية الأريينية التى يتعاهدها الصوفية )	٨٠ ( الباب الخامس عشر فى خصائص أهل الرباط والصوفية فيما يتعاهدونه ويختصون به )
٣١٠ ( الباب السابع والعشرون فى ذكر قروح الأريينية )	٩٥ ( الباب السادس عشر فى ذكر اختلاف أحوال مشايخهم فى السفر والمقام )
٣٣٢ ( الباب الثامن والعشرون فى كيفية الدخول فى الأريينية )	١٢٢ ( الباب السابع عشر فيما يحتاج إليه الصوفى فى سفره من الفرائض والفضائل )
٣٥٣ ( الباب التاسع والعشرون فى أخلاق الصوفية )	١٤٠ ( الباب الثامن عشر فى القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه )
	١٥٨ ( الباب التاسع عشر فى حال الصوفى للتسبب )